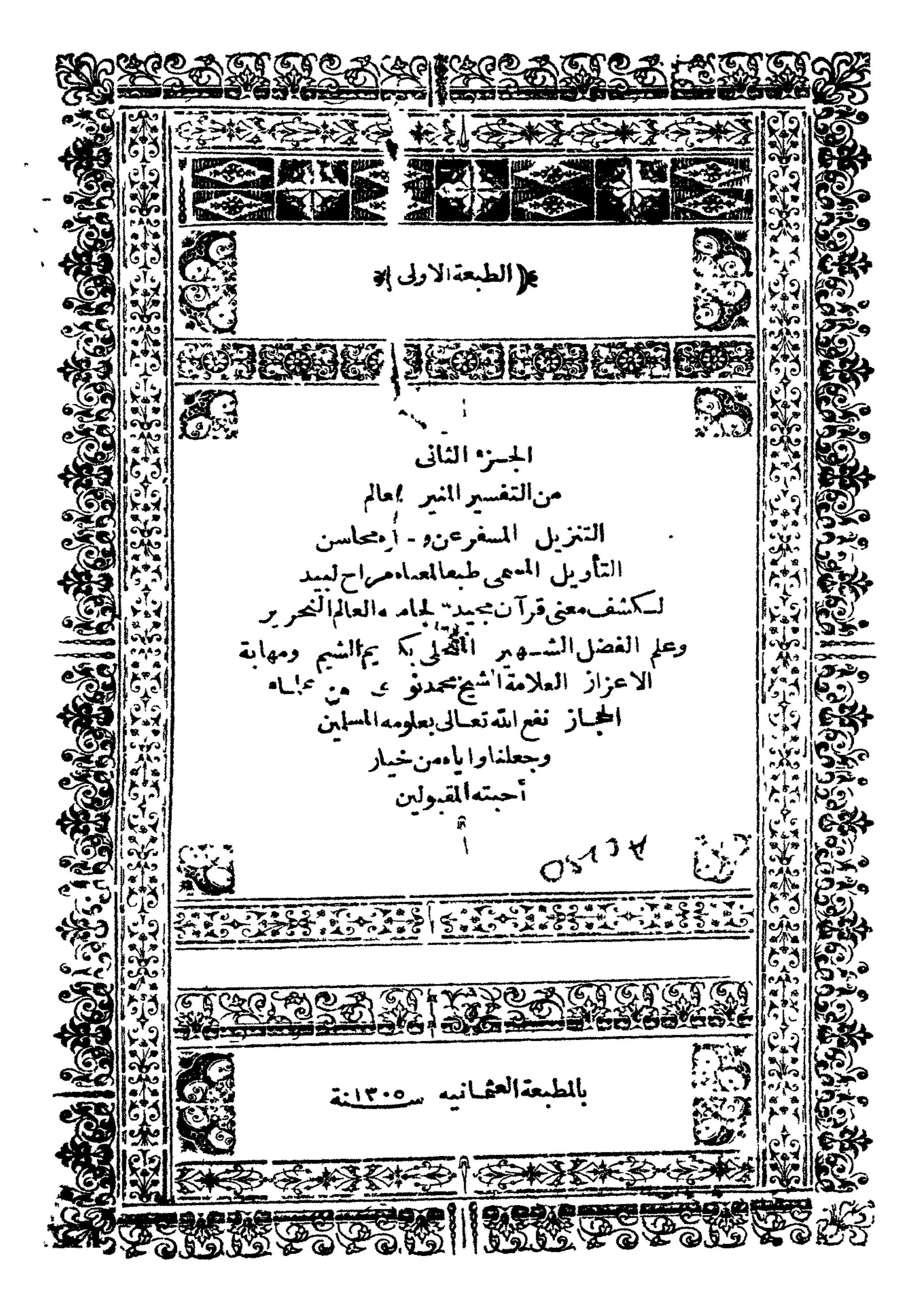
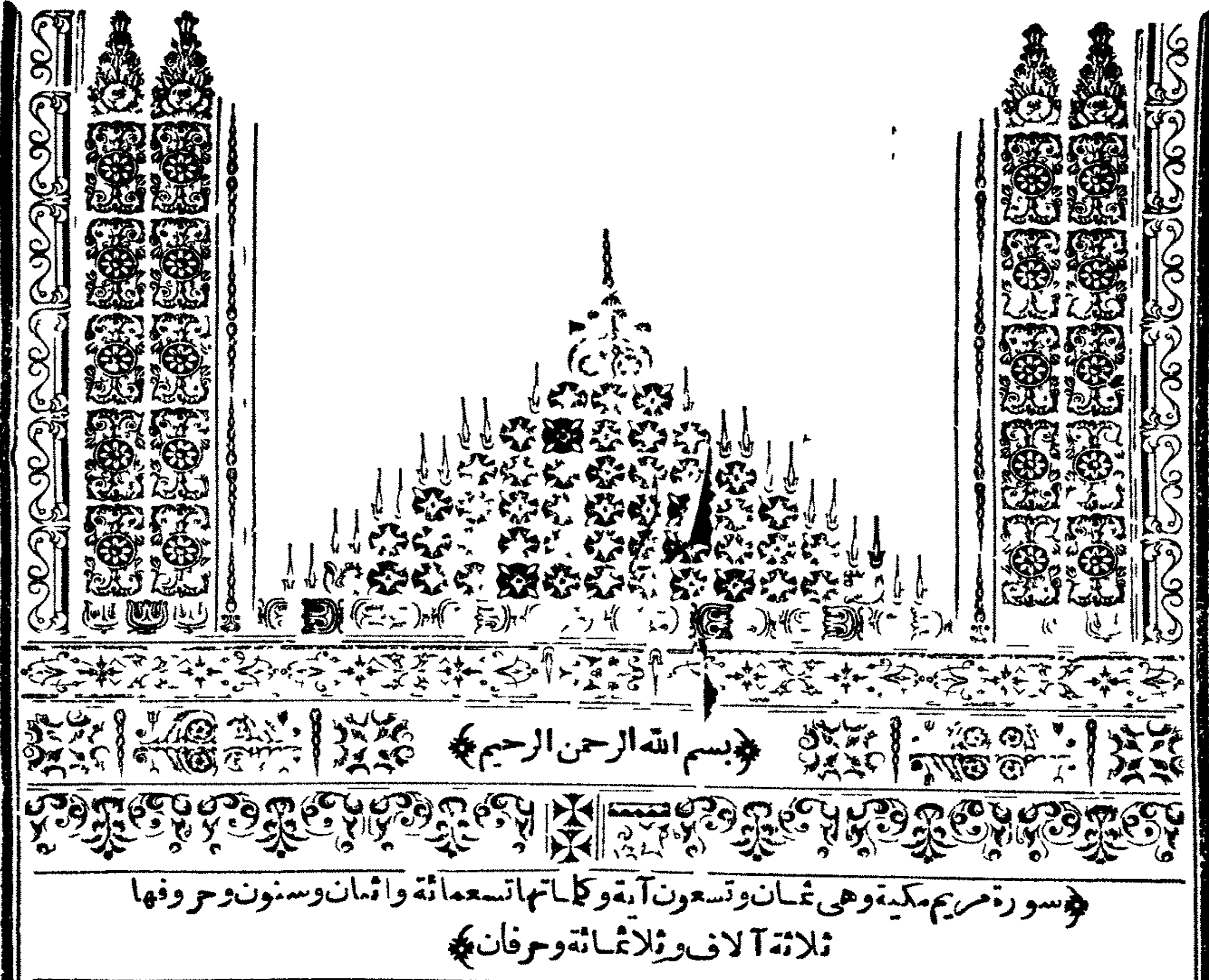


(الطبعة الاولى)

الجزء الثاني
من التفسير المنير لمعالم
التنزيل المسفر عن وجوه محاسن
التأويل المسمى طبقا لمعناه مراح لبيد
لكشف معنى قرآن مجيد لجامعه العالم النحرير
وعلم الفضل الشهير المتحلي بكريم الشيم ومهابة
الاعزاز العلامة الشيخ محمد نووي من علماء
الحجاز نفع الله تعالى بعلومه المسلمين
وجعلنا واياه من خيار
أحبته المقبولين

بالمطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥



سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية وكلماتها تسعمائة واثمان وستون وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وحرفان

(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص) وهو من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه وقيل هو ثناء من الله على نفسه وهو وصفه تعالى بأنه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بأمرهم صادق في وعده (ذكر رحمت ربك) فان جعلت كهيعص اسما للسورة على ما عليه اتفاق أكثر العلماء فهي مبتدأ وخبره ذكر أي المسمى بكهيعص ذكر رحمت ربك (عبده زكريا) أي اصابة الله رحمته عبده زكريا (اذ نادى ربه نداء خفيا) فانه أدخل في الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لوم الناس على طلب الولد في زمان الشيخوخة (قال رب اني وهن العظم مني) أي ضعف بدني وانما أسند الضعف الى العظم لانه دعام الجسد فاذا انضعف كان غيره أضعف (واشتعل الرأس شيبا) أي أخذ رأسي شمطا وقد صار مثل شواظ النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي ولم أكن بدعائي اياك يارب خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وقد توسل سيدنا زكريا عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة بعد ذكر ما يتسبب للرأفة من كبر السن وضعف الحال (واني خفت الموالي) أي الذين يخلفونني في السياسة وفي القيام بأمر الدين (من ورائي) أي بعد موتي وهم بنو عمه عليه السلام وكانوا أشرار بني اسرائيل فخاف عليه السلام أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي متعلق بمحذوف أي فعل الموالي أو جور الموالي لا بخفت لفساد المعنى (وكانت امرأتي

عاقرا) أي لا تلد من حين شبابها (فهب لي من لدنك) أي أعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة (وليا) أي ولدا من صلبي (يرثني) من حيث العلم والدين والنبوة (ويرث الملك (من آل يعقوب) بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام لان زوجة زكريا هي أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولديهوذ بن يعقوب أما زكريا فهو من ولد هرون أخي موسى وهما من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وقرأ أبو عمرو والكسائي يرث في الكلمتين بالجزم على جواب الامر والباقون بالرفع على صفة (واجعله رب رضيا) أي مرضيا عندك قولا وفعلا قال تعالى بواسطة الملك جبريل (يا زكريا انا نبشرك بغلام) أي ولد يرث العلم والنبوة في حياتك فانه قتل قبل موت أبيه (اسمه يحيي) لاحيائه رحم أمه بعد موته بالعقم (لم نجعل له من قبل سميا) أي شريكا له في الاسم حيث لم يكن قبل يحيي أحد يسمى بيحيي وقيل أي شبيها في الفضل والكمال فانه لم يعص ولم يهم بمعصية من حال الصغر وانه صار سيد الشهداء على الاطلاق (قال) زكريا (رب أني يكون لي غلام) أي من أين يكون لي ولد (وكانت امرأتي عاقرا) أي والحال أنه قد صارت امرأتي لم تلد قط (وقد بلغت من الكبر عتيا) أي يبوسا وقرأ أبي بن كعب وابن عباس عسيا بالسين غير المعجمة (قال) أي الله تعالى (كذلك) أي الامر ذلك أوعد من خلق غلام منكما وانما على حالتكما (قال ربك هو) أي خلق يحيي منكما على حالتكما (على) خاصة (هين) وان كان في العادة مستحيلا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أي وقد أوجدتك يا زكريا من قبل يحيي والحال أنك اذ ذاك عدم بحت وقرأ حمزة والكسائي خلقناك (قال رب اجعل لي آية) أي علامة تدلني على حصول حمل امرأتي (قال) أي الله تعالى (آيتك) على تحقق المسؤل (أن لا تكلم الناس) أي أن لا تقدر على أن تكلم الناس (ثلاث ليال) مع أيامهن (سويا) أي حال كونك سليم الجوارح لم يحدث بك مرض ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أي من المصلى وهم اجتمعوا ينتظرون فتح الباب ليصلوا فيه باذنه على العادة فخرج اليهم للاذن وهو لا يتكلم متغيرا لونه فأنكروه فقالوا مالك يا نبي الله (فأوحى اليهم) أي أشار اليهم (أن سبحوا بكرة وعشيا) أي صلوا صلاة الفجر وصلاة العصر قال الله تعالى ليحيي بعد ما بلغ (يا يحيي خذ الكتاب بقوة) أي اعمل بما في التوراة بجد (وآتيناه الحكم) أي الفهم في التوراة والفقه في الدين (صبيا) أي في صغره وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا روى انه عليه السلام دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا (وحنانا من لدنا وزكاة) أي وأعطيناه تعظيما من عندنا على يحيي حيث جعلناه نبيا وهو صغير وتشريفا له ويقال وأعطينا يحيي رحمة من لدنا على زكريا وتزكية له عن أن يصير مردود الدعاء ويقال وأعطينا يحيي تعطفا منا على أمته لعظم انتفاعهم بارشاده وتوفيقا للتصدق عليهم وتطهيرا منا عن الالتفات بغيرنا (وكان تقيا) بطبعه ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجاري على خده (وبرا بوالديه) أي لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) أي متكبرا في دينه (عصيا) أي عاصيا لربه عاقا بوالديه (وسلام عليه) أي أمان من الله تعالى على يحيي (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتنة القبر (ويوم يبعث) من القبر (حيا) من هول القيامة وهذا تنبيه على كونه عليه السلام من الشهداء (واذكر) يا أكرم الرسل للناس (في الكتاب) أي هذه السورة (مريم) أي قصتها (اذ انتبذت) أي اعتزلت (من أهلها مكانا شرقيا) أي شرقي بيت المقدس وشرقي دارها للتخلي هناك للعبادة (فاتخذت من دونهم حجابا) أي فأرخت لاجل منع

رؤية أهلها سترا لتغتسل من حيضها (فأرسلنا اليها روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) بعد فراغها من الاغتسال وبعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) أى لم ينقص من الصورة البشرية شيأ وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فلما طهرت وهى فى مغتسلها أتاها جبريل بعد لبسها ثيابها فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر كامل البدن لم ينقص من حسان نعوت الآدمية شيأ وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس لتستأنس بكلامه وتتلقى منه مايلقى اليها من كلماته تعالى (قالت) أى مريم (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مطيعا لله يرجى منك أن تتقى الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فانى عائذة به منك وقيل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه تقى يتبع النساء فظنت مريم أن ذلك الشاهد هو ذلك التقى فن ذلك تعوذت منه وخصت الرحمن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه (قال) لها جبريل (انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما زكيا) أى لأكون سببا فى هبة ولد طاهر من الذنوب بالنفخ فى الدرع قرأ نافع وأبو عمرو ليهب بياء مفتوحة بعد اللام أى ليهب الرب لك ولدا ذكرا مترقيا من سن الى سن على الخير (قالت) مريم لجبريل (أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) أى من أين يكون لى ولد كما وصفت والحال أنه لم يباشرنى رجل بنكاح (ولم أك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) لها جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لك (قال ربك) الذى أرسلنى اليك (هو) أى هبة الولد من غير أن يمسك بشر أصلا (على) خاصة (هين) وان كان مستحيلا عادة لانى لا أحتاج الى الوسائط (ولنجعله) أى وهب الولد من غير أب (آية للناس) أى برهانا لهم يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك وبهذا تمام الانواع الاربعة فى خلق البشر فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية البشر من ذكر وأنثى معا (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون بهدايته (وكان) أى خلق الولد بلا أب (أمرا مقضيا) أى لا يتغير فلو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال وجميع الممكنات منتهية فى سلسلة القضاء الى واجب الوجود واذا كان الامر كذلك فلا فائدة فى الحزن وهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (فحملته) أى فنفخ جبريل فى طوق قميصها نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها فحملته فى الحال (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها (مكانا قصيا) أى بعيدا من الناس قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحد أشد عبادة منهما وأول من علم حمل مريم هو يوسف فتحير فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال قد وقع فى نفسى من أمرك شىء وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون

فقالت

فقالت له مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وآخر أنه من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فخرجت أقصى الدار (فأجاءها المخاض) اى فألجأها وجع الولادة (الى جذع النخلة) اى الى أصل نخلة يابسة لا رأس لها وكان الوقت شتاء شديد البرد فلما اعتمدت عليه بصدرها اخضر وأطلع الجريد والخوص والثمر رطبا في وقت واحد كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته في وقت واحد وكان الله أرشدها الى النخلة ليريها من آياته ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو أشد الاشياء موافقة للنفساء فهو خرسة لها ولأن النخلة من أقل الاشجار صبرا على البرد ولانها لا تثمر الا عند اللقاح من ذكر النخل واذا قطعت رأسها ماتت فكأنه تعالى قال كما أن الانثى لا تلد الا مع الذكر فكذا النخلة لا تثمر الا عند اللقاح ثم انى أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر فحملها ما يجردهزها أنسب شيء باتيانها بولد من غير والد (قالت) لما خافت أن يظن بها السوء في دينها فيقع في المعصية من يتكلم فيها وهي راضية بما بشرها به جبريل (يا) اى أنبهك يا مخاطب (ليتني مت قبل هذا) الوقت الذي فيه الامر العظيم وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي مت بكسر الميم والباقون بالضم (وكنت نسيا) اى شيأ تافها لا يعتد به أصلا كخرقة الطمث ونحوها وقرأ حفص وحمزة وابن وثاب والاعمش بفتح النون والباقون بالكسر وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وبه هما وهو الحليب المخلوط بالماء الكثير ينساه أهله لقلته واستهلاكه في الماء (منسيا) اى متروكا لم يذكر بالبال وهو نعت للمبالغة وهذا جرى على عادة الصالحين عند اشتداد الامر عليهم فانهم يقولون مثل ذلك كما روى عن أبي بكر انه نظر الى طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر وددت أني ثمرة ينقرها الطائر وعن عمر انه أخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم أك شيأ وعن علي انه قال يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده أمه وقرأ الاعمش منسيا بكسر الميم اتباعا للسين (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بمن الجارة أي فناداها جبريل من مكان أسفل منها تحت الاكمة أي لا تحزني يا مريم على ولادة عيسى قد جعل ربك بمكان أسفل منك أو قريب منك نهرا صغيرا أو انسانا شريفا حليلا ويدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها ويقال فناداها المولود كائنا من تحت ذيلها أى لا تحزني يا أمي قد جعل ربك تحتك جدولا يجرى ويمسك بأمرك أو نبيا مرتفع القدر وقرأ الباقون بمن الموصولة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها بفتح الميم اى فناداها عيسى الذي كان تحت ذيلها اى لا تحزني قد جعل ربك تحتك رئيسا عزيزا لا يكاد يوجد له نظير أو جدولا بضرب جبريل الارض برجله ويقال فناداها جبريل من تحتها يقبل الولد كالقابلة أو من تحت النخلة بأن لا تحزني قد جعل ربك قربك عين ماء عذب تعظيما لشأنك فان الله تعالى أرسل جبريل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها في أول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من أصناف البشارات أو يقال ان الله تعالى أنطق عيسى لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر ما بشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد كما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها ما علمت انه ينطق فما كانت تشير الى عيسى بالكلام وحمل فاعل نادى الى عيسى أقرب (وهزي اليك بجذع النخلة) اى حركي أصل النخلة تحريكا عنيفا الى جهتك (تساقط عليك) اى تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا بحسب تواتر الهزي

(رطبا جنيا) اى طريا استحق أن يجنى وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف (فكلى واشربى) اى فكلى من الرطب واشربى من النهر أو كلى من الرطب واشربى من عصيره (وقرى عينا) اى طيبى نفسا بولدك عيسى فالعين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره وان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال للمحبوب قرة العين وللمكروه سخنة العين (فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) اى فان ترى يامريم أحدا من الآدميين فيسألك عن ولدك فقولى له ان استنطقك انى نذرت للرحمن صمتا فلن أكلم اليوم آدميا بعد أن أخبرتك بنذرى وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وانما منعت مريم من الكلام ليكون عيسى المتكلم عنها فيكون أقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها ولكراهة مجادلة السفهاء (فأتت به قومها تحمله) اى فجاءتهم مع ولدها عيسى حاملة له وهو ابن أربعين يوما روى عن ابن عباس أن يوسف انتهى بمريم الى غار فأدخلها فيه أربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا) مؤنبين لها (يا مريم لقد جئت شيأ فريا) اى لقد فعلت شيأ منكرا عظيما (يا أخت هرون) اى ياشبيهة هرون فى العبادة وكان هرون هذا رجلا صالحا من أفضل الناس من بنى اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح وهذا الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمون هرون تبركا به وباسمه والمراد انك يامريم كنت فى الزهد كهرون فكيف صرت هكذا (ما كان أبوك امرأ سوء) اى ما كان أبوك عمران رجلا زانيا (وما كانت أمك بغيا) اى وما كانت أمك حنة امرأة فاجرة (فأشارت) مريم (اليه) اى الى عيسى أن كلموه (قالوا) منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان فى المهد) اى فى الحجر أو فى السرير (صبيا) أى صغيرا ابن أربعين يوما (روى) أن عيسى كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابة يمينه فتكلم عيسى (قال انى عبد الله) وانما نص عيسى على اثبات عبودية نفسه لان ازالة التهمة عن الله تعالى يفيد ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لا يخص الفاجرة بولد فى هذه الدرجة العالية أما التكلم بازالة التهمة عن الام لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى وقد وصف عيسى عليه السلام نفسه بصفات ثمانية أولها العبودية فاعترف بها لئلا يتخذوه الها وآخرها تأمين الله له فى أخوف المقامات وكل هذه الصفات تقتضى تبرئة أمه (آتانى الكتاب) أى علمنى التوراة والانجيل فى بطن أمى (وجعلنى نبيا) بعد الخروج من بطن أمى (وجعلنى مباركا) أى نفاعا معلما للخير (أينما كنت) أى فى أى مكان كنت روى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سلمت مريم عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه عليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أى شىء أكتب فقال اكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدرى ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يامؤدب لا تضربنى ان كنت لا تدرى فاسألنى فانى أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى أمرنى باقامة العبودية وتطهير النفس عن الصفات الذميمة (مادمت حيا) فى الدنيا ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه عليه السلام اله لانه لا شك فى أن من يعبد الها ليس باله والله تعالى صيره حين انفصل عن أمه عاقلا (وبرا بوالدتى) اى وكلفنى برا بأمى وهذا اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها (ولم يجعلنى جبارا) أى متعاظما (شقيا)

أى عاصيالله عنيدا له لفرط التكبر بل جعلنى متواضعا وكان من تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى (والسلام على) أى الامان من الله على (يوم ولدت) أى حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت) أى حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث) من القبر (حيا) وانما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) أى عيسى بن مريم كلمة الله فالحق اسم الله أو المعنى خبر عيسى ابن مريم خبر الحق فعيسى عطف بيان وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب على المدح ان فسر بكلمة الله فحينئذ الوقف فى مريم وقف كاف وان فسر بالقول الصدق كان مصدرا مؤكدا لقال انى عبد الله فعيسى خبر المبتدا وعلى قراءة النصب كان اسم الاشارة راجعا لمن بينت نعوته الجليلة (الذى فيه) أى فى عيسى (يمترون) أى يتنازعون فيقول اليهود هو ساحر ويقول بعض النصارى هو ابن الله ويقول بعضهم هو الله ويقول بعضهم هو شريكه (ما كان لله) أى ما صح له تعالى (أن يتخذ من ولد) لانه يلزم من اتخاذه ولدا الحاجة وهو نقص (سبحانه) أى تنزه الله عن ذلك (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى اذا أراد الله أن يحدث أمرا من الامور فانما يريده ويعلق قدرته به فيكون حينئذ بلا تأخير وقرأ ابن عامر بنصب يكون على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر ان عطف على قوله انى عبد الله أو على الاستئناف ويؤيده ما قرأه أبى ان الله بالكسر بغير واو وقرأ أبو عمرو والمدنيون بالفتح على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده أى ولان الله أو بسبب انه تعالى ربى وربكم فاعبدوه (هذا) التوحيد ونفى الولد والزوجة الذى أمرتكم به (صراط مستقيم) يوصل الى الجنة ورضا الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف النصارى فى شأن عيسى عليه السلام بعد رفعه الى السماء فأخرج كل قوم عالمهم فاخرج منهم أربعة نفر فقال أحدهم هو الله تعالى هبط الى الارض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى ولذلك سموا الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته فخصمهم وقال أما تعلمون أن عيسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لا يجوز عليه ذلك وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم اتباع على ما قال فاقتتلوا رغلبوا على المسلمين فذلك قول الله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فصاروا أحزابا وذلك قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم فاختلفوا فيه وهذا معنى قوله تعالى الذى فيه يمترون (فويل) أى فشدة عذاب (للذين كفروا) أى اختلفوا فى شأن عيسى (من مشهد يوم عظيم) أى من حضور هول الحساب والجزاء يوم القيامة أو من مكان الحضور فى الحساب وهو الموقف أو من وقت حضوره أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو شهادة الملائكة والانبياء وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من وقت شهادة يوم عظيم الهول أو من مكانها (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميانا فى الدنيا (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى لكن الكافرون فى الدنيا فى ضلال مبين حيث تركوا النظر بالكلية وهم فى الآخرة يعرفون الحق (وأنذرهم) أى خوف يا أشرف الخلق كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم الندامة (اذ قضى الامر) أى فرغ من الحساب

ببيان أمر الثواب والعقاب فيندم في ذلك اليوم الناس المسيء على اساءته في الدنيا والمحسن على قلة احسانه فيها روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذ قضي الأمر فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة ويوم الحسرة مفعول به أي خوفهم نفس ذلك اليوم (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) أي أنذرهم في حال كونهم في جهلة عن ذلك اليوم وفي حال كونهم لا يصدقون به (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أي انا لا ندع في الارض شيأ من عاقل وغيره ونسلب جميع ما في أيديهم (والينا يرجعون) أي والى حكمنا يردون للجزاء وهذا تخويف عظيم للعصاة (واذكر في الكتاب ابراهيم) أي واتل على كفار مكة قصة ابراهيم في هذه السورة فانهم ينتسبون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يتركون ما هم فيه من القبائح (انه كان صديقا) أي بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله (نبيا) رفيع القدر عند الله وعند الناس فلا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لابيه) آزر متلطفا في الدعوة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) ثناءك عليه (ولا يبصر) خشوعك بين يديه (ولا يغني عنك شيأ) أي ولا يقدر على أن يكفيك شيأ من جلب نفع أو دفع ضر (يا أبت اني قد جاءني) من الله (من العلم) أي علم الوحي (ما لم يأتك) منه (فاتبعني) بالتوحيد الى الله (أهدك صراطا سويا) أي طريقا موصلا الى أسنى المطالب منجيا عن المعاطب (يا أبت لا تعبد الشيطان) فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يزينها لك بوسوسته (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فطاعة العاصي عصيان والعصيان يوجب العذاب (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) أي قرينا في العذاب روى عن أبي هريرة أنه قال قال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأن أسكنه حظيرة قدسي وان أدنيه من جواري (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتي) أي أمعرض أنت عن آلهتي (يا ابراهيم) انكر آزر نفس الانصراف عن الاصنام مع نوع من التعجب كأن الانصراف عنها مما لا يصدر من العاقل (لئن لم تنته) عن مقالتك هذا (لأرجمنك) أي لاقتلنك أي لاظهرن أمرك للناس ليقتلوك وهذا تهديد عما كان ابراهيم عليه من العظة (واهجرني مليا) أي تباعد عني لكي لا أراك زمانا طويلا (قال) ابراهيم (سلام عليك) وهذا توادع ومتاركة أي لا أشافهك بما يؤذيك بعد (سأستغفر لك ربي) أي أدعو لك ربي أن يهديك الى الايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق للايمان المؤدي للمغفرة (انه كان بي حفيا) أي بليغا في البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي وأتركم وما تعبدون من الاصنام بالارتحال من بلادكم (وأدعو ربي) أي أعبده وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربي) أي بعبادته (شقيا) أي ضائع العمل كما ضاع عملكم بعبادة الاوثان فارتحل سيدنا ابراهيم من كوثا الى الارض المقدسة (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي فلما فارقهم ابراهيم في المكان في طريقتهم من عبادة الاوثان وأبعدهم الى الارض المقدسة والتشاغل بالعبادة (وهبنا له اسحق ويعقوب) يأنس بهما لانه عاش حتى رأى يعقوب (وكلا) أي كل واحد منهم (جعلنا نبيا) ينبئهم الله تعالى بعلوم المعارف وهم ينبئون الخلق بالله وبالاسلام

(ووهبنا

ى (وهبنالهم من رحمتنا) المال والجاه والاتباع والذرية الطيبة (وجعلنالهم لسان صدق عليا) أى جعلنالهم ثناء صادقا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم ويذكرهم الامم كلها الى يوم القيامة بمالهم من الخصال المرضية وتقول هذه الامة فى الصلوات الخمس كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الى قيام الساعة (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرأه عاصم وحمزة والكسائى بفتح اللام أى معصوما من الادناس اختاره الله تعالى والباقون بالكسر أى مخلصا العبادته عن الرياء ولنفسه عما سوى الله (وكان رسولا) الى بنى اسرائيل والقبط (نبيا) يخبرهم عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن) أى الذى يلى يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وذلك حين توجه من مدين الى مصر أى تمثل له الكلام من تلك الجهة يقول ياموسى انى أنا الله (وقربناه نجيا) أى مناجيا أى رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة بأن أسمعه الله تعالى كلامه بلا واسطة وقيل رفعناه مكانا عاليا فوق السموات حتى سمع صرير القلم حيث كتبت التوراة فى الالواح (ووهبناله من رحمتنا) أخاه (هرون نبيا) أى وجعلنا أخاه هرون نبيا من أجل رأفتنا له ليكون وزيراله ومعيناله فى تبليغ الرسالة وهذا اشارة الى أن النبوة ليست كسبية بل هى من مواهب الله تعالى يهب لمن يشاء النبوة والرسالة واشارة الى أن لموسى اختصاصا بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هرون النبوة والرسالة بشفاعته كما يهب الانبياء والرسل بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم عليه السلام (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) فكان اذا وعد الناس بشئ أنجز وعده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام وعد صاحباله أن ينتظر فى مكان فانتظره سنة وقد وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا فى وادى مكة بشريعة أبيه فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) أى قومه (بالصلاة والزكاة) أى الصدقات الواجبة (وكان عند ربه مرضيا) أى فائزا فى كل طاعاته بأعلى الدرجات (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبى نوح (انه كان صديقا) أى ملازما للصدق فى جميع أحواله (نبيا) وهذا مخصص للخبر الاول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) وهو السماء الرابعة وكان سبب رفعه اليها أنه سار ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب انى قد مشيت فيها يوما فأصابنى منها ما أصابنى فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خففت عنى حر الشمس فما الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له حتى أتى ادريس ورفعه الى السماء (أولئك) العشرة المذكورون فى هذه السورة (الذين أنعم الله عليهم) بفنون النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم) وهو ادريس (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من مع نوح فى السفينة وهو ابراهيم فانه من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية يعقوب وهم يوسف واخوته وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وممن هدينا) أى ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) أى اصطفيناهم للاسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه واسم الموصول خبر اسم الاشارة ومن النبيين بيان للموصول ومن ذريته بدل باعادة الجار ومن للتبعيض (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) وهى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم (خروا سجدا وبكيا) من مخافة الله تعالى

قال العلماء ينبغي أن يدعو الساجد للتلاوة في سجدته بما يليق بآياتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك (فخلف من بعدهم خلف) اى حدث من بعد النبيين جماعة سوء ويقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون (أضاعوا الصلاة) اى تركوها (واتبعوا الشهوات) قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن على رضي الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) اى واديا في جهنم بعيد قعره تستعيذ منه أوديتها اعد للزناة وشربة الخمر وشهاد الزور وأكلة الربا والعاقين لوالديهم (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك) اى من اتصف بهذه الامور الثلاثة (يدخلون الجنة ولا يظلمون) اى لا ينقصون من جزاء أعمالهم (شيأ) وتوقف الاجر على العمل الصالح هو الغالب لانه لا تناط الاحكام الا بالاعم الاغلب ولا تناط بالنادرة كمن تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو وجد الحيض فانه لا يجب عليه العمل قبل وجود سببه وشرطه فلو مات في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل صالح من صلاة وزكاة وصوم وعلى هذا لا يتوقف الاجر على وجود العمل الصالح (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) حال من المفعول أى وهم غائبون عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه تعالى أى وعدهم بها وهم في الدنيا ومن في الدنيا لا يشاهدها (انه) تعالى أو ان الشأن (كان وعده) تعالى (مأتيا) اى مفعولا منجزا أى الوعد منه تعالى لا بد من وقوعه فهو وان كان بأمر غائب فكأنه حاصل مشاهد (لا يسمعون فيها) اى الجنة (لغوا) اى فضول كلام لا فائدة فيه (الا سلاما) من بعضهم على بعض أو من الملائكة عليهم فان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة فأهل الجنة لا يحتاجون الى هذا الدعاء لانهم في دار السلام فهذا من فضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها) اى طعامهم في الجنة (بكرة وعشيا) اى لهم رزق واسع ودائم فلهم ما يشتهون متى شاؤا اذ لا ليل فيها ولا بكرة ولا عشي وانما ذكرهما للرغب كل قوم بما أحبوه لانه لا شئ أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك ولذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولباس الحرير التي كانت عادة العجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وهي كانت من عادة أشرف العرب في اليمن (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) من الكفر اى هذه الجنة التي عظم شأنها نعطيها من أطاعنا عطاء لا يرد كالميراث الذي يأخذه الوارث فلا يرجع فيه المورث (وما نتنزل الا بأمر ربك) قيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سألوه في أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساءنى واشتقت اليك فقال له جبريل انى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول جبريل أمره الله تعالى أن يقوله لمحمد جوابا لسؤاله بقوله يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا المعنى وما نتنزل من السماء وقتا غب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) اى لربك ما قدامنا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه فلا ننتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بأمره ومشيئته فليس لنا أن ننقلب من السماء الى

الارض الا بأمره (وما كان ربك نسيا) اى تاركا لك بتأخير الوحى عنك فعدم النزول لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه وقال أبو مسلم ويجوز ان يكون قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول أهل الجنة حين يدخلونها والمعنى وما نتنزل الجنة الا بأمر الله تعالى ولطفه له ما بين أيدينا فى الجنة مما يكون مستقبلا وما خلفنا مما كان فى الدنيا وما بين ذلك فيما نحن فيه مما بين الوقتين وقوله تعالى وما كان ربك نسيا ابتداء كلام من الله تعالى تقرير القولهم اى وما كان الله ناسيا لأعمال العاملين وللثواب عليها بما وعدهم لانه عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز عليه النسيان وهو بدل من ربك أو خبر مبتدا مضمر اى هو (فاعبده) يا أكرم الرسل (واصطبر لعبادته) وعدى الاصطبار باللام لان العبادة جعلت بمعنى القرن ففيه معنى الثبات لان العبادة ذات شدائد ومشاق فكأنه قيل أثبت لعبادة الرب ولا يضق صدرك من قول الكافرين لك (هل تعلم له) أى للرب (سميا) أى نظيرا فيما يقتضى العبادة من كونه منعما باصول النعم وفروعها وشريكا فى الاسم الخاص كرب السموات والارض وما بينهما وكالله وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحمن غيره تعالى (ويقول الانسان) أبي بن خلف الجمحى بطريق الانكار والاستبعاد فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف (أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) أى أبعث من الارض (أولا يذكر الانسان) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب بسكون الذال وضم الكاف أى أيقول المجترئ بهذا الانكار على ربه ولا يتفكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل الحالة التى هو فيها من نطفة منتنة (ولم يك شيأ) أى والحال انه لم يكن حينئذ شيأ أصلا أى أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد يعلم أنه لم يكن حيا فى الدنيا ثم صار حيا فيها (فوربك لنحشرنهم) أى لنجمعن القائلين بعدم البعث بالسوق الى المحشر بعد ما أخرجناهم من الارض أحياء (والشياطين) روى ان كل كافر يحشر مع شيطانه الذى يضله فى سلسلة (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف فى المحشر (حول جهنم جثيا) أى باركين على الركب لما يدهمهم من شدة الامر الذى لا يطيقون معه القيام على أرجلهم (ثم لننزعن من كل شيعة) أى من كل أمة تبعت دينا من الاديان (أيهم أشد على الرحمن عتيا) اى جراءة اى فمن كان أشدهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم لان عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه فى الباطل كعذاب من يقتدى به مع الغفلة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) اى أحق بجهنم (صليا) اى دخولا فنبدأ بهم (وان منكم الا واردها) اى ما منكم أيها الانسان أحد الا حاضر قرب جهنم وعبر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجى الذين اتقوا أى نبعدهم عن عذاب جهنم وقيل ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها وقيل الورود الدخول فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور (كان على ربك حتما مقضيا) أى كان ورودهم اياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته (ثم ننجى الذين اتقوا) من الكفر والمعاصى اى نخرجهم منها فلا يخلدون بعد أن دخلوا فيها وانما دخلوا لهم فيها ليشاهدوا العذاب ليصير ذلك سبب المزيد التذاذهم بنعيم الجنة (ونذر الظالمين)

بالكفر والمعاصى (فيها) اى جهنم (جثيا) اى منهارابهم (واذا تتلى عليهم) اى المشركين (آياتنا) الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة (بينات) اى مرتلات الالفاظ مبينات المعانى (قال الذين كفروا) أى مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة (للذين آمنوا) اى لفقراء المؤمنين الذين هم فى خشونة عيش ورثاثة ثياب وضيق منزل واللام للتبليغ لانهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم (أى الفريقين) اى المؤمنين والكافرين (خير مقاما) اى منزلا وقرأ ابن كثير بضم الميم (وأحسن نديا) اى مجلسا اى أنحن أو أنتم روى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون فقراء المؤمنين ويقولون مفتخرين عليهم انظروا الى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وانظروا الى مجلسنا عند التحدث ومجلسكم فترونا نجلس فى صدر المجلس وأنتم فى طرفه الحقير فاذا كنا بهذه المثابة وأنتم بتلك فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لاكرمكم بهذه الامور كما أكرمنا بها والمعنى انهم لما سمعوا الآيات بينات الاعجاز وعجزوا عن معارضتها شرعوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) اى كثيرا أهلكنا بفنون العذاب قبل هؤلاء القريش من أمم عاتية كعاد وثمود وأمثالهم (هم أحسن) من هؤلاء (أثاثا) اى أمتعة (ورئيا) اى منظرا أى فهم أفضل من هؤلاء فيما يفتخرون به ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا اى فان ما أنتم أيها الكفار فيه من النعم محض استدراج لم ينفعكم الترفه شيأ عند نزول البلاء بكم كما وقع للامم الماضية حيث كانوا فى رفاهية أكثر منكم ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم ولم ينفعهم الترفه شيأ (قل) يا أشرف الرسل لهؤلاء المفتخرين بما لهم من حظوظ (من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فيمهله الله بطول العمر وبسط المال وانفاقه فيما يستلذ به من الاوزار ولا يزال يمد له استدراجا وقطعا للمعاذير يوم القيامة (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من الله تعالى (اما العذاب) الدنيوى بغلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا (واما الساعة) أى ما نالهم يوم القيامة من الخزى والنكال (فسيعلمون) حينئذ (من هو شر مكانا) أى منزلا من الفريقين (وأضعف جندا) أى أقل ناصرا أهم أم المؤمنون وهذا رد لما كانوا يزعمون أن لهم أنصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك فى المحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) أى بالاخلاص وبالعبادات المتفرعة على الايمان وبالثواب على ذلك الايمان (والباقيات الصالحات) أى الطاعات التى تبقى فوائدها (خير عند ربك ثوابا) أى فائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم الفانية التى يفتخرون بها (وخير مردا) أى عاقبة (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الناطقة بالبعث وهو العاص ابن وائل السهمى (وقال) لخباب بن الارت (لأوتين) فى الآخرة (مالا وولدا) نزلت هذه الآية فى شأن العاص بن وائل عن خباب قال كان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أقتضيه فقال لى لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت قلت نعم قال انى اذا بعثت وجئتنى فسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك وقرأ حمزة والكسائى ولدا بضم الواو وسكون اللام وقيل صاغ خباب للعاص حليا فطلب الاجرة فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ فأجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أطلع الغيب) أى أعلم الغيب وأن يعطى ما قاله أو أقد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى انفرد الله به حتى

ادعى أن يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن يؤتى ماقاله وقيل
المعنى أنظر فى اللوح المحفوظ انه له مايقول أم اعتقد وحدة الله بكلمة الشهادة فيكون له ما يقول وعن قتادة
هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك مايقول (كلا) ردع له عن التفوه بتلك الكلمة الشنيعة وتنبيه
على خطئه أى لايكون له مايقول (سنكتب ماتقول) أى سنظهر له أنا كتبنا قوله ونؤاخذه به (ونمد له
من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب مايستحقه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله تعالى
واستهزائه بآياته (ونرثه مايقول) أى ننزع ما آتيناه بموته ونحرمه ماتمناه فى الآخرة من مال وولد ونجعله
لغيره من المسلمين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولا ولد ولا عشيرة ولا خير (واتخذوا
من دون الله آلهة) أى اتخذ كفار قريش الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أى
ليكون الاصنام مانعين لهم من عذاب الله (كلا) أى لامانع من عذابهم فلا يعتقدوا أن الاصنام شفعاء
لهم عنده تعالى (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحد الاصنام بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى
وتقول ماعبدتمونا (ويكونون عليهم) أى تكون الاوثان التى كانوا يرجون أن تكون لهم منعة
من العذاب (ضدا) أى أعداء وأعوانا بالعذاب فانهم وقود النار ولأنهم عذبوا بسبب عبادتهم لها (ألم
تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أى ألم تنظر يا أشرف الرسل أنا سلطنا الشياطين على
الكافرين تهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بأنواع الوساوس (فلا تعجل عليهم) بطلب اهلاكهم
حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم (انما نعد لهم عدا) فليس بينك وبين ماتطلب من هلاكهم
الا أيام محصورة وأنفاس معدودة فنضبط عليهم مايقع منهم حتى نؤاخذهم به ولانهمله (يوم نحشر
المتقين) بايمانهم (الى الرحمن) أى الى محل كرامة ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة (وفدا) أى
وافدين على ربهم منتظرين لكرامتهم وانعامهم فبعضهم كانوا ركبانا على نجائب سروجها من ياقوت وعلى
نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد من أول خروجهم من القبور أو من منصرفهم من الموقف حتى
يقرعون باب الجنة (ونسوق المجرمين) بكفرهم ومعاصيهم (الى جهنم وردا) أى عطاشا باهانة
كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أى لايستحق
هؤلاء المجرمين أن يشفع لهم غيرهم الا من اتخذ كلمة الشهادة بالتوحيد والنبوة ولو كانوا أهل الكبائر
وروى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء
عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب
والشهادة انى أعهد اليك بأنى أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك
ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه
يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم
القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة (وقالوا) أى الكافرون (اتخذ
الرحمن ولدا) عزيرا والمسيح والملائكة (لقد جئتم شيئا ادا) أى لقد قلتم قولا منكرا عظيما (تكاد
السموات يتفطرن) أى يتشققن (منه) أى من قولهم (وتنشق الارض) أى تنخسف بهم (وتخر
الجبال هدا) أى تسقط الجبال منطبقة عليهم (أن دعوا للرحمن ولدا) أى من نسبهم ولدا للرحمن
وهذا بدل من الهاء فى منه قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين
وغضبت الملائكة حين قالوا لله ولد أى استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها فى

الدين (وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) لان الولد لابد وأن يكون شبيها بالوالد ولا مشبه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد انما يكون لأجل سرور الوالد به واستعانته به وذكر جميل به وكل ذلك لا يليق به تعالى محال عليه وهذه الجملة حال من فاعل قالوا أودعوا (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) أى مامن أحد فيهما الا مملوك له مقر له بالعبودية مطيع له غير الكافر (لقد أحصاهم) فلا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته (وعدهم عدا) أى عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شىء عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم يجيء الى الله وحيدا بلا مال ولا اتباع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى سيحدث لهم فى القلوب محبة من غير تعرض للاسباب من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك تخصيصا لاوليائه بهذه الكرامة كما قذف فى قلوب أعدائهم الرعب اعظاما لهم أى ان الله تعالى وعدهم أن يؤلف بين قلوبهم فى الدنيا اذا ظهر الاسلام وان يحببهم الى خلقه يوم القيامة بما يظهر من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم على رؤس الاشهاد (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) أى أنزلناه ميسرا بلغتك (لتبشر به المتقين) بامتثال مافيه من الامر والنهى (وتنذر به قوما لدا) أى الذين يجادلون فيه بالباطل وهم كفار مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى ترنا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى هلكوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر فلا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفى أى فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء وختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لابد من زوال الدنيا ومن الانتهاء الى الموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا أقرب الى الحذر من المعاصى

﴿ سورة طه مكية آياتها مائة وخمس وثلاثون وكلماتها ألف وثلاثمائة واحدى وأربعون وحروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب بالمبالغة فى محاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم ولتهلك نفسك بالعبادة وبكثرة الرياضة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة لمن يخشى) أى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب فى تبليغه ولكن تذكرة لمن يسلم (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) منصوب على المدح والاختصاص أو منصوب بيخشى مفعولا به أى أمدح تكليما من الله أو أنزل الله القرآن تذكرة لمن يخشى تكليم الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) أى الرحمن أوجد الكائنات ودبر أمرها فالاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك ويراد بهذا القول صار فلان ملكا وان لم يقعد على السرير أصلا والمراد هنا بيان تعلق ارادته تعالى بايجاد الكائنات وتدبير أمرها (له ما فى السموات وما فى الارض) سواء كان مافيهما جزأ منهما أو حالا فيهما (وما بينهما) من الموجودات الكائنة فى الجو دائما كالهواء والسحاب أو أكثريا كالطير (وما تحت الثرى) أى والذى تحت الارض السابعة السفلى لان الارضين على ظهر الحوت والحوت على الماء والماء على صخرة خضراء خضرة السماء منها والصخرة على قرنى ثور والثور على الثرى وهو التراب الندى ولا يعلم ما تحته الا الله أى انه تعالى مالك لهذه الاقسام الاربعة تصرفا بجادا واعداما واحياء واماتة (وان تجهر بالقول) أى وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك (فانه يعلم السر وأخفى) أى

لانه

لانه يعلم ما أسررته الى غيرك فى خفاء وما أخطرته ببالك من غير ان تتفوه به أصلا وهذا اما نهى عن الجهر واما ارشاد للعباد الى أن الجهر ليس لاسماعه تعالى بل لغرض آخر كحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة (الله) أى ذلك الموصوف بصفات الكمال هو الله لا اله الا هو (لا اله الا هو) قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله مادا بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا أتمها أمر اسرافيل بالنفخ فى الصور وقامت القيامة تعظيما لله عز وجل اهـ وينبغى لاهل لا اله الا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراء ومن ليس له الحرية فهو فاجر (له الاسماء الحسنى) تأنيث الأحسن لحسن معانيها (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا) أى أليس قد أتاك خبر موسى حين رأى نارا روى أن موسى عليه السلام استأذن شعيبا فى الرجوع الى والدته فأذن له فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما راى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ابن فى الطريق فى ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد حاد عن الطريق فقدح عليه السلام النار فلم تور المقدحة شيأ فبينما هو فى مزاولة ذلك اذ رأى نارا من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) فى مكانكم أى لا تتبعونى فى الذهاب الى النار (انى آنست نارا) أى أبصرتها ابصارا بينا (لعلى آتيكم منها بقبس) أى لعلى أجيئكم من النار بشعلة مقتبسة من معظم النار (أو أجد على النار هدى) أى عند النار من يدلنى على الطريق (فلما أتاها نودى) أى فلما أتى النار رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (ياموسى انى أنا ربك) أى فلما نودى ياموسى أجاب سريعا فقال لبيك من المتكلم انى أسمع صوتك ولا أراك فأين أنت فقال تعالى أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغى ولا يكون الا من الله فأيقن به وسمع الكلام بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا وسمعه من جميع الجهات (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام بالخلع لان الحفوة تواضع لله وحسن أدب معه تعالى (انك بالواد المقدس) أى المبارك (طوى) اسم الوادى أو اسم لمرة قد طويت بالجرى فى ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة قال أهل الاشارة والمراد بخلع النعلين ترك الالتفات الى الدنيا والآخرة كأنه تعالى أمره عليه السلام بأن يصير مستغرق القلب بالكلية فى معرفة الله تعالى ولا يلتفت بخاطره الى ماسواه تعالى والمراد من الوادى المقدس طهارة عزة الله تعالى وجلاله والمعنى أنك لما وصلت الى بحر المعرفة فلا تلتفت الى المخلوقات اهـ ويقال معنى طوى قد طوته الانبياء قبلك قال ابن عباس انه عليه السلام مر بذلك الوادى ليلا فطواه فكان المعنى انك بالوادى المقدس الذى طويته طيا أى جاوزته حتى ارتفعت الى أعلاه وعلى هذا ان طوى مصدر خرج عن لفظه (وأنا اخترتك) للرسالة وللكلام الذى خصصتك به وقرأ حمزة وأنا اخترناك بنون العظمة وبتشديد النون من أنا وبفتح الهمزة والكسر وقرأ أبى بن كعب وانى اخترتك (فاستمع لما يوحى) أى فاستمع للذى يوحى اليك منى وقوله تعالى وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف والرحمة وقوله تعالى فاستمع يفيد نهاية الهيبة فكأنه تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له

واجعل كل خاطرك مصروفا اليه فأرسله الله تعالى فى ذلك الوقت فى ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (انني أنا الله) بدل مما يوحى (لا اله الا أنا) وهذا اشارة للعقائد العقلية (فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى فى الصلاة لاشتمالها على كلامى أو لذكرى اياك بالمدح والثناء أو لاخلاص ذكرى لا تقصد بالصلاة غرضا آخر وهذا اشارة للاعمال الفرعية (ان الساعة آتية) أى كائنة لابد (أكاد أخفيها) أى أكاد أظهرها أى قرب اظهارها ويؤيده قراءة فتح الهمزة أو المعنى أكاد أزيل عنها اخفاءها لان أفعل قد يأتى بمعنى السلب كقولك أشكلت الكتاب أى أزلت اشكاله وهذا اشارة الى العقائد السمعية وهذه الثلاثة جملة الدين فان أصول هذا الباب ترجع الى ثلاثة علم المبدأ وعلم الوسط وعلم المعاد فعلم المبدأ هو معرفة الله تعالى وهو المراد بقوله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا وعلم الوسط هو علم العبودية فقوله تعالى فاعبدنى اشارة الى الاعمال الجسمانية وقوله لذكرى بمعنى لتكون ذاكرا لى غير ناس اشارة الى الاعمال الروحانية فالعبودية أولها الاعمال الجسمانية وآخرها الاعمال الروحانية وعلم المعاد هو قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (لتجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما تسعى) أى بما تعمل من خير أو شر فقوله لتجزى متعلق بآتية أو بأخفيها (فلا يصدنك) أى فلا يصرفنك يا موسى (عنها) أى عن ذكر الساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) أى ميل نفسه الى انكار الساعة فان منكر البعث انما أنكره اتباعا للهوى لا للدليل (فتردى) أى فتهلك بالنار فالله تعالى راعى هذا الترتيب الحسن فى هذا الباب لانه قال لموسى أولا فاخلع نعليك وهو اشارة الى الامر بتطهير السر عما سوى الله تعالى ثم أمره بتحصيل ما يجب تحصيله من التكاليف وافتتحها ببعض اللطف وهو قوله تعالى انى أنا الله واختتمها ببعض القهر وهو قوله تعالى فلا يصدنك عنها الآية تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه واشارة الى أن العبد لابد له فى العبودية من الرغبة والرهبة والرجاء والخوف (وما تلك بيمينك) أى وما تلك مأخوذة بيمينك (ياموسى) فقوله وما تلك اشارة الى العصا وقوله بيمينك اشارة الى اليد أراد الله تعالى بالسؤال أن يثبت قلب موسى ويزداد علمه حتى اذا قلب الله تعالى العصى ثعبانا لا يخافه ولا يعتريه شك وكذا اذا أخرج الله من يد موسى شعاعا فيعرف أن ذلك بقدرة الله تعالى والنكتة فى ذلك السؤال أنه لما غلبت الدهشة على موسى فى الحضرة أراد رب العزة ازالتها فسأله عن أمر لا يغلط فيه وهى العصا كذلك المؤمن اذا مات ووصل الى حضرة ذى الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فيسأله الملائكة عن الامر الذى لم يقع الغلط فيه فى الدنيا وهو التوحيد فاذا ذكره زالت الدهشة والوحشة عنه (قال هى) أى التى قارة بيمينى (عصاى أتوكأ عليها) أى أعتمد عليها عند النهوض الى القيام أو عند الاعياء أو عند المشى (وأهش بها على غنمى) أى أخبط بها ورق الشجر لغنمى وقرأ عكرمة وأهس بالسين غير المنقوطة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمن معنى الانحاء والاقبال أى أزجر الغنم بها منحيا ومقبلا عليها (ولى فيها) أى العصى (مآرب أخرى) أى حاجات شتى وأجمل موسى عليه السلام رجاء أن يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع كلام الله مرة أخرى ويطول أمر المكالمة بسبب ذلك ثم أراد الله أن يعرفه عليه السلام ان فيها أعظم من مآربه التى هى حمل الزاد والقوس وعرض الزند والقاء الكساء للاستظلال وطرد السباع وغير ذلك فأمره الله بالقائها (قال ألقها) من يدك (ياموسى فألقاها) من يده على الارض (فاذا هى حية تسعى) قيل كانت العصى أول انقلابها حية صفراء صغيرة فى غلظ العصا ثم انتفخت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأول حالها جان وما لها ثعبان وقيل انها كانت من أول

الامر

الامر فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان وكان لها عرف كعرف الفرس وكان بين فكيها أربعون ذراعا وابتلعت كل مامرت به من الصخور والاشجار حتى سمع موسى صريرالحجر فى فمها وجوفها وعيناها تتقدان كالنار وهى تشتد رافعة رأسها فلما عاين موسى ذلك ولى هاربا منها (قال) تعالى له (خذها) ياموسى بيمينك (ولاتخف) منها (سنعيدها سيرتها الاولى) أى سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التى هى الهيئة العصوية فلما قال له ربه لاتخف ذهب خوفه حتى أدخل يده فى فمها وأخذ بلحييها فعادت عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أى ادخل كفك اليمنى فى ابطك الايسر واخرجها (تخرج بيضاء) أى متبرقة مثل البرق أومشرقة تضىء كشعاع الشمس تغطى البصر عن الادراك ثم اذا ردها الى كفه صارت الى لونها الاول بلا نور (من غير سوء) أى من غير برص (آية أخرى) أى معجزة أخرى غير العصا فقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فى تخرج ومن غير سوء متعلق ببيضاء لما فيها معنى الفعل وهو ابيضت وآية أخرى حال من ضمير تخرج (لنريك من آياتنا الكبرى) فى الاعجاز وهى اليد فانها أكبر آيات موسى لانه لم تعارض أصلا وأما العصا فقد عارضها السحرة فقوله لنريك متعلق بقوله تعالى واضمم أو بقوله تخرج وقوله من آياتنا حال من الكبرى فالكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الآية الكبرى حال كونها بعض آياتنا الدالة على قدرتنا (اذهب الى فرعون) بما رأيته من الآيتين العظيمتين وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى (انه طغى) أى جاوز الحد فى الكبر حتى تجاسر على دعوى الربوبية (قال) مستعينا بالله تعالى (رب اشرح لى صدرى) أى لين لى قلبى لاجترئ على مخاطبة فرعون وكان موسى يخاف فرعون لشدة شوكته وكثرة جنوده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه ليكون حمولا لما يستقبل من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات (ويسرلى أمرى) أى هون على تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لسانى) متعلق باحلل روى انه عليه السلام كان فى لسانه رتة لانه حال صباه أخذ لحية فرعون ونتفها لما كان فيها من الجوهر فغضب فرعون وأمر بقتله وقال هذا هو الذى يزول ملكى على يده وقالت آسية انه صبى لايعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجمرة فقربا اليه فأخذ الجمرة فجعلها فى فيه (يفقهوا) أى يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى) فوزيرا مفعول ثان لانه نكرة وهرون مفعول أول لانه معرفة وقدم الثانى اعتناء بشأن الوزارة وأخى عطف بيان ولى متعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا ومن أهلى متعلق باجعل والمعنى واجعل من أهلى هرون أخى متحملا على الاعباء لى ومعينا على أمرى يقوى أمرى وأثق برأيه (أشدد به أزرى) أى قوبه رون ظهرى وأعنى به (وأشركه فى أمرى) أى أجعله شريكى فى أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغى وقرأ العامة على صيغة الطلب وهى ضم الهمزة من اشدد وهى همزة وصل وفتح الهمزة من أشركه وهى همزة قطع وقرأ ابن عامر وحده على صيغة الجواب وهو فتح همزة أشدد وضم همزة أشركه وكلاهما همزة قطع للمتكلم فيهما ويجوز لمن قرأ على لفظ الامر أن يجعل أخى مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) أى كى ننزهك عما لايليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها مايدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه جماعته الباغية من ادعاء الشركة فى الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال والجمال والجلال زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان المحاجة معه وهذا اشارة الى ان للجليس الصالح والصديق الصديق أثرا عظيما فى المعاونة على كثرة الطاعات والمرافقة فى اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه

(انك كنت بنا بصيرا) أى عالما بأن ما دعوتك به مما يفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الردء فى أداء ما أمرت به (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى قد أردت اعطاء مسؤلك البتة (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أى فى وقت غير هذا الوقت من غير سابقة دعاء منك وطلب فلان أنعم عليك بمثل تلك النعم التامة وأنت طالب له أولى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أى ألهمنا أمك الذى يلهم أو أريناها فى منامها الذى يرى لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون (أن اقذفيه فى التابوت) أى بأن تضعى الصبى فى الصندوق (فاقذفيه) أى فألقى الصبى (فى اليم) أى فى بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى فيلقى بحر النيل هذا الصبى على الشط والامر بمعنى الخبر وحكمة صورة الامر لوجوب وقوع ذلك لتعلق الارادة الربانية به * روى أن أم موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى عليه السلام وقيرت رأس التابوت وشقوقه بالقار ثم ألقته فى نيل مصر وكان يشرع منه نهر كبير الى دار فرعون فرفعه الماء اليه فأتى به الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأس البركة مع امرأته آسية بنت مزاحم اذ بتابوت يجىء به الماء فلما رآه فرعون أمر الغلمان والجوارى باخراج ما فيه ففتحوا رأس التابوت فاذا صبى من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه (يأخذه عدو لى وعدو له) وهو فرعون فالاول باعتبار الواقع لكفره وعتوه والثانى باعتبار ما يؤل اليه وما لو ظهر لفرعون حال موسى لقتله وفى هذا الامر بقذفه فى البحر وفى وقوعه فى يد العدو لطف خفى مندرج تحت قهر صورى (وألقيت عليك محبة منى) أى وألقيت عليك محبة عظيمة حاصلة منى واقعة بخلقى فلذلك أحبتك امرأة فرعون حتى قالت لفرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه ويروى أنه عليه السلام كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (ولتصنع على عينى) معطوف على علة مقدرة متعلقة بألقيت والتقدير وألقيت عليك المحبة ليعطف عليك ولتربى بالشفقة بحفظى وقرأ العامة لتصنع بالبناء للمجهول باضمار ان بعد لام كى وقرئ بكسر اللام وسكونها وبالجزم بلام الامر وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء بالبناء للفاعل أى ليكون تصرفك على رعاية منى (اذ تمشى أختك) مريم وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى وهذا الظرف متعلق بألقيت أى ألقيت عليك محبة منى فى وقت مشى أختك أو بتصنع أى لتربى ويحسن اليك فى هذا الوقت (فتقول) لفرعون وآسية (هل أدلكم على من يكفله) أى يربيه ويرضعه ويروى انه لما فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما فى النيل وكان لا يرتضع من ثدى كل امرأة يؤتى بها واضطروا الى تتبع النساء خرجت أخته مريم لتعرف خبره فدخلت قصر فرعون فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ثم جاءت بالام فقبل ثديها فرجع الى أمه بما لطف الله تعالى له من هذا التدبير فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك) معطوف على محذوف أى فقالوا دلينا على من تكفله فجاءت بأمك فرددناك الى أمك (كى تقر عينها) فتطيب نفسها بلقائك وروئيتك (ولا تحزن) أى ليزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها الى باطنك أو كى لا تحزن أنت بفراقها وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر أو أربعة قبل القائه فى اليم (وقتلت نفسا) قبطيا طباخا لفرعون اسمه قاب قان وكان عمره اذ ذاك ثلاثين سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم اقتصاص فرعون منه بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين ومن غم عقاب الله تعالى حيث قتله لا بأمر الله بالمغفرة وكان قتله لكافر خطأ (وفتناك فتونا) أى أوقعناك فى محنة بعد محنة وخلصناك منها فانه ولد فى عام يقتل فيه الولدان وألقته أمه فى البحر والتقطه آل فرعون وامتنع من

ارتضاع الاجانب وهم فرعون بقتله و وضع الجمرة فى فيه وقتل قبطيا ثم هرب الى مدين (فلبثت سنين) أى مكثت عشر سنين (فى أهل مدين) وهى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر ياموسى) أى ثم جئت الى المكان الذى أونس فيه النار و وقع فيه النداء كائنا على مقدار معين من الزمان وهو أوان بعوث سنة فنبأتك وأرسلتك حينئذ (واصطنعتك) أى اصطفيتك (لنفسى) بالرسالة و بالكلام (اذهب أنت وأخوك) أى وليذهب أخوك الى فرعون وقومه وبنى اسرائيل (بآياتى) أى مع آياتى التى هى العصا واليد فى كل منهما آيات شتى فانقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما آية أخرى وسرعة حركته مع عظيم جرمه آية أخرى ثم انه عليه السلام يدخل يده فى فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابه عصا آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية أخرى ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية أخرى (ولا تنيا فى ذكرى) أى لا تضعفا عن تبليغ رسالتى فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من أعظم العبادات (اذهبا الى فرعون) روى أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه السلام (انه طغى) أى تكبر بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة و يلين عريكة الطغاة وان فرعون كان قد رباه عليه السلام فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق (لعله يتذكر أو يخشى) أى فقولا له قولا لينا على أن تكونا راجين لان يقبل وعظكما أو يخشى الله فيرجع من الانكار الى الاقرار بالحق فان لم ينتقل من الانكار الى الاقرار لكنه اذا حصل فى قلبه الخوف ترك الانكار وان لم ينتقل الى الاقرار فان ترك الانكار خير من الاصرار على الانكار وفائدة ارسالهما مع علم الله بأن فرعون لا يؤمن الزام الحجة من الله وقطع المعذرة عن فرعون واظهار الآيات و يروى عن كعب انه لمكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يعجل علينا بالعقوبة بأن لا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة أى اننا نخاف فوات القيام لتبليغ الرسالة كما أمرتنا اذا قتلنا وقرئ يفرط بضم الياء وكسر الراء أى نخاف ان يحمله حامل من ادعاء الربوبية أو حبه للرياسة والمملكة أو قومه المتمردين على المعاجلة بالعقاب (أو أن يطغى) أى يزداد تكبرا الى أن يقول فى شأنك ما لا ينبغى لجراءته عليك وقساوة قلبه (قال) الله تعالى (لا تخافا) مما عرض فى قلبكما من أذية فرعون لكما ومن ازدياد كفره (اننى معكما أسمع وأرى) أى اننى حافظكما سميعا و بصيرا قال القفال يحتمل قوله تعالى أسمع وأرى مقابلا لقولهما ان يفرط علينا أى أن يعدو علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى أى يغلب علينا بأن يقتلنا فقال الله تعالى اننى معكما أى معينكما وعالم بما يليق من حالكما معه أسمع كلامه معكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا أتركه يفعل بكما ما تكرهانه (فأتياه) أى فلتكونا واصلين الى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) تذهب بهم الى أرضهم وفى ذلك ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال من بناء أو غيره (ولا تعذبهم) بالامور الشاقة كالحفر ونقل الاحجار وقتل ذكور أولادهم عاما دون عام واستخدام نسائهم (قد جئناك بآية من ربك) أى باثبات الدعوى ببرهانها فهو بيان من عند الله (والسلام على من اتبع الهدى) أى السلامة فى الدارين من عذاب الله لمن صدق آيات الله الهادية الى الحق وهذا من جملة قول الله تعالى الذى أمرهما أن يقولاه لفرعون أى وقولا له والسلام الخ (انا قد أوحى الينا) من جهة ربنا (أن العذاب) الدنيوى والاخروى (على من كذب) بآياته تعالى (وتولى) أى أعرض عن قبولها (قال) أى

فرعون بعدما أتياه و بلغاما أمرا به (فمن ربكما يا موسى) لم يقل فمن ربي مع أن حق الجواب كذلك لغاية عتوه أي اذا كنتما رسولي ربكما فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما وتخصيص النداء بموسى بعد مخاطبته لهما معا لانه الاصل في الرسالة وهرون وزيره (قال) أي موسى مجيبا له (ربنا الذي أعطى كل شيء) من أنواع المخلوقات (خلقه) أي صورته اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى خلقه كل شيء يحتاجون اليه وينتفعون به وتقديم المفعول الثاني للاعتناء به (ثم هدى) الى طريق الانتفاع من الاكل والشرب والجماع (قال) أي فرعون لموسى (فما بال القرون الأولى) أي ما حال الأمم الماضية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة أي فلما ذكر موسى عليه السلام برهانا نيرا على هذا المطلوب خاف فرعون أن يزيد موسى في تصوير تلك الحجة فيظهر للناس صدقه عليه السلام وحقيقة مقالاته ويتبين عندهم بطلان خرافات نفسه فأراد فرعون أن يصرف موسى عليه السلام عن ذلك الكلام الذي يتعلق بالرسالة الى الحكايات فعسى يظهر منه نوع غفلة فيرتقي فرعون الى أن يدعي قدام قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الخالية (قال) موسى (علمها) أي علم حالهم (عند ربي) فلا يعلمها الا الله وانما أنا عبد لا أعلم منها الا ما علمنيه (في كتاب) اى ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ يكون المكتوب فيه يظهر للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم في الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة أو المعنى ان بقاء المعلومات في علمه تعالى كبقاء المكتوب في الكتاب فلا يزول شيء منها عن علمه تعالى (لا يضل ربي) اى لا يخطئ عن معرفة الأشياء ولا يخفى شيء عن علمه (ولا ينسى) شيأ علمه (الذي جعل لكم الارض مهدا) أي فراشا وقرأ عاصم وحمزة بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء مع الالف (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم في الارض طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) هذا تمام كلام موسى عليه السلام ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى عن صفة نفسه تتميما لكلام موسى لخطاب أهل مكة فقال (فأخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شتى) أي مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس وبعضها للبهائم على اختلاف وجوه الصلاح وقيل هذا من تمام كلام موسى عليه السلام كأنه يقول ربي الذي جعل لكم كذا وكذا فأخرجنا نحن معشر عباده بذلك الماء بالحراثة أزواجا من نبات شتى وقال صاحب الكشاف ان كلام موسى عليه السلام تم عند قوله ولا ينسى ثم ابتدأ كلام الله من قوله الذي جعل فهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الذي جعل ويكون الانتقال من الغيبة الى التكلم التفاتا للدلالة على كمال القدرة والحكمة وللاعلام بأن ذلك لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير أخرجنا على ارادة القول أي فأخرجنا أصناف النبات قائلين لكم كلوا وارعوا أنعامكم أي مبيحين لكم الاكل وعلف الانعام آذنين في الانتفاع بها (ان في ذلك) أي في اختلاف النبات في الشكل والطبع (لآيات) واضحة الدلالة على شؤن الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله (لأولي النهى) أي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل (منها) أي الارض (خلقناكم) وذلك اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله الولد من النطفة ومن التراب وأيضا ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية وهي تنتهي الى النبات وهي انما تحدث من امتزاج الماء والتراب (وفيها نعيدكم) الى الموضع الذي أخذ ترابكم منه مدفونين فيه (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث على الهيئة السابقة

(ولقد

(ولقد أريناه) أى والله لقد بصرنا فرعون (آياتنا كلها) روى أن موسى لما ألقاعصاه انقلبت ثعبانا أشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون ياموسى أنشدك الخ ونزع موسى يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس فى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة ولذلك أكدت بكلها (فكذب) موسى عليه السلام (وأبى) أن يؤمن ويطيع لعتوه (قال) لموسى خوفا من أن يتبعه الناس (أجئتنا) من مكانك الذى كنت فيه بعدما غبت عنا (لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك) أى الذى هو العصا واليد البيضاء (ياموسى) وليكون لك الملك فيها (فلنأتينك بسحر مثله) أى مثل سحرك فى الغرابة (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى وعدا لاتياننا بالسحر (لانخلفه) أى ذلك الوعد (نحن ولا أنت) فوعدا مفعول أول والظرف مفعول ثان (مكانا) مفعول فيه منصوب باجعل (سوى) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بضم السين أى تستوى مسافة المكان على الفريقين والباقون بكسرها أى غير هذا المكان الذى نحن فيه الآن (قال) موسى (موعدكم) أى أجلكم (يوم الزينة) وهو يوم النيروز أو يوم عيد لهم وكان يوم عاشوراء واتفق أنه فى هذه الواقعة يوم سبت وقرأ الحسن والاعمش وعيسى وعاصم وغيرهم يوم بالنصب أى موعدكم يقع يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على الزينة أو على يوم (فتولى فرعون) أى انصرف عن المجلس وفارق موسى (فجمع كيده) أى ما يكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) بهم الموعد وأتى موسى أيضا (قال لهم) أى لاهل الكيد (موسى) بطريق النصيحة (ويلكم) أى ألزمكم الله ضيقا فى الدنيا (لاتفتروا على الله كذبا) باتيان السحر فى معارضة آيات الله وبادعائكم ان الآيات التى ستظهر على يدى سحر (فيسحتكم) قرأ حفص وحمزة والكسائى بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما أى فيهلككم (بعذاب) فى الدنيا بالاستئصال أو فى الآخرة بالنار (وقد خاب) أى حرم عن المقصود (من افترى) على الله (فتنازعوا) أى السحرة (أمرهم بينهم) أى تشاوروا ليستقروا على شىء واحد حين سمعوا كلام موسى عليه السلام (وأسروا النجوى) من فرعون وملأه فقالوا فى نجواهم ان غلب علينا موسى آمنا به ثم (قالوا) بطريق العلانية أى قال السحرة وقيل قال لهم فرعون ومن معه (ان هذان لساحران) قرأ ابن كثير وحفص بسكون النون من ان وشددها الباقون وشدد ابن كثير نون هذان وقرأ أبو عمرو هذين بالياء (يريدان) أى موسى وهرون (أن يخرجاكم من أرضكم) أى أرض مصر (بسحرهما) الذى أظهراه لكم (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى يذهبا دينكم الذى هو أفضل الاديان باعلاء دينهما أو يقال ويذهبا بأشراف قومكم عيلهم اليهما لغلبتهما وهم بنو اسرائيل فانهم ذوو علم ومال (فأجمعوا كيدكم) وقرأ أبو عمرو بفتح الميم ووصل الهمزة أى فاجمعوا أدوات سحركم فلا تتركوا شيأ منها وقرأ الباقون بكسر الميم وقطع الهمزة أى ليكن عزمكم مجمعا عليه لا تختلفوا (ثم ائتوا) للقاء موسى وهرون (صفا) أى مصطفين مجتمعين لكى يكون الصف أنظم لامركم وأشد لهيبتكم قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى وقد فاز بالمطلوب من غلب

مرادهم بالمطلوب الاجر والتقريب من فرعون على ما وعدهم بذلك ومرادهم بمن غلب أنفسهم جميعا أو من غلب منهم حثالهم على بذل المجهود فى المغالبة (قالوا) أى السحرة لموسى (ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى) أى اختر اما القاءك ما معك قبلنا واما القاءنا ما معنا قبلك وهذا التخيير حسن أدب منهم وتواضع لموسى عليه السلام لان لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضر بل نفعهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل أدبهم بأدب أحسن من أدبهم حيث بت القول بالقائهم أولا لانه فهم أن مرادهم الابتداء (قال بل ألقوا) أى قال لهم موسى لا ألقى أنا أولا بل ألقوا أنتم أولا ان كنتم محقين فألقوا ما معهم من الحبال والعصى ميلا من هذا الجانب وميلا من هذا الجانب (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه) أى موسى (من سحرهم أنها) حيات (تسعى) فاذا ظرفية تطلب متعلقا ينصبها من فعل المفاجأة وجملة ابتدائية تضاف اليها أى ففاجأ موسى اذا حبالهم وعصيهم مخيلة الى موسى السعى كسعى ما يكون حيا من الحيات من أجل سحرهم وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت لخيل اليه أنها تتحرك (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى أضمر موسى فى قلبه بعض خوف من ان لا يظفر بهم فيقتلون من آمن به عليه السلام (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) أى الغالب عليهم وقيل ان موسى خاف من مفاجأته بمقتضى طبع البشرية من النفرة من الحيات ومن الاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه فان خوف البشرية مركوزة فى جبلة الانسان وذلك مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك ولذلك قال تعالى انك أنت الاعلى أى أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق (وألق) على الارض (ما فى يمينك) ياموسى وانما لم يقل وألق عصاك تعظيما لشأنها أى لا تحتفل بهذه الاجرام فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ عنده فألقه (تلقف ما صنعوا) أى تلقم ما طرحوا من الحبال والعصى الذى خيل اليك سعيها وخفتها وقرأ ابن عامر تلقف بتشديد القاف وبالرفع والعامة بالجزم وحفص بسكون اللام وبالجزم (انما صنعوا كيد ساحر) أى لان الذى صنعوه عمل ساحر وقرأ حمزة والكسائى كيد سحر بكسر فسكون على أن الاضافة للبيان وقرأ مجاهد وحميد وزيد ابن على بنصب كيد ساحر على أنه مفعول به وما كافة مزيدة (ولا يفلح الساحر) أى لا يحصل له مقصوده بالسحر خيرا كان أو شرا (حيث أتى) أى أينما كان وهذا من تمام التعليل (فألقى السحرة سجدا) أى فألقى موسى عصاه فتلقفت حبال السحرة وعصيهم فسجدوا فانهم من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم للشكر والسجود روى أنهم فى سجودهم رأوا الجنة ومنازلهم التى يصيرون اليها ثم رفعوا رؤسهم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال رئيسهم كنا نغالب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا لو غلبنا فلو كان هذا سحرا فأين ما ألقيناه (قال) لهم فرعون (آمنتم له) أى لموسى (قبل أن آذن لكم) أى من غير أن آذن لكم فى الايمان له (انه) أى موسى (لكبيركم) أى استاذكم (الذى علمكم السحر) وانكم تلامذة فى السحر فتوافقتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لشأنه وتفخيما لامره (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى فى حال كونها مختلفات والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين فان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى عليها وأتى بكلمة فى للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف فى الظرف (ولتعلمن أينا) أى أنا أو موسى (أشد عذابا وأبقى) وهذا القصد توضيع

موسى عليه السلام والهزء به لانه عليه السلام لم يكن من التعذيب فى شئ او لاراءة أن ايمانهم كان على خوف من موسى حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وفى ذلك تبجح فرعون بما ألفه من تعذيب الناس بأنواع العذاب (قالوا) أى السحرة لفرعون غير مكترثين بوعيده (لن نؤثرك) أى لن نختار اتباعك (على ماجاءنا) من الله تعالى على يد موسى عليه السلام (من البينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) أى ولا على عبادة الذى خلقنا (فاقض ماأنت قاض) أى فاصنع ماأنت صانعه (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى لانك انما تحكم علينا فى الدنيا فقط وليس لك علينا سلطان فى الآخرة وأنت تجزى على حكمك فى الآخرة ومالنا من رغبة فى حلاوة الدنيا ولا رهبة من عذابها (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أى شركنا ومعاصينا (وما أكرهتنا عليه من السحر) أى وليغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة موسى رغبة فى خيرك ورهبة من شرك باكراهك علينا فى الحضور اليك من المدائن القاصية (والله خير وأبقى) أى خيره تعالى أبقى من خيرك لمن أطاعه وعذابه أبقى من عذابك لمن عصاه (انه) أى لانه الشأن (من يأت ربه) يوم القيامة (مجرما) بأن مات على الكفر (فان له جهنم لايموت فيها) فينتهى عذابه ويستريح (ولا يحيي) حياة ينتفع بها (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) بما وعد من الثواب وأوعد من العقاب على لسان أنبيائه (قد عمل الصالحات) التى جاؤا بها (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل الرفيعة فى الجنان (جنات عدن) وهى فى وسط الجنان (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك) أى الدرجات العلى (جزاء من تزكى) أى تطهر من الذنوب (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل أى سر ببنى اسرائيل أول الليل من أرض مصر الى البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) أى اجعل لهم بالضرب بعصاك طريقا فى البحر يابسا ليس فيه وحل ولا نداوة (لاتخاف دركا) أى ادراك فرعون (ولاتخشى) من الغرق وقرأ حمزة لاتخف بالجزم جوابا للامر (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى فلحقهم فرعون مع جموعه (فغشيهم من اليم ماغشيهم) أى فسترهم ماسترهم من البحر (وأضل فرعون قومه) أى سلك بهم مسلكا أداهم الى الهلاك فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الدنيوى المتصل بالعذاب الاخروى (وماهدى) أى ماأرشدهم الى طريق موصل الى مطلب دنيوى واخروى قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر وكان موسى وبنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلى والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وخرج فرعون فى طلب موسى وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال ههنا أمرت فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق فقال لهم موسى عليه السلام ادخلوا فيه فقالوا كيف وأرضه رطبة فدعا الله تعالى فهبت عليها الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر فأقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه ان موسى قد سحر البحر فصار كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة فى الناس ألحقوا الملك حتى اذا دخل آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال قد أغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فدعا

فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم (يا بني اسرائيل) اى وقلنا يا أولاد يعقوب (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه باغراقهم (وواعدناكم جانب الطور الايمن) اى واعدناكم اتيان جانب الجبل الايمن لمن انطلق من مصر الى الشام فان الله أمر أن يأتي منهم سبعون مع موسى الى طور سيناء لأخذ التوراة ففيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم (ونزلنا) في التيه (عليكم المن والسلوى) فالمن هو شيء حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى هو السماني يبعثه الجنوب عليهم فيذبح الرجل منهم ما يكفيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) اي من لذائذه وقرأ حمزة والكسائي قد أنجيتكم ووعدتكم ورزقتكم بتاء المتكلم والباقون بنون العظمة واتفقوا على ونزلنا بالنون وأسقط ابو عمرو ألف واعدنا (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقناكم بأن لم تشكروه قال ابن عباس أي لا يظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه (فيحل عليكم غضبي) بكسر الحاء أي يجب عليكم عقوبتي قرأ الاعمش والكسائي بضم الحاء أي ينزل (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى (واني لغفار لمن تاب) من الشرك والمعاصي (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا) أي مستقيما عند الشرع والعقل (ثم اهتدى) أي استمر على الهدى من غير تقصير ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبلهم قال الله له (وما أعجلك عن قومك ياموسى) أي وقلنا له أي شيء أعجلك منفردا عن النقباء (قال هم أولاء على أثري) أي هم معي وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب (وعجلت اليك رب لترضى) عني بمسارعتي الى الامتثال بأمرك واعتنائي بالوفاء بعهدك (قال) تعالى ياموسى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) أي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم موسى مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا (وأضلهم السامري) حيث كان هو المدبر في الفتنة واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر وكان قد رباه جبريل فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من أحدها اللبن ومن الاخرى سمن ومن الاخرى عسل وذلك لان فرعون لما شرع في ذبح الولدان كانت المرأة من بني اسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه في حفيرة أو كهف من جبل أو غير ذلك وكانت الملائكة تتعهد هذه الاطفال بالتربية حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس وقرئ وأضلهم السامري على صيغة التفضيل أي أشدهم ضلالا السامري وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين ليلة وأخذ التوراة (غضبان أسفا) أي حزينا روي أنه لما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة بما فيها من الهدى (أفطال عليكم العهد) أي أوعدكم ذلك فطال عليكم مدة الانجاز ومدة نعم الله تعالى عليكم من انجائه اياكم من فرعون أفنسيتم ذلك العهد او تعمدتم المعصية (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) بسبب عبادة العجل (فأخلفتم موعدي) بالاقامة على طاعة الله تعالى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قرأ حمزة والكسائي بضم الميم اى بسلطاننا وقوتنا ونافع وعاصم بفتح الميم وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالكسر أي بأمر كنا نملكه ونريده (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) قرأ ابن كثير ونافع وحفص وابن عامر بضم الحاء وكسر الميم مشددة أي أمرنا أن نحمل أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وفي الواقع ليس للعرس أي فان موسى أمرهم باستعارة الحلي والخروج بها وقرأ حمزة والكسائي

وابو

وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر بفتح الحاء والميم مخففة أى حملنا مع أنفسنا ما كنا استعرناه من حلى آل فرعون (فقذفناها) أى فطرحنا الحلى فى النار بأمر السامرى روى أنه قال لهم انما تأخر عنكم مجىء موسى عليه السلام لما معكم من الاوزار أى فهو محبوس عقوبة بالحلى فالرأى أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها (فكذلك) أى فمثل ذلك القذف (ألقى السامرى) ما كان معه منها (فأخرج) أى السامرى (لهم عجلا) أى صورة عجل من تلك الحلى المذابة أى فصاغ لهم السامرى من الذهب الذى ألقوا فى النار فى ثلاثة أيام (جسدا) أى حال كون العجل جسدا صغيرا من ذهب بلا روح (له خوار) أى صوت يسمع أى ان السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخارق بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وانما كان الريح يدخل فى دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك (فقالوا) أى السامرى ومن تبعه فى بادئ الرأى لمن توقف من بنى اسرائيل (هذا الهكم واله موسى فنسى) أى موسى ان الهه هنا فيطلبه فى الطور وفى موضع آخر أو فنسى السامرى الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شىء لا يحل فيه شىء (أفلا يرون أن لا يرجع) أى العجل (اليهم قولا) أى ألا يتفكر السامرى وأصحابه فلا يعلمون انه لا يرجع اليهم كلاما وقرئ يرجع بالنصب أى ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وأن الناصبة لا يقع بعدها أفعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى ولا يقدر العجل على أن يدفع عنهم ضرا ولا أن يجر لهم نفعا فيخافوا كما يخافون فرعون ويرجوا منه كما يرجون من فرعون فكيف يقولون ذلك (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى من قبل مجىء موسى عليه السلام (يا قوم انما فتنتم به) أى أوقعتم فى الفتنة بالعجل (وان ربكم الرحمن) أى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير (فاتبعونى) فى الثبات على الدين (وأطيعوا أمرى) هذا واتركوا عبادة غير الرحمن وانما قال هرون ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله فى شىء ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا فسمع الشاب ذلك فولى فقال الهى وسيدى هذا رسولك يشهد على بأنى من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان الامر كذلك فأسألك أن تجعلنى فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بى حتى تبر يمينه ولا تشعل النار بأحد آخر فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد بشر الشاب بأنى قد أنقذته من النار بتصديقه لك وفدائه أمتك بنفسه وشفقته على الخلق (قالوا) فى جواب هرون عليه السلام (لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على عبادة العجل (حتى يرجع الينا موسى) جعلوا رجوع موسى عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك أن موسى لا يرجع بشىء مبين اعتمادا على مقالة السامرى واعلم أن هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الطرق لانه زجرهم عن الباطل أولا بقوله انما فتنتم به وهو ازالة الشبهات لانه لا بد قبل كل شىء من اماطة الاذى عن الطريق ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن لانها الاصل وانما خص هذا الموضع باسم الرحمن لانه عليه السلام كان ينبئهم بأنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن كما خلصهم من آفات فرعون برحمته ثم دعاهم ثالثا الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم رابعا الى الشريعة بقوله وأطيعوا أمرى ثم انهم لجهلهم وتقليدهم قابلوا هذا الترتيب الحسن فى الاستدلال بقولهم لن نبرح

عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فجحدوا قول هرون كما هو عادة المقلد فكأنهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى روى أنهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل (قال) موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهو مغتاظ (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (أن لا تتبعن) فى حالى الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به أى أى شئ دعاك الى أن لا تتبعنى فى سيرتى من الاخذ على يد الظالم طوعا أو كرها فلم تركت قتالهم وتأديبهم وتركت وصيتى وأنت نبى الله وأخى ووزيرى وخليفتى فى قومى وأثبت الياء بعد النون ابن كثير وقفا ووصلا وأثبتها نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا (أفعصيت أمرى) أى ألم تتبعنى وعصيت أمرى وأمره عليه السلام هو ما حكاه الله تعالى عنه فى قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام هرون معهم ولم يبالغ فى منعهم نسبه الى مخالفة أمره (قال) هرون لموسى (يا ابن أم) ذكر هرون أمه مع ان موسى أخوه الشقيق ترقيقا لقلبه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الميم (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى ولا بشعر رأسى روى أن موسى عليه السلام أخذ شعر رأس هرون بيمينه ولحيته بشماله من فرط غضبه لله (انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) برأيك بسبب القتال تفريقا لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولى) اى ولم تنتظر قدومى فمن ذلك تركت القتال معهم وانى رأيت ان الاصلاح فى المداراة معهم الى أن ترجع اليهم لتكون أنت المتدارك للامر حسب ما رأيت (قال) موسى عليه السلام للسامرى موبخا له بعد سماع الاعتذارين (فما خطبك يا سامرى) اى فما شأنك الداعى الى ما صنعت وما مطلوبك مما فعلت من عبادة العجل (قال) اى السامرى مجيبا له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيهما وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب موسى وقومه اى رأيت ما لم يره بنو اسرائيل قال له موسى وما رأيت دونهم قال رأيت جبريل لما نزل على دابة الحياة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) اى حفنة من تربة موطئ فرس الملك الذى أرسل اليك ليذهب بك الى الطور للمناجاة وأخذ التوراة وقرأ الحسن قبضة بضم القاف وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة فالضاد المعجمة للاخذ بجميع الكف والمهملة للاخذ بأطراف الاصابع (فنبذتها) أى فطرحت المأخوذ فى فم العجل المصوغ ودبره فخار أو فى الحلى المذابة قال أبو مسلم الاصفهانى ان موسى عليه السلام لما أقبل السامرى باللوم عن الامر الذى دعاه الى اضلال القوم فى باب العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به الخ أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت أخذت شيأ من سنتك أيها الرسول فطرحتها وعلى هذا فالمراد بالاثر الدين وبالرسول سيدنا موسى عليه السلام قال الرازى وهذا القول أقرب الى التحقيق لان جبريل لم يجر له فيما تقدم ذكر وليس بمشهور عندهم باسم الرسول ولان اضمار الكلام خلاف الاصل ولان جبريل ر با السامرى حال طفوليته فلا يعرفه ولو عرفه بعد البلوغ لعرف قطعا ان موسى عليه السلام نبى صادق ولانه لو جاز اطلاع بعض الكفرة أن تراب فرس جبريل له خاصية الاحياء لاطلع موسى عليه السلام على شئ آخر يشبه ذلك فلأجله أتى بالمعجزات (وكذلك سولت لى نفسى) أى وزينت لى نفسى تزيينا كائنا مثل ذلك التزيين الذى فعلته من القبض والنبذ فالمعنى لم يدعنى الى ما فعلته أحد غيرى بل اتبعت هواى فيه (قال) له موسى (فاذهب) يا سامرى من بين الناس (فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس) أى فان قولك لا مساس ثابت لك فى مدة حياتك لا ينفك عنك فكان يصيح بأعلى صوته لا مساس أى انى لا أمس ولا أمس واذا مسه أحدهم الماس والممسوس فكان اذا أراد أحد أن يمسه صاح خوفا من الحمى وقال

لامساس وحرم موسى عليهم مكالمته ومبايعته وغيرهما مما يعتاد جريانه فيما بين الناس فكان يهيم في البرية مع السباع والوحوش ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخي (وان لك موعدا) لعذابك في الآخرة (لن تخلفه) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أي لن يخلفك الله ذلك الوعد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن بكسر اللام اي لن تجد الوعد خلفه ولن يتأخر عنك (وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) اي الذي أقمت عابدا على الهك ثم (لنحرقنه) بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء أولنبردنه بالمبرد ويعضده قراءة أبي جعفر وابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء اي لنبردنه بعد أن أحميه بالنار حتى لان فهان على المبارد (ثم لننسفنه في اليم نسفا) اي لنذرينه في هواء البحر ذرواذا صار رمادا أومبرودا كأنه هباء ولقد فعل موسى عليه السلام ذلك كله حينئذ فلما فرغ موسى من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال (انما الهكم الله) اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذي لا اله) اي لا معبود لشيء من الاشياء موجود (الا هو) وحده من غير أن يشاركه شيء من الاشياء وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شيء علما) اي وسع علمه كل شيء فيعلم من يعبده ومن لا يعبده (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) اي نقص عليك يا أشرف الخلق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار زيادة في معجزاتك وليكثر الاعتبار للمكلفين بها في الدين (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أي ولقد أعطيناك من عندنا قرآنا مشتملا على هذه الاخبار (من أعرض عنه) اي عن ذلك الذكر (فانه) اي المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزرا) اي عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) اي في حمل العقوبة (وساء لهم يوم القيامة حملا) اي بئس لهم حملا عقوبتهم أو بئس ما حملوا على أنفسهم من الاثم كفرا بالقرآن (يوم ينفخ في الصور) النفخة الثانية قرأ الجمهور بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ أبو عمرو بنون مفتوحة وضم الفاء على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وقرئ بالياء المفتوحة والضمير لله تعالى أو لاسرافيل وان لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين) اي المشركين (يومئذ) اي يوم اذ ينفخ في الصور (زرقا) اي زرق العيون سود الوجوه لان زرقة العيون أبغض ألوان العين الى العرب أو عميا لان حدقة الاعمى تزرق أو عطاشا لانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرق أو طامعين فيما لا ينالونه (يتخافتون بينهم) اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة لما ملأ صدورهم من الرعب (ان لبثتم الا عشرا) اي ما مكثتم في القبور الا عشرة أيام لانهم يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل في أعينهم فهم يحسبون انهم ما لبثوا في القبور الا عشرة أيام وهم حين يشاهدون البعث الذين كانوا ينكرونه في الدنيا لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبور الا مدة يسيرة (نحن أعلم بما يقولون) في ذلك اليوم اي ليس كما قالوا (اذ يقول أمثلهم طريقة) اي أصوبهم رأيا (ان لبثتم) اي ما مكثتم في القبور (الا يوما) ونسبة هذا القول الى أفضلهم عقلا لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك) أي يسألك يا أشرف الخلق مشركو امكة على سبيل الاستهزاء أو بنو ثقيف (عن الجبال) أي عن أمر الجبال كيف تكون يوم القيامة (فقل ينسفها ربي نسفا) أي يصير الجبال كالرمل ثم يرسل عليها الرياح (فيذرها) اي فيترك الارض بعد قلع الجبال (قاعا) اي مستويا (صفصفا) اي ملساء لا نبات فيها (لا ترى فيها) اي الارض (عوجا) أي لا تدرك فيها انخفاضا (ولا أمتا) اي نتوا يسيرا (يومئذ يتبعون الداعي) اي يوم اذ نسفت الجبال يتبع الناس صوت الداعي الى المحشر بعد القيام من القبور فيقبلون من كل أوب الى جهته والراجح أن الداعي جبريل

والنافخ اسرافيل (لاعوج له) اى لا يعدل الداعى عن أحد بدعائه بل يحشر الكل (وخشعت الأصوات) اى سكنت (للرحمن) اى لهيبة الرحمن (فلا تسمع) يا أشرف الخلق (الا همسا) اى وطأ خفيا كوطء الابل وهو خفق أقدامهم فى مشيها الى المحشر وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) أى يوم اذ يتبعون الداعى لا تنفع الشفاعة أحدا من الخلق الا شخصا أذن لاجله الرحمن فى أن يشفع له وقبل منه قولا واحدا من أقواله وهو شهادة أن لا اله الا الله بأن مات على الاسلام وان عمل السيآت وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة فى حق الفساق وهى نافعة لهم (يعلم) اى الرحمن (مابين أيديهم) أى المتبعين للداعى وهم الخلق جميعهم (وما خلفهم) أى يعلم مامضى من أحوالهم ومابقى منها (ولا يحيطون به) أى بما بين أيديهم وما خلفهم (علما وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت المكلفون لله تعالى ذل الاسارى فى يد الملك القهار (وقد خاب من حمل ظلما) أى خسر من أشرك بالله ولم يتب (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضا من الصالحات وهو الفرائض (وهو مؤمن) فان الايمان شرط فى الصحة او القبول (فلا يخاف ظلما) أى منعا من الثواب (ولا هضما) أى نقصا من ثوابه وقال أبو مسلم الظلم نقص من الثواب والهضم عدم تمام حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من للذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم فنفى الله تعالى عن المؤمنين كلا الامرين وقرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم على النهى أى فليأمن فالنهى عن الخوف والامر بالامن (وكذلك) ومثل انزال هذه الآيات (أنزلناه) أى القرآن كله (قرآنا عربيا) ليفهمه العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أى وكررنا فى القرآن نوعا من الوعيد (لعلهم يتقون) أى لكى يتقوا الكفر والفواحش (أو يحدث) أى القرآن (لهم ذكرا) أى اتعاظا يدعوهم الى الطاعات وفعل ما ينبغى فان لم يحصل التقوى فأقل ما يحصل أن يحدث القرآن لهم شرفا وصيتا حسنا (فتعالى الله) أى تنزه عن مماثلة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله (الملك) النافذ أمره ونهيه (الحق) اى الثابت فى ملكه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى ولا تستعجل يا أشرف الخلق بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه جبريل الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالحفظ فنهى عن ذلك وأمر باستزادة العلم من الله تعالى فقيل (وقل رب زدنى علما) أى فهما لادراك حقائقه فانها غير متناهية روى الترمذى عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علما ويقينا (ولقد عهدنا الى آدم) أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أى من قبل أكله منها (فنسى) عهدنا وأكل منها وقرئ فنسى بالبناء للمجهول وبتشديد السين أى فنساه الشيطان (ولم نجد له عزما) أى تصميما على الاحتياط فى كيفية الاجتهاد فهو انما أخطأ فى الاجتهاد أو لم نجد له عزما على الذنب فانه أخطأ ولم يتعمد وهذا أقرب الى المدح فعزما مفعول به وله حال منه أو متعلق بنجد أو بعزما (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى واذكر ما وقع فى ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان صبره عما نهيناه عنه (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (أبى) أى أظهر الاباء (فقلنا) عقب ذلك (يا آدم ان هذا) الذى تكبر عليك (عدو لك ولزوجك) حواء لان ابليس رأى آثار نعم الله تعالى فى حق آدم عليه السلام فانه كان شابا عالما وابليس كان شيخا جاهلا فأثبت فضله بفضيلة أصله وهو النار وبينها وبين أصل آدم وهو

الماء والتراب عداوة فثبتت تلك العداوة (فلا يخرجنكما) بوسوسته (من الجنة فتشقى) أى فتتعب فى طلب القوت فذلك على الرجل دون المرأة روى أنه أهبط الى آدم ثورا أحمر وكان يحرث عليه و يمسح العرق عن جبينه (ان لك أن لا تجوع فيها) أى الجنة (ولا تعرى وأنك لا تظمأ) أى لا تعطش (فيها ولا تضحى) أى لا يصيبك حر الشمس أو تعرق فالجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى الله عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وقرأ نافع وأبو بكر وانك بكسر الهمزة استئناف أو عطف على ان الاولى والباقون بفتحها عطف على أن لا تجوع (فوسوس اليه الشيطان) أى انهى اليه وسوسته ثم بين الله صورة الوسوسة بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل أى هل أدلك على الشجرة التى من أكل منها خلد ولا يموت أصلا ودام ملكه اما على حاله أو على أن يصير ملكا (فأكلا منها) أى الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت فروجهما لكل منهما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى شرعا يلزقان ورق التين بعضه ببعض لاجل ستر عوراتهما كلما ألزقا بعضه ببعض تساقط (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة أى خالف آدم نهى ربه لانه اعتقد أن النهى عن شجرة معينة وان غيرها ليس منهيا عنه (فغوى) أى خاب من نعيم الجنة فلم يصب بأكله من الشجرة ما أراده لانه انما أكل منها ليصير ملكه دائما فلما أكل زال ملكه وخاب سعيه (ثم اجتباه ربه) أى قربه بالتوفيق للتوبة (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته (وهدى) الى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) أى انزلا يا آدم وحواء من الجنة الى الارض (بعضكم لبعض عدو) فالخطاب لآدم وحواء ولابليس وقيل مع آدم ذريته قابيل واقليما (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان يأتكم يا ذرية آدم منى دلالة من كتاب و رسول (فمن اتبع هداى) أى دلالتى (فلا يضل) فى الدين والدنيا (ولا يشقى) بسبب الدين فيها وفى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى عن الهدى الداعى الى (فان له) فى الدنيا (معيشة ضنكا) أى ضيقة وهى معيشة الكافر فانه يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدا فحالته مظلمة لان مطامح نظره مقصورة على أمتعة الدنيا وهو خائف من انتقاصها أما المسلم فهو يعيش فى الدنيا عيشا طيبا لتوكله على الله تعالى فان المؤمن الطالب للآخرة يوسع ببركة الايمان (ونحشره) أى المعرض عن الادلة (يوم القيامة أعمى) أى فاقد البصر أى فاذا خرج هو من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمى فاذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فى الدنيا وعند البعث (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى (أتتك آياتنا) أى دلائلنا فى الدنيا واضحة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيتها) أى تركتها (وكذلك) أى مثل تركك آياتنا فى الدنيا (اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب جزاء وفاقا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى أفلم نهد بالنون أى أفلم نبين لاهل مكة بيانا يهتدون به كثرة من أهلكنا من القرون الماضية من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط (يمشون فى مساكنهم) حال من ضمير لهم أى حال كون هؤلاء القريش ماشين فى منازل تلك القرون اذا سافروا الى الشام

مشاهدين لآثار هلاكهم (ان في ذلك) أي الاهلاك (لآيات) ظاهرة الدلالة على الحق (لأولي النهى) أي لأهل العقول الناهية عن القبائح (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه (لكان) أي الاهلاك بجنايتهم (لزاما) أي لازما لهم بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة (وأجل مسمى) عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لعذابهم يوم القيامة لما تأخر عذابهم أصلا (فاصبر على ما يقولون) أي لا يضطرب قلبك يا أكرم الرسل لما صدر منهم من الاذية بالشتم والتكذيب فيما تدعيه من النبوة فقالوا ان محمدا ساحر أو مجنون أو شاعر أو غير ذلك فهذه الآية غير منسوخة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) أي ساعاته (فسبح وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب بسبح المقرون بالفاء الزائدة أو عطف على قبل أي في طرفي نصفيه أي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الاول وبداية للنصف الثاني أي اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الاوقات عما ينسبونه اليه تعالى مما لا يليق به حامدا له على ما ميزك بالهدى أو المعنى صل وأنت حامد لربك على كمال هدايته اياك صلاة الصبح وصلاة العصر وصلاة المغرب والعشاء وصلاة الظهر (لعلك ترضى) رجاء أن تنتفع بذلك وترضى به نفسك وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم بضم التاء أي لعلك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك) أي لا تطل نظرهما (الى ما متعنا) أي ألذذنا (به أزواجا) أي أصنافا (منهم) أي الكفرة من بني قريظة والنضير (زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها بدل من أزواجا أو حال من ما الموصولة أو من الهاء في به (لنفتنهم فيه) أي لنعذبهم في الآخرة بسببه أو لنجعل ذلك فتنة لهم بأن يزيدوا بذلك طغيانا (ورزق ربك خير وأبقى) أي ما أوتيته من يسير الدنيا اذا قرنته بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وأبقى لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة فالحلال خير وأبقى قال أبو رافع نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي لبيع أو سلف فقال والله لا افعل ذلك الا برهن فأخبرته صلى الله عليه وسلم بقوله فأمرني أن أذهب بدرعه الحديد اليه فنزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك وقال أبو مسلم أي لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا فالذي نهى عنه الاسف لا النظر (وأمر أهلك) أي أهل دينك (بالصلاة) لئلا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (واصطبر عليها) أي على مشاقها وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لا نسألك رزقا) أي لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك بأمر الآخرة (والعاقبة للتقوى) اي العاقبة الجميلة لاهل تقوى الله تعالى (وقالوا) أي مشركوا مكة (لولا يأتينا بآية من ربه) أي هلا يأتينا محمد بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة وبآية مما اقترحناها قال تعالى ردا عليهم (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) أي ألم يكفهم اشتمال القرآن على بيان ما في التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية في كونه آية دالة على صدق محمد حتى طلبوا غيرها فان في الصحف الاولى بشارة بصفة محمد ونبوته وبعثته وانباء الأمم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل وجحود الآيات (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي ولو أنا أهلكنا أهل مكة في الدنيا بعذاب مستأصل من قبل مجيء محمد اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت الينا) أي لم ترسل الينا في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فنتبع آياتك) أي فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) اي أن يحصل لنا الذل بالعذاب في الدنيا (ونخزى) أي أن يحصل لنا الفضيحة بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيان البينات فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء روي أن أبا سعيد الخدري

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع خلقك لك والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا أنتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا أعقل فترفع لهم نار ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه شقي ويبقى من في علمه انه سعيد فيقول الله تعالى لهم عصيتم اليوم فكيف برسلي لو أتوكم (قل) لأولئك الكفرة المتمردين (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو بسبب ظهور القوة واما بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت بظهور أمر الثواب والعقاب فيظهر على المحق أنواع كرامة الله تعالى وعلى المبطل أنواع اهانته (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون) عن قريب بوعد من الله لا خلف فيه (من أصحاب الصراط السوي) أي العدل وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى والسوي تصغير السوء (ومن اهتدى) اليه أنحن أم أنتم وهذا تهديد للكفار

(سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية وألف ومائة وثمان وثلاثون كلمة وأربعة آلاف وثمان ومائة وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم) أي قرب من كفار قريش وقت حساب أعمالهم الموجبة للعقاب فان كل آت قريب وان طالت أوقات ترقبه (وهم في غفلة) أي والحال انهم منكرون للحساب لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء (معرضون) عن الآيات المنبهة لهم عن سنة الغفلة (ما يأتيهم من ذكر) أي من جزء نازل من القرآن ينبههم عن الغفلة أتم تنبيه (من ربهم) متعلق بيأتيهم (محدث) أي متجدد تنزله بآية بعد آية وسورة بعد سورة بحسب اقتضاء الحكمة قرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة لمحل ذكر (الا استمعوه وهم يلعبون) أي والحال انهم يهزؤن (لاهية قلوبهم) حال من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه مستهزئين به حال كون قلوبهم غافلة عن معناه لفرط اعراضهم عن النظر في الامور وعن التفكر في العواقب وقرأ ابن أبي عبلة لاهية بالرفع خبر ثان أو خبر مقدم (وأسروا النجوى) أي بالغوا في اخفاء التناجي وجعلوه بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا أو مبتدأ وخبره أسروا النجوى والمعنى وهم أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) فهل بمعنى النفي والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وأنتم حال من فاعل تأتون مؤكدة للاستبعاد فالجملتان الاستفهاميتان في محل نصب على انهما محكيتان للنجوى لانها في معنى القول والمعنى ما محمد الا بشر من جنسكم فكيف يختص عنكم بالرسالة وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتحضرونه على وجه القبول والحال انكم تبصرون بأعينكم انه آدمي مثلكم وان ما ظهر منه من نوع السحر (قال) أي محمد وهو حكاية من الله لقول رسوله وهذا قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وقرأ الباقون قل على الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم (ربي يعلم القول) الكائن (في السماء والأرض) سواء كان سرا أم جهرا (وهو السميع العليم) فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية) وهذا متصل بقوله تعالى هل هذا الا بشر فان الظالمين لم يقتصروا على قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن انه سحر بل قالوا ما أتانا به محمد أباطيل أحلام

كاذبة رآها في النوم بل اختلاق محمد ما أتانا به من تلقاء نفسه من غير ان يكون له أصل بل محمد هو شاعر فما أتى به كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها فترتيب كلامهم كأنهم قالوا ندعي أن كون محمد بشرا مانع من كونه رسول الله فان سلمنا أنه غير مانع فلا نسلم ان هذا القرآن معجز فان ساعده على ان فصاحته خارجة عن مقدور البشر قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك سحرا وان لم تساعده فصاحته عليه فان ادعينا كونه في غاية الركاكة قلنا انه أضغاث أحلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراه وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحته سائر الشعراء وعلى جميع هذه التقديرات فانه لا يثبت كونه معجزا ولا يثبت كون محمد رسول الله تعالى وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أي بآية كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا والناقة ونظائرها حتى نؤمن به قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها العدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات (افهم يؤمنون) أي ان الأمم المهلكة لم يؤمنوا عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا افهؤلاء يؤمنون لو أعطوا ما اقترحوا مع كونهم أشد عتوا من أولئك (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) أي وما أرسلنا الى الأمم قبل ارسالك الى أمتك الا رجالا مخصوصين من افراد جنسك متأهلين للارسال ولم يكونوا املائكة (نوحي اليهم) بواسطة الملك كما نوحي اليك من غير فرق وقرئ يوحي اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول (فاسألوا) أيها الجهلة (أهل الذكر) أي أهل الكتاب التوراة والانجيل فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال ليزول شككم (ان كنتم لا تعلمون) أن الرسل بشر فأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديقكم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) أي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يخرج منه (وما كانوا) أي الرسل (خالدين) في الدنيا بل يموتون كغيرهم لان عاقبة التحلل هو الفناء (ثم صدقناهم الوعد) أي ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم باهلاك من كذبهم (فأنجيناهم ومن نشاء) ممن يصدقونهم (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحدود في الكفر بعذاب الاستئصال في الدنيا (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا) أي قرآنا (فيه ذكركم) أي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم (أفلا تعقلون) أي الا تتفكرون فلا تعقلون ان ذلك الكتاب شرفكم وسبب اشتهاركم لكونه نازلا بينكم على لسان رسول منكم (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) أي وكثيرا كسرنا من اهل قرية كانوا كافرين بآيات الله بأن قتلوا بالسيوف (وأنشأنا بعدها) أي بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) أي ليسوا منهم نسبا ولا دينا فسكنوا ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا عذابنا الشديد (اذا هم منها) أي القرية (يركضون) أي يهربون مسرعين فقيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال (لا تركضوا) أي لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم) أي أنعمتم (فيه) من العيش والحال الناعمة (ومساكنكم) التي كنتم تفتخرون بها (لعلكم تسألون) أي لكي يسألكم الوافدون عطايا كم اما لانهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم (قالوا) لما ايقنوا بنزول العذاب (ياويلنا) أي هلاكنا (انا كنا ظالمين) أي بقتل نبينا (فما زالت تلك دعواهم) أي قولهم أي فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك (حتى جعلناهم حصيدا) أي مثل الزرع المحصود بالمناجل في استئصالهم (خامدين) أي ميتين لا يتحركون أي انهم أهلكوا بالعذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما

تخمد النار وهذه قصة أهل قرية في جهة اليمن يقال لها حضور بفتح الحاء وبالضاد المعجمة بعث الله لهم نبيا وهو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وكان قبل موسى بن عمران فقتلوا ذلك النبي عليه السلام فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فلما علموا انهم مدركون خرجوا هاربين فقالت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا الخ فرجعوا فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنبهم وندموا وقالوا ياويلنا أي ياويل احضر فهذا وقتك ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب التي لا تحصر أنواعها خالية عن الحكم كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفروشهم للعب واغا سويناها للفوائد دينية ودنيوية ليتفكر المتفكرون فيها ويستدلوا بها الى معرفتنا وللمنافع التي لا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أي ما يلعب به (لاتخذناه من لدنا) أي من جهة قدرتنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا (ان كنا فاعلين) اتخاذ اللهو أردناه لكنا لم نرده فلم نتخذه ويجوز أن تكون ان نافية أي ما كنا فاعلين اتخاذ اللهو لعدم ارادتنا له (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) أي يذهبه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) أي ذاهب بالكلية وهذا انتقال من ارادة اتخاذ اللهو الى تنزيه ذاته تعالى كأنه تعالى قال سبحاننا ان نريد اتخاذ اللهو بل شأننا مما تقتضي حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمقصود من هذه الآية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريها لانه تعالى أظهر المعجزة عليه صلى الله عليه وسلم فان كان محمد كاذبا كان اظهار الله المعجزة عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه تعالى وان كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ فسد كل ما ذكروه من المطاعن (ولكم الويل) أي ولكم يا كفار مكة شدة العذاب (مما تصفون) أي من أجل قولكم بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب القرآن الى انه سحر وأضغاث أحلام الى غير ذلك من الاباطيل وهذه الآية دالة على أن اهلاك الله أهل القرى لتكذيبهم الرسل عدل منه تعالى ومجازاة على ما فعلوا (وله من في السموات والارض) فهو تعالى منزه عن طاعتهم لانه تعالى هو المالك لجميع المحدثات (ومن عنده) أي والملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتعظمون عن طاعته تعالى ولا يعدون أنفسهم كبيرا فكيف يليق بالبشر مع نهاية الضعف التمرد عن طاعته (ولا يستحسرون) أي لا يسأمون ولا يتعبون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي ينزهونه تعالى في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بشغل آخر قال كعب الاحبار والتسبيح لهم كالنفس لنا فهو متصل دائم في جميع الاوقات فكما أن اشتغالنا بالتنفس لا يمنعنا من الكلام فكذا اشتغالهم بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) فأم بمعنى بل والهمزة ومعناها انكار انشار الاصنام للموتى لا انكار نفس الاتخاذ فاقدامهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكون الآلهة قادرين على الحشر والنشر والثواب فاذا كانوا غير قادرين على ان يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فأي عقل يجوز اتخاذهم آلهة فقوله من الارض كقولك فلان من مكة اي فلان مكي فمعنى نسبة الاصنام الى الارض اعلام بأن الاصنام التي تعبد اما أن تكون منحوتة من بعض الحجارة أو معمولة من بعض جواهر الارض وفي قوله تعالى هم ينشرون معنى الخصوصية وحاصل المعنى بل أعبد أهل مكة آلهة أرضية لا يقدر على احياء الموتى من القبور الا هم وحدهم فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل (لو كان فيهما آلهة الا الله

(لفسدتا) أى لو تولى أمور السموات والارض اله غير الواحد الذى هو فاطرهما لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث تنتفى فسادهما علم انتفاء تدبير الهين و يدل العقل على ذلك لانا لو قدرنا الهين لكان أحدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثانى صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه وقت الانفراد فيصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فاما أن يحصل المرادان وهو محال لاجتماع الضدين واما ان يمتنعا وهو محال أيضا لكون كل واحد منهما عاجزا فثبت فساد نظام العالم فكان القول بوجود الهين باطلا فثبت ان مدبر العالم اله واحد واذا عرفت حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى العالم السفلى والعلوى دليل على وحدانية الله تعالى (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) اى نزهوا الله عما يقول الكفار بوجود آلهة غير الله لاجل هذه الادلة فالاشتغال بالتنزيه انما ينفع بعد اقامة الادلة على على كون الله تعالى منزها فنبه الله تعالى على نكتة خاصة بعبدة الاصنام وهى كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذى لا يعقل شريكا فى الالوهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين واللوح والقلم ومدبر الخلائق من النور والظلمة والنباتات وأنواع الحيوانات والذات والصفات (لا يسئل عما يفعل) أى عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه المالك القاهر (وهم) أى العباد (يسئلون) سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس له شريك فى الالوهية يقول له لم فعلت كذا (أم اتخذوا من دونه آلهة) اى بل أوصفوا الله تعالى بأن له شريكا وهذا استقباح أمرهم واظهار جهلهم (قل) يا أكرم الرسل (هاتوا برهانكم) على اثبات الآلهة امامن جهة العقل أو من جهة النقل كما أتيت أنا ببرهان النقل المؤيد بالعقل (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) أى هذا اثبات وحدانية الله عظة أمتى وعظة الأمم الماضية فهم متمسكون على التوحيد فاقيموا أنتم برهانكم على تعدد الاله ولا يمكن اثبات التعدد بالبرهان (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بين الحق والباطل (فهم معرضون) عن استماع الحق أى ان وقوعهم فى المذهب الباطل ليس لاجل دليل ساقهم اليه بل ذلك لان عندهم ما هو أصل الفساد وهو عدم العلم ثم تفرع منه الاعراض عن طلب الحق (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدونى فالحكمة فى بعث الرسل مقصورة على المصلحتين اثبات وحدانية الله تعالى وعبادته بالاخلاص وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالنون والباقون على صيغة الغائب مبنيا للمفعول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى وقال فرق من أجناس العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة وبنو مليح الملائكة بنات الله (سبحانه) أى تنزه الله تعالى تنزيها لائقا بذاته تعالى (بل عباد) أى ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد الله تعالى فالعبودية تنافى الولدية كما ان الولد للانسان لا يكون ولده (مكرمون) أى مقربون عنده تعالى ومفضلون على سائر العباد بالعصمة (لا يسبقونه بالقول) فانهم يتبعونه فى قوله تعالى ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله (وهم بأمره يعملون) أى فلا يعملون عملا مالم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم ما قدموا وما أخروا من أعمالهم أى لما علموا كونه تعالى عالما بكل شيء علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن هو مرضى عند الله وهو من قال لا اله الا الله ولا يشفعون لمن لم يأذن الله شفاعته مهابة من الله تعالى (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) أى مرتعدون فلا يأمنون من مكره تعالى وهم خائفون أى يؤاخذهم الله

عما قالوا أو عما عملوا وهذه المذكورات صفات للعبيد لا صفات للاولاد (ومن يقل منهم) أى الملائكة (انى اله من دونه) أى من غير الله (فذلك نجزيه جهنم) فلا ينفعهم ماذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهذا على سبيل التقدير اذ لم يقع من واحد من الملائكة انه قال ماذكر وفى ذلك دلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته (كذلك نجزى الظالمين) أى مثل ذلك الجزاء نجزى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها (أولم ير الذين كفروا) أين ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن السموات والارض كانتا رتقا) أى مستوية صلبة ملتزقا بعضها على بعض لم تنزل من السماء قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شئ من النبات (ففتقناهما) أى شققنا السماء بنزول المطر منها وشققنا الارض بظهور النبات عليها وقرأ ابن كثير ألم ير بغير واو بين الهمزة ولم (وجعلنا من الماء كل شئ حى) أى خلقنا من ماء الذكر والانثى كل حيوان أو صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لا بد له من ذلك وقرئ حيا بالنصب مفعولا ثان (أفلا يؤمنون) أى ألا يتدبرون هذه الادلة فلا يؤمنون بتوحيدى (وجعلنا فى الارض رواسى) أى جبالا ثوابت أوتادا لها (أن تميد بهم) أى كراهة ان تتحرك بهم قال ابن عباس ان الارض بسطت على الماء فكانت تتكفأ باهلها كما تتكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال (وجعلنا فيها) أى فى الجبال (فجاجا) أى مسالك واسعة (سبلا لعلهم يهتدون) أى لكى يهتدوا الى منافعهم والى وحدانية الله بالاستدلال (وجعلنا السماء سقفا) على الأرض (محفوظا) من السقوط ومن الشياطين بالشهب (وهم عن آياتها) أى عن الآيات الكائنة فيها الدالة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وارادته (معرضون) لا يتفكرون فيبقون على الكفر والضلال (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل) أى كل واحد منهما (فى فلك) أى طاحونة مستديرة كهيئة فلك المغزل (يسبحون) أى يسيرون فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والجملة حال من الشمس والقمر والجمع باعتبار المطالع (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أى البقاء فى الدنيا (أفان مت) يا أشرف الخلق (فهم الخالدون) فى الدنيا أى ان مت أنت يا خاتم الرسل أيبقى هؤلاء حتى يشمتوا وتلك نزلت هذه الآية فى قولهم ننتظر محمدا حتى يموت فنستريح ويحتمل انه لما ظهر انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء جاز أن يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على ان حاله كحال غيره من الانبياء عليهم السلام فى الموت (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها فى الدنيا (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أى نعاملكم بالشر والخير معاملة المختبر اختبار المنتظر أتصبرون عند الشر وتشكرون عند الخير أم لا فالشر هو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة على المكلفين والخير هو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكن من المرادات (والينا ترجعون) أى الى حكمنا ترجعون بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا) يقولون فى حال الاستهزاء (أهذا الذى يذكر آلهتكم) بعيب ونقصان فان نافية وهى وما فى حيزها جواب اذا ولا يجب اتيان الفاء فى جواب اذا منفيا بان أو بما والمعنى واذا رآك الذين كفروا كابى جهل وأبى سفيان ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا قائلين أهذا الذى الخ ويحتمل ان جواب اذا محذوف وهو القول وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وجوابه المقدر والتقدير يقول بعضهم لبعض فى حال السخرية أهذا الذى الخ (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وهم الاول مبتدأ وخبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر وهم الثانى تأكيد لفظى للاول وهذه الجملة حال من فاعل القول المقدر والمعنى انهم يعيبون على النبى صلى الله عليه وسلم

أن يذكر بالسوء آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع والحال انهم جاحدون بذكر الرحمن بما يليق به من التوحيد وهو المنعم عليهم الخالق المحيي المميت فانهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (خلق الانسان من عجل) أي خلق الانسان عجولا روى ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية (سأريكم آياتي) أي نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره وفي الدنيا كوقعة بدر فانها ستأتي في وقتها (فلا تستعجلون) في طلب العذاب قبل الاجل (ويقولون) أي كفار مكة بطريق الاستهزاء والانكار لا بطريق الالزام في تعيير وقت العذاب (متى هذا الوعد) أي وعد اراءة الآيات التي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين) في وعدكم بأن العذاب يأتينا (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) في دفع العذاب أي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط النار بهم فيه من كل جانب لا يقدرون على دفعها عن أنفسهم بأنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم في دفعها لما استعجلوا العذاب ولما قاموا على انكارهم ولرجعوا الى طلب الحق فقوله حين مفعول به ليعلم (بل تأتيهم) أي النار (بغتة فتبهتهم) أي فتحيرهم (فلا يستطيعون) بقوتهم (ردها) أي دفع النار عنهم بالكلية (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين بشؤم الانكار والاستهزاء (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي وبالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك (فحاق) أي أحاط عقب ذلك (بالذين سخروا منهم) أي من أولئك الرسل عليهم السلام وهو متعلق بحاق (ما كانوا به يستهزؤن) أي جزاء الذي كانوا به يستهزؤن فكذلك يحيق بمن استهزأ بك وبال استهزائهم (قل) يا أشرف الخلق للمستهزئين بك بطريق التقريع (من يكلؤكم بالليل والنهار) أي من يحفظكم في الليل اذا نمتم وفي النهار اذا انصرفتم الى معايشكم (من الرحمن) أي من عذاب الرحمن الذي تستحقونه ان نزل بكم (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم لا يخطرون ببالهم ذكره تعالى مع انعامه عليهم ليلا ونهارا بالحراسة فضلا ان يخافوا اعدائه تعالى فلو تأملوا في انه لا حافظ لهم سواه تعالى لتركوا عبادة الاصنام التي لا حظ لها في حفظهم ولا في الانعام عليهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أي بل ألهم آلهة تمنعهم مما يضرهم كائنة من غيرنا فمن دوننا صفة لآلهة (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصر أنفسهم) أي حمايتها عن الآفات فكيف تقدر على حماية غيرها (ولا هم منا) أي من عذابنا (يصحبون) أي يمنعون فكيف يمنعون غيرهم من العذاب (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وان ذلك بسبب ما هم عليه أي دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه من الحفظ انما هو منا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) أي ألا ينظر هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب فلا يرون أنا نأخذ أرض الكفرة واحدا بعد واحد ونفتح البلاد والقرى مما حول مكة لمحمد ونميت رؤساء المشركين المتمتعين بالدنيا وننقص من الشرك باهلاك أهله (أفهم الغالبون) على محمد وأصحابه أما كان لهم عبرة في ذلك فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا (قل) لهم (انما أنذركم بالوحي) الذي هو كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلي بل الله أمرني بانذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) قرأ ابن عامر ولا تسمع بالتاء المضمومة وكسر الميم

ونصب

وبنصب الاسمين أى ولا تقدر يا أشرف الرسل أن تسمع الدعاء من يتصامم (ولئن مستهم نفحة) أى وبالله لئن أصابهم شيء قليل (من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا) أى يا هلاكنا (انا كنا ظالمين) على أنفسنا (ونضع الموازين القسط) أى نقيم الموازين العادلة التى توزن بها صحائف الاعمال (ليوم القيامة) أى فيه أو لاجل أهله (فلا تظلم نفس شيأ) أى حقا من حقوقها بل يوفى كل ذى حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (وان كان) أى العمل (مثقال حبة) أى وزن حبة (من خردل أتينا بها) أى أحضرنا ذلك العمل للوزن وقرأ نافع برفع مثقال على ان كان تامة (وكفى بنا حاسبين) أى محصين فى كل شيء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أى وبالله لقد آتينا هما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الجهل لما فيه من الشرائع وذكرا يتعظ به الناس (الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أى يخشون عذاب ربهم حال كونهم فى الخلوات منفردين عن الناس لخشيتهم من عقاب الله لازم لعلوهم لان ذلك مما يظهرونه فى الملأ أو حال من المفعول أى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فيعملون له تعالى (وهم من الساعة) أى مما يجرى فى يوم القيامة من الحساب والسؤال والميزان (مشفقون) أى خائفون فيعدلون بسبب ذلك الخوف عن معصية الله تعالى (وهذا) أى القرآن (ذكر مبارك) أى كثير النفع غزير العلم (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم (أفأنتم له منكرون) أى أبعد أن علمتم ان شأن القرآن كشأن التوراة فى كونه منزلا من عندنا فأنتم يا أهل مكة جاحدون للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فانهم كانوا يراجعون اليهود فيما عن لهم من المشكلات (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى اهتداءه لوجوه الصلاح فى الدين والدنيا ونبوته (من قبل) أى من قبل ايتاء موسى وهرون التوراة (وكنا به عالمين) أى بأنه لائق بما آتيناه يقوم بحقه ويجتنب ما ينفر قومه من القبول (اذ قال) ابراهيم (لابيه) آزر (وقومه) نمروذ بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) أى ماهذه الصور التى أنتم عابدون لها وكانت تلك الاصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا من جواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان فى الليل (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدها اقتداء بهم فلم يجدوا فى جوابه الا طريقة التقليد فأجابهم ابراهيم وأبطله على طريقة التوكيد القسمى بقوله (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذى سنوا لكم هذه السنة الباطلة (فى ضلال مبين) أى فى خطأ بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء ذلك والتقليد انما جاز لمن علم فى الجملة انه على الحق (قالوا أجئتنا) يا ابراهيم فى قولك هذا (بالحق) أى بالجد (أم أنت من اللاعبين) أى من المازحين بنا فيه (قال) ابراهيم (بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) أى خلقهن على غير مثال سبق وهو الذى خلقها لمنافع العباد وهو الذى يستحق أن يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب (وأنا على ذلكم) أى كون ربكم رب السموات والارض فقط (من الشاهدين) بذلك فأنا قادر على اثبات الحجة فى ذلك وانى لست مثلكم أقول بغير اثبات الحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على مجرد التقليد لآبائكم (وتالله لاكيدن) أى لاكسرن (أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) أى بعد ان تنطلقوا ذاهبين الى العيد روى أن آزر خرج فى يوم عيد

لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما اخرجوا به معهم وذهب معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس حيث قال وتالله لا كيدن أصنامكم فسمع قوله الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام (فجعلهم) أى الاصنام (جذاذا) أى قطاعا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه) اى الى مقالة ابراهيم (يرجعون) فيبكتهم فيعدلون عن الباطل أى ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام وجد قبالة الباب صنما عظيما والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه (قالوا) حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا (من فعل هذا) أى التكسير (بآلهتنا انه) أى من فعل (لمن الظالمين) اما لجراءته على اهانة الآلهة أو لافراطه فى الكسر أو لتعريض نفسه للهلكة فانهم كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تماثيل الكواكب وانها طلسمات موضوعة بحيث ان كل من عبدها انتفع بها وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد (قالوا) أى الذين سمعوا حلف ابراهيم وأخبروا أكابرهم (سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيب الاصنام ويسبها فلعله هو الذى فعل بها هذا الفعل (يقال له ابراهيم) أى يطلق عليه هذا الاسم وهذه صفة ثانية لفتى (قالوا) أى فيما بينهم والقائل لذلك القول هو النمروذ (فأتوا به) أى بابراهيم (على أعين الناس) أى حال كونه ظاهرا للناس (لعلهم) أى بعض الناس (يشهدون) عليه بفعله فكل حاكم يحكم على جماعته بالجناية من غير بينة أسوء حالا فلا يحكم بعض الكفار على أهل الخيانة الا بحضور عدول (قالوا) أى قال له نمروذ بعد اتيانه (أأنت فعلت هذا) أى الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم) قال ابراهيم متهكما بهم وملزما بالحجة (بل فعله كبيرهم هذا) أى الذى الفأس على عنقه وهو مشير الى الذى لم يكسره وسلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على ألطف وجه بحملهم على التأمل فى شأن آلهتهم فهذا يستلزم نفى فعل الصنم الكبير للكسر واثباته لنفسه عليه السلام وهو اشارة لنفسه على الوجه الابلغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل اذ القاعدة انه اذا دار فعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره فى القادر فهذا نعت لكبيرهم أو بدل منه وقيل هو خبر لكبيرهم وتم الكلام عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف أى فعله من فعله ويروى عن الكسائى أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يستبدئ كبيرهم هذا وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم بتشديد اللام أى فلعل الفاعل كبيرهم هذا (فاسألوهم) أى الاصنام على كاسرهم (ان كانوا ينطقون) حتى يخبروكم من كسرهم وجواب الشرط هو ما قبله وهذا مرتبط بقوله بل فعله كبيرهم فيكون اسناد الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكون الكبير فاعلا والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم وهذه التأويلات لنفى كذب سيدنا ابراهيم والاولى هو الاول فان التعريض لا يسمى كذبا وأيضا يجوز أن يكون الله تعالى قد أذن له فى ذلك الكلام لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف عليه السلام حين نادى مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر فلاموها (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض فيما بينهم أو قال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) بعبادة الاصنام لا من كسرها ومن قلتم فى حقه انه لمن الظالمين فانهم علموا بعد التفكر ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على غرور

فى ذلك او أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتم من ابراهيم عن كاسر الاصنام حتى أخذ يستهزئ بكم فى الجواب (ثم نكسوا على رؤسهم) أى انه لبواعن الفكرة الصالحة الى الحالة الاولى فأخذوا المجادلة بالباطل قائلين والله (لقد علمت) ياابراهيم (ماهؤلاء) الاصنام (ينطقون) أى لقد علمت انه ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا بالبناء للفاعل اى نكسوا أنفسهم على رؤسهم وهى قراءة رضوان بن عبد المعبود (قال) ابراهيم مبكتا لهم (أفتعبدون من دون الله) اى أتعلمون ذلك فتعبدون متجاوزين عبادة الله تعالى (مالا ينفعكم شيأ) اى نفعا قليلا (ولا يضركم أف لكم) اى قذرا وقبحا لكم (ولما تعبدون من دون الله) اى غيره واللام لبيان المتضجر لاجله وعائد الموصول محذوف وهذا تضجر من سيدنا ابراهيم من اصرارهم على الباطل البين (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم من عبادة مالا يضر فى ترك عبادته ولا ينفع فى عبادته (قالوا) أى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاقت عليهم الحيل والقائل لهم ملكهم غروذ بن كنعان وقيل القائل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض (حرقوه) أى ابراهيم بالنار (وانصروا آلهتكم) أى انتقموا منه لآلهتكم (ان كنتم فاعلين) لنصرتها فاختاروا أشد العقوبات وهى الاحراق وروى انهم لما اجتمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة فى قرية كوثى فجمعوا له أصناف الحطب شهرا وأوقدوا نارا سبعة أيام حتى لومر الطير فى أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموه به فى النار فجعل الله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) اى ابردى بردا غير ضار ومكث ابراهيم فى النار سبعة أيام وكان عنده عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال ياابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابى ولم تحرق النار منه الا وثاقه فان الله تعالى أزال عنها مافيها من الحر والاحراق وأبقى مافيها من الاضاءة والاشراق وروى انهم أوقدوا عليه النار سبعة أيام بعد القائه فى ذلك البنيان ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عليه من الغد فاذا هو غير محترق و يعرق عرقا فقال لهم هاران أبو لوط عليه السلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شئ وأوقدوا النار تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر وأوقدوا النار تحته فطارت شرارة فوقعت فى لحية أبى لوط فأحرقته (وأرادوا به) أى ابراهيم (كيدا) أى مكرا عظيما فى الاضرار به (فجعلناهم الاخسرين) فانهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم وهلكوا بارسال الله عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى دماغ غروذ بعوضة فأهلكته (ونجيناه) أى ابراهيم من النار (ولوطا) ابن أخيه هاران الاصغر من الخسف وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الاكبر فكان عما لابراهيم وكانت سارة بنت عم ابراهيم الذى هو هاران الاكبر (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) فى الدين والدنيا اى بلغناهما من العراق الى الشام فنزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة و بينهما مسيرة يوم وليلة وسبب بركة الشام فى الدين لان أكثر الانبياء بعثوا منها فانتشرت شرائعهم فيها وفى الدنيا لان الله تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر (ووهبنا له) اى لابراهيم عليه السلام (اسحق ويعقوب) اى وهبناهما لابراهيم (نافلة) اى عطية وفضلا من غير أن يكون جزاء مستحقا فنافلة منصوب على المصدر (وكلا) اى كل واحد من هؤلاء الاربعة (جعلنا صالحين) فى الدين والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم فى امور الدين (يهدون) اى يدعون الناس الى الخيرات

(بأمرنا) وأذنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أى أن يعملوا الشرائع هم وأتباعهم (وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وهذان من عطف الخاص على العام دلالة على أنافتهما وأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (وكانوا لنا عابدين) اى مخلصين فى العبادة لا يخطر ببالهم غير عبادتنا (ولوطا آتيناه حكما) اى فصلا بين الخصوم قال الزجاج اى هذه الجملة عطف على قوله وأوحينا اليهم وقال ابومسلم عطف على قوله آتينا ابراهيم رشده أى وآتينا لوطا (وعلما) لائقا به (ونجيناه من القرية) أى من أهل قرية سذوم (التى كانت تعمل الخبائث) اى التى كان أهلها قبل انجائنا له منها يعمل الاعمال الخبائث من اللواط ورمى المارة بالبندق واللعب بالطيور والتضارط فى أنديتهم وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) اى قوما يحزنون الناس بأفعالهم (فاسقين) اى خارجين من كل خير (وأدخلناه) اى لوطا (فى رحمتنا) بان فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الالهية (انه لمن الصالحين) اى من المستعدين لقبول ذلك وللدخول فيه (ونوحا) عطف على قوله ولوطا اى ونوحا آتيناه حكما (اذ نادى) اى دعا على قومه بالعذاب بدل اشتمال من نوحا (من قبل) أى من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) أى أهل دينه (من الكرب العظيم) وهو الغرق وأذية قومه (ونصرناه من القوم) أى عصمناه من مكر هؤلاء القوم كما قاله المبرد وقال أبو عبيدة من بمعنى على كقراءة أبى بن كعب ونصرناه على القوم (الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته عليه السلام (انهم كانوا قوم سوء) لاجل تكذيبهم له (فأغرقناهم أجمعين) بالطوفان لاصرارهم على تكذيب الحق ولانهماكهم فى الشر وهذا بيان للوجه الذى خلصه الله منهم به (وداود وسليمان) اى آتيناهما حكما (اذ يحكمان فى الحرث) اى فى حق الزرع (اذ نفشت فيه غنم القوم) أى انتشرت فى الزرع غنم القوم فى الليل ترعى بلا راع (وكنا لحكمهم) اى داود وسليمان (شاهدين) اى عالمين بحكمهما بارشادنا لهما وأوقع الجمع موقع التثنية مجازا ويدل على ذلك قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية (ففهمناها) أى الفتيا (سليمان وكلا) اى كل واحد منهما (آتيناه حكما وعلما) كثيرا روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما ان غنم هذا دخلت فى حرثى ليلا فأفسدته وما أبقت منه شيأ فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك وقد روى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فأخبراه بذلك فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا وهو أرفق بالفريقين فأخبرا بذلك داود عليه السلام فدعاه وقال كيف تقضى بينهما فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر والنسل والصوف وادفع الحرث الى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود كهيئته يوم أكل ثم دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه فقال داود القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك ورأى داود قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى المجنى عليه أو يفديه عند أبى حنيفة ويبيعه فى ذلك أو يفديه عند الشافعى ورأى سليمان استحسان كما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا وحكم هذه المسئلة فى مذهب الشافعى ان الغنم ان كانت وحدها ولو بصحراء فأتلفت شيأ كزرع ليلا أو نهارا ضمنه ذو يد ان فرط فى ربطها أو ارسالها كأن ربطها بطريق ولو واسعا وكأن أرسلها ولو فى نهار لمرعى بوسط مزارع فأتلفتها فان لم يفرط كأن أرسلها لمرعى لم تتوسطها مزارع لم يضمن ومذهب أبى حنيفة وأصحابه عدم الضمان بالليل والنهار الا أن يكون

معها

معها ساقى أو قائد (وسخرنا) أى ذللنا (مع داود الجبال يسبحن) أى ينطقن بالتسبيح وكان داود يسبح وحده فالله تعالى خلق فيها الكلام كما سبح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك (والطير) أى اذا ذكر داود عليه السلام ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه (وكنا فاعلين) أى انا قادرون على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم أى مستغربا فى اعتقادكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى درع (لكم) أى لاجلكم يا أهل مكة فان الله تعالى ألان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين (لتحصنكم من بأسكم) أى لتحرسكم من الجرح والسيف والسهم والرمح وقرأ شعبة بالنون وابن عامر وحفص بالتاء فالضمير للبوس والباقون بالياء التحتية فالضمير لداود أو للبوس وهذا بدل اشتمال من لكم مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة (فهل أنتم شاكرون) أى اشكروا الله يا أهل مكة على ما يسر عليكم من هذه الصنعة بتصديق الرسل (ولسليمان الريح عاصفة) أى شديدة الهبوب فاذا مرت بكرسيه عليه السلام أبعدت به فى مدة يسيرة أى جعلنا الريح طائعة لسليمان فان أرادها عاصفة كانت عاصفة وان أرادها لينة كانت لينة (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها) قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حين يجلس على سريره وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر (وكنا بكل شئ عالمين) فنجرى ما سخرنا له بحسب ما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) اى وسخرنا لسليمان من الشياطين الكافرين من يدخلون فى البحار ويخرجون الجواهر منها له (ويعملون عملا دون ذلك) اى غير ذلك من بناء المدن والقصور وصنع النورة والطاحون والقوارير والصابون والحمام لان ذلك من استخراجاتهم (وكنا لهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وحافظين من أن يفسدوا ما عملوا فكان دأبهم أنهم يعملون بالنهار ثم يفسدونه فى الليل ومن أن يهيجوا أحدا على أحد فى زمانه عليه السلام (وأيوب) أى آتيناه حكما (اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وكان أيوب عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط وكان الله تعالى قد جعله نبيا وقد أعطاه من الدنيا حظا وافرا من النعم والدواب والبساتين وأعطاه ولدا من رجال ونساء وكان رحيما بالمساكين وكان يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة فانه خرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فى جسده حكة لا يملكها وكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وروى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيى من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى ان ابليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه

تركني وعبد الله السماء لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى أيوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله تعالى لأضربنك مائة سوط وحرام علي أن أذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك فطردها فذهبت فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس فلما نظر أيوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقال تعالى ارفع رأسك فقد استجيبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت منه ولا جراحة الا برئت ثم ركض برجله مرة أخرى بعد ان مشى أربعين خطوة فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والولد والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى حتى روى ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني أفأتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأله عنه فأرسل اليها أيوب ودعاها فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال لها أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال أتعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتني أن أذبح سخلة لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما ترين وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) الدعاء (فكشفنا ما به من ضر) أي مرض وهزال (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى ان امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا قال ابن عباس أبدل بكل شيء ذهب منه ضعفاه وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا فقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب (واسمعيل) ابن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) واسمه بشر أي أعطيناهم ثواب الصابرين (كل من الصابرين) على أمر الله والمرازى (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في النبوة (انهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح فصلاحهم معصوم من كدر الفساد فاسمعيل قد صبر عند ذبحه وعلى الاقامة في بلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت فأخرج منه خاتم النبيين وادريس قد صبر على دراسة الكتب وسمي ادريس لكثرة دراسته وبعث الى قومه داعيا لهم الى الله تعالى فأبوا فأهلكهم الله ورفع الى السماء الرابعة وذو الكفل قد صبر على قيام الليل وصيام النهار وأذى الناس في الحكومة بينهم بأن لا يغضب ومعنى الكفل هو النصيب وانما سمي ذا الكفل بذلك على سبيل التعظيم فيكون الكفل كفل الثواب لانه كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقد كان في زمنه أنبياء عليهم السلام (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب مغاضبا) أي غضبان على قومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر لانهم لما لم يؤمنوا وعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بتوبتهم وهو لم يعرف الحال خرج منهم غضبان من ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أي ظن انه لن نضيق عليه أي فانه ظن أنه مخير ان شاء أقام

وان شاء خرج وانه تعالى لا يضيق عليه فى احتياره فأتى بحر الروم فوجد قوما هيؤا سفينة فركب معهم فلما تلجلجت السفينة تكفأت بهم وكادوا ان يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق لان السفينة لا تكون هكذا من غير ريح الا وفيها رجل عاص فلابد من أن نقترع ليظهر فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه فى البحر فان غرق واحد خير من أن تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها على يونس عليه السلام فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق وألقى نفسه فى البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى الى ذلك الحوت لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك له سجنا (فنادى فى الظلمات) أى فى ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت آخر فحصل فى ظلمتى بطن الحوتين وظلمة البحر والليل (أن لا اله الا أنت) أى بانه فأن مخففة من أن المشددة أو بمعنى أى (سبحانك) أى أنزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) بفرارى من قومى بغير اذنك فكان ذلك ظلما فعوقب على ترك الافضل الذى هو المكث فيهم صابرا على أذاهم فانه خرج لا على تعمد المعصية بل لظنه ان خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخر فقد وصف يونس عليه السلام ربه بكمال الربوبية ووصف نفسه بضعف البشرية والنقص فى أداء حق الربوبية وهذا القدر يكفى فى السؤال ولذا قال تعالى (فاستجبنا له) دعاءه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بدعوة ذى النون فى بطن الحوت الا استجيب له (ونجيناه من الغم) بسبب كونه فى بطن الحوت وبسبب خطيئته فألقاه الحوت فى الساحل من يومه أو بعد ثلاثة أيام (وكذلك) أى كما أنجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا (ننجى المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين بهذا الدعاء (وزكريا) أى واذكر خبره (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تذرنى فردا) أى وحيدا بلا ولد يرثنى ارث نبوة وعلم وحكمة (وأنت خير الوارثين) أثنى عليه السلام على ربه لانه ينكشف عن علمه أن عاقبة الامور راجعة الى الله تعالى فانه تعالى الباقى بعد فناء الخلق (فاستجبنا له) دعاءه (ووهبنا له يحيى) نبيا حكيما عظيما (وأصلحنا له زوجه) للولادة بعد انتهائها الى اليأس منها بحكم العادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان سن زكريا مائة وسن زوجته تسعا وتسعين (انهم) أى زكريا وولده وأهله (كانوا يسارعون فى الخيرات) أى فى طاعة الله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى يفزعون الينا رغبة فى ثوابنا ورهبة من عقابنا (وكانوا لنا خاشعين) أى خائفين متواضعين فى عبادتهم حذرين عن الانبساط فى الامور (والتى أحصنت فرجها) أى واذكر خبر مريم التى أحصنت فرجها احصانا كليا من أن يصل اليه أحد بحلال وحرام جميعا (فنفخنا فيها من روحنا) أى فنفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها أى أجريناه فيه اجراء الهواء بالنفخ من جهة روحنا جبريل (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أما آيات مريم فظهور الحبل فيها لامن ذكر ورزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة وانها لم تلتقم ثديا يوما قط وتكلمت فى صباها كما تكلم عيسى فى صباه فجعلهما الله آية للناس فيستدلون بما خصا به من الآيات على قدرته تعالى وحكمته (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أى ان ملة الاسلام وهى التوحيد هى ملتكم أيها الناس حال كونها غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام أى يجب عليكم أن تكونوا عليها لا تنحرفوا عنها وقرأ الحسن أمتكم بالنصب على البدل من هذه أو عطف بيان وأمة بالرفع خبر ان وبرفعهما معا خبرين (وأنا ربكم فاعبدون) أى وحدونى واعرفونى أيها الكفار أو دوموا على عبادتى أيها المؤمنون (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى تفرقوا فى أمرهم بأن آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض (كل) من الثابت على الدين

الحق والزائغ عنه الى غيره (الينا راجعون) فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أى الفرائض والنوافل (وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران لسعيه) أى لا حرمان لثواب عمله (وانا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) أى ممتنع على أهل قرية قدرنا اهلاكهم بالموت عدم رجوعهم الينا للجزاء بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير احساس بالنعمة أو بالعذاب أو المعنى واجب على أهل قرية أهلكناها بالموت عدم رجوعهم عن الشرك وعن الدنيا فان الحرام قد يجيء بمعنى الواجب كقوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ أو ترك الشرك واجب وليس بمحرم (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمرون على الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا و يقولون يا ويلنا الخ أو لا يرجعون عن الكفر حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس والمراد حتى اذا فتحت سدهما وذلك بعد نزول عيسى الى الارض و بين موت عيسى والنفخة الاولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين المعتادة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (وهم من كل حدب ينسلون) أى والحال أن يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع يخرجون وقرأ ابن عباس من كل جدث أى والناس يخرجون من قبورهم فيحشرون الى موقف الحساب (واقترب الوعد الحق) أى وهو البعث والحساب والجزاء (فاذا هى) واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء فاذا دخلتها الفاء تعاونت على وصل الجزاء بالشرط وتأكدت والضمير للقصة ومابعده خبر مقدم أى فالقصة (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى ان القيامة اذا قامت ارتفعت أبصار هؤلاء من شدة الاهوال فلا تكاد تطرف من شدة ما يخافونه قائلين (يا ويلنا) أى ياهلاكنا تعال فهذا أوان حضورك (قد كنا) فى الدنيا (فى غفلة) تامة (من هذا) أى الذى أصابنا من البعث والجزاء ولم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) أى لم نكن غافلين عنه بل كنا ظالمين أنفسنا بتعمد الكفر والاعراض عن الايمان حيث كذبنا الرسل وعبدنا الاوثان (انكم) يا أهل مكة (وما تعبدون من دون الله) أى من غير الله من الاوثان وغيرها (حصب جهنم) أى حطب جهنم يرمون فيها (أنتم لها واردون) أى داخلون فيها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية وقال له ابن الزبعرى والدعبد الله القرشى خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد صلى الله عليه وسلم بقوله ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وقد أسلم الزبعرى بعد هذه القصة (لو كان هؤلاء) أى أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ما وردوها) أى ما دخلوا النار (وكل) من العبدة والمعبودين (فيها خالدون) أى لا خلاص لهم عنها (لهم) أى للعبدة (فيها زفير) أى أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) أصوات المعذبين لشدة الهول وفظاعة العذاب وقد جرت عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الابرار فقال (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أى الذين سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة (أولئك عنها) أى جهنم (مبعدون) عن المهالك فانهم فى الجنة وشتان بينها و بين النار (لا يسمعون حسيسها) أى صوت جهنم وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة وهذه الجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره أو خبر ثان وهى مذكورة للمبالغة فى انقاذهم منها (وهم) أى من تقدم لهم الوعد بالثواب (فيما اشتهت أنفسهم) أى من نعيم الجنة (خالدون) أى دائمون فى غاية النعم (لا يحزنهم الفزع الاكبر) حين تغلق النار على أهلها و ييأسون من الخروج منها وحين يذبح الموت فى صورة كبش أملح بين الجنة والنار و ينادى يا أهل النار خلود بلا

موت

موت فييأس أهل النار من الخروج منها وحين يؤمر بالكافر الى الذهاب الى النار (وتتلقاهم الملائكة) أى الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم على أبواب الجنة بالبشرى قائلين (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا الوقت وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم به فى الدنيا فابشروا بفنون المثوبات و بجميع مايسركم بإيمانكم وطاعاتكم (يوم نطوى السماء) بنون العظمة وقرئ يطوى بالياء والتاء على البناء للمفعول فالظرف منصوب باذكر أو بتتلقاهم (كطى السجل للكتب) أى يوم نطوى السماء طيا كطى الطومار للمكتوبات وقرأ حفص وحمزة والكسائى بصيغة الجمع والباقون بصيغة الافراد واللام متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل ومعنى طى الطومار للمكتوب كون الطومار ساترا لتلك الكتابة ومخفيا لها لان الطى ضد النشر الذى يكشف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ماخلقناه أولا اعادة مثل بدئنا اياه فى كونها ايجادا بعد عدم أو جمعا للاجزاء المتبددة فهو تشبيه للاعادة بالابتداء فى تناول قدرة الله تعالى لهما على السواء (وعدا علينا) أى وعدنا بالاعادة وعدا حقا علينا انجازه بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه (انا كنا فاعلين) أى انا سنفعل ذلك لابد ذوقوع وماعلم الله وقوعه واجب (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) أى و بالله لقد كتبنا فى كتاب داود وبعد ما كتبنا فى التوراة أو لقد كتبنا فى جميع كتب الانبياء بعد ما أثبتنا فى اللوح المحفوظ (أن الارض يرثها عبادى الصالحون) أى أن أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين (ان فى هذا) أى فى المذكور فى هذه السورة من البراهين الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغا) أى لكفاية (لقوم عابدين) أى عاملين بعلومهم وهم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان (وما أرسلناك الارحمة للعالمين) أى وما أرسلناك يا أشرف الخلق بالشرائع الارحمة للعالمين أى الا لاجل رحمتنا للعالمين قاطبة فى الدين والدنيا فان الناس فى ضلالة وحيرة فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فبين صلى الله عليه وسلم سبيل الثواب وأظهر الاحكام وميز الحلال من الحرام وأن كل نبى قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلكهم الله بالخسف والمسخ والغرق فالله تعالى أخر عذاب من كذب نبينا الى الموت ورفع عذاب الاستئصال عنهم به صلى الله عليه وسلم (قل) يا أكرم الرسل (انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد) أى انما يوحى الى وحدانية الهكم (فهل أنتم مسلمون) أى يا أهل مكة خصصوا العبادة بالهكم الواحد وهو الله تعالى فالاستفهام بمعنى الامر (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) أى فان أعرضوا عن توحيد المعبود فقل ياسيد الرسل انى أعلمتكم بأنى محارب لكم على اعلان ولكن لا أدرى متى يأذن الله لى فى محاربتكم فتبين بهذا ان السورة مكية وان الامر بالجهاد كان بعد الهجرة (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أى ماتجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ماتكتمون) من الاحقاد للمسلمين ومن النفاق فيجازيكم عليه (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) أى ماأدرى لعل تأخير الجهاد استدراج وضرر لكم وتمتع لكم الى انقضاء آجالكم (قل) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حفص بصيغة الماضى والباقون بصيغة الامر (رب احكم بالحق) أى احكم بيننا وبين أهل مكة بالعدل المستلزم لتعجيل العذاب وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا فى بدر وأحد والخندق وحنين (وربنا الرحمن) اى كثير الرحمة على عباده (المستعان) أى المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) اى تقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق

ثم تركدف كذب الله ظنونهم وخذلهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

﴿سورة الحج مختلطة بين مكي ومدني وهي ست وسبعون آية وألف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم) بأن تطيعوه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) اى ان شدة حركة الارض في قرب الساعة في نصف رمضان معها طلوع الشمس من مغربها أمر حادث جليل هائل لاتدرك العقول كنهه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور أنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعقة ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج أو كالقنديل المعلق ترجرجه الرياح (يوم ترونها) منصوب بتذهل أو بدل اشتمال من زلزلة اى وقت رؤيتكم الزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) اى تغفل مع دهشة عن طفلها الذى ألقمته ثديها بحيث لايخطر ببالها انه ماذا (وتضع كل ذات حمل حملها) اى تلقى الحوامل جنينها لغير تمام (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى) فالخطاب لكل أحد أى يراهم كل أحد برؤية الزلزلة كأنهم سكارى وماهم بسكارى حقيقة وقال ابن عباس والحسن أى وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب وقرأ حمزة والكسائى سكرى بفتح السين وسكون الكاف وقرئ ترى الناس بالبناء للمجهول والضمير للمخاطب والناس بالنصب أى تظنهم سكارى وبالرفع نائب الفاعل على تأويله بالجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أى ولكن ماأرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم (ومن الناس) أى وبعض الناس كالنضر بن الحرث وأبى جهل وأبى بن خلف (من يجادل فى الله) أى فى دين الله وكتابه وقدرته (بغير علم) أى ملتبسا بغير علم فانهم ينكرون البعث وقالوا ان الله لايقدر على احياء من صار ترابا ويكذبون القرآن ويقولون ما يأتيكم به محمد كما كنت أحدثكم به عن القرون الماضية فهو أساطير الاولين (ويتبع) فى جداله (كل شيطان مريد) أى عات متجرد للفساد والمراد اما شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده (كتب عليه) مبنى للمفعول صفة ثانية أى قد كتب على الشيطان فى أم الكتاب لظهور ذلك من حاله (أنه) أى الشأن (من تولاه) أى من اتخذه وليا وأطاعه (فانه يضله) بفتح الهمزة على انه خبر مبتدا محذوف أى من يقبل الشيطان بقوله فشأنه ان الشيطان يضله عن طريق الجنة (ويهديه) أى يدعوه (الى عذاب السعير) أى الى مايؤدى الى عذاب النار الوقود من السيآت (يا أيها الناس) أى يا أهل مكة (ان كنتم فى ريب من البعث) فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم (فانا خلقناكم) أى خلقنا كل فرد منكم (من تراب) لان المنى ودم الطمث يتولدان من الاغذية وهى من النبات وهو يتولد من الارض والماء (ثم) خلقناكم (من نطفة) أى منى (ثم من علقة) أى دم جامدة (ثم من مضغة) أى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة) أى تامة الصور والحواس والتخاطيط (وغير مخلقة) أى وناقصة فى هذه الامور (لنبين لكم) أى أخبرناكم فى القرآن بدء خلقكم لنبين لكم مايزيل عنكم ذلك الريب فى امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن

الاعادة (ونقر في الارحام مانشاء الى أجل مسمى) أى ونحن نقر بعد ذلك في الارحام مانشاء أن نقره فيها من الولد الى وقت الوضع (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الوقت المقدر بالارادة القديمة والحكمة الازلية (طفلا) أى حال كونكم صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) أى ثم نسهل في تربيتكم أمور التبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) على كماله في ذلك (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) اى الى أخسه وهو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) اى ليعود كهيئته الاولى في أوان الطفولية من ضعف البدن وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ماعرفه ويعجز عما قدر عليه (وترى) أيها المجادل (الارض هامدة) اى يابسة خالية من النبات (فاذا أنزلنا عليها الماء) اى ماء المطر والعيون والانهار (اهتزت) اى تحركت في رأى العين بسبب حركة النبات (وربت) اى انتفخت للنبات (وأنبتت من كل زوج بهيج) أى واخرجت بالماء كل نوع من أنواع النبات حسن يسر ناظره (ذلك) اى الصنع البديع في الانسان والارض حاصل (بأن الله هو الحق) أى الموجود الثابت المتحقق في الآلهية فهذه الموجودات دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) ى شأنه احياء الموتى كما أحيي الارض الميتة (وأنه على كل شيء قدير) فاذا دلت المشاهدة على قدرته تعالى على احياء بعض الاموات لزم اقتداره تعالى على احياء جميع الاموات فلابد وان يكون قادرا على اعادة الموتى الى الحياة (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) وهذا كناية عن كونه تعالى حكيما لانه من روادف الحكمة فالمعنى ذلك أى خلق الانسان واحياء النبات حاصل بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وأنه تعالى حكيم لايخلف وعده وقد وعد باتيان الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد (ومن الناس) وهو أبو جهل بن هشام (من يجادل في الله) اى في شأنه تعالى (بغير علم) أى كائنا بغير علم ضرورى (ولا هدى) أى نظر صحيح هاد الى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى مظهر للحق أى يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بقياس ضرورى ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى (ثانى عطفه) حال ثانية من فاعل يجادل أى معرضا بجانبه عن الحق متكبرا وقرأ الحسن بفتح العين أى مانعا لتعطفه قاسيا (ليضل عن سبيل الله) متعلق بيجادل أى فان المجادل أظهر التكبر لكى يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق بالتمويهات فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فتكون اللام للعاقبة أى فان المجادل أظهر التكبر يستمر ضلاله عن دين الله أو يزيد ضلاله عنه في عاقبة أمره فلا هداية له بعده (له في الدنيا خزى) وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والاهانة (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى عذاب النار المحرقة (ذلك) أى العذاب الدنيوى والاخروى (بما قدمت يداك) أى بسبب ماعملته من الكفر والمعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ومحل ان رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيد بغير ذنب من جهتهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على طرف من الدين لافي وسطه وعلى ضعف يقين والجار والمجرور حال من فاعل يعبد أى متزلزلا (فان أصابه خير) دنيوى وهو ما يوافق الطبع (اطمأن به) أى ثبت على ذلك الدين بسبب ذلك الخير الذى يوافق هواه (وان أصابته فتنة) وهو ما يثقل على طبعه (انقلب على وجهه) أى رجع الى دينه الاول وهو الشرك بالله ولما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان أصابه شر لان ماينفر عنه الطبع ليس شرا

فى نفسه بل هو سبب القرب بشرط التسليم والرضا بالقضاء نزلت هذه الآية فى أعراب كانوا يقدمون على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا صح فى المدينة جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن واطمأن اليه وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية أو أجهضت رماكه ولم تلد فرسه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان وقال له ماجاءتك هذه الشرور الا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والكلبى رضى الله عنهم (خسر الدنيا والآخرة) قرأ العامة خسر فعلا ماضيا وهو استئناف أو حال من فاعل انقلب أو بدل من انقلب وقرأ مجاهد خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوبا على الحال وقرئ بالرفع على الفاعلية أو على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك لانه يذهب فى الدنيا الكرامة واصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وعصمة ماله ودمه ويفوت فى الآخرة الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم (ذلك هو الخسران المبين) أى الواضح اذ لا خسران مثله (يدعومن دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) استئناف مبين لعظم الخسران وهى واردة فى المشركين الذين قدموا الى النبى صلى الله عليه وسلم على وجه النفاق وهو بنو الحلاف منافقو بنى أسد وغطفان أى يعبد من ذكورهم بنو الحلاف متجاوزا عبادة الله تعالى جمادا لا يضره اذا لم يعبده ولا ينفعه ان عبده (ذلك) العبادة (هو الضلال البعيد) عن الصواب وهو الكفر العظيم (يدعو) بالقول (لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مذكور لبيان عاقبة عبادته المذكورة فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدا الاول أى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه لمن ضره أقرب من نفعه والله (لبئس المولى) أى الناصر هو (ولبئس العشير) أى الصاحب هو (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) لان عبادتهم حقيقية ومعبودهم يعطيهم أعظم المنافع وهو الجنة (ان الله يفعل مايريد) بهم من أنواع الفضل والاحسان زيادة على أجورهم (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ) أى من ظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليطلب سببا يصل به الى سماء الدنيا فليقطع نصر الله لنبيه ولينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهل يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وهذا زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه فان أعداءه صلى الله عليه وسلم كانوا يظنون أن لا ينصره الله وأن لا يعليه على أعدائه فلما شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة فآيات حال من الهاء (وأن الله يهدى من يريد) هدايته بأن يخلق له المعرفة ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولان الله يهدى من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف والامر أن الله يهدى من يريد هدايته ثم بين من يهديه ومن لا يهديه فقال (ان الذين آمنوا) بكل مايجب أن يؤمن به (والذين هادوا) أى تدينوا بدين اليهودية (والصابئين) وهم شعبة من النصارى قيل سميت بذلك لنسبتها الى صابى عم نوح عليه السلام (والنصارى) وهم الذين انتحلوا دين النصرانية (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) هم عبدة الاوثان (ان

يفصل

يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاماكن فيظهر المحق من المبطل فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (ان الله على كل شيء شهيد) أي فهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك الفصل حيف ولا يغيب عن علمه شيء والاديان الحاصلة بسبب الاختلافات في الانبياء ستة فمن الناس من يعترفون بوجود الانبياء ومن لا فالمعترفون بذلك فاما أن يكونوا أتباعا لمن كان نبيا أو لمن كان متنبيا فأتباع الانبياء هم المسلمون واليهود والنصارى وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون فهم مختلفون في نبوة محمد وموسى وعيسى فاليهود نفوا نبوة محمد وعيسى والنصارى نفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون تارة يوافقون النصارى في أصول دينهم فتحل لنا مناكحتهم وتارة يخالفونهم فلا تحل منا كحتهم ويطلق الصابئون أيضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار اليها وينفون الصانع المختار فهؤلاء لا تحل منا كحتهم واتباع المتنبيء هم المجوس قيل هم قوم يستعملون النجاسات والمنكرون للانبياء على الاطلاق هم عبدة الاصنام وهم المسمون بالمشركين ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم وقال قتادة ومقاتل الاديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهي ماعداه وقرأ نافع الصابين بالياء التحتية بعد الباء الموحدة وقال الزجاج قوله تعالى ان الله يفصل خبر لقوله تعالى ان الذين آمنوا كما تقول ان أخاك ان الدين عليه لكثير وأدخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد (ألم تر) أي ألم تعلم يا أشرف الخلق بخبر الله تعالى لك (أن الله يسجد) أي ينقاد (له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) فهؤلاء ينقادون لتدبيره تعالى انقيادا تاما يقبلون لما أحدثه الله تعالى فيهم من غير امتناع (و) يسجد له تعالى (كثير من الناس) سجود طاعة وعبادة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) بامتناعه من السجود وهو من لا يوحد الله تعالى وقرئ حق بالرفع وحقا بالنصب أي حق عليه العذاب حقا (ومن يهن الله) بالشقاوة (فما له من مكرم) بالسعادة أي ان الذين وجب عليهم العذاب ليس لهم أحد يقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم بطريق الشفاعة لهم وقرأ ابن أبي عبلة مكرم بفتح الراء على أنه مصدر ميمي أي فما له من اكرام (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام بالثواب والاهانة بالعقاب (هذان خصمان) أي طائفة المؤمنين وطائفة الكفار المنقسمة الى الفرق الخمس فريقان مختصمان وقرأ ابن كثير هذان بتشديد النون وروي عن الكسائي خصمان بكسر الخاء (اختصموا في ربهم) أي في شأنه قال ابن عباس نزلت هذه الآية في المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فحكم الله بينهم فقال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي قدرت على مقادير جثتهم نيران تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها فالمراد بالثياب احاطة النار بهم أي جعلت النار محيطة بهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش كما روي عن أنس وقال سعيد بن جبير أي قطعت قمص وجباب من نحاس أذيب بالنار كقوله تعالى سرابيلهم من قطران فليس شيء حمي بالنار أشد حرارة منه (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار (يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي يذاب بالماء الحار اذا يصب على رؤسهم ظاهرهم وباطنهم من الجلود والامعاء وفي الحديث الذي رواه الترمذي ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في

جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (ولهم) أى للكفرة (مقامع من حديد) أى مطارق من حديد فاللام للاستحقاق (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى من النار (من غم) شديد (أعيدوا فيها) بالمقامع روى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى عذاب الغليظ من النار العظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها) بالبناء للمفعول وبتشديد اللام أى يزينون وقرئ بسكون الحاء أى يلبسون فى الجنة أى تحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون بفتح الياء وسكون الحاء أى يلبسون حليتهم (من أساور من ذهب ولؤلؤا) بالجر فى قراءة الجمهور عطفا على ذهب بناء على أن الاساور مركبة منهما بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وفى سورة الكهف ليس فيها ذكر لؤلؤ وفى سورة هل أتى لم يذكر فيها اللؤلؤ ولا الذهب وهنا قد ذكرا فيجتمع لهم التزين بهذه الامور بالذهب وحده وبالفضة وحدها وبالذهب واللؤلؤ وبالنصب فى قراءة نافع وعاصم عطفا على محل من أساور لانه يقدر ويحلون حليا من أساور ويحلون لؤلؤا فمن ذهب بيان للاساور (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير) أى ان الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فلا يمكن عراؤهم منه (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة الآية كما قاله ابن عباس فى رواية عطاء (وهدوا الى صراط الحميد) أى أرشدوا الى الطريق الى الله تعالى وهو دين الاسلام فالحميد هو الله فهو محمود فى أفعاله (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أى يصرفون الناس عن دين الله (والمسجد الحرام) أى وعن دخوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف) أى المقيم (فيه والباد) أى الطارئ وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء بالنصب مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرفوع به على الفاعلية وللناس متعلق بسواء ظرف له والباقون سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان لجعلناه وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فبالحاد وبظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول أى ومن يرد فى مكة مرادا ما مائلا عن الاعتدال ظالما أحدا نذقه من عذاب أليم فان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق العدل فى جميع ما يقصده وقرئ يرد بفتح الياء أى من أتى فيه بالحاد كاحتكار الطعام وكدخول مكة بغير احرام (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مرجعا له بأن يكون موحدا بقلبه لرب البيت عن الشريك ومشتغلا بجسده بتنظيف البيت عن الاوثان (أن لا تشرك بى شيأ) فان مفسرة لبوأنا أى لا تشرك بى غرضا آخر فى بناء البيت ولا تجعل فى العبادة لى شريكا وكان البيت قد رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها فكشفت ما حوله فبناه على اسه الاول (وطهر بيتى) من الاوثان والاقذار (للطائفين) حوله (والقائمين والركع السجود) أى المصلين الجامعين بين القيام والركوع والسجود (وأذن فى الناس بالحج) أى نادفيهم بالامر بالحج روى أن سيدنا ابراهيم صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجابه يومئذ بالتلبية من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (يأتوك) أى يأتوا البيت الذى بنيته (رجالا) أى مشاة على أرجلهم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده وقرئ رجالى كعجالى عن ابن عباس

(وعلى)

(وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل ابل مهزول لطول سفره (يأتين من كل فج عميق) أى تأتى جماعة الابل من كل طريق بعيد وقرئ يأتون أى الناس (ليشهدوا منافع لهم) أى ليحضروا منافع مختصة بهذه العبادة كائنة لهم دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادة كحصول المغفرة والاموال وقوله تعالى ليشهد وا متعلق بيأتوك (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات) وهى أيام عشر ذى الحجة كما اختاره الشافعى وأبو حنيفة لانه معلوم عند الناس لحرصهم على علمه من أجل ان وقت الحج فى آخره وقال ابن عباس فى رواية عطاء ان أيام معلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده كما اختاره أبو مسلم وهو قول أبى يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى والمراد بالذكر ما وقع عند الذبح كأن يقول الذابح باسم الله والله أكبر اللهم منك واليك ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أى لاجل ما رزقهم من الابل والبقر والغنم قال القفال وكان المتقرب بها وباراقة دمائها متصور بصورة من يفدى نفسه بما يعادلها فكانه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضاة الله تعالى واعترافا بأن تقصيره كاد يستحق مهجته (فكلوا منها) أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها (وأطعموا البائس الفقير) قال ابن عباس البائس الذى ظهر بؤسه فى ثيابه وفى وجهه والفقير الذى تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غنى قال الشافعى لا يأكل من الواجب شيأ وذلك مثل دم التمتع والقران وجزاء الصيد والنذر وغير ذلك وقال ابن عمر وأحمد واسحق لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوا ذلك وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذر وعن أصحاب أبى حنيفة انه يأكل من دم التمتع ودم القران ولا يأكل من واجب سواهما (ثم ليقضوا تفثهم) أى ثم بعد نحر وحجهم من الاحرام ليقطعوا أدرانهم كالشارب والاظفار والابط والعانة (وليوفوا نذورهم) أى ما أوجبوه على أنفسهم ما لم يكن الحج يقتضى وجوب ذلك من الضحايا وغيرها وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء أى ليتموا ذلك (وليطوفوا) الطواف الذى يتم به التحلل (بالبيت العتيق) أى القديم لانه أول بيت بنى وقد أعتق من غرق الطوفان زمن نوح ومن تسلط كل جبار دخل فيه ليهدمه وهو بيت كريم لم يملك قط وفى قراءة ابن عمر وتحريك اللامات الثلاثة بالكسر وفى قراءة ابن ذكوان بكسر اللام من الاخيرين وفى قراءة الباقين باسكان الكل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف ويذكر للفصل بين كلامين أى الشأن ذلك المذكور من قوله تعالى واذ بوأنا الى هنا أو مبتدأ خبره محذوف أى ذلك الامر لازم لكم أو مفعول لمحذوف أى احفظوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) أى ومن يعظم جميع تكاليف الله تعالى من مناسك الحج وغيرها بالعمل بموجبه فتعظيمه قربة عند الله يثاب عليها فى الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أى رخصت لكم حال الاحرام ذبيحة الانعام وأكل لحومها (الا ما يتلى عليكم) أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه مما حرم منها العارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أى فاجتنبوا القذر الذى هو الاوثان فعبادة الاوثان قذر معنوى (واجتنبوا قول الزور) أى القول المنحرف عن الواقع كالافتراء على الله تعالى بأنه حكم بتحريم البحائر والسوائب ونحوها (حنفاء لله) اى مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق (غير مشركين به) شيأ من الاشياء وهذان حالان من واو فاجتنبوا فالاولى مؤسسة والثانية مؤكدة (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) اى ان بعد من أشرك بالله عن الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير حيث يشاء فان الاهواء المردية توزع أفكاره أو قذفت به الريح فى

مكان بعيد فان الشيطان قد طرحه فى وادى الضلالة أو المعنى من أشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها باستلاب الطير لحمه وتفرق أجزائه فى حواصلها أو بسقوطه فى المكان البعيد بعصف الريح به (ذلك) أى الامر ذلك لتباعد لمن أشرك بالله أو امتثلوا ذلك أمر الله (ومن يعظم شعائر الله) أى معالم الحج وهى الهدايا (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب وان عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار وسميت الهدايا شعائر لتعليمها بعلامة يعرف بها انها هدايا كطعن حديدة فى سنامها وتعليق النعال فى أعناقها وتعليق آذان القرب فى آذان الغنم (لكم فيها) أى الشعائر واجبة أو مندوبة (منافع) مع تسمية الانعام هدايا بأن تركبوها ان احتجتم اليها وتركبوها الغير كم بلا أجرة فان كان اركابها بأجرة حرم وان تشربوا ألبانها الفاضلة عن ولدها اذا اضطررتم اليها (الى أجل مسمى) اى الى أن تنحروها ولا تسمى الانعام شعارا قبل أن تسمى هديا كما اختاره الشافعى وروى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو فى جهد فقال صلى الله عليه وسلم اركبها ويلك (ثم محلها الى البيت العتيق) اى ثم أعظم هذه المنافع وقت وجوب نحر الهدايا منتهية الى الحرم كله قال صلى الله عليه وسلم كل فجاج منى منحر (ولكل أمة) من الامم السالفة من عهد ابراهيم عليه السلام الى من بعده (جعلنا منسكا) اى قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ أهل الكوفة الا عاصما منسكا بكسر السين اى مذبحا وهو موضع ذبح القربان وقرأ الباقون بالفتح وهو اراقة الدم لوجه الله تعالى وهو ذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) اى عند ذبحها وفى هذا تنبيه على أن المقصود الاصلى من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الانعام (فالهكم اله واحد) فلا تذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفى هذا بيان ان الله تعالى واحد فى ذاته كما انه واحد فى الهيته لكل الخلق (فله أسلموا) أى اذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له الذكر بحيث لا يشوبه اشراك البتة وانقادوا له تعالى فى جميع تكاليفه (وبشر المخبتين) أى المتواضعين فالحاج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس وكشف الرأس والغربة من الاوطان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكاليف والمصائب فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل ان أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها وقرأ الحسن والمقيمى الصلاة بنصب الصلاة على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب اذا امروا بأمر من الله تعالى وبالصبر اذا أصابهم البلاء من الله تعالى وباقامة الصلاة فى وقت السفر للحج وبصدقة التطوع أى لذلك أوجل أثر ان الصبر على البلايا التى من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما اعز الاشياء عند الانسان فالخدمة بالنفس هى الصلاة والخدمة بالمال هى انفاقه فى وجوه الخيرات (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى اعلام دينه وهو مفعول ثان ولكم متعلق به والبدن عند الشافعى خاصة بالابل وعند أبى حنيفة الابل والبقر (لكم فيها) اى البدن (خير) اى منافع دينية ودنيوية هى درها ونسلها وصوفها وظهرها (فاذكروا اسم الله عليها) اى على نحرها (صواف) اى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بان تقولوا عند الذبح بسم

الله

الله والله أكبر اللهم منك واليك وقرئ صوافن بضم النون وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله تعالى لا تشركوا بالله فى التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب وعن عمرو بن عبيد صوافيا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت على الارض وذلك عند خروج الروح منها (فكلوا منها) ان شئتم اذا كانت الاضاحى تطوعا (وأطعموا القانع) أى الراضى بما يدفع اليه من غير سؤال (والمعتر) أى الذى يعتر بالسلام ولا يسأل بل يرى نفسه للناس كالزائر (كذلك) اى مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها اى فالله تعالى جعل الابل والبقر بالصفة التى يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فى الدنيا والدين (لعلكم تشكرون) أى لتشكروا انعامنا عليكم بالاخلاص (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يصل الى الله تعالى أى الى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها ولكن يقبل الله الاعمال الطاهرة منكم فنها التصدق باللحم وهو من عمل العبد فيرفع الى الله وأما نفس اللحم المتصدق به فلا يرفع الى الله والمعنى ان الله لا يثيبكم على لحمها الا اذا وقع موقعا من وجوه الخير وهو امتثال أمره تعالى وتعظيمه والاخلاص له تعالى وروى انهم كانوا فى الجاهلية يضربون لحم الاضاحى على حائط الكعبة ويلطخونها بدمها فأراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة وتضميخ الكعبة بالدم تقربا الى الله تعالى فنزلت هذه الآية (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) أى انما سخر الله تعالى البدن لكم هكذا لتشكروا الله تعالى على ارشادكم الى اعلام دينكم والى كيفية التقرب بها والى طريق تذليلها ولتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال مع الالف وكسر الفاء أى يبالغ فى دفع ضرر المشركين عن الذين آمنوا (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانات الله تعالى وهى أوامره ونواهيه (كفور) لنعمته وهم المشركون فانهم أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا (أذن للذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم فى رواية حفص اذن بالبناء للمجهول والباقون بالبناء للفاعل وقرأ أهل المدينة وعاصم يقاتلون بالبناء للمفعول وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ببناء الفعلين للفاعل وأبو عمرو وأبو بكر ببناء الاول للمفعول والثانى للفاعل وابن عامر عكس هذا أى أذن الله بعد الهجرة للذين يريدون قتال المشركين فى ان يقاتلوا (بأنهم ظلموا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بسبب انهم مظلومون بالايذاء وقيل كان مشركوا مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذى شديدا وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم) أى نصر المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون عليهم (لقدير) وعد الله للمؤمنين بالنصر على طريق الكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) مكة المعظمة فالموصول اما نعت للموصول الاول أو الثانى أو بيان له أو بدل منه واما منصوب على المدح أو مرفوع باضمار مبتدا على المدح (بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وهذا بدل من حق أى انهم أخرجوا من مكة بغير سبب الا بقولهم ربنا الله وحده ومحمد رسوله الينا فالتوحيد هو الذى ينبغى ان يكون سبب التمكين فى مكة لا سبب

الاخراج فالاخراج به اخراج بغير حق (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل زمان (لهدمت صوامع) للرهبانية (وبيع) للنصارى (وصلوات) أي كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أي في هذه المواضع الاربعة (اسم الله كثيرا) قال الزجاج أي ولولا دفاع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالاذن لهم في جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل الاديان وعطلوا مواضع عبادات المؤمنين منهم فهدم في شرع كل نبي المكان الذي يصلي فيه فلولا ذلك الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه وهي المسماة بالصلوات وهي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر وبه قرئ في الشواذ ومعناه في لغتهم مصلى وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وهما للنصارى لكن الصوامع هي التي يبنونها في الصحارى والبيع هي التي يبنونها في البلدان وفي زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء مع الالف وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال (ولينصرن الله من ينصره) أي من ينصر دينه وأولياءه بان يظفرهم باعدائهم بالتجلد في القتال وبايضاح الادلة وبالاعانة على الطاعات (ان الله لقوي) على هذه النصرة التي وعدها للمؤمنين (عزيز) أي لا يمنعه شيء وقد أنجز الله وعده بأن سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) أي المأذون لهم في القتال المخرجون من ديارهم هم الذين ان أعطيناهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق أتوا بالامور الاربعة وهي اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا دليل على صحة امامة الخلفاء الاربعة لان الله تعالى لم يعط نفاذ الامر غيرهم من المهاجرين أما الانصار فلم يخرجوا من ديارهم وفي هذه الآية اخبار من الله تعالى بالغيب عما تكون عليه سيرة المهاجرين ان أعطاهم السلطنة على الارض وثناء منه تعالى عليهم قبل احداثهم الخير (ولله عاقبة الامور) وفي هذا اشارة الى حضور سلطنة من أخرجهم كفار مكة ووقوع ملكه مع السيرة العادلة وهم الخلفاء الراشدون ثم ان الامور ترجع الى الله تعالى في العاقبة فانه تعالى هو الذي لا يزول ملكه أبدا وفي هذا تأكيد للوعد باعلاء دينه تعالى واظهار أوليائه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) أي وان تحزن يا أشرف الخلق على تكذيب قومك اياك فانت يا أكرم الرسل لست باوحدي في التكذيب فتسل بهم فانه قد كذب سائر الامم أنبياءهم قبل تكذيب قومك اياك كذب قوم نوح الذين هم من أشد الناس نوحا عليه السلام وكذب قوم هود الذين هم ذوو الابدان الشداد هودا عليه السلام وكذب قوم صالح الذين هم أولوا الابنية الطوال في الجبال والسهول صالحا عليه السلام وكذب قوم ابراهيم المتكبرون ابراهيم عليه السلام وكذب قوم لوط الانجاس لوطا عليه السلام وكذب قوم شعيب أرباب الاموال المجموعة شعيبا عليه السلام وكذب أهل مصر وهم القبط موسى عليه السلام (فأمليت للكافرين) أي أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم (ثم أخذتهم) بعذاب الاستئصال (فكيف كان نكير) أي فانظر يا سيد الرسل كيف كان تغييري عليهم فان الله غير حياتهم باهلاكهم بعذاب الاستئصال وعمارتهم بالخراب (فكأين من قرية أهلكناها) وقرأ أبو عمرو ويعقوب أهلكتها على وفق فأمليت ثم أخذتهم أي فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها (وهي ظالمة) أي كافرة أهلها وهذه جملة حالية من مفعول أهلكنا (فهي خاوية على عروشها) أي فهي ساقطة حيطانها على

سقوفها

سقوفها بأن خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو وهي خالية عن الناس مع بقاء عروشها وهذه معطوفة على أهلكناها فلا محل لها من الاعراب ان جعلت أهلكناها مفسرة المضمر ناصب لكائن ومحلها رفع ان جعل خبر الكائن (وبئر معطلة) أي وكم بئر عامرة كثيرة الماء متروكة لا يستسقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) أي مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنه روى أبو هريرة ان هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهم بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات ثم وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمروا عليها جاهر بن جلاس وجعلوا وزيره سنجاريب وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه في السوق فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم وعلى هذا فالمراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته (أفلم يسيروا في الارض) أي أغفل أهل مكة فلم يسافروا في تجاراتهم (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من أخبار الرسول (فانها) الضمير للقصة يفسره ما بعده (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة والاعتماد في التقليد (ويستعجلونك بالعذاب) أي تطلب قريش كالنضر بن الحرث أن تأتيهم بالعذاب عاجلا استهزاء بك وتعجيزا لك على زعمهم وكان رسول الله يهددهم بنقمات الله دنيا وأخرى وهم يقولون ان ما حذرتنا به لا يقع وانه لا بعث فذكر الله تعالى نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة بقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) في انزال العذاب بكم في الدنيا وقد أنجز الله وعده يوم بدر فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أي وان يوما من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا في كثرة الآلام وشدتها فلو عرفوا حال عذاب الآخرة انه بهذا الوصف لما استعجلوه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء التحتية فيكون مناسبا لقوله ويستعجلونك وقرأ الباقون بالتاء فيكون التفاتا (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكم من أهل قرية أخرت اهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاغتروا بذلك التأخر (ثم أخذتها والى المصير) أي ثم عاقبت أهل تلك القرية في الدنيا بأن أنزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم مدخر في الآخرة فاذا رجعوا الى أفعل بهم ما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس) أي يا أهل مكة (انما أنا لكم نذير مبين) أي انما أنذركم انذارا بينا بما أوحى الي من أنباء الامم المهلكة وليس بي تعجيل للعذاب ولا تأخير وانما بعثت للانذار فاستهزاؤكم بذلك لا يمنعني منه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب الصغائر والكبائر (ورزق كريم) أي ثواب حسن في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي الذين اجتهدوا في ابطال آياتنا حيث قالوا القرآن شعر أو سحر أو أساطير الاولين (معاجزين) أي معارضين المؤمنين فكلما طلب المؤمنون اظهار الحق طلب هؤلاء ابطاله أو ظانين عجزنا عنهم بأن لا يدركهم عذابنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم بعد العين المفتوحة أي مثبطين الناس عن الايمان أو طامعين عجز الرسول بالمكايد ظانين ذلك (أولئك) الموصوف بالسعي في ابطال القرآن واعتقاد المعجزاته أو للرسول أو للمؤمنين (أصحاب الجحيم) أي ملازموا النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) أي اذا قرأ النبي أو الرسول (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في قراءة ذلك النبي أو الرسول وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل قراءته للقرآن

فارتصد الشيطان سكتته ونطق بقوله تلك الغرانيق العلا * وان شفاعتهن لترتجى محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه فظنها من قول النبى وأشاعها وفى هذا اخبار من الله تعالى بأن رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا صوتهم فهذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا ان نبينا قاله لانه معصوم وفى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه قد حزن بذلك وشبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طيور الماء التى تعلو فى السماء وترتفع لاعتقاد الكفار انها تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم وانما سميت القراءة أمنية لان القارئ اذا انتهى الى آية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى آية عذاب تمنى أن لا يبتلى به (فينسخ الله) أى يزيل (ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) أى يثبت الله القرآن انبيه لكى يعمل بها (والله عليم) بمصالح عباده المخلصين (حكيم) فيما يجرى عليهم من الاعمال والاحوال ومن حكمته تعالى فيما يلقى الشيطان (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون (والقاسية قلوبهم) وهم المشركون المصرون على جهلهم ظاهرا وباطنا فيرون الباطل حقا فأثبتوه ونفوا الحق فأبعدهم الله بهذا الامتحان عن حضرته (وان الظالمين) أى هؤلاء المنافقين والمشركين (لفى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة قالت قريش ندم محمد على ذكر منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكانت الكلمتان اللتان زادهما الشيطان فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم قد وقعتا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا على ما كانوا عليه وشدة على من أسلم (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى الذين رزقوا حسن بصيرة الذين يميزون بها بين الحق والباطل (أنه الحق من ربك) أى أن القرآن هو الحق النازل من عند ربك (فيؤمنوا به) أى فيثبتوا على الايمان بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) أى فتنقاد قلوبهم بالقبول لما فى القرآن من الاوامر والنواهى (وان الله لهادى الذين آمنوا) فى الامور الدينية (الى صراط مستقيم) أى الى نظر صحيح موصل الى الحق الصريح (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) أى فى شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة) أى القيامة نفسها (بغتة) أى فجأة من دون أن يشعروا (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أى عذاب يوم لا يوم بعده فيستمر ذلك اليوم كاستمرار المرأة على تعطل الولادة (الملك يومئذ) أى فى يوم عقيم (لله) وحده فلا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات فى أمر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما فى الدنيا فانه تعالى ملك فيها الامور غيره صورة (يحكم بينهم) أى بين المؤمنين بالقرآن والمارين فيه (فالذين آمنوا) بالقرآن ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالا عما أمروا فيه (فى جنات النعيم) يكرمون بالتحف فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى أصروا على ذلك (فأولئك لهم عذاب مهين) أى شديد بسبب معاصيهم أما اعطاء الثواب فبفضل الله لا بأعمالهم كلها وحكمة ذكر الفاء وتركه فى الجانبين (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى هاجروا الى المدينة لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وللتقرب الى الله تعالى (ثم قتلوا) أى قتلهم العدو وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (أو ماتوا) فى سفر أو حضر من غير قتل (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة لاستواء النوعين فى القصد وأصل العمل وروى أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت هذه الآية (وان الله لهو خير الرازقين) فان ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والرزق الصادر منه لمحض الاحسان وان غيره انما يدفع الرزق من يده ليد غيره ولا يفعل نفس الرزق ويرزق لانتفاعه اما لاجل خير وجمعن الواجب أو

لاجل أن يستحق بالاعطاء ثناء أو عوضا أو لاجل الرقة الجنسية وأما الله تعالى فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد من أحد كمالا زائدا فهو يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بأن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم ادخالا فوق ما يتمونه ومدخلا فوق الذى يهونه وقيل هو خيمة من درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال ابن عباس انهم يرون فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون عنها حولا وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم أى مكانا (وان الله لعليم) بما يرضونه وبما يستحقونه فيعطيهم ذلك فى الجنة ويزيدهم (حليم) فلا يعجل من عصاه بالعقوبة لتقع التوبة منه فيستحق الجنة (ذلك) أى الامر ذلك الذى قصصناه عليك من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا أو ماتوا (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) أى والذى قاتل من كان يقاتله من الكفار ثم ان القاتل ظلم عليه بأن ألجىء الى مفارقة الوطن وابتدئ بالقتال لينصرن الله المظلوم على الظالم قوله بمثل ما عوقب به الباء الاولى للآلة والثانية للسببية والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجىء الشىء بعد غيره قال مقاتل نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال بعضهم لبعض ان أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فحصل فى أنفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام شىء فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله لعفو) عن هذه الاساءة (غفور) لهم ما صدر عنهم من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المطلوب اليهما واغا عفا عنهم ذلك مع كونه محرما اذ ذاك لانهم فعلوه دفعا للصائل فكان من نوع الواجب عليهم وهذا تنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى النصر بسبب انه تعالى قادر ومن آيات قدرته كونه خالق الليل والنهار فذلك قوله تعالى (بأن الله) تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى بسبب ان الله تعالى يزيد فى أحد الملوين ما ينقص عن الآخر من الساعات أو بحصل ظلمة أحدهما فى مكان ضياء الآخر وعكسه (وأن الله سميع) بكل المسموعات (بصير) بجميع المبصرات أى ان الله كما يقدر على مالا يقدر عليه غيره فكذلك يدوم الاتصاف بالسمع والبصر فلا يحتاج لسمعه الى سكون الليل ولا لبصره الى ضياء النهار (ذلك) أى الاتصاف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) أى الثابت الذى يمتنع عليه التغير فى ذاته وصفاته فعبادته هو الحق (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) أى وان ما يعبده المشركون من غير الله هو الباطل ألوهيته وانه معدوم فى حد ذاته وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على خطاب المشركين وقرئ بالبناء للمفعول على أن الواو عائد لما فانه كناية عن الآلهة (وأن الله هو العلى الكبير) أى وان الله هو القاهر الذى لا يغلب القادر على الضر والنفع العظيم فى سلطانه الذى لا تدرك حقيقته (ألم تر) أى ألم تعلم أيها المخاطب (أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) أى فتصير الارض نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد (ان الله لطيف) أى رحيم بعباده فى اخراج النبات (خبير) أى عالم بمقادير مصالحهم وبما فى قلوبهم (له ما فى السموات وما فى الارض) فكل ذلك منقاد له وهو تعالى غير ممتنع من التصرف فيه (وان الله لهو الغنى الحميد) أى الغنى عن الاشياء كلها لانه كامل لذاته والكامل لذاته غنى عن كل ما عداه فى كل الامور ولكنه لما خلق الحيوان خلق الاشياء رحمة للحيوانات لا لحاجة الى ذلك وكان انعامه تعالى خاليا عن غرض عائد اليه فكان مستحقا للحمد فوجب أن يكون حميدا (ألم تر) أيها المخاطب (أن الله) تعالى (سخر لكم ما فى الارض)

أى جعل مافيها معدة لمنافعكم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مذللة لكم وذلل لكم الحيوانات حتى تنتفعوا بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها ولولا تسخيره تعالى الابل والبقر والخيل لما انتفع بها أحد (والفلك) معطوف على ما أو على اسم أن (تجرى فى البحر) حال من الفلك أو خبر (بأمره) أى باذنه فلولا أن الله سخر السفن بالماء والرياح لجريها لكانت تغوص أو تقف (ويمسك السماء أن تقع على الارض) أى ويمنع السماء من أن تقع على الارض (الا باذنه) أى الا بمشيئته وذلك يوم القيامة لان النعم المتقدمة لا تكمل الا بامساك السماء من السقوط لانه جرم ثقيل مسكن الملائكة لا بدله من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذى أحياكم) بعد ان كنتم نطفا بعد ان كنتم معدومين (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم البعث للثواب والعقاب (ان الانسان) أى المشرك كبديل بن ورقاء الخزاعى والاسود بن عبد الاسد وأبى جهل والعاص بن وائل وأبى بن خلف (لكفور) أى لجحود لنعم الله مع ظهورها حيث ترك توحيده تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) أى لكل أمة معينة وضعنا شريعة خاصة تلك الامة المعينة عاملون بها فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة هم عاملون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث نبينا منسكهم الانجيل هم عاملون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبى ومن بعدهم الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا (فلا ينازعنك فى الامر) أى يجب على أرباب الملل أن يتبعوك وأن يتركوا مخالفتك فى أمر الدين وقد استقر الامر الآن على شرعك (وادع الى ربك) أى ادعهم الى شريعتك ولا تخص بالدعاء الى توحيد ربك أمة دون أمة فكلهم أمتك (انك لعلى هدى مستقيم) أى على أدلة دين واضحة موصلة الى الله تعالى (وان جادلوك) أى ان عدلوا عن النظر فى هذه الادلة الى طريق المجادلة والتمسك بالعادة (فقل) لهم على سبيل التحذير من حكم يوم القيامة الذى يتردد بين جنة لمن قبل ونار لمن أنكر (الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها (الله يحكم بينكم) أى يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين فتعرفون حينئذ الحق من الباطل (ألم تعلم) أى قد علمت يا أشرف الخلق (أن الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ مما يقوله الكفرة وما يعملونه (ان ذلك) أى ما فى السماء والارض (فى كتاب) أى لوح محفوظ (ان ذلك) أى ان علم ما فى السماء والارض بغير الكتاب جملة وتفصيلا (على الله يسير) أى هين وان تعذر على الخلق (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أى ويعبد كفار مكة متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل الله بجواز عبادته حجة من جهة الوحى وما ليس لهم بجواز عبادته علم من دليل عقلى أى ان عبادتهم لغير الله من الاصنام ليست مأخوذة من دليل سمعى ولا من دليل عقلى بل هو من تقليد أو جهل أو شبهة فوجب أن يكون ذلك باطلا (وما للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى ليس لهم ناصر فى مذهبهم بالحجة ولا فى دفع عذاب الله عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) أى واضحات فى الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة (تعرف) يا أشرف الخلق (فى وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) أى الكراهية للقرآن وأثر الغضب (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا)

أى

أي يكادون يثبون على من يقرؤن القرآن عليهم بالبطش من فرط الغضب (قل) رداعليهم (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أي أخاطبكم فأخبركم بأشر من غيظكم على التالين وقهركم عليهم ومن الضجر بسبب ماتلي عليكم (النار وعدها الله الذين كفروا) اذاماتوا على الكفر فالنار امامبتدأ وخبره مابعده أوخبر مبتدأ مقدر وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة بالنصب على الاختصاص أوعلى انه منصوب بفعل مقدر يفسره مابعده وقرأ ابن أبي اسحق وابراهيم بن نوح بالجر بدلا من شر (وبئس المصير) النار (ياأيها الناس) أي يا أهل مكة (ضرب مثل) أي بين لكم حال عجيبة غريبة (فاستمعوا له) أي تدبروا المثل حق تدبره (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) أي ان الاصنام الذين تعبدونهم لن يقدروا على خلق الذباب مع صغره (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه أي تعاونوا على خلقه فكيف يليق بالعاقل جعل الاصنام معبودا (وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه) أي وان يأخذ الذباب من الاصنام شيأ من الطيب والعسل الذي لطخوا عليها لا تسترده من الذباب قال ابن عباس انهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس أي ضعف الذباب والصنم فالذباب طالب ما يأخذه من الذي على الصنم وقال الضحاك أي ضعف العابد والمعبود ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ماقدروا الله حق قدره) أي ماعرفوا الله حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) أي غالب على جميع الاشياء (الله يصطفى من الملائكة رسلا) الى بني آدم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والحفظة (ومن الناس) أي ويختار من الناس رسلا مختصين بالنفوس الزكية كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم نزلت هذه الآية لما قال الوليد بن المغيرة مع موافقة الباقي لم ينزل على محمد القرآن لانه ليس بأكبرنا ولا بأشرفنا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بأفعالهم وبمن يستحق الرسالة (يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم الله ما عملوه وماسيعملونه من أمور الدنيا (والى الله ترجع الامور) وهذا اشارة الى التفرد بالالهية والحكم والى الزجر عن مباشرة المعصية (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي ارجعوا من تكبر قيام الانسانية الى تواضع الحيوانية وذلة النباتية قال ابن عباس ان الناس كانوا في أول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية (واعبدوا ربكم) بسائر ما كلفكم به خالصا لوجهه (وافعلوا الخير) واجبا ومندوبا وتوجهوا الى الله تعالى في جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) أي لتظفروا بنعيم الجنة أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين أنها مقبولة عند الله تعالى والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له (وجاهدوا في الله) أي لله أعداء دينه الظاهرة والباطنة من أهل الضلال والهوى والنفس (حق جهاده) أي جهادا من أجل الله حقا لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم أو الغنيمة (هو اجتباكم) أي اختاركم للاشتغال بطاعته من بين سائر البريات (وما جعل عليكم في الدين) أي في أمر الدين (من حرج) أي ضيق بتكليف مايشق عليكم اقامته (ملة أبيكم ابراهيم) أي سهل الله عليكم الدين مثل ملة أبيكم ابراهيم فانه أبو رسول الله وهو كالاب لامته ولان أكثر العرب كانوا من ذرية ابراهيم فغلبوا على غيرهم (هو) أي الله كما قرأ أبي بن كعب (سماكم المسلمين من قبل) أي قبل هذا القرآن في كتب الانبياء (وفي هذا) أي القرآن بقوله تعالى ورضيت لكم

الاسلام دينا وقيل الله سماكم المسلمين في الازل من قبل أن خلقكم و بعد أن خلقكم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة بأنه بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أي الامم الماضية بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فلما خصكم الله بهذه الكرامة فاعبدوه وتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لفضلهما (واعتصموا بالله) قال القفال أي اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون وقال ابن عباس أي سلوا الله العصمة عن كل المحرمات أي ولا تطلبوا الاعانة في كل الامور الا منه تعالى (هو مولاكم) أي حافظكم (فنعم المولى) أي الحافظ (ونعم النصير) بل فلا حافظ ولا ناصر في الحقيقة سواه تعالى

﴿سورة المؤمنون مكية مائة وثمان عشرة آية عند الكوفيين وتسع عشرة عند البصريين وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون) أي فازوا بالمراد وقرأ طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول أي قد أدخلوا في الفلاح الذي هو الوصول الى الله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي خاضعون للمعبود بالقلب غير ملتفتين بالخواطر الى شئ سوى التعظيم ساكنون بالجوارح مطرقون ناظرون الى مواضع سجودهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم والخشوع من فروض الصلاة عند الغزالي والحضور عندنا ليس شرطا للاجزاء بل شرط للقبول كما قاله الرازي (والذين هم عن اللغو معرضون) أي الذين هم تاركون لما لا حاجة اليه في أمور الدين والدنيا من الاقوال والافعال في عامة أوقاتهم (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أي ممسكون فلا يرسلونها على أحد (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أي سراريهم (فانهم غير ملومين) على عدم حفظها منهن اذا كان أتيانهن على وجه الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) أي فمن طلب غير ذلك المستثنى كاتيان بهيمة أو زنا أو لواط أو استمناء بيد (فأولئك هم العادون) أي الكاملون في مجاوزة الحدود (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي قائمون بحفظ واصلاح فكل ما يكون تركه داخلا في الخيانة فهو أمانة والعهد هو ما عقده العبد على نفسه فيما يقربه الى الله تعالى وما أمر الله تعالى به وذلك كالوضوء والاغتسال من الجنابة والصلاة والصوم والودائع والاسرار وغير ذلك وقرأ نافع وابن كثير لامانتهم بالافراد (والذين هم على صلواتهم يحافظون) لشروطها من وقت وطهارة وغيرهما ولاركانها وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد (أولئك) أي المؤمنون المتصفون بتلك الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان وروى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وسمى استحقاقهم الفردوس بأعمالهم بحسب وعده تعالى لان انتقال الجنة اليهم بدون محاسبة ومعرفة بمقاديرها (هم فيها) أي الفردوس (خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا (ولقد خلقنا الانسان) أي جنس الانسان (من سلالة من طين) أي من خلاصة كائنة من طين (ثم جعلناه) أي السلالة (نطفة) أي منيا أربعين يوما (في قرار مكين) أي مكان حريز فان الله تعالى خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في صلب الاب فقذفه الصلب بالجماع الى رحم الام فصار الرحم مستقرا حصينا لهذه النطفة (ثم خلقنا النطفة علقة) أي

ثم صيرنا المنى الابيض دما جامدا أربعين يوما (ثم خلقنا العلقة مضغة) أى ثم صيرنا الدم الجامد الاحمر لحما صغيرا مقدار ما يمضغ أربعين يوما (فخلقنا المضغة عظاما) أى فصيرنا اللحم الصغير عظاما بلا لحم بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات مخصوصة من رأس ورجلين وما بينهما (فكسونا العظام لحما) وشددناها بالاعصاب والعروق فاللحم يستر العظام كالكسوة وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظما والعظم بالافراد فى الموضعين (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى حولنا العظام المستورة باللحم عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها شرح الشارحين فان الله جعلها حيوانا ناطقا سميعا بصيرا عاقلا وأودع كل جزء من اجزائه عجائب وغرائب لا يحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله أحسن الخالقين) أى فتعالى شأن الله تعالى أتقن المحولين (ثم انكم بعد ذلك) أى التركيب بالامور العجيبة (لميتون) أى لصائرون الى الموت وقرأ ابن أبى عبلة وابن محيص لمائتون (ثم انكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات طوارق بعضها فوق بعض وانما قيل للسموات طرائق لتطارقها اى لكون بعضها موضوعا فوق بعض طاقا فوق طاق كمطارقة النعل فجعل الله فى السموات موضع الارزاق بانزال الماء منها وكان نزول الوحى ومقر الملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) بل كنا حافظين لهم عن ان تسقط عليهم الطباق السبع فتهلكهم ولسنا تاركين لهم بلا أمر ولا نهى ولا غافلين عن أعمالهم ومصالحهم (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أى بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم قال الرازى ان الله تعالى أصعد الاجزاء المائية من قعر الارض الى البحار ومن البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ينزلها الله على قدر الحاجة اليها اه وفى الاحاديث ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه فى السماء ماء وفى الارض ماء (فأسكناه فى الارض) أى جعلناه قارا فيها بعضه فى بطنها وبعضه على ظهرها كالانهار والغدران والعيون (وانا على ذهاب به) أى على ازالته بالافساد أو بالتصعيد أو بالتغوير فى الارض (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله (فأنشأنا لكم به) أى بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) وانما ذكرهما الله تعالى لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أى البساتين (فواكه كثيرة) من ألوان شتى (ومنها تأكلون) أى ترزقون وتحصلون معايشكم أى تتنعمون بفوائد البستان وتتعيشون بها (وشجرة) أى وأنشأنا لكم زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو جبل نودى منه موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل فى فلسطين ومن قرأ بفتح السين منع الصرف لالف التأنيث الممدودة ومن قرأ بكسرها وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو فقد منع الصرف للعلمية والعجمية فان الهمزة ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس قيل ان الزيتونة أول شجرة تنبت بعد الطوفان (تنبت بالدهن) أى تخرج الدهن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء أى تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن أى تنبت الشجرة بالشىء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يغمس الخبز فيه للائتدام (وان لكم فى الانعام) أى الابل (لعبرة) يستدلون بأحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته وتشكرونه (نسقيكم مما فى بطونها) أى تنتفعون بلبنها فى الشرب وغيره ووجه الاعتبار فى اللبن انه يجتمع فى الضرع ويتخلص من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فيستحيل الى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة ويصير غذاء فهذا اللبن الذى يخرج من بطونها الى ضرعها تجده شرابا طيبا نافعا

للبدن واذا ذبحتهالم تجد له أثرا فمن استدل بذلك على قدرة الله تعالى وحكمته كان ذلك معدودا من النعم الدينية ومن انتفع به كان معدودا من النعم الدنيوية (ولكم فيها) أى الانعام (منافع كثيرة) كالانتفاع بثمنها وأجرتها (ومنها) أى الانعام بعد ذبحها (تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى الانعام (وعلى الفلك تحملون) فان الانتفاع بالابل فى المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالسفن فى البحر ولذلك جمع الله بينهما فى انعامه لكى يشكر على ذلك ويستدل به (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وهم جميع أهل الارض (فقال) متعطفا عليهم (ياقوم اعبدوا الله) وحده فلا تعبدوا سواه (مالكم من اله غيره) بالرفع صفة لاله باعتبار محله على أنه فاعل أو مبتدأ مؤخر أو محذوف الخبر ولكم للتبيين أى مالكم فى العالم اله غيره تعالى وقرأ الكسائى بجر غيره صفة لاله على الاحتمالين الأولين باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أى أتعرفون انتفاء الاله غيره تعالى فلا تتقون أنفسكم عذابه تعالى بسبب اشراككم به فى العبادة مالا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه (فقال الملأ) أى الرؤساء (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ماهذا) أى نوح (الا بشر مثلكم) فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه (يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب الفضل عليكم بادعاء الرسالة لتكونوا أتباعا له (ولوشاء الله لأنزل ملائكة) أى لوشاء الله ارسال الرسول الينا لأنزل ملكا من الملائكة (ماسمعنا بهذا) أى بالامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ماسواه (فى آبائنا الأولين) أى الماضين قبل بعثة نوح عليه السلام وذلك لكون آبائهم فى زمان فترة متطاولة واما لغلوهم فى التكذيب وانهماكهم فى الضلال ويقال ماسمعنا بنوح أنه نبى فى الذين مضوا قبلنا فى زمنه عليه السلام (ان هو الا رجل به جنة) أى مانوح الا رجل فيه جنون ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا (فتربصوا به حتى حين) أى انتظروه الى زمن موته أو المراد أنه مجنون فاصبروا الى زمان تظهر عاقبة أمره فيه فان افاق فذاك واضح والا فاقتلوه (قال) نوح لما رآهم قد أصروا على التكذيب حتى يئس من ايمانهم بالكلية (رب انصرنى بما كذبون) بالرسالة أى أبدلنى من غير تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى (فأوحينا اليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) فأن مفسرة لوقوعها بعد فعل فيه معنى القول (بأعيننا) أى بحفظنا لك عن أن تخطئ فى صنعها أو يفسدها عليك غيرك فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (ووحينا) أى وتعليمنا فأوحى الله اليه جبريل فعلمه صنعة السفينة وصنعها فى عامين وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين وجعلها ثلاث طبقات السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس (فاذا جاء أمرنا) أى وقت عذابنا عقب تمام الفلك (وفار التنور) لآدم عليه السلام عند طلوع الفجر وكان فى موضع مسجد الكوفة عن يمين الداخل من باب كنده اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام (فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) أى فأدخل فى الفلك من كل حيوان حضر فى هذا الوقت فردين مزدوجين ذكرا وأنثى لكى لا ينقطع نسل ذلك الحيوان وقرأ حفص بتنوين كل فزوجين مفعول به واثنين تأكيد أى من كل نوع وقرأ الباقون بغير تنوين فاثنين مفعول به (وأهلك) أى وأدخل فى الفلك أهل بيتك من زوجك وأولادك (الا من سبق عليه القول منهم) أى الوعد الازلى من الله تعالى بالاهلاك وهو ولده كنعان وأم كنعان فهى كافرة (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مغرقون) أى انهم محكوم عليهم بالغرق بالطوفان (فاذا استويت أنت) أى ركبت (ومن معك) من المؤمنين والدواب

وغيرها

وغيرها (على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) ومن الغرق بالالتجاء الى السفينة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) أى مكان نزول فيه خير كثير وهو نفس السفينة لان من ركبها خلصته من الغرق وقرأ أبو بكر منزلا بفتح الميم وكسر الزاى والباقون بضم الميم وفتح الزاى (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا والآخرة (ان فى ذلك) أى فى قصة نوح وقومه (لآيات) جليلة فان اظهار تلك المياه العظيمة ثم الاذهاب بها لا يقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام يدل على المعجز العظيم وافناء الكفار و بقاء الارض لأهل الدين من أعظم أنواع العبر فى الدعاء الى الايمان والزجر عن الكفر (وان كنا لمبتلين) أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم مختبرين به عبادنا فيما بعد لننظر من يتذكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) هم عاد (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود عليه السلام (أن اعبدوا الله) أى وقلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده (ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) عذابه (وقال الملأ) أى الرؤساء (من قومه) أى الرسول (الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب (وأترفناهم) أى نعمناهم بالاموال والاولاد (فى الحياة الدنيا) يخاطبون أتباعهم مضلين لهم (ماهذا) أى الرسول (الا بشر مثلكم) فى الصفات والاحوال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) فكيف يكون رسولا (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى ان امتثلتم آدميا مثلكم فى الخلق والحال بأوامره (انكم اذا) أى ان أطعتموه (لخاسرون) أى مغلوبون فى عقولكم جاهلون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا) أى وصارت أجسامكم ترابا (وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من القبور أحياء كما كنتم (هيهات هيهات لما توعدون) أى بعد حصول ما توعدون من خروجكم من القبور فلا يقع هذا (ان هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا حياتنا فى الدنيا (نموت ونحيى) أى يموت بعضنا ويحيى بعضنا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أى ما مدعى الرسالة الا رجل تعمد على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) أى بمصدقين فيما يقوله من البعث بعد الموت ومن دعوى الرسالة (قال) أى هود بعد يأسه من ايمانهم (رب انصرنى بما كذبون) أى انتقم لى منهم بسبب تكذيبهم اياى (قال) تعالى عدة بالقبول (عما قليل ليصبحن نادمين) أى بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) أى دمرهم الله تعالى بالصيحة العظيمة و بالريح العقيم بالعدل من الله تعالى وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار بأهله اليها فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا (فجعلناهم غثاء) أى فجعلناهم بعد موتهم مثل ورق يابس يحمله السيل فى عدم المبالاة بهم (فبعدا للقوم الظالمين) فبعدا مصدر منصوب بفعل لا يستعمل اظهاره لانه بمعنى الدعاء عليهم وللقوم متعلق بمحذوف واللام للبيان فالله تعالى ذكر ذلك على وجه الاهانة لهم وهو التبعيد من الخير وقد نزل بهم العذاب دالا على ذلك مع ان الذى ينزل بهم فى الآخرة من العذاب أعظم مما نزل بهم ليكون ذلك عبرة لمن يجيء بعدهم والمعنى أهلكوا وخابوا من رحمة الله تعالى دنيا وأخرى (ثم أنشأنا من بعدهم) أى بعد هلاكهم (قرونا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب و يونس وأيوب فالله تعالى ما أخلى الارض من مكلفين بل أوجدهم و بلغهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كان قبلهم فى عمارة الدنيا (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) فلا تهلك أمة قبل مجيء أجلها

ولا يستأخرون عنه بساعة فالله تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا توجد الا على وفق العلم والمقتول ميت بأجله اذ لو قتل قبل أجله لكان قد تقدم الاجل أو تأخر وذلك ينافيه هذا النص (ثم أرسلنا رسلنا) أى أرسلنا الى كل قرن من القرون رسولا خاصا به (تترى) أى واحدا بعد واحد بينهما زمان طويل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهى قراءة الشافعى تترى بالتنوين فألفه للالحاق بجعفر فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين وباقى السبعة تترى بألف صريحة دون تنوين والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة والتاء بدل من الواو فانه مأخوذ من الوتر وهو الفرد وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل وقع حالا أى متواترة أى متتابعة فرادى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) وسلكوا فى تكذيب أنبيائهم مسلك من أهلكوا (فأتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) أى ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا فيعتبر منهم أهل السعادة ويتغافل منهم أهل الشقاوة (فبعدا لقوم لا يؤمنون) أى بعدوا من رحمة الله تعالى بعدا اذ لم يؤمنوا ولم يعتبروا منهم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) أى حجة واضحة ملزمة للخصم فى الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة (الى فرعون وملئه) أى أشراف قومه (فاستكبروا) عن الانقياد لهما (وكانوا قوما عالين) فى أمور الدنيا قاهرين بنى اسرائيل بالظلم (فقالوا) فيما بينهم بطريق المناصحة (أنؤمن) أى أننقاد (لبشرين) موسى وهرون (مثلنا) فى البشرية (وقومهما لنا عابدون) أى والحال أن قومهما بنى اسرائيل خاضعون لنا خادمون كالعبيد لنا (فكذبوهما) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) أى فصاروا من المغرقين فى بحر قلزم (ولقد آتينا) بعد اهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل (موسى الكتاب) اى التوراة (لعلهم يهتدون) اى لكى يهتدوا الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الاحكام (وجعلنا ابن مريم عيسى (وأمه آية) دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر ونطقه فى الصغر (وآويناهما الى ربوة) اى أسكناهما فى أرض مرتفعة فقال عطاء عن ابن عباس هى بيت المقدس فهو أقرب بقاع الارض الى السماء ويزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هى دمشق وعليه الاكثرون وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بالضم (ذات قرار) أى مستوية مبسوطة ذات نعيم (ومعين) اى ماء ظاهر جار على وجه الارض (يا أيها الرسل) نودى بهذا المعنى كل رسول فى زمانه ليعتقد السامع ان أمرا نودى له جميع الرسل وأمروا به حقيق أن يعمل به والمعنى نخبرك يا محمد انا أمرنا الرسل المتقدمين وقلنا لهم الخ دالا على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات اى وقلنا لكل رسول (كلوا من الطيبات) أى الحلالات سواء كانت مستلذة أولا (واعملوا صالحا) أى عملا صالحا من فرض ونفل والاكل اذا كان بأمر الشرع لا بأمر الطبع يكون من نتائجه الاعمال الصالحة (انى بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجازيكم عليه وهذا تحذير لهم من الله تعالى من مخالفة ما أمرهم به واذا كان هذا تحذيرا للرسل مع علو شأنهم فبأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى (وان هذه) أى العقائد (أمتكم) أى دينكم أيها المخاطبون (أمة واحدة) أى دينا واحدا والاختلاف فى الشرائع لا يسمى اختلافا فى الدين وقرأ الكوفيون بكسر همزة ان على الاستئناف الداخل فيما خوطب به الرسل والباقون بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولان وقيل على العطف على ما أى انى عليم بأن هذه أمتكم وقرأ ابن عامر وان باسكان النون فاسمها ضمير الشأن وهذه مبتدأ وأمتكم خبر وأمة حال لازمة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية (فاتقون) أى فأطيعونى (فتقطعوا أمرهم بينهم

زبرا)

زبرا) اى جعل اتباع الانبياء أمر دينهم مع اتحاده قطعا متفرقة وأديانا مختلفة بينهم فزبرا جمع زبرة بمعنى قطعة كغرفة وغرف فهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا (كل حزب بما لديهم فرحون) اى كل فريق منهم معجبون بما اتخذوه دينا فيرى كل منهم انه المحق الرابح وان غيره المبطل الخاسر (فذرهم فى غمرتهم حتى حين) اى اترك يا أشرف الخلق كفار مكة فى جهلهم الى موتهم على الكفر أو الى مجىء عذابهم بالقتل وغيره (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات) اى أيظنون ان الذى نعطيهم اياه من المال والبنين نسارع به لهم فى اكرامهم ليكونوا فارغى البال من غير اشتغال بالتكاليف (بل لا يشعرون) حتى يتفكروا فى ذلك الامداد اهو استدراج أم مسارعة فى الخير اى فهم اشباه البهائم لا فطنة لهم (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اى ان الذين هم من خوف عذاب ربهم حذرون من أسباب العذاب دائمون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) اى يصدقون بأن يستدلوا بهذه المخلوقات على وجود الصانع ويصدقوا بأن ما فى القرآن حق من ربهم (والذين هم بربهم لا يشركون) بأن يكون العبد مخلصا فى العبادة لا يقدم عليها الا لطلب رضوان الله تعالى ومن الشرك ملاحظة الخلق فى الرد والقبول والفرح بمدحهم والانكسار بذمهم وقصور النظر فى المسار والمضار على الاسباب عند انقطاع النظر عن المسبب الذى هو الله تعالى كنظر حصول الشفاء من الدواء والشبع من الطعام وليس المراد من عدم الاشراك هنا نفى الشريك لله تعالى لان ذلك داخل فى ما تقدم (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) اى والذين يعطون ما أعطوه من الصدقات والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم الى ربهم راجعون) وقرأت عائشة وابن عباس والحسن والاعمش يأتون ما أتوا من الاتيان اى ويفعلون ما فعلوه من الطاعات والحال أن قلوبهم خائفة من رجوعهم الى ربهم فلا يقبل منهم ذلك ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ وهذا مناط الوجل وقرأ الاعمش انهم بكسر الهمزة على الاستئناف (أولئك) اى أهل هذه الصفات الاربعة (يسارعون فى الخيرات) اى يناولون فى الدنيا أنواع النفع ووجوه الاكرام (وهم لها سابقون) اى هم فاعلون السبق لاجل الخيرات اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها وتفيد معنى الثبوت بعد ما تفيد معنى التجدد وقوله أولئك خبر عن ان الذين الخ وقرئ يسرعون فى الخيرات (ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى طاقتها اى فان الله تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم (ولدينا كتاب) اى صحائف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب (ينطق بالحق) اى يظهر المطابق للواقع فأعمال العباد كلها مثبتة فى صحائفهم فلا يضيع لعامل جزاء عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وهم لا يظلمون) فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عقاب (بل قلوبهم) اى الكفرة (فى غمرة) اى غفلة (من هذا) الذى بيناه فى القرآن من أن لدينا ديوان الحفظة الذى يظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها (ولهم) اى الكفار (أعمال من دون ذلك) أى أعمال سيئة غير كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون معاصيهم كطعنهم فى القرآن واقامة اماثهم فى الزنا (هم لها عاملون) هم مستمرون على اعمال سيئة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى أكابرهم الذين أمدهم الله تعالى بالمال والبنين (بالعذاب) أى الاخروى (اذا هم يجأرون) أى يرتفع صوتهم بالاستغاثة فى كشف العذاب عنهم لشدة ما هم عليه ويقال لهم على وجه التبكيت (لا تجأروا اليوم) أن لا تلتجئوا اليوم الينا (انكم منا لا تنصرون)

أى لانه لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما نزل بكم (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى فكنتم تعرضون عن تلك الآيات وتنفرون عمن يتلوها وهذا مثل يضرب فيمن تباعد عن الحق كل التباعد وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه على أدباركم بدل على أعقابكم (مستكبرين به سامرا) فالجار والمجرور متعلق بقوله مستكبرين والباء سببية والضمير يعود الى الحرم أى متعظمين بالحرم أو متعلق بسامرا والباء بمعنى فى والضمير يعود الى البيت الحرم أى ساهرين فى الليل المظلم يتحدثون حول البيت العتيق والذى يسوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت ويجوز ان يكون متعلقا بتهجرون والضمير يعود الى القرآن (تهجرون) قرأه نافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم أى تسبون القرآن وتسمونه سحرا وشعرا والباقون بفتح التاء وضم الجيم أى تتركون القرآن وتعرضون عنه وكانوا يجتمعون حول الكعبة فى الليل يتحدثون وكان أكثر حديثهم ذكر القرآن والطعن فيه وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يقولون لا يعلو علينا أحد لانا أهل الحرم وقوله مستكبرين وقوله سامرا وقوله تهجرون أحوال من الواو فى تنكصون أو كل واحدة حال من ضمير ماقبلها وسامرا اسم جمع كحاج وراكب وحاضر وغائب فالكل يطلق على الجمع (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم) أى افعلوا مافعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بمافيه من أعجاز النظم والاخبار بالغيب انه الحق من ربهم بل أجاءهم من الكتاب وبعثة الرسل مالم يأت آباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فكلهم آمنوا بالله تعالى وكتبه ورسله فان مجىء الكتب من الله تعالى الى الرسل عادة قديمة له تعالى وان مجىء القرآن على طريقته فن أين ينكرونه بل ألم يعرفوا رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى فهم جاحدون برسالة رسولهم أى انهم عرفوا منه صلى الله عليه وسلم قبل ادعاء الرسالة كونه فى غاية الفرار من الكذب فكيف كذبوه بعد اتفاق كلمتهم على تسميته صلى الله عليه وسلم بالامين (أم يقولون به جنة) أى بل أيقولون فى رسولهم جنون ويقولون انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه مع انه أرجح الناس عقلا وأوفرهم رزانة (بل جاءهم بالحق) أى جاءهم رسولهم عليه الصلاة والسلام بالصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا (وأكثرهم للحق) أى أى حق كان (كارهون) من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث علموا انهم لو أقروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لزالت مناصبهم واختلت رياساتهم فلذلك كرهوه وكان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أولعدم فكرته لا لكراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أى لو كان الحق الذى كرهوه موافقا لاهوائهم الباطلة لخرجت السموات والارض ومن فيهن عن الصلاح والانتظام بالكلية (بل أتيناهم بذكرهم) أى بل جئناهم بالقرآن الذى فيه شرفهم وقرأ أبو عمرو فى رواية آتيناهم بالمد والهمزة أى أعطيناهم فخرهم فالباء مزيدة فى بذكرهم وقرأ ابن أبى اسحق وعيسى بن عمرو وأبو عمرو أيضا أتيتهم بتاء المتكلم وحده وقرأ الجحدرى وأبو رجاء أتيتهم بالتاء على خطاب الرسول عليه السلام وقرأ عيسى بذكراهم بألف التانيث أى بوعظهم وقرأ أبو قتادة نذكرهم بنون المتكلم مضارع ذكر مشدد الكاف وهى جملة حالية (فهم عن ذكرهم) أى فخرهم وشرفهم (معرضون)

وكان

وكان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال (أم تسألهم خرجا) وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وبالالف والباقون بسكونها (فخراج ربك خير) وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها وبالالف أي أم تسألهم على هدايتهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء ربك خير فلا يجوز أن ينفروا عن قبول قوله صلى الله عليه وسلم لاجل هذه التهمة البعيدة وهم غير معذورين البتة وهم محجوجون من جميع الوجوه فهذا توبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك ولا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وهو خير الرازقين) أي أفضل المعطين في الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) اى عن جنس الصراط (لناكبون) أي منحرفون فلا يطلق على ما ذهبوا اليه اسم الصراط لغاية ضلالهم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) أي ولو كشفنا عنهم ما أصابهم من جوع وسائر مضار الدنيا لتمادوا في ضلالهم وهم متحيرون عن الهدى لا يبصرون الحق وقد كان الامر كذلك روى انه لما أسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة عن أهل مكة فأخذهم الله تعالى بالسنين سبع سنين حتى أكلوا الجلود والجيف والعلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية وذلك بسبب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف (ولقد أخذناهم بالعذاب) وهو ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر (فما استكانوا لربهم) أى فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون) اى فما يؤمنون أى محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع الذى هو أشد منهما فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى فى شئ وانما هو نوع خشوع الى أن يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا اشبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة (اذا هم فيه) أى فى ذلك العذاب (مبلسون) أى آيسون من كل خير (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة) وخص الله هذه الثلاثة بالذكر لأن الاستدلال موقوف عليها (قليلا ما تشكرون) اى شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة يا أهل مكة (وهو الذى ذرأكم فى الارض) أى هو الذى جعلكم فى الارض متناسلين (واليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة الى موضع لا حاكم فيها سواه وجعل حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه (وهو الذى يحيي ويميت) وينقل من نعمة الحياة الى دار الثواب والعقاب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو المؤثر فى تعاقبهما واختلافهما ازديادا وانتقاصا (أفلا تعقلون) أى أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر ان الكل مناف ان قدرتنا تعم الممكنات التى من جملتها البعث بعد الموت (بل قالوا) أى فلم تعقل كفار مكة بل قالوا (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم فى انكار البعث مع وضوح الدلائل (قالوا) مقلدين للاولين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) بعد ذلك (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) أى من قبل مجىء محمد أى لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقا أى فلما لم يوجد البعث مع طول الزمان ظنوا أنه يكون فى دار الدنيا ثم قالوا (ان هذا) أى ما هذا

الذى تقول يا محمد (الا أساطير الأولين) أى الا أكاذيبهم التى كتبوها (قل) يا أشرف الرسل لكفار مكة (لمن الارض ومن فيها) من المخلوقات (ان كنتم تعلمون) فاخبرونى بخالقهما (سيقولون لله قل) لهم بعد أن يجيبوا باعترافهم (أفلا تذكرون) أى أتعلمون ذلك فلا تتذكرون أن من قدر على خلق الارض ومافيها ابتداء قادر على اعادته ثانيا (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل) الخامالهم (أفلا تتقون) أى أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا فى الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شئ) أى من تحت قدرته ملك كل شئ من انس وجن وغيرهما (وهو يجير) أى يغيث غيره اذا شاء (ولا يجار عليه) أى لا يغاث أحد منه اذا أراد هلاكه (ان كنتم تعلمون) ذلك فأجيبونى (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو سيقولون الله فى الاخيرتين من غير لام جر مع رفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله من لان المسؤل به مرفوع المحل وهو من لجاء جوابه مرفوعا والباقون لله باللام فى الاخيرين وهو جواب على المعنى لأن التقدير فى الموضع الأول منهما قل من له السموات السبع والعرش وفى الثانى قل من له ملكوت كل شئ فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما جواب السؤال الأول فهو لله باللام باتفاق السبعة لأنها قد صرح بها فى السؤال (قل) لهم يا أشرف الخلق (فأنى تسحرون) أى فمن أين تصرفون عن الرشد الى الغى (بل أتيناهم بالحق) الذى هو التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) فى ادعاء الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) لا من الملائكة ولا من غيرهم كما قال الكفار (وما كان معه من اله) يشاركه فى الالوهية كما يقوله الثنوية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فاذا بمعنى لو الامتناعية أى لو كان معه آلهة كما يقولون لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده تعالى حينئذ ملكوت كل شئ وهو باطل لا يقول به عاقل قط (سبحان الله عما يصفون) من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) وقرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائى بالرفع خبر مبتدأ محذوف والباقون بالجر بدل من الجلالة وهذا دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك كأنه قيل الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (فتعالى عما يشركون) فان تفرده تعالى بذلك موجب لتنزهه عن أن يكون له شريك وشبيه (قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى ان كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب الدنيوى المستأصل فلا تجعلنى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وأعيد لفظ الرب مبالغة فى التضرع وفى بمعنى مع (وانا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب المستأصل (لقادرون) ولكنا نؤخره لحكمة الداعية الى التأخير وهذا يدل على صحة قدرته تعالى لا على خلاف علمه فانه تعالى أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك لحكمة فصحة القدرة غير المعلوم والكافرون ينكرون التهديد بالعذاب ويضحكون به (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) أى قابل اساءتهم بما أمكن من الاحسان وتكذيبهم بالكلام الجميل وبيان الأدلة على أحسن الوجوه قيل هذه الآية محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى وهن فى الدين أو نقصان فى المروءة (نحن أعلم بما يصفون) أى بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أى من أن يحوموا حولى فى حال من الاحوال لأنهم انما يحضرون بقصد سوء (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى

أعمل صالحا فيما تركت) وحتى متعلقة بيصفون أى هى معمولة لمحذوف يدل عليه ذلك أى يستمر كفار مكة على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم الموت وظهرت له أحوال الآخرة قال رب ردنى الى الدنيا لكى أعمل صالحا فيما قصرت فى الايمان وفى العبادات البدنية والمالية والحقوق وقوله ارجعون خطاب الله وجمع الضمير تعظيم الله أو لتكرير قوله ارجعنى كأنه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى ثلاث مرات كما قالوا فى قوله ألقيا فى جهنم أنه بمعنى ألق ألق فثنى الفعل للدلالة على ذلك وقوله رب منادى وقيل الخطاب للملائكة الذين يقبضون الارواح وهم جماعة ورب للقسم فكأنه عند معاينة مقعده من النار وملك الموت وأعوانه قال بحق الرب ارجعون الى الدنيا لكى أصلح ما أفسدت وأطيع فى كل ما عصيت ومكنونى من التدارك لعلى أتدارك فيما خلفت من المال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الموت جمع كل شئ كان يمنعه من حقه بين يديه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت أى لكى أصير عند الرجعة مؤديا بالحق الله تعالى فيما تركت التركة (كلا) أى لا يرد الى الدنيا وهذا كالجواب لهم فى المنع عما طلبوا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان لا بل قدوما على الله تعالى وأما الكافر فيقال له نرجعك فيقول ارجعون فيقال له الى أى شئ ترغب الى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أو شق الأنهار فيقول لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا (انها) أى قوله رب ارجعون الى آخره (كلمة هو قائلها) لا محالة لتسلط الحسرة عليه ولكنها لا تفيده (ومن وراءهم) أى أمامهم (برزخ) أى حائل مانع لهم عن الرجوع الى الدنيا وهو مدة بين الموت والبعث وذلك قوله تعالى (الى يوم يبعثون) من قبورهم (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث (فلا أنساب بينهم يومئذ) أى فلا يتفاخرون بأنسابهم ولا يتراحمون بها فى ذلك اليوم (ولا يتساءلون) عنها لاشتغال كل منهم بنفسه قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ العبد والامة يوم القيامة على رؤس الاشهاد وينادى مناد ألا ان هذا فلان فمن له عليه حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة حينئذ أن يثبت لها حق على أمها أو اختها أو أبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وعن قتادة لا شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يراهم من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شئ والصور آلة ينفخ فيه وقال الحسن الصور مجموع الصورة وكان يقرأ بفتح الواو وقرأ أبو رزين بفتح الواو وكسر الصاد والمعنى فاذا نفخ فى الاجساد أرواحها فلا قرابة تنفعهم لزوال التعاطف من فرط الحيرة وأما قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فبعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها قدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مرهوب (ومن خفت موازينه) أى ومن لم يكن قدر عنده تعالى من العقائد والاعمال وهم الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن صارت منازلهم من الجنان للمؤمنين (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة (تلفح وجوههم النار) أى تضربها وتأكل لحومها وتحرق جلودها (وهم فيها كالحون) أى متقلصوا الشفتين عن الاسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) فى الدنيا تبين لكم بالدلائل الواضحة كيفية سلوك الطريق الحق (فكنتم بها) أى بآياتى (تكذبون) فصرتم مستحقين للعذاب الاليم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) بسوء اختيارنا وفى قراءة سبعية شقاوتنا بفتح الشين وقرأ قتادة بالكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أى يا ربنا أخرجنا

من النار ومن هذه الدار الى دار الدنيا فان عدنا الى الاعمال السيئة فانا ظالمون على أنفسنا (قال) الله لهم بلسان مالك (اخسؤا فيها) أى ذلوا فى النار (ولا تكلمون) بطلب الاخراج من النار وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألف سنة ثانية ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا ثالثة يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا رابعة ربنا أخرجنا منها فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال فينادون ألفا خامسة أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا سادسة رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها (انه) أى الشأن وقرأ أبى بفتح الهمزة أى لانه (كان فريق من عبادى يقولون) فى الدنيا (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) أى أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) وقرأ نافع وأهل المدينة وأهل الكوفة عن عاصم بضم السين فى جميع القرآن وقرأ الباقون بالكسر ههنا وفى ص وقال الخليل وسيبويه هما لغتان وقال الكسائى والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى السخرية والعبودية (حتى أنسوكم ذكرى) أى طاعتى (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء والمعنى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا أخرجنا الى آخره لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الى آخره وتتشاغلون باستهزائهم حتى أنساكم الاستهزاء بهم عن توحيدى وطاعتى قال مقاتل ان رؤساء قريش مثل أبى جهل وعتبة وأبى بن خلف كانوا يستهزؤن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحكون بالفقراء منهم مثل بلال وخباب وعمار وصهيب (انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) وقرأ حمزة والكسائى انهم بكسر الهمزة تعليل للجزاء والباقون بالفتح ثانى مفعولى جزيت فمعنى الاول فانهم قد فازوا بسبب صبرهم على أذيتكم اياهم فجوزوا أحسن الجزاء ومعنى الثانى انهم انتفعوا بأذيتكم اياهم بسبب صبرهم على أذيتكم فانى جزيتهم اليوم بفوزهم بجامع مراداتهم مخصوصين به (قال) أى الله لهم بلسان مالك توبيخا (كم لبثتم فى الأرض) أى فى الدنيا التى تطلبون ان ترجعوا اليها (عدد سنين) تمييز لكم والغرض من هذا السؤال التبكيت لانهم كانوا لا يعدون اللبث الا فى دار الدنيا ويظنون ان الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا فى النار وأيقنوا انهم مخلدون فيها سألهم الله كم لبثتم فى الارض فانهم فيها تمكنوا من العلم والعمل تذكيرا لهم بأن الذى ظنوه طويلا فهو قليل بالنسبة الى ما أنكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه فى الدنيا من حيث أيقنوا خلافه (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) يشكون فى ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بالنسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أى الذين يحصون الاعمال وأوقات الحياة والممات أو الذين يعدون أيام الدنيا وساعاتها فانا قد نسيناه وقرئ العادين بتخفيف الدال أى الظلمة رؤساءنا الذين أضلونا وقرئ العاديين أى القدماء المعمرين (قال) الله لهم بلسان مالك (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى ما لبثتم فى الدنيا الا زمانا قليلا لو علمتم البعث فان الدنيا قليل أيامها فى مقابلة أيام الآخرة ولكنكم لما أنكرتم ذلك كنتم تعدون الدنيا طويلا ولو علمتم أن لبثكم فى الآخرة لا نهاية له لاصلحتم أعمالكم فى الدنيا ولتقربتم بها الى الله تعالى وقرأ الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم بالامر فى الموضعين خطاب للملك وابن كثير كالاخوين فى الموضع الاول فقط والباقون قال بالماضى فى الموضعين

(أفحسبتم

(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى ألم تعلموا يا أهل مكة شيأ فحسبتم انما خلقناكم لاجل العبث بل لحكمة بالغة فخلقناكم بلا معنى يضركم أو ينفعكم حتى عشتم كما تعيش البهائم فما تقربتم الينا بالاعمال الصالحة حتى أنكرتم البعث (وأنكم الينا لا ترجعون) فلولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى والصديق من الزنديق فخلقكم بغير بعث من نوع العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله) أى تبرأ الله عن العبث وعن خلو أفعاله عن المصالح والغايات الحميدة (الملك) أى المتصرف فى كل شئ (الحق) أى الثابت الذى لا يزول ملكه (لا اله الا هو) فان كل ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) أى مالك السرير الحسن وقرئ الكريم بالرفع صفة لرب أى الجامع لصفات الكمال (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) وقوله لا برهان صفة لازمة لالها وقوله فانما جواب الشرط أى ومن يعبد الها آخر لا حجة له بعبادته فهو تعالى مجازله فى الآخرة بقدر ما يستحقه و يبلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله تعالى (انه لا يفلح الكافرون) والجمهور على كسر همزة انه على الاستئناف المفيد للعلة وقرأ الحسن وقتادة بفتح الهمزة فيكون خبر حسابه المعنى حسابه فى الآخرة عدم الفلاح (وقل) يا أكرم الرسل (رب اغفر) أى تجاوز عنى وعن أمتى (وارحم) أمتى فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أى أرحم الراحمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿سورة النور مدنية وهى أربع وستون آية وألف وثلاثمائة وستة عشر كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سورة) قرأ العامة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هذه الآيات الآتى ذكرها سورة وقرأ الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفى وعيسى الكوفى ومجاهد وأبو حيوة بالنصب بفعل يفسره ما بعده أو بفعل آخر نحو اقرأ أو اتبعوا (أنزلناها) أى أعطيناها الرسول (وفرضناها) أى أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض عليهم (وأنزلنا فيها) أى فى أثناء السورة (آيات) نيطت بها الاحكام المفروضة (بينات) أى واضحة دلالتها على أحكامها كبراءة الصديقة بنت الصديق (لعلكم تذكرون) أى تتذكرونها فتعملون بها وقرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف الذال وحذف احدى التاءين والباقون بالتشديد (الزانية) أى المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه (والزانى) وهما بكران (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أى ضربة وجملة فاجلدوا خبر المبتدا والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى وقرأ عيسى الثقفى ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وأبو شيبة بنصب الاسمين على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ والزان بلا ياء (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رحمة (فى دين الله) أى فى طاعة الله واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوه وقرأ العامة رأفة هنا وفى الحديد بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وقرأ ابن جريج كما روى عن ابن كثير وعاصم بمد الهمزة على وزن سحابة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم منى فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة

اقامة حد بأرض خير من مطر أربعين ليلة (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي وليحضر حدهما جمع يحصل به التشهير والزجر وعن ابن عباس هم أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى (الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك) وهذا كما قال القفال المراد منه الاعم الاغلب وذلك لان الفاسق الخبيث الذي من عادته الزنا والفسق لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في فاسقة أو في مشركة والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها الفسقة والمشركون فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي فكذا ههنا (وحرم ذلك على المؤمنين) أي ان صرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات محرم على المؤمنين أي الحصر المذكور وهو ان الزاني لا يرغب الا في الزانية محرم عليهم ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية قال مجاهد وعطا بن أبي رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب في كسبهن ناس من فقراء المشركين وقالوا نتزوج بهن الى ان يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فتقدير الآية أولئك الزناة لا ينكحون الا تلك الزواني وتلك الزواني لا ينكحهن الا أولئك الزناة وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين فالالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين وان كانت للعموم ظاهرا لكنه ههنا مخصوص بالاقوام الذين نزلت في حقهم هذه الآية ودليل جواز نكاح الزانية ماروى عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتي لاتمنع يد لامس قال طلقها قال فاني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها (والذين يرمون المحصنات) أي يقذفون الحرائر المسلمات المكلفات العفائف بالزنا (ثم لم يأتوا) الى الحكام (بأربعة شهداء) ذكور يشهدون على صحة مارموهن به (فاجلدوهم) أيها الحكام (ثمانين جلدة) لظهور كذبهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء (ولا تقبلوا لهم شهادة) أي لاتقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي (أبدا) أي مدة حياتهم وان تابوا وأصلحوا لان رد الشهادة منهم تتمة للحد لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن فان القاذف قد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه وفائدة قوله تعالى لهم تخصيص الرد بشهاداتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد (وأولئك هم الفاسقون) أي المحكوم عليهم بالفسق (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أي من بعد اقترافهم ذلك الذنب العظيم (وأصلحوا) أعمالهم بعد التوبة (فان الله غفور رحيم) فحينئذ لا ينظمهم في سلك الفاسقين ومحل المستثنى نصب لانه عن مثبت وهو راجع الى الفسق فقط كما قال أبو حنيفة ان الفاسق لا تقبل توبته وان تاب وهذا الاستثناء راجع الى رد الشهادة والى الفسق كما هو مذهب مالك والشافعي وكما روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم فعند الشافعي ان التائب تقبل شهادته ويزول فسقه ومعنى الابد عنده مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة قال الشافعي التوبة من القذف اكذابه نفسه كما روى عن عمر بن الخطاب انه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته

ومن

ومن لا يفعل لم أجز شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا وكان عمر يقبل شهادتهما وأما أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته وما أنكر على عمر أحد من الصحابة واتفق الائمة الاربعة على عدم رجوع الاستثناء الى قوله تعالى فاجلدوهم فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على ان الا بمعنى غير أو وجدت البينة ولكن لم يريدوا اظهارها (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) وقرأ حفص وحمزة والكسائي برفع أربع خبر لشهادة وبالله متعلق بشهادات أو بشهادات والباقون بنصب أربع على انه مفعول مطلق والعامل فيه شهادة وهو خبر لمبتدا محذوف أي فالواجب شهادة أو مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة كل واحد منهم واجبة (والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا وقرأ نافع بسكون نون ان و رفع لعنة والباقون بتشديد النون ونصب لعنة وهو خبر والخامسة أو بدل منها أو على تقدير حرف الجر أي بأن لعنة الله ويجوز ان تكون الخامسة معطوفا على المبتدا فالخبر المحذوف خبر عن المعطوف والمعطوف عليه وجملة والخامسة ان لعنة الله الخ معترضة بين المبتدا وخبره المحذوف وقرئ والخامسة بالنصب على معنى و يشهد الخامسة كما قاله الرازى (ويدرؤا عنها العذاب) أى يدفع عن المقذوفة حد الزنا الذى ثبت بيمين القاذف (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان) أى زوجها (من الصادقين) فيما قال عليها وقرأ حفص والخامسة بالنصب أى وتشهد الشهادة الخامسة وما بعدها بدل منها أو على تقدير حرف الجر والباقون بالرفع وما بعدها خبرها وقرأ نافع ان بالسكون وغضب الله بكسر الضاد وضم الجلالة على انه فعل وفاعل والباقون بتشديد ان وقرئ غضب بالرفع مع تخفيف ان روى ان هلال بن أمية قذف امرأته بالزنا عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحما فقال صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فقال هلال والذى بعثك بالحق انى لصادق ولينزل الله ما يبرئ ظهرى من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين فلما سرى عنه قال صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا قال قد كنت أرجو ذلك من الله تعالى فقرأ عليهم هذه الآيات فقال صلى الله عليه وسلم ادعوها فدعيت فكذبت هلالا فقال صلى الله عليه وسلم والله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب وأمر بالملاعنة فشهد هلال أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال صلى الله عليه وسلم عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الخامسة ثم قال رسول الله أتشهدين فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فلما أخذت فى الخامسة قال لها اتقى الله فان الخامسة هى الموجبة فتفكرت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومى وشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ثم قال انظروها فان جاءت به أثيبج أصهب أحمش الساقين فهو لهلال وان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لكان ما كان أى لولم يشرع الله لهم اللعان لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر انه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة ولانه أعرف بحال زوجته وانما أوجب الله لهم أربعة شهداء للستر على من اقترف الكبائر و بعد ما شرع لهم ذلك لو جعل أيمانه موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر له ولو جعل أيمانها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له فجعل أيمان

كل منهما دارئة للغائلة الدنيوية مع كذب أحدهما حتما وفى ذلك آثار التفضل والرحمة أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله فى الدنيا بدرء الحد عنه لعله يتوب فى الدنيا فغفر له وكما ستر الله عليهم فى الدنيا ولم يفضحهم باظهار صدقهم وكذبهم وأجلهم بالعقوبة الى الآخرة لدرك التوبة فى الدنيا كذلك جعل سنة اللعان باقية بين المسلمين ليكون الحكمة باقية بينهم سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (ان الذين جاؤا بالافك) أى بأبلغ الكذب (عصبة منكم) أى جماعة من المؤمنين وهم زيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعباد بن المطلب وحمنة بنت جحش وهى زوجة طلحة بن عبيد الله وعصبة خبران وهى من العشرة الى الاربعين (لا تحسبوه) الافك (شرا لكم) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى ثمانى عشر آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم فان قصة الافك كانت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وفى حق عائشة وأبويها وفى حق جميع الصحابة امتحانا لهم وتهذيبا فان البلاء للاولياء كاللهب للذهب كما قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وقال صلى الله عليه وسلم يبتلى الرجل على قدر دينه أى وذلك لان الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فاذا حصلت مساكنة بعضهم الى بعض أجرى الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده الى حضرته وان النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل له أى الناس أحب اليك قال عائشة فساكنها وقال يا عائشة حبك فى قلبى كالعقدة وفى بعض الاخبار ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله انى أحبك وأحب قربك اهـ فأجرى الله تعالى حديث أهل الافك حتى رد الله رسوله عن عائشة الى الله تعالى بانحلال عقدة حبها عن قلبه ورد عائشة عنه صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى حتى قالت لما ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك وقصة الافك ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزوة قبل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسمى فخرجت معه صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا رجعنا وقربنا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت والتمسته وحبسنى طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فحملوا هودجى فظنوا انى فى الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى فلما رجعت لم أجد فى المكان أحدا فغمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه نزل حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها ثم قاد البعير حتى أتينا الجيش فتفقدنى الناس حين نزلوا وماجوا فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذا هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى والذى بدأ بالافك وأذاعه بين الناس عبد الله بن أبى فقدمنا المدينة فلحقنى وجع ولم أر من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أعرفه منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فلا أشعر بما جرى من الافك حتى نقهت فخرجت فى بعض الليالى مع أم مسطح جهة المناصع وكان متبرزنا ثم أقبلت أنا وهى قبل بيتى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أوما بلغك الخبر فقلت وما هو فقالت أشهد أنك من المؤمنات الغافلات ثم أخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

كيف

كيف تيكم فقلت له ائذن لى ان آتى أبوى فأذن لى فأتيت أبوى فقلت لأمى يا أماه ماذا يتحدث الناس فقالت يا بنية هونى عليك فوالله ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها ثم قالت ألم تكونى علمت ما قيل فيك حتى الآن فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت فدخل على أبى وأنا أبكى فقال لأمى ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل فيها حتى الآن فأقبل يبكى ثم قال اسكتى يا بنية فكنت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع وأبواى يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل فى ما قيل ثم قال أما بعد يا عائشة بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فاض دمعى ثم قلت لأبى أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدرى ما أقول فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله فقالت والله ما أدرى ما أقول فقلت والله لقد علمت أنكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى بريئة منه لا تصدقونى والله لا أجد لى ولكم مثلا الا ما قال العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله أنا أعلم ان الله يبرئنى وكنت أرجو أن يرى رسول الله فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله الوحى على نبيه فوالله ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان نفس أبوى ستخرجان فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرى عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال ابشرى يا عائشة فقد برأك الله فقلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك فقالت أمى قومى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد أحدا الا الله الذى أنزل براءتى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب الحد على عبد الله بن أبى ومسطح وحمنة وحسان (لكل امرئ منهم) أى على كل امرئ من أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) أى جزاؤه فقدر العقاب يكون مثل قدر الخوض فى الاثم وصار حسان أعمى أشل اليدين فى آخر عمره ومسطح بن أثاثة وابن خالة أبى بكر الصديق مكفوف البصر وجلدت معهما امرأة من قريش (والذى تولى كبره منهم) أى الذى تحمل أكثر الافك من أولئك العصبة فابتدأ به ورغب فى اشاعته وهو عبد الله بن أبى (له عذاب عظيم) فى الآخرة بالنار وفى الدنيا بالحد وبالطرد وبأنه مشهود عليه بالنفاق (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) أى هلا ظننتم بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم خيرا حين سمعتم الافك ولم يقولوا حينئذ هذا افك ظاهر فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى ان أبا أيوب الانصارى قال لام أيوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) أى هلا أتوا على ما قالوا بأربعة شهداء عاينوا الزنا (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أى حين لم يقيموا بينة على ما قالوا فأولئك الخائضون فى حكمه تعالى هم الكاملون فى الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) أى ولولا فضل الله عليكم أيها

السامعون والمستمعون ورحمته فى الدنيا بالامهال للتوبة وفى الآخرة بالمغفرة بعد التوبة لاصابكم عاجلا بسبب حديث الافك الذى خضتم فيه عذاب عظيم (اذ تلقونه بألسنتكم) أى وقت أخذكم حديث الافك من المخترعين حتى اشتهر بسبب افاضتكم (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) أى تقولون بأفواهكم كلاماليس تفسيرا عن علم فى قلوبكم (وتحسبونه) أى حديث الافك (هينا) أى ذنبا صغيرا أولا اثم فيه حيث سكتم عن انكاره (وهو عند الله) أى والحال ان حديث الافك عنده تعالى (عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب (ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) أى وهلا قلتم تكذيبا للمخترعين والمشيعين حين سمعتم حديث الافك مايليق لنا أن نتكلم بهذا القول وان يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه (سبحانك) أى أتعجب ممن تفوه بهذا الكلام فانه أمر عظيم وأنزه الله تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة (هذا بهتان عظيم) أى كذب عظيم عند الله لعظمة المتقول عليه ولاستحالة صدق هذا القول (يعظكم الله) بهذه المواعظ التى تعرفون بها عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) اى مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان وازع عنه (ويبين الله لكم الآيات) أى لاجلكم الآيات الدالة على محاسن الآداب دلالة واضحة لتتأدبوا بها (والله عليم) بجميع أحوال عباده (حكيم) فى جميع تدابيره وأفعاله (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) أى ان الذين يريدون انتشار الخصلة المفرطة فى القبح فيما بين الناس فالجار متعلق بتشيع أومتعلق بمضمر هو حال من الفاحشة أى ان العصبة الذين يقصدون شيوع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم فى الدنيا) من الحد واللعن والعداوة من الله والمؤمنين ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى فظهر كفره بعد ان كتمه وضرب رسول الله حسانا ومسطحا حد القذف وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف فكف بصره (والآخرة) من عذاب القبر وعذاب النار ومما يعلمه الله تعالى فالحدود جوابر للذنب المحدود به كالقذف وأما ذنب الاقدام فلا يكفره الا التوبة وعذاب الآخرة لعبد الله بن أبى خاصة (والله يعلم) جميع الامور ومن جملتها محبة ظهور الفاحشة (وأنتم لا تعلمون) مايعلمه الله تعالى لان محبة القلب كامنة فالله تعالى لا يخفى عليه شئ وان بالغ العبد فى اخفاء تلك المحبة فهو يعلم ذلك منه ويعلم قدر الجزاء منه أما نحن فلا نعلم محبة القلب الا بالامارات (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بكم (وأن الله رؤف رحيم) لهلكتم (ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى لا تتبعوا آثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه فى الاصغاء الى الافك واشاعة الفاحشة فى المؤمنين (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أى ومن يتبع طرق تزيين الشيطان فقد فعل القبيح ومالا يعرف فى شرع ولا فى سنة لان عادته يأمر بهما (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وبشرع الحدود المكفرة لها (مازكى منكم من أحد أبدا) أى ماطهر أحد منكم من دنس الذنوب الى آخر الدهر فان العصبة قد تابوا وطهروا وغير عبد الله بن أبى فانه استمر على الشقاوة حتى مات وقرأ يعقوب وابن محيصن مازكى بتشديد الكاف أى ماطهر الله تعالى أحدا من أولئك العصبة من تلك الذنوب أبدا (ولكن الله يزكى من يشاء) أى يطهره من الذنوب بحمله على التوبة وبقبولها (والله سميع) لما أظهروه من التوبة ولاقوالكم فى القذف وفى اثبات البراءة لعائشة (عليم) باخلاصكم فى التوبة وبمحبة اشاعة الفاحشة وبكراهيتها (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى ولا يقصر أولوا الفضل فى الدين والسعة

فى

فى المال فى أن يحسنوا اليهم كذا قاله أبو مسلم كما روى عن أبى عبيدة والمعنى عند أكثر المفسرين ولا يحلف أولوا الفضل منكم فى الدين وبالبذل والغنى بالمال على أن لا ينفقوا عليهم وعلى أن لا يعطوهم وقرأ الحسن ولا يتأل (وليعفوا) أى وليتجاوزوا عن الخائضين فى الافك بالظاهر (وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم بالقلب بأن يتناسوا جرمهم وقرئ الافعال الثلاثة بتاء الخطاب (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبى بكر حيث حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين وقد كان يتيما فى حجره وكان ينفق عليه وأن لا ينفق على ذوى قرابته لما خاضوا فى أمر عائشة فلما نزلت الآيات التى أبرأت عائشة من الافك قال لهم أبو بكر قوموا فلستم منى ولست منكم ولا يدخلن أحد منكم على فقال مسطح ننشدك الله والاسلام والقرابة أن لا تحوجنا الى أحد فما كان لنا فى أول الامر من ذنب وانما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول فقال لمسطح ان لم تتكلم فقد ضحكت وشاركت فيما قيل فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا أيها القوم فان الله لم يجعل لكم عذرا ولا فرجا فخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الارض وبعض الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الافك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يا رب انى أحب أن تغفر لى فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ سخط الله عليكم اما اذ عفا عنكم فرحبا بكم فرجع الى مسطح نفقته وحلف أن لا ينزعها منه أبدا وألطف بقرابته وأحسن اليهم وهذا من أعظم أنواع المجاهدات فان مجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار (ان الذين يرمون المحصنات) أى العفائف من الفاحشة (الغافلات) أى النقيات القلوب (المؤمنات) أى المتصفات بالايمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا وهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعنوا فى الدنيا والآخرة) أى عذبوا فى الدنيا بالحد وفى الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهو عذاب الكفر فان كان القذفة مؤمنين فذلك الابعاد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة وضرب الحد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فان الله تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها (يومئذ) أى يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة (يوفيهم الله دينهم الحق) أى يعطيهم الله جزاء عملهم المقطوع بحصوله لهم (ويعلمون) عند معاينتهم الاهوال (أن الله هو الحق المبين) أى الثابت فى ذاته وصفاته وكلماته المنبئة عن الشؤون التى يشاهدونها المظهر للاشياء كما هى فى أنفسها (الخبيثات للخبيثين) أى النساء الخبيثات مختصات بالرجال الخبيثين (والخبيثون للخبيثات) أى والخبيثون لائقة بالنساء الخبيثات ويقال المقالات الخبيثة من القذف مختصة بالخبيثين من أهل الافك من الرجال والنساء ويقال المقالات الخبيثة من اللعن والذم ونحو ذلك مختصة بهم (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى والنساء الطيبات للرجال الطيبين وبالعكس أو المعنى والكلمات الطيبات من قول منكرى الافك للطيبين من الرجال والنساء ويقال والطيبون من الفريقين لائقة بالكلمات الحسنة وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وأفضل الاولين والآخرين تبين كون زوجاته أطيب الطيبات بالضرورة (وأولئك) أى أهل البيت (مبرؤن مما يقولون) أى مما

يقول المنافقون من خبيثات الكلمات فالله تعالى برأ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الاكاذيب الباطلة لكي لا يقدح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة وتزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هذا الامر فلا أحد أطهر منه فأزواجه اذا لا يجوز أن يكن الا طيبات (لهم مغفرة) أي براءة من الله (ورزق كريم) في الآخرة وهذه الجملة خبر ثان لاولئك ويجوز أن يكون لهم خبراً ولئك ومغفرة فاعله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) أي التي تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وحتى يؤذن لكم (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) اى التسليم مع الاستئناس خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر (لعلكم تذكرون) اى أمرتم بهذا التأديب بذلك لكي تتذكروا به وتعملوا به وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وسبب نزول هذه الآية أن امرأة من الانصار قالت يارسول الله اني أكون في بيتي على حال لا أحب ان يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فنزلت هذه الآية فقال أبو بكر يارسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن أفلا تدخلها الا باذن فأنزل الله ليس عليكم جناح الآية (فان لم تجدوا فيها) أي البيوت (أحدا) ممن يملك الاذن (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) من جهة من يملك الاذن عند اتيانه واستثني ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوه (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا سواء كان الامر ممن يملك الاذن أولا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن (ذلكم) اى الرجوع (أزكى لكم) أي أصلح لكم من الوقوف على أبواب الناس لانه قد يكرهه صاحب الدار (والله بما تعملون) من الدخول باذن وبغيره (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح) اى اثم (أن تدخلوا) بغير استئذان (بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس (فيها متاع لكم) اى حق انتفاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) من قصد صلاح او فساد أو اطلاع على عورات في دخول هذه المواضع (قل للمؤمنين) ومقول القول أمر قد حذف لدلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) أي يكفوا أبصارهم عن الحرام ومن زائدة أو للتبعيض لان الغالب ان الاحتراز عن النظرة الاولى لا يمكن فوقع عفو قصد أو لم يقصد ولا يجوز ان يكرر النظر الى الاجنبية لقوله صلى الله عليه وسلم ياعلي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة (ويحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) أي نقص البصر من عمله وحفظ الفرج (أزكى لهم) اى أبعد لهم عن دنس الريبة وأصلح من كل شيء نافع (ان الله خبير بما يصنعون) من اجالة النظر وتحريك الجوارح للحظوظ والحقوق وقدم الامر بمنع البصر على الامر بحفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أكثر (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه (ويحفظن فروجهن) بالتصون عن الزنا (ولا يبدين زينتهن) وهي ثلاثة أمور أحدها الثياب وثانيها الحلي كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيها والغمزة في خديها والحناء في كفيها وقدميها

(الا ماظهر منها) عند مزاولة الامور التي لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب في البدن والغمزة والثياب والسبب في تجويز النظر اليها ان في سترها حرجا بينا لان المرأة لابد لها من مناولة الاشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة والنكاح وفي ذلك مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها كما لا يخفى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي وليرخين قناعهن على صدورهن وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتظهر نحورهن وقلائدهن من جيوبهن فأمرن بارسال مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن (ولا يبدين زينتهن) الخفية المنهية عن ابدائها للاجانب (الا لبعولتهن) فانهن المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود ولكنه يكره نظره (أو آبائهن) وان علون من جهة الذكران والاناث (أو آباء بعولتهن أو أبنائهن) في النسب أو اللبن (أو أبناء بعولتهن) من غيرهن وان سفلوا (أو اخوانهن) في النسب أو اللبن (أو بني اخوانهن) كذلك (أو بني أخواتهن) كذلك لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن فلهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند الخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) المختصة بهن من جهة الاشتراك في الدين وهي حرائر المؤمنات (أو ماملكت أيمانهن) من الاماء دون العبيد فانهم بمنزلة الاجانب من ساداتهم وقيل من الاماء والعبيد فيجوز لهن أن يكشفن لهم ماعدا ما بين السرة والركبة وينظر واله وكذا العكس وذلك بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) اى الذين يتبعون الناس لينالوا من فضل طعامهم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من أمورهن أو شيوخ صلحاء قد ذهبت شهوتهم اذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو ممسوحون وهم ذاهبوا الذكر والانثيين وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر غير بالنصب على الاستثناء والحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي الطفل الذين لم يتصوروا عورات لنساء ولم يدروا ماهي لعدم تمييزهم كما قاله ابن قتيبة أو الذين لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النساء كما قاله الفراء والزجاج فيجوز ان يبدين للتابعين والاطفال ماعدا ما بين السرة والركبة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي لا يضربن الارض بأرجلهن ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال ومن فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله الارض من الرجال ان فعل ذلك عجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يحرم (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) اى توبوا من نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وقال ابن عباس رضي الله عنهما توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة أي فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله كما قال بعض العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه الى ان يلقى ربه وقرأ ابن عامر أيه هنا وفي الزخرف وفي الرحمن بضم الهاء وصلا ووجهه ان الهاء كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين استثقلت الفتحة على حرف خفي فضمت الهاء اتباعا للرسم واتباعا لحركة ماقبلها وقد رسمت هذه الثلاثة دون ألف ووقف أبو عمرو والكسائي بألف والباقون بدونها اتباعا للرسم فالرسم سنة متبعة (وأنكحوا الايامى منكم) اى زوجوا أيها الاولياء والسادات من لازوج له من الاحرار والحرائر (والصالحين) لامر النكاح (من عبادكم وامائكم) ليحصن دينهم وهم الذين تنزلونهم منزلة الاولاد في المودة وفي بذل المال والمنافع وعدم اعتبار الصلاح في

الأحرار والحرائر لأن الغالب فيهم الصلاح لمساعدة الاولياء لهم ولانهم مستقلون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم (ان يكونوا) أي الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) أي لا تنظروا الى فقر أحد الجانبين الخاطب والمخطوبة ففي فضل الله ما يغني عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب (والله واسع) أي ذو سعة لخلقه (عليم) بمقادير ما يصلحهم من الرزق يبسطه لمن يشاء ويضيق (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي وليجتهد في قمع الشهوة من لا يتمكنون من الوصول الى النكاح (حتى يغنيهم الله من فضله) أي فمن لا يتمكن من المال فليطلب العفة عن الحرام ولينتظر ان يوصله الله الى بغيته من النكاح (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أي والذين يطلبون المكاتبة من عبيدكم وامائكم ليصيروا أحرارا (فكاتبوهم) أي فصيروهم احرارا بعقد الكتابة والاسم الموصول منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور (ان علمتم فيهم خيرا) أي وفاء بأداء مال الكتابة وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق وهذا الندب الكتابة وليس لشرط الصحة (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أي حطوا أيها السادة عن المكاتبين جزأ من مال الكتابة أو ادفعوا اليهم جزأ مما أخذ منهم وذلك للندب عند مالك وأبي حنيفة وللوجوب عند الشافعي وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الزكوات فالامر للوجوب حتما وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم وروي ان غلاما لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سأله أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت هذه الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) أي ولا تجبروا اماءكم على الزنا (ان أردن تحصنا) أي تعففا عن الزنا فالتقييد بهذا الشرط لاجل تحقق الاكراه المنهي عنه لانه لا يتحقق الا عند ارادة التحصن اما عند ميلهن للزنا فهو باختيارهن فلا يتصور الاكراه حينئذ وفائدة الشرط المبالغة في النهي عن الاكراه أي انهن اذا أردن العفة فالسيد أحق بارادتها وفي ذلك اشارة على ان للسادة اكراههن على النكاح فليس للامة ان تمتنع على السيد اذا زوجها (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا بالاكراه الاموال بكسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) لهن لانهن آثمات لان الزنا لا يباح بالاكراه روي انه كان لعبد الله بن أبي رئيس المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل ان عبد الله بن أبي أسر رجلا فراود الاسير جارية عبد الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت لاسلامها واكراهها ابن أبي على ذلك رجاء ان تحمل من الاسير فيطلب فداء ولده فنزلت هذه الآية (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي بكسر الياء أي مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك والباقون بفتحها أي موضحات في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي وأنزلنا مثلا كائنا من نوع أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمة الجارية على ألسنة الانبياء عليهم السلام فتنتظم قصة عائشة لقصة يوسف وقصة مريم وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها وبرأ عائشة بتلك الآيات العظام (وموعظة) تنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب (للمتقين) وهذا حث

للمخاطبين

للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام فى سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لاثمار الموعظة المقتبسون من أنوارها ثم ذكر الله تعالى مثلين أحدهما فى بيان ان دلائل الايمان فى غاية الظهور والثانى فى بيان ان أديان الكفرة فى غاية الظلمة أما المثل الاول فقوله تعالى (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس اى الله هادى أهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون فمعنى النور هو الهداية أى ذو نور أى ذو هداية (مثل نوره) أى صفة النور الفائض من الله تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن (كمشكاة) أى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الاضاءة والتنوير (فيها مصباح) أى سراج ضخم ثاقب (المصباح فى زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافى الازهر (الزجاجة كأنها كوكب درى) أى متلألئ وقاد شبيه بالدر فى صفائه وزهرته (توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وبتشديد القاف على صيغة الماضى وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى بضم الفاء الفوقية وسكون الواو على المضارع المبنى للمفعول وعن نافع وحفص كذلك وعن عاصم بياء مضمومة وفتح الواو وتشديد القاف وزيتونة بدل من شجرة ولا شرقية صفة لها أى يبتدئ ايقاد المصباح وفتيلة الزجاجة من زيت شجرة كثيرة المنافع تبرز على جبل عال أو صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب أى تقع الشمس عليها طول النهار لاشرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية وكان زيتها فى نهاية الصفاء وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة واختيار الفراء والزجاج وقال ابن عباس فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وثفله وليس فيه شئ الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهو أول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا له سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال مرتين اللهم بارك فى الزيت والزيتون (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وهذه الجملة صفة لشجرة أى يقرب زيت تلك الشجرة يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا لصفائه قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضيء قبل ان تمسه النار فان الزيت اذا كان خالصا رؤى من بعيد كأن له شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم فاذا جاء العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى كقلب ابراهيم عليه السلام من قبل أن تجيئه المعرفة أى قبل ان يخبره أحد بأن له ربا فانه قال هذا ربى فلما أخبره الله بانه ربه وقال له أسلم زاد هدى وقال أسلمت لرب العالمين (نور على نور) أى نور حاصل بالزيت كائن مع نور بالنار فى قنديل فالزيت نور والقنديل نور والمصباح نور فالمشكاة التى هى الطاقة غير النافذة أجمع للنور فيكون فيها أقوى مما لو كانت نافذة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كان أضوأ وأجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينتشر فيه فالقنديل أعون على زيادة الانارة وكذلك ضوء الزيت والمعنى ذلك القرآن نور عظيم كائن على نور عظيم متضاعف من غير تحديد كتضاعف نور المشكاة بما ذكر (يهدى الله لنوره من يشاء) أى يهدى الله لنوره المتضاعف وهو القرآن من يشاء هدايته من عباده هداية موصلة الى المطلوب بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته من الاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان فالله تعالى بين الدلائل حتى بلغت فى الوضوح الى الحد الذى لا يمكن الزيادة عليه فوضوح الدلائل لا ينفع ما لم يخلق الله الايمان والعلم (ويضرب الله الامثال للناس) كافة تقريبا للمعقول من المحسوس (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا

كان أو خفيا (في بيوت) صفة لمشكاة أي كمشكاة فيها مصباح في بيت من بيوت الله أو صفة لزجاجة والمعنى ذلك القنديل معلق في مساجد (أذن الله أن ترفع) أي أمر الله ان تبنى رفيعة وتطهر عن الانجاس والاقذار وقد كره بعض العلماء تعليم الصبيان في المساجد ورأى انه من باب البيع وهذا اذا كان بأجرة فلو كان بغير أجرة امتنع أيضا من وجه آخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار والاوساخ فيؤدي ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وجروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر (ويذكر فيها اسمه) بجميع اذكاره تعالى وقال ابن عباس يتلى في المساجد كتابه تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بالبناء للمفعول ونائب الفاعل لفظ له ورجال فاعل الفعل مقدر أو خبر مبتدأ محذوف أي يسبح له رجال أو المسبح رجال والوقف على الآصال حسن والباقون بالبناء للفاعل ورجال فاعل ولا يوقف على الآصال لعدم تمام الكلام والصلاة التي تؤدى في الغداة صلاة الصبح وفي العشي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرئ والايصال أي الدخول في الاصيل (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة ولا فرد من افراد البياعات عن حضور المساجد لطاعة الله وعن أداء الصلاة في وقتها جماعة روى سالم عن ابن عمر رضي الله عنهم انه كان في السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت هذه الآية في شأنهم وروى عن أبي امامة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يقصد الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يغدو ويروح الى المسجد يؤثره على ماسواه الا وله عند الله نزل يعدله في الجنة وفي رواية سهل بن سعد مرفوعا من غدا الى المسجد وراح ليعلم خيرا وليتعلمه كان كمثل المجاهد في سبيل الله يرجع غانما (وايتاء الزكاة) أي وعن اعطاء المال الذي فرض اخراجه للمستحقين قال ابن عباس اذا حضر وقت اداء الزكاة لم يحبسوها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) أي يخافون يوما تتقلب في ذلك اليوم القلوب بين طمع في النجاة وخوف من الهلاك وتتقلب الابصار من أي ناحية يؤمر بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أي ناحية يعطون كتابهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال أي فانهم وان بالغوا في ذكر الله تعالى والطاعات خائفون لعلمهم بأنهم ماعبدوا الله حق عبادته فيخافون صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لا تلهيهم ويوما مفعول به وتتقلب صفة له (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) أي أحسن جزاء أعمالهم بحسب وعده لهم من أن حسنة واحدة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقوله ليجزيهم الله متعلق بمحذوف أي يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله فاللام لام العاقبة والصيرورة (ويزيدهم من فضله) مالم يستحقوه بأعمالهم ومالم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي فالله يعطيهم غير جزاء أعمالهم عطاء لا يفي بها الحساب ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على ان مناط الرزق محض مشيئته تعالى وللاعلام بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره فان جميع ماذكر من أعمالهم الحسنة مقتبس من القرآن الذي هو المراد بالنور وبذلك يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه (والذين كفروا أعمالهم) أي من أنواع البر كصدقة وعتق ووقف ونحو ذلك من كل مالا يتوقف على نية (كسراب بقيعة) أي في أرض منبسطة والسراب ما يتراءى في الفلوات شبيها بالماء الجاري وليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من

بعيد

بعيداً يظنه ماء جاريا وقيل هو لمعان الشمس على الفلوات يظن انه ماء يجري (يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه) أي و يقصد الظمآن ما ظنه ماء ولا يزال جائيا اليه حتى اذا جاءه (لم يجده شيأ) أصلا كما رآه من قبل فالكافر الذي يأتي بأعمال البر كصلة الرحم وسقاية الحاج وعمارة الكعبة وقرى الاضياف واغاثة الملهوفين يعتقدان له ثوابا عند الله فاذا مات و وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم فعظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال العطشان الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به ويقوى طمعه فاذا جاءه أيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه (ووجد الله عنده) أي وجدوا حكم الله عند المجيء يوم القيامة أو وجد الله بالمرصاد عليه (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله كاملا بالعقاب فتغير ظن النفع العظيم الى تيقن الضرر العظيم وافراد الضمير الراجع الى الذين كفروا لارادة الجنس أو لارادة كل واحد منهم وقد قيل نزلت هذه الآية في شأن عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (والله سريع الحساب) لانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) وروى عن ابن كثير أنه قرأ سحاب وظلمات بالجر على البدل من ظلمات كقراءة قنبل بتنوين سحاب وبجر ظلمات بجعلها بدلا من ظلمات الاولى وروى عن ابن كثير أيضا على اضافة سحاب كقراءة البزي بجعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب وقرأ الباقون سحاب وظلمات كلاهما بالرفع والتنوين ويغشاه صفة ثانية لبحر وجملة من فوقه موج من مبتدأ وخبر صفة لموج وجملة من فوقه سحاب صفة لموج الثاني وظلمات خبر مبتدأ محذوف وقوله أو كظلمات عطف على كسراب وأو للتقسيم أي ان عمل الكافر قسمان قسم كالسراب وهو العمل الحسن وقسم كالظلمات وهو العمل القبيح والمعنى أو الذين كفروا أعمالهم القبيحة كظلمات كائنة في بحر عميق يعلوه موج كائن من فوقه موج كائن من فوق ذلك الموج سحاب سترضوء النجوم وما تقدم ذكره ظلمات متراكمة وهي ظلمة البحر وظلمة الموج الاول وظلمة الموج الثاني وظلمة السحاب وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور الا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به (اذا أخرج) أي من في هذه الظلمات (يده) لينظر اليها (لم يكد يراها) أي لم يقارب ان يراها ولم يحصل له رؤيتها مع انها قريبة من عينه (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) أي ومن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن ولم يوفقه للايمان به فما له هداية أصلا من أحد (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أي قد علمت يا أشرف الخلق بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله ينزهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه ما في السموات والارض وينزهه الطير تنزيها خاصا بها حال كونها باسطات أجنحتها في جو السماء فان كل موجود يدل على وجوب صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤنه الجليلة (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل واحد من المخلوقات قد علم هو دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله تعالى اياه فالضمائر كلها عائدة على كل وروى عن ابن ثابت قال كنت جالسا عند محمد بن جعفر الباقر فقال لي أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن وقال بعض العلماء انا نشاهد ان الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء وهذا دليل على ان الله يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون) أي بحقيقة ما يفعلونه بالكمال (ولله ملك السموات والارض) أي ان

جميع الموجودات فى تصرفه تعالى ايجادا واعداما لانه خالق لها (والى الله المصير) أى رجوع الكل بالفناء والبعث (ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (سحابا) متفرقا (ثم يؤلف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا (ثم يجعله ركاما) أى مجتمعا بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فتوق السحاب (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فمن الاولى ابتدائية وكذا الثانية بدل اشتمال من من الاولى ومن الثالثة تبعيضية أى وينزل مبتدئا من السماء من جبال كائن فى السماء بعض برد ففى السماء جبال من برد كما ان فى الارض جبالا من حجارة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون والباقون بفتحها وتشديد الزاى (فيصيب به) أى بالبرد (من يشاء) ان يصيبه فيضر ما يقع عليه من حيوان ونبات (ويصرفه عمن يشاء) صرفه عنه فلا يسقط عليه (يكاد سنا برقه) أى يقرب ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أى يسلب الابصار الناظرة له لشدة الاضاءة وسرعة ورودها (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما (ان فى ذلك) أى فيما تقدم ذكره (لعبرة) أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وعلمه (لاولى الابصار) أى لكل من له بصر يرجع الى بصيرة وهذا يدل ان الواجب على المرء ان يتفكر فى هذه الامور ويدل على فساد التقليد (والله خلق كل دابة من ماء) أى كل حيوان يدب على الارض من ماء فمن صلة كل دابة لا صلة خلق فكل دابة متولدة من الماء فهى مخلوقة لله تعالى وقيل أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى ان أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق منه النار والهواء والتراب والنور والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة كان أصل الخلقة الماء وقرأ حمزة والكسائى خالق بصيغة اسم الفاعل وبالاضافة (فمنهم) أى الدواب (من يمشى على بطنه) كالحية والحيتان والديدان (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش (يخلق الله ما يشاء) كما يشاء (ان الله على كل شئ قدير) فلا يمنعه مانع (لقد أنزلنا آيات مبينات) لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدى من يشاء) هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها (الى صراط مستقيم) موصل الى الفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) هما فى الامر والنهى (ثم يتولى) أى يعرض عن طاعتهما (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ما قالوا هذه الكلمة (وما أولئك) أى الذين يدعون الايمان والطاعة (بالمؤمنين) حقيقة وقال الحسن نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر (واذا دعوا) أى الذين ادعوا الايمان والطاعة (الى الله) أى الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله (اذا فريق منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول ان كان الحكم عليهم (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى الرسول (مذعنين) أى طائعين لجزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم يحكم لهم فقوله اليه متعلق بيأتوا لانه متعد بالى أو بمذعنين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة (أفى قلوبهم مرض) أى أ اعراضهم لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم ارتابوا) أى أم لانهم شكوا فى أمر نبوته صلى الله عليه وسلم بعد تقرير الاسلام فى القلب (أم) لانهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يجور عليهم فى الحكم فانهم بلغوا فى حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه كما قال تعالى (بل أولئك) أى المعرضون عن حكم الله (هم الظالمون) أى ليس اعراضهم عن الحكم لواحد من هذه الثلاثة بل لانهم هم الظالمون أى يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه صلى الله

عليه وسلم لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضي عليهم بالحق قال الضحاك نزلت هذه الآية في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسماها فوقع الى علي منها مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم أرضها لانه لا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلا آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت ثلاث الآيات (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أي الى كتابه (ورسوله) أي والى سنة رسوله (ليحكم) أي الرسول صلى الله عليه وسلم (بينهم) بحكم الله (أن يقولوا سمعنا) أي أجبنا الدعاء (وأطعنا) لاحكامهما وقرأ الجمهور قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان يقولوا اسمها وهذا أقوى صناعة لان الاولى جعل الاعرف الاسم وان يقولوا أوغل في التعريف لان الفعل المبتدأ بأن لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يجوز تنكيره بعزل الاضافة عنه والمعنى انما كان قول للمؤمنين المخلصين عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم وقرأ الحسن قول المؤمنين بالرفع على العكس وهذا أفيد بحسب المعنى لان مصب الفائدة هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو أكثر فائدة وأظهر دلالة على الحديث والمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر أصلا وهذا تعليم أدب الشرع بمعنى ان ما يجب ان يسلك المؤمنون هكذا (وأولئك) المؤمنون القائلون بذلك (هم المفلحون) أي الفائزون بكل مطلب والناجون من كل غضب (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمر وابه من الاحكام الشرعية فيما سرهم وساءهم (ويخشى الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الفائزون) بالنعيم الدائم في الجنة وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوه وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاد ويتقه بسكون الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الهاء والباقون وخلاد في أحد وجهيه باشباع كسرة الهاء (وأقسموا بالله جهد ايمانهم) أي أقسم المنافقون به تعالى أقصى مراتب اليمين في الوكادة (لئن أمرتهم) بالخروج الى الغزو (ليخرجن) نزلت هذه الآية لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قل) لهم اظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين في تلك اليمين (لا تقسموا طاعة معروفة) وهذا خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير موافقة للقلب وهي معروفة لكل أحد وقرأ اليزيدي بالنصب على معنى تطيعون طاعة معروفة لكل أحد مشهورة في ذلك والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد في اخفائها الابدان تظهر مخايلها على شمائله وكذا المعصية لانه ما أسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءها كما رواه الطبراني عن عثمان وعن سعيد لو ان أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا من كان وعن عثمان بن عفان قال لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت فأدى هناك عملا أوشك الناس أن يتحدثوا به وما من عامل عمل عملا الا كساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (ان الله خبير بما تعملون) من ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها وهو مجازيكم على ذلك (قل أطيعوا الله) فيما يدعوكم اليه (وأطيعوا الرسول) في مسلكه الى الله تعالى (فان تولوا فانما

عليه ما حمل) أى فان تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فاعلموا أن ما على الرسول ما أمر به من تبليغ الرسالة وقد شاهد تموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ما حملتم) أى ما أمرتم به من الطاعة وعن نافع انه قرأ ما حمل بفتح الحاء والميم مع التخفيف أى عليه ما حمل من أعباء الرسالة (وان تطيعوه) فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) أى تصيبوا الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى ما على الرسول الا التبليغ عن الله الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح (وعد الله الذين آمنوا منكم) يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) أى أقسم الله على من جمعوا بين الايمان والعمل الصالح من أصحاب محمد ليجعلنهم بدلا عن الكفار متصرفين فى أرض العرب والعجم تصرف الملوك فى ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) أى كما استخلف الله تعالى بنى اسرائيل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة وكما استخلف هرون و يوشع وداود وسليمان وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بضم التاء وكسر اللام فالموصول مرفوع بخلاف قراءة الجمهور من فتح التاء واللام فان الموصول منصوب (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) أى وليثبتن الله لهم دينهم الذى اختار لهم وهو الاسلام (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعداء (أمنا) لانه كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل الهجرة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا فيها يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنجز وعده وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وقرأ ابن كثير وعاصم و يعقوب بسكون الباء الموحدة (يعبدوننى) حال من الموصول الاول الذى هو مفعول وعد أو استئناف بيان لجواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون و يثبتون فى دين الاسلام و يأمنون فقيل يعبدوننى (لا يشركون بى شيأ) حال من الفاعل أى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيأ من الاوثان (ومن كفر) أى جحد حق هذه النعم بأن لا يقيموا حقها (بعد ذلك) أى بعد الاستخلاف والتمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) أى العاصون الخارجون عن حريم الامن وأول من كفر بتلك النعم قتلة عثمان رضى الله عنه (وأقيموا الصلاة) عطف على مقدر يطلبه نظام الكلام تقديره فلا تكفروا وأقيموا الصلاة فانها مواصلة بينكم وبين ربكم (وآتوا الزكاة) فانها مواصلة بينكم وبين اخوانكم (وأطيعوا الرسول) فى كل ما يأمركم به و ينهاكم عنه (لعلكم ترحمون) أى راجين ان ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) والخطاب لكل أحد ممن يصلح له والموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان وفى الارض ظرف له لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع أجزاء الارض أى لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن ادراكهم بالاهلاك فى قطر من أقطار الارض وان هربوا كل مهرب وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة والفاعل ضمير يعود على ما دل عليه شأن الكلام أى لا يحسبن حاسب الخ فانهم مدركون (ومأواهم النار) فى الآخرة (ولبئس المصير) أى والله لبئس المرجع هى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أى العبيد الصغار فى الدخول وعن ابن عباس ليس للكبير من المماليك ان ينظر الا الى ما يجوز للحر ان ينظر اليه وقال ابن المسيب لا ينبغى للمرأة أن ينظر عبدها الى قرطها وشعرها وشئ من محاسنها وقال الآخرون بل للبالغ من المماليك أن ينظر الى شعر مالكته وما شابهه (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى من الاحرار وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجميلة وغيرها وظاهر الآية أمر المماليك والاطفال الاحرار

بالاستئذان

بالاستئذان وفى الحقيقة أمر الاولياء بتأديبهم فان المقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الاوقات الثلاث من غير اذن اذ لو كان المقصود أمرهم للزم تكليفهم ولما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم والليلة فيكفيهم ان يستأذنوا فى كل واحد من هذه الاوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الظرف الزمانى أو على المصدرية أى ثلاثة استئذانات ثم بين الاوقات فقال (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت للقيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وهذا فى محل نصب على انه بدل من ثلاث مرات أو فى محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف أى أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى وحين تخلعون ثيابكم التى تلبسونها بين الناس لاجل القيلولة وهى شدة الحر عند انتصاف النهار فمن بيان لحين أو تعليل لتضعون أى من أجل حر وقت الاستواء (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والالتحاف بالملحاف (ثلاث عورات لكم) بالرفع خبر مبتدا مقدر ولكم صفة أى هى ثلاثة انكشافات كائنة لكم أو مبتدأ وخبر أى ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان وعلى هذا فالوقف على العشاء هو وقف كاف وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل فى أوقات ثلاث عورات لكم وعلى هذا فالوقف على لكم وهو وقف تام (ليس عليكم) فى تمكينهم من الدخول عليكم (ولا عليهم) فى ترك الاستئذان فى الدخول (جناح) أى اثم (بعدهن) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وانما أباح الله تعالى ذلك فى الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن لما فى العادة أنه لا تكشف العورة فيها (طوافون عليكم) أى لانهم يكثرون التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة فلو كلفتم الاستئذان فى كل طوفة لضاق الامر عليكم (بعضكم على بعض) أى كان بعضكم طائف على بعض طوافا كثير الحاجة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب وحركه ورده ودفعه فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شئ فقال عمر وددت ان الله تعالى ينهى أباءنا وأبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية فحمد الله تعالى وخر ساجدا شكرا لله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك يا عمر فأخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله من صنعه وقال ان الله يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف ويبغض البذى الجرىء السائل الملحف (كذلك) أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب سن نزول المنى سواء رأى منيا أم لا (فليستأذنوا) اذا أرادوا الدخول عليكم فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى استئذانا كاستئذان الذين ذكروا من قبلهم فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية (كذلك يبين الله لكم آياته) أى هكذا ينزل الله لكم آياته واضحة الدلالة على الاحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) فيما دبر لهم (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا) أى والعجائز الكائنة من النساء اللاتى لا يحتجن الى الزوج لكبرهن بحيث اذا رآهن الرجل استقذرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى أن ينزعن بحضرة الرجال عنهن ثيابهن الظاهرة فوق الثياب الساترة كالملحفة

وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدى عن شيوخه أنه قرأ أن يضعن خمرهن عن رؤسهن وعن بعضهم أنه قرأ أن يضعن من ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات لمحاسنها ولا زينتها الخفية (وأن يستعففن خير لهن) أى استعفافهن بعدم القاء الجلباب خير لهن من الالقاء لبعده من المظنة فعند المظنة يلزمهن أن لا يلقين ذلك كما يلزم مثله فى الشابة (والله سميع) لما يجرى بينهن و بين الرجال من المقاولة (عليم) بمقاصدهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أى ليس على هؤلاء الطوائف مأثم فى أكلهم مع السالمين من هذه النقائص الثلاثة فانهم تركوا مؤاكلة الاصحاء فقال الاعمى انى لا أرى شيأ فربما آخذ الاجود وأترك الاردأ وخاف الاعرج والمريض أن يفسدا الطعام على الاصحاء وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتبعدون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يستقذرونهم و يكرهون مؤاكلتهم (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى ليس عليكم مأثم فى أن تأكلوا من بيوت أولادكم بغير اذن بالعدل لقوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك وقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم) من الاب أو الام أو منهما بالنسب أو الرضاع (أو بيوت أخواتكم) قال السدى كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت أخيه أو أخته فتتحفه المرأة بشىء من الطعام فيتحرج لانه ليس ثم رب البيت فأنزل الله تعالى هذه الرخصة (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) روى الزهرى عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله فى هذه الآية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح أبوابهم و يقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غائبون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عائشة رضى الله عنها (أو صديقكم) أى بيت صديقكم وان لم يكن بينكم و بينهم قرابة نسبية ونزل هذا فى حق مالك بن زيد والحرث بن عمرو وكانا صديقين ونقل عن ابن عباس ومقاتل بن حيان نزلت هذه الآية فى الحرث بن عمرو وذلك أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك فأنزل الله هذه الآية والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر اذا علم رضاه بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه وان كانت ضعيفة كما علم بالعادة فى طيب أنفسهم فان العادة كالاذن فى ذلك والمقصود من هذه الآية اثبات الاباحة فى الجملة لا اثبات الاباحة فى جميع الاوقات (ليس عليكم جناح) أى مأثم فى (أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الاكل وقلته وقال أكثر المفسرين نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة حيث كانوا يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل وحده يمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيأ وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحافلات فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل فأعلم الله تعالى ان الرجل اذا أكل وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى اذا دخلتم بيوتا من البيوت المذكورة فسلموا على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم و بينهم من القرابة الدينية والنسبية فالله تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا

أنفسكم وقال ابن عباس ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من قبل ربنا واذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام ممن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال القفال وان كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى (تحية من عند الله) منصوب على المصدر من معنى فسلموا أي فحيوا تحية ثابتة بأمره مطلوبة من عنده (مباركة) أي مضاعفة في الثواب كما قاله الضحاك (طيبة) أي تطيب بالتحية نفس المستمع وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي يفصل شرائعه لكم (لعلكم تعقلون) أي لتفهموا عن الله أمره ونهيه (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أي الرسول (على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الاحكام كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على أمر موجب للاجتماع في شأنه لم يتفرقوا عنه حتى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة يعرض في خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظرون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم أحد خرجوا ولم يصلوا وان أبصرهم أحد لبثوا وصلوا خوفا فكان المؤمن اذا أراد أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر قام بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (ان الذين يستأذنونك) رعاية للادب معك وتعظيما لهذا الامر (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي يعملون بمقتضى الايمان قال الضحاك ومقاتل المراد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاستأذنه في الرجوع الى أهله لعلة كانت به فأذن له وقال ارجع الى المدينة فلست بمنافق (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي أمرهم المهم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت في ذلك من مصلحة قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك وهذه الآية تدل على أنه تعالى فوض الى رسوله بعض أمر الدين ليجتهد فيه برأيه (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة أو ان الاستغفار في مقابلة تمسكهم بآداب الله تعالى في الاستئذان (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتسهيل عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تجعلوا دعاءه لكم في الاعتقاد وغيره وأمره اياكم في أمر من الامور كدعوة بعضكم لبعض فتبطؤن عنه بل أجيبوه فورا وان كنتم في الصلاة اذ كان أمره فرضا لازما وهذا قول المبرد والقفال ومختار أبي العباس وأقرب الى نظم الآية كما قاله ابن عادل والرازي وغيره وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم فانه قد يجاب وقد يرد فان دعوات الرسول مستجابة فاحذروا سخطه فان دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره وهذا كما قاله ابن عباس وروى عنه أيضا لا تجعلوا نداءه صلى الله عليه وسلم كنداء بعضكم لبعض باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات بل نادوه بغاية التوقير وبلقبه المعظم وذلك بمثل قولك يا رسول الله يا نبي الله مع التواضع وخفض الصوت فلا تنادوا باسمه ولا بكنيته بأن تقولوا يا محمد يا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أي قد علم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية

مستترين ببعض فلواذا حال أو مصدر لفعل مضمر هو الحال فى الحقيقة أى يلوذون لواذا أى يستتر بعضهم بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من اتباعه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره (أن تصيبهم فتنة) أى محنة فى الدنيا من تسليط جائر عليهم واسباغ نعمه استدراجا بهم (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة والكناية ترجع الى الله لأنه الآمر حقيقة أو للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر (ألا ان لله ما فى السموات والارض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا وهذا دليل على قدرته تعالى على المجازاة بثواب وعقاب وعلى علمه تعالى بما يخفيه المكلف و يعلنه (قد يعلم ما أنتم) أيها المكلفون (عليه) من المخالفة فى الدين والنفاق (و يوم يرجعون اليه) أى و يعلم يوم يرجع المنافقون اليه تعالى للجزاء (فينبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الاعمال كمخالفة الامر فلا يعاقبهم الا بعد أخبارهم بما عملوا (والله بكل شئ عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء

﴿سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية وثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) أى تعالى الله الذى نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى ذاته وصفاته وأفعاله فتعالى ذاته عن جواز التغير والفناء وعن مشابهة شئ من الممكنات وتعالى صفاته عن حدوث وتعالى أفعاله عن عبث ومن جملة أفعاله تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والاتيان بعنوان العبد اعلام بكون سيدنا محمد فى أقصى مراتب العبودية (ليكون) أى ذلك العبد أو الذى نزل الفرقان (للعالمين) أى المكلفين من الثقلين (نذيرا) أى مخوفا من عذاب الله بالقرآن (الذى له ملك السموات والأرض) بدل من الموصول الأول أو خبر مبتدا محذوف (ولم يتخذ ولدا) عطف على الصلة وهذا رد على النصارى واليهود و بعض مشركى العرب (ولم يكن له شريك فى الملك) أى فى ملك السموات والأرض فهو المنفرد بالالهية وهذا معطوف على الصلة أيضا وهو رد على الثنوية وعباد الأصنام والنجوم (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) أى أحدث كل موجود احداثا جاريا على طريق التقدير بحسب ما اقتضته ارادته وهيأه لما أراد به مما يصلح له مثاله أنه تعالى خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوى الذى تراه فيقدر للتكاليف والمصالح المنوطة به فى باب الدين والدنيا وكذلك كل حيوان و جماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة فقدره لامر ما ومصلحة ما موافقا لما قدر غير متأخر عنه (واتخذوا) أى المنذرين من كفار مكة كأبى جهل وأصحابه (من دونه آلهة لا يخلقون شيأ) أى جعلوا لانفسهم متجاوزين الله غيره آلهة لا يقدرون على خلق شئ أصلا (وهم يخلقون) كسائر المخلوقات (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) أى لا يقدرون لانفسهم على دفع ضر ما وعلى جلب نفع ما فمن لا ينفع نفسه لا ينفع غيره (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أى ولا يقدرون على اماتة الاحياء واحياء الموتى و بعثهم فالاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) أى قال النضر بن أبى الحرث ما القرآن الا كذب مصروف عن وجهه اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه على اختلاقه غير قومه وهم اليهود جبر و يسار و أبو فكيهة الرومى قال الكلبى ومقاتل نزلت هذه الآية فى النضر بن الحرث فهو الذى قال هذا القول وأعانه عليه عداس مولى

حويطب بن عبد العزى و يسار مولى العلاء بن الحضرمى وجبر مولى عامر وهؤلاء كانوا من أهل الكتاب وكانوا يقرؤن التوراة ويحدثون أحاديث منها فى مكة فلما أسلموا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعهدهم فزعم النضر انهم يأتون اليه صلى الله عليه وسلم أخبار الأمم الماضية وهو صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له فمن أجل ذلك قال النضر ما قال فرد الله تعالى ذلك بقوله تعالى (فقد جاؤا) أى قائلوا هذه المقالة (ظلما) عظيما حيث جعلوا الحق البحت افكا مفترى من قبل البشر (وزورا) أى كذبا كبيرا حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو برىء منه (وقالوا) أى النضر وأصحابه (أساطير الاولين اكتتبها) أى هذا القرآن ما سطره المتقدمون من الخرافات انتسخها محمد من عابس ويسار وجبر أى أمرهم بكتابتها له وقراءتها عليه لانه أمى (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) أى فتلك الاساطير تقرأ على محمد بعد طلبه منهم كتابتها غدوة وعشيا ليحفظها من أفواههم من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة وهذا على قول جمهور المفسرين فان قوله تعالى الى آخره من كلام القوم الكافرين وقال الضحاك معنى قولهم ذلك وما يلى على محمد بكرة يقرؤه عليكم عشية وما يلى عليه عشية يقرؤه عليكم بكرة خلافا للحسن حيث قال ان ذلك من محض كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم كأنه تعالى قال ان هذه الآيات تلقى عليه صلى الله عليه وسلم بالوحى حالا بعد حال فكيف ينسب الى أنه أساطير الاولين (قل) لهم ردا عليهم (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى ليس ذلك القرآن مما يفتعل باعانة قوم وكتابتهم من الاحاديث الملفقة بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شىء من الاشياء فيعلم ما تسرونه من كيدكم لرسوله مع علمكم بأن ما يقوله حق وما تقولونه زور ويعلم براءة رسوله مما تتهمونه به وهو مجازيكم على ما علم منكم وما علم منه (انه كان غفورا رحيما) أى انما أنزل القرآن لاجل الانذار فوجب أن يكون غير مستعجل فى العقوبة وهذا تنبيه على انهم استحقوا بمكايدتهم هذه ان يصب الله عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعجل عليهم العذاب (وقالوا) أى أبو جهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية بن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) أى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله فمن أين له الفضل علينا وهو مثلنا فى هذه الامور (لولا أنزل اليه) أى هلا ينزل على صورته (ملك) لا يأكل ولا يشرب (فيكون معه نذيرا) أى فيكون معينا له فى الانذار يشهد له ويرد من خالفه (أو يلقى اليه كنز) من السماء فينفقه فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) وقرأ الاعمش وقتادة يكون بالياء التحتية وقرأ حمزة والكسائى نأكل بالنون (وقال الظالمون) أى المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم للمؤمنين (ان تتبعون) أى ما تتبعون أيها المؤمنون (الا رجلا مسحورا) أى مختل النظر والعقل (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أى انظر يا أفضل الخلق كيف اشتغل القوم بضرب هذه التى لا فائدة فيها من الاقوال العجيبة الخارجة عن العقول (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فأرادوا القدح فى نبوتك فضلوا عن طريق المحاجة فلم يجدوا سبيلا الى القدح فى نبوتك وفى معجزاتك وضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا موصلا اليه (تبارك الذى ان شاء) أى تكاثر خير من الذى ان شاء (جعل لك) فى الدنيا شيأ (خيرا) لك (من ذلك) الذى قالوه (جنات) أى بساتين كثيرة (تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أى بيوتا مشيدة رفيعة فى الدنيا فقوله تعالى جنات بدل من

خبراوقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر برفع يجعل على انه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع أو مستأنف بوعد ما يكون له صلى الله عليه وسلم في الآخرة وقرأ الباقون بادغام لام يجعل في لام لك اما بتقدير الجزم على انه معطوف على محل جواب الشرط وهو جزم أو بتقدير الرفع وانما سكن اللام لاجل الادغام فعلى الرفع حسن الوقف على الانهار فالمعنى وسيجعل لك قصورا في الآخرة وعلى الجزم لا يحسن الوقف على الانهار فالمعنى ان شاء يجعل لك قصورا في الدنيا روى عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام عنده قال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيأ وبين ان يجمعها لك في الآخرة فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها جميعا لى في الآخرة فنزل قوله تعالى تبارك الذى ان شاء الآية (بل كذبوا بالساعة) وهذا جواب ثالث كأنه تعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة علمية في نفس المسئلة لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل الذى حملهم على تكذيبك تكذيبهم بوجود وقت الجزاء استثقالا للاستعداد له فانهم لا يتحملون مشقة النظر فلهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أى جعلنا نارا عظيمة شديدة الاشتعال معدة لمن كذب بوجود القيامة (اذا رأتهم من مكان بعيد) أى من مسيرة عام كما قاله الكلبي والسدى (سمعوا لها) أى النار (تغيظا) أى صوت غليانها (وزفيرا) أى صوتا شديدا كصوت الحمار (واذا ألقوا منها) أى النار (مكانا ضيقا) وقرأه ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم (دعوا هنالك) أى في ذلك المكان (ثبورا) بأن يقولوا يا ثبوراه هذا زمانك ويا هلاكاه وامو تاه وقال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهيب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال ابن عمران جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح وتقول لهم خزنة جهنم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) أى لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبورا كثيرا) فان ما أنتم فيه من العذاب مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن لغاية شدته وطول مدته (قل) لهم تحسيرا على ما فاتهم (أذلك) السعير التى هيئت لمن كذب بوجود القيامة (خير أم جنة الخلد) التى لا ينقطع نعيمها (التى وعد المتقون) أى التى وعدها من يجتنبون الكفر وهذا يحسن في مقام التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا وقال له على سبيل التوبيخ هذا أحب اليك أم ذاك (كانت) أى تلك الجنة (لهم جزاء ومصيرا) أى مسكنا فما وعد الله به فهو كائن لا بد من وقوعه فكأنه قد كان ولانه كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم الله بأزمان متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومستقرهم (لهم فيها ما يشاؤن) فكل فريق منهم مشتغل بما فيه من اللذات فلا يلتفتون الى ما فوق ذلك من المراتب العالية وفي هذا تنبيه على ان حصول المرادات بأسرها لا يكون الا في الجنة (خالدين) حال من الهاء في لهم فان من شرط نعيم الجنة أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مخلوطا بنوع من الغم كنعيم الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل وما هو يا رسول الله فقال سرور يوم (كان) أى ما يشاؤنه (على ربك) يا أفضل الخلق (وعدا مسؤلا) أى موعودا مطلوبا لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون فان المكلفين سألوه بلسان الحال لانهم لما تحملوا المشقة الشديدة في طاعته تعالى كان ذلك

فانما مقام السؤال وما في على من معنى الوجوب لاستحالة الخلف في وعده تعالى فان تعلق ارادته تعالى بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون (وما يعبدون من دون الله) أي من غيره أي ويوم القيامة يحشر الله العابدين لغير الله ومعبوديهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون والباقون بالياء كأن يخلق في الاصنام الحياة فينطقها أو كان جوابها بلسان الحال كما ذكره بعضهم في تسبيح الموات وفي شهادة الايدي والارجل أي يقول الله للمعبودين تقريعا للعابدين (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) بأن دعوتموهم لعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أي أم هم ضلوا عن السبيل بأنفسهم بتركهم النظر الصحيح واعراضهم عن المرشد وعبدوكم بهوى أنفسهم (قالوا) أي المعبودون متبرئين عن العابدين (سبحانك) أي قالوه تعجبا مما قيل لهم أو اشعارا بأنهم منزهون الله تعالى عما لا يليق به فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصد التنزيه تعالى عن الانداد (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) فنتخذ متعد لواحد ومن أولياء مفعول ومن زائدة ومن دونك حال لان نعت النكرة اذا تقدم عليها صار حالا وعن أبي جعفر وابن عامر انهما قرآ نتخذ بالبناء للمفعول فهو متعد لمفعولين والمفعول الاول نائب الفاعل ومن أولياء مفعول ثان ومن للتبعيض وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون بهم الجن والاصنام ومعنى الآية لا يستحق لنا أن يتخذ بعضنا أولياء والحاصل ان كان معبودهم ملائكة قالت نحن عبيدك فلا يستقيم لعبيدك أن يتخذوا من غيرك أحباء يعبدونهم فاذا كنا نعتقد أن غيرك لا يجوز أن يكون معبودا فكيف ندعو غيرنا الى عبادتنا وان كان أصناما قالت لا يصح منا ان نكون من العابدين فكيف يمكننا ان ندعي أننا من المعبودين فما أضللناهم (ولكن متعتهم وآباءهم) أي ولكن يا الهنا أكثرت عليهم وعلى آبائهم من النعم فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم (حتى نسوا الذكر) أي تركوا الايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) أي وصاروا قوما هالكين فاسدة القلوب (فقد كذبوكم بما تقولون) أي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم أيها الكفرة معبودكم وفي قولكم انهم آلهة أولياء بمعنى في أوهي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب أي فقد كذبوا قولكم انهم آلهة واذ كيف أظهر الله صدق الاصنام وكذب الكفار وتقولون بالتاء الفوقانية باتفاق العشرة وقرئ شاذة بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية (فلا يستطيعون صرفا ولا نصرا) وقرأ حفص بالتاء على الخطاب أي فما تستطيعون أيها الكفار صرف الاصنام والملائكة عن شهادتهم عليكم ولا نصرا أنفسكم في اضافة الصدق الى أنفسكم ولا تستطيعون دفع العذاب عنكم ولا منعه عنكم بأنفسكم ولا بغيركم وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي فما تستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب ويحتالوا لكم ولا أن ينصروكم بوجه من الوجوه (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) أي ومن يكفر منكم يا معشر المؤمنين أو ومن يستمر منكم يا معشر الكفار على ما أنتم عليه من الكفر والعناد نذقه عذابا كبيرا في الدنيا والآخرة والعامة قرؤا نذقه بنون العظمة وقرئ بالياء والضمير عائد لله تعالى أو للظلم المفهوم من الفعل على سبيل المجاز باسناد اذاقة العذاب الى السبب (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) وان مكسورة باتفاق العشرة واللام لام الابتداء زيدت في الخبر والجملة الواقعة بعد الا حالية أي وما أرسلنا قبلك يا أشرف الخلق أحدا من المرسلين الا وحالهم آكلون وماشون فأنت مثلهم في ذلك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي وجعلنا كل أمة كافرة فتنة لرسولها المبعوث اليها كان يقول بعض الكفار لبعض

الانبياء آتنا معجزة كمعجزة بنى فلان (أتصبرون) يامعشر الانبياء على ماتسمعون من أقاويلهم الخارجة من حدود الانصاف فالمعنى جرت سنتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم بايذائهم لهم لنعلم صبرهم (وكان ربك بصيرا) بأعمال كلهم وجزائها وهذا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤملون وعدنا على الطاعة من الثواب فلا يخافون العقاب لكفرهم بالبعث وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مالهذا الرسول الى آخره (لولا أنزل علينا الملائكة) أى هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة (أونرى ربنا) فيخبرنا بصدق محمد فى رسالته (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى انهم أضمروا الاستكبار فى قلوبهم واعتقدوه (وعتوا عتوا كبيرا) أى تجاوزوا الحد فى الظلم حتى اجترؤا على هذا القول العظيم الشنيع (يوم يرون الملائكة) منصوب بعامل دل عليه لابشرى أى يمنعون البشرى يوم يرون ملائكة العذاب قائلين (لابشرى يومئذ للمجرمين) أى الكافرين فى كل الاوقات فانهم يشافهون فى أول الامر بما يدل على نهاية اليأس والخيبة فذلك هو النهاية فى الايلام (ويقولون حجرا محجورا) أى يقول الكفرون الذين طلبوا نزول الملائكة اذا رأوا الملائكة وفزعوا منهم عند الموت ويوم القيامة حجرا محجورا وهى كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ونزول شدة ويضعونها موضع الاستعاذة والمعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا وقيل يقول الحفظة للكفار اذا خرجوا من قبورهم حجرا محجورا ومعناه جعل الله الغفران والجنة والبشرى حراما محرما عليكم وقال الكلبى ان الملائكة على باب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقرأ الضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وقرئ بفتحها (وقدمنا الى ماعملوا من عمل) أى وقصدنا الى أعمالهم التى ظنوا انها تقربهم الى الله تعالى (فجعلناه هباء منثورا) أى أبطلناه وجعلناه مثل الهباء المنثور الذى لايمكن القبض عليه فى عدم امكان الانتفاع به بالكلية والهباء شبه غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة (أصحاب الجنة) هم المؤمنون (يومئذ) أى يوم القيامة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) أى موضع استراحة نصف النهار فى الحر وقد أشارت الآية الى ان كلا من أهل الجنة وأهل النار قد استقروا فى وقت القيلولة وان كان استقرار المؤمنين فى راحة واستقرار الكافرين فى عذاب فيكون الحساب لجميع الخلائق قد انقضى فى هذا الوقت لان القائلة تكون فى نصف النهار والحساب يكون من أوله والمراد من ذلك بيان ان ذلك الموضع أطيب المواضع كما ان موضع القيلولة يكون كذلك واشارة الى انه مزين بفنون الزخارف (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) أى يوم القيامة تتفتح كل سماء بسبب طلوع الغمام منها وهو سحاب أبيض فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثخنه كذلك فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الارض من انس وجن ثم ينزل ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش فاذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى المحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا أى يحيطون بعن بعدهم حتى يصير وا سبع صفوف حول العالم (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى السلطنة القاهرة الثابتة ثبوتا لايمكن زواله صورة ومعنى ثابتة للرحمن يوم اذ تشقق الغمام لايشركه فيها أحد (وكان يوما) أى ذلك اليوم (على الكافرين عسيرا) أى شديدا بخلاف المؤمنين فقد جاء فى الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة

مكتوبة صلاها فى الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) أى يوم القيامة يأكل الكافر يديه الى المرفق ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء وقال أهل التحقيق هذه اللفظة كناية عن الندامة والغم (يقول) حال من فاعل يعض (يا) لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه (ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) أى ليتنى صاحبت رسول الله فى اتخاذ سبيل الهدى واستقمت على دين الرسول (ياويلتى) أى ياهلاكى تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) أى صديقا وافقته فى أعماله (لقد أضلنى عن الذكر) أى والله لقد صرفنى عن القرآن وموعظة الرسول (بعد اذ جاءنى) قال ابن عباس والمراد بالظالم عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما يدعو اليه جيرانه من أهل مكة ويكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فصنع طعاما ودعا الرسول فلما قرب اليه الطعام قال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأتى بالشهادتين فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان أبى بن خلف الجمحى صديقه فعاتبه فقال له يا عقبة قد ملت الى دين محمد فقال عقبة والله ما ملت ولكن دخل على رجل فأبى ان يأكل طعامى الا ان شهدت له فاستحيت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبى لا أرضى عنك أبدا حتى تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فأتاه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل عقبة ذلك فعاد بزاقه على وجهه فحرقه فقال صلى الله عليه وسلم له لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فنزل قوله تعالى ويوم يعض الظالم الى آخره فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبرا ولم يقتل يومئذ من الاسارى غيره وغير النضر بن الحرث وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده طعنه فى أحد فرجع الى مكة ومات وقال الشعبى كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة وقال أمية وجهى من وجهك حرام ان بايعت محمدا فارتد فأنزل الله تعالى ويوم يعض الظالم وعلم من ذلك ان المراد بفلان أبى أو أمية (وكان الشيطان) أى ابليس (للانسان) أى الكافر (خذولا) أى مبالغا فى ترك النصرة بعد المعاونة وكان يعد الانسان فى الدنيا بأنه ينفعه فى الآخرة وهذا من كلام الله تعالى فان آخر كلام الظالم بعد اذ جاءنى فالوقف عليه تام (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم شكاية لله عما صنع قومه وفى هذا تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا (يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يتأثروا بتخويفه وفى هذا تلويح بان من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم القرآن وعلم مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون جعلنا لكل نبى من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كفاك مبلغا الى الكمال ومالك أمرك هاديا لك الى مصالح الدين والدنيا وناصرا لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأبى جهل وأصحابه (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى هلا أنزل القرآن كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والانجيل والزبور (كذلك لنثبت به فؤادك) أى مثل ذلك التنزيل المفرق نزلناه لتقوى بذلك فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ وفهم

المعانى وهذا كلام الله ذكره جوابالهم ردا لهذه الشبهة (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل المقدر الذى تعلق به كذلك أى كذلك نزلناه وآتيناه بعضه بعد بعض على تؤدة وتمهل فى ثلاث وعشرين سنة (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق) أى ولا يأتى المشركون اياك يا أشرف الخلق بسؤال عجيب يريدون به القدح فى نبوتك الا جئناك بالجواب الحق الذى يدفع قولهم (وأحسن تفسيرا) بيانا وبأقوى حجة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى يحشرون يوم القيامة كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وهذا الموصول صفة للموصول الاول أو بدل منه (أولئك) أى الذين أوردوا هذه الاسئلة على سبيل التعنت (شر مكانا) أى منزلا فى الآخرة وعملا فى الدنيا (وأضل سبيلا) عن الحق (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى أنزلنا التوراة على موسى بعد غرق فرعون وقومه (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يعينه فى الدعوة واعلاء الكلمة (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى آيات الالهية وهى مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة أى فذهبا اليهم فأرياهم الآيات التسع كلها وهى آيات النبوة فكذبوها كما كذبوا الآيات الالهية (فدمرناهم تدميرا) أى أهلكناهم عقب ذلك التكذيب اهلاكا عجيبا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أى نوحا ومن قبله فانهم اشتركوا فى المجئ بالتوحيد (أغرقناهم) فقال الكلبى أمطر الله عليهم السماء أربعين يوما وأخرج ماء الارض أيضا فى تلك الاربعين فصارت الارض بحرا واحدا (وجعلناهم) أى وجعلنا اغراقهم (للناس آية) أى عبرة لمن سمع قصتهم لكيلا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) أى قوم نوح ومن سلك سبيلهم فى تكذيب الرسل (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة (وعادا) عطف على المفعول الاول لجعلنا (وثمودوأصحاب الرس) وهى بئر غير مطوية ولهم وجوه أحدها هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول البئر خسف الله بهم وبديارهم وثانيها ان الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وثالثها هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان ابتلاهم بطير عظيم فيها من كل لون سمى بالعنقاء فتخطف صبيانهم عن وساد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة عليه السلام فأهلكوا ورابعها ان الرس بئر فى انطاكية كذبوا حبيبا النجار وقتلوه فدسوه فى البئر وخامسها عن على رضى الله عنه انهم كانوا قوما يعبدون شجر الصنوبر وانما سموا بأصحاب الرس لانهم رسوها فى الارض بينهم وسادسها هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمنا فشكى الى الله تعالى منهم فحفر وا بئرا ورسوه فيها فأرسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة فصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقد وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص (وقرونا بين ذلك كثيرا) أى أقواما كثيرا بين الطوائف المذكورة (وكلا ضربنا له الامثال) أى كل قرن بينا له القصص العجيبة الزاجرة عن الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا تبرنا تتبيرا) أى كل واحد منهم فتتناه تفتيتا لما كذبوا الرسل فانا لم نهلكهم الا بعد الانذار وجواب ما أوردوه من الشبه حتى وضح له السبيل (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء) أى وبالله لقد مر قريش على قرية سدوم من قرى قوم لوط التى أهلكت بالحجارة من السماء فى اسفارهم الى الشام للتجارة (أفلم يكونوا يرونها) أى أفلم يكونوا فى مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) أى بل كانوا قوما ينكرون البعث ولا يؤمنون بالجزاء الاخروى فلا يرجون ثواب الآخرة فحينئذ لا يتحملون متاعب التكاليف ومشاق الاستدلال

(واذا)

(واذا رأوك ان يتخذونك الاهزوا) أى اذا رآك يا أشرف الخلق كفار مكة قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا فقوله ان يتخذونك جواب اذا واختصت اذا بكون جوابها لا يحتاج الى الفاء اذا كان منفيا بما أو ان أو لا بخلاف غيرها من أدوات الشرط (أهذا الذى بعث الله رسولا) وهذا محكى لقول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أى اذا رأوك يستهزؤن بك قائلين أبعث الله هذا رسولا الينا وهذا على سبيل الاستهزاء والمعنى أهذا الذى يزعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ويروى ان هذا من قول أبى جهل وان مخففة من ان الثقيلة وضمير الشأن محذوف أى ان الشأن كاد هذا الرجل ليصرفنا عن عبادة آلهتنا صرفا كليا لولا ان ثبتنا عليها وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة الى التوحيد واقامة الحجج واظهار المعجزات الى حيث قاربوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذى يستحقه كفرهم وعنادهم عيانا فى الآخرة (من أضل سبيلا) أى من أخطأ حجة فهذا وعيد شديد لهم على الاعراض عن الاستدلال والنظر (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) وهذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجب من شناعة حالهم أى أرأيت يا أشرف الخلق الذى جعل معبوده ما يهواه وهو النضر وأصحابه أفأنت تكون عليه حفيظا تحفظه من اتباع هواه أى لست كذلك وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فاذا رأى أحسن منه رماه واتخذ الآخر وعبده (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) أى بل أتحسب ان أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات سماع تفكر أو يفهمون ما فيها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن وهذا انتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع أو يعقل فأم بمعنى بل والهمزة التى للاستفهام الانكارى وانما ذكر الاكثر لانه كان فيهم من يعرف الله تعالى ويعقل الحق الا أنه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهل (ان هم الا كالانعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات وانهماكهم على اللذات الحاضرة (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه تعالى من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب ولا يتقون العقاب ولانها جارية الى ما خلقت هى له فلا تقصير منها فى طلب الكمال لانه غير ممكن منها وهؤلاء معطلون لعقولهم مستحقون بتقصيرهم أعظم العقاب (ألم تر الى ربك) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق الى حسن صنع ربك (كيف مد الظل) أى كيف بسطه فالظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهو أطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وتسد النظر والضوء الخالص من شعاع الشمس يبهر البصر ويسخن الجو وهى مؤذية (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما غير زائل بأن لا تذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أى الظل (دليلا) فالناظر الى الجسم الملون وقت الظل لا يشاهد شيأ سوى الجسم واللون ولا يعرف شيأ ثالثا فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فعرف أن للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور فالله تعالى لما أطلع الشمس على الارض وأزال الظل ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى خلقنا

الظل أولا بالمنافع واللذات ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده باطلاع الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة والخطاب في ألم تر عام وان كان ظاهره للرسول لان المقصود بيان انعام الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم على هذه النعمة وتوجيه الرؤية الى الله تعالى اشارة الى أن الذي ينبغي للعاقل أن يكون مطمح نظره معرفة شؤن الصانع الحكيم وأن يكون نظره غير مقصور على الآثار والصنائع (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) أي ثم أزلنا الظل يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل وقبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح فاذا غربت الشمس فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار وقوله تعالى الينا للتصريح على كون مرجع الظل اليه تعالى كما ان حدوثه منه تعالى (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي مثل اللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتا) أي جعل النوم الواقع في الليل قطعا عن الافعال المختصة بحال اليقظة (وجعل النهار نشورا) أي زمان بعث من ذلك النوم وفي هذا اشارة الى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي قدام المطر وقرأ ابن كثير الريح بالافراد وقرأ نشرا نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أي ناشرات للسحاب وقرأه ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل أي متفرقة وقرأه عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين أي مبشرات فالرياح المبشرات هي الصبا والجنوب والشمال أما الدبور فهي ريح العذاب التي أهلكت بها عاد (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) أي بليغا في الطهارة (لنحيي به بلدة ميتا) أي مكانا لا انبات فيه أي ليصير ذا انبات (ونسقيه) أي ذلك الماء (مما خلقنا أنعاما) أي بهائم (وأناسي) جمع انسان أصله أناسين (كثيرا) وهذا اما راجع للاناسي وذلك لان أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الانهار ومنابع المياه فهم غنية في شرب الماء عن المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب الا عند نزول المطر واما راجع الى ونسقيه وذلك لان الحيوان يحتاج الى الماء حالا بعد حال ما دام حيا وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء قدر معين حتى لو زيد عليه بعد ذلك لكان أقرب الى الضرر (ولقد صرفناه بينهم) أي و بالله لقد أجرينا المطر في البلد المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة حتى انتفعوا بالزراعات وأنواع المعاش به كما روي مرفوعا عن ابن مسعود قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله تعالى ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار (ليذكروا) وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليذكروا نعمة الله به ويقوموا بشكره والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين أي ليعتبروا بالصرف اليهم وعنهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا للنعمة من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المعنى و بالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس المتقدمين والمتأخرين في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليستدلوا به على الصانع فأبى أكثر الناس الا كفورا لنعمة القرآن والكتب ولنعمة المطر حيث أسندوها الغير خالقها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي نبيا ينذر أهلها فيخف عليك اعباء الرسالة ولكنا قصرنا الامر عليك وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أي فلا توافقهم فيما يأمرونك (وجاهدهم به

جهادا كبيرا) أى جاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا جامعا لكل مجاهدة أو وجاهدهم ملابسا بترك طاعتهم بل بالشدة لا بالمداراة جهادا كبيرا وذلك بتلاوة ما فى القرآن من الزواجر والنواذر وتذكير أحوال الامم المكذبة فان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (وهو الذى مرج البحرين) أى أرسلهما فى مجاريهما متلاصقين (هذا عذب) أى سائغ (فرات) أى بالغ فى العذوبة حتى يصير الى الحلاوة (وهذا ملح) أى مر (أجاج) أى زعاق (وجعل بينهما) أى الطيب والمالح (برزخا) أى حائلا غير مرئى بقدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) أى سترا ممنوعا به تغيير أحدهما طعم الآخر فالعذوبة أو الملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة (وهو الذى خلق من الماء) أى من ماء الذكر والانثى (بشرا) أى خلقا كثيرا (فجعله نسبا وصهرا) أى فقسم البشر قسمين ذكورا ينسب اليهم واناثا يصاهر بهن أى يقارب ويخالط بهن وقيل النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة والصهر ما يحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا مختلفا ألوانه وأعضاؤه وطباعه وربما خلق من نطفة واحدة توأمين فأكثر (ويعبدون) أى كفار مكة (من دون الله ما لا ينفعهم) بعبادته فى الدنيا والآخرة (ولا يضرهم) بترك عبادته فيهما وهو الاوثان (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أى وكان الكافر جماعة بعضهم معاون لبعض على اطفاء نور دين الله أو وكان الكافر معاونا للشيطان على عصيان ربه بالعداوة والشرك (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين على الطاعة (ونذيرا) للكافرين على المعصية (قل) يا أكرم الرسل لأهل مكة (ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى لا اطلب على تبليغ الرسالة من أموالكم أجرا الا فعل من أراد أن يطلب المنزلة عند الله تعالى بالايمان والطاعة كما أدعوكم اليهما وقيل لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسى عن التبليغ لكن من شاء ان ينفق أمواله لاتخاذ السبيل الى ربه بالصدقة وغيرها فليفعل فالاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع (وتوكل على الحى الذى لا يموت) أى اعتمد بقلبك فى كل الامور على الله تعالى والاسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها (وسبح بحمده) أى نزهه تعالى عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا المزيد الانعام بالشكر على كثير نعمه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله مطلعا على ذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا فخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين وما بينهما فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة ومحل الموصول جر على انه صفة ثانية للحى (ثم استوى على العرش الرحمن) فالوقف على العرش تام ان أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدأ محذوف أى هو الرحمن الذى لا ينبغى السجود الا له وهو فى الحقيقة صفة ثالثة للحى كما قرأ زيد بن على بالجر لان المنصوب والمرفوع على سبيل المدح وان خرجا عن التبعية لما قبلها صورة تابعان له حقيقة ولا يوقف على العرش ان أعرب الرحمن بدلا من الضمير المستكن فى استوى فحينئذ فالوقف على الرحمن وهو وقف كاف ومعنى استوى على العرش أى ارتفع خالق السموات والارض ارتفاعا يليق بجلاله وتصرف فى ملكه تصرفا تاما (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل أيها الانسان عنه تعالى عالما بصفاته من الراسخين فى العلم (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أى واذا قيل لكفار مكة اخضعوا للرحمن بالتوحيد والصلاة وغير ذلك (قالوا وما الرحمن) وما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب أى

فانهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى (أنسجد لما تأمرنا) أى للذى تأمرنا بسجوده من غير ان نعرف المسجود له ماذا وقرأ حمزة والكسائى بالياء أى أنسجد لما يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو وهل هو مسيلمة الكذاب أو غيره أو كان الضمير راجعا للسيدنا محمد على ان بعضهم قال لبعض أنسجد لامر محمد ايانا بالسجود من غير معرفتنا للمسجود له (وزادهم) أى الامر بسجود الرحمن (نفورا) أى تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) أى منازل الكواكب السبعة السيارة المنظومة فى قول بعضهم

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

وأسماء البروج منظومة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى * نزح الدلو بركة الحيتان

وهذه البروج الاثنا عشر مقسومة على الطبائع الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة هوائية (وجعل فيها) أى البروج (سراجا) وهو الشمس وقرأ حمزة والكسائى سرجا بضم السين والراء وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) أى مضيئا بالليل وقرأ الحسن والاعمش وقمرا وهى جمع قمراء لان الليالى تكون قمراء بالقمر (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى يعتقبان يأتى أحدهما بعد الآخر (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين وعن أبى ابن كعب ليتذكر أى لينظر الناظر فى اختلافهما فيعلم انه لا بد فى انتقالهما من حال الى حال من صانع رحيم للعباد (أو أراد شكورا) أى ليشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف فى النهار وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معنى الآية من فاته شئ من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين أى ان مشى عباد الله المقبولين فى لين وسكينة وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يتبخترون لاجل الخيلاء وعن زيد بن أسلم قال التمست تفسير هونا فلم أجد فرأيت فى النوم فقيل لى هم الذين لا يريدون الفساد فى الارض وعباد مبتدأ خبره الموصول وما عطف عليه (واذا خاطبهم الجاهلون) بالسوء (قالوا سلاما) أى ردوا معروفا كأن يقولوا لا خير بيننا وبينكم ولا شر فهو سلام توديع لا تحية كقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه سلام عليك (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) أى يحيون الليل بالصلاة وسجدا خبر يبيتون (والذين يقولون) فى دعائهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أى هلاكا لازما أى فانهم مع اجتهادهم فى العبادة خائفون من عذاب الله (انها ساءت مستقرا ومقاما) وهذا يمكن أن يكون من كلام الله تعالى فهو مستأنف وان يكون حكاية لقولهم تعليل بسوء حالها فى نفسها عقب تعليل بسوء حال عذابها والمعنى ان جهنم بئست جهنم هى حال كونها مستقرا للعصاة من أهل الايمان فانهم غير مقيمين فيها وحال كونها مقاما للكافرين فانهم يخلدون ويقال ان جهنم أحزنت داخليها من جهة موضع استقرار ومن جهة موضع اقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) أى ولم يضيقوا تضييق الشحيح (وكان بين ذلك قواما) أى وكان انفاقهم بين الاسراف

والاقتار

والاقتار وسطا وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية وكسر الفوقية وابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية فالقراءة السبعة ثلاثة والقاف على كل ساكنة وقرئ قواما بكسر القاف أى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد وروى ان رجلا صنع طعاما فى أملاك فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حق فأجيبوا ثم صنع الثانية فأرسل اليه فقال خلق فمن شاء فليجب والا فليقعد ثم صنع الثالثة فأرسل اليه فقال رياء ولا خير فيه (والذين لا يدعون) أى لا يعبدون (مع الله الها آخر) والمقصود من هذا تنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بالردة أو بالقتل قودا أو بالزنا بعد الاحصان فالمقتضى لحرمة القتل قائم أبدا وجواز القتل انما ثبت بالمعارض فقوله تعالى حرم الله اشارة الى المقتضى وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض (ولا يزنون) وعن ابن مسعود قلت يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزنى بحليلة جارك فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلق أثاما) أى جزاء اثمه وقال الحسن الآثام اسم من أسماء جهنم وقال مجاهد الآثام واد فى جهنم وقرأ ابن مسعود أياما أى شدائد لانه يقال لليوم الصعيب يوم ذو أيام (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف بتشديد العين واسقاط الالف (ويخلد فيه) أى فى ذلك العذاب (مهانا) أى مقرونا بالاذلال كما ان الثواب مقرون بالتعظيم وقرأ ابن عامر وشعبة يضاعف ويخلد كلاهما بالرفع على الاستئناف أو على الحال وقرأ حفص مع ابن كثير فيه بصلة الهاء بالياء (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) أى يغفر الله لهم تلك السيآت ويكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع ولا يبعد فى كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (وكان الله غفورا رحيما) روى البخارى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى أهل الشرك فلما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وآتينا الفواحش فأنزل الله الا من تاب الى رحيما (ومن تاب) عن المعاصى بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتدارك به ما فرط ولو كان نيته وعمله كلاهما ضعيفا (فانه يتوب) أى يرجع (الى الله متابا) أى رجوعا مرضيا عند الله أى ومن تاب عن المعاصى الى الطاعة فان التوبة منه فى الحقيقة توبة الى الله أى فانه قد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليتمنين أقوام انهم أكثروا من السيآت قيل من هم يارسول الله قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات (والذين لا يشهدون الزور) أى لا يحضرون مواضع الكذب فان حضور مجامع الفساق مشاركة لهم فى تلك المعصية ولان النظر دليل الرضا بها أو لا يشهدون بالكذب وقال محمد بن الحنفية الزور الغناء (واذا مروا باللغو) أى بأهل اللغو على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم عن مثل حال اللغو وهو كل ما يجب أن يترك واكرامهم لانفسهم لا يكون الا بالاعراض وبالانكار وبترك المعاونة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)

أي والذين اذا وعظوا بالآيات المشتملة على الاحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان كالمنافقين والكفرة كأبي جهل والاخنس ابن شريق فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل وهو الخرور كقولك لا يلقاني زيد مسلما فهو نفي للاسلام لا للقاء وذلك تعريض بما يفعله الكفرة والمنافقون (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي اجعل لنا ما يحصل به سرور وأعين من أزواجنا وذرياتنا بأن نراهم صالحين مطيعين لك وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ذرياتنا بألف على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد (واجعلنا للمتقين اماما) أي يقتدون بنا في أمر الدين بافاضة العلم وبالتوفيق للعمل (أولئك) أي المتصفون بتلك الصفات الثمانية (يجزون الغرفة) أي يثابون أعلى منازل الجنة (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على طاعة الله والفقر والمرازي (ويلقون فيها تحية وسلاما) قرأ حمزة والكسائي وشعبة يلقون بفتح الياء وسكون اللام أي يجدون في الغرفة اكرام الله تعالى لهم بالهدايا وسلامه عليهم بالقول والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى في الغرفة لاقين ذلك (خالدين فيها) أي في الغرفة لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) أي حسنت الغرفة من حيث موضع الاستقرار وموضع الاقامة هي (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي أي اعتداد يعتد بكم ربكم لولا عبادتكم له تعالى فانكم وسائر البهائم سواء أولا يبالي بكم ربكم لولا دعاؤه اياكم الى طاعته فان مبالات الله بشأن عباده حيث خلق السموات والارض وما بينهما انما هو ليعرفوا حق المنعم ويطيعوه فيما كلفهم به (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به (فسوف يكون) أي جزاء التكذيب (لزاما) أي ملازما لكم وهو عقاب الآخرة

﴿سورة الشعراء مكية الا أربع آيات من قوله والشعراء الى آخر السورة فمدنية
وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وستون كلمة
وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طسم) ومحله رفع على انه خبر مبتدأ محذوف ان كان اسما للسورة وأما ان كان مسرودا على نمط التعديد بطريق التحدي فلا محل له من الاعراب وقيل قسم أقسم الله تعالى به وقال أهل الاشارة هو اشارة الى طاء طوله تعالى في كمال عظمته والى سين سلامته عن كل عيب ونقص وهو منفرد في تنزهه عنه والى ميم مجده في عزة كرم لا نهاية لها واشارة أيضا الى طاء طهارة قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الكونين والى سين سيادته على الانبياء والمرسلين والى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين واشارة أيضا الى طاء طيران الطائرين بالله والى سين سير السائرين الى الله والى ميم مشي الماشين لله مشي العبودية لا مشي التفخر والتكبر قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ وعن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المص مكان الانجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي (تلك) أي هذه السورة (آيات الكتاب المبين) أي آيات

القرآن الظاهر إعجازه والمبين للاحكام وألفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم أن يأتوا بمثله يمكن أن يستدل به على فاعل مخالف لهم كما يستدل بسائر ما لا يقدر العباد على مثله فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودليل النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به بعد ذلك انه اذا كان من عند الله تعالى فهو دلالة الاحكام أجمع واذا ثبت هذا صارت آيات القرآن كافية في كل الاصول والفروع أجمع (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) فلعل للاشفاق وهو بمعنى الامر أي اشفق على نفسك ان تقتلها لعدم ايمان قريش بذلك الكتاب الفاصل بين الحق والباطل أو لا تبالغ في الحزن على ما فاتك من اسلام قومك لانك يا أكرم الرسل ان بالغت فيه كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك أصلا والله تعالى نبه رسوله أن غمه على ذلك لا نفع فيه كما ان وجود الكتاب على وضوحه لا نفع لهم في الايمان لما أنه سبق حكم الله بخلافه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي ان نشأ ننزل عليهم من السماء علامة مخوفة لهم قاصرة على الايمان كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبني اسرائيل فيصير والتلك العلامة منقادين في قبول الايمان وذكر الاعناق والبيان موضع الخضوع واكتسبت اضافتها الى العقلاء حكمهم كما كتسبت الاضافة الى المؤنث التأنيث كعكسه ولذلك كان الخبر مجموعا جمع سلامة لمذكر عاقل (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي ما يأتي أهل مكة من موعظة من المواعظ القرآنية تنبههم عن الغفلة من جهة الله تعالى مجدد تنزيله بحسب المصلحة الا وقد جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب (فقد كذبوا) أي بلغوا النهاية في رد الذكر الذي يأتيهم ردا مقارنا للاستهزاء به حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطيرا وأخرى شعرا (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أي سيأتيهم مصداق استهزائهم من العقوبات العاجلة والآجلة (أولم يروا الى الارض) أي أفعل كفار مكة الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى عجائب الارض الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الايمان بالآيات (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي كثيرا من كل صنف مرضى في جماله وفي فوائده أنبتنا في الارض (ان في ذلك) الانبات (لآية) عظيمة دالة على كمال قدرة المنبت وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي وما أكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين أي مع ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم وكان صلة عند سيبويه (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أي ان ربك غالب على الامور ومع ذلك رحيم بعباده ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات (واذ نادى ربك موسى) أي واذكر يا أكرم الرسل لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عن التكذيب قال أبو الحسن الاشعري المسموع هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات مع انها مرئية في الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحروف والاصوات مع انه مسموع وقال أبو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والاصوات لانا حكمنا بأن كل موجود يصح أن يرى ولم يثبت انا نسمع الاجسام فلم يلزم صحة كون كل موجود مسموعا (أن ائت القوم الظالمين) أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح أبنائهم وكان بنو اسرائيل في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) عطف بيان (ألا يتقون) وهذا كلام مستأنف جيء به حملا لموسى على التعجب من حالهم في الظلم والعسف ومن عدم خوفهم أي تعجب يا موسى من عدم تقواهم وقرئ بكسر النون

والاصل ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات الدال على زيادة الغضب عليهم أي قل لهم ألا تخافون عقاب الله فألا للتنبيه والعرض (قال) أي موسى اظهارا لعجزه وطلبا للاعانة (رب اني أخاف أن يكذبون) من أول الامر (ويضيق صدري) بتكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) بسبب ضيق القلب وهذان الفعلان مرفوعان معطوفان على أخاف وقرأ زيد بن علي وطلحة وعيسى والاعمش بالنصب فيهما معطوفان على صلة ان والاعرج بنصب الاول ورفع الثاني (فأرسل الى هرون) أي فأرسل جبريل الى أخي هرون ليكون رسولا مصاحبا لي في دعوة فرعون وقومه وكان هرون اذ ذاك بمصر وموسى في المناجاة في الطور (ولهم على ذنب) أي تبعة قتل القبطي (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة كما ينبغي ان أتيتهم وحدي فيفوت المقصود من الرسالة (قال) الله (كلا) أي ارتدع يا موسى عما تظن أو حقا لا أسلطهم عليك بالقتل (فاذهبا) أي اذهب أنت ومن طلبته وهو هرون (بآياتنا) الدالة على صدقكما أي فانها تدفع خوفكما (انا معكم مستمعون) أي انا لكما ولعدوكما ناصر لكما عليه وسامع لما يجري بينكما وبينه فاعليكما عليه وأكسر شوكته عنكما (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك والى قومك وافراد الرسول لاتحادهما بسبب الاخوة واتفاقهما على شريعة واحدة أولان المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) وان مفسرة أي أطلقهم وخلهم وشأنهم ليذهبوا معنا الى الشام فانطلقا الى فرعون وقالا له ما أمرا به وروى وهب وغيره أنهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون فأسرعوا اليهما وأسرعت السباع الى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما فقالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى عليه السلام (قال) عند ذلك لموسى عليه السلام (ألم نربك فينا) أي في منازلنا (وليدا) أي صغيرا (ولبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وقيل مكث عليه السلام عند فرعون خمس عشرة سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) وهي وكز القبطي حتى مات (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم اتخاذك عبدا الى كبني اسرائيل أو من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة (قال) موسى (فعلتها) أي تلك الفعلة (اذا) أي حين اذ كنت لا بشافيكم (وأنا من الضالين) أي الناسين عن معرفة ما يؤول اليه القتل لانه فعل الوكزة على وجه التأديب وقرئ من الجاهلين أي بأن ذلك الفعل يؤدي الى القتل (ففررت منكم) الى ربي (لما خفتكم) أن تؤاخذوني عالا أستحقه بجنايتي لاني قتلت القتيل خطأ وأنا ابن اثنتي عشرة سنة مع كونه كافرا وروى عن حمزة لما خفتكم بكسر اللام وما المصدرية أي لتخوفي منكم (فوهب لي ربي حكما) أي علما وفهما في الدين (وجعلني من المرسلين) بعد تلك الفعلة (وتلك) أي التربية (نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) ومحل ان عبدت رفع عطف بيان لتلك أو بدل من نعمة أي وتلك جعلك بني اسرائيل عبيدك وقصدك اياهم بذبح أبنائهم هو السبب في وقوعي عندك وانفاقك علي مما أخذت من أموالهم فلولم يكن منك ذلك الظلم لكنت مستغنيا عن تربيتك فلا نعمة لك علي بالتربية ولا فضيلة لك في عدم استعبادي الذي مننت به علي لان استعبادك لغيري ظلم كما ان عدم قتلك اياي لا يعد انعاما الان قتلك غيري ظلم وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن عبدت في محل

نصب مفعولا لاجله والمعنى انما صارت التربية نعمة علىّ لاجل أن عبدت بنى اسرائيل فلولم تفعل ذلك لكفانى أهلى (قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة (ومارب العالمين) أى أى شئ رب العالمين الذى ادعيت انك رسوله (قال) موسى مجيباله بابطال دعواه انه اله (رب السموات والارض ومابينهما) أى خالق هذه الثلاثة (ان كنتم موقنين) باستنادهذه المحسوسات الى موجود هو واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته فالسؤال عن الحقيقة سفه (قال) أى فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه كانوا خمسمائة لابسين للاساور ولم يلبسها الا السلاطين (ألا تستمعون) جوابه فقد سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) جاء موسى عليه السلام بدليل يفهمونه لانهم يعلمون انهم قدكان لهم آباء فنوا وانهم كانوا بعد أن لم يكونوا وانهم لابدلهم من مكون ومفن (قال) فرعون لخاصته وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وقدخاف من تأثرهم من جواب سيدنا موسى عليه السلام (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) لا يفهم السؤال لانى أسأله عن شئ وهو يجيبنى عن آخر وأسند فرعون الرسول الى من حوله تكبرا عن ان يكون مرسلا الى نفسه وسماه رسولا بطريق الاستهزاء (قال) موسى (رب المشرق والمغرب ومابينهما) أى هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها وقتهما ومابينهما فتشاهدون فى كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم (ان كنتم تعقلون) أى ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب فوق ذلك وان الامر كما قلته (قال فرعون لموسى عليه السلام لما عجز عن الحجج (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) أى لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادة اللعين ان يأخذ من يريد أن يسجنه فيطرحه فى بئر عميقة فردا لا يبصر فيها ولا يسمع حتى يموت فكان ذلك أشد من القتل ولذلك لم يقل تعالى لاسجننك لانه لا يفيد الاصيروته مسجونا وروى ان اللعين يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله (قال) موسى له (أولو جئتك بشئ مبين) أى أتفعل بى ذلك ولو جئتك بأمر بين فى باب الدلالة على وجود الله تعالى وعلى انى رسوله أى وهل تستجيز أن تسجننى مع اقتدارى على أن آتيك بالمعجزات الدالة على صدق دعواى (قال) فرعون له (فأت به) أى بذلك الشئ (ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة وفى ان لك برهانا وانما أمره عليه السلام فرعون بالاتيان بالشئ الموضح لصدق دعواه عليه السلام لظنه انه يقدر على معارضته ولطمعه فى ان يجد موضعا للافكار (فألقى عصاه) قال ابن عباس عصا موسى اسمها ماشا وقيل نبعة (فاذا هى ثعبان مبين) أى حية عظيمة صفراء ذكر تبين للناظرين انه ثعبان بحركاته وبسائر العلامات وليس بتمويه كما يفعله السحرة (ونزع يده) من ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) تضئ الوادى من شدة بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس تعجب الناظرين اليها قيل لما رأى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فأخرج موسى يده فقال لفرعون ماهذه فقال فرعون يدك فما فيها فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق فعند هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه فذكر أمورا ثلاثة (قال للملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فان الزمان كان زمن السحرة وكان عند كثير منهم ان الساحر قد يجوز ان ينتهى بسحره الى هذا الحد فلهذا روج فرعون عليهم هذا القول (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) أى يريد هذا الرجل ان يخرجكم من مصر بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم وهذا يجرى مجرى التنفير عن

موسى عليه السلام فان مفارقة الوطن أصعب الامور فنفرهم عنه بذلك (فماذا تأمرون) أى فأى شئ تأمرونني به فى شأنه فانى متبع لرأيكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام يوجب انصراف القلوب عن العدو فعند هذه الكلمات اتفقوا على جواب واحد (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر مناظرتهما لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسهما ولا تقتلهما لما روى أن فرعون أراد قتلهما ولم يصل اليهما فقالوا له لا تفعل فانك ان قتلتهما أدخلت على الناس شبهة فى الدين ولكن أخر أمرهما الى ان تجمع السحرة ليقاوموهما فلا يثبت لهما حجة عليك وقرأ قالون أرجه بغير همز وباختلاس كسرة الهاء وورش والكسائى باشباع كسرة الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وبصلة الهاء المضمومة وأبو عمرو بضم الهاء مع الاختلاس وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء (وابعث فى المدائن حاشرين) أى أنفذ الى مدائن الساحرين شرطا يحشرهم وذلك لظنهم اذا كثر السحرة غلبوا موسى عليه السلام وكشفوا حاله (يأتوك) أى الحاشرون (بكل سحار عليم) أى فائق فى فن السحر على موسى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى فى زمان يوم معروف وفى مكان معروف وعن ابن عباس وافق يوم السبت من أول يوم النيروز وهو أول سنتهم وعن ابن عباس قال كانت السحرة سبعين رجلا وعن ابن اسحق رؤساءهم سابور وعادور وحطحط ومصفى وشمعون وعن ابن جريج كان اجتماعهم بالاسكندرية (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) والاستفهام للحث للناس على المبادرة الى الاجتماع والترجى للغلبة لا لاتباع السحرة لانه مقطوع به عندهم أى أحضروا وتشاهدوا ما يكون من الجانبين فانا نرجو أن يكون الغلبة للسحرة فنتبعهم لا نتبع موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا) أى جزاء من المال والجاه (ان كنا نحن الغالبين) على موسى فبذل فرعون لهم البذل والمنزلة (قال) فرعون (نعم) أى لكم الاجرة على عملكم السحر (وانكم اذا) أى اذ كنتم غالبين (لمن المقربين) عندى فى الدخول على تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرأ الكسائى نعم بكسر العين (قال لهم موسى) مريدا لابطال سحرهم لانه لا يمكن منه الا بالقائهم (ألقوا ما أنتم ملقون) وهذا تهديد أى ان فعلتم ذلك أتينا بما نبطله (فألقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنتين وسبعين عصا (وقالوا) أى السحرة عند الالقاء نقسم (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى تبتلع بسرعة ما يغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى روى عن ابن عباس كانت حبالهم مطلية بالزئبق وعصيهم مجوفة مملوءة من الزئبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت كأنها حيات تدب من كل جانب من الارض فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ثم فتحت فاها فابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم حتى أكلت الكل ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى كما كانت فلما رأت السحرة ذلك قالوا لفرعون كنا نسحر الناس فاذا غلبناهم بقيت الحبال والعصى وكذلك ان غلبونا ولكن هذا حق (فألقى السحرة ساجدين) أى سقطوا على الارض ساجدين عقب ما شاهدوا اذلك من غير تلعثم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه أمر الهى قد ظهر على يد موسى عليه الصلاة والسلام لتصديقه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا عزله وانما أسندوا الرب الى موسى وهرون لانهما اللذان دعواهم اليه (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى آمنتم لموسى بغير أن آذن لكم (انه لكبيركم

الذى

الذي علمكم السحر) أي ان موسى علمكم شيأ دون شيء فلذلك غلبكم فانكم فعلتم ذلك عن موافقة بينكم وبين موسى وقصرتم في السحر لتظهروا أمر موسى والا ففي قوة السحرة أن يفعلوا مثل ما فعل موسى عليه السلام وهذه شبهة قوية في تنفير من يقبل قوله عليه السلام (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولاصلبنكم أجمعين) على شاطئ نهر مصر وهذا تهديد شديد وليس في الاهلاك أقوى من ذلك وليس في الآية ان فرعون فعل ذلك أولم يفعل (قالوا) أي السحرة (لاضير) أي لاضرر في ذلك علينا (انا الى ربنا منقلبون) ومقصودهم بالايمان محض الوصول الى مرضاته تعالى والاستغراق في أنوار معرفته وهذا أعلى درجات الصديقين (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) فانا الى ربنا وانا نطمع كلاهما تعليل لعدم الضير وان كنا تعليل لطمع غفران الخطايا أي لاضير علينا في قتلك ايانا لانا نرجو أن يغفر لنا ربنا بسبب كوننا أول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف من رعية فرعون وقرئ ان كنا بالكسر على الشرط على طريقة قول المدل كقول العامل لمستأجر يؤخر أجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي (وأوحينا الى موسى) بعد ثلاثين سنة (أن أسر بعبادي) من آمن بك من بني اسرائيل وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة والباقون بسكون النون وقطع الهمزة وقرئ أن سر فان حرف تفسير (انكم متبعون) تعليل للامر بالاسراء أي لانه يتبعكم فرعون وجنوده فلا يدركوكم قبل وصولكم الى البحر ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر قال القرطبي لخرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني اسرائيل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني اسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح فرعون وعلم بسرى موسى ببني اسرائيل خرج في أثرهم وبعث الى مدائن مصر لتلحقه العساكر وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم ووصف قوم نفسه بصفة المدح وذلك قوله تعالى (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) أي شرطا جامعين للعساكر ليتبعوهم قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية وقال لهم (ان هؤلاء) أي بني اسرائيل (لشرذمة قليلون) أي لطائفة قليلة وكانوا ستمائة ألف مقاتل ليس فيهم من دون عشرين ولا من يبلغ ستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه أو لارادة ذلتهم اذ روى أنه أرسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث وروى ان فرعون خرج على حصان أدهم وفي عسكره على لون فرسه ثلاثمائة ألف (وانهم لنا لغائظون) أي لفاعلون أفعالا تضيق صدورنا حيث خالفوا ديننا وذهبوا بأموالنا التي استعاروها وخرجوا من أرضنا بغير اذننا (وانا لجميع حاذرون) أي لجماعة يستعملون الحزم في الامور وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء أي شاكون السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أي أقوياء أشداء (فأخرجناهم) أي جعلنا في قلوب فرعون وقومه داعية الخروج (من جنات) أي بساتين من اسوان الى رشيد (وعيون) أي أنهار جارية في البساتين والدور (وكنوز) أي أموال وسميت كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام كريم) أي منازل

حسنة قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مرصعة بالذهب (كذلك) وهو مصدر تشبيهي أي أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه أو وصف لمقام أي وأخرجناهم من مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم أو خبر مبتدأ محذوف أي أخراجنا كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) أي جعلناهم متملكين لتلك النعم بعد هلاك فرعون وقومه (فأتبعوهم مشرقين) أي فجعلوا أنفسهم تابعة لبني اسرائيل وقت طلوع الشمس وقرئ فاتبعوهم أي فلحقوهم داخلين في وقت الشروق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل واحد من جمع موسى وجمع فرعون الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى) بنو اسرائيل وغيرهم (انا لمدركون) أي لملحقون وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد (قال) موسى لهم (كلا) أي ارتدعوا عن ذلك التوهم أو حقا يدركونا لان الله وعدنا الخلاص منهم (ان معي ربي) بالنصرة (سيهدين) أي يدلني على طريق النجاة منهم البتة روي ان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم ايمانه كان بين يدي موسى عليه السلام فقال يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فأوحى الله اليه بضرب البحر بعصاه فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه وذلك قوله تعالى (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) أي انشق بقدرة الله تعالى فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) أي كالجبل المرتفع في السماء فدخلوا في شعاب تلك الفرق كل سبط في شعب منها فقال كل سبط قتل أصحابنا فعند ذلك دعا موسى ربه فجعل في تلك الجدران المائية مناظر كالكوى حتى نظر بعضهم الى بعض على أرض يابسة (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا في موضع انفلاق البحر قوم فرعون حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم وعن عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل و بين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم و يقول للقبط رويدكم ليلحق آخركم أولكم وقيل وقربناهم الى الموت لانهم قربوا من أجلهم في ذلك الوقت وقيل المعنى وحبسنا فرعون وقومه في الضبابة عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم (وأنجينا موسى ومن معه) من قومه وغيرهم (أجمعين) بحفظ البحر على انفلاقه اثني عشر فرقة الى ان عبروا الى البر (ثم أغرقنا الآخرين) باطباق البحر عليهم لما تكامل دخولهم البحر قيل هذا البحر بحر القلزم وقيل بحر اساف وهو بحر وراء مصر (ان في ذلك) أي الذي حدث في البحر (لآية) أي عبرة عجيبة دالة على قدرته تعالى وذلك ان الله تعالى أراد ان تكون الآية متعلقة بفعل موسى والا فضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته بل عما اقترن به من اختراع الله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فكان زائدة على رأي سيبويه أي وما أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش مؤمنين لانهم لا يتدبرون في حكايته صلى الله عليه وسلم لقصتهم من غير ان يسمعها من أحد ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار أي وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة للايمان (وان ربك) يا أكرم الرسل (لهو العزيز الرحيم) أي لهو القادر على اهلاك المكذبين ايالك بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة من طريق الوحي وهو المبالغ في رحمة عباده ولذلك لا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم مع كمال استحقاقهم لذلك

(واتل)

(واتل عليهم) أى كفار مكة (نبأ ابراهيم) والفعل معطوف على الفعل المقدر العامل فى اذ نادى الخ (اذ قال لابيه) آزر (وقومه) ليريهم أن مايعبدونه ليس ممن يستحق العبادة فى شىء فاذ ظرف للنبأ (ماتعبدون) أى أى شىء تعبدونه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أى فنصير مديمين على عبادتها وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج بعبادة الاصنام (قال) ابراهيم منبها على فساد مذهبهم (هل يسمعونكم اذ تدعون) أى هل يسمعون دعاءكم حين دعوتموهم وهل يجيبونه وقرىء هل يسمعونكم بضم الياء وكسر الميم أى هل يسمعونكم جوابا عن دعائكم (أو ينفعونكم) فى معايشكم بسبب عبادتكم لها (أو يضرون) فى معايشكم بترككم لعبادتها اذ لابد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أى فعند هذه الحجة القوية لم يجد أبوه وقومه مايدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى قولهم ماعلمنا منهم ماذكر من الامور بل وجدنا آباءنا يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وعلى وجوب الاستدلال (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أى أتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه حق العلم أو أخبرونى ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام (فانهم عدولى الا رب العالمين) فالاستثناء امامنقطع فالمعنى فاعلموا ان معبودكم عدولى لاأعبدهم لكن رب العالمين فاعبده أومتصل فالمعنى فان كل معبود عدولى الارب العالمين فانه ليس بعدوى بل هو وليى ومعبودى وصور سيدنا ابراهيم الامر فى نفسه تعريضا بهم فالمعنى انى تفكرت فى أمرى فرأيت عبادتى للاصنام عبادة للعدو لان من يغرى على عبادتها هو الشيطان فانه أعدى عدو الانسان فاجتنبتها وأراهم سيدنا ابراهيم ان تلك الكلمة نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى للقبول وأبعث الى الاستماع منه (الذى خلقنى) من النطفة على هيئة التصوير (فهو يهدين) الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات فى كل لحظة ولمحة (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى يرزقنى بكل منافع الرزق (واذا مرضت فهو يشفين) وأكثر أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك (والذى يميتنى) فى الدنيا بقبض روحى (ثم يحيين) يوم القيامة للمجازاة (والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى) بترك الاولى (يوم الدين) أى الجزاء روى ان عائشة قالت قلت يارسول الله ان ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وتعليم لأممهم ليكونوا على حذر ثم ذكر الله تعالى مناجاة سيدنا ابراهيم بقوله (رب هب لى حكما) أى كمالا فى العمل (وألحقنى بالصالحين) أى بالانبياء المرسلين فى درجات الجنة أى اجمع بينى وبينهم فى الجنة (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى اجعل لى جاها وذكرا جميلا باقيا الى يوم الدين فان من صار ممدوحا بين الناس بسبب ماعنده من الفضائل يصير داعيا لغيره الى اكتساب مثل تلك الفضائل فيكون له مثل أجورهم أواجعل من ذريتى فى آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وقد أجاب الله دعاءه فما من أمة الا وهى تثنى عليه وجعله الله شجرة فرع الله منها الانبياء (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى اجعلنى بعض الذين يرثون جنة النعيم وهذا اشارة الى ان الجنة لاتنال الا بكرمه تعالى (واغفر لابى) أى اهده الى الايمان (انه كان من الضالين) من طريق الحق (ولا تخزنى يوم يبعثون) أى ولا تجعلنى من الذليلين ولا من المستحيين يوم يبعث العباد من القبور فخزى كل واحد على حسب مقامه فان حسنات الابرار سيئات المقربين كما ان

درجات الابرار دركات المقربين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) فيوم بدل من يوم قبله والا من أتى مفعول لينفع أى لا ينفع مال وان كان مصروفا فى الدنيا الى وجوه الخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء الا أحدا سلم قلبه عن الكفر والاخلاق الرذيلة فينفعه ماله الذى أنفقه فى الخير وولده الصالح بدعائه وأما الذنوب فلا يسلم منها أحد (وأزلفت الجنة للمتقين) أى ويوم قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف فيبتهجون بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) أى ويوم جعلت النار ظاهرة للضالين عن طريق الايمان والتقوى بحيث يرونها مع مافيها فيتحزنون على انهم المسوقون اليها (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أين ما كنتم تعبدون من دون الله) أى أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شفعاؤكم فى هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع عذاب الله عنكم (أو ينتصرون) أى أو ينفعون أنفسهم بامتناعهم من العذاب فانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله تعالى (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون) أى فألقى فى الجحيم الاصنام والذين عبدوها والذين أضلوهم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا فى قعرها فيجتمعون فى العذاب لاجتماعهم فيما يوجبه (قالوا) أى العابدون معترفين بخطئهم فى انهما كهم فى الضلالة (وهم فيها يختصمون) أى والحال أنهم فى الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم (تالله ان كنا لفى ضلال مبين) وهذا معمول لقالوا وجملة وهم فيها الخ فى محل نصب على الحال وان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذى هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أى ان الشأن كنا فى ضلال واضح لا خفاء فيه (اذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم فى ضلال مبين أى تالله لقد كنا فى غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم أيها الاصنام برب العالمين الذى أنتم أذل مخلوقاته فى استحقاق العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أى الذين دعونا الى عبادة الاصنام من رؤسائنا وكبرائنا (فما لنا من شافعين) كما ترى المؤمنين ان لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق حميم) أى خالص مع موافقة الدين كما ترى أن المؤمنين أصدقاء لانه لا يتصادق فى الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادى والتباغض وفى بعض الاخبار يجىء يوم القيامة عبد يحاسب فيستوى حسناته وسيآته فيقول الله تعالى عبدى بقيت لك حسنة ان كنت تريد أن أدخلك الجنة أنظر واطلب من الناس لعل واحدا يهب منك حسنة واحدة فيأتى العبد فى الصفوف ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فلا يجيبه أحد وكل يقول له أنا اليوم مفتقر الى حسنة واحدة فيرجع الى مكانه فيسأله الله تعالى ويقول ماذا جئت به فيقول يارب لم يعطنى أحد حسنة واحدة من حسناته فيقول الله تعالى ياعبدى ألم يكن لك صديق فى فيذكر العبد ويقول فلان كان صديقا لى فيدله الله عليه فيأتيه فيكلمه فى حاجته فيقول بلى لى عبادات كثيرة اقبلها منى فقد وهبتها منك فيجىء هذا العبد الى موضعه ويخبر بذلك ربه فيقول الله تعالى قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيأ وقد غفرت لك وله (فلو أن لنا كرة) أى فليت لنا رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) منصوب فى جواب التمنى (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من نبأ ابراهيم المشتمل على بيان بطلان ما عليه أهل مكة من عبادة الاصنام (لآية) أى لعظة لمن أراد أن يعتبر وحجة لمن أراد أن يستبصر بها (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى وما أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على الكفر والضلال (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم نوحا فمن كذب واحدا من

الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول من التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة (اذ قال لهم أخوهم) في النسب (نوح ألا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (انى لكم رسول) من الله تعالى (أمين) أى مشهور بالامانة فيما بينكم فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه من أجر) أى وما أسألكم على هذا النصح أجرة (ان أجرى) أى ما ثوابى فى دعائى لكم (الا على رب العالمين) وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء فى أجرى فى المواضع الخمسة فى هذه السورة والباقون بالسكون (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا وصيتى وكرر الامر بالتقوى لان المعنى فى الاول ألا تتقون مخالفتى وأنا رسول الله وفى الثانى ألا تتقون مخالفتى ولست آخذا منكم أجرة فلا تكرار فيه لان المعنى مختلف (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) والواو للحال أى أنصدقك يا نوح لاجل قولك هذا والحال انه قد اتبعك فقراء الناس وضعفاؤهم من النسب قيل هم من أهل الصناعات الخسيسة كالحجامة والحياكة وقرأ يعقوب وأتباعك الارذلون فهو مبتدأ وخبر والجملة حال والاتباع جمع تابع أو تبع كاشهاد وابطال (قال) نوح (وما علمى بما كانوا يعملون) وهذا جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر واخلاص عمل وانما آمنوا بالهوى والطمع فى العزة والمال وكان زائدة أى ما وظيفتى الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن بواطنهم ولم أكلف العلم بأعمالهم وانما كلفت أن أدعوهم الى الايمان فالاعتبار بالايمان لا بالصنائع (ان حسابهم الا على ربى) أى ما محاسبة أعمالهم وبواطنهم الا على ربى فانه مطلع على السرائر (لو تشعرون) أى لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم (وما أنا بطارد المؤمنين) بأن لا أقبل الايمان منهم للطمع فى ايمانكم (ان أنا الا نذير مبين) أى ما أنا الا مبعوث لانذاركم بالبرهان الواضح ولزجر المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء أو من الاراذل وقد فعلت وليس على استرضاء بعضكم بطرد الفقراء لاجل اتباع الاغنياء (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عن مقالتك (لتكونن من المرجومين) أى من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء وقال الكلبى ومقاتل أى من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك أى من المشتومين (قال) نوح عند حصول اليأس من فلاحهم شاكيا الى الله تعالى (رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وافتح بابا من أبواب عدلك على مستحقيه بأن تنزل العقوبة بهم وبابا من أبواب فضلك على مستحقيه (ونجنى ومن معى من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين وكان المؤمنون ثمانين اربعين من الرجال وأربعين من النساء (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى حال كونهم فى السفينة الموقرة بالناس والحيوان والطير وبما لابد لهم منه (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى أغرقنا بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة الباقين على الارض من قومه (ان فى ذلك) أى الانجاء والاهلاك (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ما أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنين (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم لانه رحيم ذو حكمة (كذبت عاد المرسلين) أى كذبت قوم هود هودا وسائر الرسل الذين ذكرهم هود فعاد اسم قبيلة هود سميت باسم أبيها الاعلى وكان من نسل سام ابن نوح (اذ قال لهم أخوهم) فى النسب نبيهم (هود ألا تتقون) الله فتفعلون ما تفعلون (انى لكم رسول أمين) على الرسالة (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من الايمان والتوبة (وما أسألكم

عليه) أى الدعاء الى التوحيد (من أجران أجرى الا على رب العالمين) وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) أى أتبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبثون فيها عن عربكم وقيل انهم كانوا يبنون فى الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا (وتتخذون مصانع) أى حيضانا تجمعون فيها ماء المطر فهى من نوع الصهاريج وقيل القصور (لعلكم تخلدون) أى مؤملين أن تخلدوا فى الدنيا لانكاركم البعث فلعل للترجى وهو للتوبيخ وقيل للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كى تخلدون وقيل معناها التشبيه ويؤيده مافى مصحف أبى كأنكم تخلدون وقرئ كأنكم خالدون وقرئ تخلدون بضم التاء مع تخفيف اللام وتشديدها (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحدا بسوط أو قتلتم بالسيف فعلتم فعل الغاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة والحاصل أنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل ذلك ينبه على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنوان كل معصية (فاتقوا الله) بترك هذه الافعال (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) أى واخشوا الذى أعطاكم مالا خفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم ثم بين هود عليه السلام ما أعطاهم الله تعالى فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأنتم تنتفعون بذلك كله فلا تغفلوا عن تقييده بالشكر (انى أخاف عليكم) ان لم تقوموا بشكر هذه النعم (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فان كفران النعم مستتبع للعذاب (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لن نرجع عما نحن فيه لاجل وعظك ايانا (ان هذا الا خلق الاولين) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام أى ماهذا الذى جئتنا به من الكذب الاعادة الاولين كانوا يسطرونه أو ماهذا الذى نحن عليه من الدين الاعادة آبائنا الاولين يدينون به ونحن بهم مقتدون أو ماهذا الذى نحن عليه من الموت والحياة والبلاء والعافية ومن اعتقاد ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء الاعادة قديمة لم يزل الناس عليها من قديم الدهر وقرأ الباقون بفتح الخاء وسكون اللام أى ماهذا الذى جئت به الا كذب الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلق الامم الماضية نحيي كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب (ومانحن بمعذبين) على مانحن عليه من الاعمال كما تقول (فكذبوه) فى وعيده لهم بالعذاب (فأهلكناهم) بريح باردة شديدة الصوت (ان فى ذلك) الاهلاك (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى وماصار أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم (مؤمنين وان ربك لهو العزيز) أى الغالب على مايريده من انتقام المكذبين (الرحيم) أى المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم بعدم ايمانهم لحكمة يعلمها (كذبت ثمود المرسلين) أى كذبت جماعة صالح صالحا فثمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (اذ قال لهم أخوهم) فى نسب نبيهم (صالح ألا تتقون) الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم منه (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا دينى وأمرى (وما أسألكم عليه) أى على ما جئتكم به (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) وليعلم كافة الناس ان من عمل لله لا ينبغى ان يطلب من غير الله وينبغى للعلماء أن يتأدبوا بآداب الانبياء فلا يطلبوا من الناس شيأ فى بث علومهم ولا ينتفعوا منهم بالتذكير لهم ومن انتفع من المستمعين من الدين فلا بركة فيما يأخذ منهم (أتتركون فيما ههنا آمنين) أى أتظنون انكم تتركون فى الدنيا آمنين من العذاب وانه لا دار للمجازات أى لا ينبغى لكم أن تعتقدوا

أنكم تتقلبون فى النعم التى فى ديار كم آمنين من الزوال والعذاب فلا تطمعوا فى ذلك ثم فسر ذلك المكان بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) أى لطيف لين والطلع ثمر النخل فى أول ما يطلع وبعده يسمى خلالا ثم بلحا ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرأ ابن عامر والكوفيون بألف بعد الفاء أى ماهرين فى العمل ويعملون بنشاط وطيب قلب وقرأ الباقون بغير ألف أى متكبرين لا للحاجة فالغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وأما الغالب على قوم هود فهو اللذات الخيالية وهى طلب الاستعلاء والتجبر (فاتقوا الله وأطيعون) فى كل ما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها بل اكتفوا واقتصروا منها بقدر الكفاف (الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون) وهذا بيان ان فسادهم فساد خالص ليس معه شىء من الصلاح فان حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) أى ممن يأكلون الطعام ويشربون الشراب كما قال الفراء المسحر من له جوف (ما أنت الا بشر مثلنا) فكيف تكون نبيا (فأت بآية) أى بعلامة تدل على صدقك (ان كنت من الصادقين) فى دعواك انك رسول الينا فقال لهم صالح ما تريدون قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فأخذ صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) دالة على نبوتى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم (لها شرب) أى نصيب من الماء تشرب منه يوما (ولكم شرب يوم معلوم) أى ولكم نصيب من الماء تشربون منه يوما ولا تزاحموا على شربها (ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها) روى أن مصدعا ألجأها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار بالسيف فى ساقيها قال مقاتل وغيره فخرج فى أبدانهم خراج مثل الحمص فكان فى اليوم الاول أحمر ثم صار فى الغداة أصفر ثم صار فى الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فماتوا بالامرين وكان ذلك ضحوة (فأصبحوا نادمين) أى فصاروا نادمين على قتلها ندم الخائفين من العذاب العاجل أو ندم التائبين عند معاينة العذاب فلم ينفعهم الندم (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك) أى فى أخذهم بالعذاب (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا القصة من قريش (مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) حيث لا يعاجلهم بالعذاب (كذبت قوم لوط المرسلين) فمن كذب رسولا فقد كذب الكل (اذ قال لهم أخوهم) فى البلد لا فى النسب نبيهم (لوط) فان لوطا ابن أخى ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فلوط كان مجاورا لهم فى قريتهم (ألا تتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فيما أمركم به (وأطيعون) أى اتبعوا أمرى (وما أسألكم عليه) أى الدعاء الى الله تعالى (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) أى جامع الخلق ومربيهم (أتأتون الذكران من العالمين) أى أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) أى وتتركون اناثا أباحها لكم ربكم هى أزواجكم لاجل استمتاعكم أو وتتركون فروجا أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم (بل أنتم قوم عادون) أى متجاوزون الحد فى جميع المعاصى باتيانكم هذه الفاحشة أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم

على سائر الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن تقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) أى من جملة من أخرجناه من بلدنا سدوم (قال) لوط (انى لعملكم من القالين) أى انى لعملكم الخبيث لمبغض من المبغضين غاية البغض فلا أقف عن الانكار عليه بالابعاد عنكم ثم توجه لوط الى الله تعالى قائلا (رب نجنى وأهلى مما يعملون) أى من شؤم عملهم (فنجيناه وأهله) أى بنتيه وامرأته المؤمنة ومن اتبعه فى الدين (أجمعين) مما عذبناهم به باخراجهم من بينهم عند قرب حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط المنافقة (فى الغابرين) أى الا عجوزا مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت راضية بفعل القوم وقد أصابهم الحجر فى الطريق (ثم دمرنا الآخرين) أى أهلكنا المتأخرين عن اتباع لوط بقلب قراهم عليهم وجعل أعلاها سافلها (وأمطرنا عليهم) أى على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (مطرا) غير معتاد حجارة من السماء فأهلكناهم (فساء مطر المنذرين) أى فبئس مطر جنس المنذرين مطر قوم لوط بالحجارة (ان فى ذلك) أى فيما فعلناه بهم (لآية) أى دلالة على عزة الله وعظمته (وما كان أكثرهم) أى أكثر من تلوت عليهم القصة (مؤمنين) فان أكثر الخلق لئام وكرامهم قليلون كما قال الشاعر
تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكريم قليل (وان ربك لهو العزيز الرحيم) فلا يهتدى الى عديم النظير الا الاذلاء ويهتدى اليه برحمته الفائضة من كانت همته عالية (كذب أصحاب الايكة المرسلين) أى كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعيبا وجملة المرسلين وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فى هذه السورة وفى ص خاصة ليكة بلام واحدة وفتح التاء وهى غير منصرف للعلمية والتأنيث واللام جزء الكلمة وهى اسم لبلدة لأصحاب الحجر وقال أبو عبيدة ان ليكة اسم للقرية التى كانوا عليها والايكة اسم للبلاد كلها (اذ قال لهم) نبيهم (شعيب ألا تتقون) الله الذى تفضل عليكم بنعمه (انى لكم رسول) من عند الله فهو أمرنى ان أقول لكم ذلك (أمين) لا خيانة عندى (فاتقوا الله) المحسن اليكم بهذه الغيضة وغيرها (وأطيعون) لما ثبت من نصحى لكم (وما أسألكم عليه) أى على دعائى لكم الى الايمان بالله تعالى (من أجران أجرى الا على رب العالمين) أى المحسن الى الخلائق كلهم فانى لا أرجو أحدا سواه (أوفوا الكيل) أى أتموه اذا كلتم للناس كما توفونه اذا أخذتم منهم (ولا تكونوا من المخسرين) أى الناقصين لحقوق الناس (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى بالميزان العدل وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف والباقون بالضم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لا تنقصوا شيأ من حقوق الناس فى كيل ووزن أو غير ذلك (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تعملوا المعاصى فى الارض بقطع الطريق والغارة واهلاك الزرع والدعاء الى غير عبادة الله فانهم كانوا يفعلون ذلك (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) أى الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة وطبيعة غليظة كقوم هود وقوم لوط وقرأ العامة الجبلة على كسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو حصين والاعمش والحسن بضمهما وتشديد اللام والسلمى بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قالوا انما أنت من المسحرين) أى المجوفين مثلنا لست ملكا (وما أنت الا بشر مثلنا) تأكل وتشرب كما نفعل فلا وجه لتخصيصك بالرسالة (وان نظنك لمن الكاذبين) فان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانا نظنك لمن الكاذبين فى دعواك انك رسول من الله ثم ان شعيبا كان هددهم بالعذاب ان استمروا على التكذيب فقالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) أى فأسقط علينا قطعا من السحاب (ان كنت من الصادقين) فى دعواك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بالسكون وانما طلبوا ذلك لتصميمهم على التكذيب

واستبعادهم وقوعه فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم الى الله تعالى ف(قال ربي أعلم بما تعملون) وبما تستحقون بسببه من العذاب (فكذبوه) أى أصروا على تكذيبه بالرسالة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وفى اضافة العذاب الى يوم دون الظلة اعلاما بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب السحاب كما روى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم هدة وحرا شديدا مع سكون الريح سبعة أيام بلياليها فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصار وارمادا (انه) أى ذلك العذاب (كان عذاب يوم عظيم) فى الشدة والهول قال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الايكة وأهل مدين فأهلكت أصحاب الايكة بالظلة وأهل مدين بصيحة جبريل عليه السلام (ان فى ذلك) أى فيما فعلنا بهم (لآية) أى دلالة واضحة على صدق الرسل (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومك (مؤمنين) مع أنك قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم معرفة بك قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأغزرهم عقلا وأبعدهم عن كل ذى دنس (وان ربك لهو العزيز الرحيم) بالامهال وهذا آخر القصص السبع التى ذكرها الله تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له وكل قصة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة بأن لا يعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان وبأن لا يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يسمع شيأ منها من أحد أصلا وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيأ يزجرهم عن الكفر والضلال واستمروا على ذلك (وانه) أى القرآن الذى من جملته هذه القصص (لتنزيل رب العالمين) أى منزل من خالق المخلوقين فليس بشعر ولا أساطير الاولين ولا غير ذلك مما قالوه فيه (نزل به الروح الامين) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بتخفيف الزاى ورفع الروح والباقون بتشديد الزاى ونصب الروح وذكر الله تعالى دليل التنزيل بقوله تعالى نزل به الروح الى آخره فالروح هو جبريل عليه السلام سمى بالروح لانه به نجاة الخلق فى باب الدين فهو كالروح الذى تثبت معه الحياة وبالامين لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء عليهم السلام (على قلبك) أى جعل الله تعالى جبريل نازلا بالقرآن على قدر حفظك أى فهمك القرآن وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى وهذا تنبيه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ان الاخبار عن هذه القصص ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى (لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) أى أنزل الله تعالى القرآن لتنذرهم بما فيه من العقوبات الهائلة وكان انزاله بلغة عربية واضحة المعنى لئلا يبقى لهم عذر ما له منه لو نزله باللسان الاعجمى لقالوا له صلى الله عليه وسلم ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وقوله لتكون متعلق بنزل وكذا قوله بلسان ويجوز ان يكون بدلا من به وأما جعله متعلقا بالمنذرين فيفيد ان غاية الانزال كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط وهذا لا ينبغى فان سبب كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين مجرد انزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم لا انزاله بخصوص اللسان العربى والذين أنذروا باللسان العربى خمسة فقط محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب (وانه لفى زبر الاولين) أى وان معنى القرآن وصفته لفى الكتب المتقدمة فان الله تعالى أخبر فى كتب

الاولين عن القرآن وانزاله فى آخر الزمان والله تعالى بين أصول معانيه فى كتبهم (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) أى أغفل أهل مكة عن القرآن ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه فى زبر الاولين ان يعرفه علماء بنى اسرائيل بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وكانوا خمسة أسد وأسد وابن يامين وثعلبة وعبد الله بن سلام فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد نعته فى التوراة فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث ورفع آية على انه اسمها ولهم خبرها وان يعلمه بدل من اسمها أو على انه فاعل لها ولهم حال وان يعلمه بدل من الفاعل ولا يجوز أن يكون آية اسمها وان يعلمه خبرها لانه يلزم عليه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة والباقون يكن بالتذكير ونصب آية على انه خبرها وان يعلمه اسمها (ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أى ولو نزلنا القرآن كما هو على رجل أعجمى فقرأه على أهل مكة قراءة صحيحة خارقة للعادة ما كانوا مؤمنين به مع ان الاعجمى لا يتهم باكتسابه أصلا لفقد الفصاحة فيه ولا باختراعه لكونه ليس بلغته لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة (كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين) أى مثل ذلك الادخال أدخلنا القرآن فى قلوب كفار مكة ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه وكيفما فعل بهم فلا سبيل الى ان يتغير واعما هم عليه من الانكار (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ للايمان به فيؤمنون حين لا ينفعهم الايمان (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) باتيان العذاب (فيقولوا) تأسفا على ما فات من الايمان (هل نحن منظرون) وهو استفهام طمع فى المحال وهو امهالهم بعد مجيء العذاب وهم فى الآخرة يعلمون ان لا ملجأ لهم لكنهم يذكرون ذلك استرواحا (أفبعذابنا يستعجلون) أى أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا فى الدنيا بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك (أفرأيت) أى اخبرنى أيها المخاطب (ان متعناهم) فى الدنيا بطول الاعمال وطيب المعاش (سنين) متطاولة (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أى أى شيء أفادهم كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد من دفع العذاب وقرئ يمتعون بسكون الميم (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (الا لها منذرون) أى رسل قد أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) أى لاجل تذكيرهم العواقب وهو منصوب على انه مفعول لاجله أو مفعول مطلق منصوب بمنذرون لان التذكرة فى معنى الانذار أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لمنذرون أى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى ويجوز ان يكون ذكرى مفعولا له علة لاهلكنا والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم عبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) وهذا رد لقول الكفار لم لا يجوز أن يكون هذا القرآن من القاء الجن والشياطين الى محمد على لسانه كسائر ما ينزل على الكهنة من أخبار السماء (وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) أى ان الشياطين لممنوعون عن الاستماع للوحى كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور قال بعضهم وهذا اشارة الى انه ليس للشياطين استعداد تنزيل القرآن ولا قوة

حمله وسمع فهمه لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ألا ترى ان نار الجحيم كيف تستغيث عند مرور المؤمنين عليها وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فاذا لم يكن لهم استطاعة على حمل القرآن ولا قوة على سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وان وجد فيهم السمع الذى هو الادراك لانهم حرموا الفهم المؤدى الى الاستجابة لما دعوا اليه (فلا تدع مع الله الها آخر) أى فلا تعبد مع الله الها غيره (فتكون من المعذبين) قال بعضهم وهذا يشير الى ان طلب غير الله من الدنيا والآخرة بتوجه القلب اليه أمارة عذاب الله وهو البعد من الله فمن يكون أبعد من الله يكون عذابه أشد فكل طالب شئ يكون قريبا اليه بعيدا عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حسنات الابرار سيئات المقربين فالابرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده بلا شريك له وهذا الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره كما هو شأن الحكيم اذا أراد أن يؤكد الخطاب لاحد وجهه الى الرؤساء فى الظاهر ولانه تعالى أراد ان يتبعه ما يليق بذلك فلهذا أفرده صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة بقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب وروى انه صلى الله عليه وسلم قال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت أبى بكر و يا حفصة بنت عمر و يا فاطمة بنت محمد و يا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لا أغنى عنكن شيأ وروى محمد بن اسحق عن على رضى الله عنه انه قال لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم هذه الاية دعانى فقال يا على ان الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين فاصنع لى صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا بسم الله فأكل القوم حتى شبعوا ثم قال أسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بادره أبو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم فقال يا على ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فأعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالامس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على أمرى ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم جميعا عن ذلك الكلام فقلت يا رسول الله أنا أكون وزيرك عليه قال على فأخذ صلى الله عليه وسلم برقبتى ثم قال ان هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب قد أمرك أن تسمع لعلى وتطيع وروى أبو يعلى عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فانذرهم فسألوه آيات سليمان فى الريح وداود فى الجبال وعيسى فى احياء الموتى ونحو ذلك وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخرة ذهبا فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده أخبرهم بأن أعطى ما سألوه ولكن ان أراهم كفروا وعوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أى لين جانبك لهم ومن للتبيين لان من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو قرابة أو نسب (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) ولا تبرأ منهم وقل لهم قولا بالنصح لعلهم يرجعون الى قبول

الدعوة منك والمعنى فبعد انذار عشيرتك فتواضع لمن آمن منهم وتبرأ من عمل من خالفك منهم (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فوض أمرك الى الذى يقهر أعداءك بعزته و ينصرك عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو عطفا على أنذر (الذى يراك حين تقوم) من نوم أوغيره الى الصلاة منفردا (وتقلبك فى الساجدين) أى و يرى تصرفك فى الصلاة بالقيام والركوع والسجود والقعود مع المصلين جماعة اذ كنت امامالهم ويقال ويراك متنقلا فى اصلاب المؤمنين وارحام المؤمنات من لدن آدم وحواء الى عبد الله وآمنة لجميع أصول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجالا ونساء مؤمنون فلا يدخلهم الشرك مادام النور المحمدى فى الذكر وفى الانثى فاذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله وآزر ماعبد الاصنام الا بعد انتقال النور منه لابراهيم وأماقبل انتقاله فلم يعبد غير الله (انه هو السميع العليم) فيسمع ماتقوله ويعلم ماتنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى هل أخبركم يا كفار مكة على من تنزل الشياطين أى لما قال الكفار لم لا يجوز أن يقال ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما انهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء فرق الله تعالى بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين الكهنة والشعراء فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) أى تنزل الشياطين على كل من اتصف بالكذب الكثير والاثم الكبير وهو مسيلمة الكذاب وسطيح وطليحة (يلقون السمع) وهذه الجملة اما حال من فاعل تنزل المستتر أى يصغى الشياطين سمعهم الى الملائكة ليسترقوا شيأ أو يلقون الشئ المسموع الى الكهنة واما صفة لكل أفاك أثيم أى يصغى الكهنة سمعهم الى الشياطين أو يلقون ماسمعوه منهم الى عوام الخلق (وأكثرهم كاذبون) فالشياطين يسمعون الكهنة مالم يسمعوا من الملائكة كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والكهنة يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) أى الراوون الذين يروون هجاء المسلمين أى وشعراء الكفار يتكلمون بالكذب منهم عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله وأمية بن أبى الصلت وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا شعرا واجتمع اليهم سفهاء قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم قولهم وقرأ نافع بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) أى ألم تعلم أيها المخاطب ان الشعراء يسيرون فى طرق مختلفة سير الحائرين من طرق القيل والقال فانهم قد يمدحون الشئ بعد ان ذموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد ان استحقروه وبالعكس لانهم لا يطلبون بشعرهم الصدق (وأنهم يقولون مالا يفعلون) فانهم يمدحون الجود ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شئ صدر منهم ثم انهم لا يفعلون الا الفواحش وذلك يدل على الضلالة (الا الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) فلم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته وفى الحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والزجر عن الاغترار بزخارفها (وانتصروا من بعد ماظلموا) أى فلا يذكرون هجو أحد الا من يهجوهم من الكفار وذلك رد على هجو الكفار لرسول الله وأصحابه كما قال صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهب الخليل عن خليله
فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي أسرع فيهم من نضح النبل وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل وعن أبي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) أي سيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجو رسول الله وأصحابه وبالاعراض عن تدبر هذه الآيات انهم ينقلبون كمال انقلاب لان مصيرهم الى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشر مرجع فالمنقلب هو الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع هو العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا وقرئ أي منفلت ينفلتون أي وسيعلم الظالمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات فانهم يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وأي منصوب بينقلبون ولا يجوز أن يكون منصوبا بسيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها الا ان الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض

﴿سورة النمل مكية وهي أربع وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طس) أي هذا مسمى بطس (تلك) أي تلك السورة (آيات القرآن وكتاب مبين) أي مظهر للحكم والاحكام وأحوال الآخرة وقرأ ابن أبي عبلة برفع كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) هما حالان من آيات أي هادية الى الله ومبشرة بالوصول الى الله بهدايته للمصدقين بتلك الآيات أو بدلان منها أو خبران آخران لتلك كما قال تعالى ألا من طلبني وجدني من طلبني بدلالات القرآن وجدني بالعيان (الذين يقيمون الصلاة) أي يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعها في حقها (ويؤتون الزكاة) أي يعطونها بشرائطها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أي هؤلاء هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بأن خلقنا في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا نخلق في قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات (فهم يعمهون) أي ينهمكون فيها (أولئك) أي الموصوفون بعدم الايمان بما في الآخرة وبالعمد في الاعمال (الذين لهم سوء العذاب) وهو عمى القلوب وصممه وبكمه (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أي أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ولانهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يربحوا المولى وذلك لان قوما من المختصين بتوفيق من الله يحبهم ويحبونه قد خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات اليهما في طلب المولى فربحوا المولى فلهذا لما وجد أبو يزيد في البادية قحف رأس مكتوب عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبل عليه وقال هذا رأس صوفي (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أي وانك يا أشرف الخلق لتؤتى القرآن من عند ذات مصيب في أفعاله لا يفعل شيأ الا على وفق علمه عليم بكل شيء سراء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا وقال بعضهم أي انك جاوزت حد كمال كل رسول فانهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من

لفظه وحيا وانك تلقى حقائق القرآن من عند الله تعالى وان كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك فالله تعالى علمك حقائق القرآن بأن جعلك بحكمته مستعد القبول فيض القرآن بلا واسطة وهو أعلم حيث يجعل رسالته (اذ قال موسى لأهله) أى زوجته بنت شعيب حيث تحير فى الطريق عند مسيره من مدين الى مصر (انى آنست نارا) أى أبصرتها (سآتيكم منها بخبر) يعرف به الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) وقرأ الكوفيون بتنوين شهاب فالقبس بدل منه أو صفة له أى بشعلة نار مأخوذة من أصلها والباقون بالاضافة أى بشهاب من قبس (لعلكم تصطلون) أى لكى تدفؤا بها (فلما جاءها) أى تلك التى ظنها موسى نارا (نودى) من قبل الله تعالى (أن بورك من فى النار ومن حولها) أى بورك من فى مكان النار وهى البقعة المباركة ومن حول مكانها ويدل عليه قراءة أبى تباركت الارض ومن حولها وعنه أيضا بوركت النار وقيل المراد بمن فى النار هو موسى عليه السلام لقربه منها ومن حولها الملائكة أى نودى ببركة من فى النار أى بتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أى ناداه الله تعالى بأنا قدسناك واخترناك للرسالة وهذه تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له (وسبحان الله رب العالمين) وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به فى ذاته وحكمته ليكون ذلك مقدمة فى تحقق رسالة موسى عليه السلام واعلاما بأن ذلك الامر مكونه رب العالمين ولدفع ماقد يتوهمه موسى بحسب الطبع البشرى الجارى على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به فى مكان أو فى جهة ومن أن الكلام الذى يسمعه موسى فى ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق (ياموسى انه) أى ان مكلمك (أنا الله العزيز الحكيم) أى أنا القوى القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة وانا خبر ان والله بيان له والعزيز الحكيم صفتان لله مهدتان لما أراد الله أن يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات (وألق عصاك) عطف على بورك فكلاهما تفسير لنودى فألقاها فانقلبت حية كبيرة جدا تسعى فأبصرها متحركة بسرعة واضطراب (فلما رآها تهتز) أى تضطرب فى تحركها (كأنها) أى العصا (جان) أى حية صغيرة فى سرعة الحركة (ولى مدبرا) أى هرب موسى منها مدبرا (ولم يعقب) أى لم يلتفت اليها من خوفها الظنه ان ذلك لامر أريد به ولذلك قال تعالى (ياموسى لاتخف) منها (انى لايخاف لدى المرسلون) فى حالة الايحاء والارسال ولا يخاف من الملك العدل الا ظالم كما قال تعالى (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) أى لكن من ظلم ثم عمل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وهذا تعريض لطيف بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطى وجعل الاخفش والفراء وأبو عبيدة الا حرف عطف بمنزلة الواو فى التشريك فى اللفظ والمعنى وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه ومن شرطية وجوابها فانى غفور رحيم (وأدخل يدك فى جيبك) أى فى ابطك وكان له عليه السلام مدرعة صوف لا كم لها (تخرج بيضاء) لها اشراق (من غير سوء) أى آفة (فى تسع آيات الى فرعون وقومه) وقوله فى تسع متعلق بمحذوف حال اخرى من ضمير تخرج أى حال كون اليد مندرجة فى جملة تسع آيات وقوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل أدخل أى حال كونك مرسلا بها الى فرعون والظاهر ان قوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل ألق وأدخل وان قوله فى تسع متعلق بمحذوف حال من مفعولهما أى ألق وأدخل أى حال كون العصا واليد مع جملة الآيات التسع فان الآيات أحدى عشرة العصا واليد والفلق والطوفان

والجراد

والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وحال كونك مبعوثا الى فرعون والقبط (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن ربقة الانقياد لامرى والعبودية لالوهيتى (فلما جاءتهم آياتنا) على يد موسى عليه السلام (مبصرة) كل من ينظر اليها ويتأمل فيها هادية الى الطريق الاقوم وقرأ على بن الحسين وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) أى هذا الذى أتى به موسى خيال لا حقيقة له واضح في انه خيال (وجحدوا بها) أى كذبوا بتلك الآيات بألسنتهم (واستيقنتها أنفسهم) أى وقد علمتها قلوبهم علما يقينا انها حق (ظلما وعلوا) حال أخرى من الواو في جحدوا أو علة للجحد أى ظالمين للآيات حيث سموها سحرا وحطوها في رتبتها الرفيعة ومترفعين عن الايمان بها أو جحدوا بها للظلم للآيات وللتكبر عنها وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من اغراقهم في البحر على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أى أعطينا كل واحد منهما جزأ من العلم لائقا به من علم الحكم والسياسة ومختصا به كعلم داود صنعة لبوس وتسبيح الجبال والطير وعلم سليمان سائر نطق الطير والدواب (وقالا) شكرا لما أعطيناه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما أعطانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) ممن لم يؤت علما مثل علمنا وفي هذا دليل على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم بان يحمد الله تعالى على ما أعطاه من العلم ويعتقد انه قد فضل عليه كثير وان فضل على كثير فلا يفتخر ولا يتكبر وان يشكر الله تعالى في انه ينفع بعلمه المسلمين (وورث سليمان داود) أى ملكه بأن قام مقامه فيه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد له تسخير الريح والشياطين وداود أشد تعبدا من سليمان وروى أن سليمان أعطى هذا الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة أما داود فقد عاش مائة سنة (وقال) سليمان لبنى اسرائيل على جهة الشكر لنعم الله تعالى وللتنويه بها (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وهذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان سليمان عليه السلام ملكا مطاعا لا يتكبر وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك التعظيم واجبا روى عن كعب الاحبار رضى الله عنه ان سليمان عليه السلام أخبر عن منطق جملة من الطيور الورشانة تقول لدوا للموت وابنوا للخراب والفاختة تقول ليت ذا الخلق لم يخلق والطاوس يقول كما تدين تدان والهدهد يقول من لا يرحم لا يرحم والصرد يقول استغفروا الله يا مذنبين وهو الذى دل آدم على مكان البيت ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله والطيطوى يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه وهو الذى آنس الله آدم به بعد خروجه من الجنة فهى لا تفارق بنى آدم أنسا لهم والحمام يقول سبحان ربى الاعلى والغراب يدعو على العشار فكان يقول اللهم العن العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاط تقول من سكت سلم والببغان وهى الدرة تقول ويل لمن الدنيا همه والقمرى يقول سبحان ربى العظيم المهيمن والباز يقول سبحان ربى العظيم وبحمده والعقاب يقول في البعد عن الناس أنس والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت (وأوتينا من كل شئ) أى أعطينا شيأ كثيرا وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منصته في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن

والشياطين وحولهم الوحش وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قدزدت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشىء الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (ان هذا) أى التعليم والاعطاء (لهو الفضل المبين) أى الذى لا يخفى على أحد وقصده عليه السلام بذلك القول الشكر والحمد أى أقول هذا القول شكرا لا فخرا (وحشر لسليمان جنوده) أى جمع له بقهر واكراه بأيسر أمر عساكره (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) أى يمنعون من التقدم فى السير حتى يجتمعوا ليكون مسيره عليه السلام مع جنوده على ترتيب وروى عن كعب الاحبار انه قال كان سليمان عليه السلام اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فبكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب أبكانى ان هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علىّ ولم يصلوا عندى والاصنام تعبد حولى فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف أملأك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الىّ وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم ساروا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) وهو واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وقتادة أو بالطائف على ما قاله كعب وهو نمل صغار على المشهور (قالت نملة) قولا مشتملا على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التى تدخل الجنة فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال ويقال لها منذرة وقيل اسمها حرميا وقيل طاخية وقيل عيجلوف (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) أى جحركم (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أى لا تبرزوا فيدوسنكم سليمان وجنوده فى حال كونهم لا يشعرون بدوسهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من أحوال السير وكأنهم أرادوا النزول عند الوادى لانه مادامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف دوسهم (فتبسم ضاحكا من قولها) أى تعجبا من قول النملة بفصاحتها واهتدائها الى تدبير مصالح بنى نوعها وسرورا بما آتاه الله من سمع كلامها وفهم معناه وبشهرة حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين أنواع المخلوقات (وقال) سليمان (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أكف شكر نعمتك عندى عن ان ينقلب عنى حتى أكون شاكرا لك أبدا أو وفقنى لان أؤدى شكر نعمتك (التى أنعمت علىّ وعلى والدى) هما داود وأم سليمان وهى فى الاصل زوجة أوريا التى امتحن الله بها داود عليه السلام (وأن أعمل صالحا ترضاه) لان العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص فى العامل كما قيل

اذا كان المحب قليل حظ * فحسناته الاذنوب

(وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين كما قاله ابن عباس لان الصالح الكامل هو الذى لا يعصى الله تعالى ولا يهم بمعصية أى اثبت اسمى فى أسمائهم

واحشرنى

فاحشرني في زمرتهم (وتفقد الطير) أي بحث أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها أي نزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فطلب الهدهد ليدل على الماء لانه يعرف موضع الماء قربه و بعده فينقر الارض ثم تجيء الشياطين فيحفرونها و يستخرجون الماء في ساعة يسيرة (فقال مالي لا أرى الهدهد) اسمه عنبر كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أي مالي لا أراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم ظهر له أنه غائب فانتقل عن ذلك الكلام فقال (أم كان من الغائبين) فتقدر أم ببل أو بالهمزة أو بهما روى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان ينحر في كل يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل بها ليتغدى و يصلي فلم يجدا الماء فتفقد الهدهد وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء فنزل الى بستان بلقيس فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح قال يعفور ومن ملك هذه البلاد قال عفير امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وذهب معه لينظر الى بلقيس وملكها فما رجع يعفور الا بعد العصر فلما دخل العصر سأل سليمان الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يره فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان عند ذلك وقال (لاعذبنه) بسبب غيبته فيما لم آذن فيه (عذابا شديدا) بنتف ريشه فهذا عذاب الطير (أو لاذبحنه) بالسكين ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) أي الا أن يأتيني بحجة تبين عذره فلا أذبح ولا أعذب ثم دعا العقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له علي بالهدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء فالتفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا مارحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويلك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك فطارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله فقالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله (فمكث) أي الهدهد (غير بعيد) أي زمانا غير طويل حتى جاءه وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها فلما اقترب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأك عني (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت مالم تعلم أيها الملك وبلغت الى مالم تبلغ (وجئتك من سبأ) وقرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين يراد به القبيلة والمدينة والاصل اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام والباقون بالجر والتنوين اسم للحي سموا باسم أبيهم الاكبر وهو

سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعن ابن كثير في رواية سبأ بالألف (بنبأ يقين) أي بخبر حق عجيب (اني وجدت امرأة تملكهم) يقال لها بلقيس بكسر الباء وهي بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية كما أخرج عن زهير بن محمد وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجها اياها (وأوتيت من كل شيء) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أي سرير حسن كبير طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مصنوع من الذهب والفضة مكلل بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها) أي لقيتهم مجوسا (يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدون الشمس متجاوزين عبادة الله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل الهدى (فهم لا يهتدون) بسبب ذلك (أن لا يسجدوا لله) مفعول له للصد أو للتزيين على حذف اللام أي فصدهم لأن لا يسجدوا له تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل من أعمالهم أي وزين لهم الشيطان عدم سجودهم لله تعالى وقرأ الكسائي ألا يسجدوا بتخفيف اللام فألا حرف تنبيه واستفتاح ويا بعدها حرف تنبيه أيضا أو نداء والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء اسجدوا واسجدوا فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا ولكن الصحابة اسقطوا ألف يا وهمزة الوصل خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا واختلفا تقديرا وعلى هذه القراءة فالوقف على يهتدون تام ولو وقف على يا بمعنى ألا يا هؤلاء ثم ابتدئ باسجدوا جاز بخلاف قرأة الباقين بادغام النون في لا فالوقف على لا يهتدون جائز وقرأ الاعمش هلا وهي حرف عبد الله بقلب الهمزة هاء وقرأ أبي ألا يسجدون أي لم لا يسجدون لله كما قاله ابن عباس وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وهلا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله تعالى أو من سليمان عليه السلام قال أهل التحقيق قوله أن لا يسجدوا يجب أن يكون بمعنى الامر لانه لو كان بمعنى المنع من السجود لم يكن معنى لوصفه تعالى باستحقاق السجود للاتصاف بكونه تعالى قادرا على اخراج الخبء عالما بكل شيء (الذي يخرج الخبء في السموات والارض) والجار والمجرور متعلق بالخبء أي الذي يظهر المخفي فيهما من المطر والنبات ومتعلق بيخرج على أن في فيه معنى من كما قاله الفراء (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) من الاحوال فيجازيكم بها وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فتأويل قراءة حفص في ألا يسجدوا أنه حرج الى خطاب الحاضرين بعد ان أتم قصة أهل سبأ والخطاب على قراءة الكسائي ظاهر والباقون بالغيبة لتقدم ضمائر الغيبة في قوله أعمالهم وصدهم فهم وهي غير ظاهرة وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي فعرش الله عظيم بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض وما بينهما وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب ولما ذكر الهدهد قصة بلقيس لم يتغير سيدنا سليمان عليه السلام لذلك ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها كعادة الملوك في الطمع في ملك غيرهم فلما ذكر الهدهد عبادة بلقيس وقومه غير الله اغتاظ سيدنا سليمان وأخذته حمية الدين وجعل يبحث عن تحقيق (قال) سليمان للهدهد (سننظر) أي سنتعرف في مقالتك بالتجربة

(أصدقت

(أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) وفى هذا دليل على أن خبر الواحد لا يثبت العلم وعلى أن الوالى يجب أن يقبل عذر من فى صورة المجرمين اذا صدق فى اعتقاده (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) أى الى من يعبدون الشمس (ثم تول عنهم) أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقوله بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) أى تعرف أى شئ يرجع بعضهم الى بعض من القول فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فألقى الكتاب على نحرها وتوارى فى الكوة فانتبهت فزعة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه فعند ذلك (قالت) لاشراف قومها (يا أيها الملأ) أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة ان أهل مشورتها كانوا ثلاثمائة واثنى عشر رجلا (انى ألقى الى كتاب كريم) أى لانه مكرم بختمه ولغرابة شأنه حيث وصل اليها على غير معتاد ولحسن ما فيه من كونه مشتملا على اثبات الصانع الحى المريد القادر الرحيم وعلى النهى عن التكبر والامر بالانقياد ولكونه من عند ملك كريم فقد عرفت أن المرسل أعظم ملكا منها (انه) أى ان عنوان الكتاب (من سليمان وانه) أى ان مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على) فان مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا على كما تفعل الملوك وقرأ ابن عباس لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا ترتفعوا على ولا تمتنعوا من الاجابة (وأتونى مسلمين) أى مؤمنين (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى أجيبونى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم خلاصته (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) أى عادتى معكم أن لا أفعل أمرا من الامور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم (قالوا نحن أولوا قوة) فى الاجساد والآلات (وأولوا بأس شديد) أى شجاعة مفرطة وثبات فى القتال (والامر اليك) أى هو موكول اليك (فانظرى) أى تأملى (ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فمرى بنا بأمرك ولما أحست منهم الميل الى الحراب لم ترض به لما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شئ يريده وذلك يدل دلالة بينة على رسالة مرسلها بل مالت للصلح ولذلك بينت السبب فى رغبتها فيه (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج الحراب (أفسدوها) بتخريب عمارتها واتلاف ما فيها من الاموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة (وكذلك يفعلون) وهذا من جملة كلامها ذكرته توكيدا لما وصفته من حال الملوك أى ان الذين أرسلوا الكتاب يفعلون مثل الذى تفعله الملوك فان ذلك عادتهم المستمرة (وانى مرسلة اليهم) رسلا (بهدية) عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) روى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وبعثت العود والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وأخبر بما فى الحق قبل أن يفتحه وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا من غير علاج أنس وجن ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فانطلق الرسول بالهدايا فأقبل الهدهد الى سليمان عليه السلام فأخبره بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب

والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر مختلفة ألوانها حتى ان لدواب البحر أجنحة وأعرافا ونواصى فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير أن أقيموا على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا فى ذلك الموضع فلما وقفوا بين يدى سليمان أقبل عليهم بوجه طلق وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتى به فحركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال سليمان لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة ثم أمر بالارضة فأخذت شعرة فى فيها ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة فأمر بالدودة البيضاء فأخذت خيطا بفيها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه وأمر الغلمان والجوارى بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تغسل به وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظهره فميز عليه السلام بين الغلمان والجوارى ثم رد الهدية كما أخبر الله عنه بقوله (فلما جاء) أى رسول الملكة بلقيس وهو منذر (سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم) أى قال سليمان عليه السلام مخاطبا للرسول والمرسل لا ينبغى لكم يا أهل سبأ أن تعاونونى بالمال لان الله تعالى قد أعطانى منه ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالنبوة والدين (بل أنتم بهديتكم تفرحون) فالمصدر اما مضاف لفاعله أى تفرحون بما تهدونه افتخارا على أمثالكم واعتدادا به من حيث انكم قدرتم على اهداء مثله واما مضاف لمفعوله أى تفرحون بما يهدى اليكم حبا فى كثرة أموالكم وحالى خلاف حالكم فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى وقيل بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون بأخذها ان ردت اليكم ثم قال للمنذر (ارجع) أيها الرسول (اليهم) أى الى بلقيس وقومها بهديتهم وقيل الخطاب للهدهد أى ارجع يا هدهد حاملا كتابا آخر (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى فوالله لنأتينهم بجموع لا طاقة لهم بمقاومتها وقرأ ابن مسعود بهم بضمير جمع الذكور (ولنخرجنهم منها) أى من سبأ (أذلة) أى حال كونهم ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم (وهم صاغرون) أى مهانون بوقوعهم فى أسر واستعباد وباغلال ايمانهم الى أعناقهم قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل فى آخر سبعة أبيات بعضها فى داخل بعض ثم غلقت عليه سبعة أبواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم تجهزت للسير فارتحلت الى سليمان فى اثنى عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألوف فخرج سليمان يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت بهذا المكان أى الذى على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) فأراد سليمان ان يريها بعض ما خصه الله تعالى من اجراء العجائب على يده الدالة على عظيم قدرته تعالى وعلى صدقه فى نبوته وكان سليمان اذ ذاك فى بيت المقدس وعرشها فى سبأ بلدة باليمن وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين وان يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها اليه لان العرش سرير المملكة (قبل أن يأتونى مسلمين) أى مؤمنين فانها اذا أسلمت

لم يحل له أخذ مالها (قال عفريت) أى قوى (من الجن) كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخرا لسليمان واسمه ذكوان وقيل صخر وقيل كوزن (أنا آتيك به) وهو اسم الفاعل أى أنا آت بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للقضاء وكان مجلس قضائه الى انتصاف النهار (وانى عليه) أى على الاتيان به (لقوى أمين) أى لقوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة (قال الذى عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالتوراة قال ابن عباس وقتادة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدى سليمان قيل كان الدعاء الذى دعا به ياحى ياقيوم كما روى ذلك عن عائشة قال بعضهم أراد سليمان ان يظهر كرامة أمته ليعلم ان فى أمم الانبياء أهل الكرامات لئلا ينكروا من كرامات الاولياء وقال محمد بن المنكدر انما الذى عنده علم هو سليمان نفسه قال له عالم من بنى اسرائيل أنت النبى ابن النبى وليس أحد أوجه منك عند الله فان دعوت الله كان العرش عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجىء بالعرش فى الوقت قال الرازى وهذا القول أقرب والمخاطب به العفريت الذى كلمه وأراد سليمان عليه السلام اظهار معجزة فغالبه أولا ثم بين انه يتحصل له من سرعة الاتيان بالعرش مالا يتهيأ للعفريت قيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسى سليمان وانما هذا أقرب لان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه نبى وان احضار العرش فى تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان ولو افتقر اليه فى ذلك لاقتضى ذلك نقص حال سليمان فى أعين الخلق ولان ظاهر قوله هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر يقتضى ان يكون اتيان العرش بدعاء سليمان (فلما رآه مستقرا عنده) أى رأى سليمان العرش حاضرا لديه (قال) سليمان شاكرا لربه لما آتاه الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أى اتيان العرش فى هذه المدة القصيرة (من فضل ربى) أى من احسانه الى من غير استحقاق له من قبلى (ليبلونى) أى ليختبرنى (أأشكر) فأعترف بكون ذلك فضلا منه تعالى (أم أكفر) بأن أثبت لنفسى تصرفا فى ذلك أو أترك شكرا (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) فان نفع الشكر عائد الى الشاكر فانه يخرج عن علقة وجوب الشكر عليه وانه يستحق المزيد وانه مشتغل بالمنعم أما المعرض عن الشكر فهو مشتغل باللذات الحسية (ومن كفر) أى ترك شكر النعمة (فان ربى غنى) عن شكره لا يضره تعالى كفرانه (كريم) أى لا يقطع عنه نعمه بسبب اعراضه عن الشكر (قال) سليمان (نكروا لها عرشها) أى غيروا سريرها من هيئته فزيدوا فيه وانقصوا منه وروى انه جعل أعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الاخضر أحمر وبالعكس فأراد سليمان عليه السلام اختبار عقلها (ننظر) بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أى نعلم (أتهتدى) أى أتعرف ان ذلك العرش عرشها أو أتعرف الجواب اللائق بالمقام (أم تكون من الذين لا يهتدون) أى لا يعرفون ذلك (فلما جاءت) أى بلقيس سليمان (قيل) لها من جهة سليمان (أهكذا عرشك) أى أمثل هذا عرشك الذى تركته فى قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حراسا (قالت كأنه هو) أى كان عرشى هو هذا وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ولو قيل لها أهذا عرشك

لقالت نعم لمعرفتها للعرش (وأوتينا العلم من قبلها) أى وأعطينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التى شاهدناها بما سمعناه من رسولنا المنذر من الآيات الدالة على ذلك (وكنا مسلمين) من ذلك الوقت وهذا من تتمة كلام بلقيس كأنها ظنت ان سليمان أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) وهذا من كلام الله تعالى أى ومنع بلقيس عن اظهار الاسلام عبادتها القديمة للشمس فما كانت تعبد فاعل صد أوان ما كان مجرورا بعن مقدرة وفاعل صد راجع الى سليمان أى وصرفها سليمان عن الذى كانت تعبده وهو الشمس (انها كانت من قوم كافرين) تعليل لعبادة غير الله أى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بينهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان أو استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من مجوس يعبدون الشمس فلا تعرف الاعبادتها وقرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة بفتح الهمزة على ان هذه الجملة مجرورة بحرف العلة أو بدل من ما كانت تعبد أى ومنعها عن اظهار دعواها الاسلام كونها من قوم كافرين أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة (قيل لها ادخلى الصرح) أى البلاط المتخذ من زجاج روى أن سيدنا سليمان أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفيرة ويجعلوا سقفها زجاجا أبيض شفافا ويضعوا فيها ماء وسمكا وضفدعا وغير ذلك من حيوانات الماء وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذى تحته الماء ولا يمسه الماء ومن لم يكن عالما بالحال يظن هذا ماء مكشوفا ليس له سقف يمنع من الخوض فيه ووضع سيدنا سليمان عليه السلام سريره فى صدر ذلك السطح فجلس عليه قال وهب ومحمد بن كعب والسبب فى ذلك ان الجن قالوا السيدنا سليمان ان فى عقل بلقيس شيأ وان رجليها كرجلى حمار وانها شعراء الساقين وغرضهم فى ذلك تنفيره عن تزوجها لانهم ظنوا انه سيتزوجها وكرهوا ذلك لان أمها كانت جنية فخافوا ان تفشى له أسرار الجن ولأنهم خافوا ان يأتى له منها أولاد فيسخرون الجن فيدوم عليهم الاستخدام والذل فأراد سليمان عليه السلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها فاذا فيها ما يدل على كمال رزانة رأيها ورصانته فكرها وان ينظر الى قدميها ببناء ذلك البلاط لانه أراد ان ينكحها ليعلم ان ما قالت الجن فى حقها صدق أو كذب (فلما رأته) أى رأت ذلك الصحن (حسبته لجة) أى ماء غمرا (وكشفت عن ساقيها) على عادة من أراد خوض الماء لاجل أن تصل الى سليمان قال وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعت وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فرفعت ثيابها عن ساقيها فرآهما فاذا هى أحسن النساء ساقا وقدما سليمة مما قالت الجن فيها الا انها كانت كثيرة الشعر فى ساقيها فلما علم الحال صرف بصره عنها (قال) عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب (انه صرح ممرد من قوارير) أى ان الذى ظننته ماء سقف مملس من زجاج تحته ماء فلا تخافى واعبرى عليه (قالت) بعد ان دعاها سليمان الى الاسلام وقد رأت حال العرش والصرح (رب انى ظلمت نفسى) بالثبات على الكفر فيما تقدم من الزمان وقيل بسوء ظنى بسليمان انه يغرقنى فى اللجة (وأسلمت مع سليمان) أى ودخلت فى دين الاسلام مصاحبة له فى الدين مقتدية به (لله رب العالمين) قيل لما أراد أن يتزوجها وكره شعر ساقيها أمر الشياطين ان يتخذوا النورة والحمام لاجل ازالته فكانتا من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا كثيرا حتى بقيت على نكاحه الى ان مات عنها ورزق منها ولدا اسمه داود وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وكان يزورها فى شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وكان يبكر

من

من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا يزول ملكه (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون) أى فريق مؤمن وفريق كافر فالذين آمنوا لانهم عرفوا صحة حجة صالح فيكونون خصما لمن لم يقبلها والاختصام فى باب الدين حق وابطال للتقليد (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أى لما توعد صالح للمكذبين بالعذاب فقالوا على وجه الاستهزاء ائتنا بعذاب الله فعند ذلك قال صالح ياقوم قد أمكنكم التوصل الى رحمة الله تعالى فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وكانوا لجهلهم يقولون ان صدق ايعاد صالح بنزول العذاب تبنا حينئذ فحينئذ يدفع الله العذاب عنا والا فنحن على ما كنا عليه فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وقال (لولا تستغفرون الله) أى هلا تطلبون غفران الله قبل نزول العذاب بتوحيد الله و بالتوبة من الشرك (لعلكم ترحمون) بقبوله التوبة فان استعجال الخير أولى من استعجال الشر وا قبول التوبة لا يمكن عند نزول العذاب (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) أى تشاءمنا بك وبمن فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد من القحط والاختلاف مذ اخترعتم دينكم (قال) صالح (طائركم عند الله) أى السبب الذى منه يجيء شدتكم ورخاؤكم قدره تعالى ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم (بل أنتم قوم تفتنون) بزينة الدنيا فلا تعرفون قدر نعم الله فى حقكم وقال ابن عباس أى أنتم تختبرون بالخير والشر وقال محمد بن كعب أى تعذبون (وكان فى المدينة) أى فى الحجر (تسعة رهط) أى أشخاص قال ابن عباس أساميهم رعمى ورعيم وهرمى وهريم وداب وصواب ورباب ومسطع وقدار ابن سالف عاقر الناقة وأسماؤهم عن وهب وقد نظمهم بعضهم فى بيتين فقال

رباب وغنم والهذيل ومسطع * عمير سبيط عاصم وقدار
وسمعان رهط الماكرين بصالح * الا ان عدوان النفوس جوار

(يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يمزجون ذلك الفساد بشيء من الصلاح (قالوا تقاسموا) أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه السلام غب ما أنذرهم بالعذاب أحلفوا (بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) وقرأ حمزة والكسائى لتبيتنه بتاء فوقية بعد اللام و بالرفع للجمع ولتقولن بتاء فوقية وبالرفع للجمع وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم وحفص بكسر اللام والباقون بفتحها وبضم الميم مع فتح اللام فقط والمعنى انهم توافقوا وحلفوا بالله لندخلن على صالح ومن آمن به وهم أربعة آلاف ليلا بغتة ونقتلهم جميعا ثم لنقولن لولى دم صالح ما حضرنا قتلهم أو وقته أو مكانه فلا ندرى من قتلهم وانا الصادقون فى انكارنا لقتلهم أى لو اتهمنا قوم صالح حلفنا لهم أنا لم نحضر (ومكروا مكرا) بهذه الكيفية (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) قيل انهم خرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء صالح يصلى فى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة فطبقت فم الشعب عليهم فهلكوا وهلك الباقون بالصيحة وقيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الاحجار ولا يرون راميا (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) بصالح (انا دمرناهم وقومهم أجمعين) أى انا أهلكنا التسعة بالحجارة وأهلكنا قومهم أجمعين بصيحة جبريل عليه السلام وقرأ الكوفيون أنا دمرناهم بفتح الهمزة اما بدل من عاقبة على انه فاعل كان وكيف حال أى فتفكر فى أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف أى هى أى العاقبة تدميرنا اياهم (فتلك بيوتهم خاوية) أى خالية ساقطة وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف (بما

قال ابن عباس أى بل اجتمع علمهم على ان الآخرة لاتكون أى فلم يعتقدوها (بل هم فى شك منها) أى من نفس الآخرة كمن تحير فى أمر لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) أى لايدركون دلائلها لاختلال بصائرهم والله تعالى وصف المشركين أولا بأنهم لايشعرون وقت البعث ثم وصفهم بأنهم لايعلمون أن القيامة كائنة ثم وصفهم بأنهم يخبطون فى شك ثم وصفهم بأن قلوبهم عمى فهم كالبهائم لايخطرون ببالهم حقا ولا باطلا ويستقر همهم على البطون والفروج (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أى أنخرج من القبور احياء اذا صرنا رمما ترابا (لقد وعدنا هذا) أى الاخراج من القبور كما كنا أول مرة (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل مجىء وعد محمد (ان هذا الا أساطير الأولين) أى ما هذا الذى تعدنا يا محمد الا أحاديث الاولين التى لاحقيقة لها (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (سيروا فى الارض) أى سافروا فيها أيها الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى كيف كان آخر أمر المنكرين للبعث المكذبين للرسل فيما دعوهم اليه من الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر وهو هلاكهم بالعذاب الدنيوى لان فى مشاهدة ذلك ما فيه كفاية لمن اعتبر (ولا تحزن عليهم) يا أكرم الرسل فيما مضى لاصرارهم على الكفر (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) أى ولا تكن فى ضيق قلب من مكرهم فى المستقبل وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب الموعود (ان كنتم صادقين) فى أخباركم بمجىء العذاب (قل) لهم ياسيد الرسل (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) فعسى ولعل وسوف بمنزلة الجزم فى مواعيد الملوك أى لابد أن يكون بعض الذى تستعجلون حلوله لحقكم وهو عذاب يوم بدر واللام مزيدة (وان ربك لذو فضل على الناس) أى انه متفضل عليهم بتأخير عقوبتهم على ما يفعلونه من المعاصى (ولكن أكثرهم لا يشكرون) بتأخير العذاب لانهم لايعرفون حق النعمة فيه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أى ما تخفيه فليس تأخير العذاب لخفاء أحوالهم عليه تعالى وقرأ ابن محيصن وابن السميقع وحميد تكن بفتح التاء وضم الكاف (وما يعلنون) من الافعال والاقوال (وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) أى وما من خافية فيهما الا فى لوح محفوظ ظاهر لمن يطالعه من الملائكة (ان هذا القرآن) الذى تقرأ عليهم ياسيد الرسل (يقص على بنى اسرائيل) أى يبين لليهود والنصارى (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وشأن عزير والمسيح (وانه) أى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) وذلك لان بعض الناس لما تأمل القرآن فوجد فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والنبوة والحشر وبيان نعوت جلال الله تعالى ووجد ما فيه من الشرائع مطابقة للعقول ووجده مبرأ عن التناقض ووجد القوى البشرية عاجزة عن جمع كتاب على هذا الوجه علم انه ليس الا من عند الله تعالى فكان القرآن معجزا من هذه الجهة وكان هدى ورحمة من هذه الجهات (ان ربك يقضى بينهم) أى بين اليهود والنصارى أى بين المصيب والمخطىء منهم (بحكمه) أى بالحق لانه تعالى لايحكم الا بالعدل أو بحكمته كما يدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة (وهو العزيز العليم) أى هو القادر الذى لايمنع فلا يرد حكمه العالم بالحكم فلا يكون الا الحق (فتوكل على الله) أى ثق بالله الذى هذا أوصافه فانها توجب على كل أحد ان يفوض جميع أموره اليه (انك على الحق المبين) أى الدين الظاهر فالمحق حقيق بنصرة الله تعالى ثم قطع الله تعالى طمع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن بنى اسرائيل بتبيين أحوالهم انهم لايلتفتون الى شىء من الدلائل فان قطع الطمع عنهم يقوى

القلب على اظهار المخالفة وعلى اظهار الدين كما ينبغي فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أى انهم لفرط اعراضهم عما يدعو اليه كالميت الذى لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذى لا يسمع برفع الصوت ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم بالتحتية وفتحها وبفتح الميم ورفع الصم وقرأ حمزة تهدى العمى بالمضارع المفيد للخطاب وبنصب العمى (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى ما تسمع سماعا يجدى السامع الا من هو فى علم الله انهم يصدقون بالقرآن لانهم منقادون للحق (واذا وقع القول عليهم) أى واذا ثبت نزول العذاب على الكفار وذلك اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وهو يكون موت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن (أخرجنا لهم دابة من الارض) من جبل الصفا بمكة وهى فصيل ناقة صالح عليه السلام فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى فى آخر الزمان وعن على رضى الله عنه انها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وفى الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قرأ الكوفيون بفتح ان بتقدير الباء كما يدل عليه قراءة عبد الله ابن مسعود بأن بتصريح الباء أى تحدثهم بأن الناس كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء الساعة ومباديها وقرأ أبى تنبئهم واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية من الله تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقرأ الباقون بكسر ان على الاستئناف فعلى هذا فالوقف على تكلمهم تام وعليه أيضا يجوز أن يكون بمعنى تجرحهم مع افادة معنى التكثير ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابن زرعة والجحدرى تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام والمراد بالجرح الوسم بالعصا والخاتم روى ان الدابة تخرج من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بين عينيه بعصى موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار (ويوم نحشر) للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق (من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى واذكر لهم وقت جمعنا على وجه الاكراه من كل أمة من أمم الانبياء جماعة كثيرة مكذبين بكتابنا فهم يوقف أولهم حتى يجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة (حتى اذا جاؤا) الى موقف السؤال والجواب (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) أى قال الله تعالى موبخا لهم على التكذيب أكذبتم بآياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بحقيقتها وانها حقيقة بالتصديق حتما (أم ماذا كنتم تعملون) أى بل أى شىء كنتم تعملون فى الكفر والمعنى لم يكن لكم عمل غير الكفر (ووقع القول عليهم) أى نزل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار (بما ظلموا) أى بسبب تكذيبهم بآيات الله (فهم لا ينطقون) بحجة واعتذار (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى ألم يتفكر أهل مكة ولم يعلموا أنا جعلنا الليل مظلما ليستريحوا فيه بالقرار والنوم والنهار مضيئا ليطلبوا فيه معايشهم (ان فى ذلك) أى فى جعل الليل والنهار كما ذكر (لآيات) أى دلالات ظاهرة على التوحيد والبعث والنبوة (لقوم يؤمنون) أما وجه دلالته على التوحيد فلان التقلب من النور الى الظلمة وعكسه

لايحصل الا بقدرة قاهرة عالية وأما وجه دلالته على الحشر فلانه لما ثبت قدرة القادر على هذا التقليب ثبت قدرته على التقليب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة مرة أخرى وأما وجه دلالته على النبوة فلان هذا التقليب لمنافع الخلق وان فى بعثة الانبياء الى الخلق منافع عظيمة فقد ثبت ان هذه الكلمة كافية فى اقامة الدلالة على تصحيح الاصول الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض) أى واذكر لهم وقت نفخ اسرافيل فى الصور النفخة الثانية فاذا سمع الخلق شدة صوت ذلك النفخ بحيث لاتحمله طباعهم يفزعون عنده ويموت كل من كان حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت أو كان ميتا لكنه حى فى قبره كالانبياء والشهداء (الامن شاء الله) أن لايفزع قيل هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول العرش فانهم أحياء عند ربهم لايصل الفزع اليهم وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وقيل منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة وقال القشيرى والانبياء داخلون فى الشهداء لان لهم الشهادة مع النبوة (وكل أتوه داخرين) أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة حضروا الموقف للسؤال والجواب والحساب ذليلين مطيعين وقرأ حفص وحمزة أتوه بصيغة الفعل الماضى وهو بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بصيغة اسم الفاعل فهو بمد الهمزة وضم التاء وقرئ أتاه باعتبار لفظ كل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) أى وتبصر الجبال وقت النفخة تظنها ثابتة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا سريعا فسير الجبال يوم القيامة لايرى لعظمها كما ان سير السحاب لايرى لعظمه (صنع الله الذى أتقن كل شئ) أى صنع الله الذى أحسن خلقه وأتى به على الحكمة ذلك النفخ فى الصور وما تفرع منه من الامور صنعا وضع منصوب على أنه مصدر مؤكد لمضمون ماقبله أى فان نفخ الصور المؤدى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله لايحتمل غير (انه خبير بما تفعلون) أى انه تعالى عالم بما يعمله أهل السعادة والشقاوة من الخير والشر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب (من جاء بالحسنة فله خير منها) أى من جاء يوم القيامة بكلمة الشهادة فله من الجزاء ماهو خير منها باعتبار أن الثواب دائم وانه من فعل الله وانه حاصل من جهة الله تعالى فان المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا جزاؤها المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) وقرأ الكوفيون فزع بالتنوين فحينئذ كان يومئذ ظرف لآمنون أو المحذوف هو صفة لفزع أى والذين جاؤا بالحسنات آمنون من فزع كائن يوم اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة وعلى هذا فالفزع على نوعين فزع من خوف العقاب وفزع شديد مفرط الشدة لخوف النار أماما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد وقرأ الباقون باضافة فزع وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ وهو فتحة بناء لاضافة يوم المبنى والباقون بكسرها وهو كسرة اعراب وهذا يقتضى الامن من جميع فزع ذلك اليوم (ومن جاء بالسيئة) أى بالشرك بالله (فكبت وجوههم فى النار) أى القوا فى النار على وجوههم وتقول لهم خزنة جهنم وقت كبهم على وجوههم فى النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أى ماتجزون الآن الا جزاء أعمالكم من الشرك والمعاصى فى الدنيا ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لاهل مكة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) وهى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما لايسفك فيها دم انسان ولا يصاد صيدها ولا يقطع حشيشها الرطب قرأ الجمهور الذى صفة لرب وقرأ ابن عباس وابن

مسعود التي صفة للبلدة (وله كل شيء) خلقا وتصرفا من غير أن يشاركه شيء في شيء من ذلك (وأمرت أن أكون من المسلمين) أي بان أثبت على ملة الاسلام وبأن أكون من المنقادين لها وهذا اشارة الى أن المسلم الحقيقي من يستعمل الشريعة مثل استعمال النبي صلى الله عليه وسلم (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أقرأ عليكم القرآن بطريق تكرير الدعوة وان أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه) أي فمن اهتدى باتباعه اياي في العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه راجعة اليه لا الي (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أي ومن ضل بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما أنا من المنذرين فلا علي شيء من وبال ضلاله (وقل الحمد لله) على ما أعطاني من نعمة العلم والنبوة وعلى ما وفقني من القيام بأداء الرسالة (سيريكم آياته) أي سيريكم الله تعالى في الدنيا آياته الباهرة كخروج الدابة وسائر اشراط الساعة (فتعرفونها) أي فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أي وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله والباقون بالياء على الغيبة أي وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم المسببة للعذاب

﴿سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى مكية وقيل الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة وهي ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة واحدى وأربعون وخمسة آلاف وثمانمائة حرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين) أي ان آيات هذه السورة آيات الكتاب الذي بين بفصاحته انه من كلام الله وبين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبين خبر الاولين والآخرين وبين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أي نقرأ عليك بواسطة جبريل بعض خبر موسى وفرعون ملتبسا بالحق لاجل قوم يصدقون بك وبالقرآن فانهم المنتفعون به (ان فرعون علا في الارض) أي تجبر في مملكته أرض مصر (وجعل أهلها) أي أهل مملكته (شيعا) أي أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا وعصوا استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام (يذبح أبناءهم) كثير اصغارا وذلك لان الانبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه عليه السلام وفرعون كان قد سمع ذلك فلهذا كان يذبح أبناء بني اسرائيل عند الولادة وهذا الوجه أولى بالقبول قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفا من بني اسرائيل قوله يستضعف حال من فاعل علا أو خبر ثان لان أو بدل اشتمال من علا وقوله يذبح بدل اشتمال من يستضعف (ويستحيي نساءهم) قيل أي يستخدمهن كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بادعائه الى غير عبادة الله وقتل خلق كثير من أولاد الانبياء (ونريد) بارسال موسى (أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أي ان نتفضل على من قهروا في أرض مصر وهم بنوا اسرائيل بانجائهم من بأس فرعون وقوله تعالى ونريد الخ

معطوف على قوله ان فرعون الخ لانهما وقعا تفسير ين لنبأ موسى وفرعون أوحال من طائفة بتقدير المبتدأ أي ونحن نريد (ونجعلهم أئمة) أي قادة الى الخير متقدمين في أمور الدين بعد ان كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون وأرضه وما في يده (ونمكن لهم في الارض) أي ننفذ أمرهم في أرض مصر والشام يتصرفون فيها ما يشاؤن (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي ونرى رؤية بصرية فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يخافونه من المستضعفين من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء المفتوحة وبفتح الراء مع الامالة ورفع ما بعده (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) أي ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب أي ارضعي هذا الصبي (فاذا خفت عليه) أي اشتد خوفك عليه من الذبح بأن يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء (فألقيه في أليم) أي بحر النيل (ولا تخافي) من هلاكه بالغرق ونحوه (ولا تحزني) بسبب فراقه (انا رادوه اليك) من قريب لتكوني أنت المرتضعة له (وجاعلوه من المرسلين) الى أهل مصر والشام قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وأن أحست بالطلق أرسلت الى قابلة وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها لينفعني اليوم حبك اياي فجلست القابلة تعالجها فلما نزل موسى الى الارض هالها نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها فقالت ياهذه ما جئتك الا لقتل مولودك ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحارس بالباب فلفته بخرقة ووضعته في تنور مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخل فاذا التنور مسجور ورأى أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقال لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرج من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لأخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فأخذته ثم ان أم موسى عليه السلام لما رأت جد فرعون في طلب الولد خافت على ابنها فقذف الله في قلبها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فذهبت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها ما تصنعين به فقالت لي ابن أخبؤه فيه فلما انصرفت ذهب النجار الى الذباحين ليخبرهم بذلك فلما جاءهم أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فضربوه وطردوه فلما عاد الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة أخرى ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فجعل لله تعالى انه ان رد عليه بصره ولسانه لا يدلهم عليه فعلم الله تعالى منه الصدق فرد الله عليه ذلك وانطلقت أم موسى وألقته في النيل وكان لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته في قلوب آسية وفرعون فأخرجوه من التابوت وعمدت بنت فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت في الحال فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك

انا

انا نظن ان هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية من فرعون فوهبه لها فتركه قتله وتبنته فقيل لآسية سميه فقالت سميته موشى بالشين المعجمة لانا وجدناه فى الماء والشجر فان معنى مو ماء ومعنى شا شجر فاصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة وذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) أى أخذت موسى جوارى فرعون من بين الماء والشجر يوم الاثنين وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون) أى موسى (لهم عدوا) من بعد ما يجئ اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بفتحهما (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقال الحسن معنى كانوا خاطئين أى كانوا لا يشعرون ان موسى هو الذى يذهب ملكهم (وقالت امرأة فرعون) وهى آسية لفرعون حين أخرجته من التابوت وهم فرعون بقتله لقول الغواة (قرة عين لى ولك) أى هذا الغلام قرة عين لى ولك يا فرعون قال ابن عباس لما قالت آسية ذلك قال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لى فيه قال ابن اسحق ان الله تعالى ألقى محبته عليه السلام فى قلبها لانه كان فى وجهه ملاحة فكل من رآه أحبه ولانها حين فتحت التابوت رأت النور ولانها لما فتحته رأته يمتص أصبعه ولان ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيما لاجل ان يعاونها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فنصيب منه خيرا لو كان له أبوان معروفان (أو نتخذه ولدا) اذا لم يعرف له أبوان وكانت آسية لا تلد (وهم لا يشعرون) وهذا ابتداء كلام من الله تعالى أى وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وبسببه وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال ابن عباس أى وهم لا يشعرون الى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام وقال آخرون هذا من تمام كلام امرأة فرعون أى بنو اسرائيل وأهل مصر لا يشعرون انا التقطناه وانه ليس منا (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى وصار قلبها حائنا صفرا من العقل لفرط الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون وقيل أى خاليا من الحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون تبناه (ان كادت لتبدى به) أى انها كادت لتظهر بأمر موسى من فرط الدهشة أو من شدة الفرح بتبنى امرأة فرعون وقال ابن عباس كادت تخبر بان الذى وجدتموه ابنى بعد ان نسب الى فرعون وقال أيضا فى رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة حزنها عليه حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبى ذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ماشب انه ابن فرعون (لولا أن ربطنا على قلبها) أى لولا حفظنا قلبها بالهام الصبر لابدت قصة موسى (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعد الله تعالى برده اليها وبان يكون من المرسلين أو من الواثقين بحفظ الله تعالى لا بتبنى امرأة فرعون وتعطفها (وقالت) أم موسى (لاخته) الشقيقة مريم وقال الضحاك اسمها كلثمة وقال السهيلى اسمها كلثوم (قصيه) أى فتشى خبره وانظرى الى أين وقع (فبصرت به عن جنب) أى فأبصرت مريم ذلك الغلام كائنة من مكان بعيد اختفاء عن الناس (وهم لا يشعرون) بغرضها وبانها أخت موسى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أى منعناه ان يرتضع من المرضعات التى أحضرها فرعون من قبل مجئ أمه قال الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريحها وروى ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح فقالوا لأخت موسى بعد نظرها اليه وقربها منه هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها (فقالت) أى أخت موسى لآل فرعون عند عدم قبوله ثدى أحد من المرضعات (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمنون

رضاعه ويقومون بجميع مصالحه لأجلكم (وهم له ناصحون) أى وهم لا يمنعونه ما ينفعه فى تربيته واغذائه ولا يخونونكم فيه قال السدى لما قالت مريم ذلك أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقالت انما أردت أنهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك وقيل قالوا لها من هم قالت أمى قالوا أولأمك ابن قالت نعم هرون قالوا اصدقت فأتينا بها فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأت جنباه ريا فقالوا أقيمى عندنا فقالت لا أقدر على فراق بيتى ان رضيتم ان أكفله فى بيتى والا فلا حاجة لى به وأظهرت عدم الرغبة فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فما لك قبل ثديك من بين النسوة قالت أيها الملك انى امرأة طيبة الريح حلوة اللبن ما شم ريحى صبى الا أقبل على ثديى قالوا اصدقت فلم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (فرددناه) أى موسى (الى أمه كى تقر عينها) أى تطيب نفسها بوصول موسى اليها وتربيتها له فى بيتها (ولا تحزن) على موسى بفراقه (ولتعلم أن وعد الله) فى رده اليها وجعله من المرسلين (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن المقصود الاصلى من رده اليها علمها بان وعد الله حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه فهذا هو الغرض الدينى وماسواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع فمكث موسى عند أمه الى ان فطمته وأمر فرعون باجراء أجرتها لكل يوم دينار فأتت به فرعون واستمر عنده يأكل من مأكوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه الى ان كمل (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الجسمانية (واستوى) أى تكامل عقله (آتيناه حكما وعلما) أى أعطيناه علم الحكماء والعلماء (وكذلك) أى ومثل ذلك الذى أعطينا موسى الحكم والعلم (نجزى المحسنين) أى العاملين بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) أى ودخل موسى مدينة منف فى وقت اشتغال أهلها عند نصف النهار ومنف بفتح الميم وسكون النون أصلها مافة ومعناها بلغة القبط ثلاثون لانها أول مدينة عمرت بعد الطوفان نزلها مصر بن حام فى ثلاثين رجلا فسميت مافت ثم عربت منف قيل ان موسى عليه السلام لما بلغ أشده وآتاه الله العلم فى دينه ودين آبائه علم ان فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم واشتهر ذلك منه حتى آل الامر الى ان أخافوه وخافهم وكان له من بنى اسرائيل شيعة يقتدون به ويسمعون منه وبلغ فى الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون الا خائفا فدخلها يوما وقت كونهم قائلين (فوجد فيها) أى المدينة (رجلين يقتتلان) أى يلازمان مقدمات القتل من الضرب والخنق (هذا من شيعته) أى ممن تابع موسى على دينه وهم بنو اسرائيل (وهذا من عدوه) أى ممن يخالف موسى فى دينه وهم القبط فالقبطى الذى سخر الاسرائيلى كان طباخ فرعون استسخره لحمل الحطب الى مطبخه واسمه فليثون أو فاتون (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) أى طلب الاسرائيلى من موسى ان ينصره على القبطى وان يخلصه منه (فوكزه موسى) أى دفعه باطراف الاصابع وقيل بقبضها وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى وقال بعضهم الوكز فى الصدر واللكز فى الظهر (فقضى عليه) أى أنهى موسى حياة القبطى وخفى هذا على الناس فلم يعرف به أحد لما هم فى الغفلة فندم موسى عليه السلام عليه فدفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان) أى هذا القتل من عمل الشيطان لانى لم أومر به أو هذا المقتول من جند الشيطان (انه عدو مضل مبين) أى ظاهر العداوة والاضلال (قال) مناجيا مع الله تعالى (رب انى ظلمت نفسى) بقتل القبطى من غير أمر فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به

(فاغفر لي) أي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في ستر ذنوب عباده وفي رحمتهم (قال) موسى (رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أي أقسم بانعامك علي بالقوة والمعرفة فلن أكون معينا لاحد من المشركين بل أكون معاونا للمسلمين أي اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع قال الفراء وفي قراءة عبد الله فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) أي فصار موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا من ان يظهر انه هو القاتل فيطلب بذلك القتل يترقب أي ينتظر نصرة الله اياه (فاذا الذي استنصره بالامس) أي فاذا الاسرائيلي الذي استعان بموسى على القبطي (يستصرخه) أي يطلب من موسى نصرته بصياح على قبطي آخر يريد ان يستخدم الاسرائيلي (قال له) أي للقبطي (موسى انك لغوي مبين) في تسخير هذا الاسرائيلي (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي فلما أراد موسى أن يأخذ عدوه وعدو الاسرائيلي بسطوة لخلاصه من عدوهما لان القبطي لم يكن على دينهما ولان القبط أعداء بني اسرائيل (قال) أي القبطي وكان عرف القصة من الاسرائيلي أو كان توهم من زجر موسى للاسرائيلي انه هو الذي قتل الرجل بالامس (ياموسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسا) قبطيا (بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) أي ماتريد ياموسى الآن تفعل ماتريده في أرض مصر من ضرب وقتل من غير نظر في العواقب (وماتريد أن تكون من المصلحين) أي المتورعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وانتشر حديث هذه الواقعة في المدينة وانتهى الى فرعون وهموا بقتله (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون اسمه سمعان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أي من آخرها (يسعى) أي يسرع في مشيه (قال ياموسى ان الملأ) أي أولياء المقتول (يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاتفقوا على ان يحتالوا فيك ليهلكوك (فاخرج) من هذه المدينة (اني لك من الناصحين) أي المشفقين (فخرج) موسى عليه السلام (منها) أي المدينة (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر لحوق الطالبين ويكثر الالتفات وينظر هل يلحقه أحد يطلبه (قال) عند ذلك (رب نجني من القوم الظالمين) أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم وهذا يدل على ان قتله عليه السلام لذلك القبطي لم يكن ذنبا (ولما توجه تلقاء مدين) أي لما قصد الذهاب الى مدين لانها ليست تحت ملك فرعون ولانه وقع في نفسه ان بينه وبين أهل مدين قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام وهو منهم ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) وهي من اضافة الصفة للموصوف أي الطريق الوسط وكان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطى وأخذ الطلاب الاخريين وقال ابن اسحق خرج موسى من مصر الى مدين بغير زاد ولا مركوب وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض وماوصل الى مدين حتى وقع خف قدميه (ولما ورد ماء مدين) أي لما وصل الى بئر مدين (وجد عليه) أي فوق شفيرها (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم وكانوا أربعين رجلا (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم وقال ابن اسحق اسم الكبرى صفوراء والصغرى ليا (قال) موسى لهما (ماخطبكما) أي ماشأنكما لاتسقيان غنمكما (قالتا لانسقي) أي لانقدر ان نسقي غنمنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ

أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال أى حتى يرجعوا من سقيهم والباقون بضم الياء وكسر الدال أى حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يستطيع ان يسقى وليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) أى فسقى موسى غنمهما لاجلهما قيل عمد موسى الى بئر على رأسه صخرة لا يرفعها الا عشرة رجال فنحاها بنفسه واستقى الماء من ذلك البئر (ثم تولى) أى انصرف موسى (الى الظل) أى ظل سمرة فجلس فيه ليستريح من حر الشمس وهو جائع لم يذق طعاما فى سبعة أيام (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) أى رب انى بسبب ما أنزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا وذلك لان موسى كان عند فرعون فى ثروة فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرحا به وشكرا له روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وهى الكبرى عند الاكثرين (فجاءته احداهما) واسمها صفورا (تمشى على استحياء) أى مائلة عن الرجال رافعة كمها على وجهها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) مواشينا روى ان موسى عليه السلام أجابها فانطلقا وهى امامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليه السلام (فلما جاءه) أى جاء موسى شعيبا (وقص) موسى (عليه القصص) أى فراره من فرعون (قال) شعيب له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) من أهل مصر فان فرعون لا سلطان له فى أرضنا قال الضحاك لما دخل على شعيب قال له من أنت يا عبد الله فقال أنا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف فى اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين أى لانا لسنا فى مملكة فرعون وروى ان موسى لما دخل على شعيب فاذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى عليه السلام أعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك قال لانا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف عوضا فقال شعيب عادتى وعادة آبائى اطعام الضيف فجلس موسى فأكل وانما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله (قالت احداهما) وهى التى دعته الى أبيها وهى التى تزوجها موسى (يا أبت استأجره) أى اتخذه أجيرا لرعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا أخذته الغيرة فقال وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدته منه عليه السلام من كيفية السقى ورفع الصخرة من فم البئر ومن غض بصره حال ذودهما الماشية وحال سقيه لهما وحال مشيه أمامها الى أبيها (قال) أى شعيب لموسى عند ذلك (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) أى الحاضرتين (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى مشروطا على ان تأجرنى نفسك فى رعى غنمى ثمانى سنين (فان أتممت عشرا) من السنين فى العمل (فمن عندك) أى فالتمام من عندك بطريق التفضل لا من عندى بطريق الالزام عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين ولا أكلفك الاحتياط الشديد فى كيفية الرعى بل أساهلك فيها بقدر الامكان (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة وغيره وانما قال شعيب ان شاء الله للتبرك ولتفويض أمره الى معونته تعالى لا لتعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال) موسى (ذلك بينى وبينك) أى ذلك الشرط ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على) أى أى أحد الوقتين وفيته بأداء الخدمة فيه فلا اثم على فكما لا اثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر فقط (والله على ما نقول) من الشرط

الجاري بيننا (وكيل) أي شاهد ولما تم العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وفي بعض الاخبار أن موسى لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغد وأراد الرعي قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على ان يردها فلم يقدر فسار على أثرها فرأى عشبا كثيرا ثم ان موسى عليه السلام نام والاغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت عصا موسى فقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن الله تعالى في تلك العصا آية وعاد الى شعيب وكان ضريرا فمس الاغنام فاذا هي أحسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك فأخبره موسى بالقصة ففرح بذلك وعلم أن لموسى وعصاه شأنا فأراد أن يجازي موسى على حسن رعيه اكراما له وصلة لابنته فقال اني وهبت لك من السخال التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء التي تسقي الغنم منه ففعل ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه (وسار) نحو مصر لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه (بأهله) أي بزوجته وابنه منها والخادم باذن من شعيب عليه السلام (آنس من جانب الطور نارا) أي رأى من جهة جبل الطور عن يسار الطريق نارا ولما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك (قال لاهله امكثوا) أي انزلوا ههنا (اني آنست نارا) وقرأ حمزة لاهله في الوصل بضم الهاء وقرأ ابن نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (لعلي آتيكم منها بخبر) أي من عند النار بخبر الطريق وقد كان موسى تحير في الطريق (أو جذوة) أي عود غليظ (من النار) وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر (لعلكم تصطلون) أي لكي تدفؤا بها روي أنه أظلم عليه الليل في الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته وأصابهم مطر فوجدوا بردا شديدا فعند ذلك أبصر نارا بعيدة فسار اليها يطلب من يدله على الطريق (فلما أتاها) أي النار التي أبصرها (نودي من شاطئ الوادي الايمن) أي أتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) فانه حصل لموسى عليه السلام في تلك البقعة ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه والجار والمجرور متعلق بنودي (من الشجرة) أي من جهة الشجرة وهي شجرة عناب أو شوك وهذا بدل اشتمال من شاطئ (أن يا موسى) فان مفسرة (اني أنا الله رب العالمين) والعامة على كسر همزة اني على تضمن النداء معنى القول وقرئ بالفتح فهي معمولة لفعل مضمر تقديره أي يا موسى اعلم أني أنا الله (وأن ألق عصاك) من يدك وهذا معطوف على أن يا موسى مفسر أيضا لنودي فألقاها فصارت ثعبانا فتحركت رافعة رأسها (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي شبيهة بالحية الصغيرة في سرعة حركتها مع غاية عظم جثتها ولم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعت حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) أي لم يرجع ولم يلتفت اليها قال الله (يا موسى أقبل) اليها (ولا تخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فأخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت قال الله له (أسلك يدك في جيبك) أي ادخل كفك اليمين في طوق قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) أي عيب

(واضمم اليك جناحك من الرهب) أى ادخل الكف اليمين التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود الى حالتها فيزول عنك الفزع الذى حصل لك وقيل من أجل الخوف اذا أرهبت بها الناس وقال ابن عباس ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضم يده الى صدره ليذهب عنه الخوف عند معاينة الحية فمعنى من أجل الرهب أى اذا أصابك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا للنفس وقال مجاهد وكل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) أى فالعصا واليد حجتان نيرتان كائنتان من الله تعالى واصلتان الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن عبودية الله فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى (فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها فيفوت المقصود بقتلى (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أى أبين منى كلاما (فأرسله معى ردأ) أى معينا وقرأ نافع ردا بتنوين الدال وحذف الهمزة (يصدقنى) أى أرسل معى أخى حتى يعاضدنى على اظهار الحجة فرعا حصل المقصود من تصديق فرعون والمراد بتصديق هرون تلخيصه بلسان الفصيح وجوه الدلائل وجوابه عن الشبهات ومجادلته الكفار وقرأ عاصم وحمزة بالرفع صفة لرد أو يروى عن أبى عمرو أيضا والباقون بالجزم وهو المشهور عن أبى عمرو (انى أخاف أن يكذبون) بالرسالة لان لسانى لا يطاوعنى عند المحاجة بسبب العقدة التى حصلت بسبب الجمرة (قال) الله تعالى (سنشد عضدك بأخيك) أى سنقوى ظهرك بهرون ونعين أمرك به (ونجعل لكما سلطانا) أى غلبة بالحجة فى الحال وغلبة فى المملكة فى ثانى الحال (فلا يصلون اليكما بآياتنا) فالآية التى هى قلب العصا حية تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون عليهما السلام لانهم اذا علموا انه متى ألقاها صارت حية عظيمة وان أراد ارسالها اليهم أهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما بسوء فصارت مانعة من وصولهم اليهما بالقتل وغيره (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) على فرعون وقومه بالبرهان والدولة وقوله بآياتنا متعلق بلا يصلون أو بالغالبون (فلما جاءهم موسى بآياتنا) وهى العصا واليد فى كل منهما آيات عديدة (بينات) أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى من الله تعالى (قالوا ما هذا) أى الذى جئتنا به (الا سحر مفترى) أى موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر أو سحر كذب هو من تلقاء نفسك لا ان الذى أظهرته معجزة صادرة من الله تعالى وانما أنت تفترى على الله تعالى (وما سمعنا بهذا) أى الذى تدعونا اليه من التوحيد والذى تدعيه من الرسالة عن الله تعالى واقعا (فى آبائنا الاولين) وقد كذبوا فانهم سمعوا بذلك على أيام يوسف عليه السلام (وقال) لهم (موسى) وقرأ ابن كثير بغير واو (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) أى ربى عالم بمن جاء بالرسالة من عنده وبمن تكون له العاقبة المحمودة فى الدنيا وهى ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فالدنيا خلقت مزرعة للآخرة ومجازا اليها والمقصود بالذات هو الثواب للطيعين العابدين فيكون الثواب هو العاقبة الاصلية ولا اعتداد بعاقبة السوء لانها من نتائج أعمال الفجار ويكون العقاب انما قصد بالتبعية (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يظفر المشركون بالنجاة والمنافع كما قال القائل من بحر الطويل

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب

(وقال فرعون) بعدما جمع السحرة لمعارضة موسى فكان من أمرهم ما كان (يا أيها الملأ ما علمت لكم

من

من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ولم يقل فرعون اطبخ لى الآجر لانه أول من عمل الآجر فهو يعلم صنعته لهامان (فاجعل لى) منه (صرحا) أى قصرا عاليا (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) فى ادعاء وجود اله غيرى فليس فى السماء من اله واعلم ان عادة فرعون متى ظهرت حجة موسى يدفعها بشبهة ير وجها على أغمار قومه وهى قوله لادليل على وجود اله غيرى فلا أثبته بل أظن موسى كاذبا فى دعواه وذلك نفى اله غير نفسه وقوله لاتكليف على الناس الا أن يطيعوا ملكهم و ينقادوا لأمره فهذا هو ادعاؤه الالهية لا ادعاؤه كونه خالقا للسماء والارض ومن مكر فرعون ودهائه انه لما دل سيدنا موسى عليه السلام فرعون بقوله رب السموات والارض أوهم فرعون أغمار قومه ان موسى قال ان الهه فى السماء وأمر فرعون وزيره ببناء الصرح قيل لما أمر فرعون ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وسبك المسامير فبنوا الصرح و رفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه را كبا على البراذين فأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منه ألف ألف رجل وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا وقد هلك (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى أرض مصر (بغير الحق) أى ملتبسين بغير استحقاق (وظنوا) أى فرعون وجموعه القبط (أنهم الينا) أى الى حكمنا (لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم فهو من الرجوع وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الجيم فهو من الرجع (فأخذناه وجنوده) عقب ما بلغوا أقصى الغايات فى العتو وفى هذا استحقار لهم واستقلال لعددهم وان كانوا كبيرا كثيرا وتعظيم لشأن الاخذ فشبههم الله تعالى بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر وذلك قوله تعالى (فنبذناهم فى اليم) أى فألقيناهم فى البحر قيل هو بحر يسمى اسافا من وراء مصر حكاه ابن عساكر (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) أى كيف صار آخر أمر المشركين وبينه لقومك ليعتبروا به (وجعلناهم أئمة) أى رؤساء (يدعون الى النار) أى الى ما يؤدى الى النار من الكفر والمعاصى وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير أيمة بابدال الهمزة الثانية ياء (ويوم القيامة لا ينصرون) فلا يمكن التخلص من العقاب الذى سينزل بهم لانهم بلغوا أقصى النهايات فى باب المعاصى حتى صاروا قدوة للضلال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى ابعادا من الرحمة ولا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين عن الرحمة ومن الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) أى حال كون الكتاب أنوارا للقلوب الناس فانه يستبصر به فى باب الدين (وهدى) الى كل خير فان الكتاب يستدل به والمتمسك به يفوز بمطلوبه من الثواب (ورحمة) لان الكتاب من نعم الله تعالى على من تعبد به فكل من عمل به ينال رحمة الله تعالى (لعلهم يتذكرون) أى ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أهلك الله تعالى قرنا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التى مسخها

قردة (وما كنت) ياأفضل الخلق (بجانب الغربي) أي في المكان الواقع في شق الغرب من جبل الطور وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام الذي رأى فيه النار (اذ قضينا الى موسى الامر) أي حين أوحينا الى موسى أمر الرسالة حيث أمرناه بالاتيان الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لموسى وماجرى عليه (ولكنا أنشأنا قرونا) أي ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى أمما كثيرة (فتطاول عليهم العمر) فتغيرت الاحكام وخفيت عليهم الاخبار لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال اظهار الاحكام الجديدة فأوحينا اليك فاخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور لها دلالة ظاهرة على نبوتك (وما كنت ثاويا في أهل مدين) أي وما كنت ياسيد الرسل مقيما في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به (تتلو عليهم آياتنا) أي تقرأ على أهل مدين آياتنا الناطقة بالقصة على طريق التعلم منهم ويقال وما كنت مقيما في أهل مدين وقت تلاوتك القرآن على قومك أهل مكة تخبرهم قصة أهل مدين مع موسى ومع شعيب حتى تنقلها بطريق المشافهة وانما أتتك بطريق الوحي الالهي فاخبارك لأهل مكة انما هو عن وحي لاعن مشاهدة للمخبر عنه وذلك قوله تعالى (ولكنا كنا مرسلين) اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أي وما كنت ياسيد الخلق بجانب جبل زبير حين نادينا موسى ليلة المناجاة والتكليم لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ويقال اذ نادينا أمتك قال وهب لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال رب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت أسمعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال الله تعالى ياأمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فأسمعه الله تعالى أصواتهم ثم قال أجبتكم قبل أن تدعوني (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن أرسلناك بالقرآن لرحمة عظيمة كائنة منالك وللناس وقرأ عيسى ابن عمر بالرفع أي لكن هي رحمة (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أي لكي تخوف بالقرآن من العقاب على المعصية قوما لم يأتهم رسول مخوف قبلك لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسماعيل بناء على القول بأن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون بانذارك (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) أي ولولا انهم قائلون بلسان الحال اذا عوقبوا يوم القيامة بسبب اكتسابهم في كفرهم أنواع المعاصي لم ترسل الينا رسولا مع الكتاب قبل هذا العذاب فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع كتابك ونصدق بكل ماأتى به رسولك ماأرسلناك اليهم وانما أرسلنا الرسول قطعا لمعاذيرهم بالكلية أي لكي لايكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي فلما جاء الرسول بالكتاب المعجز أهل مكة (قالوا) أي كفار مكة تعنتا (لولا أوتي مثل ماأوتي موسى) أي هلا أعطى محمد مثل ماأعطى موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وغير ذلك قال تعالى ردا عليهم (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) أي ألم يكفر كفار مكة من قبل هذا القول بما أعطى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا القرآن فان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات فلما طلبوا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات سيدنا موسى عليه السلام رد الله تعالى عليهم بذلك القول لانه لاغرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت (قالوا) أي كفار مكة (سحران تظاهرا) وقرأ الكوفيون بكسر السين وسكون الحاء والمعنى أي ماأوتي محمد وماأوتي موسى سحران تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وقرأ الباقون ساحران بصيغة اسم الفاعل أي محمد وموسى ساحران أعان كل منهما صاحبه على سحره روى ان

مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة ليسألوهم عن شأن محمد صلى الله عليه وسلم فسألوهم عنه فقالوا انا نجده في التوراة بصفته فلما رجع الرهط اليهم وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ان موسى كان ساحرا كما ان محمدا ساحر فقال تعالى في حقهم أولم يكفروا بما أوتي موسى (وقالوا) أي كفار مكة (انا بكل) من التوراة والقرآن أو من محمد وموسى (كافرون) أي غير مصدقين (قل) لهم تعجيزا لهم وتوبيخا (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أوضح في هداية الخلق منهما (أتبعه) أي فان أتيتم به أتبعه (ان كنتم صادقين) أي في قولكم ان التوراة والقرآن سحران مختلفان (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) أي فان لم يمكنهم ان يأتوا بكتاب أفضل منهما فاعلم انهم ليس لهم مستند وانما لهم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لا أضل منه لانه أضل من كل ضال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق (ولقد وصلنا لهم القول) أي أنزلنا القرآن منجما يتصل بعضه ببعض ليكون ذلك أقرب الى تنبيه كفار مكة فانهم كل يوم يطلعون على فائدة فيكونون عند ذلك أقرب الى التذكر أو جعلنا القرآن أنواعا من المعاني من قصص وعبر ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما في القرآن (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل مجيء القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنوا أهل الكتاب (واذا يتلى) أي القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه) أي القرآن (الحق من ربنا انا كنا من قبله) أي من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) أي مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بايمانهم بمحمد قبل بعثته وبعد بعثته (بما صبروا) على طعن الكفار وأذاهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ودخلوا في دينه قال مقاتل هؤلاء لما آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم أجران أجر على الصفح وأجر على الايمان وقال السدي ان اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي ويدفعون بالطاعة المعصية وبالعفو الاذى وبالامتناع من المعاصي فان نفس الامتناع حسنة (ومما رزقناهم ينفقون) وقال سعيد بن جبير وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الثلاث (واذا سمعوا اللغو) أي ما لا ينفع في دين ودنيا (أعرضوا عنه) أي اللغو (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) وهو سلام اعراض وفراق لا سلام تحية فلا نقابلكم بمثل ما فعلتم بنا (لا نبتغي الجاهلين) أي لا نطلب صحبتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم فان المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (انك) يا أشرف الخلق (لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال الزجاج أجمع المسلمون على ان هذه الآية نزلت في أبي طالب وذلك ان أبا طالب قال عند قرب موته يا معشر بني عبد مناف أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصح لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون

عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك وفصحك ولكني سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ثم مات اهـ وهذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب لان الله هو الذي هداه بعد أن أيس منه النبي صلى الله عليه وسلم أما الاحاديث الدالة على عذابه ودخوله النار فهو اما الترك النطق بالشهادتين أولغيره وذلك ان لم يعتقد ما نطق به من الشهادة فالعذاب يكون لترك النطق بالشهادة وان اعتقده فالعذاب يكون في مقابلة ترك فرض آخر ومما يدل على انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد وصى قريشا عند موته باتباع رسول الله وقال والله لقد دانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم اليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم فعلى هذا قد حصل منه التصديق بقلبه وعن عبد الله بن ثعلب العذري ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا وانه قال ألم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك في الكتب وانه قال عند قرب موته مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتني وعلمت انك صادق * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

واعلم انه لو ترك شخص النطق بالشهادتين بعد المطالبة لالاباء عن الاسلام ولا لعناد له بل لخوف من ظالم أومن ملامة أومسبة عند من يعظم ذلك وقلبه مطمئن بالايمان فلا يكون كافرا بينه وبين الله بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره وقال الحليمي لا خلاف في ان الايمان ينعقد بغير كلمة لا اله الا الله حتى لو قال لا اله غير الله أولا اله ماعدا الله أوماسوى الله أوما من اله الا الله أولا اله الا الرحمن أولا رحمن الا الله أوالا البارئ فهو كقوله لا اله الا الله اهـ وكذا لو قال محمد نبي الله أومبعوثه أونحو ذلك أوما يؤدي الى ذلك باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي وان عبد المطلب يعطى نور الانبياء وجمال الملوك وعن جعفر بن محمد الصادق وقال ويحشر عبد المطلب له نور الانبياء وجمال الملوك ويحشر أبو طالب في زمرته أي انما يعطى عبد المطلب نور الانبياء لانه كان على التوحيد ولانه مستقل لا تابع وهو من أهل الفترة وانما يعطى جمال الملوك لانه كان سيد قريش في زمانه فهو في ذلك ملحق بالملوك الذين عدلوا وماظلموا ومما يدل على ان أبا طالب مؤمن ماروى عن اسحاق بن عبد الله بن الحرث قال قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترجو لابي طالب خيرا قال كل الخير أرجو من ربي ورجاؤه صلى الله عليه وسلم محقق ولا يرجو كل الخير الا المؤمن وماروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي وأمي وعمي أبي طالب وأخ كان لي في الجاهلية أورده المحب الطبري أي وهو الاخ من الرضاعة وفي الحديث اني ادخرت شفاعتي جعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيأ اهـ وما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب أخرج من طمطام النار وغمراتها الى ضحضاح منها وخفف عنه من عذابها وجعل أخف أهل النار عذابا بألبس نعلين من النار فما مست النار الا تحت قدميه ولو كان كافرا لكان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعا ولو وجد مؤمن عاص أخف عذابا من أبي طالب لزم الخلف في قوله صلى الله عليه وسلم حيث جعله أخف أهل النار على الاطلاق

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين فى مقابلة كبيرة كذا فى رسالة السيد رسول البرزنجى (وقالوا) أى أهل مكة (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أى ان نوحد الله معك يا محمد نطرد من مكة روى ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ان يتخطفونا من أرضنا أى ان يجتمعوا على محاربتنا ويخرجونا من مكة فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى ألم نجعل مكانهم حرما ذا أمن (يجبى اليه ثمرات كل شئ) أى يحمل اليه من كل ناحية ألوان كل شئ من الثمرات وقرأ نافع بالتاء الفوقية (رزقا من لدنا) فاذا كان حالهم ماذكر مع كونهم عبدة أصنام فكيف يخافون ان نسلط عليهم الكفار ان ضموا الى حرمة البيت حرمة الايمان فرزقا اما مصدر مؤكد ليجبى أو مفعول له أو حال من ثمرات بمعنى مرزوق (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انا جعلنا الحرم آمنا وانا سقنا اليه الرزق من كل جهة (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحالكم فى ادرار الرزق حتى طغوا بالنعمة فى زمن حياتها فأهلكناهم وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم) أى من بعد هلاكهم (الا قليلا) أى الا فى زمن قليل يسكنها المسافرون ومارو الطريق (وكنا نحن الوارثين) أى المالكين لها بعد هلاك أهلها (وما كان ربك مهلك القرى) أى مهلك أهل القرى (حتى يبعث فى أمها) أى فى أعظمها (رسولا) فعادة الله ان يبعث الرسل فى المدن لان أهلها أفطن وغيرهم يتبعهم (يتلو عليهم آياتنا) الدالة على الحق والداعية اليه بالترغيب والترهيب وذلك لقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا فى اشرافهم رسولا يدعوهم الى الحق فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا وبالكفر بآياتنا (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى وما أعطيتم يا معشر قريش من أسباب الدنيا كالمال والخدم فهو شئ عادته ان ينتفع به ويتزين به أيام حياتكم وقرئ فمتاعا الحياة بنصب الكلمتين على المصدر وعلى الظرف أى يتمتعون متاعا فى الحياة الدنيا (وما عند الله خير وأبقى) أى فمنافع الآخرة لمن آمن بالله وبرسوله أعظم وأدوم عمالكم فى الدنيا فنصيب كل أحد فى الآخرة بالقياس الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فكيف قلتم تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون ان الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى أفمن وعدناه وعدا بالجنة فهو مدرك الموعود به من غير شك كمن أعطيناه المال والخدم فى الدنيا ثم هو يوم القيامة محضره للعذاب قال محمد بن كعب نزلت هذه الآية فى حمزة وعلى وفى أبى جهل وقال غيره فى حمزة أو عثمان بن عفان وفى أبى جهل (ويوم يناديهم) معطوف على يوم القيامة (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى ويوم ينادى الله المشركين فيقول توبيخا لهم أين الذين عبدتموهم من دونى وأثبتم لهم شركة فى استحقاق العبادة وتزعمون انهم يشفعون لكم أين هم لينصر وكم من هذا الذى نزل بكم (قال الذين حق عليهم القول) أى الذين ثبت عليهم مدلول قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) قال أبو على الذين أغوينا خبر لاسم الاشارة وأغويناهم مستأنف والمعنى هؤلاء هم الذين أضللناهم فصاروا أتباعنا آثروا الكفر على الايمان فضلوا باختيارهم ضلالا مثل ضلالنا باختيارنا وكناسببا فى كفرهم فقبلوا منا وما أكرهناهم عليه (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم

(ما كانوا ايانا يعبدون) أى ما كانوا يطيعوننا وانما كانوا يطيعون أهواءهم (وقيل) للكفار تبكيتا لهم (ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها فى الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أى فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أى أبصر المشركون العذاب لو انهم يبصرون شيأ فانهم لما خاطبهم الله تعالى بقوله ادعوا شركاءكم اشتد الخوف عليهم حتى يصير وابحيث لا يبصرون شيأ أو المعنى لما قيل ادعوا شركاءكم دعوا الاصنام مرارا كثيرة حتى كأن الاصنام يشاهدون العذاب لو كانوا من الاحياء المهتدين أو المعنى وعلم الكفار حقيقة هذا العذاب فى الدنيا لو كانوا يهتدون قال الرازى وهذه الوجوه عندى خير من الوجوه المبنية على ان جواب لو محذوف (ويوم يناديهم) عطف ماقبله سئلوا أولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك (فيقول) الله تعالى (ماذا أجبتم المرسلين) اليكم بعد دعوكم (فعميت عليهم الانباء يومئذ) أى خفيت عليهم الاخبار يوم اذ سئلوا عن ذلك (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب النافع لانهم يتساوون جميعا فى العجز عن الجواب المنجى لفرط الدهشة فلا نطق ولا عقل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحا) أى خالصا فيما بينه و بين الله (فعسى أن يكون من المفلحين) أى فليطمع فى الفلاح والنجاة من العذاب (و ربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (و يختار) ما يشاء اختياره (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم الاختيار المؤثر عنهم وليس لهم ان يختاروا على الله ان يفعل قال العلماء لا ينبغى لاحد أن يقوم على أمر من أمور الدنيا الا حتى يسأل الله تعالى الخيرة فى ذلك بان يصلى صلاة الاستخارة بالكيفية المشهورة وأهل الرضا حطوا الرحال بين يدى ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء التفويض فلا يرضيهم الاما يرضيه ولا يريدون الاما يريده فيقضيه و روى ان هذه الآية نزلت فى شأن الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و يقصد بذلك الوليد بن المغيرة أو أبا مسعود الثقفى فأجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى و ربك الى آخره والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى تنزيها له تعالى عن ان يزاحم اختياره تعالى اختيار والمقصود ان يعلم العبد ان الاعزاز والاذلال مفوض اليه تعالى ليس لاحد فى الخلق والاختيار شركة له تعالى (و ربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يعلنون) من الطعن فى الرسول بألسنتهم (وهو الله لا اله الا هو) أى وهو المستحق للعبادة لا أحد يستحقها الا الله (له الحمد فى الاولى والآخرة) لان الثواب غير واجب عليه بل هو تعالى يعطيه فضلا واحسانا منه تعالى فله الحمد فى الدنيا والآخرة لانه معطى النعم كلها فيحمده المؤمنين فى الآخرة فرحا بفضله والتذاذا بحمده بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده (وله الحكم) النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغير فى الدنيا والآخرة (واليه ترجعون) بالخروج من القبور (قل) يا أفضل الخلق لاهل مكة (أرأيتم) أى اخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى دائما (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الافق الغير المرئى (من اله غير الله يأتيكم بضياء) يخرجكم من مشقة الظلام (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تفهم تطيعون من يفعل ذلك (قل) لهم (أرأيتم) أى اخبرونى (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكان الشمس فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الاشغال (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة ولا

تنظرون بقلوبكم ما أنتم عليه من الخطأ (ومن رحمته) أى نعمته تعالى (جعل لكم الليل والنهار) لاغراض ثلاثة (لتسكنوا فيه) أى فى أحدهما وهو الليل (ولتبتغوا من فضله) فى الآخر وهو النهار بأنواع المكاسب ففى هذا مدح للسعى فى طلب الرزق كما ورد فى الحديث الكاسب حبيب الله وهو لا ينافى التوكل (ولعلكم تشكرون) أى لكى تشكرون على المنفعتين معا (ويوم يناديهم) أى اذكر يوم ينادى الله المشركين يوم القيامة (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم من الهلاك (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه فى كل زمان فيدخل فيه الاحوال التى فى أزمنة الفترات وفى الازمنة التى حصلت بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) أى كل أمة يومئذ (أن الحق لله) أى ان حقيقة الالهية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى زال عنهم ما كانوا يعبدون فى الدنيا بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) وروى أبو امامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان قارون من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله تعالى قيل هو ابن عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته ثم قيل انه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة الا انه نافق كما نافق السامرى (فبغى عليهم) أى طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت أمره كما قاله القفال وقال ابن عباس تكبر عليهم اه ثم حسد موسى على رسالته وهرون على أمانته فى الذبح فكفر بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله ويروى ان موسى عليه السلام لما قطع البحر جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وهو امامة الذبح ولست فى شئ ولا أصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ماصنعت ذلك لهرون ولكن جعله له فقال لا والله لا اصدقك أبدا حتى تأتينى بآية أعرف بها ان الله جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه السلام رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل رجل منهم بعصاة فجاؤا بها فحزمها موسى فألقاها فى قبة له فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون أما ترى ماصنع الله لهرون فقال قارون والله ماهذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير من أتباعه من بنى اسرائيل فما كان يأتى موسى عليه السلام ولا يجالسه (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) أى وأعطينا قارون من الاموال المدخرة الذى ان مفاتح صناديقه لتثقل الجماعة الكثيرة الاقوياء وأخرج الدينورى عن خيثمة قال قرأت فى الانجيل أن مفاتيح كنوز قارون وقر ستين بغلا كل مفتاح منها على قدر أصبع لكل مفتاح منها كنز (اذ قال له قومه) أى المؤمنون من بنى اسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فالفرح بالدنيا من حيث انها دنيا مذموم مطلقا (ان الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب ثواب الله تعالى بسبب المال بأن تصرفه الى ما يؤديك الى الجنة كصدقة وصلة رحم واطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك العمل فى الدنيا للآخرة وخذ ما تحتاجه من الدنيا واخرج الباقى كما فى الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (وأحسن كما أحسن الله اليك) أى وأحسن الى عباد الله تعالى احسانا كاحسان الله تعالى اليك فيما أنعم اليك فيدخل فى الاحسان الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر (ولا تبغ

الفساد فى الارض) أى لاتطلب الفساد بعمل المعاصى فى الارض (ان الله لايحب المفسدين) أى انه تعالى يعاقب المفسدين بسوء أفعالهم (قال) قارون مجيبا الناصحه (انما أوتيته على علم عندى) أى انما أعطيت هذا المال حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى وفضلت به على الناس بالمال والجاه فكان ذلك لفضل علم بالتوراة واستحقاقى لذلك أى لانه أقرأ بنى اسرائيل للتوراة كما قاله قتادة ومقاتل والكلبى اهـ وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم و يوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أى أعلم قارون ما ادعاه ولم يعلم أن الله قد أهلك من هو أقوى منه وأغنى وأكثر جماعة حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسأل الله عن صفة ذنوب المجرمين وعددها اذا أراد أن يعاقبهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات (فخرج على قومه فى زينته) أى فخرج قارون يوم السبت متزينا مع أتباعه كانوا أربعة آلاف على زيه وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت بغلته شهباء سرجها من ذهب وكان على سرجها الارجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر ومعهم ألوان السلاح وقال ابن زيد خرج فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جريا على طريقة الجبلة البشرية من الرغبة فى السعة (يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) من هذه الاموال وهذه الزينة (انه) أى قارون (لذو حظ عظيم) أى لذو بخت وافر من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الدنيا والآخرة للراغبين فى الدنيا (ويلكم) أى ضيق الله عليكم الدنيا وهذا زجر عن ذلك التمنى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوائب المضار ودائمة وهذه النعم العاجلة على الضد من هذه الصفات الثلاثة (ولا يلقاها الا الصابرون) أى ولا يعطى هذه الطريقة التى هى الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على أمر الله والمرازى أو ولا يعطى الجنة التى هى الثواب الا الصابرون على مخالفات النفس وموافقات الشريعة (فخسفنا به) أى بقارون (وبداره الارض) روى أن قارون كان يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت سيدنا وكبيرنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغى كى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضه بنو اسرائيل فدعوها فجعل قارون لها طستا من ذهب مملوءا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى خطيبا فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يقولون انك فجرت بفلانة قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا تصدقين فتداركها الله بالتوفيق فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله تعالى اليه انى أمرت الارض أن تطيعك

تقرها بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وهم في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويقول له قارون بالله والرحم وموسى عليه السلام لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم فأصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له) أي لقارون (من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي غيره بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أي من الممتنعين بأنفسهم من عذاب الله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أي وصار الذين تمنوا مثل رتبة قارون من الدنيا من زمان قريب (يقولون) متنبهين على خطئهم في تمنيهم لما شاهدوا الخسف (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أي أعجب أنا لان الله يوسع المال على من يشاء من عباده وهو مكر منه تعالى كما كان لقرون ويقتر على من يشاء وهو نظر منه تعالى فان القوم لما شاهدوا ما نزل بقارون من الخسف تندموا على تمنيهم حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله ولا تضييقه لهوانه عنده فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ ووي اسم فعل بمعنى أعجب انا والكاف للتعليل وقال أبو الحسن وي اسم فعل والكاف حرف خطاب وأن على اضمار اللام وقيل وي اسم فعل وكأن للتحقيق أي أعجب انا وقد علمت ان كلا من البسط والقبض بمقتضى مشيئته تعالى وليس البسط للكرامة والقبض للهوان (لولا أن من الله علينا) بالايمان والرحمة (لخسف بنا) كما خسف بقارون (ويكأنه لا يفلح الكافرون) وقيل وي كلمة للزجر والكاف حرف خطاب وان معمولة لمحذوف أي انزجر عن تمنيك واعلم أنه لا ينجوا المكذبون برسول الله من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) أي الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي نعطيها لمن لا يريدون غلبة وتكبرا (ولا فسادا) أي ظلما على العباد كدأب فرعون وقارون (والعاقبة) الحميدة وهي الجنة (للمتقين) أي للذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال (من جاء بالحسنة) أي من جاء يوم القيامة متصفا بالحسنة المقبولة الاصلية المعمولة (فله خير منها) أي فله بمقابلتها ثواب خير منها ذاتا وصفة وقدرا بالمضاعفة ومثل المعمولة ما في حكمها كما لو تصدق عن غيره تخرج بالمعمولة ما لو هم بحسنة فلم يعملها المانع فانها يجازى عليها من غير تضعيف وخرجت الحسنة المأخوذة في نظير الظلامة فلا تضاعف له وخرج بالاصلية الحسنات الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف (ومن جاء بالسيئة) وهي ما يذم فاعلها شرعا (فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) أي الاجزاء مثل ما كانوا يعملون (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) أي ان الذي أوجب عليك تبليغ القرآن والعمل بما فيه من الاحكام لرادك الى مكة فانه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار ليلا وسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما آمن رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى مكة ظاهرا عليهم (قل) يا أشرف الخلق للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والاعزاز بالاعادة الى مكة (ومن هو في ضلال مبين) وما يستحقونه من العقاب والاذلال في بلدهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه والمشركين (وما كنت ترجو

أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) أى وما كنت قبل مجىء الرسالة اليك ترجوا انزال القرآن عليك وكونك نبيا فانزاله عليك ليس عن ميعاد وكونك نبيا ليس عن تطلب سابق منك ولكن أنزل اليك القرآن وتجعل نبيا الاجل الترحم من ربك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أى معينا لهم بالاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك) أى لا تركن الى أقوال الكافرين فيصدوك عن اتباع آيات الله بعد وقت انزالها عليك وايجاب العمل بها (وادع الى ربك) أى ادع الناس الى دين ربك (ولا تكونن من المشركين) باعانتهم فى الامور لان من رضى بطريقتهم أومال اليهم كان منهم (ولا تدع مع الله الها آخر) أى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا فى أمورك (لا اله الا هو) أى لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو (كل شئ هالك) أى معدوم فى حد ذاته فان وجوده كلا وجود لان وجوده ليس ذاتيا (الا وجهه) أى ذاته تعالى وقيل معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(له الحكم) النافذ فى الخلق (واليه) أى الى جزائه بالعدل عند البعث (ترجعون)

﴿سورة العنكبوت مكية تسع وستون آية وألف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة وأربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى أظن الذين نطقوا بكلمة الشهادة انهم يتركون غير ممتحنين بمجرد ذلك النطق لا بل يمتحنون ليتميز الراسخ فى الدين من غيره نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة فكانت صدورهم تضيق بذلك والمقصود الاقصى من الخلق العبادة والمقصد الاعلى فى العبادة حصول محبة الله وكل من كان قلبه أشد امتلاء من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله لكن للقلب ترجمان وهو اللسان وله مصدقات هى الاعضاء ولها مزكيات فاذا قال الانسان باللسان آمنت فقد ادعى محبة الله فى الجنان فلا بد له من شهود فاذا استعمل الاركان فى الاتيان بما عليه من أركان الاسلام حصل له على دعواه شهود مصدقات فاذا بذل نفسه وماله فى سبيل الله وزكى أعماله بترك ماسوى الله زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله فحينئذ يحرر اسمه فى جرائد المحبين ويقرر قسمه فى أقسام المقربين (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى ابتلينا الماضين كسيدنا ابراهيم ألقى فى النار وكقوم نشروا بالمناشير فى دين الله فلم يرجعوا عنه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أى فليظهرن الصادقين فى قولهم آمنا من الكاذبين فى ذلك فى الناس من لا يصبر فى البلاء ولا يشكر فى النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يصبر فى حال البلاء ويشكر فى حال النعماء فهذه صفة الصادقين ومنهم من لا يستمتع فى العطاء بل يؤثر فى حال الرخاء ويستريح الى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجل الكبراء (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى بل أحسب المشركون انهم يفرون منا ويفوتون عذابنا فلا نقدر على مجازاتهم بعصيانهم (ساء ما يحكمون) أى بئس الذى يحكمونه حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت) أى من كان يطمع فى ثواب الله فليعمل عملا صالحا فان الوقت المضروب له لجاء لاشك فى مجيئه

(وهو السميع العليم) فيسمع ما قالوه ويعلم ما يعملونه فللعبد أمور ثلاثة من أصناف حسناته عمل قلبه فهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه فهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى فاذا أتى بهذه الاشياء يجعل الله لمسموعه ما لا أذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب أحد (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه) أى ومن صبر على الشدة فى محاربة الكفار وفى مخالفة النفس فان منفعة صبره له لا لله تعالى (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة له الى طاعتهم وانما أمرهم بطاعة الله توجيها لهم للثواب بمقتضى رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيأتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى بأحسن جزاء أعمالهم فتكفير السيآت فى مقابلة الايمان والجزاء بالاحسن فى مقابلة العمل الصالح فالمؤمن يدخل الجنة بايمانه وتكفر سيآته به فلا يخلد فى النار فحينئذ يكون الجزاء الاحسن غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ان يكون هو رؤية الله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى أمرنا الانسان بالبر بوالديه والعطف عليهما لانهما سبب وجود الولد (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أى وان أمراك أن تشرك بى ما ليس لك بالهيته علم فلا تطعهما فى الاشراك فقوله ما ليس لك به علم اشارة الى ان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه روى ان حمنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس لما سمعت باسلام ولده سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو من السابقين الى الاسلام قالت له يا سعد بلغنى انك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد فأبى سعد وكان أحب أولادها اليها وابثت هى ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب حتى غشى عليها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام فان شئت فكلى وان شئت فلا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت ثم جاء سعد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمرها فأنزل الله تعالى وان جاهداك الآية (الى مرجعكم) أى عاقبتكم الى وان كان اليوم مجالستكم بالآباء والاولاد والاقارب (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فلا تظنوا انى غائب عنكم وأباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين فى الحال فانى حاضر معكم أعلم ما تفعلون ولا أنسى فأنبئكم بجميعه فأجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى لنجعلنهم فى عداد المجردين الذين لا فساد لهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) أى فى دين الله (جعل فتنة الناس) مع ضعفها وانقطاعها (كعذاب الله) الاليم الدائم فى الآخرة حتى كفر نزلت هذه الآية فى المنافقين كعياش بن أبى ربيعة المخزومى فانهم قالوا للمؤمنين ايماننا كايمانكم فاذا هم الكفار بالضرب بالسياط جعلوا ذلك الاذى صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله فى النار دائما صارف للمؤمنين عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) وهو فتح مكة وغنيمتها (ليقولن) أى عياش وأصحابه (انا كنا معكم) أى فى الايمان وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأشركونا فى الغنيمة لاننا على دينكم قال تعالى تكذيبا لهم فى قولهم انا على دينكم (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص فى الايمان والنفاق فيه ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن اسلامهم (وليعلمن الذين آمنوا) بالاخلاص فثبتوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الايمان عند البلاء أى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق (وقال الذين كفروا) وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل وأصحابهما (للذين آمنوا) كعلى وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) أى ديننا فى عبادة الاوثان (ولنحمل خطاياكم)

أى ذنوبكم عنكم يوم القيامة وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الامر وهولغة الحجاز وليس هذا أمرافى الحقيقة ورد الله عليهم بقوله (وماهم) أى الكفار (بحاملين من خطاياهم) أى من ذنوب المؤمنين (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالتهم (وليحملن) أى الكفرة (أثقالهم) أى أوزارما اقترفته أنفسهم كاملة (وأثقالا مع أثقالهم) أى وأوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) فى قولهم ولنحمل خطاياكم فانه صادر من اعتقادهم ان لاخطيئة فى الكفر ومن اعتقادهم أن لا حشر و يقال لهم أما قلتم أن لا حشر و يقال لهم احملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون و يقال لهم لم افتريتم (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الاخمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير المحيط بهم والمرتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا (وهم ظالمون) أى والحال انهم مصرون على كفرهم (فأنجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فى السفينة معه عليه السلام من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى علامة دالة على قدرة الله تعالى وعلمه و وحدته ليتعظوا بها وذلك أن السفينة اتخذت قبل ظهور الماء ولولا اعلام الله نوحا بذلك لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة وان الله أمر نوحا بأخذ قوم معه وأقواتهم ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة وان الله سلم السفينة عن الرياح المرجفة وعن الحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة قال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين سنة (وابراهيم اذ قال لقومه) أى وأرسلناه حين تكامل عقله وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق (اعبدوا الله) وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيأ فقوله اعبدوا الله اشارة الى اثبات الاله الواحد وقوله واتقوه اشارة الى نفى غيره وأيضا فاعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات فيدخل فيه الاعتراف بالله واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات فيدخل فيه الامتناع من الشرك (ذلكم) أى عبادة الله وتقواه (خير لكم) عقلا واعتبارا (ان كنتم تعلمون) الدلائل والاعتبارات فان ضد عبادة الله تعطيل وضد تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا أما عقلا فلان الممكن لا بدله من مؤثر واجب الوجود ثم ان شريك الواجب ان لم يكن واجب الوجود فكيف يكون شريكا وان كان كذلك لزم وجود واجبين فيشتركان فى الوجوب و يختلفان فى الالهية ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز فيلزم التركيب فيهما فلا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل وأما اعتبارا فلان الشرف اما أن يكون ملكا أو قريب ملك فالانسان لا يكون ملكا للسموات والارضين فأعلى درجاته ان يكون قريب الملك فلا يكون قربه الا بعبادة فالمعطل لا ملك ولا قريب ملك لعدم اعتقاده بوجود ملك فلا مرتبة له أصلا ثم من يكون سيده لا نظير له يكون أعلا رتبة ممن يكون لسيده شركاء خسيسة فان من يقول ان ربى لا يماثله شئ أعلى مرتبة ممن يقول سيدى صنم منحوت فثبت ان عبادة الله وتقواه خير للناس (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أى أحجارا لا تستحق العبادة (وتخلقون افكا) أى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم وقرئ تخلقون بتشديد اللام للتكثير فى الخلق الذى بمعنى الكذب وقرئ تخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وذكر سيدنا ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ وجوه وذلك لان المعبود انما يعبد لاحد

أمور أربعة اما لكونه مستحقا للعبادة بذاته كالعبد يخدم سيده الذى اشتراه واما لكونه نافعا فى الحال كمن يخدم غيره لخير يوصله اليه كالمستخدم بأجرة واما لكونه نافعا فى المستقبل كمن يخدم غيره راجيا منه أمرا فى المستقبل واما لكونه خائفا منه (ان الذين تعبدون من دون الله) من الاوثان (لا يملكون لكم رزقا) أى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيأ من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) أى فاطلبوا من الله تعالى كل الرزق (واعبدوه) لكونه مستحقا للعبادة لذاته (واشكروا له) لكونه سابق النعم بالخلق ومعطى النعم بالرزق (اليه ترجعون) فيرجى الخير منه لا من غيره (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أى وان تكذبونى فيما أخبرتكم به من انكم اليه تعالى ترجعون بالبعث فلا تضرونى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيأ (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى الاذكار المسائل واقامة البرهان عليه (أولم يروا) أى ألم ينظر هؤلاء القوم ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الظهور (كيف يبدئ الله الخلق) أى يخلقهم ولم يكونوا شيأ مذكورا ويخلقهم من نطفة من غذاء هو من ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثل البدء (ثم يعيده) أى الخلق كما بدأهم (ان ذلك) أى الاعادة (على الله يسير) اذ لا يفتقر فعله تعالى الى شئ أصلا (قل) يا ابراهيم لقومك (سيروا فى الارض) أى سيروا فكركم فى الارض وأجيلوا ذهنكم فى الحوادث الخارجة عن أنفسكم (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بأن الله بدأ خلقا (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها (ان الله على كل شئ قدير) فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء لا يتصور ان يتردد فى وقوع الاعادة بعد ما أخبر الله به (يعذب) بعد النشأة الآخرة (من يشاء) ان يعذبه وهم المنكرون لها (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها (واليه تقلبون) أى فان تأخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات فان اليه تعالى ايابكم وعليه حسابكم وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) بممتنعين منه تعالى أى لو صعدتم الى محل السماك فى السماء أو هبطتم الى موضع السموك فى الماء لا تخرجون من قبضة قدرة الله وهذا خطاب لقوم فيهم النمرود الذى حاول الصعود الى السماء (وما لكم من دون الله من ولى) أى قريب ينفعكم (ولا نصير) أى مانع يمنعكم من عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) أى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله (ولقائه) أى بالبعث بعد الموت (أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم) وذلك لان لله تعالى فى كل شئ آية دالة على وحدانيته فاذا أشرك أحد كفر بآيات الله واذا أنكر الحشر كفر بلقاء الله وأخرج نفسه عن محل رحمة الله واذا جعل له آلهة لم يقربا لحاجة الى طريق متعين فييأس من رحمة الله ولما أنكر الحشر وقال لا عذاب عذبه الله تحقيقا للامر عليه فعدم الرحمة يناسب الاشراك والعذاب الاليم يناسب انكار الحشر (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أى قال بعضهم لبعض لا تجيبوا ابراهيم عن براهينه الدالة على التوحيد والنبوة والحشر واقتلوه بسيف أو نحوه فتستريحوا منه عاجلا أو حرقوه بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا أوجعته النار واما ان يموت بها اذا أصر على دينه فقذفوه فى النار (فأنجاه الله من النار) أى بجعلها بردا روى انه فى ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى فى انجاء الله تعالى ابراهيم من النار لعبرات لقوم يصدقون بقدرة الله فان الله حفظ ابراهيم من حرها وجعلها خامدة فى زمان يسير فلا تؤذيه ولكن أحرقت وثاقه وأنشأ فى وسطها بستانا

(وقال) ابراهيم بعد انجائه من النار (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع مودة غير منونة وجر بينكم ونافع وابن عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم لاضافته الى المبنى فالرفع خبران أى ان الذين اتخذتموه أوثانا ناصلة بينكم والنصب مفعول له وخبران محذوف أى ان الذين اتخذتموه أوثانا معبودة لكم لاجل المودة لا ينفعكم (فى الحياة الدنيا) والمعنى ان اتخاذكم أصناما مودة بينكم ليس الا فى الحياة الدنيا وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم بى ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى أى لما خرج ابراهيم من النار عاد الى عذل الكفار وقال اذا بينت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب فليس هذا الا تقليدا فان بين بعضكم محبة طبيعية فلا يريد أحدكم ان يفارقه صاحبه فى الاحوال و بينكم و بين آبائكم صلة فورثتموهم وأخذتم مقالتهم ولزمتم ضلالتهم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) فيقول العابد ما هذا معبودى و يقول المعبود ما هؤلاء عبدتى (و يلعن بعضكم بعضا) فيقول المعبود لذلك أنت أوقعتنى فى العذاب حيث عبدتنى و يقول العابد هذا أنت أوقعتنى فيه حيث أضللتنى بعبادتك و يريد كل واحد ان يبعد صاحبه باللعن ولا يتباعدون بل هم مجتمعون فى النار كما هم مجتمعون فى هذه الدار كما قال تعالى (ومأواكم النار) أى هى منزلكم فلا ترجعون منه أبدا (ومالكم من ناصرين) يخلصونكم من تلك النار كما خلصنى ربى من النار التى ألقيتمونى فيها (فآمن له لوط) أى صدقه لوط فى جميع مقالاته فقال لابراهيم صدقت يا ابراهيم ولوط هو ابن أخيه هاران (وقال ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) أى انى خارج من قومى الى مكان أمرنى ربى بالتوجه اليه روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (انه هو العزيز الحكيم) فيمنع أعدائى عن ايذائى ولا يأمرنى الا بما فيه صلاحى (ووهبنا له) بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة (اسحق) من عجوز عاقر (و يعقوب) نافلة (وجعلنا فى ذريته) أى ذرية ابراهيم (النبوة) فكل الانبياء بعده من ذريته (والكتاب) فلم ينزل بعده كتاب الا على أولاده (وآتيناه أجره) على هجرته (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) فان الله بدل جميع أحواله فى الدنيا باضدادها فبدل وحدته فى النار بكثرة ذريته حتى ملأت الدنيا وبدل أقاربه الضالين المضلين بأقارب مهتدين هادين وبدل ذلته وخمولته بالجاه وكثرة المال حتى قيل انه كان له اثناعشر ألف كلب حارس باطواق ذهب وكانت الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة فصار معروفا بشيخ المرسلين وكان فى الآخرة باقيا على ما ينبغى (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى اللواطة (ماسبقكم بها) أى بتلك الفاحشة (من أحد من العالمين) كلهم من الانس والجن (أئنكم لتأتون الرجال) أى أدبار الرجال (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث و يقال وتقطعون على من مر بكم من الغرباء (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى وتعملون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار والحذف بالبندق ومضغ العلك والفرقعة قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان يأخذ ما معه و يلوطه و يغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى قولك بمجىء عذاب الله علينا ان لم نؤمن أى ان لوطا كان مداوما على ارشاد قومه فقالوا

ولا استهزاء ائتنا بعذاب الله ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عن فعلهم قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم
ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أي بانزال العذاب
على هؤلاء المفسدين وهم الذين ابتدعوا الفاحشة وأصروها واستعجلوا العذاب بطريق الاستهزاء
(ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أي لما جاء جبريل ومن معه من الملائكة الى ابراهيم بالبشارة بالولد
والنافلة (قالوا) لابراهيم (انا مهلكوا أهل هذه القرية) أي قرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين)
باصرارهم على أنواع المعاصي (قال) ابراهيم (ان فيها) أي في تلك القرى (لوطا) فكيف
تهلكونها (قالوا) أي الرسل من الملائكة (نحن أعلم بمن فيها) أي من لوط وغيره (لننجينه وأهله)
ابنتيه زاعوراء وريثا (الا امرأته) المنافقة واعلة (كانت من الغابرين) أي من المنغمسين في العذاب
بسبب ان للدال على الشر نصيبا كفاعله وهي كانت تدل القوم على أضياف لوط (ولما أن جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم) أي جاءه ما أحزنه بمجيئهم على صورة البشر بأحسن صورة خلق الله فخاف عليهم من قومه
(وضاق بهم ذرعا) أي ضاق بتدبير أمرهم طاقته وعجز عن مدافعة قومه (وقالوا) للوط (لا تخف)
علينا (ولا تحزن) لاجلنا فانا ملائكة (انا منجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب ونصب أهلك
معطوف على محل الكاف (الا امرأتك كانت من الغابرين) أي من الباقين في الهلاك ومن الراضحين
الماضي ذكرهم (انا منزلون على أهل هذه القرية) هي سدوم (رجزا) أي عذابا مزعجا (من
السماء بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم المستمر وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي (ولقد
تركنا منها) أي القرية (آية بينة) أي علامة ظاهرة (لقوم يعقلون) وهي آثار ديارهم الخربة
وظهور الماء الاسود على وجه الارض وهو بين القدس والكرك (والى مدين أخاهم شعيبا) أي
وأرسلنا الى مدين نبيهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي اعملوا لليوم الآخر
وانما قال شعيب بلفظ الرجاء لان عبادة الله يرجى منها الخير في الدارين (ولا تعثوا في الارض مفسدين)
أي لا تعملوا المعاصي في الارض ويمكن أن يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال قم قائما أي قياما
(فكذبوه) فيما أخبرهم به لان شعيبا كأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا
تقربوه وهذه الاشياء فيها اخبارات فالتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية (فأخذتهم الرجفة)
أي التي ترجف الارض والافئدة اذ قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته وترجف
قلوبهم منها (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي فصاروا في مجمعهم ميتين لا يتحركون (وعادا وثمود) أي
وأهلكنا قوم هود وقوم صالح (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي وقد ظهر لكم يا أهل مكة اهلاكنا
اياهم من جهة منازلهم الكائنة في الحجر واليمن اذا نظرتم اليها عند مروركم عليها (وزين لهم الشيطان
أعمالهم) أي عبادتهم غير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن عبادة الله (وكانوا مستبصرين) أي
عاقلين البتة صحيحي النظر (وقارون) أي وأهلكناه وهو ابن عم موسى (وفرعون وهامان) وزير
فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالحجج الظاهرات (فاستكبروا في الأرض) عن الايمان
بالآيات وعن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أي فارين من عذاب الله (فكلا) أي كل واحد من
المذكورين (أخذنا بذنبه) أي عاقبنا بسبب ذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي حجارة محماة يقع
على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر وهم قوم لوط وعاد (ومنهم من أخذته الصيحة) هو هواء متموج
فان الصوت سببه وصول الهواء المتموج الى الصماخ وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به الارض)

أي غمرناه في التراب وهو قارون ومن معه (ومنهم من أغرقنا) بالماء وهم قوم نوح وفرعون وقومه فحصل العذاب بالعناصر الاربعة النار والريح والتراب والماء والانسان مركب منها وبسببها بقاؤه فاذا أراد الله هلاك الانسان جعل مامنه وجوده سببا لعدمه ومابه بقاؤه سببا لفنائه (وما كان الله ليظلمهم) بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك أي وما كان الله يضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة لكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الوثن مع خسته (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فان أدنى مراتب البيت أن لا يصير سبب افترق فبيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت فانه اذا داوم في زاوية لا يخرج منها فاذا نسج على نفسه بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه و بمسحه بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد ينبغي ان يستحق الثواب بسبب العبادة أولا يستحق العذاب به والكافر يستحق العذاب بسبب عبادته وان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا فكذلك أعمالهم للاوثان وهذا اشارة الى ابطال الشرك الخفي أيضا فان من عبد الله رياء فقد اتخذ وليا غير الله فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتا فلا يقيها من حر ولا برد (لو كانوا يعلمون) شيأ من الاشياء لجزموا ان مثلهم كمثل العنكبوت وان أضعف مايعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) أي ان الله يعلم الذين يعبدونهم من غير الله من شئ صنم أو انسي أو جني (وهو العزيز الحكيم) أي وهو قادر على اهلاكهم لكنه حكيم عهلهم ليكون الهلاك عن بينة وقرأ عاصم وأبو عمرو يدعون بالتحتية والباقون بالفوقية (وتلك الامثال نضربها للناس) أي نبينها لهم تقريبا لما بعد من افهامهم (ومايعقلها الا العالمون) أي ومايفهم صحتها وفائدتها الا المتدبرون في الاشياء على ماينبغي (خلق الله السموات والارض بالحق) أي متقنا مراعيا للمصالح (ان في ذلك) أي في خلقهما (لآية للمؤمنين) أي لدلالة للمؤمنين على شؤونه تعالى واختص المؤمنون بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الآية (أتل ماأوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق (وأقم الصلاة) أي داوم على اقامتها (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي تنهى عن التعطيل والاشراك فالتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك اثبات ألوهية لغير الله فالعبد أول مايشرع في الصلاة يقول الله أكبر فبقوله الله ينفي التعطيل وبقوله أكبر ينفي التشريك لان الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن من يعطي الوجود بالخلق والرحيم من يعطي البقاء بالرزق فاذا قال الحمد لله أثبت خلاف التعطيل واذا قال رب العالمين أثبت خلاف الاشراك فاذا قال اياك نعبد نفى التعطيل والاشراك وكذا اذا قال واياك نستعين واذا قال اهدنا الصراط نفى التعطيل لان طالب الصراط له مقصد والمعطل لا مقصد له واذا قال المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم هو الاقرب والمشرك يعبد الاصنام و يظنون انهم يشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة أقرب وعلى هذا الى آخر الصلاة فاذا قال فيها أشهد أن لا اله الا الله فقد نفى الاشراك والتعطيل ومعنى نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله اياكم بالمغفرة والثواب أكبر من ذكركم اياه بالصلاة وقيل ذكركم الله بسائر أنواعه أفضل من الطاعات التي ليس فيها ذكر الله وقيل المراد بالذكر نفس الصلاة أي وللصلاة أكبر من

سائر الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) من الذكر ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازات (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) أي ولا تخاصموا اليهود والنصارى الا بالاحسن أي بعدم استخفاف آرائهم وبعدم نسبة آبائهم الى الضلال لانهم جاؤا بكل حسن غير الاعتراف بالنبي صلى الله عليه وسلم فانهم آمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل وبالحشر في مقابلة احسانهم يجادلون بالاحسن الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد لله وبالقول بثالث ثلاثة فتجادلون بالاخشن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم كالمشرك الذي جاء بالمنكر من غيرهم فاللائق ان يجادل بالاخشن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين شبهه (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا) من القرآن (وأنزل اليكم) من التوراة والانجيل روي كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم الآية وفي رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد) لا شريك له في الالوهية (ونحن له مسلمون) أي مطيعون لا لغيره (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أي كما أنزلنا سائر الكتب على من تقدمك أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) وهم الانبياء (يؤمنون به) أي بالقرآن (ومن هؤلاء) أي من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (من يؤمن به) أي بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) أي بالقرآن الذي ظهرت دلالته على المعاني وعلى كونه من عند الله تعالى (الا الكافرون) ككعب بن الاشرف وأصحابه وأبي جهل وأصحابه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) أي وما كنت يا أشرف الخلق تقرأ كتابا قبل انزالنا القرآن اليك ولا تكتب الكتاب بيدك والاصح انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحسن الخط والشعر ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه (اذا لارتاب المبطلون) أي لو كنت قارئا أو كاتبا لشك اليهود والنصارى لان في كتابهم انك أمي لا تقرأ ولا تكتب (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي بل القرآن آيات واضحات ثابتة في قلوب الذين أعطوا العلم بالقرآن فليس مما يشك فيه لكونه محفوظا من غير ان يلتقط من كتاب بحيث لا يقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب فانه لا يقرأ الا في المصاحف والمعنى ان المؤمنين يقرؤن القرآن بالحفظ عن قلب تلقيا منك وبعضهم من بعض وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذه من كتاب بطريق تلقيه منه (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) أي المتجاوزون للحدود في الشر من اليهود والنصارى والمشركين (وقالوا) أي الظالمون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي هلا أنزل على محمد آيات مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجمع والباقون بالافراد (قل انما الآيات عند الله) ينزلها أولا ينزلها فلا تتعلق بي (وانما أنا نذير مبين) أي لست الا رسولا مخوفا لاهل المعصية بالنار بلغة تعلمونها وليس لي عليه تعالى حكم بشيء (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) الدال على نبوتك (يتلى عليهم) في كل زمان ومكان فهو معجزة ظاهرة باقية أتم من كل معجزة وقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد بخلاف قلب العصا ثعبانا فانه لم يبق لنا منه أثر ولم يره من لم يكن في ذلك المكان (ان في ذلك) أي الكتاب (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي فان الكتاب رحمة على العباد ليعلموا بها الصادق فان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله فلو لم يظهر الكتاب لبقي الخلق في ورطة تكذيب الصادق أو تصديق الكاذب لانه لو لم تكن هذه المعجزة لزم ان لا يتميز النبي عن المتنبي وبهذا الكتاب يتذكر

كل من يكون من المؤمنين مابقي الزمان (قل كفى بالله بيني و بينكم شهيدا) بأني رسوله روى ان كعب بن
الاشرف وغيره قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله ونزلت هذه الآية (يعلم مافي السموات والارض) من
الامور التي منها شأني وشأنكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ماسوى الله (وكفروا بالله أولئك هم
الخاسرون) لانهم ضيعوا الادلة السمعية الموجبة للايمان (و يستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء
بقولهم متى هذا الوعد ونحو ذلك نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث حين قال فأمطر علينا حجارة من
السماء ان كنت من الصادقين (ولولا أجل مسمى) لوقت عذابهم (لجاءهم العذاب) وقت استعجالهم
(وليأتينهم بغتة) فاتيان العذاب بغتة حكمة لانه لو كان وقته معلوما عندهم لكان كل أحد يعتمد على علمه
بوقته فيفجر معتمدا على التوبة قبل الموت (وهم لا يشعرون) باتيانه و يظنون انه لا يأتيهم أصلا
(يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي يستعجلونك بالعذاب في الدنيا والحال ان العذاب
سيحيط بهم يوم يأتيهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي يوم يلحقهم العذاب من
جميع جهاتهم فنار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس عليها بوضع القدم (و يقول) قرأ نافع
والكوفيون بالياء أي الله تعالى أو بعض ملائكته بأمره والباقون بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون)
أي ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا قال تعالى (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي
فاعبدون) أي ان تعذرت العبادة عليكم في بعض الارض فهاجروا ولا تتركوا عبادتي بحال وقرأ بفتح
الياء ابن عامر والباقون بتسكينها (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) أي كل نفس من النفوس
واجدة مرارة الموت فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة
صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان ما تكرهون لا بد من وقوعه فان كل نفس ذائقة
مشاق الموت والموت مفرق الاحباب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد
الوطن أو المعنى اذا تعلقتم بي فموتكم رجوع الى وليس بموت كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون لا يموتون
بل ينقلون من دار الى دار وقرأ أبو بكر بالياء التحتية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات
(لنبوئنهم من الجنة غرفا) أي لننزلنهم بيوتا عالية من الجنة وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم بالمثلثة أي
لنقيمنهم في علالي من الجنة (تجري من تحتها الانهار) أي في موضع الانهار بساتين كبار و زروع
و رياض وأزهار فيشرفون عليها من تلك العلالي (خالدين فيها) أي في الغرف (نعم أجر العاملين) أي
نعم أجر العاملين الأعمال الصالحة هذا الاجر (الذين صبروا) على شدائد المهاجرة وعلى أمر الله والمرازي
(وعلى ربهم يتوكلون) أي الذين لم يتوكلوا فيما يأتون و يذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل
رزقها) أي وكثيرا من الدواب لا تطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخر شيأ لساعة أخرى روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف تقدم بلدة ليس لنا فيها
معيشة فنزلت هذه الآية (الله يرزقها) أي الدابة على ضعفها وهي لا تدخر (واياكم) مع قوتكم لان
رزق الكل بأسباب هو تعالى وحده المسبب لها فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع العليم) فيسمع
قولكم هذا و يعلم ضمائركم وحاجتكم و يسمع اذا طلبتم الرزق و يعلم مقدار حاجتكم اذا سكتم (ولئن
سألتهم) أي أهل مكة (من خلق السموات والارض) على هذا النظام (وسخر الشمس والقمر)
لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع (ليقولن الله) اذ لا سبيل لهم الى انكار ذلك
(فاني يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى في

الخلق

الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى الله يوسع المال ويقتر على من يشاء فى أى وقت يوافق الحكمة فيفعل كلا من البسط والتضييق فى وقته ومحله (ان الله بكل شيء عليم) فيعلم مقادير الارزاق ومقادير الحاجات ألا ترى أن الملوك يفاوتون فى الرزق بين عمالهم بحسب مايعلمون بأحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم بكل شيء (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها) أى يبوستها (ليقولن الله) معترفين بأنه تعالى الموجد للممكنات بأمرها ثم انهم يشركون به تعالى بعض مخلوقاته (قل الحمد لله) على ان أظهر حجتك عليهم (بل أكثرهم لا يعقلون) شيأ من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به تعالى أخس مخلوقاته ولا يعرفون فساد هذا التناقض (وما هذه الحياة الدنيا الالهو ولعب) أى ان الدنيا سريعة الزوال فالاشتغال بلذاتها كاشتغال الصبيان بلهوهم وعبثهم فانهم يجتمعون عليه ويفرحون به ساعة ثم يتفرقون عنه فالاعراض عن الحق لهو والاقبال على الباطل لعب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ان الحياة الثانية لهى الحياة الدائمة التى لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) ان الحياة المعتبرة هى حياة الآخرة لما آثروا عليها الدنيا (فاذا ركبوا) أى كفار مكة (فى الفلك) فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله مخلصين له الدين) صورة حيث لا يدعون غير الله تعالى بالنجاة والقوا الاصنام التى حملوها معهم فى البحر وقالوا يارب يارب لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا الله تعالى (فلما نجاهم) من البحر (الى البر اذاهم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا واشركوا بالله الاوثان (ليكفروا بما آتيناهم) من عرض الدنيا (وليتمتعوا) أى وليتلذذوا بمتاع الدنيا وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بكسر اللام وهى اما لام العاقبة والمآل واما لام الامر على سبيل التهديد والباقون بالتسكين فهى لام الامر (فسوف يعلمون) فساد عملهم حين يرون العذاب (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى ألم ينظر كفار مكة ولم يشاهدوا انا جعلنا بلدهم مكة حرما مصونا من النهب والحال انه يختلس من حولهم قتلا وسبيا مع كون أهل مكة قليلين قارين فى مكان غير ذى زرع أبعد ظهور الحق بالباطل خاصة من الاديان يصدقون وبنعمة الله التى أعطاهم اياها يكفرون والمعنى انكم يا أهل مكة فى أخوف ما كنتم دعوتم الله تعالى وفى أمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم فى وقت الخوف على سبيل الاخلاص لم يكن الا لقطعكم بأن النعمة من الله لا غير وقد اعترفتم بأن تلك النعمة العظيمة من الله كيف تكفرون بها وقد قطعتم فى حال الخوف انه لا أمن من الاصنام حيث ألقيتموها فى البحر كيف آمنتم بها فى حال الامن (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) فالله تعالى لا يمكن ان يكون له شريك فمن جعل الشريك للملك مستقل فى الملك لكان ظالما يستحق العقاب منه فكيف اذا جعل الشريك لمن لا يمكن ان يكون له شريك ومن كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فكيف من كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب فاذا ليس أحد أظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب الله فى تصديقه نبيه صلى الله عليه وسلم ويكذب النبى فى رسالة ربه ويكذب القرآن المنزل من الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى ألا يستحقون الاقامة فى جهنم وقد فعلوا افتراء على الله تعالى وتكذيبا بالحق الصريح أو يقال ألم يعلموا ان فى جهنم منزلا للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أى والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ويقال والذين

نظروا فى دلائلنا لتحصل فيهم العلم بنا (وان الله لمع المحسنين) أى لمعينهم فى القول والفعل بالتوفيق والعصمة وهذا اشارة الى درجة أعلى من الاستدلال كأن الله تعالى يقول من الناس من يكون بعيدا لا يتقرب وهم الكفار ومنهم من يتقرب بالنظر والسلوك فيهديهم الله تعالى ويقربهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه تعالى يعلم الاشياء منه تعالى ولا يعلمه تعالى من الاشياء فقوله تعالى ومن أظلم اشارة الى الاول وقوله والذين جاهدوا فينا اشارة الى الثانى وقوله وان الله لمع المحسنين اشارة الى الثالث

﴿سورة الروم مكية وهى ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ألم غلبت الروم فى أدنى الارض) أى فى أقرب أرض العرب منهم وهى أطراف الشام فالروم اسم قبيلة وسميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمى عيصو لانه كان مع يعقوب فى بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل أخيه فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك خرجت من جنب أمى فتأخر يعقوب شفقة لها فلذا كان أبا الانبياء وعيصو أبا الجبارين (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى من بعد مغلوبيتهم (سيغلبون) فارس (فى بضع سنين) وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وجعل قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا باذرعات و بصرى وهى أقرب الشام الى أرض العرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فنزلت هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له أبى بن خلف الجمحى كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال له اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص وجعلا الأجل ثلاث سنين فاخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه فى أحد بعد رجوعه الى مكة ثم أقبل قيصر فى خمسمائة ألف ورمى الى الفرس وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين من مناحبتهم ومات كسرى وذلك يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات تدل على علم النبى صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة لكن لم يأذن الله تعالى فى اظهاره لان الكفار كانوا معاندين فالمعاندير جف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف فى الكلام والوقت يمكن فيه الاختلاف وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون فى السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم (لله الامر من قبل ومن بعد) أى من قبل غلبة الروم على فارس ومن بعدها فكل من كون الروم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أى ويوم اذ يغلب الروم على فارس

يفرح

يفرح المؤمنون بتغليب الله من له كتاب على من لا كتاب له و يفرحون بغلبتهم المشركين ببدر قال السدى فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك والجار والمجرور متعلق بيفرح (ينصر من يشاء) أى ينصره من عباده على عدوه من ضعيف وقوى (وهو العزيز الرحيم) أى وهو تعالى المبالغ فى الغلبة والمبالغ فى الرحمة (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه أى وعدهم الله بالنصر و بالفرج وعدا (لا يخلف الله وعده) أى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم و وعد الله لا خلف فيه (يعلمون) أى أكثرهم (ظاهرا من الحياة الدنيا) من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم ولا يعلمون باطنها وهى مضارها ومتاعبها وفناؤها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أى وهم جاهلون بأمر الآخرة تاركون لعملها ولا يعلمون أن الدنيا مجاز الى الآخرة (أولم يتفكروا فى أنفسهم) فلو تفكروا فى أنفسهم لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر أما دلالة الانسان على الوحدانية فلان الله خلقهم على أحسن تقويم ولنذكر من حسن خلقهم جزأ من ألف جزء وهو ان الله تعالى خلق للانسان معدة فيها غداؤه لتقوى به أعضاؤه ولها منفذان أحدهما لدخول الطعام فيه والآخر لخروجه منه فاذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الآخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة وتمسكه الماسكة الى أن ينضج نضجا صالحا ثم يخرج من المنفذ الآخر وخلق تحت المعدة عروقا دقاقا صلابا كالمصفاة فينزل منها الصافى الى الكبد و ينصب الثقل الى الأمعاء ويكون مع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد فضل ماء مشروب ليرقق و ينذرف فى العروق الدقاق المذكورة وفى الكبد يستغنى عن ذلك الماء فيتميز عنه ذلك الماء و ينصب من جانب حدبة الكبد الى الكلية ومعه دم يسير تغتذى به الكلية وغيرها ويخرج الدم الخالص من الكبد فى عرق كبير ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول والجداول الى سواق والسواقى الى رواضع و يصل فيها الى جميع البدن فهذه حكمة واحدة فى خلق الانسان وهذه كفاية فى معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا عالما ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما أراده وأما دلالة الانسان على الحشر فذلك لانه اذا تفكر فى نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال وأجزاؤه مائلة الى الانحلال فله فناء ضرورى فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه تعالى على هذا الوجه للفناء عبثا لان من يفعل شيأ للعبث لو بالغ فى اتقانه يضحك منه فاذا خلق الله الانسان للبقاء ولا بقاء دون اللقاء فالآخرة لا بد منها (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) أى ما خلقها عبثا بغير حكمة بالغة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة الدالة على وجود صانعها ووحدته وقدرته وعلمه بأجل معين قدره الله تعالى لبقائها الى أن تنتهى اليه وهو وقت قيام الساعة وقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقوله وأجل مسمى اشارة الى معاد الانسان فان مجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) أى وان كفار مكة لمنكرون بلقاء حسابه تعالى و جزائه بالبعث (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى أقعد كفار مكة فى أماكنهم ولم يسيروا فى أقطار الارض فيشاهدوا كيف كان جزاء الامم الذين كذبوا رسلهم كعاد وثمود (كانوا) أى من قبلهم (أشد منهم قوة) فى الجسم وأقدر منهم على التمتع بالحياة (وأثاروا الارض) أى قلبوها للزراعة والغرس أكثر مما حرث أهل مكة (وعمروها) بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء

وغيرها (أكثر مما عمروها) أى أكثر مما عمر أهل مكة كما وكيفا وزمانا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الظاهرات وبالمعجزات فكذبوهم فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو عاقبة بالرفع على أنها اسم كان والسوأى خبرها وهى جهنم أى ثم كان آخر أمر الذين عملوا السيآت نار جهنم وقرأ الباقون بنصب عاقبة على أنها خبر كان واسمها السوأى تأنيث الاسوأ أو ان كذبوا أى ثم كان تكذيبهم واستهزاؤهم آخر أمر الذين أشركوا بالله وعملوا الفعلة السوأى وهى اسم النار كما تقدم (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) بدل من السوأى وقيل كذبوا الخ تفسير لاساؤا (الله يبدؤ الخلق) أى ينشئهم من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم اليه ترجعون) الى موقف الحساب والجزاء وقرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة والباقون على الخطاب للمبالغة فى الترهيب (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) أى وقت رجعهم اليه تعالى يسكت المشركون متحيرين ويبأسون من كل خير (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه (وكانوا بشركائهم كافرين) أى وكان عبدة الاصنام بآلهتهم متبرئين منهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة يومئذ) بعد تمام الحساب (يتفرقون) أى جميع الخلق فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) أى فهم فى جنة يسرون بكل مسرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال صلى الله عليه وسلم يا اعرابى ان فى الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (فأولئك فى العذاب محضرون) أى لاغيبة لهم عن العذاب ولا فتور له عنهم أما من يؤمن ويعمل السيآت فليس دائم الحضور فى العذاب وليس من المحبور رين غاية الحبور فى رياض بل له منزلة بين المنزلتين (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) أى نزهوه تعالى عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال فى هذه الاوقات واحمدوه وانما خص بعض الاوقات بالامر بالتسبيح لان الانسان لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى تحصيل مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وكما أن العبد ينزه الله فى أول النهار وآخره ووسطه فان الله يطهره فى أوله وهو دنياه وفى آخره وهو عقباه وفى وسطه وهو حالة كونه فى قبره وقوله تعالى وله الحمد فى السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود على الله فعليهم أن يحمدوا الله اذا سبحوه ثم ان التنزيه المأمور به يشمل التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم واللسان وهو الذكر الحسن بالاركان وهو العمل الصالح فالانسان اذا اعتقد شيأ ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه فى مقاله من أحواله وأفعاله واللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان لكن الصلاة أفضل أعمال الاركان وهى مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان وهو تنزيه فى التحقيق فيجب حمل التسبيح على كل ما هو تنزيه فيكون هذا أيضا أمرا بالصلاة (يخرج الحى من

الميت) كالانسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحى) أى يخرج النطفة والبيضة من الحيوان وقال بعضهم يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويقال يخرج اليقظان من النائم والنائم من اليقظان فاحياء الميت عنده تعالى كتنبيه النائم واماتة الحى كتنويم المتنبه (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يبوستها (وكذلك) أى ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء وضم الراء (ومن آياته) الدالة على أنكم تبعثون (أن خلقكم من تراب) فانا خلقنا من نطفة وهى من الغذاء وهو من النبات وهو من التراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى ثم بعد أطوار كثيرة فاجأتم وقت كونكم بشرا تمتعون على وجه الارض (ومن آياته) لدالة على البعث والجزاء (أن خلق لكم) أى لاجلكم (من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى أناثا (لتسكنوا اليها) أى لتميلوا اليها وتطمئنوا بها (وجعل بينكم) أى بين المرأة والزوج (مودة) أى محبة (ورحمة) أى شفقة ويقال مودة للصغير على الكبير ورحمة لكبير على الصغير (ان فى ذلك) أى فى خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من جنسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (لآيات لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) الدالة على أمر البعث (خلق السموات والارض) من حيث ان خلقهما ومافيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم العربية والفارسية وغير ذلك والاصح انه اختلاف كلامكم فان الأخوين اذا تكلما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه (ان فى ذلك) أى فى خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان (لآيات للعالمين) وقرأ حفص وحده بكسر اللام أى لآيات عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها للمتصفين بالعلم والباقون بفتح اللام أى فى ذلك دلالة على كمال وضوح الآيات على أحد من الخلق كافة (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم (منامكم بالليل والنهار) فالنوم بالنهار مما تعده العرب نعمة من الله ولا سيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (وابتغاؤكم من فضله) فيهما وهذا اشارة الى أن العبد ينبغى أن لا يرى الرزق من كسبه وبحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه (ان فى ذلك) أى فى الليل والنهار (لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم حيث يستدلون بذلك على شؤنه تعالى (ومن آياته يريكم البرق) أى ومن آياته الدالة على عظيم قدرته تعالى اراءته كم للبرق (خوفا) للمسافر من المطر أن يبل ثيابه (وطمعا) للمقيم فى المطر أن يسقى حرثه (وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (فيحيى به) أى بذلك الماء (الارض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يبوستها (ان فى ذلك) أى المطر (لآيات لقوم يعقلون) أى لدلالات على الفاعل المختار لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) أى ومن آياته الدالة على القدرة واستمرار السماء والارض على ما هما عليه بارادته تعالى له (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) أى ثم دعاكم الله على لسان اسرافيل بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بان قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وقوله من الارض متعلق بدعاكم (وله) خاصة (من فى السموات والارض) من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا (كل له قانتون) أى منقادون لفعله (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم (وهو أهون عليه) بالقياس على قوانينكم من ان الاعادة للشىء أهون من ابتدائه والا فالافعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية فى السهولة (وله المثل الاعلى) أى وله تعالى الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مما يدانيه (فى السموات والارض وهو العزيز

الحكيم) أى وهو كامل القدرة على الممكنات شامل العلم بجميع الموجودات فيجرى الأفعال على سنن الحكمة (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى بين الله لكم يا معشر الكفار مثلا مأخوذا من أحوال أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) أى هل شركاء فيما رزقناكم من الاموال كائنون من النوع الذى ملكت أيمانكم (فأنتم فيه سواء) أى فأنتم وعبيدكم فيما رزقناكم مستوون فى التصرف (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون ان تنفردوا بالتصرف فيه بدون رأيهم خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المشاركين لكم فيما ذكر أى أنتم لا ترضون بأن يشارككم مماليككم وهم أمثالكم فى البشرية فكيف تشركون به تعالى فى المعبودية مخلوقه تعالى (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها بالدلائل القطعية والامثلة والمحاكيات الاقناعية (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أى لا يجوز ان يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم الزائغة من غير علم وأثبتوا شركاء من غير دليل (فمن يهدى من أضل الله) أى لا يقدر أحد على هداية من خلق الله فيه الضلال (ومالهم) أى لمن أضله الله تعالى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال (فأقم وجهك للدين) أى أقبل بكلك على الدين غير ملتفت يمينا وشمالا (حنيفا) أى مائلا عن كل ما عدا الدين (فطرت الله التى فطر الناس عليها) أى الزم دين الله وهو التوحيد فان الله خلق الناس عليه فى بطون أمهاتهم وحيث أخذهم الله من ظهر آدم وسألهم الست بربكم فقالوا بلى (لا تبديل لخلق الله) أى لا تبدلوا دين الله كما قاله مجاهد وابراهيم وقيل أى لا تغير للوحدانية حتى ان سألتهم من خلق السموات والارض يقولون الله لكن الايمان الفطرى غير كاف (ذلك) أى لزوم دين الله (الدين القيم) أى الحق الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) ان ذلك هو الدين الحق فيصدون عنه صدودا (منيبين اليه) أى أقيموا وجوهكم للدين مقبلين عليه (واتقوه) من مخالفة أمره بل داوموا على العبادة (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) أى ولا تشركوا بعد الايمان وههنا وجه آخر وهو ان الله أثبت التوحيد الذى هو خروج عن الاشراك الظاهر بقوله تعالى منيبين اليه وأراد الله اخراج العبد عن الشرك الخفى بقوله تعالى ولا تكونوا من المشركين أى لا تقصدوا بعملكم الا وجه الله ولا تطلبوا به الا رضا الله ثم أبدل الله قوله من المشركين قوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم) أى اختلفوا فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بألف أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) أى وصاروا فرقا فيما يعبدونه (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل أهل دين مسرورون بما عندهم من الدين يظنون أنه حق (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه) أى واذا أصاب كفار مكة شدة دعوا ربهم برفع الشدة مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه) أى من الضر (رحمة) أى خلاصا (اذا فريق منهم) أى الكفار (بربهم يشركون) ويقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلانى بفلان وبسبب الصنم الفلانى (ليكفروا بما آتيناهم) فاللام للعاقبة (فتمتعوا) يا أهل مكة (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا فعل ماض وقرئ وليتمتعوا (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى هل أنزلنا على أهل مكة كتابا فذلك الكتاب يدل على الامر الذى بسببه يشركون فأم بمعنى الهمزة فقط عند الكوفيين وبمعنى بل والهمزة عند البصريين كما هو شأن أم المنقطعة (واذا أذقنا الناس رحمة) من صحة وسعة (فرحوا بها)

بطر الاشكرا فان قيل الفرح بالرحمة مأمور به فى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم الله على الفرح بالرحمة فكيف ذلك قلت هنالك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله تعالى وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما اذا كان من الله وهو كان الملك لو حط عند أمير رغيفا على السماط أو أمر غلمانه بأن يحطوه عنده ففرح ذلك الامير به ولو أعطى الملك فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا فرح به ففرح الامير بكون ذلك الرغيف من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفا (وان تصبهم سيئة) أى شدة ضيق (بما قدمت أيديهم) أى بشؤم معاصيهم (اذاهم يقنطون) أى ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها وقرأ أبو عمرو والكسائى بكسر النون (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر ويضيقه لمن يشاء اختبارا هل يصبر أم يجزع (ان فى ذلك) أى التوسيع والتضييق (لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين) سواء كان ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) أى المسافر من صدقة التطوع (ذلك) أى المذكور من الصلة والعطية والاكرام (خير) أى ثواب فى الآخرة (للذين يريدون وجه الله) أى يقصدون بمعروفهم جهة التقرب اليه تعالى لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) أى الناجون من السخط (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله) أى وما أعطيتم من عطية خالية من العوض ليزيد فى أموال الناس بأن تعطوا شيأ وتطلبوا ما هو أفضل منه فليس لكم فيه أجر وليس عليكم فيه اثم وقرأ نافع لتربوا بتاء الخطاب وسكون الواو أى لتصير واذوى زيادة وقرأ ابن كثير وما أتيتم بقصر الهمزة أى وما جئتم به من اعطاء عطية واختلاف العلماء فيمن وهب هبة يطلب عوضها وقال انما أردت العوض فان كان مثله ممن يطلب العوض من الموهوب له فله ذلك عند مالك رضى الله عنه وذلك كهبة الفقير للغنى وهبة الخادم لصاحبه وهبة الشخص لمن فوقه ولاميره وقال أبو حنيفة لا يكون له عوض اذا لم يشترط وهذان القولان جاريان للشافعى رضى الله عنهم (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى وما أعطيتم من صدقة تطوع الى المساكين تبتغون وجهه تعالى فأولئك هم الذين أضعفت صدقاتهم فى الآخرة بكثرة الثواب ويحفظ أموالهم فى الدنيا بالبركة لها (الله الذى خلقكم) نسما فى بطون أمهاتكم ثم أخرجكم وفيكم الروح (ثم رزقكم) الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أى هل من آلهتكم يا أهل مكة من يقدر أن يفعل من ذلك شيأ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى لا تصفوه تعالى بالاشراك وقرأ حمزة والكسائى بتاء الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) أى تبين الفساد فى البر والبحر كالجدب وكثرة الحرق والغرق وموت دواب البر والبحر وقلة اللؤلؤ بسبب كسب الناس المعاصى قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم لما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوانات بعضها بعضا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزاء الذين عملوا فان تمامه فى الآخرة وقرأ قنبل لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) كقوم نوح وعاد وثمود ليشاهدوا آثارهم (كان

أكثرهم مشركين) وكان بعض الهلاك بغير الشرك كالفسق ومخالفة الامر (فأقم وجهك للدين القيم)
قال الزجاج أي أقم صدرك واجعل وجهك اتباع دين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله)
متعلق بيأتي أو بمرد أي لا يقدر أحد على رده من الله تعالى ولا يرده الله تعالى لتعلق ارادته تعالى بمجيئه
(يومئذ يصدعون) أي يوم اذ يأتي ذلك اليوم يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر
فعليه كفره) أي من كفر بالله فعليه عقوبة كفره وهو خلود في النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون) أي ومن عمل صالحا في الايمان فيفرشون منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله) والجار والمجرور متعلق بيمهدون أو بيصدعون أي يتفرقون بتفريق الله تعالى
فريقين ليجزي الله كلا منهما بحسب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) أي يعاقبهم (ومن آياته)
الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) لخلقه بالمطر وبصلاح الاهوية
والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد فرياح الرحمة هي الشمال والصبا والجنوب وأما
الدبور فهي ريح العذاب (وليذيقكم من رحمته) وهي المنافع التابعة للرياح (ولتجري الفلك) أي
السفن بسوقها (بأمره) أي بمشيئته في البحر (ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون)
نعمة الله فيما ذكر (ولقد أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل (رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي
جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك فكذبوهم (فانتقمنا من الذين
أجرموا) أي أهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا) أي واجبا (علينا نصر المؤمنين) أي وكان
الانتقام حقا فلم يكن ظلما ثم استأنف الله بقوله تعالى علينا نصر المؤمنين وهذا بشارة لمن آمنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويقال نصر المؤمنين كان واجبا علينا وهذا تأكيد البشارة لان كلمة على تفيد معنى اللزوم
فاذا قال حقا أكد ذلك المعنى والنصر هو الغلبة التي لا تكون عاقبتها وخيمة والكافر ان هزم المسلم في بعض
الاوقات لا يكون ذلك نصرة اذ لا عاقبة له (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي فترفع سحابا ثقالا
بالمطر (فيبسطه في السماء كيف يشاء) أي فينشر الله السحاب كمال الانتشار متصلا بعضه ببعض
تارة في جو السماء كيف يشاء سائرا وواقفا ومطبقا وغير مطبق (ويجعله كسفا) أي ويجعل الله
السحاب قطعا تارة أخرى (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من خلال السحاب
(فاذا أصاب) أي الله (به) أي بالودق (من يشاء من عباده) أي أراضيهم (اذا هم يستبشرون)
أي يفرحون بمجيء الخطب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أي وان الشأن كانوا
من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل الاستبشار لآيسين من المطر (فانظر الى آثار رحمة الله) من النبات
والاشجار والثمار فان رحمة هي المطر وأثرها هو النبات وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص آثار
بالالف والباقون بغير ألف (كيف يحي الارض بعد موتها) أي فانظر الى احياء الله تعالى للارض
باخراج النبات بعد يبوستها (ان ذلك) أي الذي يحي الارض (لمحي الموتى) أي لقادر على احيائهم
(وهو على كل شيء قدير) أي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون) أي وبالله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوا الزرع
مصفرا بعد خضرته لصاروا من بعد صفرته يكفرون بنعمته تعالى السالفة (فانك) يا أشرف الخلق
(لا تسمع الموتى) أي لا تجزع ولا تحزن على عدم ايمانهم فانهم موتى صم عمي ومن كان كذلك لا يهتدي
(ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي اذا أعرضوا مدبرين عن الحق (وما أنت بهادي العمي عن

ضلالتهم)

ضلالتهم) أى ليس شغلك هداية العميان الى الحق وقرأ حمزة تهدى بتاء الخطاب الداخل فى المضارع ونصب العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ما تسمع دعوتك الا من مؤمن بكتابنا فان ايمانهم يدعوهم الى قبوله (فهم مسلمون) أى مطيعون (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) أى من بعد كونه جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما (قوة) أى حالة البلوغ والشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) للكهولة (وشيبة) وهو بياض الشعر الاسود (يخلق ما يشاء) أى فان ذلك الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس طبعا بل هو بمشيئة الله تعالى (وهو العليم القدير) فالترديد فى الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى توجد القيامة (يقسم المجرمون) أى يحلف الكافرون بالله (ما لبثوا) فى القبور (غير ساعة) أى غير قدر ساعة (كذلك) أى مثل ذلك الصرف (كانوا يؤفكون) أى يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس (لقد لبثتم) فى القبور (فى كتاب الله) أى بحسب ما علمه الله وقدره (الى يوم البعث) من القبور (فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون فى الدنيا والذى أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) انه حق ولا تقرون بوقوعه فتستعجلون به استهزاء وتطلبون الآن تأخير الساعة فصار مصيركم الى النار (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية أى فيوم القيامة لا ينفع الذين أشركوا اعتذارهم فى انكارهم له (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم ازالة العتب من التوبة كما طلبت منهم فى الدنيا لانها لا تقبل منهم (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم فى هذا القرآن كل حال وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كانها فى غرابتها مثل (ولئن جئتهم) يا أشرف الخلق (بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) من أهل مكة (ان أنتم الا مبطلون) أى أنتم يا معشر المؤمنين الا كاذبون ويقال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل يقولون أنتم كلكم أيها المدعون للرسالة مزورون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى لا يطلبون العلم ولا يقصدون الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أى لا يحملنك على الخفة وترك الصبر الذين لا يصدقون بالآيات وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبى صلى الله عليه وسلم على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافر انه متقلب الرأى لا ثبات له والله أعلم بالصواب

﴿سورة لقمان مكية وهى أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قيل قسم أقسم الله به (تلك آيات الكتاب الحكيم) أى هذه السورة آيات القرآن ذى الحكمة (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات وبالرفع على قراءة حمزة خبران آخران لاسم الاشارة (للمحسنين) أى العاملين للحسنات (الذين يقيمون الصلاة) أى يتقنون جميع ما أمروا به فيها (ويؤتون الزكاة) كلها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أى وهم يصدقون بالبعث بعد الموت فالصلاة ترك التشبه بالسيد فالله تعالى تجب له العبادة ولا تجوز عليه العبادة والزكاة تشبه بالسيد فانها دفع حاجة الغير والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبد فى أمور كما ان ترك التشبه لازم على العبد

في أمور فلا يجلس العبد عند جلوس السيد ولا يتكئ عند اتكائه وعبد العالم لا يتلبس بلباس الاجناد وعبد الجندي لا يتلبس بلباس الزهاد وبهما تتم العبودية (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من كل مهروب والفائزون بكل مطلوب (ومن الناس) وهو نضر بن الحرث (من يشتري لهو الحديث) أي أباطيل الحديث (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) أي على دينه الحق الموصل اليه تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليستمر على ضلاله عن قراءة كتاب الله تعالى الهادي اليه (بغير علم) أي يشتري بغير علم بحال مايشتريه (ويتخذها هزوا) وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب عطفا على يضل والباقون بالرفع عطفا على يشتري والضمير البارز للسبيل وهو دين الاسلام أو للقرآن (أولئك) أي من يشتري ذلك (لهم عذاب مهين) أي ذو اهانة لاهانتهم الحق (واذا تتلى عليه) أي المشتري (آياتنا) أي التي هي آيات الكتاب الحكيم (ولى مستكبرا) أي أعرض عنها مبالغا في التكبر عن الايمان بها (كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمع الآيات (كأن في أذنيه وقرا) أي مشبها حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع (فبشره بعذاب أليم) أي فاعلمه يا أشرف الخلق بأن العذاب المفرط في الايلام لاحق به لامحالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أي نعيم جنات فلهم خبران وجنات مرفوع على الفاعلية (خالدين فيها) حال من جنات النعيم أو من ضمير لهم (وعد الله حقا) أي وعدهم الله جنات النعيم وعدا وحق ذلك حقا فهما مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء (الحكيم) الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة (خلق السموات بغير عمد) أي بغير دعائم (ترونها) فهذا اما راجع للسموات وهو استئناف جيء به للاستشهاد على خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك واما راجع للعمد وهو صفة له أي بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية فهي قدرة الله وارادته (وألقى في الارض رواسي) أي جبالا ثوابت قال ابن عباس هي الجبال الشامخات من أوتاد الارض وهي سبعة عشر جبلا منها قاف وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين وثبير وطور سيناء أخرجه ابن جرير (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميل الارض بكم (وبث فيها من كل دابة) أي فرق الله في الارض من كل نوع من أنواع ذي روح (وأنزلنا من السماء ماء) وهو المطر (فأنبتنا فيها) أي في الارض بسبب ذلك الماء (من كل زوج كريم) أي من كل جنس حسن فتحت كل جنس نوعان لان النبات اما شجر أو غير شجر فالشجر اما مثمر أو غير مثمر (هذا) أي الاشياء المعدودة (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني) أي فاخبروني يا أهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) أي من غير الله مما تعبدونه فكيف تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق (بل الظالمون في ضلال مبين) أي بل المشركون في خطأ بين وأنتم يا أهل مكة منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو توفيق العمل بالعلم فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحكمة فمن تعلم شيأ ولا يعلم مصالحه ومفاسده لا يسمى حكيما وانما يكون مجنونا ألا ترى أن من يلقي نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز وسلم لا يقال انه حكيم لعدم علمه به أولا بل هو يعلم ان الالقاء فيه اهلاك النفس والانسان اذا علم أمرين أحدهما أهم من الآخر فان اشتغل بالاهم كان عمله موافقا للعلم وكان حكمة وان أهمل الاهم كان مخالفا للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء قيل

ولقمان هو ابن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وروي انه كان نائما في نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم ان الله تعالى ان فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت وهو لا يراهم يا لقمان هل لك في الحكمة قال فان الحاكم يغشاه المظلوم من كل مكان ان عدل نجا وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها (أن اشكر لله) فان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول فان شكر الله تعالى أهم الاشياء (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته مقصورة عليها (ومن كفر فان الله غني حميد) أي ومن كفر النعمة فالله غير محتاج الى شكره حتى يتضرر بكفران الكافر وهو تعالى في نفسه محمود سواء شكره الناس أولم يشكروه (واذ قال لقمان لابنه) ثاران وقيل أنعم وقيل مشكم (وهو يعظه) ويبدأ في الوعظ بالاهم (يا بني) تصغير محبة وقرأ حفص بفتح الياء وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون (لاتشرك بالله) قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لان الشرك وضع للنفس الشريف ولأنه وضع العبادة في غير موضعها (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه بالبر بهما (حملته أمه وهنا على وهن) أي حملته أمه في بطنها تضعف ضعفا فوق ضعف كلما كبر الولد في بطنها كان أشد عليها (وفصاله في عامين) أي وفطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي ومدة الرضاع عند أبي حنيفة ثلاثون شهرا (أن اشكر لي) بالطاعة لاني المنعم في الحقيقة (ولوالديك) بالتربية لانهما سبب لوجودك قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين (الي المصير) أي الي الرجوع فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) أي ان خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة مالم يكن فيها ترك طاعة الله أما اذا أفضى اليه فلا تطعهما (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب الي) بالتوحيد والاخلاص في الطاعة وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل هو أبو بكر الصديق وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام بارشاد أبي بكر رضي الله عنه (ثم الي مرجعكم) أي مرجعك أيها الانسان ومرجع والديك ومرجع من أناب (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر (يا بني) روي أن ابن لقمان قال يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) أي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرأ نافع مثقال بالرفع وكان تامة وضمير انها للقصة أي ان الشأن ان يوجد وزن حبة الخردل (فتكن) أي تلك الخصلة (في صخرة) تحت الارضين وهي التي عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السماء (أو في السموات أو في الارض يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي

(خبير) بكنهه (يابنى أقم الصلاة) بجميع حدودها (وأمر بالمعروف) أى بالاحسان (وانه عن المنكر) أى القبيح من القول والعمل (واصبر على ما أصابك) من الشدائد والمحن لاسيما بسبب الامر والنهى (ان ذلك) أى الصبر أو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (من عزم الامور) أى من الامور الواجبة المقطوعة فلم يرخص فى تركه (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض وجهك من الناس تكبرا ويقال لا تحقر فقراء المسلمين (ولا تمش فى الارض مرحا) أى اختيالا (ان الله لا يحب كل مختال فخور) فالمختال من يكون به خيلاء وهو الذى يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر والفخور ومن يكون مفتخرا بنفسه وهو الذى يرى عظمة لنفسه فى عينه (واقصد فى مشيك) أى توسط فى المشى بين الدبيب والاسراع (واغضض من صوتك) أى وانقص منه وهذا اشارة الى التوسط فى الاقوال (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) أى ان أقبح أصوات الحيوانات صوت الحمير أوله صوت قوى وآخره صوت ضعيف (ألم تروا) أى ألم تعلموا أيها المشركون (أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) أى ان الله جعل لاجلكم ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وما فى الارض من الشجر والدواب منقادا للامر فان الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أى وأتم عليكم نعمه محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين وبالهاء آخره والباقون بسكون العين وبتاء منونة آخره (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت هذه الآية فى النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله تعالى وفى صفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا كتاب منير) أنزله الله تعالى بل بمجرد التقليد (واذا قيل لهم) أى لمن يخاصم (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أى قالوا نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل من آبائنا وهو عبادة الاصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى قال الله تعالى أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم فيما هم عليه من الشرك (الى عذاب السعير) فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى ومن يفوض اليه تعالى مجامع أموره ويقبل عليه تعالى بكليته وهو آت بأعماله جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى فقد تمسك بحبل الانقطاع له وترقى بسببه الى أعلا المقامات (والى الله عاقبة الامور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا تحزن اذا كفر كافر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعقاب (ان الله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم (نمتعهم قليلا) أى زمانا قليلا مدة حياتهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) ثم نردهم فى الآخرة الى عذاب شديد أى فانهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الامر وقع عليهم من الخجالة ما يدخلون ولا يختارون الوقوف بين يدى ربهم بحضر الانبياء (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وهذا يصدقك فى دعوى الواحدانية ويبين كذبهم فى الاشراك (قل الحمد لله) على ظهور صدقك وكذب مكذبيك (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ليس لهم علم يمنعك من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك (لله ما فى السموات والارض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره تعالى (ان الله هو الغنى الحميد) أى لغنى عن العالمين المستحق للحمد وان لم يحمده أحد (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى ولو كانت الاشجار أقلاما والبحار السبعة

من بعد نفاد البحر المحيط مدادا فكتب به عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب فإن العجائب بقوله تعالى كن وكن كلمة وإطلاق اسم السبب على المسبب جائز كما يقول الشجاع لمن يبارزه أنا موتك وكما يقال للدواء في حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة هذا هو أن الله تعالى سمى المسيح كلمة لأنه كان أمرا عجيبا الوجود من غير أب وإذا قلنا بأن عجائب الله لا نهاية لها دخل فيها كلامه تعالى فالمخلوق هو الحرف والتركيب هو عجيب أما الكلمات فهي من صفات الله تعالى (إن الله عزيز) أي كامل القدرة فلا يعجزه شيء (حكيم) أي كامل العلم فلا يخرج عن علمه أمر (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي ما خلقكم وبعثكم إلا كخلق نفس واحدة وبعثها في سهولة الحصول إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية (إن الله سميع بصير) أي سميع لما يقولون كيف يبعثنا بصير بما يعملون (ألم تر) أي ألم تعلم يا أيها الغافل (إن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضمه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا (وسخر الشمس والقمر) أي ذللهما (كل يجري إلى أجل مسمى) أي إلى وقت معلوم في منازل معروفة لهما (وأن الله بما تعملون) في كل وقت من الخير والشر (خبير) فمن شاهد مثل ذلك الصنع لا يغفل عن كون صانعه محيطا بجلائل أعماله ودقائقه (ذلك) أي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع (بأن الله هو الحق) أي لثابت الوجود وألوهيته (وأن ما يدعون من دونه الباطل) وبسبب بيان بطلان الهيته ما يعبدونه من غيره تعالى وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ويدعون بالغيبة (وأن الله هو العلي الكبير) أي وبيان أنه تعالى هو العلي في صفاته الكبير في ذاته أكبر من كل ما يتصور فلا يكون جسما في مكان (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله) أي بالريح التي هي بأمر الله وبإحسانه تعالى في تهيئة أسباب الجري (ليريكم من آياته) أي ليريكم بإجراء السفينة بنعمته بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته (إن في ذلك) أي فيما ذكر (لآيات) عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها (لكل صبار) في الشدة (شكور) في الرخاء فالتكاليف أفعال وتروك فالتروك صبر عن المألوف والأفعال شكر على المعروف (وإذا غشيهم) أي أحاط بهم (موج كالظلل) أي كالجبال في الارتفاع (دعوا الله مخلصين له الدين) أي مفردين له تعالى بالدعوة بأن ينجيهم (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) أي مقيم على الطريق المستقيم الذي هو التوحيد ومنهم من يعود إلى الشرك وهو المراد بقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا) أي الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (إلا كل ختار) أي كثير الغدر ولا يكون الغدر إلا من قلة الصبر (كفور) أي مبالغ في كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي يا أهل مكة أطيعوا ربكم (واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) أي لا يقضي فيه والد عن ولده في دفع الآلام (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) في دفع الإهانة فمولود مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبره والجملة خبر مولود وقرئ لا يجزئ بضم الياء ورفع الهمزة أي لا يغني (إن وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) أي لا يمكن إخلافه أصلا (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فإنها زائلة لوقوع ليوم الذي لا مجازاة بين الوالد وولده بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أي بسبب حلم الله (الغرور) أي الشيطان أو الدنيا فمن الناس من تدعوه الدنيا إلى نفسها فيميل إليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان ويزين في عينه الدنيا ويقول إنك تحصل بها الآخرة أو تلتذ بها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا والآخرة أي كونوا من الذين لا يلتفتون إلى الدنيا ولا إلى من يحسن الدنيا في الأعين (إن الله عنده علم

الساعة) أى علم وقت قيام القيامة (وينزل الغيث) الى محله فى ابانه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى (ويعلم مافى الارحام) من ذكر أو أنثى تام أو ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وماتدرى نفس بأى أرض تموت) كما لاتدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك (ان الله عليم) أى مبالغ فى العلم بكل شئ (خبير) أى عالم ببواطن الاشياء كما يعلم ظواهرها

﴿سورة السجدة وتسمى سورة المضاجع مكية عند أكثرهم وهى تسع وعشرون آية وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) فتنزيل خبر عن الم أى هذه السورة المسماة الم منزل الكتاب ولاريب فيه حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل (أم يقولون افتراه) أى بل أيقول كفار مكة اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك) أى بل القرآن هو الثابت من ربك نزل به جبريل عليك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أى لكى تخوف بالقرآن قوما لم يأتهم رسول مخوف قبلك راجيا أنت لاهتدائهم (الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام) أولها أحد وآخرها جمعة (ثم استوى على العرش) أى ثم استقام الله على ملكه وتصرف فيه تصرفا تاما والعرش موجود قبل السموات والارض (مالكم) ياأهل مكة (من دونه) أى من غير الله (من ولى) أى قريب ينفعكم (ولاشفيع) ينصركم من عذاب الله فعبادتكم لهذه الاصنام ضائعة لاهم خالقوكم ولاناصروكم (أفلا تتذكرون) أى أتسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أى يدبر أمر الدنيا من السماء على عباده ويصعد اليه آثار الامر وهى أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر فان نزول الامر وعروج العمل فى مسافة ألف سنة مما تعدون عليهم أى على غير الملائكة فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فينزل فى مسيرة خمسمائة سنة ويعرج فى مسيرة خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة قال عبد الرحمن بن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء وأما ملك الموت فموكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش ومادون السموات موضع التصريف (ذلك) أى المدبر (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ماغاب عن العباد وما يكون وما علمه العباد وما كان فيدبر أمرهما (العزيز الرحيم) فهو قادر على الانتقام على الكفرة واسع الرحمة على البررة (الذى أحسن كل شئ خلقه) فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن (وبدأ خلق الانسان من طين) أى بدأ آدم عليه السلام من أديم الارض على فطرة عجيبة (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى من نطفة (من ماء مهين) أى من ماء ضعيف مخلوط من ماء الرجل والمرأة (ثم سواه) أى عدله بتكميل أعضائه فى الرحم (ونفخ فيه من روحه) أى جعل الروح

فيه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) على مقتضى الحكمة وذلك لان الانسان يسمع أولا من الناس أمورا فيفهمها ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة فيبصر الامور ويجربها ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن كامل فيستخرج الاشياء من قلبه (قليلا ما تشكرون) أي فتشكرون شكرا قليلا (وقالوا) أي أبو جهل وأصحابه (أئذا ضللنا في الارض) أي أئذا غبنا في الارض بالدفن بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا تتميز منه (أئنا لفي خلق جديد) أي أئنا نجدد خلقنا (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) أي قل يا أشرف الخلق يقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بكم بقبض أرواحكم وذلك دليل على بقاء الارواح فلا بد من الحياة بعد الموت لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا) أي ولو ترى أيها المخاطب اذ المشركون خافضوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم يقولون ربنا أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وأبصرنا الحشر (وسمعنا) قول الرسول وأن مردنا الى النار (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أي انا آمنا في الحال أي لو ترى حالهم وتشاهدها استعجالهم لترى عجبا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي قال تعالى جوابا عن قولهم ذلك اني لو أرجعتكم الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم أهدكم تبين اني ما شئت ايمانكم فلا أردكم الى الدنيا (ولكن حق القول مني) أي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المراد بقوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفارهم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي لا رجوع لكم الى الدنيا فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه (انا نسيناكم) أي انا تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم قطعا رجائكم (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم (بما كنتم تعملون) في الكفر (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي بتلك الآيات (خروا سجدا) أي انقادت أعضاؤهم للسجود (وسبحوا بحمد ربهم) أي وتحرك ألسنتهم بتنزيهه تعالى عن الشرك (وهم لا يستكبرون) عن الخرور والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي تتنحى جنوبهم عن مواضع المنام قال أنس نزلت هذه الآية فينا كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الاوابين وهو قول ابن حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (يدعون ربهم خوفا) من عدم قبول عبادته ومن سخطه تعالى وعذابه (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) أي فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما ذخر لهم (من قرة أعين) أي مما يحصل به الفرح والسرور (جزاء بما كانوا يعملون) أي للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي أفبعد ظهور التباين بين المؤمن والكافر

يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالكافر الذى ذكرت أحواله الشنيعة (لايستوون) أى المؤمنون كعلى رضى الله عنه والكافرون كالوليد بن عقبة بن أبى معيط وذلك انه كان بينهما تنازع يوم بدر فقال الوليد بن عقبة لعلى أسكت فانك صبى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال على اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) أى حالة كونها نوا بامعدا لهم كما يعد ما يحصل به الاكرام للضيف (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة فى الدنيا (وأما الذين فسقوا) أى خرجوا عن دائرة الايمان (فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى النار (أعيدوا فيها) بمقامع الحديد (وقيل لهم) أى قالت الزبانية زيادة فى غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) أى الذى كنتم فى الدنيا تكذبون بعذاب النار وقلتم انه لا يكون (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أى ولنصيبن كفار مكة من عذاب الدنيا بالقحط سبع سنين والقتل والاسر يوم بدر قبل عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أى لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولا والنقم ثانيا ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم (انا من المجرمين منتقمون) أى لما لم ينفعهم العذاب الادنى فأنا منتقم منهم بالعذاب الاكبر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فلا تكن فى مرية من لقائه) أى فلا تكن يا أشرف الخلق من لقاء الكتاب الذى هو القرآن أى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب فلا تكن فى شك من أنك لقيت نظيره (وجعلناه) أى الكتاب الذى آتيناه موسى (هدى لبنى اسرائيل) كما جعلنا كتابك هاديا للامة (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الى دين الله (بأمرنا) اياهم بذلك كما جعلنا من أمتك صحابة يهدون (لما صبروا) أى حين صبروا على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين وقرأ حمزة والكسائى بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم على ذلك (وكانوا بآياتنا) التى فى تضاعيف الكتاب (يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل) أى يقضى (بينهم) أى بين المبتدع والمتبع كما يفصل بين المؤمن والكافر أو يفصل بين المختلفين من أمة واحدة كما فصل بين المختلفين من الامم الكثيرة (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أولم يهد لهم كم أهلكنا) أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم كثرة اهلاكنا وقد جوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على الله كما يدل عليه قراءة نهد بنون العظمة فيكون كم أهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) أى يمرون فى أسفارهم الى التجارة على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم (ان فى ذلك) أى فى كثرة اهلاكنا الامم الخالية العاتية (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى التى أزيل نباتها بالمرة قال ابن عباس هى أرض اليمن والشام وقال قوم هى مصر (فنخرج به) أى بذلك الماء من تلك الارض (زرعا تأكل منه) أى من ذلك الزرع (أنعامهم وأنفسهم) قدم الانعام فى الاكل لان الزرع أول ماينبت يصلح للدواب ولان الزرع غذاء الدواب وهو لابد منه (أفلا يبصرون) أى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وعلى فضله (ويقولون) أى المشركون للمؤمنين بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر (ان كنتم صادقين) وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين وان الله ينصرنا عليكم (قل) يا أشرف

الخلق

الحلق لبنى خزيعة وبنى كنانة (يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم) اذا جاءهم العذاب وقتلوا الان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار (ولاهم ينظرون) أى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هربت قوم من بنى كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فأعرض عنهم) أى عن بنى خزيعة ولاتبال بتكذيبهم (وانتظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم منتظرون) هلاكك ويقال وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من آلهتهم ويقال وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء

﴿سورة الاحزاب مدنية بالاجماع وهى ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له نزلت هذه الآية فى أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله كان عليما حكيما) أى مبالغا فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عن ما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة (واتبع) فى كل ما تأتى وما تذر من أمور الدين (ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تهتم بشأنهم فان الله تعالى كافيكه وقرأ أبو عمرو بما يعملون بالغيبة فالواو ضمير يعود على الكفرة والمنافقين (وتوكل على الله) أى فوض جميع أمورك اليه (وكفى بالله وكيلا) أى حافظا موكولا اليه كل الامور (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) نزلت هذه الآية فى أبى معمر جميل بن أسد الفهرى كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا من أجل ان له قلبين وكان هو يقول لى قلبان أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والاخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انهما فى رجلى فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم) أى كأمهاتكم فى الحرام نزلت هذه الآية فى أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت وامرأته خولة (وما جعل أدعياءكم) الذين تبنيتم (أبناءكم) أى كأبنائكم من النسب وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وفتح الظاء مع المد وكسر الهاء وحمزة والكسائى بفتح التاء والظاء مع المد والتخفيف وفتح الهاء وابن عامر كذلك الا انه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء المشددتين ولا ألف بعد الظاء روى الائمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وكان زيد فيما روى عن أنس بن مالك وغيره

مسبيا من الشام بستة خيل من تهامة فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم فرضي بذلك عمه وأبوه وانصرفا (ذلكم) أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني (قولكم بأفواهكم) فقط فهو قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم (والله يقول الحق) فان العاقل ينبغي أن يكون قوله اما عن عقل أو عن شرع فاذا قال فلان بن فلان ينبغي ان يكون عن حقيقة أو عن شرع بأن يكون ابنه شرعا وان لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة أشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل ان يكون الولد له فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه وفي الدعي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لان أباه ظاهر مشهور ومن قال ان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن حسنا لانها زوجة الابن يكون قد ترك قول الله الحق هي حلال لك وقد أخذ بقول خرج من الفم (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم اليهم (هو أقسط عند الله) أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل في حكم الله تعالى (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي بنو اعمكم أي فان لم تعرفوا أبا شخص تنسبونه اليه وأردتم خطابه فقولوا له يا أخي ويا ابن عمي ويقال فادعوهم باسم اخوانكم في الدين كأن تقولوا عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الرزاق (وليس عليكم جناح) أي اثم (فيما أخطأتم به) بالسهو او سبق اللسان فقول القائل لغيره يا ابني بطريق الشفقة أو يا أبي بطريق التعظيم فانه مثل الخطأ ألا ترى ان اللغو في اليمين مثل الخطأ أو سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) فيه جناح (وكان الله غفورا رحيما) يغفر الذنوب ويرحم المذنب فالمغفرة هو ان يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته والرحمة هو ان يميل الى شخص بالاحسان لعجز المرحوم اليه لا لعوض (النبي أولى) أي أشفق (بالمؤمنين من أنفسهم) في كل أمر من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم والمعنى ان طاعتهم للنبي أولى من طاعتهم لانفسهم (وأزواجه أمهاتهم) أي منزلات منزلة الامهات في استحقاق التعظيم وفي تحريم نكاحهن تحريما مؤبدا لا في غير ذلك سواء دخل صلى الله عليه وسلم بها أو لا وسواء مات عنهن أو طلقهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أي ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض في التوارث بحق القرابة من الارث بحق الايمان وبحق الهجرة في القرآن وهو آية المواريث والوصية (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أي الى أصدقائكم وصية من الثلث أي ان أوصيتم فغير الوارثين أولى وان لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وبما تركتم (كان ذلك) أي الميراث للقرابة والوصية للاجانب بالموادة (في الكتاب) أي القرآن (مسطورا) أي مكتوبا (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا مؤكدا وهو الاخبار بأنهم مسؤلون عما فعلوا في الارسال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أي ليسأل الرسل عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبكيتا لمن أرسلوا اليهم

وليسأل

وليسأل الوافين عن وفائهم والمؤمنين عن ايمانهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) أى فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين بالرسل عذابا أليما (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) أى أحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) وهى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفا ولم يقاتلوا يومئذ وانما ألقوا الرعب فى قلوب الاحزاب (وكان الله بما تعملون) من التجائكم اليه ورجائكم فضله (بصيرا) فنصركم على الاعداء عند الاستعداد وقرئ بما يعملون بالياء أى الاحزاب (اذ جاؤكم) أى الاحزاب (من فوقكم) أى من أعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان وأسد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن ومعهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أى من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش وبنو كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ زاغت الابصار) أى واذكروا حين مالت أبصار المنافقين عن موضعها عن طريقها فلم تلتفت الى العدو لكثرته (وبلغت القلوب الحناجر) أى بلغت قلوب المنافقين بأن انتفخت عند منتهى الحلقوم من الخوف (وتظنون بالله الظنونا) أى ظن المخلصون ان الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل (هنالك) أى فى ذلك الزمن الهائل والمكان الدحض (ابتلى المؤمنون) أى امتحنهم الله فتميز الصادق عن المنافق (وزلزلوا زلزالا شديدا) أى حركوا تحريكا شديدا من الهول والفزع وكانت غزوة الاحزاب فى شوال سنة أربع وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم سيدهم حيى بن أخطب الى ان قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان وقيس وغيلان فطلبوهم لحرب محمد فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة حتى نزلوا الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه صلى الله عليه وسلم وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الاطام فلما رأت قريش الخندق قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف فبعث الله عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الارض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح بهم قام فقال يا معشر قريش ليستعرف كل منكم جليسه واحذروا الجواسيس ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله وشرع القوم يقولون الرحيل الرحيل والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة ولم تجاوز عسكرهم ورحلوا وتركوا ما اشتغلوا من متاعهم وحين انجلى الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزوننا (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم

مرض) أي ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) من اعلاء الدين (الاغرورا) أي الاوعد غرور أي قال معتب بن قشير وأصحابه يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر والحال اننا لا نقدر ان نخرج للغائط خوفا وما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيظي من رؤساء المنافقين واتباعه وقال السدي هم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة (لامقام لكم) أي لا وجه لاقامتكم مع محمد (فارجعوا) عن محمد واتفقوا مع الاحزاب تخرجوا من الاحزان (ويستأذن فريق منهم النبي) أي يستأذن النبي في الرجوع الى المدينة فريق من المنافقين أوس بن قيظي وأبو عرابة بن أوس من بني حارثة (يقولون) للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لنا يا نبي الله بالرجوع الى المدينة (ان بيوتنا عورة) أي غير حصينة نخاف عليها سرق السراق (وماهي بعورة) أي والحال ان البيوت ليس فيها خلل (ان يريدون الافرارا) أي ما يريدون بالاستئذان الافرارا من القتل (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا) أي ولو دخل الاحزاب بيوتهم من جميع جوانبها ثم سألهم الداخلون أو غيرهم الرجعة الى الكفر لجاؤها وقرأ نافع وابن كثير لاتوها بقصر الهمزة أي لفعلوها والباقون بالمد أي لاعطوها اجابة لسؤال من سألهم وما أخروا الردة الا قدر ما يسع السؤال والجواب أي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة نفوسهم به (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أي منهزمين من المشركين فان بني حارثة هموا يوم أحد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا لمثل ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أي وكان ناقض عهد الله مسؤلا يوم القيامة عن نقضه (قل) يا أشرف الخلق لبني حارثة (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) لانه لا بد لكل انسان من الموت في وقت معين سبق به قضاء الله تعالى وجرى عليه القلم (واذا لاتمتعون الا قليلا) أي ولو فررتم من الموت في يومكم مثلا لما متم ولما متعتم بعد الفرار الا تمتيعا قليلا (قل) يا أكرم الرسل لبني حارثة (من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أي من يمنعكم من مراد الله ان أراد بكم عذابا بالقتل أو أراد بكم نجاة من القتل (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ليس لكم ولي يشفع لمحبته اياكم ولا نصير يدفع عنكم السوء اذا أتاكم (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي قد علم الله المانعين من الرجوع الى الخندق والقائلين لاصحابهم المنافقين قربوا أنفسهم الينا أي وهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير (ولا يأتون البأس الا قليلا) أي وهم لا يأتون القتال الا زمانا قليلا رياء وسمعة (أشحة عليكم) أي بخلاء عليكم بأبدانهم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي فاذا جاء خوف العدو رأيت المنافقين في الخندق يا أشرف الخلق ينظرون اليك تدور أعينهم في أحداقهم نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم بألسنة حداد) أي غلبوكم بألسنة ذربة وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم الأوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالاياب (أشحة على الخير) أي حرصا على المال ويقال انهم قليلو الخير في الحالتين كثير والشر في الوقتين (أولئك) الموصوفون بما ذكر (لم يؤمنوا) بقلوبهم وان أظهروا الايمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر الله بطلان أعمالهم التي كانوا يأتون بها مع المسلمين (وكان ذلك) أي الاحباط (على الله يسيرا)

أى هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أى هؤلاء المنافقون لجبنهم يظنون قريشا وغطفان واليهود لم ينهزموا عند ذهابهم ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلا) أى وان يأت الكفار بعد ما ذهبوا كرة ثانية تمنى هؤلاء المنافقون ان لو كانوا ساكنين خارج المدينة بين الاعراب بعداء عن تلك الكفار يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى عليكم مع الكفار والحال ان هؤلاء المنافقين لو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال آخر ماقاتلوا معكم الاقليلا رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى خصلة حسنة حقها أن يقتدى بها على سبيل الايجاب فى أمور الدين وعلى سبيل الاستحباب فى أمور الدنيا (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى يرجو ثواب الله واليوم الآخر خصوصا (وذكر الله كثيرا) باللسان والقلب (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) أى الكفار الكثيرة الاجناس (قالوا هذا) أى المرئى (ماوعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وبقوله صلى الله عليه وسلم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر (وصدق الله ورسوله) فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) أى ومازادهم الوعد الا ايمانا بوقوعه وتسليما عند وجوده ويقال ومازادهم مارأوه الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره وقرأ ابن أبى عبلة ومازادوهم بضمير الجمع ويعود للاحزاب لان النبى صلى الله عليه وسلم أخبرهم ان الاحزاب تأتيهم بعد تسع أو عشر (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) أى أتوا بالصدق فى عهدهم من الثبات مع الرسول أى من الصحابة رجال نذروا انهم اذا القواحربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أى نذره كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم وأخرج الترمذى عن معاوية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طلحة ممن قضى نحبه وقد روى ان طلحة ثبت مع رسول الله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم فى رواية عائشة من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة (ومنهم من ينتظر) قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك فانهم مستمرون على نذورهم (وما بدلوا تبديلا) أى وماغيروا العهد تغييرا بالنقض (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى بصدق ماوعدهم بالقول والفعل فى الدنيا والآخرة (ويعذب المنافقين) الذين كذبوا واخلفوا بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية (ان شاء) تعذيبهم فيمنعهم من الايمان فماتوا على النفاق (أو يتوب عليهم) ان تابوا قبل الموت ان أراد ذلك (ان الله كان غفورا) لمن تاب حيث ستر ذنوبهم (رحيما) حيث رزقهم الايمان (ورد الله) أى صرف الله (الذين كفروا) وهم الاحزاب (بغيظهم) أى ملتبسين به (لم ينالوا خيرا) أى غير ظافرين بخير من دين ودنيا (وكفى الله المؤمنين القتال) أى رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على نصر المؤمنين فلم يحوجهم الى قتال الكفار (عزيزا) أى قادرا على اهلاك الكافرين واذلالهم روى البخارى عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم

(وأنزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا كفار مكة (من أهل الكتاب) وهو بنو قريظة والنضير كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وأصحابهما (من صياصيهم) أى حصونهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي (فريقا تقتلون) وهم الرجال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذرارى وكانوا سبعمائة (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم) أى منازلهم (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها (وأرضا لم تطؤها) أى لم تقبضوها الآن وهي خيبر فانها فتحت بعد بني قريظة بسنتين كما قاله السدى ومقاتل أوهي أرض الروم وفارس كما قاله الحسن (وكان الله على كل شيء قديرا) و على كم غيرها روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح وهو على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال صلى الله عليه وسلم ماهذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يارسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح منذ أربعين ليلة ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة فانهض اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال والقيت الرعب فى قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فأتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الاحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وانى فى حجرتى (ياأيها النبي قل لازواجك) قال عكرمة كان تحته صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية ثم صفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث من بنى المصطلق روى انهن سألنه صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت هذه الآية (ان كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التنعم فيها (وزينتها) أى زخارفها (فتعالين) أى أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين (أمتعكن) أى اعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) أى أخرجكن من البيوت من غير ضرار بعد اعطاء المتعة (وان كنتن تردن الله ورسوله) أى أى تردن طاعة الله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) أى الجنة (فان الله أعد للمحسنات منكن) أى لمن عمل الصالحات منكن (أجرا عظيما) وهي الكبير فى الذات الحسن فى الصفات الباقى فى الاوقات وروى عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابى بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لاقولن

شيأ أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها
فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة
يجاء عنقها وقام عمر الى حفصة يجاء عنقها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس
عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله أبدا شيأ ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية فبدأ بعائشة
فقال يا عائشة اني أريد ان أعرض عليك أمرا لا أحب ان تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو
يارسول الله فتلا عليها الآية فقالت أفيك يارسول الله استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة
ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) أى بكبيرة (مبينة)
أى ظاهرة القبح وقرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية أى بين الله قبحها (يضاعف لها العذاب ضعفين)
أى يعذبن ضعفي عذاب غيرهن وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين على البناء للمفعول وقرأ ابن كثير وابن
عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك) أى التضعيف
(على الله يسيرا) لا يمنعه تعالى عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وليس أمر الله
كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاعزة بسبب كثرة شفعائهم (ومن يقنت منكن لله ورسوله)
أى من يطع الله ورسوله منكن (وتعمل صالحا) أى خالصا فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أى
نعطها ثوابها مثلي ثواب غيرهن من النساء مرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله بالقناعة وحسن
المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها (وأعتدنا لها) أى هيأنا لها (رزقا
كريما) أى مرضيا في الجنة زيادة على أجرها المضاعف (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن)
أى اتصفتن بالتقوى لان فيكن أمرا لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات
خير المرسلين كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الرجال (فلا تخضعن بالقول) أى فلا
ترققن بالقول عند الرجال (فيطمع) في الخيانة (الذي في قلبه مرض) أى شهوة الزنا (وقلن قولا
معروفا) أى قولا حسنا مع كونه خشنا (وقرن في بيوتكن) أى امكثن في بيوتكن وليكن عليكن
حسن الهيئة وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف فهو أمر من قر يقر من باب علم أو من قار يقار اذا اجتمع وقرأ
غيرهما بكسر القاف من وقر يقر وقارا (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أى ولا تتزين بزينة الكفار في
الثياب الرقاق الملونة والمراد بالجاهلية الاولى هي التي قبل الاسلام (وأقمن الصلاة) أى أتممن الصلوات
الخمس (وآتين الزكاة) أى أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله ورسوله) في كل ما تأتين وما تذرن
(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن كما قاله ابن عباس
أو الذنب المدنس بعرضكم (أهل البيت) أى يا أهل بيت النبوة وأخرج الترمذي حديثا أنه لما نزلت
هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا وعليا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأخر -
ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسـ
(ويطهركم تطهيرا) أى يلبسكم خلع الكرامة فذهاب الرجس كناية عن زوال عين النـ ت
كناية عن تطهير المحل (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكـ سلم خاصة
جاسة والتطهير
بطريق العظة ما يتلى في بيوتكن من القرآن وكلمات النبي صلى الله مة) أى اذكرن للناس
خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين (ان المسلمين والمسلـ ـه عليه وسلم (ان الله كان لطيفا
الذكور والاناث (والمؤمنين والمؤمنات) أى ا ـات) أى ان المنقادين لحكم الله تعالى من
ـ المصدقين بما يجب تصديقه من الفريقين (والقانتين

والقانتات) أي المداومين على الطاعات (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) أي المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من تلك الحسنات المذكورة (مغفرة) للصغائر (وأجرا عظيما) على الطاعات نزلت هذه الآية في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب الاحبار يارسول الله ما نرى الله يذكر النساء في شيء من الخير انما يذكر الرجال ثم نزلت في زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود وقالت أنا بنت عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسي وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأخيها وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بعد ما طلق زينب بنت جحش فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله فزوجنا عبده (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي وما صح لكل مؤمن وكل مؤمنة اذا أراد رسول الله أمرا أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختياره صلى الله عليه وسلم (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الامور كان يعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلالا مبينا) أي بين الانحراف عن سنن الصواب فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب وأخوها وجعلا الامر بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا وساق اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) أي واذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب أي لا تطلقها وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أبصرها قائمة في درع وخمار بعد ما أنكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم على لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك أي لا تفارقها (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها تعللا بتكبرها عليك بسبب النسب وعدم الكفاءة (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي والحال أنك تخفي في نفسك ما أعلمك الله أنها ستصير من أزواجك بعد طلاق زيد (وتخشى الناس) وتستحيي من تعيير الناس اياك بأن يقولوا أخذ محمد زوجة ابنه (والله أحق أن تخشاه) أي والحال أن الله وحده أحق أن تستحيي منه (فلما قضى زيد منها وطرا) أي فلما وطئها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) أي جعلنا زينب زوجتك بلا واسطة عقد فدخل صلى الله عليه وسلم عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقنا وأولم عليها بشاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه وعن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على أحد من نسائه كما أولم على زينب (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) أي لكيلا يكون على المؤمنين ضيق في تزوج نساء من تبنوهم اذا قضوا منهن حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة فان لهم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي

تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبنى ولو بعد الدخول بها وفى هذا التعليل اشارة الى أن التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لقضاء شهوته بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أى وكان مراد الله موجودا فى الخارج لامحالة (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى ليس على النبي مأثم فيما رخص الله له من التزوج (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سن الله ذلك سنة فى الذين مضوا من قبل محمد فان داود عليه السلام افتتن بامرأة أوريا وسليمان عليه السلام تزوج بلقيس ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاث مائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاث مائة امرأة وسبعمائة سرية فان اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء فرد الله عليهم بقوله سنة الله أى كسنة الله فى الانبياء الذين من قبل محمد (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى وكان قضاء الله حكما مبتوتا والقضاء ما كان مقصودا فى الاصل والقدر ما يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة فنزل بطريق تلك المدينة فى قرية يصح منه فى العرف أن يقول فى جواب من يقول لم جئت الى هذه القرية انى ما جئت الى هذه القرية وانما قصدت المدينة الفلانية وهذه وقعت فى طريقى وان كان قد جاءها ودخلها اذا عرفت هذا فان الخير كله بقضاء وما فى العالم من الضرر بقدر ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) فى تبليغ الرسالة (ولا يخشون أحدا الا الله) أى الذين هم كانوا ارسلا مثل محمد (وكفى بالله حسيبا) أى كافيا للمخاوف فينبغى أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها فليس محمد أبا زيد (ولكن رسول الله) أى ولكن كان محمد رسول الله والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول على اضمار كان وقرأ أبو عمرو فى رواية بتشديدها على أن رسول اسمها والخبر محذوف أى ولكن رسول الله هو وقرأ زيد بن على وابن أبى عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر أى هو أو بالعكس أى ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) أى وكان آخرهم الذين ختموا به وقرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها أى فان رسول الله كالاب للامة فى الشفقة من جانبه وفى التعظيم من طرفهم بل أقوى فان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والاب ليس كذلك ثم ان النبي الذى يكون بعده نبى ان ترك شيأ من النصيحة يستدركه من يأتى بعده وأما من لا نبى بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم اذ هو كالوالد لولده الذى ليس له غيره من أحد (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملته الحكم الذى بينه لكم وكنتم منه فى شك والحكمة فى تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه اكمال شرعه وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يبقى فى بعض النفوس نفرة ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقى فى النفوس شئ ولما أكل لحم الجمل طاب أكله عندها مع أنه فى بعض الملل لا يؤكل وكذلك الارنب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد باللسان والقلب (ذكرا كثيرا) يعم الاوقات والاحوال أى بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية عند المعصية والطاعة (وسبحوه) أى نزهوه عما لا يليق به (بكرة وأصيلا) وهذا اشارة الى المداومة وذلك لان مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) أى فالله تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم فالله يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أى يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان

بالمؤمنين رحيما) أى وكان الله بكافة المؤمنين رحيما (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أى ما يحيون به يوم لقاء الله عند الموت أو عند الخروج من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله تعالى تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم (وأعد لهم أجرا كريما) أى ثوابا حسنا فى الجنة وهذا ترغيب ببيان أن الاجر الذى هو المقصد الاقصى موجود بالفعل مهيأ لهم (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم تشاهد أعمالهم فالنبى بعث فى الدنيا متحملا للشهادة ويكون فى الآخرة مؤديا لما تحمله (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله) أى الى دينه (باذنه) وهذا راجع الى داعيا وذلك كما اذا قال شخص من يطع الملك يسعد ومن يعصه يشقى فيكون مبشرا ونذيرا ولا يحتاج فى ذلك الى اذن من الملك وأما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على خوانه فيحتاج فى ذلك الى اذنه (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهل ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم المؤمنين فى زيادة على أجور أعمالهم قوله وبشر عطف على مفهوم والتقدير انا أرسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر وقيل لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال المؤمنون هنيأ لك يا رسول الله بالمغفرة فما لنا عند الله فقال الله تعالى وبشر المؤمنين الآية (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى ولا تطع الكافرين من أهل مكة أبا سفيان وأصحابه والمنافقين من أهل المدينة عبد الله بن أبى وأصحابه أى لا تترك ابلاغ شىء مما أمرت (ودع أذاهم) أى دع أذيتهم اياك الى الله فانه يعذبكم بأيديكم وبالنار أو لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار (وتوكل على الله) فى كل ما تأتى وما تذر فانه تعالى يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) أى موكولا اليه الامور فى كل الاحوال (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أو الكتابيات (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم أى من قبل أن تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) بالشهور أو الحيض (تعتدونها) أى تستوفون أنتم عددها (فمتعوهن) أى اعطوهن ما يتمتعن به وهو المتعة الواجبة للمفارقة فى الحياة اذا كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها وكانت مفوضة ولم يفرض لها شىء قبل الفراق (وسرحوهن سراحا جميلا) أى اخرجوهن من منازلكم من غير ضرار ولا منع حق (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) أى أعطيت مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أى مما فتح الله عليك مثل صفية بنت حيى النضرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية (وبنات عمك وبنات عماتك) من بنى عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بنى عبد مناف بن زهرة (اللاتى هاجرن معك) ذكر للنبى ما هو الاولى فان الزوجة التى أوتيت مهرها أطيب قلبا من التى لم توت والمملوكة التى سباها الرجل بنفسه أطهر من التى اشتراها الرجل فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها ومن هاجرت من أقارب النبى صلى الله عليه وسلم معه من مكة الى المدينة أشرف ممن لم تهاجر (وامرأة مؤمنة) وهى أم شريك بنت جابر العامرية وخولة بنت حكيم وزينب بنت خزيمة الانصارية وميمونة بنت الحرث (ان وهبت نفسها للنبى) أى ان ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر فتصير كالمستوفية مهرها (ان أراد النبى أن يستنكحها) أى ان يتملك بضعها بلا مهر فارادة النكاح جارية منه صلى الله عليه وسلم مجرى القبول (خالصة لك) أى حال كون المرأة خصوصية لك أو هبة مرخصة لك فخالصة اما حال أو نعت مصدر مقدر (من دون المؤمنين) قال الشافعى والمعنى ان اباحة الوطء بالهبة وحصول

التزوج بلفظها من خواصك وقرئ خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى تلك المرأة أو تلك الهبة رخصة لك وخصوصية لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل المرأة لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم) أى ما أوجبنا على المؤمنين فى حق أزواجهم بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا الا بولى وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) بأن تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية وان تستبرأ قبل الوطء (لكيلا يكون عليك حرج) أى ضيق فاللام متعلق بأحللنا والمعنى أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لتكون فى فسحة من الامر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل جبريل بالآيات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك (وكان الله غفورا رحيما) فيغفر الذنوب عما يعسر التحرز عنه ويرحم العبيد بتوسعة الامر فى مواضع الضيق (ترجى من تشاء منهن) أى تترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) أى وتضم اليك من تشاء مضاجعتها فالله أحل له صلى الله عليه وسلم وجوه المعاشرة بهن كيف يشاء ولا يجب عليه القسم فان شاء أن يقسم قسم وان شاء أن يترك القسم ترك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته نسبة السيد المطاع وروى أنه صلى الله عليه وسلم أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء فكانت مما آوى اليه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فأرجى خمسا وآوى أربعا وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى ترجى بياء ساكنة والباقون بهمزة مضمومة (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أى اذا طلبت ردمن كنت تركتها الى فراشك فلا جناح عليك فى شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء أى تفويض الامر الى مشيئتك أقرب الى طيب نفوسهن والى قلة حزنهن والى رضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن (والله يعلم ما فى قلوبكم) من الرضا والسخط فاجتهدوا فى احسان الخواطر (وكان الله عليما حليما) أى ان أضمرن خلاف ما أظهرن فانه يعلم ضمائر القلوب فان لم يعاتبهن فى الحال فلا يغترن فانه حليم لا يعجل (لا يحل لك النساء من بعد) أى من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يؤتيهن الرسول من الوصل والهجران والنقص والحرمان وقرأ أبو عمرو لا تحل بالفوقية أى لا يحل لك النساء غير اللاتى ذكرنا لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك وأما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) وهذا نهى من شغل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل أحدهم عن زوجته ويأخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته روى الدارقطنى عن أبى هريرة قال كان البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن (الا ما ملكت يمينك) فتحل لك وقد ملك مارية القبطية وولدت له ابراهيم ومات فى حياته صلى الله عليه وسلم (وكان الله على كل شئ رقيبا) أى حافظا شاهدا فاحذروا مجاوزة حدوده (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم) أى لا تدخلوا بيوت النبى فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم بالدخول (الى طعام غير ناظرين اناه) أى منتظرين نضجه نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يدخلون فى بيوت النبى صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون وينتظرون وقت الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فاغتم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم

واستحياء أن يأمرهم بالخروج وينهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآيات (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (فانتشروا) أى فتفرقوا ولا تلبثوا (ولا مستأنسين لحديث) أى وغير مستأنسين لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له (ان ذلكم) أى الدخول والمكث لحديث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله (فيستحيى منكم) أى من اخراجكم (والله لا يستحيى من الحق) أى لا يترك الامر بخروجكم ولا يترك النهى عن الدخول بغير اذن (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أى واذا سألتم نساء النبي شيأ ينتفع به فاسألوهن من خلف ستر * قيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم) أى ان عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث بعد الدخول بالاذن وسؤال المتاع من وراء حجاب أطهر للخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء (وقلوبهن) أى وأطهر للخواطر التى تعرض للنساء فى أمر الرجال أى فان ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى فى الحماية (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى وما صح لكم ان تفعلوا فى حياته صلى الله عليه وسلم فلا يكرهه ويتأذى به كالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه وما صح لكم ان تنكحوا أزواجه صلى الله عليه وسلم أبدا من بعد فراقه صلى الله عليه وسلم بموت أو طلاق سواء أدخل بها أم لا ونزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة قال فى نفسه اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكحت عائشة وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقيقا فكفر الله عنه قيل هذا الرجل هو طلحة بن عبيد الله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ان ايذاء الرسول بنكاح زوجته أو غيره كان عند الله ذنبا عظيما (ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما) أى ان تظهروا شيأ مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم أو تعزموا على ايذائه صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه بعده فى قلوبكم فالله يجازيكم على ذلك (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أى لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فى عدم الاحتجاب عن محارمهن وهذا استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت هذه الآية (ولا نسائهن) أى ولا جناح على زوجات النبي فى عدم الاحتجاب عن النساء المسلمات ويجب عليهن الاحتجاب عن النساء الكافرات ما عدا ما يبدو عند المهنة (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقيل من كان دون البلوغ من العبيد (واتقين الله) فى كل ما تأتين وما تذرن وقال الرازى واتقين الله عند المماليك وذلك دليل على ان التكشف لهم مشروط بالسلامة والعلم بعدم المحذور (ان الله كان على كل شئ شهيدا) فهو شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم فاتقوا شهادة الله (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أى ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عباس وكذا أبو عمرو فى رواية وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين ومبتدأ محذوف الخبر عند البصريين (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وهذا دليل على وجوب الصلاة والسلام عند الشافعى لان الامر للوجوب ولا يجبان الا فى الصلاة فيجبان فى التشهد وهما قولنا فيه سلام عليك أيها النبي وقولنا اللهم صل على محمد وانما أمرنا الله بالصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم مع أنه يكفيه صلى الله عليه وسلم صلاته تعالى عليه لاظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم مناشفقة علينا ليثيبنا عليه كما ان الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه تعالى ولا حاجة له اليه (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيأ منها (وأعدلهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم فى الآخرة خاصة واذاية الله تكون بالكفر كانكار جوده تعالى ووصفه تعالى بما لا يليق به كقول اليهود يد الله مغلولة وان الله فقير وعزير بن الله وقول النصارى ثالث ثلاثة والمسيح ابن الله وقول المشركين الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه واذاية الرسول كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وطعنهم فى نكاح صفية وقولهم له صلى الله عليه وسلم هو شاعر ساحر كاهن مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بقول أو فعل (بغير ما اكتسبوا) أى بغير جناية يستحقون بها الاذية (فقد احتملوا بهتانا) أى زورا (واثما مبينا) أى ذنبا ظاهرا موجبا للعقاب فى الآخرة قيل ان هذه الآية نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل نزلت فى أهل الافك فى شأن عائشة وصفوان وقيل فى زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما يقع منهم التعرض للحرائر أيضا لان زى الكل كان واحدا لانهن يخرجن فى درع وخمار فشكون ذلك الى أزواجهن فذكر واذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ثم نهى الله تعالى الحرائر ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن) أى يرخين على نحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) أى ثيابهن التى يلتحفن بها (ذلك) أى تغطى الابدان (أدنى أن يعرفن) أى أحق بأن يعرفن أنهن حرائر وأنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن لان من تستر وجهها لا يطمع فيها أن تكشف عورتها (فلا يؤذين) بالتعرض لهن من جهة من يتعرض للاماء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بعباده حيث يراعى مصالحهم (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبى وأصحابه عن المكر والخيانة (والذين فى قلوبهم مرض) أى شهوة الزنا الذى يؤذى المؤمن باتباع نسائه (والمرجفون فى المدينة) بقولهم غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ (لنغرينك بهم) أى لنأمرنك باخراجهم من المدينة أو بقتالهم (ثم لا يجاورونك فيها) أى لا يساكنون معك فى المدينة وتخلو المدينة منهم بالاخراج أو بالموت (الا قليلا) أى الا زمانا يسيرا (ملعونين) أى مطرودين من باب الله ومن بابك وهو نصب على الشتم ويجوز عند الكسائى والفراء منصوبا بأخذوا الذى هو جواب الشرط على والوقف ملعونين وقف كاف أى على غير هذا الاعراب (أينما ثقفوا) أى فى أى مكان وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) وهذه الآية خبر بمعنى الامر أى خذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سن الله ذلك فى الامم الذين من قبلهم سنة وهى أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا فى توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما وجدوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى هذه السنة ليست مثل الحكم الذى ينسخ فان النسخ يكون فى الاحكام أما الافعال والاخبار فلا تنسخ (يسألك الناس) أى كفار مكة واليهود (عن الساعة) أى عن وقت قيام القيامة فان المشركين يسألونه صلى الله عليه وسلم عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود سألوا عنه امتحانا (قل انما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به

شيءأصلا (لعل الساعة تكون قريبا) وهذا تخويف أي هي في علم الله فلا تستبطؤها فربما تقع عن زمان قريب (ان الله لعن الكافرين) في الدنيا والآخرين (وأعدلهم سعيرا) أي نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) أي حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) يخلصهم منه (يوم تقلب وجوههم في النار) وهو ظرف للا يجدون (يقولون) حال من ضمير وجوههم (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) عطف على يقولون (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) أي فصرفونا عن الدين وقرأ ابن عامر ساداتنا بألف بعد الدال وبالنصب بالكسرة الظاهرة أي ان الكافرين يقولون يوم تصرف أبدانهم في النار من جهة الى جهة كلحم يشوى في النار أو يطبخ في القدور في الدنيا فلا تبتلي بهذا العذاب فيتحسرون ويندمون حيث لا تنفعهم الندامة والحسرة ثم يقولون أطعنا السادة بدل طاعة الله تعالى وأطعنا الكبراء بدل طاعة الرسول وتركنا طاعة سادة السادات وأكبر الاكابر فبدلنا الخير بالشر ففاتنا خير الجنات وأعطينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون (ربنا آتهم) أي أعط الرؤساء (ضعفين من العذاب) أي مثلي العذاب الذي أعطيتناه (والعنهم لعنا كبيرا) أي شديدا وقرأ عاصم بالباء الموحدة أي لعنا عظيما والباقون بالثاء المثلثة أي كثير العدد (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا) في ايذاء نبيكم (كالذين آذوا موسى) بأنواع الاذية كنسبته الى عيب في بدنه من ادرة أو برص وكاغراء مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بدفع مال عظيم اليها وكغير ذلك (فبرأه الله مما قالوا) أي أظهر الله براءته عليه السلام من قولهم روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنوا اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى يجري عقبه ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنوا اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فوقف الحجر فأخذ موسى ثوبه فاستتر به وضرب الحجر حتى ظهر فيه ستة جروح اه (وكان) موسى (عند الله وجيها) أي معظما رفيع القدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله تعالى لا يسأله شيأ الا أعطاه وقال الحسن كان مجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أي صوابا والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب المائل عن العدل (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس أي يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أي باستقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر والنواهي (فقد فاز) في الدارين (فوزا عظيما) أي نال جميع مراداته (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) والمراد بالامانة الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من حملها أن لا يؤدينها فيلحقن من العقاب أي فقال لهن أتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وتعظيما لدين الله تعالى لا لمخالفة لامره وكان العرض عليهن تخيير الا الزاما (وحملها الانسان) أي آدم قال الله تعالى لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى أما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا

فاذا

فاذا اخشيت فأغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليه (انه) أى الانسان (كان ظلوما) أى متبعا النفسه بحملها وهذا الظلم ممدوح من الانبياء (جهولا) بعاقبته وان النفس لا تطيق الدوام على حملها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) فاللام للعاقبة متعلق بحمل أى حملها الانسان وكان عاقبة حمله لها أن يعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها (و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى كان عاقبة حمله لها أن يقبل توبتهم (وكان الله غفورا) للظلوم (رحيما) على الجهول لان الله تعالى وعد عباده بأنه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذى هو الشرك

﴿سورة سبأ مكية أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثمانون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر كلمة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما (وله الحمد فى الآخرة) أى له المنة على أهل الجنة يحمدونه (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو الفاعل على وفق العلم فان من يعلم أمرا ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ومن يأتى بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم والخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها فهو حكيم فى الابتداء يخلق كما ينبغى وخبير بالانتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق وما لا يصدر ومصير كل أحد (يعلم ما يلج فى الارض) من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها (وما يعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) أى الرحيم بانزال الرزق وللحامدين عليه والغفور عند ما تعرج اليه الارواح والاعمال وللمفرطين فى الحمد (وقال الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) أى الساعة (عالم الغيب) قرأ نافع وابن عامر بالرفع على المدح فالوقف على لتأتينكم حينئذ كاف وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بالجر نعت لربى أو بدل منه وقرأ حمزة والكسائى علام بالجر والوقف حينئذ على بلى وهو كاف كالوقف على الغيب (لا يعزب عنه مثقال ذرة) أى لا يغيب عن الله وزن نملة حمراء صغيرة وقرأ الكسائى بكسر الزاى (فى السموات ولا فى الارض) فقوله فى السموات اشارة الى علمه تعالى بالارواح لانها فى السماء وقوله ولا فى الارض اشارة الى علمه تعالى بالاجساد لان اجزاءها فى الارض واذا علم الله الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد فى المعاد (ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة (ولا أكبر) منه (الا فى كتاب مبين) أى الا مكتوب فى اللوح المحفوظ وجملة ولا أصغر الى آخرها من مبتدأ وخبر مؤكدة لنفى العزوب أما على قراءة الفتح فى أصغر وأكبر فهو اسم لا والخبر الا فى كتاب (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهذا علة لقوله تعالى لتأتينكم (أولئك) الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم مغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) فان الرزق يأتى من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ما لم يتسبب فيه لا يأتى ثم ان المغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور له كما فى حديث البخارى يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم جزاء العمل الصالح (والذين سعوا فى آياتنا) بالابطال أى كذبوها (معاجزين) أى متأخرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم و بغير ألف بعد العين أى مريدين التعجيز أو ظانين انهم يفوتون الله أو

مثبطين عن الايمان من اراده (أولئك لهم عذاب من رجز) أى من جنس سوء العذاب (أليم) أى شديد وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع صفة لعذاب والباقون بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولوا العلم من أصحاب رسول الله ومن علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما (الذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد (وقال الذين كفروا) أبو سفيان وأصحابه للسفلة (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) أى انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث تصير ترابا ويقصدون بذلك الرجل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم (أفترى على الله كذبا) أى اهو الرجل تعمد على الله كذبا ان كان يعتقد خلاف أخباره بأنهم يبعثون (أم به جنة) أى أم فيه جنون ان كان لا يعتقد خلافه وهذا اما من تمام القائل أولا أو من كلام السامع المجيب لذلك القائل قال الله تعالى جوابا للترددهم منادبا عليهم بسوء حالهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال (فى العذاب والضلال البعيد) لان من يسمى المهتدى ضالا يكون هو الضال ومن يسمى الهادى ضالا يكون أضل (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أى أفعلوا ما فعلوا من المنكر فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم فذلك يدل على وحدانية الله وكمال قدرته وذلك دليل على الاعادة (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون وأصحابه (أو نسقط عليهم كسفا) أى قطعا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الايكة لاستحقاقهم ذلك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها وقرأ حمزة والكسائى ان يشأ يخسف أو يسقط بالياء فى الثلاثة (ان فى ذلك) أى المحيط بالناظر من جميع الجوانب (لآية لكل عبد منيب) أى لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب فدل على قدرة الله على احياء الموتى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أى أعطيناه لصحة توبته نوعا من الفضل على سائر الانبياء عليهم السلام وهو ما ذكر بعد (يا جبال أوبى معه) أى رجعى مع داود النوحة على الذنب (والطير) بالنصب عطفا على فضلا يعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه تسخيرها له وقيل كان داود ينوح على ذنبه بترجيع وتحزن وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقوله يا جبال الخ بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (وألنا له الحديد) أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة (ان اعمل سابغات) أى أمرناه بأن اعمل دروعا واسعات (وقدر فى السرد) أى توسط فى نسج الدروع بحيث تتناسب حلقها أو لا تصرف جميع أوقاتك الى النسج بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقى فاصرفه الى العبادة (واعملوا صالحا) أى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فأكثروا منه وقدروا فى الكسب (انى بما تعملون بصير) فمن يعمل للملك شغلا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه (ولسليمان الريح) أى وسخر له الريح عوضا عن الخيل التى عقرها لله تعالى وقرأ شعبة برفع الريح على الابتداء والخبر مجرور قبله لان الريح كانت لسليمان كالمملوك المختص به يأمرها بما يريد حيث يريد (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ويروح من اصطخر فيبيت ببابل (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس المذاب يعمل به ما يشاء كما يعمل بالطين وكان ذلك بأرض اليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (ومن

الجن من يعمل بين يديه) بالسخرة من البنيان وغيرها (باذن ربه) أى بأمره تعالى (ومن يزغ) أى يعدل (منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أى عذاب النار الوقود فى الآخرة (يعملون له) أى فى أى وقت شاء (مايشاء من محاريب) أى أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) أى صور من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك وقيل هى صور الملائكة والانبياء والعباد كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ويعبدوا بهم على مثالهم وروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد على الكرسى بسط الاسدان له ذراعيهما واذا جلس أظله النسران بأجنحتهما (وجفان كالجواب) أى قصاع كالحياض الكبار وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل وقرأ ورش وأبو عمرو باثبات الياء فى الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا (وقدور راسيات) أى ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) فآل منادى وشكرا مفعول به روى أن سليمان عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى (وقليل من عبادى الشكور) أى المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته (فلما قضينا عليه) أى سليمان (الموت مادلهم) أى آله (على موته الادابة الارض) وهى الارضة (تأكل منسأته) أى عصاه (فلما خر) أى وقع سليمان على الارض بعد أن قصمت الارضة عصاه (تبينت الجن) أى علمت الجن علما بينا (أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) أى انهم لو كانوا يعلمون الغيب كموت سليمان مالبثوا فى العذاب المهين وحينئذ يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب بل كانوا يسترقون السمع ويموهون على الناس أنهم يعلمون الغيب وقال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكان الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى حياته وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته حينئذ فشكروا ذلك للارضة فاينما كانت يأتونها بالماء والطين وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما وحكى أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملكه وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء هذا المسجد اللهم فاوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا آمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية) أى علامة دالة على قدرتنا وقرأ حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف والكسائى بكسرها والباقون مساكنهم بلفظ الجمع أى عندمواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام

آية دالة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء (جنتان عن يمين وشمال) أى عن يمين بلدهم وشمالها جماعتان من الجنات وكان سبأ ثلاث عشرة قرية فبعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال لهم الانبياء (كلوا من رزق ربكم) من الثمار ونحوها (واشكروا له) بالتوحيد ليديم لكم النعمة (بلدة طيبة ورب غفور) أى بلدتكم بلدة طاهرة عن المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم ورب بكم الذى رزقكم طيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره (فأعرضوا) عن الايمان ولم يشكروا قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى سلطنا عليهم سيل الوادى والعرم واد فى اليمن يقال له وادى الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء فى الوادى وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فاخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأرة فنقبت الردم فهدم الله تلك المسناة وأهلكهم بذلك الماء وأهلك ما كان لهم من البساتين والبيوت وغير ذلك (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط) أى أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتى ثمر بشع وقرأ أبو عمرو أكل بغير تنوين أى ثمر أراك (وأثل) أى طرفاء (وشئ من سدر قليل) أى قليل ثمره كثير شوكه له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه فى غسل اليد وهو سدر برى وهذا معطوفان على أكل لا على خمط وقرئ وأثلا وشيأ عطفا على جنتين (ذلك) أى التبديل (جزيناهم بما كفروا) أى بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها (وهل نجازى الا الكفور) أى وما نجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران وقرأ حفص وحمزة والكسائى بنون العظمة والباقون بالياء على البناء للمفعول ورفع الكفور وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر (قرى ظاهرة) أى وجعلنا بين أهل سبأ وهم باليمن وبين أهل الاردن وفلسطين وهم بالشام قرى يرى بعضها من بعض لتقاربها يرى سواد القرية من القرية الاخرى قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم والشام سيرا مقدرا من قرية الى قرية فاذا سار وانصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فلا يحتاجون فى السفر الى حمل زاد وماء وقلنا لهم (سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) وهو أمر بمعنى الخبر أى تسيرون فى تلك القرى ان شئتم ليالى وان شئتم أياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرهاو بعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان غير مجاهر بالقصد والعداوة قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جائعين ولا ظامئين كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر فى أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لا يحركه (فقالوا) على وجه الدعاء (ربنا باعد بين أسفارنا) أى باعد بين المنازل التى ننزل فيها بأن يكون بين كل واحد والآخر مسافة بعيدة أى سألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام قفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد بتشديد العين من غير ألف (وظلموا أنفسهم) حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة وتركوا شكر تلك النعم (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم فيتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ويضربون مثلا

فيقولون

فيقولون تفرقوا أيدي سبأ والايدي بمعنى الانفس أو الاولاد (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم كل تفريق أى فلما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فغسان لحقوا بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة والاوس والخزرج بيثرب (ان فى ذلك) أى التمزيق والاهلاك (لآيات) أى لعبرات (لكل صبار) عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أى ولقد وجد ابليس ظنه صادقا فى أنه يغوى بنى آدم أو فى أنه خير منهم فالمتبوع خير من التابع فابليس امتنع من عبادة غير الله والمشركون يعبدون غير الله فابليس كفر بأمر أقرب الى التوحيد والمشركون كفروا بالاشراك وقرأ صدق الكوفيون بتشديد الدال والباقون بالتخفيف أى صدق فى ظنه أو جعل ظنه صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع ظن مع تشديد صدق بمعنى وجد ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما مع التخفيف على الابدال (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) أى الا فريقا هم المؤمنون فان المؤمنين كلهم لم يتبعوه فى أصل الدين أو الا فريقا من فرق المؤمنين فان المخلصين لم يتبعوه فى العصيان (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) أى وما كان تسلط ابليس على بنى آدم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو فى شك منها فنجازى كلا منهما (وربك على كل شئ حفيظ) أى الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيقع (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى قل يا أشرف الخلق لكفار مكة بنى مليح وكانوا يعبدون الجن ويظنون انهم الملائكة ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع قال الله تعالى (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) أى لا يملك آلهتهم وزن ذرة من نفع وضر فى أمر من الامور (ومالهم فيهما من شركة) أى وما لآلهتهم فى السموات والارض من شركة مع الله لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وماله) تعالى (منهم) أى من آلهتهم (من ظهير) أى معين فى تدبير أمرهما وفى خلق شئ بل الله تعالى هو المنفرد بالايجاد فهو الذى يجب ان يكون معبودا (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى ولا تقع الشفاعة عنده تعالى فى حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن الله له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى أذن له مبنيا للمجهول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى حتى اذا أزيل الفزع الذى عند الوحى أى حين انحدر عليهم جبريل فان الله عندما وحى يفزع من فى السموات ثم يزيل الله عنهم الفزع فرفعوا رؤسهم فحتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل (قالوا) أى الملائكة السائلون من جبريل (ماذا قال ربكم) يا جبريل (قالوا) أى جبريل ومن تبعه (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق بالرفع أى ما قاله الحق (وهو العلى الكبير) أى هو المنفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من أشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه (قل) يا أشرف الخلق لكفار مكة (من يرزقكم من السموات) بالمطر (والارض) بالنبات (قل الله) أى فان أجابوك وقالوا الله فذلك ظاهر وان لم يقولوا ذلك فقل الله يرزق اذ لا جواب سواه وهذا اشارة الى ان جر النفع ليس الا به تعالى ومنه تعالى فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضررا أو لم يدفع وسواء نفعكم بخير أو لم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبين واختلاف الجارين للاعلام بان المهتدى كمن استعلى منارا

ينظر الاشياء والضلال كأنه منغمس في ظلام لا ترى شيأ (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أى أذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) فى كفركم لانا برءون منكم وهذا أبعد من الجدل وأبلغ فى التواضع حيث أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) أى يحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) أى البليغ الفتح لما انغلق (العليم) بما ينبغى ان يحكم به (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (أرونى الذين ألحقتم به) تعالى (شركاء) لانظر بأى صفة ألحقتموها بالله فى استحقاق العبادة هل يخلقون أو يرزقون (كلا) أى حقا لم يخلقوا شيأ ولم يرزقوا بشئ أولا تشركوا بالله شيأ (بل هو) أى الله الذى ألحقتم به شركاء (الله العزيز الحكيم) أى الله الموصوف بالغلبة القاهرة وبالحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق (الا كافة للناس) أى عامة لجميع الناس تكف الناس عن الكفر (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) عموم رسالته وكونه بشيرا وكونه نذيرا لغفلتهم لا لخفاء ذلك (ويقولون) بطريق الاستهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدنا ان يجمع بيننا ثم يقضى بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله والمؤمنين به (قل) لهم يا أكرم الرسل (لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لا تستأخرون عنه ساعة) ان طلبتم التأخير عنه (ولا تستقدمون) أى ان طلبتم الاستعجال والاضافة فى ميعاد يوم للتبيين وقرئ ميعاد يوم برفع الاسمين مع التنوين على البدل وقرئ برفع ميعاد ونصب يوم مع التنوين فيهما أى أعنى يوما وذلك يفيد التعظيم والتهويل (وقال الذين كفروا) أبو جهل بن هشام وأصحابه (لن نؤمن بهذا القرآن) الذى يقرؤه علينا محمد عليه السلام (ولا بالذى بين يديه) أى ولا بالذى قبل القرآن من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب الدالة على البعث (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) أى ولو ترى اذ المنكرون للبعث محبوسون فى موقف المحاسبة راجعا بعضهم القول الى بعض لرأيت أمرا عجيبا ثم فسر قوله تعالى يرجع الخ بقوله تعالى (يقول الذين استضعفوا) أى قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) أى تعظموا عن الايمان وهم القادة (لولا أنتم) مضلون ايانا وصادون ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذين استكبروا) وهم الرؤساء (للذين استضعفوا) وهم الاتباع (أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (بل كنتم مجرمين) أى بل أنتم الصادون بأنفسكم بسبب كونكم راسخين فى الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ابطالا لانكارهم الصد (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار (اذ تأمروننا أن نكفر بالله) قبل اتيان الرسل (ونجعل له أندادا) أى أعدالا (وأسروا الندامة) أى أخفى كل من الفريقين الندامة عن الآخر مخافة التعيير ويقال أظهر القادة والسفلة الندامة على ترك الايمان بالله (لما رأوا العذاب) أى حين رأوه (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يجزون الا بما كانوا يعملونه فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها (انا بما أرسلتم به كافرون) أى جاحدون (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم بسبب لزوم ما لدينا (وما نحن بمعذبين) فى الآخرة بدينا هذا كأنهم قالوا حالنا عاجلا خير من حالكم ولا نعذب آجلا قالوا ذلك انكارا منهم للعذاب بالكلية أو اعتقاد الحسن

حالهم أيضا قياسا على حالهم فى الدنيا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسط له (ويقدر) أى يقتر على من يشاء فسعة الرزق لا تدل على حال المحق كما ان ضيقه لا يدل على حال المبطل فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) ان ضنك العيش وخصبها بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا) أى وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الى الله الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) فى الحسنات (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاره وقرأ حمزة الغرفة على التوحيد على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) أى يكذبونها (معاجزين) أى متأخرين عنها وفى قراءة معجزين أى معتقدين عجزنا (أولئك فى العذاب محضرون) أى لا يخرجون منه (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله (وما أنفقتم من شئ) فى سبيل الله (فهو يخلفه) أى يعوضه فى الدنيا بالمال أو بالقناعة وفى الآخرة بالحسنات (وهو خير الرازقين) أى الواهبين للرزق وأفضل المعوضين (ويوم يحشرهم) أى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم يقول للملائكة) اهانة لهؤلاء الكفار وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) بأمركم (قالوا) أى الملائكة متبرئين منهم (سبحانك) أى ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق (أنت ولينا) أى أنت الذى نواليك أى نتقرب منك بالعبادة (من دونهم) أى لم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا وقال الرازى معنى أنت ولينا من دونهم أى كونك ولينا بالمعبودية أحب الينا من كون هؤلاء الضالين أولياء بالعبادة لنا (بل كانوا يعبدون الجن) أى كانوا ينقادون لامر الشياطين فهم فى الحقيقة كانوا يعبدون الشياطين وكانحن كالقبلة لهم (أكثرهم بهم مؤمنون) أى كل المشركين مصدقون للشياطين وهذا محض كلام الله تعالى والوقف على الجن تام وأما اذا قلنا ان هذا من كلام الملائكة فمعنى أكثرهم على أصله وانما قالوا ذلك لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما فى القلوب أو على من فى جميع الوجود (فاليوم) أى يوم الحشر (لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) أى لا يقدر المعبودون وهم الملائكة على نفع العابدين وهم الكفار بالثواب ولا على دفع ضررهم (ونقول للذين ظلموا) وهذا معطوف على قوله تعالى نقول للملائكة أى ونقول (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها) أى بالنار (تكذبون واذا تتلى عليهم) أى كفار مكة بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم (آياتنا) الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك (بينات) أى واضحات (قالوا ماهذا) أى التالى (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) من الآلهة (وقالوا ماهذا) أى القول بالوحدانية (الا افك) أى كلام مصروف عن وجهه (مفترى) باسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى للقرآن (لما جاءهم) من غير تأمل فيه (ان هذا) أى ماهذا القرآن (الا سحر) أى خيال (مبين) أى ظاهر سحريته قال الرازى وان أعيد اسم الاشارة الثانى الى القرآن كان اسم الاشارة هذا عائدا الى المعجزات فانكار التوحيد كان مختصا بالمشركين وأما انكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب ولذلك قال تعالى وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم وهو بدل عن قوله تعالى وقالوا للحق (وما آتيناهم) أى ما أعطينا كفار مكة (من كتب) دالة على صحة الاشراك (يدرسونها) أى يقرؤنها (وما أرسلنا اليهم قبلك من

نذير) أى رسول يدعوهم الى الاشراك و ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا (وكذب الذين من قبلهم) الأمم المتقدمة (ومابلغوا معشار ما آتيناهم) أى ومابلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من القوة وكثرة المال وطول العمر (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) أى تغييرى عليهم بالتدمير وما نفعتهم قوتهم وما لهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء ويقال ومابلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا قوم محمد من البيان والبرهان فان محمدا أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى وكتابه أكمل من سائر الكتب وأوضح ثم ان المتقدمين لما كذبوا الكتب والرسل أنكر عليهم وكيف لا أنكر على هؤلاء الامة وقد كذبوا بأفصح الرسل وأوضح السبل فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل) يا أكرم الرسل لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) أى ما أنصح لكم الا بخصلة واحدة (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) فقوله تعالى أن تقوموا بدل من واحدة أو عطف بيان لها أى ان تنهضوا بالهمة لاجل الله حال كونكم اثنين اثنين و واحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام ثم تتفكروا فى أمر محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه وأما الواحد فيفكر فى نفسه بعدل فيقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مابه من جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال واذا علمتم بذلك كفاكم أن تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين أنه نبى صادق فيما جاء به ثم نبه الله تعالى على طريقة النظر بقوله تعالى (مابصاحبكم من جنة) نفى مستأنف فالوقف على تتفكروا تام عند أبى حاتم أى ما بصاحبكم محمد من جنون ويجوز أن يكون تتفكروا معلقا عن الجملة المنفية فهى فى موضع نصب على اسقاط فى أى ثم تتفكروا فى عدم الجنون فى صاحبكم ويجوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا وأى شئ بمحمد من آثار الجنون وعلى هذين الاحتمالين لا وقف على تتفكروا (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) أى ما محمد الا رسول مخوف لكم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب قبل عذاب شديد فى الآخرة ان لم تؤمنوا به (قل) لهم يا أشرف الخلق (ماسألتكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال بالكلية أى لا أسألكم على انذاركم أجرا (ان أجرى الا على الله) فلا أطلب شيأ الا من عنده تعالى (وهو على كل شئ شهيد) يعلم صدقى وخلوص نيتى (قل) لمن أنكر التوحيد والرسالة (ان ربى يقذف بالحق) أى يلقيه فى قلوب المحقين فان الامر بيده تعالى أو يقذف بالحق على الباطل فهو اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة (علام الغيوب) أى ما غاب فى السموات والارض عن خلقه (وقل) لهولاء (جاء الحق) أى ظهر الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق له ابداء ولا اعادة فما نافية وهذا جعل مثلا فى الهلاك بالمرة (قل) للكفار الذى قالوا انك يا محمد تركت دين آبائك فضللت (ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) أى ضلالى على نفسى كضلالكم وأما اهتدائى فليس كاهتدائكم بالنظر والاستدلال وانما هو بالوحى المبين (انه سميع قريب) يسمع قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائهما (ولو ترى اذ فزعوا) أى ولو ترى حالهم وقت فزعهم بخسف البيداء لرأيت أمرا هائلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة فى آخر الزمان ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم الارض وماتوا (فلا فوت) أى فلا يفوت منهم أحد (وأخذوا من مكان

قريب) أي من تحت أقدامهم وخسف بهم الارض (وقالوا) عندما خسف بهم الارض (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأنى لهم التناوش) أي ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) أي بعد الموت فلا يكون الايمان الا في الدنيا وهم في الآخرة فالدنيا من الآخرة بعيد (وقد كفروا به) أي بمحمد أو بالعذاب الذي أنذرهم اياه (من قبل) أي من قبل نزول العذاب (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) أي ويقولون مالا يعلمون من وهمهم الفاسد وظنهم الخاطىء فانهم قالوا في حق النبي ساحر شاعر كاهن وفي حق القرآن سحر شعر كهانة ويقال أي يسألون الرجعة الى الدنيا بعد الموت (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود الى الدنيا أو من لذات الدنيا (كما فعل بأشياعهم) أي بأشباههم في الكفر (من قبل) أي من قبلهم من الكفار فكل من جاءه الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا أن يؤمنوا عند ظهور اليأس ولم يقبل الايمان منهم (انهم كانوا في شك مريب) أي ذي ريبة من أمر الرسل والبعث والجنة والنار

﴿سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة أيضا مكية خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقهما من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة أو بينه تعالى وبين خلقه حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والرعد والحفظة (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أي ذوي أجنحة متعددة متفاوتة في العدد فمنهم من له جناحان يطير بهما ومن له ثلاثة أجنحة ومن له أربعة أجنحة (يزيد في الخلق) أي خلق الملائكة (ما يشاء) ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان منها يلفون بهما أجسادهم وجناحان منها للطيران يطيرون بهما فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أي أي شئ يرسل الله للناس من خزائن رحمته أي رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك فلا أحد يقدر على امساكها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أي أي شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على ارساله من بعد امساكه (وهو العزيز الحكيم) أي كامل القدرة في الارسال والامساك وكامل العلم في ذلك (يا أيها الناس) أي يا أهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أي انعام الله عليكم بنعمة الايجاد ونعمة الابقاء (هل من خالق غير الله) أي هل خالق مغاير له تعالى موجود وقرأ حمزة والكسائي بجر غير نعت لخالق على اللفظ (يرزقكم من السماء) بالمطر وغيره (والارض) بالنبات وغيره (لا اله الا هو) فهو الخالق الرازق (فأنى تؤفكون) أي فمن أين تصرفون عن التوحيد الى الاشراك فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت وبأي سبب تعبدون غيره تعالى فانه لا يقدر على خلق ولا على رزق ولا على غيرهما (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي وان استمروا على أن يكذبوك يا أشرف الخلق فيما بلغت اليهم من التوحيد والبعث والحساب والجزاء وغير ذلك بعدما أقمت عليهم الحجة فتأس بأولئك الرسل في المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم (والى الله ترجع الامور) في الآخرة فيجازي المكذبين والصابرين (يا أيها الناس ان وعد الله حق) أي يا أهل مكة ان وعد الله بالبعث

بعد الموت والجزاء ثابت من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن الطاعة لله وعن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد (ولا يغرنكم بالله الغرور) بفتح الغين أي ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فتعاطى الذنوب بهذا التمني مثل تناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة (ان الشيطان لكم عدو) عظيم فان عداوته عداوة قديمة لا تكاد تزول (فاتخذوه عدوا) بمخالفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم فاذا فعلتم فعلا فتنبهوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح (انما يدعو حزبه) أي اتباعه في الضلال (ليكونوا) أي تلك الاتباع (من أصحاب السعير) أي النار الموقودة (الذين كفروا لهم عذاب شديد) في الدنيا بفوات مطلوبهم وفي الآخرة بالسعير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك (لهم مغفرة) أي ستر لذنوبهم في الدنيا (وأجر كبير) في الآخرة (أفمن زين سوء عمله فرآه حسنا) أي أبعد كون حالي الفريقين كما ذكر يكون من زين الكفر له الشيطان ونفسه الامارة وهواه القبيح فرآه صوابا فانهمك فيه كمن عرف الحق فاختار الايمان أو العمل الصالح نزلت هذه الآية في أبي جهل ومشركي مكة (فان الله يضل من يشاء) أن يضله لاستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين (ويهدي من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلا عليين (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي فلا تهلك نفسك على عدم ايمانهم لكثرة التحزن وقرأ أبو جعفر وقتادة والاشهب بضم التاء وكسر اللام مسند الضمير المخاطب نفسك مفعول به (ان الله عليم بما يصنعون) من القبائح فيجازيهم عليه (والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالتوحيد أي أوجدها من العدم فهو بها دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على تسخر مدبر ومؤثر مقدر (فتثير سحابا) أي فتحركه وترفعه (فسقناه) أي السحاب (الى بلد ميت) أي الى مكان لا نبات فيه وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بتشديد الياء (فأحيينا به) أي بماء السحاب الارض (بعد موتها) أي بعد يبسها وأسند الله تعالى الارسال الى الغائب والسوق والاحياء الى المتكلم لان في الاول تعريفا بالفعل العجيب وهو الارسال والاسارة وفي الثاني تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء (كذلك النشور) أي احياء الاموات في سهولة الحصول فان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء الميتة تقبل الحياة وكما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت وكما انا نجمع القطع السحابية بالريح كذلك نجمع أجزاء الاعضاء المتفرقة بالروح (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أي من كان يريد العزة فليطلبها من عند الله بطاعته لانه لا عزة الا لله فان المشركين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام ومن اعتز بالعبيد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله (اليه يصعد الكلم الطيب) الذي يطلب به العزة وهي كلمة لا اله الا الله (والعمل الصالح يرفعه) والضمير المستكن عائد للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل وعائد للعمل فانه يقوي الايمان بلا عمل فاذا رجع الضمير البارز للعمل كان الضمير المستكن عائدا الى الكلم كما تقدم أو لله تعالى (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد) أي والذين يكسبون أصناف المكرات السيآت لهم عذاب شديد (ومكر أولئك هو يبور) أي

صنع أولئك هو يفسد ويهلك قيل هي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة في احدى ثلاث حبسه وقتله واخراجه من مكة وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أهل الرياء وقال مقاتل في أهل الشرك بالله وقال الكلبي المعنى يعملون السيآت وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه وهو اشارة الى بقاء العمل الصالح وقوله ومكر أولئك هو يبور اشارة الى فناء العمل السيئ (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) فكل أولاد آدم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهي الى الماء والتراب (ثم جعلكم أزواجا) أي أصنافا ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) في وقته ونوعه وغير ذلك (وما يعمر من معمر) أي وما يمد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر أحد (الا في كتاب) أي لوح محفوظ وعن سعيد يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي الى آخره وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان أطاع وتسعين ان عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب والله تعالى بين كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب وكمال علمه بقوله تعالى وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه فان مانع الارحام قبل الانخلاق وما في البطن بعده لا يعلم أحد حاله كيف والأم الحامل لا تعلم منه شيأ ونفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمن الله انه هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق واحد منها العبادة (ان ذلك) أي الخلق من تراب وكتابة الآجال (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوي البحران هذا عذب) أي لذيذ (فرات) أي يكسر العطش (سائغ شرابه) أي يسهل انحداره الى الحلق (وهذا ملح أجاج) أي مر زعاق لا يستطاع شربه (ومن كل) من البحرين (تأكلون لحما طريا) أي سمكا شهي المطعم (وتستخرجون) من الملح خاصة (حلية) أي زينة وهي اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) وقوله تعالى وما يستوي البحران اشارة الى ان عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته وهو دليل آخر على القدرة والوحدانية (وترى الفلك) أي وترى السفن أيها الناس (فيه) أي في كل منهما (مواخر) أي شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة وغيرها واللام متعلقة بمواخر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا الله على نعمه (يولج الليل) أي يدخل زيادته (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل بقدر نقصانه (ويولج النهار) أي يدخل زيادته (في الليل) فيكون الليل أطول من النهار بقدر نقصانه (وسخر الشمس والقمر) أي ذلل ضوء الشمس والقمر لبني آدم (كل منهما (يجري) في فلكه (لاجل مسمى) أي الى وقت معلوم في منازل معروفة ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر (ذلكم الله ربكم) أي الذي فعل هذه الافعال هو الله الموجد لكم من العدم المربي بجميع النعم (له الملك) كله وهو مالك كل شيء (والذين تدعون) أي تعبدون (من دونه) تعالى وهو الاصنام (ما يملكون من قطمير) أي لا يقدرون ان يفعلوا من ذلك قدر الشيء الذي يتعلق به النواة مع القمع وقيل القطمير هو القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة وهذا استدلال على تفرده تعالى بالالوهية (ان تدعوهم) أي المعبودات من غير الله (لا يسمعوا دعاءكم) لانها جمادات (ولو سمعوا) على سبيل التقدير (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم بجلب نفع ودفع ضرر لعجزهم عن الافعال بالمرة (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي حين ينطقهم الله ينكرون عبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أي ولا يخبرك أيها السامع أحد مثلي لاني عالم بالاشياء وغيري لا يعلمها (يا أيها

الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى مغفرته ورحمته ورزقه فى الدنيا والى جنته فى الآخرة وهذا يوجب عبادته (والله هو الغنى الحميد) أى والله مع استغنائه يدعوكم كل الدعاء يقضى فى الدنيا حوائجكم وان آمنتم به يقضى فى الآخرة حوائجكم فهو المستوجب للحمد (ان يشأ يذهبكم) أى يهلككم يا أهل مكة (و يأت بخلق جديد) أى بقوم آخرين مستمرين على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أى الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بعزيز) أى بمتعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما اثمها (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ) أى وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حمل بعض ذنوبها لم تجب تلك النفس المدعوة بحمل شئ من تلك الاوزار وتروى عن الكسائى لا تحمل بفتح التاء الفوقية وكسر الميم شيأ أى لا تحمل تلك النفس المدعوة شيأ من الوزر (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المدعو ذا قرابة من الداعى قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بنى أحمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبى ما على (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى انما ينفع انذارك يا أشرف الرسل بهذه الانذارات الذين يخشون عذاب ربهم وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أى راعوها كما ينبغى (ومن تزكى) أى تطهر من المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) أى فتطهره لنفسه اذ نفعه لها كما ان من تدنس بالاوزار لا يتدنس الا على نفسه (والى الله المصير) فالمتزكى ان لم تظهر فائدته عاجلا فهى تظهر عنده فى يوم اللقاء فى دار البقاء كما ان الوازر ان لم تظهر تبعة وزره فى الدنيا فهى تظهر فى الآخرة اذ المرجع الى الله (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أى ولا الباطل والحق (ولا الظل ولا الحرور) أى ولا الثواب والعقاب (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) أى وما يستوى المؤمنون والكفار أو العلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) أى ان الله يفهم من يشاء ممن كان أهلا لفهم آياته تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) أى وما أنت يا أشرف الخلق بمفهم من هو مثل الميت الذى فى القبور شبه الله الكفار بالموتى فى عدم التأثر بدعوته صلى الله عليه وسلم (ان أنت الا نذير) أى ما أنت الا رسول منذر وليس لك من الهدى شئ (انا أرسلناك بالحق) أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا ونذيرا) ويجوز ان يتعلق بالحق بما بعده أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة الا خلا فيها نذير) أى ما من أمة الا مضى فيها نبى أو عالم ينذرهم (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) أى وان يكذبك أهل مكة فلا تبال بتكذيبهم لانه قد كذب الذين من قبلهم من الامم العاتية رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى بخبر الاولين كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) أى الموضح لطريق الخير والشر كالتوراة والانجيل والزبور (ثم أخذت الذين كفروا) بالكتب والرسل بأنواع العذاب (فكيف كان نكير) أى انكارى بالعقوبة (ألم تر) أى ألم تعلم أيها المخاطب (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بذلك الماء (ثمرات مختلفا ألوانها) من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها (ومن الجبال جدد) أى طرائق تخالف لون الجبل (بيض وحمر مختلف ألوانها) فمختلف صفة لجدد أيضا وألوانها فاعل وقال الرازى الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون أى بيض مختلف ألوانها وحمر مختلف ألوانها لان الابيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الابيض وكذلك الاحمر (وغرابيب) أى شديدة السواد (سود) وهو بدل من غرابيب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أى ألوان ذلك البعض (كذلك) أى اختلافا كائنا

كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم أعلى درجة من العابد ومعنى الآية في قراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع اسم الجلالة انما يعظم الله العلماء (ان الله عزيز غفور) فكونه تعالى عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه تعالى غفورا للتائب عن العصيان يوجب الرجاء البالغ (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءة القرآن (وأقاموا الصلاة) أى أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما (يرجون تجارة) أى تحصيل ثواب بالطاعة (لن تبور) أى لن تهلك بالخسران أصلا وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ان يقال فيه انه مراء هو عين الرياء (ليوفيهم أجورهم) متعلق بلن تبور أى تنفق التجارة عند الله ليوفيهم الله أجور أعمالهم مايرجونه (ويزيدهم من فضله) أى يعطيهم مالم يخطر ببالهم عند العمل (انه غفور) عند اعطاء الأجور (شكور) عند اعطاء الزيادة (والذى أوحينا اليك من الكتاب) أى هو القرآن (هو الحق) أى الصدق (مصدقا لما بين يديه) أى مصدقا لما قبله من الكتب السماوية فيوافقه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير) أى عالم بالبواطن (بصير) أى عالم بالظواهر فلا يكون الكتاب باطلا فى وحيه لا فى الباطن ولا فى الظاهر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) أى ثم أعطينا القرآن أمتك الذين اخترناهم على سائر الامم (فمنهم ظالم لنفسه) أى راجح سيآته (ومنهم مقتصد) أى تساوت سيآته وحسناته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى ترجحت حسناته (باذن الله) أى بتوفيق الله وهو متعلق بسابق (ذلك) أى السبق بالخيرات (هو الفضل الكبير) من الله تعالى (جنات عدن يدخلونها) خبر لجنات أى هؤلاء الثلاثة أصناف يدخلون جنات عدن ومن دخلها لم يخرج منها وقرأ أبو عمرو بالبناء للمفعول (يحلون فيها) أى يلبسون على سبيل التزين فى الجنة (من أساور من ذهب) فمن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤا) قرأه عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من أساور والباقون بالجر عطفا على ذهب (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير) وآثار الزينة يدل على الغنى فلا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة ويدل على الفراغ (وقالوا) أى ويقول أهل الجنة فى الجنة (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) أى كل حزن بحصول كل مطلوبه (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) أى دار الاقامة التى لا انتقال عنها أبدا (من فضله) من غير ان يوجبه شئ من جهتنا (لا يمسنا فيها نصب) أى تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) أى فتور ناشئ عن التعب (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) أى لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) أى لا يستريحون بالموت بل عذابهم دائم (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى جهنم طرفة عين (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) وقرأ أبو عمرو يجزى بالبناء للمفعول وكل بالرفع (وهم يصطرخون فيها) أى يصيحون فى جهنم بقولهم (ربنا أخرجنا) منها (نعمل صالحا) أى خالصا فى الايمان (غير الذى كنا نعمل) فى الدنيا من الشرك فيقول الله لهم توبيخا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أى ألم نمهلكم يامعشر الكفار ولم نطل أعماركم زمانا يتعظ فيه من أراد ان يتعظ وهو ستون سنة كما قاله ابن عباس أو أربعون سنة كما قاله الحسن (وجاءكم النذير) أى رسول من الله تعالى أو عقل أو شيب أو حمى أو موت الاقارب فالشيب

والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت والمراد أى رسول كان لأن هذا الكلام مع الكفار على الاطلاق قال تعالى (فذوقوا) ما أعددناه لكم من العذاب دائما أبدا (فما للظالمين من نصير) أى لانه ليس للذين وضعوا أعمالهم فى غير موضعها وأتوا بالمعذرة فى غير وقتها مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (انه عليم بذات الصدور) وكان يعلم من الكافر ان فى قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام فى الدنيا الى الابد لما أطاع الله (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى خلفاء ممن قبلكم من الامم تعلمون أحوال الماضين ممن كذب الرسل (فمن كفر فعليه كفره) أى عقوبة كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أى ان الكفر لا ينفع عند الله فلا يزيدهم الا بغضه الشديد ولا ينفعهم فى أنفسهم بل لا يفيدهم الا الخسار فان العمر كرأس المال فمن اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) وجملة قوله أرونى بدل اشتمال من أرأيتم أى اخبرونى عن آلهتكم التى زعمتم أنها شركاء الله تعالى الذين تعبدونها من غير الله أرونى أى جزء خلقوا من الارض (أم لهم شرك فى السموات) أى بل ألهم شركة مع الله فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة ذاتية فى الالوهية (أم آتيناهم كتابا) أى بل أعطينا الشركاء كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع أى فالشركاء على حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) أى بل ما يعد الاسلاف للاخلاف والرؤساء للسفلة فى الدنيا بأن شركاءهم تقربهم الى الله تعالى المنزلة وبانها تشفع لهم فى الآخرة فتضر وتنفع الا باطلا (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أى ان الله يمنعهما من أن تزولا عن مكانهما لان مقتضى شركهم زوالهما (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أى والله لئن زالتا عن مكانهما ما يمسكهما أحد من بعد زوالهما (انه كان حليما) اذا أمسكهما فما ترك الله تعذيب المشركين الا لحلمه تعالى والا كانوا يستحقون اسقاط السموات وانطباق الارض عليهم (غفورا) أى محاء لذنوب من تاب وان استحق العقاب (وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم فى الايمان (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم) أى لما بلغ قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أسرع اجابة من كل الامم (فلما جاءهم نذير) أى فلما جاءهم مجيء رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يشهدون أنه خيرهم نفسا وأشرفهم نسبا وأكرمهم خلقا (ما زادهم الا نفورا) أى تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) اعراضا عن الايمان وهو بدل من نفورا (ومكر السيئ) وهو معطوف على نفورا وهو جميع ما صدر منهم من القصد الى الايذاء به صلى الله عليه وسلم ومنع الناس من الدخول فى الايمان واظهار الانكار (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) أى ولا يحيط المكر السيئ الا بفاعله (فهل ينظرون الا سنة الاولين) أى ما ينتظرون الا عادة الله فى الاولين من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم فان سنة الله الاهلاك بالشرك والاكرام على الاسلام (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لانه سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فان العذاب مع أنه لا تبديل له بالثواب لا ينقل عن مستحقه الى غيره فبهذا يتم تهديد المسيئ (أولم يسيروا

في الارض) أى أقعدوا في الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا) أى من قبلهم (أشد منهم قوة) وقد كانوا مارين على ديارهم رائين لآثارهم وأملهم كان فوق أملهم لطول أعمارهم وشدة اقتدارهم وعلمهم كان دون علمهم لانهم لم يكذبوا محمدا ولا مثل محمد وأنتم يا أهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه من الرسل فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم فما نفعهم طول المدى وما دفع عنهم شدة القوى (وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الارض) أى ان الاولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله فهؤلاء أولى بان لا يعجزوه (انه كان عليما) بأفعالهم وأقوالهم (قديرا) على اهلاكهم واستئصالهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من السيآت كما فعل بأولئك الاولين (ما ترك على ظهرها) أى على وجه الارض (من دابة) أى من ذوى روح تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى الى وقت معلوم عند الله تعالى فللعذاب أجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول وانما يؤاخذ بالاصرار على المعاصى وحصول يأس الناس عن ايمانهم فاذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك الله المكذبين ولو آخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أى فاذا جاء أجلهم وهو يوم القيامة أو يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن ويوم القتل والاسر فان الله يجازيهم عند ذلك بأعمالهم لان الله تعالى كان بصيرا بعباده وهذا تسلية للمؤمنين وذلك لان الله تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة قال فاذا جاء الهلاك في الدنيا فالله بصير بالعباد اما أن ينجى المؤمنين أو يعيتهم تقريبا من الله لا تعذيبا

سورة يس وتسمى أيضا القلب والدافعة والقاضية والمعمة مكية وهى ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم يس) أى هذه يس أو اقرأ يس (والقرآن الحكيم) أى المتضمن للحكمة اعلم ان العبادة قلبية ولسانية وجارحية وكل واحدة منها اقسمان قسم علم معناه وقسم لم يعلم أما القلبية فمنها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به كالصراط الذى هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان التى توزن به الاعمال التى لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلى وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وفي العبادات الجارحية ما علم معناه ومالم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات فالعبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الاتيان به الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما يأتى للفائدة فقط وان لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يؤمن فكذلك العبادات اللسانية فمنها ما لا يفهم معناه فاذا تكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الآمر الناهى فاذا قال يس حم المطس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه بل هو يتلفظ به اقامة لما أمر به (انك) يا أشرف الخلق (لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى ثابت على شريعة شريفة فان شريعته صلى الله عليه وسلم أقوم الشرائع وقوله على صراط خبر ثان لان (تنزيل العزيز الرحيم) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالنصب على الحال أو على المدح باضمار أعنى أى حال كون القرآن تنزيل المانع عن أشياء المطلق لاشياء أو المنتقم لمن لا يؤمن الرحيم لمن

آمن والباقون بالرفع أى هذا تنزيل العزيز وقرئ بالجر على انه بدل من القرآن كأنه تعالى قال والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة لان قريشا لم يبعث اليهم نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فما نافية والجملة صفة لقوما ويصح كونها موصولة أى الذين انذرآباؤهم الاقدمون ويصح كونها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر قوما انذارا كائنا مثل انذار آبائهم الاقدمون من العذاب (فهم) أى القوم وآباؤهم الاقربون (غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها أو فهؤلاء القوم غافلون عما أنذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة (لقد حق القول على أكثرهم) أى لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثر أهل مكة أبي جهل وأصحابه (فهم لا يؤمنون) أى في علم الله وقتلوا يوم بدر على الكفر (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان) أى فالاغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (فهم مقمحون) أى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى وجعلنا مع ماذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم كذلك (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) أى فغطينا بهذين السدين أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما أصلا وقوله تعالى انا جعلنا الخ كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء وهو تمثيل حالهم بحال من غلت أعناقهم وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا اشارة الى انهم لا ينتهجون سبيل الرشاد فلا يبصرون الحق لمكان السد ولا ينقادون لمكان الغل وقيل نزلت هذه الآيات في أبي جهل ابن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه يصلى ذهب اليه فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجعت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيده الى عنقه فلما عاد الى أصحابه أخبرهم بما رأى قال الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال والله ما رأيته ولقد سمعت صوته فقال الرجل الثالث والله لاشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلا أعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلني فأنزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أى انا جمعنا أيمانهم الى الاذقان حين أرادوا ان يرجموا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو في الصلاة فهاهم مغلولون من كل خير محرومون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أى وجعلنا من أمامهم سترا حيث أرادوا ان يرجموا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو في الصلاة فلم يبصروا النبي عليه السلام ومن خلفهم سدا حتى لا يبصروا أصحابه فغطينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وسلم فيؤذوه وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بفتح السين والباقون بالضم في الموضعين (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى مستو عند بني مخزوم أبي جهل وأصحابه انذارك بالقرآن اياهم وعدمه وأما الانذار بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو سبب في زيادة سيادته عاجلا وسعادته آجلا (لا يؤمنون) في علم الله (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينفع انذارك يا سيد الرسل من آمن بالقرآن (وخشي الرحمن بالغيب) أى خاف عقابه وهو تعالى غائب عنه أى عمل صالحا فالعاقل لا ينبغي ان يترك الخشية فان كل من كانت نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أتم

مخافة

مخافة ان يقطع عنه النعم المتواترة (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) أى ثواب حسن فى الجنة فالغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور والاجر الكريم جزاء العمل الصالح (انا نحن نحيي الموتى) أى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن انا نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب) فى صحف الملائكة (ماقدموا) أى ماأسلفوا من الاعمال صالحة كانت أو فاسدة (وآثارهم) أى التى أبقوها من السنن الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والحبائس التى وقفوها من المساجد والرباطات ومن السنن السيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وآلات الملاهى وأدوات المناهى المعمولة الباقية (وكل شئ) من الاشياء (أحصيناه فى امام مبين) أى كتبناه فى أصل مظهر لجميع الاشياء مما كان وماسيكون وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى بين لاهل مكة صفة أهل انطاكية كيف أهلكناهم (اذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها فرسول رسول الله باذن الله رسول الله وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهى ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لاوكيل الوكيل حتى لاينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول (اذ أرسلنا اليهم اثنين) أى رسولين وهما يحنا وبولس وقيل سمعان وتومان (فكذبوهما) أى فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة (فعززنا بثالث) أى قويناهما برسول ثالث هو شمعون وقرأ شعبة بتخفيف الزاى (فقالوا) أى جميعا (انا اليكم مرسلون قالوا) أى أهل انطاكية مخاطبين للثلاثة (ما أنتم الا بشر مثلنا) فلا يجوز رجحانكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) أى فما نزلتم من عند الله وما أنزل الله اليكم أحدا فكيف صرتم رسلا لله أو يقال ان الله ليس ينزل شيأ فى هذا العالم فان تصرفه فى العالم العلوى وللعلويات التصرف فى السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيأ من الاشياء فى الدنيا فكيف أنزل اليكم (ان أنتم الا تكذبون) أى ما أنتم الا كاذبين فى دعوى رسالته تعالى (قالوا) أى الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع تحذيرهم معارضة علم الله تعالى (وما علينا الا البلاغ المبين) أى وما علينا من جهة ربنا الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بلغة تعلمونها بالآيات الشاهدة بالصحة فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا (قالوا) للرسل لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم بناء على أن الدعوة لاتخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقيل انما تطيروا لما بلغهم من ان كل نبي اذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) أى وليصيبنكم منا بسبب الرجم عذاب أليم أى نديم الرجم عليكم الى الموت (قالوا) أى الرسل (طائركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم (أئن ذكرتم) أى ان وعظتم بما فيه سعادتكم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعظيم (بل أنتم قوم مسرفون) أى ليس التذكير سببا للشؤم بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أتاكم الشؤم (وجاء من أقصى المدينة رجل) وهو حبيب النجار وهو ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به صلى الله عليه وسلم تبع وورقة بن نوفل وغيرهما وقيل انه كان اسكافا وقيل انه كان قصارا (يسعى) أى يسرع فى المشى حيث سمع بالرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل (اتبعوا من لايسألكم أجرا) فانهم لو كانوا متهمين بعدم

الصدق لسألوكم المال (وهم مهتدون) أى عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق قالوا له تبرأت منا ومن ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) أى خلقنى اختراعا وهو مالكى (واليه ترجعون) بعد الموت فكيف لا تعبدونه والعابد على أقسام ثلاثة عابد يعبد الله لكونه الها مالكا سواء أنعم بعد ذلك أو لم ينعم وعابد يعبد الله للنعم الواصلة اليه وعابد يعبد الله خوفا فجعل القائل نفسه من القسم الاول وهو الاعلى (أأتخذ من دونه) أى من غير الذى خلقنى (آلهة) أى لا أعبد آلهة من غيره تعالى (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) أى ان يصبنى الرحمن بعذاب لا تنفع عنى تلك الاصنام نفعا ولا تدفع عنى ذلك العذاب (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة (لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) وهذا خطاب من حبيب الرسل وذلك لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين وقال انى آمنت بربكم فاسمعوا قولى واشهدوا لى بالايمان عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة خاطبهم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذى فطرنى ثم قال آمنت بربكم فهم أنه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو الذى بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربى فيقول الكافر وأنا آمنت بربى أيضا وعلى هذا فمعنى الآية آمنت بربكم فاسمعوا ما قلته لكم وأطيعونى بالايمان فأخذوه وقتلوه وصلبوه ووطئوه بأرجلهم حتى خرجت امعاؤه من دبره وألقى فى بئر وهى الرس وهم أصحاب الرس (قيل ادخل الجنة) أى انه قتل ثم قيل له بعد القتل ادخل الجنة اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء (قال) بعد موته (يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بالذى غفر لى ربى وهو التوحيد أو بمغفرة ربى لى ويقال قيل ادخل الجنة عقب قوله آمنت الخ قال فى حياته كأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وصدقهم بالبيت قومى يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت بأى شئ غفر لى ربى (وجعلنى من المكرمين) فان الايمان والعمل الصالح وجبان الغفران والاكرام وحاصل هذه القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا الى المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب بن اسرائيل النجار فسلما عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فقال ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا فآمن حبيب وفشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخا وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعا بهما فقال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيما جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصلوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه فقال يوما للملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال لا فقد حال الغضب بينى وبين ذلك قال ان رأى أيها الملك ان تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء

و يحكم مايريد قال لهما شمعون وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا الملك بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال شمعون له أيها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي تعبدونها تفعل شيأ من ذلك قال الملك لا يخفى عليك انها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم فقال شمعون فاذا ظهر الحق من جانبهم فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للمكذبين وأجمعوا على قتل الرسل وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم و يدعوهم الى طاعة المرسلين ولما قتلوه غضب الله له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) أي قوم ذلك الرجل الذي هو حبيب وهم أصحاب القرية الذين رجموه (من بعده) أي من بعد قتله (من جند من السماء) لاهلاكهم (وما كنا منزلين) أي انا لم ننزل ملائكة لاهلاك الكفار في الازمنة الماضية بل نهلكهم بغير الملائكة اما بالحاصب أو بالصيحة أو بالخسف أو بالاغراق وانما جعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك تعظيما لشأنك (ان كانت الا صيحة واحدة) أي ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة من جبريل أخذ جبريل بعضادتي الباب فصاح فيهم صيحة واحدة وذلك لحقارة أمرهم عندنا (فاذا هم خامدون) أي ميتون لا يتحركون (يا حسرة على العباد) وهذا اما من كلام الملائكة ومن كلام المؤمنين أي يا شدة التحزن على العباد تعالى هذا أوقتك فاحضري وهو وقت الاستهزاء بالرسل فالمستهزؤن بالناصحين أحقاء بأن يتحزنوا و يتحزن عليهم المتحزنون (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به) أي بذلك الرسول (يستهزؤن) وهذا سبب الندامة (ألم يروا) أي لم يعلم أهل مكة الذين أنكروا رسالتك (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي الامم الماضية (أنهم اليهم لا يرجعون) أي انهم أهلكوا اهلاكا لا رجوع لهم الى من في الدنيا و يقال ان الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم فالوجه الاول أشهر نقلا والثاني أظهر عقلا (وان كل لما جميع لدينا محضرون) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا أي ما كلهم الا مجموعون عندنا محضرون للحساب والجزاء والباقون بالتخفيف والمعنى عند الكوفيين كما تقدم وعند البصريين وان كلهم لمجموعون عندنا محضرون للحساب (وآية لهم الارض الميتة أحييناها) أي وعلامة عظيمة لهم على قدرتنا على البعث وعلى وحدانيتنا الارض الميتة أحييناها بأنواع النبات فيها فالذي أحيا الارض احياء كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احياء كاملا (وأخرجنا منها) أي الارض (حبا) أي جنس الحب كالحنطة والشعير والارز (فمنه) أي من ذلك الحب (يأكلون) فهو أكثر ما يعاش به (وجعلنا فيها) أي الارض (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) أي من أنواع النخل والعنب (وفجرنا فيها من العيون) أي فتحنا في الارض بعضا من العيون (ليأكلوا من ثمره) أي من ثمر ما ذكر من الجنات أو من ثمر الله لانه الذي خلقه وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم (وما عملته أيديهم) وهو ما يتخذ من ذلك الثمر العصير والدبس ونحوهما فما موصولة عطف على ثمره و يؤيد هذا قراءة حمزة والكسائي وشعبة بحذف الهاء من عملته فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها وقيل ما نافية ومحل الجملة نصب على الحالية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم (أفلا يشكرون) أي أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها فيرجعون عن عبادة غير الله وفي ذلك استدلال على وحدته تعالى وتعديد للنعم فالارض مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احياؤها بالنبات

نعمة ثانية فانها تصير أنزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير فى مكانهم ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب فى كل سنة وكل ذلك مفيد الى بيان احياء الموتى فيقول الله تعالى كما فعلنا فى موت الارض كذلك نفعل فى الاموات فى الارض فنحييهم ونعطيهم مالا بد لهم منه فى بقائهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والاذن وغير ذلك ونزيد له ماهو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فكأنه تعالى قال نحيي الموتى احياء تاما كما أحيينا الارض احياء تاما (سبحان الذى خلق الازواج كلها) أى تنزيها للذى خلق الانواع كلها (مما تنبت الارض) من نجم وشجر ومعدن (ومن أنفسهم) من ذكر وأنثى (ومما لا يعلمون) مما فى أقطار السموات وتخوم الارضين وغيره تعالى لم يخلق شيأ وانما ذكر الله تعالى كون الكل مخلوقا لينزه الله تعالى عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق والتوحيد الحقيقى لا يحصل الا بالاعتراف بان لا اله الا الله فلا تشركوا بالله شيأ مما تعلمون ومما لا تعلمون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) أى وعلامة عظيمة لاهل مكة على قدرتنا على البعث الليل نزيل عنه النهار الذى هو كالساتر له (فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) أى لحد معين ينتهى اليه دورها فتقف فى مستقرها ولا تنتقل عنه ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند طلوع النهار يؤذن لها فى ان تطلع من مطلعها أولا فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب وقرئ الى مستقر لها وعن ابن عباس لا مستقر لها أى لا سكون لها ولا وقوف فانها جارية أبدا الى يوم القيامة وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس (ذلك) أى جرى الشمس (تقدير العزيز العليم) أى تدبيره وتسخيره اياها (والقمر قدرناه منازل) أى جعلناه منازل ثمانية وعشرين منزلا فى ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما ويستتر ليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما (حتى عاد كالعرجون القديم) أى حتى يصير فى رأى العين كالعذق المقوس اليابس اذا حال عليه الحول (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى فالشمس لم تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والا لكان فى شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار (ولا الليل سابق النهار) أى ولا الليل يطلع سلطان النهار فيذهب ضوءه ولكن يعاقبه (وكل) من الشمس والقمر (فى فلك) أى دائرة (يسبحون) أى يدورون ولفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كونه لفظا موحدا ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا وللشمس فلكان أحدهما مركزه مركز العالم ثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرته والقيض والشمس كرة فى الفلك الخارج المركز تدور بدورانه فى السنة دورة فاذا جعلت فى الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها فى الاوج واذا حصلت فى الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون فى الحضيض وللقمر فلك شامل لجميع أجزائه وأفلاكه وفلك آخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصلة وفلك ثالث فى الفلك التحتانى كما كان فى الفلك الخارج المركز فى فلك الشمس وفى الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفى الكرة القمر مركوز كمسمار فى كرة مغرق فيها ويسمى الفلك الفوقانى الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتانى الذى فيه الفلك الحامل المائل والكرة التى فى الحامل تسمى فلك التدوير (وآية لهم) أى لاهل مكة على قدرتنا على البعث (أنا حملنا ذريتهم) وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم على الجمع أى أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم

الذين يستصحبونهم (في الفلك المشحون) أي المملوء ومع ذلك نجاه الله من الغرق وقال علي بن أبي طالب حمل الله تعالى النطف في بطون النساء فالبطون تشبيه بالفلك المشحون (وخلقنا لهم من مثله) أي مما يماثل الفلك (ما يركبون) في البر من الابل ونحوها وفي البحر من الزوارق ونحوها (وان نشأ نغرقهم) مع ركوبهم في الفلك ونحوه (فلا صريخ لهم) أي فلا مغيث لهم من الغرق (ولا هم ينقذون) أي ولا ينجون من الغرق بعد وقوعه (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) فالانقاذ ينقسم الى قسمين اما أن ينقذه الله لرحمة منه فمن علم الله منه انه يؤمن أو ينقذه للتمتيع باللذات زمانا الى انقضاء أجله وليزداد اثما فمن علم الله انه لا يؤمن فالانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال في الدنيا لابد منه (واذا قيل لهم) أي لاهل مكة بطريق الانذار (اتقوا ما بين أيديكم) أي ما أمامكم من أمر الآخرة فانهم مستقبلون لها (وما خلفكم) من أمر الدنيا فانهم تاركون لها (لعلكم ترحمون) أي راجين أن ترحموا فان الله لا يجب عليه شيء اعرضوا حسب ما اعتادوه ويقال اتقوا ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل الغرق والحرق وغيرهما وما خلفكم من الموت الطالب لكم فانكم ان نجوتم من هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه (وما تأتيهم) أي كفار مكة (من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها) أي تلك الآية (معرضين) على وجه التكذيب والاستهزاء فلا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى من آية فمن زائدة وقوله من آيات ربهم تبعيضية وقوله الا كانوا الخ جملة حالية (واذا قيل لهم) بطريق النصيحة (أنفقوا مما رزقكم الله) أي بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) حيث تأمروننا بما يخالف مشيئته تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة من قريش اذا أمروا بالتصدق على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون من المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيئته يقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعز ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب استهزاء بالمؤمنين وما كانوا يقولون بتعليق الامور بمشيئة الله تعالى وقيل ان المؤمنين لما قالوا لكفار قريش انفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم انه لله تعالى وهو ما جعلوه لله من حرثهم وانعامهم قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه لكنا نتظره تعالى لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم بما نرى من فقرهم فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه (ويقولون) أي كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (متى هذا الوعد) بقيام الساعة (ان كنتم صادقين) فيما تعدوننا به منه قال الله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة) أي ما ينتظر قومك اذ كذبوك الا النفخة الاولى المميتة (تأخذهم وهم يخصمون) أي يتخاصمون في السوق قرأه حمزة بسكون الخاء وكسر الصاد والمعنى يخصم بعضهم بعضا والباقون بحركة الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصمون فأدغمت التاء في الصاد بعد قلبها صادا فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحة الصاد الى الساكن قبلها نقلا كاملا وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا أولهما لان الساكن اذا حرك حرك بالكسر (فلا يستطيعون توصية) في شيء من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم (ولا الى أهلهم يرجعون) ان كانوا خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا وقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو

يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ونفخ فى الصور) أى وينفخ فى القرن النفخة الثانية بينها وبين الاولى أربعون سنة (فاذاهم من الاجداث الى ربهم) أى الى مالك أمرهم (ينسلون) أى يخرجون بسرعة بطريق الاجبار دون الاختيار (قالوا) أى الكفار بعدما خرجوا من القبور (ياويلنا) أى ياهلاكنا احضر فهذا أوانك (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا وقرأ ابن عباس والضحاك وغيرهما من بعثنا على انها جار ومجرور متعلق بويل وقرئ من هبنا بمن الجارة والمصدر (هذا ماوعد الرحمن) أى هذا البعث ماوعدنا به الرحمن (وصدق المرسلون) أى صدقونا فيه وقيل الوقف على هذا بجعله بدلا من مرقدنا وجعل ماوعد الرحمن خبر مبتدا محذوف أى هو ماوعدنا الرحمن به فى الدنيا من البعث وعلى ذلك التفسير فهذا الخ من كلام الكافرين حيث يتذكرون ماسمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم أو يجيب بعضهم بعضا وقيل قالت لهم الحفظة تذكيرا لكفرهم هذا ماوعد الرحمن على ألسنة الرسل فى الدنيا وصدق المرسلون فيما أخبروكم به من البعث بعد الموت (ان كانت) أى ما كانت نفخة البعث (الاصيحة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل فى الصور (فاذاهم جميع لدينا) أى مجموع عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لاتظلم نفس شيأ) أى لاينقص من حسنات أحد ولا يزاد على سيئات أحد (ولاتجزون) فى الآخرة (الا ما كنتم تعملون) أى الا بسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا (ان أصحاب الجنة) أى أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (فى شغل) أى شأن يشغلهم عما سواه (فاكهون) أى متلذذون فى النعمة كالتزاور وضيافة الله وافتضاض الابكار وضرب الاوتار وسماعه (هم وأزواجهم فى ظلال) يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد (على الارائك) أى السرر المزينة بالثياب والستور التى هى داخل الحجال (متكئون) أى جالسون مع التمكن أو الميل على شق وفى هذا اشارة الى الفراغ (لهم فيها) أى الجنة (فاكهة) كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم) فيها (مايدعون) أى يشتهون وقال الزجاج أى مايدعوا به أهل الجنة يأتيهم وعلى هذا فيكون الافتعال بمعنى الفعل ويعضده القراءة بسكون الدال (سلام قولا من رب رحيم) أى سلام عليهم أخص قولا من رب رحيم وعلى هذا فيكون حكاية لماسيقال لهم من جهته تعالى يومئذ كما فى قوله تعالى وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عزوجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى ويقال للمشركين انفردوا اليوم أيها المجرمون عن المؤمنين حين يسار بهم الى الجنة اذ لادواء لألمكم ولاشفاء لسقمكم (ألم أعهد اليكم) أى ألم أوص اليكم (يابنى آدم) على لسان رسلى (أن لاتعبدوا الشيطان) أى لا تطيعوه (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة فاذا جاءك شخص يأمرك بشئ فانظر اما أن يكون ذلك موافقا لامر الله أولا فان لم يكن موافقا له فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فان أطعته فقد عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل فانظر أهو مأذون فيه من جهة الشرع أولا فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هى الشيطان أو معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أولا بمخالفة الله ظاهرا فمن أطاعه فقد عبده ومن لم يطعه فيقول له اعبد الله كى لاتهان وليرتفع شأنك عند

الناس وينتفع بك اخوانك فان أجاب اليه فقد عبده (وأن اعبدونى) أى أطيعونى موحدين بى (هذا) أى التوحيد (صراط مستقيم) أى طريق قريب آمن فاسلكوه وفى ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مار فى الدنيا لامقيم فيها (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى وبالله لقد أضل الشيطان منكم يابنى آدم خلقا كثيرا قبلكم عن ذلك الصراط المستقيم الذى أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لاجل ذلك ماأصابهم من العقوبات الهائلة (أفلم تكونوا تعقلون) أى أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم أو أفلم تكونوا تعلمون ماصنع الشيطان بهم وقرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضمهما واللام مخففة (هذه جهنم التى كنتم توعدون) أى كنتم توعدون بها فى الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان وبهذا يخاطب الكفار بعد تمام التوبيخ عند اشرافهم على شفير جهنم (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أى ادخلوا جهنم من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أى يعملون من الشر روى انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون ينكرون كفرهم فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم الله على أفواههم وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيقرون بذنوبهم ولا يقدرون على الانكار فكل عضو ينطق بما صدر منه فشهادتهم هو اقرارهم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أى ولو نشاء ان نطمس على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة بحيث لايبدو لها جفن ولا شق (فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) أى فلو أرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لا يقدرون عليه ولو أردنا فى قدرتنا ازالة نعمة البصر عنهم فيصيروا عميا لا يقدرون على التردد فى الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا وكرما لحقهم ان يشكروا عليها ولا يكفروا فهذا توبيخ لهم كمال توبيخ (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) وقرأ شعبة مكاناتهم على الجمع (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى ولو نشاء مسخهم لحولنا صورهم وأبطلنا قواهم فى منازلهم فلا يقدرون أن يبرحوا أماكنهم باقبال ولا ادبار ولا يرجعون الى الحال الاول وعن ابن عباس أى حولناهم قردة وخنازير وقيل أى حولناهم حجارة وعن قتادة أى لاقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى ومن نطل عمره اطالة كثيرة نقلبه فى خلق جسده وقواه الباطنية فكل منهما ينقلب حاله فيرجع من القوة الى الضعف حتى صار كأنه طفل وقرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف (أفلا يعقلون) أى أيرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهم العدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرأ نافع وابن ذكوان تعقلون بالخطاب (وما علمناه الشعر) أى وما علمنا محمدا الشعر وليس القرآن بشعر وهذا رد لما كانوا يقولون فى حقه صلى الله عليه وسلم من ان محمدا شاعر وما يقوله شعر (وما ينبغى له) أى وما كان الشعر يليق به صلى الله عليه وسلم ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا اللفظ لانه يقصد لفظا يصح به وزن الشعر أو قافيته فيحتاج الى التحيل لمعنى يأتى به لاجل ذلك اللفظ ولو صدر من النبى صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ وانما قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ

(ان هو الا ذكر) أى ما القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين (وقرآن) أى كتاب جامع للاحكام كلها
(مبين) أى ظاهر انه ليس من كلام البشر (لينذر) أى محمد كما يدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء على
الخطاب أو القرآن (من كان حيا) أى عاقلا منهما أو مؤمنا فى علم الله تعالى وتخصيص الانذار به لانه
المنتفع به (ويحق القول على الكافرين) أى ولتثبت كلمة العذاب على المصرين على الكفر أو وليثبت
القول فى الوحدانية والرسالة والحشر وسائر المسائل الدينية على كفار مكة فان فى القرآن ذكر الدلائل
التى تثبت بها المطالب (أولم يروا) أى ألم يتفكروا ولم يعلموه علما يقينا (أنا خلقنا لهم) أى لاجل
انتفاعهم (مما عملت أيدينا) أى مما عملناه بقدرتنا وارادتنا (أنعاما) هى الابل والبقر والغنم وهو
مفعول خلقنا (فهم لها مالكون) بتمليكنا اياهم لها بحيث يتصرفون فيها بوجوه التصرفات (وذللناها
لهم) أى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها (فمنها ركوبهم) أى
فبعض منها مركوبهم (ومنها يأكلون) أى وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أى الانعام
(منافع) غير المركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار والنسل والحرث عليها والحمل (ومشارب)
من ألبانها (أفلا يشكرون) أى أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها فيعبدونه (واتخذوا
من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أى وعبد كفار مكة من غير الله أصناما راجين أن ينصروهم من
عذاب الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم لهم جند محضرون)
أى والمشركون لآلهتهم بمنزلة الجند فهم قائمون بين أيديهم كالعبيد ويخدمونها ويغضبون لها فى الدنيا
أو المعنى وآلهتهم وهى الاصنام جند للعابدين محضرون معهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض ويقال
والمشركون جند لآلهتهم يشيعونها عند مساقها الى النار (فلا يحزنك) يا أشرف الخلق (قولهم) أى
تكذيبهم اياك وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى وهو لغة بنى تميم اما القراءة المشهورة التى هى بفتح
الياء وضم الزاى فهى لغة قريش (انا نعلم ما يسرون) من النفاق أو من العلم بك أو من العقائد الفاسدة
(وما يعلنون) من الشرك أو من الكفر بك أو من الافعال القبيحة أى انا نجازيهم بجميع جناياتهم
الخافية والبادية (أولم ير الانسان) أى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا (أنا خلقناه من نطفة)
قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم) أى ناطق بالباطل (مبين) أى مبين النطق فى نفى البعث (وضرب
لنا مثلا) أى أورد الانسان فى شأننا أمرا عجيبا وهو انكاره قدرتنا على احياء الموتى مع شهادة العقل
والنقل فى ذلك (ونسى خلقه) أى وترك الانسان ذكر بدء خلقه من المنى (قال من يحيى العظام
وهى رميم) أى بالية أشد البلاء بعيدة عن الحياة غاية البعد ونزلت هذه الآيات فى العاصى
ابن وائل كما نقل عن مجاهد أو فى أبى بن خلف كما قاله عكرمة والسدى أو فى عبد الله بن أبى كما نقل
عن ابن عباس أو أمية بن خلف كما حكاه ابن عساكر وروى ان جماعة من كفار قريش تكلموا
فقال لهم أبى بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاذهبن اليه
ولاخصمنه فأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال انك يا محمد تقول ان
الهك يحيى هذه العظام فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (قل) له يا أكرم الرسل
(يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى يحيى العظام من خلقها من العدم أول مرة من النطفة فكما خلق
الله الانسان ولم يكن شيأ مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيأ مذكورا (وهو بكل خلق عليم)
أى فيعلم الله أجزاء الاشخاص المتفتتة المتفرقة فى المشارق والمغارب والتى بعضها فى أبدان السباع

وبعضها

و بعضها فى جدران الرباع سواء كانت أجزاء أصلية أوفضلية للاكل أولا اكول فيعيده الله كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل ويجمعه وينفخ روحه (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) والموصول بدل من الموصول الاول أى الذى خلق لاجل منفعتكم نارا من المرخ والعفار فالمرخ شجر سريع القدح والعفار بفتح العين شجر تقدح منه النار فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى وهذا قول ابن عباس وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه) أى من الشجر الاخضر (توقدون) فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على اعادة الاجساد بعد دفنها (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى أليس الذى أنشأ العظام أول مرة وليس الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما يقدر على ان يخلق مثل الاناسى فى الصغر ثم أجاب الله نفسه بقوله (بلى) هو قادر على ذلك (وهو الخلاق العليم) أى وهو كامل القدرة وشامل العلم (انما أمره) أى شأنه (اذا أراد شيأ) من الاشياء (أن يقول له كن) أى ان يعلق بذلك الشئ قدرته تعالى (فيكون) أى فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وقرأ ابن عامر والكسائى بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) أى تنزه عن الشريك والعجز من فى قبضته مملكة كل شئ وخزائنه (واليه) لا الى غيره (ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم وقرأ زيد بن على بالبناء للفاعل

(سورة الصافات مكية وهى مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والصفات) أى والملائكة الناظمات لانفسها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة أو الصافات أقدامها فى السماء لاداء العبادات أو الباسطات أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد (صفا) بديعا (فالزاجرات) أى الملائكة التى تزجر السحاب أى يأتون بها من موضع الى موضع أو الزاجرات لبنى آدم عن المعاصى بالالهامات أو الزاجرات للشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء وعن استراق السمع (زجرا) بليغا (فالتاليات ذكرا) أى الملائكة التاليات الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد (ان الهكم) يا أهل مكة (لواحد) بلا شريك اذ لو لم يكن واحد لاختل هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة فكان غير حكيم (رب السموات والارض) أى مالكهما (وما بينهما) من الموجودات (ورب المشارق) أى مشارق الشمس فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها (انا زينا السماء الدنيا) أى القربى من أهل الارض (بزينة الكواكب) قرأ أبو بكر عن عاصم بتنوين زينة ونصب الكواكب أى بتزييننا الكواكب فى كونها مضيئة حسنة فى أنفسها وحمزة وحفص كذلك الا أنهما خفضا الكواكب بدل من زينة والباقون باضافة زينة الى الكواكب أى بتزيين ضوء الكواكب السماء وقرأ ابن عباس وابن مسعود بتنوين زينة ورفع الكواكب أى بزينة هى الكواكب أو بتزيين الكواكب

فالاول فى قوة البدل والثانى فى قوة المضاف للفاعل (وحفظا) عطف على زينة باعتبار المعنى أى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أى عال على الله خارج عن طاعته برمى الشهب (لايسمعون الى الملأ الاعلى) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم أى كى لا يتطلب الشياطين السماع الى كلام أشراف الملائكة والباقون بسكون السين (ويقذفون) أى يرمون بالشهب (من كل جانب) أى من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) أى للطرد (ولهم عذاب واصب) أى دائم بالشهب فى الدنيا الى النفخة الاولى وبالنار فى الآخرة (الامن خطف الخطفة) ومن فى محل رفع بدل من الواو فى لا يسمعون أى لايسمع الشياطين الا الشيطان الذى اختلس الكلمة من كلام الملائكة على وجه المسارقة (فأتبعه شهاب ثاقب) أى لحقه شهاب مضىء يحرقه أو يخبله أو يقتله (فاستفتهم) أى سل يا أشرف الخلق هؤلاء المنكرين للبعث من مشركى مكة (أهم أشد خلقا) أى أصعب خلقا وأشق ايجادا (أم من خلقنا) أى أم التى خلقناها من هذه الاشياء أصعب وهى السموات والارض ومابينهما والمشارق والمغارب والشياطين الذين يصعدون الفلك والملائكة والكواكب والشهب الثواقب (انا خلقناهم) أى كل انسان (من طين لازب) أى لاصق لشدة اختلاط بعضه ببعض فان الحيوان انما يتولد من المنى وهو يتولد من الغذاء ثم النبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب (بل عجبت ويسخرون) أى بل عجبت يا أشرف الرسل من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك ومن تقريرك للبعث فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى وقرأ حمزة والكسائى عجبت بضم التاء وهو قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى بن وثاب والاعمش والمعنى عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله وممن كثرت مخلوقاته وكملت قدرته ويسخروا ممن جوز البعث وقال بعض الائمة معنى قوله بل عجبت بالضم بل جازيتهم على عجبهم أى ان هؤلاء المنكرين أقروا بأن الله تعالى قادر على تكوين أشياء أصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد تقرر فى صرائح العقول أن القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ومع قيام هذه الحجة البديهية بقى هؤلاء القوم مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا فى موضع التعجب الشديد (واذا ذكروا) أى اذا وعظوا بشىء من المواعظ (لايذكرون) أى لايتعظون ولا ينتفعون بذكر دلائل صحة البعث لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أى معجزة تدل على صدق القائل بالبعث كانشقاق القمر (يستسخرون) أى يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) أى ماهذا الذى يرونه (الاسحر مبين) أى ظاهر سحريته أى ان الرسول أثبت جهة رسالته بالمعجزات ثم قال لما ثبت بهذه المعجزة كونى رسولا من عند الله صادقا فأنا أخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم ان هؤلاء المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق أيضا لانهم اذا رأوا معجزة باهرة حملوها على كونها سحرا واستهزؤا منها (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولين) وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو وعلى انها معطوفة على الضمير فى مبعوثون والباقون بفتحها على انها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف فالمعنى أوتبعث آباؤنا ويقال أوآباؤنا الاولون مبعوثون أيضا أى ان القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت أجزاؤه فى العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا فى هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يستسخرون ممن سلك هذا المذهب الحق (قل) لهم تبكيتا (نعم وأنتم داخرون) أى

نعم

نعم تبعثون أنتم وآباؤكم الاولون حال كونكم وهم ذليلين حقيرين (فانما هي زجرة واحدة) أى لا تستبعدوا البعث لانه انما هي صيحة واحدة (فاذا هم) أى الخلائق قائمون من مراقدهم أحياء (ينظرون) أى يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أى الكفار اذا قاموا من القبور (ياويلنا) أى ياهلاك كنا أحضر فهذا أوان حضورك (هذا يوم الدين) أى هذا اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا (هذا يوم الفصل) أى يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين (الذى كنتم) فى الدنيا (به) أى بهذا اليوم (تكذبون) والوقف على ويلنا تام ان جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة جوابا لهم فالمعنى هذا يوم جزاء الاعمال وان جعل من كلام الكفار لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون ويجزون بأعمالهم قالوا فالوقف التام على يوم الدين لان هذا يوم الفصل الى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ وقيل هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة (احشروا الذين ظلموا) أى رؤساء الكفار من مقامهم الى الموقف (وأزواجهم) أى أحزابهم ونظراءهم من الكفرة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى من غيره من الاصنام ونحوها (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أى سوقوهم الى طريق جهنم (وقفوهم) أى احبسوهم فى الموقف أو على النار (انهم مسؤلون) عن عقائدهم وأعمالهم وقيل المراد سؤال خزنة النار بنحو قولهم ألم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة أى قفوهم لاجل سؤال الله اياهم وتقول لهم خزنة جهنم (مالكم لا تناصرون) أى أى شئ لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم فى الدنيا كما قاله ابن عباس وذلك لان أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم يوم القيامة مالكم غير متناصرين كما كنتم تزعمون فى الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) أى منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم فى دفع تلك المضار (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يتخاصمون يقول الاتباع غررتمونا ويقول الرؤساء لم قبلتم منا (قالوا) أى الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) أى عن القوة والقهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال أو عن الحلف فان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم (قالوا) أى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من قهر والمعنى فلا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أى ضالين فى معصية الله تعالى (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) أى فثبت وعيد ربنا انا لذائقوا العذاب والمعنى ان الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا فى العذاب فلو لم يحصل وقوعنا فى العذاب لما كان خبر الله حقا ولما كان خبر الله أمرا ثابتا كان الوقوع فى العذاب الاليم لازما ولما حق علينا وعيد ربنا وجب ان نكون ذائقين لهذا العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أى انا انما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين فى أنفسنا بالغواية فلا لوم علينا (فانهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ) أى يوم القيامة (فى العذاب) أى فى وقوعهم فى العذاب (مشتركون) كما كانوا فى الدنيا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) أى كما نفعل بعبدة الاوثان (نفعل بالمجرمين) أى المشركين غير هؤلاء كالنصارى واليهود (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى عبدة الاوثان كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يتعاظمون عن النطق بكلمة التوحيد وعلى من يدعوهم اليها (ويقولون) فى تكذيب النبوة (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أى أئنا التاركوا عبادة آلهتنا

العطش الشديد يسقوا من الماء الحار فحينئذ يخلط الزقوم بماء حميم فيقطع امعاءهم نعوذ بالله من ذلك (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) فان الزقوم والحميم ضيافة تقدم اليهم قبل دخولها وقرئ ان مصيرهم ان منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أى انهم وجدوهم ضالين فى نفس الامر (فهم على آثارهم يهرعون) أى فهم يتبعون آباءهم على دينهم اتباعا فى سرعة من غير تدبر أى انما استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين وترك اتباع الدليل (ولقد ضل قبلهم) أى قبل قريش (أكثر الاولين) من الامم السالفة (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء أولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما عليهم فلم يؤمنوا بهم وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فى كفر قومه وتكذيبهم له ليكون له أسوة عن تقدم من الرسل ليصبر كما صبروا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) والمقصود من هذا الخطاب خطاب الكفار وان كان فى الظاهر خطابا مع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل وبكسرها أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وهذا استثناء من قوله تعالى كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت أقبح العواقب فانا أهلكناهم الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة لانا لم نهلكهم أو استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين الا عباد الله المخلصين أى فانهم لم يضلوا لانهم لم يكذبوا رسلهم (ولقد نادانا نوح) فى أن ننجيه من الغرق أو فى ايذاء قومه وقصدهم لقتله (فلنعم المجيبون) أى فوالله لنعم المجيبون نحن (ونجيناه) أى نوحا (وأهله من الكرب العظيم) أى الحاصل بسبب الخوف من الغرق أو الحاصل من أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاث بنين سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو الحبش والبربر والسند ويافث أبو الترك والتتار ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين) أى وتركنا على نوح فى الباقين بعده من الامم هذه الكلمة وهى سلام على نوح فى العالمين أى يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا على الدوام أى أثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين فيسلمون عليه بكليتهم (انا كذلك نجزى المحسنين) أى انا مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان (انه من عبادنا المؤمنين) والمقصود من هذا بيان ان أعظم الدرجات الايمان بالله والانقياد لطاعته (ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه أجمعين (وان من شيعته) أى ممن تابعه فى أصول الدين (لابراهيم) وان اختلف فروع شرائعهما وما كان بينهما الانبياء هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى اذ أقبل ابراهيم الى طاعة ربه بقلب خالص من كل عيب وقال الاصوليون المراد أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس المعاصى فيكون سليما عن الشرك والغش والحقد والحسد وعن ابن عباس أنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه (اذ قال لابيه وقومه) ظرف لجاء أو لسليم وأما العامل فى اذ الاولى فهو ما دل عليه قوله تعالى وان من شيعته من معنى المتابعة (ماذا تعبدون) أى أى شئ تعبدونه (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتعبدون آلهة من غير الله لاجل الكذب (فما ظنكم برب العالمين) انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له فى المعبودية أو انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له فى العبودية (فنظر نظرة فى النجوم) أى فى علم النجوم وأراد أن يتخلف عنهم فى عيد يخرجون اليه ليبقى خاليا فى بيت الاصنام فيقدر على كسرها

ليلزمهم

ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان قومه يتعاملون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاملون به ليتركوه ويعذروه فى التخلف عنهم (فقال انى سقيم) أى سأسقم سقم الموت لان من كتب الله عليه الموت سيقم فى الغالب ثم يموت كما قاله الضحاك أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم الاصنام وذلك تورية ليتركوه وقيل انه نظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمى وأشار لهم الى مرض يعدى كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون (فتولوا عنه مدبرين) أى فارين مخافة العدوى وتركوه وعذروه فى أن لايخرج اليوم ذاهبين الى عيدهم فكان ذلك مراده وكانوا فى قرية بين الكوفة والبصرة يقال لها هرمز (فراغ الى آلهتهم) أى ذهب الى الاصنام فى خفية (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) أى من الطعام الذى كانوا يصنعونه عندها للتبرك عليه (ما لكم لا تنطقون) بجواب كلامى (فراغ عليهم ضربا باليمين) أى أقبل عليهم مستخفيا ضاربا ضربا شديدا قويا (فأقبلوا اليه يزفون) أى انهم لما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام وجدوها مكسرة فسألوا عن المكسر فظنوا أنه ابراهيم عليه السلام فأتوا به يسرعون المشى وقرأ حمزة يزفون بضم الياء أى يحملون غيرهم على الاسراع فى المشى (قال) لهم ابراهيم أى بعد أن أتوا به عليه السلام وعاتبوه على كسر الاصنام (أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم من العيدان والحجارة (والله خلقكم وما تعملون) أى والحال ان الله تعالى خلقكم وخلق معمولكم فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) أى فى النار الشديدة الاتقاد قال ابن عباس بنوا حائطا من حجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا فطرحوا سيدنا ابراهيم فيها (فأرادوا به كيدا) أى شرا حرقا بالنار (فجعلناهم الاسفلين) أى الاذلين بابطال كيدهم بجعل النار عليه بردا وسلاما أى ان ابراهيم عليه السلام فى وقت المحاجة حصلت الغلبة له وعندما ألقوه فى النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم (وقال) ابراهيم لما انقضت هذه الواقعة (انى ذاهب الى ربى) أى الى مواضع دين ربى وهى أرض الشام فالمراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار (سيهدين) الى ما فيه صلاح دينى فلما هاجر الى الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى ولدا من المرسلين فاستجبنا له (فبشرناه) على لسان الملائكة (بغلام) أى بولد ذكر (حليم) أى ذى حلم كثير وهو اسمعيل عليه السلام (فلما بلغ معه السعى) أى فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه فى أشغاله وحوائجه (قال) ابراهيم لاسمعيل عليهما السلام (يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك) أى انى أرى فى المنام ما يوجب أن يذبحك فى اليقظة روى أن ابراهيم رأى ليلة التروية فى منامه كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) بفتح التاء والراء أى أى شئ تشير الى برأيك وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء وكسر الراء أى أى الذى ترى من نفسك الصبر والتسليم وقرئ مبنيا للمفعول أى ماذا تظن ذلك الرؤيا (قال) أى ذلك الغلام (يا أبت افعل ما تؤمر) أى ما أمرت به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على قضاء الله وعلى الذبح (فلما أسلما) أى انقادا لامر الله تعالى واتفقا وقال قتادة أسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه (وتله للجبين) أى أضجعه على جنبه وجواب لما محذوف أى نادته الملائكة من الجبل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حكى ان ابراهيم لما أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق

بنا الى الشعب محتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر به فقال يا أبت أشدد رباطي كي لا أضطرب واكفف عني ثيابك كي لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيأ فقال الابن كبني على وجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فعند ذلك نودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فذلك قوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم) فان مفسرة (قد صدقت الرؤيا) أي قد أتيت ما أمرت به في المنام وقد حصل المقصود من تلك الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) أي كما جزينا ابراهيم وابنه بتفريج الكرب نجزي كل محسن بامتثال الامر (ان هذا) أي الذبح (لهو البلاء المبين) أي لهو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها (وفديناه بذبح عظيم) أي وفدينا اسمعيل بكبش سمين اسمه جرير وهو الكبش الذي تقرب به هابيل الى الله تعالى فقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه ثم اعتنق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي وروي أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي ذلك سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم فالله هو المعطي له والآمر به (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) أي وتركنا على ابراهيم في الباقين من الامم هذه الكلمة والمعنى أثبت الله التسليم على ابراهيم وأدامه في الآخرين فيسلمون عليه أي يدعون له بثبوت هذه التحية (كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ذكره الجميل فيما بين الامم نجزي المحسنين بالثناء الحسن (انه) أي ابراهيم (من عبادنا المؤمنين) أي الراسخين في الايمان (وبشرناه) أي ابراهيم (باسحق نبيا من الصالحين) أي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين فالصلاح غاية للنبوة (وباركنا عليه وعلى اسحق) أي أبقينا الثناء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة وأخرجنا جميع أنبياء بني اسرائيل من صلب اسحق (ومن ذريتهما محسن) بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) أي ظاهر ظلمه (ولقد مننا على موسى وهرون) أي أنعمنا عليهما بمنافع الدنيا كالحياة والعقل والصحة وبمنافع الدين كالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق الذي أغرق الله به فرعون وقومه ومن ايذاء فرعون (ونصرناهم) على فرعون وقومه (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم بظهور الحجة ثم بالرفعة (وآتيناهما الكتاب المستبين) أي البليغ في البيان وهو التوراة فانه كتاب مشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وأمددناهما بالتوفيق والعصمة (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون) أي وتركنا عليهما في أمة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون أي دعاءهم لهما بثبوت هذه التحية (انا كذلك) أي مثل الجزاء الكامل (نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) وهذا تنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان أعلى من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل المرسلين بكونهم من المؤمنين (وان الياس لمن

المرسلين)

المرسلين) وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى عليهم السلام وهو نبي من أنبياء بني اسرائيل قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع عليهما السلام (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أي أتعبدون بعلا وهو اسم صنم لاهل بلد قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكانوا عظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وببعلبك سميت مدينتهم (وتذرون أحسن الخالقين) أي وتتركون عبادة أعظم المصورين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستئناف (فكذبوه) أي الياس (فانهم) بسبب تكذيبهم (لمحضرون) النار غدا (الا عباد الله المخلصين) في التوحيد والعبادة وهذا استثناء من الواو في فكذبوه (وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين) أي وتركنا عليه في الآخرين دعاءهم له بثبوت التسليم قرأ نافع وابن عامر ويعقوب بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام على اضافة لفظ آل الى لفظ ياسين والمراد به الياس بن ياسين كأن الياس آل ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام كما يقال ميكال وميكائيل وميكالين فكذا ههنا يقال الياس وال ياسين كذا قال الزجاج (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) الى قومه (اذ نجيناه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (الا عجوزا في الغابرين) أي الا امرأته المنافقة تخلفت مع المتخلفين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا من بقي بعد لوط وابنتيه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أي على قريات قوم لوط سذوم وعمورا وصبوراو دادوما (مصبحين وبالليل) فان أهل مكة كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في أكثر الامر انما يمشي في الليل وفي أول النهار فلهذا السبب عين الله تعالى هذين الوقتين (أفلا تعقلون) أي أتشاهدون ذلك فليس فيكم عقول تعتبرون به وتخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) أي هرب من قومه بغير اذن ربه (الى الفلك المشحون) أي الى السفينة الموقرة (فساهم) أي قارع في السفينة (فكان من المدحضين) أي فصار من المغلوبين بالقرعة (فالتقمه الحوت) يقال له نجم (وهو مليم) أي مستحق اللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) أي كان يقول في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أو كان قبل أن التقمه الحوت من المصلين (للبث في بطنه) أي ذلك الحوت (الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء) أي أمرنا الحوت بلفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت قال جعفر بشاطئ دجلة وقيل بأرض اليمن حكاه ابن كثير روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا (وهو سقيم) أي مريض صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أي من قرع وخص الله القرع لانه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقي على الارض الواسعة لم يكن يتحمل الذباب قال مقاتل بن حيان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تتردد اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره (وأرسلناه) الى قوم بنينوى وهي قرية من أرض الموصل (الى مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أو بمعنى الواو وقد قرئ بالواو (فآمنوا) بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا (فمتعناهم) بالحياة الدنيا (الى حين) أي الى الوقت الذي جعله الله أجلا لكل واحد منهم أي ان أولئك القوم لما آمنوا أزال الله عنهم الخوف وأمنهم من العذاب (فاستفتهم) أي سل بعض

أجناس العرب ممن قالوا الملائكة بنات الله كبني مليح وبني سلمة وجهينة وخزاعة (ألربك البنات) اللاتي هن أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي بل أخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ (ألا انهم من افكهم) أي كذبهم (ليقولون ولد الله) فعل وفاعل حيث قالوا الملائكة بنات الله وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدا محذوف أي الملائكة ولد الله (وانهم لكاذبون) في مقالتهم ذلك كذبا بينا (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة وهي استفهام انكار وتقريع أي أأختار الله الاناث على الذكور (ما لكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا أخس الجنسين الى الله تعالى وأحسنهما اليهم فالاول استفهام انكار عما استقر لهم والثاني استفهام تعجب من هذا الحكم (أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون ذلك فلا تتعظون به (أم لكم سلطان مبين) أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي دل على صحة دعواكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (وجعلوا بينه) تعالى (وبين الجنة نسبا) أي ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الحر الكريم وابليس هو الشرير اللئيم ويقولون ابليس مع الله شريك فالله خالق الخير وابليس خالق الشر وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا شركاء لله في استحقاق العبادة لما عذبهم ثم نزه الله نفسه عما قالوا من الكذب فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يقولون من الكذب (الا عباد الله المخلصين) أي لكن عباد الله المخلصين لله بالاعتقاد والعبادة فانهم لا يكذبون على الله وينزهون الله تعالى عما يصفه به تعالى الكاذبون وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة مناسبة فهو عند الله مخلص من الشرك (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم) أي فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا أصحاب النار الذي سبق في علم الله كونهم من أهل النار فانهم يصرون على الكفر بسوء اختيارهم وهذا استثناء مفرغ وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص حذفت منه لام كلمته لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن بضم اللام وسقوط الواو لالتقاء الساكنين ومن موحد اللفظ مجموع المعنى (وما منا الا له مقام معلوم) أنزل الله تعالى هذه الآية حكاية عن قول الملائكة وهي حكاية لاعتراف الملائكة بالعبودة للرد على عبدتهم أي وما منا ملك الا له مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم (وانا لنحن الصافون) في أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا لنحن المسبحون) أي المنزهون لله تعالى عما لا يليق به تعالى (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين) أي ان مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الشاهد على كل الكتب وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة هذا الكفر والتكذيب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي وبالله لقد سبق وعدنا لهم وهو (انهم لهم المنصورون) بالحجة (وان جندنا) وهم اتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان أساس أمرهم النصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من المحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا

نصر وافى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وقرئ كلماتنا (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عن كفار مكة الى مدة يسيرة تؤمر فيها بجهادهم (وأبصرهم) ومايقضى عليهم من القتل والاسر فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة (فسوف يبصرون) مايقع عليهم من الامور (أفبعذابنا يستعجلون) روى انه لمانزل فسوف يبصرون قالوا على سبيل الاستهزاء متى هذا الموعود فنزل (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أى فاذا نزل العذاب بقربهم فبئس صباح المنذرين صباحهم روى ان رسول صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والصباح هو وقت نزول العذاب وان وقع ليلا وقرئ نزل بتشديد الزاى و بالبناء للمفعول (وتول عنهم حتى حين) أى اعرض عنهم الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أى يبصرونك مع ماقدر لك من النصرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وهذه كلمات محتوية على أقصى الدرجات فى معرفة الله العالم فلفظة سبحان تنزيهه عما لايليق بصفات الالهية والربوبية دالة على كمال الرحمة والحكمة والعزة اشارة الى كمال القدرة وهى دالة على انه تعالى قادر على جميع الحوادث ومنزه عن الشريك والنظير فى الالهية (وسلام على المرسلين) وهذا اللفظ يدل على انهم فى الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم فيجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والحمد لله رب العالمين) على نجاة الرسل وسلامة الحال بعد الموت فالله تعالى غنى رحيم والغنى الرحيم لايعذب

* (سورة ص ويقال لها سورة داود مكية وهى ست وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفا) *

(بسم الله الرحمن الرحيم ص) قيل انه مفتاح أسماء الله تعالى التى أولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد وقيل معناه صدق محمد فى كل ماأخبر به عن الله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف أو ذى البيان ففيه قصص الاولين والآخرين (بل الذين كفروا) من رؤساء قريش (فى عزة) أى استكبار وامتناع من متابعة الغير (وشقاق) أى اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليه التنبيه له من دواعى الايمان (كم أهلكنا من قبلهم) أى قريش (من قرن) أى أمة ماضية (فنادوا) بالاستغاثة عند نزول عذاب لينجوا من ذلك (ولات حين مناص) أى والحال انه ليس الحين حين منجا وغوثا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى وعجب قريش من ان جاءهم رسول من جنسهم وأنكروه أشد الانكار فقالوا ان محمدا مساو لنا فى الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالى (وقال الكافرون) أى المتوغلون فى الكفر (هذا) أى محمد (ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بأن نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا) أى القول بالوحدانية (لشئ عجاب) أى بليغ فى التعجب روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء فجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياابن أخى هؤلاء قومك يسألونك

السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم ماسألتم أتعطوني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا انعم فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يكفينا اله واحد في حوائجنا كما يقول محمد ان هذا الشيء عجاب وقرئ عجاب بالتشديد (وانطلق الملأ منهم) أي انطلق الرؤساء من قريش عتبة بن أبي معيط وأبو جهل والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن يغوث عن مجلس أبي طالب (أن امشوا) وقرأ ابن أبي عبلة بحذف أن أي قال بعضهم لبعض اذهبوا (وأصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشيء يراد) أي ان نفي آلهتنا الشيء يراد من جهة محمد ليستولي علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد أو ان الصبر على عبادة الالهة شيء يراد أن لا تنفك عنه (ما سمعنا بهذا) أي التوحيد (في الملة الآخرة) أي في ملة عيسى عليه السلام كما قاله ابن عباس ومحمد بن كعب أو في ملة قريش كما قاله مجاهد أي ما سمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد (ان هذا الا اختلاق) أي ما هذا الذي يقوله محمد الا اختلاق من عند نفسه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أي أأنزل على محمد القرآن ونحن رؤساء الناس واشرافهم فكيف يعقل أن يختص هو بهذه الدرجة العالية (بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب) أي انكار كفار مكة للقرآن ليس عن علم بل هم في شك منه وسببه انهم لم يذوقوا عذابي فانهم لو ذاقوه لا يقنوا بالقرآن وآمنوا به وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك من النبوة والكتاب فيعطونهما من شاؤا بمقتضى آرائهم والمعنى ان النبوة منصب عظيم عطية من الله تعالى فالقادر على هبتها يجب ان يكون كامل القدرة عظيم الجود فلم تتوقف هبته لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك بسبب ان أعداءه يحبونه أو يكرهونه فهو تعالى الغالب الذي لا يغلب وهو الوهاب فله أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتحكموا في التدابير الالهية التي ينفرد بها رب العزة (فليرتقوا في الاسباب) أي ان كان لهم ذلك الملك فليصعدوا في طرق السموات التي يتوصل بها الى العرش حتى يدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) وجند خبر مبتدأ محذوف وما مزيدة للتحقير أو صفة له وهنالك ظرف لمهزوم ومهزوم صفة ثانية لجند ومن الاحزاب صفة ثالثة لجند أي هم جند ضعيفون من المتحزبين على رسول الله سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه تلك الكلمات وذلك الموضع هو مكة وذلك الانهزام يوم فتح مكة فكيف يكونون مالكي السموات والارض وما بينهما ومن أين لهم التصرف في الامور الربانية (كذبت قبلهم) أي قبل قومك يا أكرم الرسل (قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) كان ينصب الخشب في الهواء وكان يمد يدي المعذب ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه في الهواء الى أن يموت وقال مجاهد كان يمد المعذب مستلقيا بين أربعة أوتاد في الارض يشد رجليه ويديه ورأسه على الارض بالاوتاد قال السدي ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيري الاهبة عظيمي النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة) أي الاشجار المجتمعة من قوم شعيب عليه السلام (أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على أنبيائهم عليهم السلام (ان كل الا كذب الرسل) أي ما كل

حزب منهم الا كذب الرسل كما كذبك قومك (فحق عقاب) أى فوقع على كل منهم عقابى فأهلك الله قوم نوح بالغرق والطوفان وقوم هود بالريح وفرعون مع قومه بالغرق وقوم صالح بالصيحة وقوم لوط بالخسف وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة) أى وما ينتظر كفار مكة ان كذبوك الا نفخة ثانية (مالها من فواق) أى من توقف وقرأ حمزة والكسائى بضم الفاء (وقالوا ربنا) بطريق الاستهزاء عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة (عجل لنا قطنا) أى حظنا من العذاب الذى توعدنا به (قبل يوم الحساب) ولا تؤخره الى يوم الحساب الذى مبدؤه النفخة الثانية وقيل انهم قالوا ذلك حين ذكر الله فى كتابه فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله فالمعنى عجل لنا صحيفة أعمالنا قبل يوم الحساب لننظر ما فيها ولنعمله وقيل لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا ذلك على سبيل السخرية فالمعنى عجل لنا نصيبنا من الجنة التى تقول فى الدنيا وذلك لانهم كانوا فى غاية الانكار للقول بالنشر والحشر ولما بالغوا فى السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة والوقف هنا تام (واذكر عبدنا داود ذا الايد) أى ذا القوة على أداء الطاعة وعلى الاحتراز عن المعاصى (انه أواب) أى رجاع فى أموره كلها الى طاعتنا (انا سخرنا الجبال معه) بطريق الاقتداء به فى عبادة الله تعالى (يسبحن بالعشى والاشراق) أى يقدسن الله تعالى بخلق الله تعالى فيها الكلام فكان داود يسبح عقب صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (والطير محشورة) أى وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس رضى الله عنهما كان داود اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون حاشرها هو الله وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) أى كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيح داود رجاع الى التسبيح أى كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته وبهذا اللفظ فهمنا دوام تلك الموافقة (وشددنا ملكه) بالهيبة وكثرة الجنود عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فاذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضى عنكم نبى الله وعن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا ادعى عند داود على رجل أخذ منه بقرة فأنكر المدعى عليه فقال داود للمدعى أقم البينة فلم يقمها فرأى داود فى منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فتأخر داود وقال هو منام فأتاه الوحى بعد ذلك فى اليقظة فأحضر المدعى عليه وأعلمه ان الله أمره بقتله فقال صدق الله انى كنت قتلت أبا هذا الرجل غيلة فقتله داود فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب فهذه الواقعة شددت ملكه (وآتيناه الحكمة) أى النبوة وكمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل (وهل أتاك نبأ الخصم) أى خبر خصم داود (اذ تسوروا المحراب) أى اذ أتوا البيت الذى كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه من أعلاه أى تصعدوا حائطه المرتفع (اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) روى ان جماعة من الاعداء طمعوا فى ان يقتلوا نبى الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذبا فقالوا خصمان أى نحن فريقان الى آخر القصة فعلم عليه السلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم (بغى بعضنا) أى تطاول (على بعض) جئناك لتقضى بيننا (فاحكم بيننا بالحق) أى بالامر الذى يطابق الحق (ولا تشطط) أى لا تجر فى الحكومة (واهدنا الى سواء

الصراط) أى دلنا الى وسط طريق الحق (ان هذا أخى) فى الدين أو فى الصحبة (له تسع وتسعون نعجة) أى انثى من الضأن (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أى اجعلنى أكفلها كما أكفل ماتحت يدى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى الكلام بان جاء بحجاج لم أقدر على رده وقرئ وعازنى أى غالبنى (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى والله لقد ظلمك أخوك بسؤال اضافة نعجتك الى نعاجه (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى بعضهم) أى ليتعدى (على بعض) فلم يراع لحق الصحبة والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يتحامون عن الظلم (وقليل ماهم) أى وهم قليل وما مزيدة للتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) وما كافة زائدة أى وظن داود انا فتناه بهذه الواقعة لانها جارية مجرى الامتحان فتنبه عليه السلام لذلك (فاستغفر ربه) عما هم به من الانتقام منهم وقيل ان دخولهم على داود كان فتنة له الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله وقيل ان أوريا كان قد خطب المرأة فأجابوه ثم خاطبها داود فى حال غيبة أوريا فى غزاته فزوجت نفسها منه عليه السلام لجلالته وعلى هذا فعنى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى فى خطبة المرأة وقيل كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق امرأته حتى يتزوجها اذا أعجبته وكان داود عليه السلام مازاد على قوله لاوريا انزل لى عن امرأتك وذلك انه وقع بصره على تلك المرأة من غير قصد فأحبها ومال قلبه اليها فسأل زوجها النزول عنها فاستحيا ان يرده عليه السلام ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين الناس غير مخل بالمروءة وعلى هذا فعنى أكفلنيها انزل لى عن تلك النعجة الواحدة واعطنيها فعوتب داود بشيئين أحدهما خطبته على خطبة أخيه المؤمن والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وهذا وان كان جائزا فى الشريعة الا انه لا يليق بجنابه عليه السلام فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام عما نسب اليه من الكبائر وانما يلزم فى حقه ترك الافضل والاولى والله أعلم وكان داود استغفر ربه منه (وخر راكعا) أى سقط داود للسجود مصليا فكانه أحرم بركعتى الاستغفار (وأناب) أى أقبل الى الله تعالى بالتوبة وروى انه عليه الصلاة والسلام بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب منه الى رأسه ولا يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه قال الحسن وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسار واذا ذكر رحمة الله تراجعت (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) أى لقربة فى الدرجات بعد المغفرة (وحسن مآب) أى حسن مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى نبيا ملكا على بنى اسرائيل نافذ الحكم عليهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقية الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه اما اذا كانت أحكام

السلطان القاهر على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه وذلك يفضي الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك الملك (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) أي ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وهو يوجب سوء العذاب لان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانية وهو يمنع من الاشتغال في طلب السعادات الروحانية (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أي عن الايمان بالله وعن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بنسيانهم يوم الحساب أي بتركهم الايمان بذلك اليوم وتركهم العمل لذلك اليوم (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) أي عبثا جزافا بلا أمر ولا نهي وهذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا للاعمال لانها حاصلة بين السماء والارض فوجب أن يكون الله تعالى خالقا لها وهذه الآية تدل أيضا على الحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه تعالى خلقهم لا للانفاع ولا للاضرار فهذا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين أو للاضرار فهذا باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم أو للانفاع وذلك اما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة فان كان الانفاع في حياة الدنيا فهو باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للمنفعة القليلة لا يليق بالحكمة فثبت القول بوجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وكل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى في خلق السماء والارض وهذا هو المراد من قوله تعالى (ذلك) أي خلق ما ذكر لا لاجل الامر والنهي ولا لاجل الثواب والعقاب (ظن الذين كفروا) بأمر البعث والجزاء (فويل للذين كفروا من النار) أي فشدة العذاب للذين كفروا بالبعث بعد الموت بسبب النار المترتبة على ظنهم ان لا بعث ولا حساب وذلك نفي لحكمة الله تعالى في خلق السماء والارض وفي أمره تعالى ونهيه (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) أي بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث والجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى أعلا عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين (أم نجعل المتقين كالفجار) أي بل أنجعل أتقياء المؤمنين كعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث كأشقياء الكفرة كعتبة وشيبة أبناء ربيعة والوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة فقتل علي الوليد ابن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة بن ربيعة قيل نزلت هذه الآية لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير مثل ما تعطون وتقرير هذه الآية انا نرى في الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد كان حال المطيع أدون من حال العاصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى (كتاب) أي هذا قرآن (أنزلناه اليك) صفة لكتاب (مبارك) أي كثير المنافع الدينية والدنيوية خبر لمبتدا مضمر وقرئ مباركا على الحال اللازمة لان البركة تفارقه (ليدبروا آياته) أي ليتفكروا في معانيها اللطيفة وفي أسرارها العجيبة (وليتذكر أولوا الالباب) أي وليتعظ به ذوو العقول السليمة فان من لم يتدبر ولم

يساعده التوفيق الالهي لم يقف على الاسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم (ووهبنا لداود سليمان) من المرأة التي أخذها من أوريا (نعم العبد) أى سليمان (انه) أى سليمان (أوّاب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة مقبل الى طاعة الله (اذ عرض عليه بالعشى) أى بعد الظهر (الصافنات) أى الخيل التي تقوم على طرف سنبك يد أو رجل (الجياد) أى سراع الجرى وعن ابراهيم التيمى انها عشرون ألف فرس (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى انى ألزمت حب الخيل لاجل كتاب ربى وهو التوراة فان معنى الخير هو المال الكثير والمراد به هنا الخيل (حتى توارت بالحجاب) أى استترت الصافنات عن النظر (ردوها) أى الصافنات (على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) أى فردوها عليه فأخذ سليمان عليه السلام يمسح سوقها وأعناقها وذلك ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم انه عليه السلام أمر بتسييرها حتى غابت عن بصره وهو معنى قوله حتى توارت بالحجاب ثم انه أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه شرع يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو ولانه أراد ان يظهر انه يتضع حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وانه يضبط السياسة والملك ولانه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيهما ما يدل على المرض (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجئ به على كرسيه فوضع في حجره فوالذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه حين عرض عليه وهى محنته وقيل ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله وقيل انه أصابه مرض شديد فصار يجلس على كرسيه وهو مريض وفتنته هو مرضه ولشدة المرض ألقاه الله على كرسيه والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ولما توفى سليمان بعث بخت نصر فأخذ الكرسى فحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه فاذا وضع رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا صعد وضع قدميه جميعا ومات بخت نصر وحمل الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه (ثم أناب) أى رجع الى حال الصحة أو تاب من خطئه (قال رب اغفر لى) أى ما صدر عنى من الزلة وهو ترك الافضل والاولى لان حسنات الابرار سيئات المقربين وطلب المغفرة دأب الانبياء والصالحين هضما للنفس واظهارا للذل والخشوع وطلبا للترقى في المقامات (وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) أى غيرى بحيث لا يقدر أحد على معارضته ليكون معجزة لى لان شرط المعجزة ان لا يقدر أحد على معارضتها فكان المراد أقدرنى على أشياء لا يقدر عليها غيرى البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى (انك أنت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته (تجرى بأمره) اياها (رخاء) أى لينة في أثناء سيرها أما في أوله

فهي عاصفة (حيث أصاب) أي الى موضع قصده وأراده (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) يبنون له ماشاء من الابنية وهو بدل من الشياطين (وغواص) في قعر البحر فيستخرجون اللؤلؤ (وآخرين مقرنين في الاصفاد) أي مسلسلين في اغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انقلبوا (هذا) أي الملك (عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) لكثرته قال ابن عباس رضي الله عنهما اعط من شئت وامنع من شئت أي غير محاسب على منك وامساكك أي ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت من الامر الذي أعطيناكه وقيل المعنى هذا أي تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين فخل سبيلهم من الغل أو احبس من شئت في الغل من غير أن تحاسب وتأثم بذلك (وان له عندنا) في الآخرة (لزلفى) أي قربى عظيمة (وحسن مآب) وهو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) بن عيص بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه أني مسني الشيطان) اسمه معيط (بنصب) أي بلاء (وعذاب) أي وسوسة والقاء الخواطر الفاسدة روى ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله نعم عبدي أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال يارب انه قد امتنع على فسلطني على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال الشيطان يارب ان أيوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء اليه وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يارب أيوب لا يبالي بولده فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد أيوب فحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث في ذلك البلاء سنين حتى صار بحيث استقذره أهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وحين كان الألم على الجسد لم يذكر أيوب شيأ فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع ومن الوساوس ان الشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت ومنها انه كان يقنطه من ربه ويزين له ان يجزع فشق ذلك عليه عليه السلام فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فانه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أكثر فأجاب الله دعاءه وأوحى اليه بقوله تعالى (اركض) أي اضرب (برجلك) الارض فضرب بها فنبعت عين فقيل له (هذا مغتسل بارد) أي ماء تغتسل به فيبرأ ظاهرك (وشراب) أي وتشرب منه فيبرأ باطنك أي ان الله تعالى أظهر من تحت رجل أيوب عينا باردة طيبة فاغتسل وشرب منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله كما قال تعالى (ووهبنا له أهله) باحيائهم بعد هلاكهم كما قاله الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أي لاجل رحمة عظيمة عليه على سبيل الفضل منا لا على سبيل اللزوم (وذكرى لأولي الالباب) أي ولتذكير أصحاب العقول بحاله عليه السلام ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤا الى الله تعالى كما لجأ ليظفروا كما ظفر (وخذ بيدك) يا أيوب (ضغثا) أي قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة مختلطة الرطب باليابس (فاضرب به) امرأتك رحمة بنت يوسف الصديق لانه قد حلف ليضربنها مائة ضربة لانه لقيها ابليس في صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أداويه على أنه اذا برئ قال أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان كذا حكاه ابن عباس (ولا تحنث)

أى لاتأثم فى يمينك بترك ضربها ولقد شرع الله تعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك الصبر فانه لايسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه عليه السلام قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به ويروى أنه عليه السلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهننى ماملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أواب) أى مقبل الى طاعة الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار) أى أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فقوله تعالى أولى الايدى اشارة الى القوة العاملة فأشرف مايصدر عنها طاعة الله وقوله والابصار اشارة الى القوة العالمة فأشرف مايصدر عنها معرفة الله وماسوى هذين القسمين باطل وقرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) أى انا جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة وهى استغراقهم فى ذكر الدار الآخرة حتى نسوا الدنيا وقرأ نافع وهشام باضافة خالصة أى انا اختصصناهم باخلاصهم ذكر الآخرة وتناسيهم عند ذكرها ذكر الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) أى لمن المختارين من أبناء جنسهم المتسعلين عليهم فى الخير (واذكر اسمعيل واليسع) بن أخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ وهو ابن عم الياس واللام زائدة وقرأ حمزة والكسائى بتشديد اللام وسكون الياء (وذا الكفل) وهو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب (وكل) أى كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) أى وكلهم من المشهورين بالخيرية وهم أنبياء تحملوا الشدائد فى دين الله تعالى (هذا) أى ماتقدم من ذكر محاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وثناء جميل فى الدنيا (وان للمتقين لحسن مآب) أى مرجع فى الآخرة (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) منها لجنات عطف بيان ومفتحة حال منها وقرئتا مرفوعتين هى جنات عدن مفتحة (متكئين فيها) أى جالسين على السرر فى الحال ناعمين فى الجنة (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى يسألون فى الجنة بألوان الفاكهة وألوان الشراب (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) أى جوار حابسات العين على أزواجهن لاينظرن الى غيرهم (أتراب) أى مستويات فى السن والحسن (هذا) أى المذكور (ماتوعدون) فى الدنيا (ليوم الحساب) أى لاجل وقوعه فى يوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة (ان هذا) أى ماذكر من ألوان النعم (لرزقنا) أعطيناكموه (ماله من نفاد) أى فناء (هذا) أى الامر هذا المذكور (وان للطاغين) أى للكافرين (لشر مآب) أى مرجع فى الآخرة (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى المفرش (هذا) أى عذاب جهنم (فليذوقوه حميم وغساق) فالحميم ماء حار يحرقهم بحره والغساق ماء بارد منتن يحرقهم ببرده وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتشديد السين والوقف على فليذوقوه كاف ان جعل خبر لهذا أو جعل هذا مفعولا لفعل محذوف يفسره فليذوقوه ويكون حميم خبر مبتدا محذوف وان جعل هذا حميم مبتدأ وخبر ومابينهما اعتراض فالوقف على غساق وهو كاف (وآخر من شكله أزواج) أى ومذوق آخر من مثل هذا المذوق أجناس وقرأ أبو عمرو وأخر بضم الهمزة أى ومذوقات أخر من مثل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة أنواع مختلفة وآخر مبتدا وأزواج خبره قال خزنة جهنم لرؤساء الكفار فى اتباعهم اذا دخلوا

النار

النار (هذا فوج مقتحم معكم) أى هذا جمع كثيف قد دخل معكم النار كما كانوا قد دخلوا معكم فى الضلال فقال هؤلاء الرؤساء (لا مرحبا بهم) أى لا اتسعت منازلهم فى النار (انهم صالوا النار) أى داخلون فيها كما دخلنا فيها (قالوا) أى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم خطابا للرؤساء (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا وسع الله عليكم فى منازلكم فى النار أى ان الدعاء الذى دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به (أنتم قدمتموه لنا) أى أنتم قدمتم الطغيان الذى هذا العذاب جزاؤه فاقتدينا بكم (فبئس القرار) أى بئس المسكن لنا ولكم جهنم (قالوا) أى الاتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) أى يا ربنا من شرع لنا هذا الطغيان من الرؤساء فزده عذابا مضاعفا فى النار قال ابن مسعود والمراد بالضعف الحيات والافاعى (وقالوا) أى الطاغون (مالنا لا نرى رجالا) من فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الاشرار) أى يقول أبو جهل مالنا لا نرى فى النار عمارا او بلالا وصهيبا او خبابا كنا نعدهم من السفلة (اتخذناهم سخريا) قرأه نافع بضم السين (أم زاغت عنهم الابصار) وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر أتخذناهم بقطع الهمزة على الاستفهام للتوبيخ والتعجب فيوقف على الاشرار وهو كاف والمعنى ألاجل انا قد اتخذناهم سخريا فى الدنيا فأخطأنا فلم يدخلوا النار فلذلك لا نراهم أم لاجل انه زاغت عنهم أبصارنا ولم نعلم مكانهم وهم فيها وقرأ ابن كثير والاعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائى اتخذناهم بوصل الهمزة فلا يوقف على الاشرار لان اتخذناهم صفة أخرى لرجالا والمعنى مالنا لا نرى فى النار رجالا سخرناهم وحقرناهم فى الدنيا بل مالت أبصارنا عنهم فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أى الذى حكيناه عنهم (لحق) أى واجب وقوعه فلا بد وان يتكلموا به (تخاصم أهل النار) أى وهو كلام أهل النار فى النار بخصومة بعضهم مع بعض وقرئ تخاصم بالنصب على أنه بدل من ذلك (قل) يا أفضل الخلق لكفار مكة (انما أنا منذر) أى مخوف بعذاب الله لمن عصى (وما من اله) موجود (الا الله الواحد) الذى لا يقبل الشركة (القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما) أى خالقهما (العزيز) أى الغالب فلا يغلب فى أمر من الامور (الغفار) لمن تاب (قل هو) أى ما أنبأتكم به (نبأ عظيم) وارد من الله تعالى (أنتم عنه) أى عن ذلك النبأ (معرضون) أى تاركون له وهذه الجملة صفة ثانية (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) أى ما كان لى من علم بكلام الملائكة وقت اختصامهم فى أمر آدم عليه السلام (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى ما يوحى الى حال الملائكة الا كونى نذيرا مبينا أى أنا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحى وانما أوحى الله الى هذه القصة لانذركم بها ولتصير هذه القصة حاصلة لكم على الاخلاص فى الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا) أى آدم (من طين فاذا سويته) أى جمعت أجزاء بدنه وصورته بالصورة الانسانية (ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه الروح وهى عرض صار البدن بوجودها حيا وهى جوهر يسرى فى البدن سريان الضوء فى الفضاء وسريان النار فى الفحم (فقعوا له) أى أسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما لخلقه انسانا فسواه فجعل الروح فيه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أى فسجد الملائكة كلهم بطريق المعية لآدم بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد له ولم يتأخر فى ذلك السجود أحد منهم عن أحد (الا ابليس استكبر) أى تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى وصار ابليس من الكافرين بابائه عن أمر الله بعد ان كان مسلما عابدا فانه عبد الله ثمانين ألف عام (قال) الله له (يا ابليس) أى يا خبيث (ما منعك

أن تسجد لما خلقت بيدىّ) أى لما خلقته بقدرتى وارادتى من غير توسط أب وأم (أستكبرت) أى أتكبرت عن السجود لآدم من غير استحقاق (أم كنت من العالين) أى من المستحقين للتفوّق (قال) ابليس (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار تأكل الطين فلذلك لم أسجد له (قال) الله له (فاخرج منها) أى من الخلقة التى كنت عليها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) أى مطرود من كل خير (وان عليك لعنتى) أى سخطى (الى يوم الدين) أى يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) من القبور اى اذا جعلتنى رجيما فلا تمتنى الى يوم يبعث آدم وذريته من القبور للجزاء بعد فنائهم وأراد الخبيث بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم وأن لا يذوق الموت (قال) الله (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسؤل (قال) ابليس (فبعزتك) أى فأقسم بعزتك (لاغوينهم أجمعين) أى لاضلن ذرية آدم عن دينك بتزيين المعاصى لهم (الا عبادك منهم المخلصين) اى المعصومين من الغواية أو المخلصين قلوبهم وأعمالهم لله (قال) الله (فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة برفع الاول ونصب الثانى أى فأنا الحق أو فالحق قسمى ولا أقول الا الحق وقرأ الباقون بنصبهما ى فبالحق أى أقسم بالحق وقرئ بجرهما على أن الثانى حكاية لفظ المقسم به على أن معنى الحق نقيض الباطل وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (لاملأن جهنم منك) ومن جنسك من الشياطين (وممن تبعك) فى الغواية (منهم) أى من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه (قل) يا أشرف الرسل (ما أسألكم عليه) أى على هذه الدعوة (من أجر) أى دنيوى (وما أنا من المتكلفين) أى الحاملين للمشقة فى الشريعة على الناس أى ان هذا الذى أدعوكم اليه دين لا يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد العقل بصحته فانى أدعوكم أولا الى الاقرار بوجود الله ثم أدعوكم ثانيا الى تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى ثم أدعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه تعالى موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم أدعوكم رابعا الى الاقرار بكونه تعالى منزها عن الشركاء ثم أدعوكم خامسا الى الامتناع عن عبادة الاوثان ثم أدعوكم سادسا الى تعظيم الملائكة والانبياء ثم أدعوكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ثم أدعوكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه الاصول الثمانية هى الاصول المعتبرة فى دين الله تعالى وأوائل الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت انى لست من المتكلفين فى الشريعة التى ادعو الخلق اليها بل كل عقل سليم يشهد بصحتها وبعدها عن الفساد وهو المراد من قوله تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) أى ما هذا القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين كافة (ولتعلمن نبأه بعد حين) أى انكم ان أصررتم على الجهل والتقليد وأبيتم قبول هذه البيانات التى ذكرناها فى القرآن فستعلمون بعد الموت انكم كنتم مصيبين فى اعراضكم عنه أو مخطئين

(سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة احداهما الله نزل أحسن الحديث والاخرى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وهى خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وثمانية أحرف)

(بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى هذه السورة تنزيل الكتاب من الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى ملتبسا بكل مافيه حق لاريب فيه موجب للعمل به حتما (فاعبد الله مخلصا له الدين) أى فاعبده تعالى محضا له الدين من شوائب الشرك والرياء وقرأ ابن أبى عبلة برفع الدين على انه مبتدأ خبره الجار والمجرور وقبله (ألا لله الدين الخالص) أى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات الالوهية (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والموصول مبتدا وهو عبارة عن المشركين وخبره محذوف والوقف على زلفى كاف كما قاله أبو عمرو وقيل تم أى والمشركون الذين عبدوا من غير الله أربابا من الملائكة وعيسى وعزيرا والاصنام والشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله فى المنزلة (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم (ان الله لا يهدى) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب) فى وصفهم لغير الله بانه آلهة مستحقة للعبادة (كفار) لاعتقادهم فى غير الله بالالهية ولكفرانهم نعمة المنعم وهو الله تعالى فان العبادة نهاية التعظيم وهى لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو مليح (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ كل موجود سواه مخلوق له لكن اتخاذ الولد من خلقه باطل لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق ولان كونه منه يستلزم حدوث الخالق وهو ممتنع عقلا ونقلا (سبحانه) أى تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) أى ان كون الله الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا فى حقيقته وكونه واحدا فى حقيقته يمنع من ثبوت الولد له فثبت ان كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد ثم ان كونه تعالى قهارا يمنع من ثبوت الولد له فلان المحتاج الى الولد هو الذى يموت ويحتاج الى من يقوم مقامه لانه يكون مقهورا بالموت أما الذى يكون قاهرا لا يموت كان الولد فى حقه محالا وقوله هو الله الواحد القهار ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة فى نفى الولد عن الله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) أى ملتبسة بالصواب مشتملة على الحكم والمصالح (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى يغشى كل واحد منهما الآخر ويزيد كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر) أى جعلهما منقادين لامره تعالى (كل يجرى لاجل مسمى) أى كل منهما يجرى فى فلكه لمنتهى دورته (ألا هو العزيز الغفار) أى ان خلق هذه الاجرام العظيمة دليل على كمال القدرة فهو يوجب الخوف والرهبة الا انه تعالى غفار فكونه تعالى غفارا دليل على كثرة رحمته فهى توجب الرجاء والرغبة (خلقكم من نفس واحدة) خلقها وهى نفس آدم وحدها (ثم جعل منها) أى من تلك النفس (زوجها) حواء خلقها من ضلع من أضلاعه القصرى (وأنزل لكم) أى أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالامطار وأشعة الكواكب (من الانعام ثمانية أزواج) أى افراد من الابل اثنين ذكرا وأنثى ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) أى حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) البطن والرحم والمشيمة (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم الذى عرفتم عجائب أفعاله هو الله المربى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم (له الملك) فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك (لا اله الا هو) أى لا معبود للخلق أجمعين الا الله. (فأنى تصرفون) أى فكيف تصرفون عن عبادة الله تعالى مع وفور دواعيها الى عبادة غيره تعالى من غير داع اليها (ان تكفروا) به تعالى

(فان الله غني عنكم) أى فاعلموا ان الله تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة لان الله تعالى غني عن ايمانكم وشرككم (ولا يرضى لعباده الكفر) أى وان كان لا ينفعه تعالى ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى بالكفر (وان تشكروا) بأن تقروا باللسان بحصول النعمة وتعتقدوا بصدوركم النعمة من الله تعالى وتعملوا الصالحات بجوارحكم (يرضه لكم) أى يرضى الشكر لاجل منفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لالانتفاعه تعالى به وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الهاء مختلسة وقرأ أبو عمرو وحمزة فى بعض الروايات ساكنة الهاء للتخفيف وقرأ نافع فى بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائى وابن ذكوان والدورى مضمومة الهاء مشبعة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى فكل مأخوذ بذنبه وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا (ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت فأهم المطالب للانسان ان يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما يضره وما ينفعه وان يعرف أحواله بعد الموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى يجازيكم بأعمال الكفر والايمان فى الدنيا ثوابا وعقابا وهذا تهديد للعاصى وبشارة للمطيع (انه عليم بذات الصدور) فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (واذا مس الانسان) أى الكافر كعتبة بن ربيعة وأبى جهل (ضر) فى جسمه أو ماله أو أهله أو ولده (دعا ربه) أى استجار ربه (منيبا اليه) أى مقبلا اليه بالنداء فى ازالة ذلك الضر ولم يؤمل فيه سواه (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أى ترك دعاء ربه الذى يتضرع اليه من قبل اعطاء النعمة كانه لم يفزع اليه ونسى ان لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء مع الله تعالى كما قال تعالى (وجعل لله أندادا) أى أعدالا فى العبادة (ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بعد لام العاقبة أى ليثبت على الضلال عن دين الاسلام والباقون بضمها أى ليضل غيره عنه (قل) للكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى عش فى كفرك فى هذه الدنيا بقية عمرك وهذا الامر زجر عن الكفر وتعريف لقلة تمتعه فى الدنيا (انك من أصحاب النار) أى من المعذبين فى النار على الدوام وفى هذا اقناط للكافر من النجاة (أمن هو قانت آناء الليل) وقرأ نافع وابن كثير وحمزة أمن بتخفيف الميم والهمزة اما للاستفهام التقريرى ومقابله محذوف تقديره أمن هو قائم بما يجب عليه من الطاعة فى ساعات الليل حالتى السراء والضراء كمن جعل لله أندادا ودعا عند مساس الضر فقط أو للنداء أى يا من هو قائم فى ساعات الليل قل كيت وكيت أنت من أهل الجنة وقرأ الباقون بتشديد الميم فأم داخلة على من الموصولة وهى اما متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم من هو قائم بأداء وظائف العبادات أو منفصلة تقدر ببل والهمزة أى بل أمن هو مطيع لله كالكافر المقول له تمتع بكفرك (ساجدا وقائما) حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) أى يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى جنة ربه فينجو مما يخافه ويفوز بما يرجوه (قل هل يستوى الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) ذلك وهو أبو جهل وأصحابه ويجوز ان يراد هذا على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الالباب) أى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الصافية ولا يعرف التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال الا أصحاب القلوب النيرة وقيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من

المال

المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فتركوه (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى قل لهم ربكم يقول أطيعوا ربكم فى الصغير والكبير من الامور (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) والجار والمجرور اما صلة لأحسنوا والمعنى للذين عملوا الاعمال الحسنة فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص حسنة عظيمة فى الآخرة وهى الجنة واما صلة لحسنة والمعنى الذين أحسنوا فلهم فى هذه الدنيا أمن وصحة وكفاية (وأرض الله واسعة) أى فان لم يتمكنوا من صرف الهمم الى الاحسان فى بلادهم فقل لهم فان أرض الله واسعة فلتهاجروا من تلك البلاد الى بلاد تقدرون فيها على الاشتغال بالعبادات واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزداد واطاعة الى طاعتهم لانه لاعذر البتة للمقصرين فى الاحسان (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم واحتمال البلايا فى طاعة الله تعالى (أجرهم بغير حساب) أى بغير نهاية بهنداز ونحوه (قل) ياأشرف الرسل لكفار قريش حيث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الدين الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها (انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى العبادة عن شوائب الشرك والرياء وغير ذلك (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أى وأمرت بأن أكون أول من تمسك بالعبادات التى أرسلت بها فانى لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا أول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة عليه والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح فعمل القلب هو الاخلاص وعمل الجوارح هو الاسلام وهذا فائدة اتيان الامر مرتين ثم بين الله ان هذا الامر للوجوب فقال (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ومعنى هذا العصيان ترك الامر الذى تقدم ذكره (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أى لا أعبد أحدا سوى الله والاول اخبار بأنه صلى الله عليه وسلم مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة واخلاص القلب له تعالى بها وهذا اخبار بأنه صلى الله عليه وسلم أمر بأن لا يعبد أحد غير الله واخبار بامتثاله صلى الله عليه وسلم بالامر على أبلغ وجه (فاعبدوا ما شئتم) ان تعبدوه (من دونه) تعالى وفى هذا دلالة على شدة الغضب عليهم (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى حين يدخلون النار حيث أوقعوها فى هلكة لا هلكة وراءها (ألا) أى تنبهوا لهذه الحسرة العظيمة (ذلك) أى الامر العظيم (هو الخسران المبين) فلا خسران وراءه فكل خسران يصير فى مقابلته كلا خسران (لهم) أى لهؤلاء الخاسرين (من فوقهم ظلل) أى قطع كبار (من النار ومن تحتهم ظلل) أى فراش من النار والمراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب وانما سمى ما تحتهم بالظلل لان التى تكون تحتهم تكون ظللا لآخرين تحتهم لان النار دركات وأيضا ان الظلة التحتانية تشابه الفوقانية فى الحرارة والاحراق (ذلك) العذاب هو الذى (يخوف الله به عباده) المؤمنين ليخلصوا فى الطاعة (ياعباد فاتقون) أى ياأيها المؤمنون بالغوا فى الخوف والحذر (والذين اجتنبوا الطاغوت) أى الشيطان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى أقبلوا اليه بالطاعات (لهم البشرى) بنوع من الخير عند قرب الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج منه وعند الوقوف فى عرصة القيامة وعلى باب الجنة وقوله تعالى ان يعبدوها بدل الاشتمال والمعنى والذين تركوا عبادة الشيطان الخ فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه) وعن ابن عباس ان المراد من هذا الرجل يجلس مع القوم ويسمع الحديث في ذلك المجلس محاسن ومساوى فيحدث بأحسن ما سمع ويترك ما سواه وقرأ السوسى عبادى بياء مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف والباقون بغير الياء (أولئك الذين هداهم الله) للصواب ولمحاسن الامور (وأولئك هم أولوا الالباب) أى هم ذووا العقول السليمة عن منازعة الهوى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أى أفمن ثبت عليه كلمة العذاب أفأنت تهدى من هو منغمس في الضلال بدعائك له الى الايمان فتنقذه من النار وهذا تنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية قال ابن عباس نزلت في حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان (لكن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (لهم غرف) أى منازل في الجنة رفيعة (من فوقها غرف) أى من فوق تلك المنازل منازل أرفع منها (مبنية) أى قوية كبناء المنازل المبنية على الارض في الاحكام بخلاف منازل الدنيا فالفوقانى فضيلته الارتفاع ونقصانه السخافة والتحتانى فضيلته القوة ونقصانه التسفل اما منازل الجنة فهى مستجمعة للفضائل فهى مرتفعة قوية وقوله تعالى لكن اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى وليست للاستدراك (تجرى من تحتها الانهار) أى تجرى من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الانهار المختلفة من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) أى وعدهم الله بذلك وعدا وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان الله (لا يخلف الله الميعاد) أى وعده للمؤمنين وفي الآية دقيقة شريفة وهى انه تعالى لم يذكر في آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد وذلك يدل على ان جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد اما قوله تعالى ما يبدل القول لدى ليس تصريحا بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول الوعد والوعيد فثبت ان ترجيح الوعد حق خلافا للمعتزلة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض) أى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء مطرا الى بعض المواضع ثم يقسمه فيدخله في مجارى في خلال الارض كالعروق في الاجساد ويقال فيدخل ذلك المطر في خلال الارض حال كونه مياها نابعة في الارض (ثم يخرج به) أى ينبت بالمطر (زرعا مختلفا ألوانه) أى أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها وصفاته من طعوم وألوان خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك (ثم يهيج) أى يتم جفافه (فتراه مصفرا) بعد خضرته وقرئ مصفارا (ثم يجعله حطاما) أى منكسرة (ان في ذلك) أى المذكور من الافعال الخمسة (لذكرى لاولى الالباب) أى لتذكيرا عظيما لاصحاب العقول الصافية يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة الانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ويجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في عيون الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف في الجنة (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أى أكل الناس سواء فمن جعله مستعدا للاسلام فهو على هداية من ربه فمن شرطية وخبرها ما بعدها وقيل اسم موصول مبتدأ خبره محذوف والتقدير أفمن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى فهو على لطف الهى فائض عليه كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته (فويل) أى عذاب وخسران (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكر الله فاذا سمعوه نفروا وازدادوا قسوة ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وكان قد حضر هناك عمر بن الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد من القوم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر إيمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر وقرئ عن ذكر الله أى عن قبول ذكر الله (أولئك) أى الذين قست قلوبهم (فى ضلال) أى بعد عن الحق (مبين) أى ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت هذه الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر وأبى جهل وأصحابه (الله نزل أحسن الحديث) بحسب لفظه لفصاحته وجزالته وبحسب معناه لاشتماله على الغيوب الكثيرة فى الماضى والمستقبل ولان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا (كتابا متشابها) أى يشبه بعضه بعضا كما قاله ابن عباس فان كل ما فيه من الآيات يقوى بعضها بعضا والمقصود منها بأسرها الدعوى الى الدين وتقرير عظمة الله (مثانى) فانه أكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين آية الرحمة والعذاب وآية الوعد والوعيد وآية الامر والنهى وآية القصص والاحكام وغير ذلك (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) فان الانسان اذا تأمل فى الدلائل الدالة على انه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة فههنا يقشعر جلده لان اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج عنه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه مما يصعب تصوره فههنا تقشعر الجلود واذا تأمل فى الدلائل الدالة على انه يجب ان يكون الله تعالى فردا أحدا وثبت ان كل متحيز منقسم فههنا يلين جلده وقلبه الى ذكر الله وعدى تلين بالى لان تقدير الكلام تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرة الله وهو لا يحس بالادراك و يقال انهم اذا سمعوا القرآن وذكر آيات العذاب أصابتهم خشية أو ذكر آيات الرحمة اطمأنت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما قال الله الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله لان المحب المحق الذى فى الدرجة العالية هو من أحب الله لا لشىء سواه وأما من أحب الله لاجل رحمته فهو ما أحب الله وانما أحب شيأ غيره (ذلك) أى الكتاب الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) وهو الذى شرح صدره لقبول هذه الهداية (ومن يضلل الله) أى ومن جعل الله قلبه قاسيا مظلما بليد الفهم منافيا لقبول هذه الهداية (فماله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقرأ ابن كثير باثبات الياء فى الوقف (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) والهمزة للاستفهام الانكارى والفاء عاطفة على جملة مقدر ومن اسم موصول مبتدأ وخبره محذوف وقيل معطوف على يتقى وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن يجعل وجهه قائما مقام الدرقة يقى به وجهه العذاب الشديد يوم القيامة وتقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب ما كنتم تكسبونه فى الدنيا كمن هو آمن من العذاب قيل يلقى الكافر فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه قيل نزلت هذه الآية فى حق أبى جهل وأصحابه (كذب الذين من قبلهم) أى قبل قومك من الأمم السالفة (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذ أتاهم العذاب من الجهة التى توقعوا الامن منها (فأذاقهم الله الخزى) أى الذل (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) أى فالعذاب المدخر لهم فى يوم القيامة أعظم من ذلك الذى وقع (لو كانوا يعلمون) عذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم ولكن لا علم لهم أصلا (ولقد ضربنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وجه يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه (لعلهم يتذكرون) أى كى يتعظوا به (قرآنا عربيا) أى أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى بريئا عن التناقض وقيل أى غير مخالف لسائر الكتب كالتوراة والانجيل والزبور بالتوحيد وقال السدى

أى غير مخلوق (لعلهم يتقون) أى لكى يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) فمثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول (فيه شركاء) أى سادات (متشاكسون) أى متخالفون سيئة اخلاقهم (ورجلا سلما لرجل) أى ورجلا خالصا لسيد واحد قرأ ابن كثير وأبو عمرو سالما بالالف وكسر اللام والباقون بفتح السين واللام بغير الالف وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وقرئ ورجل سالم بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والمعنى اضرب يا أشرف الرسل لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع فكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه فى حوائجهم وهو متحير فى أمره فكلما أرضى أحدهم غضب الباقون واذا احتاج فى مهم اليهم فكل واحد منهم يرده الى الآخر فهو يبقى متحيرا لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه فى حاجاته فهو بهذا السبب يلقى منهم التعب العظيم وفى رجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعينه على حاجاته فان أطاعه عرف له وان أخطأ صفح عن خطيئته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وأقل تعبا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله وحده (الحمد لله) أى لما بطل القول باثبات الشركاء وثبت أنه لا اله الا الله الحق الواحد الاحد ثبت ان الحمد له لا لغيره (بل أكثرهم لا يعلمون) ان الحمد له تعالى لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره ويقال لا يعلمون أمثال القرآن (انك ميت وانهم) أى كفار مكة (ميتون) أى انك واياهم وان كنتم احياء فى أعداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أى تتكلمون أنتم ورؤساء الكفار بالحجة والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم فى الدنيا فلا تبال يا أشرف الرسل بهذا فانك ستموت وهم سيموتون أيضا ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل (فمن أظلم ممن كذب على الله) أى لا أحد أظلم ممن أثبت والله ولدا أو شركاء وكذب بتخفيف الذال (وكذب بالصدق) أى بالامر الذى هو نفس الصدق وهو ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم من لا اله الا الله والقرآن وغير ذلك (اذ جاءه) أى فى أول مجئ ذلك الامر من غير تدبر فيه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله تعالى وسارعوا الى تكذيب الصدق من أول الامر (والذى جاء بالصدق) أى بعين الحق (وصدق به أولئك هم المتقون) أى المنعوتون بالتقوى والموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق بنفس الصدق هو أبو بكر وهذا القول مروى عن على بن أبى طالب وجماعة من المفسرين وقيل المراد من الموصول كل من جاء بالصدق وهم الانبياء والذى صدق به الاتباع ويؤيد هذا القول قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذى جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بتخفيف الدال أى صدق الرسول بذلك الصدق الذى هو بمعنى القرآن الناس ولم يكذبهم بأن أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار الرسول صادقا بسبب الصدق الذى هو القرآن لانه معجزة وهى تصديق من الله تعالى فيصير المدعى الرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق به على البناء للمفعول أى صدق الرسول بالقرآن (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة لا فى الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) أى حصول ما يشاؤنه (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا

أعمالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى أقبح أعمالهم دفعا لمضارهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذين كانوا يعملون) أى باحسانهم اعطاء لمنافعهم والمراد انهم اذا صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما أتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقوله تعالى ليكفر الله متعلق بقوله تعالى لهم مايشاؤن باعتبار فحواه حيث كان اخبارا عماسيثبت لهم فيما سيأتى وهو فى معنى الوعد به كأنه قيل وعدهم الله جميع مايشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذى عملوا الخ (أليس بكاف عبده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما قال السدى ويقال هو خالد بن الوليد عمايريدون به وقرأ حمزة والكسائى عباده وهم الانبياء عليهم السلام فان قومهم قصدوهم بسوء لقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ودخول همزة الانكار على كلمة النفى نفيد معنى اثبات الكفاية أى هو كاف عبده (ويخوفونك بالذين من دونه) تعالى وهم اللات والعزى ومناة أى ان قريشا يقولون لك يامحمد لاتشتمها ولا تعبها فتخبلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها لا تدركها أحذركها ياخالد ان لها شدة لا يقوم لها شىء فعمد خالد اليها فهشم أنفها فنزلت هذه الآية (ومن يضلل الله) عن دينه حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فماله من هاد) أى مرشد الى دينه (ومن يهد الله) لدينه (فماله من مضل) عن دينه (أليس الله بعزيز) أى غالب على أمره (ذى انتقام) من أعدائه لاوليائه (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن الله) خلقهم الوضوح الدليل على تفرده تعالى بكونه خالقهما (قل) تبكيتا لهم (أفرأيتم ماتدعون من دون الله) أى اذا لم يكن خالق سوى الله تعالى وقد أقررتم بأن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله تعالى فاخبرونى بأن ماتعبدون من غير الله وهى اللات والعزى ومناة (ان أرادنى الله بضر) أى بلاء (هل هن كاشفات ضره) أى رافعات بلائه تعالى عنى (أو أرادنى برحمة) أى بنفع (هل هن ممسكات رحمته) أى مانعات نعمته عنى حتى تأمرونى بعبادتها وتخوفونى معرتها وقوله تعالى أفرأيتم متعد لاثنين أولهما ماتدعون والثانى الجملة الاستفهامية وقرأ أبو عمرو بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا لا أى لا تكشف ولا تمسك فنزل قوله تعالى (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) أى قل لهم اذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان الاعتماد عليه كافيا فثقتى فى جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر بالله تعالى وبه تعالى يثق الواثقون لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ماسواه تعالى تحت ملكوته تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أى على حالتكم وهى الكفر والعناد وقرأ شعبة مكاناتكم بالجمع وهو مروى عن عاصم أيضا (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى يهلكه فى الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أى ومن ينزل عليه عذاب دائم هو عذاب النار ومن موصولة مفعول تعلمون والامر للتهديد أى أنتم تعتقدون فى أنفسكم انكم فى نهاية القوة فاجتهدوا فى أنواع كيدكم فانى عامل فى تقرير دينى فسوف تعلمون ان الخزى فى الدنيا بالجوع والسيف والعذاب الدائم فى الآخرة يصيبنى أو يصيبكم (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) أى لنفع الناس ولاهتدائهم به (بالحق) أى مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله (فمن اهتدى فلنفسه) أى فمن عمل بما فيه فنفعه يعود الى نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى ومن لم يعمل بما فيه فضرر ضلاله يعود الى نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى انك لست

مأمورا بأن تجبرهم على الايمان والهدى وما وظيفتك الا البلاغ فالهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى الله يقبض الارواح من الابدان حين موت أجسادها بخلق الموت وازالة الحس بالكلية و يقبض الارواح التى لم تمت حين تنام بازالة الادراك وخلق الغفلة فى محل الادراك فتتعارف ماشاء الله ان تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) فلا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أى يزيل الحابس عن النائمة فتعود عند التيقظ كما كانت (الى أجل مسمى) وهو وقت النفخة الثانية فى الممسوكة ووقت الموت فى المرسلة فالجار والمجرور متعلق بكل من يمسك و يرسل قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله فاذا أراد جميعها الرجوع الى الاجساد أمسك الله أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وقال على رضى الله عنه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل ارسالها الى جسدها فهى الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها وقبل استقرارها فى جسدها فهى الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان (ان فى ذلك) أى التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلق الارواح بالابدان وقبضها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وحبسها عن التصرف تارة أخرى كما عند النوم وازالة حبسها عنه حينا بعد حين الى انقضاء آجالها (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أى ان الكفار قالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير أولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فأجاب الله تعالى بقوله بل اتخذوا من دون اذن الله تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أى قل لهم أيشفعون فى حال كونهم لا يملكون شيأ من الاشياء وفى حال كونهم لا يعقلونه (قل لله الشفاعة جميعا) أى ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا فى تلك الشفاعة من هذه الاصنام أو من أولئك العلماء الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لهم فهذه الاصنام لا تملك شيأ ولا تعقله فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها ولا يملك أحد من العلماء وغيرهم شيأ ولا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله لانه الذى يأذن فى الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره (له ملك السموات والارض) أى له ملكهما ومافيهما من المخلوقات لا يملك أحد ان يتكلم فى أمر من أموره بدون اذنه تعالى ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيفعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون الآلهة (اشمأزت) أى انقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت حتى يظهر أثر ذلك الانقباض فى أديم الوجه (واذا ذكر الذين من دونه) أى فرادى أو مع ذكر الله (اذا هم يستبشرون) حتى يظهر أثر ذلك السرور فى بشرة الوجه (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أى يا عالم ما غاب عن العباد وما علموه (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين وعن أبى سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك لتهدى من تشاء الى صراط مستقيم (ولو أن للذين ظلموا ما فى

الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى ان لهؤلاء الكفار جميع ما فى الدنيا من الاموال ومثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد يوم القيامة (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يكن فى حسابهم (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى وظهر لهم سيآت كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزؤن به (فاذا مس الانسان) أى الكافر (ضر) أى فقر ومرض (دعانا) أى يفزعون الينا و يعتقدون ان دفع ذلك لا يكون الا منا (ثم اذا خولناه نعمة منا) أى اذا أعطيناه مالا أو عافية فى البدن تفضلا منا (قال انما أوتيته على علم) أى خير علمه الله منى فان كانت النعمة سعة فى المال قال انما حصل هذا بكسبى وان كانت صحة قال انما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلانى (بل هى) أى النعمة (فتنة) أى اختبار أيشكر أم يكفر وذلك لان عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ويختبر بها من أوتى النعمة (ولكن أكثرهم) أى هؤلاء القائلين هذا الكلام (لا يعلمون) ان هذا التخويل انما كان لاجل الاختبار أى انا نتفضل على ذلك الانسان وهو يظن انه انما وجده بالاستحقاق (قد قالها الذين من قبلهم) أى قد قال الذين من قبل قومك يا أفضل الخلق مثل هذه المقالة وذلك مثل قارون وغيره (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فما دفع عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا و يجمعون منه شيأ من عذاب الله (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى بل أصابهم جزاء أعمالهم من العذاب (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى عقوبات ما عملوا كما أصاب الامم (وما هم بمعجزين) أى هم لا يعجزوننى فى الدنيا والآخرة (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء وان كان لا قوة له و يضيق الرزق ان يشاء وان كان قويا شديد الحيلة وليس ذلك لاجل الطبائع والانجم لان الساعة التى ولد فيها السلطان قد ولد فيها أنواع الناس وأنواع الحيوانات وأنواع النباتات وحدوث هذه الاشياء الكثيرة فى الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة دليل على ان المؤثر فيه هو الله تعالى وحده دون الطوالع قال الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى * ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاضى القضاة تعالى وجل

(ان فى ذلك) أى البسط والتضييق (لآيات) دالة على ان الحوادث كلها من الله تعالى (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالمعاصى وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بسكون الياء وسقوطها فى الوصل والباقون بفتحها وكلهم يقفون باثبات الياء الا فى بعض روايات أبى بكر عن عاصم فانه يقف بغير ياء (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرة الله وتفضله أى وأقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال (ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى بالتوبة اذا صحت توبته ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل واحد وخوف العقاب قائم (انه هو الغفور الرحيم) لمن تاب من الكفر وآمن بالله قيل ان هذه الآية نزلت فى أهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة

حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش فكنا اذا رأينا من أصاب منها شيأ خفنا عليه ومن لم يصب منها شيأ رجوناله فأنزل الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر (وأنيبوا الى ربكم) أى أقبلوا الى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا له) أى أطيعوا الله (من قبل أن يأتيكم العذاب) ان لم تتوبوا (ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون من عذاب الله نزلت هذه الآية فى الوحشى وأصحابه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) وهو القرآن لقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا وقال الحسن معناه والتزموا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذى أنزل على ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليجتنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتبع وليتقوى به (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه لتتأهبوا له (أن تقول نفس) مفعول لاجله أى أنيبوا الخ كراهة أن تقول نفس (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) أى ياندامتا على تفريطى فى حق الله وأمره وطاعته (وان كنت لمن الساخرين) أى والحال انى كنت لمن المستهزئين بدين الله وأهله (أو تقول لو أن الله هدانى) أى بين لى الايمان (لكنت من المتقين) أى من الموحدين (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) أى رجعة الى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فيقول الله تعالى ردا على ذلك (بلى قد جاءتك آياتى) أى وهى القرآن مرشدة لك (فكذبت بها واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) فبين الله تعالى أن الحجة عليهم لله لا أن الحجة لهم على الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه تعالى كاتخاذه تعالى الولد وكقولهم ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وبأن وصفوا الاصنام بالآلهة (وجوههم مسودة) سوادا مخالفا لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى منزل للمتكبرين من الايمان والطاعة (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بمفازاتهم بالجمع أى ينجى الله الذين بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه تعالى من منزل المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة فكما وقاهم الله فى الدنيا من المخالفات حماهم فى الآخرة من العقوبات (لا يمسهم السوء) أى العذاب (ولا هم يحزنون) على فائت لانه لا يفوت لهم شئ أصلا وقيل المعنى ان النجاة فى القيامة حصلت بسبب فوزهم فى الدنيا بالطاعات والخيرات ثم فسرت تلك النجاة بقوله تعالى لا يمسهم السوء الخ (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر بمباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الاشياء كلها موكولة اليه تعالى فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك فيتولى التصرف فيها كيفما يشاء (له مقاليد السموات والارض) أى له تعالى مفاتيحها لا يتمكن من التصرف فيها غيره وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل له مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبى له خزائن المطر والنبات (والذين كفروا بآيات الله) أى الناطقة بكونه تعالى خالقا للاشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض بأمرها

(أولئك هم الخاسرون) خسرانا لا خسار وراءه (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة حيث قالوا له أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بالهك (أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده تعالى أعبد غيره تعالى بأمركم وغير الله منصوب بأعبد وتأمرونى اعتراض وقيل ان أعبد معمول لتأمرونى على اضمار أن المصدرية فلما حذفت بطل عملها وجاز تقديم معمول صلة ان على الموصول بأن المحذوفة والاصل أتأمرونني بأن أعبد غير الله ويؤيد هذا القول قراءة أعبد بالنصب وقرأ نافع تأمرونى بنون واحد مخففة مع فتح الياء وهى نون الرفع كثرت للمناسبة وابن كثير بنون مشددة وفتح الياء وابن عامر بنونين ساكنة الياء والباقون بنون واحدة مشددة وسكون الياء (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأيها كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وانهما قد فسدتا (بل الله فاعبد) وهذا رد لما أمروه صلى الله عليه وسلم به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه صلى الله عليه وسلم قال انكم تأمرونني بأن لا أعبد الا غير الله وكأنه تعالى قال فلا تعبد الا الله (وكن من الشاكرين) لله على ما هداك الى انه لا يجوز الا عبادة الاله القادر العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى انه يجب الاعراض عن عبادة كل ما سوى الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى وما عظموا الله حق تعظيمه أى تعظيما لائقا به تعالى بل أنزلوه عن قدره ومنزلته اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يقدر على احياء الموتى والحال أن الارض جميعا مقدورة له تعالى يوم القيامة والسموات مطويات بقدرته تعالى أو ما عرفوا الله حق معرفته حيث وصفوه بما لا يليق بشؤنه الجليلة حيث قالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير يطلب منا القرض الخ ومقصود هذه الآية اشارة الى ان المتولى لابقاء السموات والارض فى هذه الدار هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الايجاد والاعدام فاذا حاول تخريب الارض يزيلها فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد افناءها وذلك يدل على كمال الاستغناء وقرئ قبضة بالنصب على الظرف أى فى ملكه تعالى وقدرته وقرئ مطويات بالنصب على الحال والسموات معطوفة على الأرض (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى ان هذا القادر القاهر العظيم الذى حارت العقول فى وصف عظمته تنزه عن ان تجعل الاصنام شركاءه فى المعبودية وان يكون تعالى عاجزا ومحتاجا الى شئ (ونفخ فى الصور) نفخة الموت (فصعق) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) قال كعب الاحبار هم اثنا عشر جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش وهم ثمانية (ثم نفخ فيه) أى الصور بعد أربعين سنة نفخة (أخرى) وهى نفخة البعث بمطر السماء كنطف الرجال (فاذا هم قيام) من قبورهم (ينظرون) أى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين وينظرون حال من ضمير قيام وقرئ قياما بالنصب على الحال من ضمير ينظرون فهو حينئذ خبر المبتدأ (وأشرقت الارض بنور ربها) أى وأضاءت الأرض الجديدة التى يوجدها الله فى ذلك الوقت لتحشر الناس فيها بعدل ربها (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال وهى ديوان الحفظة فى أيدى العمال (وجئ بالنبيين والشهداء) أى الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) أى بين العباد (بالحق) أى بالعدل (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيآتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) أى وفيت كل نفس برة وفاجرة جزاء ما عملته من خير وشر (وهو أعلم بما

يفعلون) ولا حاجة به تعالى الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك تشهد الكتب والشهود الزاما للحجة (وسيق الذين كفروا الى جهنم) بالعنف والدفع (زمرا) أى أفواجا متفرقة بعضها اعقب بعض على حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة (حتى اذا جاؤها) أى جهنم (فتحت أبوابها) أى طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) وهم الزبانية تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من جنسكم وقرئ نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم) من القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى بلى قد أتونا وتلوا علينا وأنذرونا ولكن ثبتت علينا كلمة العذاب ومن وجبت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب (قيل ادخلوا) أى ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) أى مقدرا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أى على الانبياء جهنم أى انهم انما دخلوا النار لانهم تعظموا عن الايمان بالرسل ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف بالاسراع بهم الى دار الكرامة ولان بعضهم قالوا لا ندخلها حتى يدخلها أحبائى وأصدقائى ولان بعضهم استغرقوا فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال وهى مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة وكلهم راكبون فتساق مراكبهم (زمرا) أى متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها) أى الجنة (وفتحت أبوابها) الواو للحال أى وقد فتحت أبوابها قبل وصولهم اليها (وقال لهم خزنتها) على باب الجنان (سلام عليكم) من كل الآفات (طبتم) أى صلحتم لسكناها لانكم نظفتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها خالدين) وجواب اذا محذوف تقديره اطمأنوا وسعدوا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) فى قوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (وأورثنا الارض) أى أورثنا الله أرض الجنة بأن وفقنا للاتيان بأعمال أورثت الجنة (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل واحد فى أى مكان أراده من جنته الواسعة فهو يتخير فى منازل قسمه فلا يختار أحد مكان غيره مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة وهذا من كلام الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين بالعرش أى كما أن دار ثواب المتقين هى الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة هو جوانب العرش وأطرافه (يسبحون بحمد ربهم) فثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وأعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد فى درجات التنزيه ومنازل التقديس (وقضى بينهم بالحق) أى ان الملائكة على مراتب متفاوتة فلكل واحد منهم فى درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى قال الملائكة الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وهم ما حمدوه تعالى لاجل ذلك القضاء بل حمدوه تعالى بصفته تعالى الواجبة له وهى كونه تعالى ربا للعالمين فان من حمد المنعم لاجل أن انعامه وصل اليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام ويقال ان هذا من بقية شرح ثواب المؤمنين فيقال فى التقرير كما ان حرفة المتقين فى الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتمجيد فكذلك حرفة الملائكة الاشتغال بالتحميد والتسبيح ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة فالمؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق فى تحميد الله وتمجيده وتسبيحه فكان للتسبب لمزيد التذاذهم وقال تعالى وقضى بينهم أى بين البشر بالحق وقيل الحمد لله أى انهم يقدمون التسبيح فالتسبيح عبارة عن اقرارهم بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به وهو صفات الجلال والتحميد

عبارة عن اقرارهم بكونه تعالى موصوفا بصفات الاكرام ثم ان الله تعالى لم يبين ذلك القائل والمقصود من هذا الابهام التنبيه على انختامة كلام العقلاء فى الثناء على حضرة ذى الجلال والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين

سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وسورة غافر مكية وهى خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا

*(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب) أى هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى الذى لا يوجد له مثل (العليم) بوجوه المصالح والمفاسد (غافر الذنب) أى غافرا للذنوب الكبار قبل التوبة ممن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذى الطول) أى ذى الفضل على من آمن به بترك العقاب المستحق وذى الغنى على من لم يؤمن به (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى أوامره ونواهيه (اليه المصير) أى مرجع من آمن به ومن لم يؤمن به (ما يجادل فى آيات الله) بالجدال الباطل (الا الذين كفروا) بها وهو ان يقال فى حق القرآن انه سحر أو انه شعر أو انه قول الكهنة أو انه أساطير الاولين أو انما يعلمه بشر أو أشباه ذلك مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر وقال لا تماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) أى لا ينبغى ان تغتر بأنى أتركهم سالمين فى أبدانهم وأموالهم يتصرفون فى البلاد للتجارات وطلب المعاش وانى سآخذهم كما فعلت بأشكالهم من الامم الماضية (كذبت قبلهم) أى قبل قومك (قوم نوح والاحزاب) أى الامم المتفرقة (من بعدهم) أى من بعد قوم نوح كقوم عاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى وعزمت كل أمة من هؤلاء المكذبين ان يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويهلكوه (وجادلوا بالباطل) أى خاصموا رسلهم بايراد الشبهات (ليدحضوا به الحق) أى ليزيلوا بايراد تلك الشبهات الصدق (فأخذتهم) بسبب ذلك (فكيف كان عقاب) أى عقابى اياهم أليس كان مهلكا مهيبا فى السماع (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى كما ثبت حكمه تعالى بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة على رسلهم ثبت على الذين كفروا بك وتحزبوا عليك كونهم مستحقوا أشد العقوبات التى هى عذاب النار فقوله تعالى انهم أصحاب النار فى محل رفع بدل من قوله تعالى كلمت ربك أو فى محل نصب بحذف لام التعليل أى لانهم ملازموا النار أبدا وقرأ نافع وابن عامر كلمات بالجمع (الذين يحملون العرش) وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم (ومن حوله) وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) قال شهر بن حوشب وحملة العرش يوم القيامة ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك اهـ ولا شك ان حملة العرش أشراف الملائكة وأكابرهم روى فى الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة (ويؤمنون به) وهذا تنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون حوله يشاهدونه ولما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح لان الاقرار بوجود شئ حاضر معاين لا يوجب الثناء الا ترى ان الاقرار بوجود

الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل المدح والتعظيم علم انهم آمنوا به من غير ان يشاهدوه تعالى حاضراهناك (ويستغفرون للذين آمنوا) شفقة على خلق الله وقد ثبت ان كمال السعادة مربوط بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة لخلق الله فالتسبيح مشعر بالتعظيم لله والدعاء للمؤمنين مشعر بالشفقة عليهم وقيل هذا الاستغفار في مقابلة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لمن تكلموا فيهم وهو كالتنبيه لغيرهم على انه يجب على من تكلم في أحد بشيء يكرهه ان يستغفر له وعلى من أذى غيره ان يجبره بايصال نفع اليه (ربنا) وهذا معمول لقول مضمر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون أي قائلين ربنا الخ وهذا دليل على ان السنة في الدعاء ان يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يدعو عقبه فان الملائكة لما عزموا على الدعاء للمؤمنين بدؤا بالثناء فقالوا ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك فكل موجود نال من رحمة الله نصيبا لان وجود الممكن بايجاده تعالى فذلك رحمة فلا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب من رحمة الله وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات (فاغفر للذين تابوا) من الكفر وان أصروا على الفسق بأن تسقط العقاب عنهم (واتبعوا سبيلك) في الشريعة (وقهم عذاب الجحيم) أي ادفع عنهم عذاب النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) اياها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ومن معطوف على مفعول أدخل أي وأدخل معهم في الجنة من آمن من هؤلاء الطوائف الثلاثة ليتضاعف ابتهاجهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين أبي أين زوجتي أين ولدي فيقال له انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل في سروره ولذته وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (الحكيم) أي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة (وقهم السيآت) أي ادفع عنهم العقوبات عند موقف القيامة وعند الحساب والسؤال أو صنهم في الدنيا عن العقائد الفاسدة والاعمال الفاسدة (ومن تق السيآت يومئذ) أي ومن تدفع عنه العقوبات أو من تصنه في الدنيا عن المعاصي (فقد رحمته) أي عصمته وعظمته (وذلك) أي الرحمة (هو الفوز العظيم) حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وباعمال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه عظمته (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي ان الذين كفروا يناديهم خزنة جهنم لانكار الله لكم في الدنيا حين تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اتباعا لانفسكم الامارة بالسوء أو اقتداء باخلائكم المضلين أكبر من انكاركم أنفسكم الامارة بالسوء الآن أو من انكار بعضكم بعضا اليوم وذلك أنهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على تكذيب هذه الاشياء في الدنيا أو أن الاتباع يشتد مقتهم الآن للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء يشتد انكارهم للاتباع الآن أيضا واذ ظرف للمقت الاول وقيل يناديهم المتقون في الآخرة من مكان بعيد وهم في النار واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم الآن لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون (قالوا) أي الكفار (ربنا أمتنا اثنتين) أي اماتتين مرة بقبض أرواحنا ومرة بعد ما سألنا منكر ونكير في القبور (وأحييتنا اثنتين) أي احياءتين مرة عند سؤال

منكر ونكير فى القبر ومرة عند البعث وهذا أنسب بحالهم فان مقصودهم تعديد أوقات البلاء وهى أربعة الموتة الاولى والحياة فى القبر والموتة الثانية والحياة فى القيامة فهذه الاربعة أوقات المحنة فأما الحياة فى الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء فلهذا السبب لم يذكروها (فاعترفنا بذنوبنا) أى بشركنا وجحودنا بالبعث (فهل الى خروج من سبيل) أى فهل الى خروج من النار ورجوع الى الدنيا لنصلح أعمالنا من سبيل أى طريق فأجاب الله تعالى لهم بقوله (ذلكم) أى العذاب فى النار والمقت (بأنه) أى بسبب ان الشأن (اذا دعى الله وحده كفرتم) أى اذا عبد الله منفردا كفرتم بتوحيده (وان يشرك به تؤمنوا) أى ان يجعل له شريك تصدقوا بالاشراك ويقال ذلكم أى عدم سبيل خروج لكم انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله العلى الكبير) فالله أعلى كل شئ وأكبر كل شئ بحسب القدرة والالهية وذلك حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى (هو الذى يريكم آياته) أى علامات وحدانيته وقدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) أى سبب رزق وهو المطر فالله تعالى راعى مصالح أديان العباد باظهار الآيات وراعى مصالح أبدانهم بانزال الرزق من السماء فالآيات لحياة الاديان والارزاق لحياة الابدان وعند حصولهما يكمل الانعام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (وما يتذكر) أى وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة (الا من ينيب) أى الا من يقبل على الله بالكلية ويعرض عن غير الله (فادعوا الله) أى فاعبدوا الله أيها المؤمنون (مخلصين له الدين) من الشرك ومن الالتفات الى غير الله (ولو كره الكافرون) اخلاص العبادة منكم (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات فهو تعالى أرفع الموجودات فى جميع صفات الجلال والكمال لانه واجب الوجود لذاته وهو أول وآخر لكل ما سواه وليس له أول وآخر وهو عالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات وهو غنى عن كل ما سواه وهو واحد يمتنع أن يحصل له ضد وند وشريك ونظير وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح (ذو العرش) أى مالكه ومدبره وخالقه وهذان خبران آخران لهو (يلقى الروح من أمره) أى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد هو أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (لينذر يوم التلاق) والفاعل يعود الى من يشاء وهو الملقى عليه وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الروح لانها قد تؤنث وهذا الفعل ينصب مفعولين محذوفين أى لينذر من يختاره الله الناس العذاب يوم القيامة أو ان المفعول الثانى هو يوم التلاق بدليل قراءة لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ورفع يوم وسمى يوم القيامة بيوم التلاق لان الارواح متلاقية للاجساد ولان الخلائق يتلاقون فيه فيقف بعضهم على حال بعض ولانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض ولان كل أحد يصل الى جزاء عمله ويلتقى فيه العابدون والمعبودون ويلتقى فيه الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون عن بواطن القبور وظاهرون لا يسترهم شئ من جبل وغيره وليس عليهم ثياب وتظهر أعمالهم وتنكشف أسرارهم (لا يخفى على الله منهم شئ) فيعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازى كلا منهم بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر وينادى مناد (لمن الملك اليوم) فيجيبه أهل المحشر (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على وجه التحسر والندامة على ما فاتهم فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس) برة أو فاجرة (بما كسبت) من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب أى يقال لهم اذا أقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى الخ (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب

زمان (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر) فاذ بدل من يوم الآزفة أي وأنذرهم يوم القرب من العذاب ومشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم من أماكنها فتلتصق بحلوقهم من شدة الخوف (كاظمين) أي مغمومين يتردد الغيظ في أجوافهم فلا يمكنهم أن ينطقوا ويبينوا خوفهم (ما للظالمين من حميم) أي قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي ولا شفيع مقبول شفاعته (يعلم خائنة الاعين) أي استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفي الصدور) أي مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) علم المذنب ان الله لا يحكم الا بالحق في كل ما دق وجل كان خوف المذنب من الله في الغاية القصوى (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) أي والذين يعبدونهم من دون الله تعالى من الاوثان لا يصنعون شيأ من الشفاعة يوم القيامة ولا يأمرون بخير في الدنيا فان الكفار اغا عولوا في دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعة هذه الاصنام فلذلك بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة بهذه الآية وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب (ان الله هو السميع البصير) أي يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ويبصر سجودهم لهم ولا يسمع منهم ثناءهم على الله ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله (أولم يسيروا في الارض) أي أغفلوا ولم يسافروا في الارض فيعتبروا بمن قبلهم (فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من الامم المكذبة لرسلهم (كانوا هم) أي الذين مضوا من الكفار (أشد منهم) أي من هؤلاء الحاضرين من الكفار (قوة) أي قدرة على التصرفات وقرأ ابن عامر وحده منكم بكاف (وآثارا في الارض) أي قصورا للسكنى وحصونا للقتال ومصانع للمياه (فأخذهم الله بذنوبهم) أي أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل بضروب الهلاك (وما كان لهم من الله من واق) أي لم يجدوا من يمنعهم من الله ومن يخلصهم من عذاب الله وقرأ ابن كثير بالياء في لوقف (ذلك) العذاب في الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالاحكام الظاهرة وبالمعجزات الباهرة (فكفروا) بذلك (فأخذهم الله) أخذا وبيلا (انه قوي) بأخذه (شديد العقاب) لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي معجزاته (وسلطان مبين) أي حجة مبينة (الى فرعون) ملك مصر (وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى فيما أظهره من المعجزات هذا (ساحر) وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين هذا (كذاب فلما جاءهم بالحق) أي بتلك المعجزات الباهرة (من عندنا قالوا) أي فرعون وأتباعه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أي لا تقتلوا بناتهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الذي وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لان فرعون قد كف عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني اسرائيل لئلا ينشأوا على دين موسى فيقوى بهم زعما منه أن القتل يمنع الناس من الايمان وظنا منهم أن موسى هو الذي حكم المنجمون والكهنة بزوال ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي بطلان لان الله تعالى شغلهم عن ذلك القتل بما أنزل اليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى ولان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) وغرض فرعون من هذا الكلام اخفاء خوفه لان أحدا ما منع فرعون من قتل موسى وقد كان فرعون استيقن أن موسى نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ويخاف من انه لو حاول قتله لظهرت منه معجزات قاهرة تمنعه من قتله فيفتضح وكان من دهائه ووقاحته قال هذا فوهم قومه انه اغا امتنع من قتله رعاية لقلوبهم رعا ظنوا أن موسى كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا

مافى نفسه من الفزع الهائل (وليدع ربه) الذى يزعم انه أرسله الى حتى يخلصه منى وهذا على سبيل الاستهزاء فى اظهار عدم المبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه من عبادة فرعون والاصنام (أوأن يظهر فى الارض الفساد) من قتل أبنائكم واستخدام نسائكم وقرأ نافع وأبو عمرو وان يظهر بالواو الجامعة بين أمرين وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم أو يظهر بفتح الياء والهاء ورفع الفساد فالقراءة السبعة أربعة ثنتان مع أو وهما نصب الفساد ورفعه وثنتان مع الواو كذلك وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء أى يتتابع (وقال موسى) لقومه حين سمع مايقوله اللعين من حديث قتله (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وموسى عليه السلام لم يأت فى دفع شر فرعون الا بأن استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فصانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية والمسلم اذا قال عند القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه عن وساوس شياطين الجن فكذلك اذا قال المسلم أعوذ بالله عند توجه الآفات والمخافات فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات من شياطين الانس (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا أوغريبا موحدا واسمه حزقيل أوشمعان (يكتم ايمانه) من فرعون وملئه خوفا على نفسه مائة سنة (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أى أتقصدون قتل رجل لاجل أن يقول ربى الله وحده من غير تأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى وان كان هذا الرجل كاذبا كان ضرر كذبه عائدا عليه فاتركوه (وان يك صادقا) وقد كذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب فى الدنيا فكان الاولى على كلا التقديرين ابقاءه حيا والحاصل أن المقصود بيان أنه لا حاجة الى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وهذا كلام ذو وجهين أى لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى الاحكام ولما قواه بعلامات النبوة وان كان كذلك أهلكه الله فلا حاجة لكم الى قتله وهذا اشارة الى علو شأن موسى على طريق الرمز والى التعريض لفرعون بأن الله لا يهديه منهاج النجاة لانه مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى جراءته على ادعاء الالهية والله تعالى لا يهدى من هذا شأنه بل يهدم أمره ولما أقام مؤمن آل فرعون أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم فى ذلك بعذاب الله فقال (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى عالين الناس فى أرض مصر فلا يقاومكم أحد فى هذا الوجه (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا العذاب الله بقتل موسى فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى أى لا أشير اليكم برأى سوى ماذكرته أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولا أسر عنكم غير ما أظهره ولقد كذب فرعون حيث كان مضمر اللخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الصواب والصلاح وقرئ بتشديد الشين للمبالغة (وقال الذى آمن) زاد الهذا الكلام على فرعون مخاطبا لقومه (ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيام الأمم الماضية المتفرقة فكل أمة كان له يوم معين فى البلاء (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) كقوم لوط أى مثل جزاء دأبهم من الكفر وايذاء الرسل والحاصل ان حزقيل خوفهم بهلاك معجل فى الدنيا (وما الله يريد ظلما للعباد) أى ان تدمير الله أولئك الاحزاب كان عدلا منه تعالى لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانبياء فتلك العلة قائمة ههنا فوجب

حصول الحكم ههنا (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة فان أهل النار ينادون أهل الجنة وأهل الجنة ينادون أهل النار و يناديهم أصحاب الاعراف و ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون ياو يلنا و ينادى باللعنة عليهم و ينادى بالسعادة والشقاوة الا ان فلانا بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وقرأ ابن عباس يوم التناد بتشديد الدال أى يوم فرار بعضهم من بعض (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن الموقف لانهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (مالكم من الله من عاصم) أى مالكم مانع من عذاب الله والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من هاد) أى مرشد (ولقد جاءكم يوسف) بن يعقوب عليهما السلام (من قبل) أى من قبل موسى فان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة وفرعون أدرك يوسف بن يعقوب وكان عمره أربعمائة سنة وأربعين سنة وقيل ان يوسف هذا هو يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب أرسله الله تعالى الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا وهذا من تمام وعظ حزقيل (بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة (فمازلتم فى شك مما جاءكم به) يوسف من الدين (حتى اذا هلك) أى مات يوسف (قلتم لن يبعث الله من بعده) أى من بعد موت يوسف (رسولا) وهذا تكذيب لرسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل الله من هو متغال فى عصيانه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان) أى حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى أعظم بغضا والوقف على مرتاب صالح وعلى أتاهم كاف وهذا اذا جعل الذين بدلا من من فهو فى محل نصب أو بدلا من مسرف فهو فى محل رفع وعلى هذا فهذا من كلام الرجل المؤمن أيضا وان جعل الذين مبتدأ خبره كبر كان الوقف على مرتاب تاما ولا يوقف على أتاهم لتأخر الخبر عنه وعلى هذا فهذا ابتداء كلام الله تعالى وفاعل كبر ضمير يعود الى من على الاحتمال الاول والى الجدال على الاحتمال الثانى أى كبر من ذكر أو كبر جدالهم بغير حجة بل بالبناء على التقليد أو بالبناء على الشكوك الخسيسة مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا) فمقت الله اظهار خزيهم واحلال العذاب بهم ومقت المؤمنين لهم كراهتهم أشد الكراهة (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائى بتنوين قلب والباقون بغير تنوين على الاضافة و يشهد لهذه القراءة قراءة عبد الله على قلب كل متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) أى بناء عاليا (لعلى أبلغ الاسباب) أى أصعد الطرق (أسباب السموات) أى طرقها الموصلة اليها (فأطلع) أى أنظر (الى اله موسى) وقرأ حفص عن عاصم أطلع بالنصب على أنه جواب الامر أو منصوب على التوهم كما قاله أبو حيان لان خبر لعل قد يجىء مقرونا بأن أو على أنه جواب الترجى والباقون بالرفع عطفا على أبلغ والمقصود أنه لما عرف كل أحد ان هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا فحينئذ لا سبيل الى معرفة الاله الذى يثبته موسى (وانى لاظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهماكا لا يكف عنه بحال (وصد عن السبيل) وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالبناء للمفعول أى صرف فرعون عن الحق والباقون بالبناء للفاعل أى منع فرعون

الناس عن الطريق الموصلة الى الله وقرئ وصد بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد بالرفع على أنه معطوف على سوء عمله وقرى وصدوا أى هو وقومه (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى وما صنع فرعون فى ابطال آيات موسى الا فى هلاك (وقال الذى آمن) وهو حزقيل (ياقوم اتبعون) فيما دعوتكم اليه (أهدكم سبيل الرشاد) أى أدلكم على سبيل يؤدى سالكه الى الخير وفى هذا تصريح بأن ماعليه فرعون وقومه هو سبيل الضلال (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى منفعة قليلة لسرعة زوالها فهى كمتاع البيت لايبقى (وان الآخرة هى دار القرار) أى الثبات فلا تحول عنها (من عمل سيئة) فى الدنيا (فلا يجزى) فى الآخرة (الا مثلها) أى الا مايقابلها فى الاستحقاق فالكافر يعتقد فى كفره كونه طاعة فكان عقابه فى النار مؤبدا لانه على عزم أن يبقى مصرا على ذلك الاعتقاد أبدا بخلاف الفاسق فان عقابه منقطع فانه يعتقد فى فسقه كونه خيانة فيكون على عزم ان لايبقى مصرا عليه (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) فالآتى بالايمان والمواظب على التوحيد مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة يدخلون بالبناء للمفعول (يرزقون فيها) أى الجنة (بغير حساب) أى بلا هندازفى الكثرة والسعة (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة) أى أى شئ من المصالح فى انى أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة شفقة عليكم واعترافا بحقكم (وتدعوننى الى النار) أى وأى شئ تدعوننى الى الكفر الذى يوجب الهلاك فى النار (تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم) أى ولا أشرك بالله ماليس باله وماليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أى الى الايمان باله العالم فانه وان كان قادرا على التعذيب لايغالب لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة (لاجرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق ان الذى تدعوننى الى عبادته من الاوثان ليس له دعوة فى الدنيا الى نفسه لانها جمادات والجمادات لاتدعوا أحدا الى عبادة نفسها أصلا وان الله تعالى اذا قلبها حيوانا فى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) بالموت فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة الاله الذى لابد وان يكون مرجعنا اليه (وأن المسرفين) فى معصية الله كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون ما أقول لكم) من النصائح وقت الموت ووقت مشاهدة الاهوال فى القيامة (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) قيل لما قال ذلك المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه ولم يقدروا عليه لانه قد عول فى دفع مكرهم على الله (فوقاه الله سيآت مامكروا) أى شدائد مكرهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وقيل انه لما فرمنهم الى جبل أرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتل فرعون من رجع عقوبة على عدم قتله لذلك الرجل المؤمن (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) أى أحاط بفرعون وقومه شدة العذاب وهو القتل والغرق والنار كما قال تعالى (النار يعرضون عليها) باحراقهم بها (غدوا وعشيا) أى تعرض أرواحهم فى البرزخ على النار من حين موتهم الى قيام الساعة ولا يوقف على سوء العذاب ان جعل النار بدلا منه وان جعل خبر مبتدأ محذوف فالوقف على سوء العذاب حسن وكذا ان قرى النار منصوبا على الاختصاص أو نحوه وان جعل النار مبتدأ وخبره مابعده فالوقف على العذاب تام (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص

عن عاصم بفتح الهمزة و كسر الخاء أى و يوم القيامة يقول الله لخزنة جهنم ادخلوا آل فرعون فى اشد العذاب والباقون بهمزة الوصل وضم الخاء والمعنى و يوم القيامة يقال لهؤلاء الكفار أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم (واذ يتحاجون فى النار) أى واذكر يا أشرف الخلق لقومك وقت تخاصم بعضهم بعضا فى النار (فيقول الضعفاء) أى السفلة من الكفار (للذين استكبروا) أى للقادة الذين تعظموا عن الايمان (انا كنا لكم تبعا) أى اتباعا فى دينكم (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أى فهل تقدرون على أن تدفعوا عنا جزأ من العذاب والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تخجيل أولئك الرؤساء وايلام قلوبهم (قال الذين استكبروا) وهم القادة للسفلة (انا كل فيها) أى نحن وأنتم واقعون فى هذا العذاب فلو قدرت على ازالت العذاب عنكم لدفعته عن أنفسنا فكل مبتدا وفيها خبره والجملة خبر ان وقرئ كلا بالنصب على التأكيد لاسم ان أى ان كلنا واقعون فى النار ثم يقولون (ان الله قد حكم بين العباد) أى يوصل الى كل أحد مقدار حقه من النعيم أو من العذاب فلا معقب لحكمه فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم (لخزنة جهنم) أى للملائكة الموكلين بعذاب أهل النار (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيأ من العذاب فى وقت من الاوقات (قالوا) أى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أى ألم تنتبهوا عن هذا ولم تكن تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء الكفر والمعاصى (قالوا بلى) أى أتونا بها فكذبناهم (قالوا) أى الخزنة استهزاء بهم واظهارا لخيبتهم (فادعوا) أى اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فانا لانجترى على الدعاء ولا نشفع الا بالاذن فى الشفاعة والا لمن كان مؤمنا (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع وهذا من كلام الله اخبار النبيه فالوقف على ادعوا تام أو من كلام الخزنة كما قاله الرازى وأبو السعود قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالرسل (فى الحياة الدنيا) بانتقام الكفرة (و يوم يقوم الاشهاد) أى يوم يقوم كل من يشهد بأعمال العباد يوم القيامة من ملك و نبى مؤمن بالحجة والاعتذار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) من الكفر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية (ولهم اللعنة) أى الاهانة (ولهم سوء الدار) وهو العذاب الشديد (ولقد آتينا موسى الهدى) أى التوراة والمعجزات (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة (هدى وذكرى لاولى الالباب) أى لاجل الهداية من الضلالة ولاجل التذكرة لذوى العقول السليمة فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل فى أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد فى الكتب الالهية المتقدمة (فاصبر) يا أكرم الرسل على أذى اليهود والنصارى والمشركين (ان وعد الله حق) فالله ناصرك ومنجز وعده فى حقك (واستغفر لذنبك) أى تب من ترك الاولى والافضل فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى والمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله باللسان و بأن لا يغفل القلب عنه (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه) وجملة ان فى صدورهم الخ خبر لان و جملة ماهم الخ صفة لكبر أى ان الذين يجحدون بآيات الله بغير برهان أتاهم فى ذلك من الله تعالى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق ماهم ببالغى كبره أى الذين ينا صبون الجدال معك بغير حجة اغا يحملهم على هذا الجدال

الباطل كبر فى صدورهم وذلك الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن يكونوا تحت تصرفك لان النبوة تحتها كل رياسة وملك وهم لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك راغماهم يريدون أن تكون تحت يدهم ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بد وان يصير وا تحت أمرك ونهيك (فاستعذ بالله) أى فالتجئ اليه تعالى من كيد من يجادلك (انه هو السميع) لاقوالهم (البصير) بأعمالهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) أى فالذى قدر على ابتداء خلق السموات والارض مع عظمها قادر على اعادة الانسان الذى خلقه أولا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ان هذا البرهان مع قوته صار بحيث لا يعرفه من ينكر ون الحشر والنشر فظهر أن هؤلاء يجادلون فى آيات الله بغير حجة بل بمجرد الحسد والكبر (ومايستوى الاعمى والبصير) أى لا يستوى الجاهل المقلد المستدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ) أى ولا يستوى الآتى بالاعمال الصالحة والآتى بالاعمال الفاسدة (قليلا ماتتذكرون) أى ان المجادلين وان كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أنهم ماية عظون اتعاظا قليلا من أمثال القرآن فان الحسد يعمى قلوبهم فيعتقدون فى الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفى الحسد والكبر أنه محض الطاعة وقرأ عاصم وحمزة والكسائى تتذكرون على الخطاب والباقون بالغيبة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) أى لاشك فى مجيئها باجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس) وهم الذين ينكرون البعث (لا يؤمنون) بمجئ الساعة (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم وأغفر لكم (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى أذلاء ويقال ان الدعاء هو السؤال أى ادعونى أقبل اليكم فالدعاء اعتراف بالعبودية والذلة فكأنه قيل ان تارك الدعاء اغا تركه لاجل أن يستكبر عن اظهار العبودية وكل من دعا الله وفى قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واجتهاده وأقاربه واصدقائه فهو فى الحقيقة مادعا الله الا باللسان أما قلبه فهو معول فى تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا مادعا الله فى الحقيقة فى وقت أما اذا دعا فى وقت لا يبقى فى القلب التفات الى غير الله فانه تحصل الاستجابة وانقطاع القلب بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع فى ذلك الوقت بأنه لا ينفعه شئ سوى فضل الله تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول (الله الذى جعل لكم الليل) باردا مظلما (لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا فيه بالنوم وبالعبادة (والنهار مبصرا) أى مضيأ وهذا اعلام بوجود الاله القادر فان الاشتغال بالدعاء لا بد وأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة وبان من أنعم قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالاشياء القليلة بعد السؤال (ان الله لذو فضل على الناس) كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) اما لكونه حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته وقع فى كفران هذه النعم العظيمة أو لانها لما دامت واستمرت نسيها الانسان أو لاعتقاده ان هذه النعم ليست من الله تعالى بأن يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الدوران لذواتها (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لا اله الا هو) وهذه أخبار أربعة عن اسم الاشارة وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا (فانى تؤفكون) أى فمن أى وجه تصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره ولم تعدلون عن هذه الدلائل ومن أين تكذبون على الله بجعلكم له شركاء (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى مثل الصرف البعيد عن مناهج العقلاء

يصرف الذين كانوا ينكرون آيات الله تعالى (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى منزلا فى حال الحياة و بعد الممات (والسماء بناء) أى مثل القبة المضروبة على الارض من غير عماد (وصوركم) أى أحدث صورتكم على غير نظام واحد (فأحسن صوركم) ولم يخلق الله تعالى حيوانا أحسن صورة من الانسان (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ لا كرزق الدواب (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم الذى نعت بالنعوت الجليلة هو الله المحسن اليكم (فتبارك الله) أى ثبت الله مع كثرة الخيرات (رب العالمين) أى مالكهم (هو الحى) أى المنفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) فلا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبره وفيه اضمار الامر أى فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل بعدها الحمد لله رب العالمين أى ولما كان تعالى موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له الحمد لله رب العالمين (قل) لاهل مكة يا أكرم الرسل حين قالوا لك ارجع الى دين آبائك (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى الذين تعبدون من الاوثان (لما جاءنى البينات) أى الدلائل (من ربى) وهى ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى أن أنقاد له وأخلص توحيدى له (هو الذى خلقكم من تراب) فكل انسان مخلوق من منى وهو مخلوق من الدم وهو يتولد من الاغذية وهى منتهية الى النباتية والنبات انما يكون من التراب والماء (ثم من نطفة ثم من علقة) أى دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا ثم يبقيكم) (لتبلغوا أشدكم) أى كمالكم فى القوة والعقل (ثم لتكونوا شيوخا) وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون بكسرها وقرئ شيخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أو قبله أو قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا يفعل ذلك لتعيشوا (ولتبلغوا أجلا مسمى) وهو وقت الموت (ولعلكم تعقلون) أى ولكن تعقلوا ما فى هذه الاحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل فان دلائل وجود الله تعالى وقدرته اما من دلائل الافاق وهى الليل والنهار والارض والسماء أو من دلائل الانفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات أو من عمر الانسان وهو على ثلاث مراتب كونه طفلا وهو فى التزايد شيأ فشيأ أو بلوغه كمال النشو وظهوره فى النقص (هو الذى يحيى ويميت) فكما ان الانتقال من صفة الى صفة أخرى يدل على الاله القادر كذلك الانتقال من الحياة الى الموت و بالعكس يدل على الاله القادر (فاذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان (فانما يقول له كن فيكون) فعبر الله عن نفاذ قدرته فى الكائنات من غير معارض بما اذا قال كن فيكون (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى انظر الى هؤلاء المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها (أنى يصرفون) أى كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها (الذين كذبوا بالكتاب) أى بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) والوقف هنا تام أو كاف كما قاله أبو عمرو واذ بمعنى اذا وهو ظرف ليعلمون والسلاسل عطف على الاغلال والمعنى فسوف يعلمون وقت ان يكون الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) أى وهم يجرون بتلك السلاسل فى الماء المسخن بنار جهنم وقرئ والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل على أنه مفعول مقدم ليسحبون بفتح الياء وقرئ والسلاسل بالجر على اضمار الباء كما يدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون (ثم قيل لهم) بعد ان يعذبوا بأنواع العذاب (أينما كنتم تشركون من

دون

دون الله) أى معالله (قالوا ضلوا عنا) أى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) أى بل لم نكن نعبد من قبل هذه الاعادة شيأ يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا اعتراف بأن عبادتهم الاصنام كانت باطلة أو يقال بل لم نكن نعبد من قبل هذا الوقت شيأ من دون الله وهذا انكار لعبادة الصنم (كذلك) أى مثل ذلك الاضلال (يضل الله الكافرين) عن طريق الجنة (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى ذلكم العذاب بما كنتم تظهرون فى الدنيا من السرور بالمعصية وعبادة الاصنام وبكثرة المال والاتباع والصحة (ادخلوا أبواب جهنم) أى السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) أى لا يخرجون منها ولا يموتون فيها (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) على ايذائهم وايحاشهم بتلك المجادلات (ان وعد الله) بالنصرة لك وبانزال العذاب على أعدائك (حق) أى كائن بلا شك (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى فان نرك بعض الذى نعد أولئك الكفار من أنواع العذاب فذلك هو المطلوب (أو نتوفينك) قبل انزال العذاب عليهم (فالينا يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ويجوز ان يكون هذا جوابا للشرطين فالمعنى ان نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فيها فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى أنت يا أشرف الرسل كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم أحد أعطاه الله معجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم مثل ما جرى عليك وصبروا وكان قومهم يقترحون عليهم اظهار المعجزة الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت ثم ان كان الصلاح فى اظهارها ظهرناها والا لم نظهرها ولم يكن ذلك قادحا فى نبوتهم فكذلك الحال فى اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة (فاذا جاء أمر الله) أى جاء حكم الله بنزول العذاب على الامم الماضية (قضى بالحق) أى نفذ حكم الله بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى وهلك فى وقت مجىء العذاب من يقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت (الله الذى جعل لكم الانعام) أى الابل كما قاله الزجاج (لتركبوا منها) أى الابل (ومنها) أى من لحوم الابل (تأكلون ولكم فيها منافع) كألبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد الى بلد (وعليها) أى الابل بالهودج فى البر (وعلى الفلك) أى السفن فى البحر (تحملون) وتسافرون (ويريكم آياته) أى دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله تنكرون) أى ليس فى شىء من هذه الدلائل ما يمكن انكاره لانها كلها ظاهرة باهرة (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعدوا فلم يسيروا فى أقطار الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم الماضية المتكبرين (كانوا أكثر منهم) أى من أهل مكة فى العدد يعرف فى الاخبار (وأشد قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) قد بقيت بعدهم بحصون عظيمة مثل الاهرام الموجود بمصر (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فلم ينفعهم الذى كانوا يكسبونه أو فأى شىء نفعهم مكسوبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى علم عقائدهم الزائفة وشبههم الداحضة أو علمهم بأمور الدنيا وهو علمهم بالطبائع والصنائع ويقال أى استهزاء الكفار بالبينات وبما جاء الرسل به من علم الوحى اذ لم يأخذوه بالقبول (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى دار بالكافرين جزاء استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) أى شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى بالاصنام الذى كنا مشركين بها

مع الله تعالى لانا علمنا انها لاتدفع عنا شيأ من عذاب الله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح أن ينفعهم ايمانهم عند رؤية عذابنا لعدم قبوله حينئذ (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله ذلك المذكور من التعذيب عند التكذيب ومن رد الايمان عند معاينة العذاب أى ان عدم قبول الايمان حال البأس سنة الله مطردة فى كل الأمم ويجوز ان يكون سنة منصوبا على التحذير أى احذروا سيرة الله فى المكذبين التى قد مضت على عباده (وخسر هنالك) أى فى تلك المواضع (الكافرون) بالله تعالى

﴿سورة السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة حم السجدة وسورة المصابيح مكية وهى أربع وخمسون آية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) أى هذا حم (تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أى جعلت آيات الكتاب تفاصيل فى معادن مختلفة فبعضها فى ذات الله وصفاته وفى عجائب أفعاله وبعضها فى أحوال التكاليف وبعضها فى الوعد والوعيد ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق وبعضها فى قصص الاولين (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أو على الحالية من كتاب أو من آياته (لقوم يعلمون) أى كائنا لقوم عرب فاللام متعلقة بمحذوف صفة ثانية لقرآنا (بشيرا) للمطيعين بالثواب (ونذيرا) للمجرمين بالعقاب وقرأ زيد بن على برفع الاسمين (فأعرض اكثرهم) عن تدبر هذا الكتاب مع كونه بلغتهم (فهم لا يسمعون) سماع طاعة ولا يلتفتون اليه فكون الكتاب نازلا من عند الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل المنافع وأجل المطالب وكونه قرآنا عربيا يدل على انه فى غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم مافيه من أهم المهمات واعراضهم عنه يدل على انه لا هدى الا من هداه الله ولا ضال الا من أضله الله (وقالوا) أى كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) أى صمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أى ستر غليظ يمنعنا عن مواصلتنا اياك (فاعمل) أى استمر على دينك وهو التوحيد (اننا عاملون) أى مستمرون على ديننا وهو الاشراك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) أى قل يا أشرف الخلق انى لا أقدر على ان أحملكم على الايمان قهرا فانى بشر مثلكم ولا امتياز بينى وبينكم الا بمجرد ان الله تعالى أوحى الى دونكم فانا أبلغ هذا الوحى اليكم فان شرفكم الله بقبلتموه وان خذلكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتى ورسالتى وذلك الوحى يرجع الى أمرين العلم والعمل فالعلم رئيسه معرفة ان الله واحد وهو المراد من قوله تعالى (أنما الهكم اله واحد) واذا كان الحق ذلك التوحيد وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله تعالى (فاستقيموا اليه) أى استقيموا فى أفعالكم متوجهين الى الاله الواحد ثم أمر الله تعالى بوظيفة العمل ورئيسه الاستغفار فلهذا السبب قال (واستغفروه) لاجل الخوف من وقوع التقصير فى العمل المأتى به (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فالله تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة الشرك والامتناع من الزكاة وانكار القيامة فان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبوابه الاقرار بكون الله واحدا واذا كان التوحيد أعظم الطاعات كان الشرك

اخسها

أخسها لانه ضد التوحيد ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله أى لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وقال الحسن وقتادة أى لا يعتقدون اعطاء الزكاة واجبا وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأحسن ما كانوا يعملونه ويقال يكتب ثواب أعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص وقيل لا يمنون بذلك الاجر (قل) يا أشرف الخلق (أئنكم) يا أهل مكة (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) أى لتكفرون بالعظيم الشأن الذى حكم بأن الارض ستوجد فى مقدار يومين (وتجعلون له أندادا) أى نظراء والحال انه لا يمكن له نظير واحد أى ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة فى هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شريكا له فى المعبودية (ذلك رب العالمين) أى ذلك العظيم الشأن الذى علمت من صفته خالق جميع الموجودات فكيف أثبتم له أندادا من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) وهو عطف على خلق الارض أى وخلق فى الارض جبالا ثوابت (من فوقها) أى كائنة من فوق الارض ليرى الانسان بعينه وليتفكر ان الجبال أثقال على أثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى ولو جعل فى الارض رواسى من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هى التى أمسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول (وبارك فيها) أى الارض بشق الانهار وخلق الاشجار والثمار وأصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات (وقدر فيها أقواتها) أى بأن يوجد لاهل الارض من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الاولين اللذين خلق فيهما الارض (سواء للسائلين) قرئ سواء بالحركات الثلاثة النصب على مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لاربعة أى استوت الاربعة استواء لا يزيد ولا ينقص والجر على الوصف أى مساويات غير مختلفة فى المقادير والرفع على تقدير هى سواء ولمن قرأه بالرفع ان يقف على أربعة أيام وقوله تعالى للسائلين اما متعلق بسواء أى مستويات لمن سأل الرزق ولمن لم يسأل أو متعلق بقدر كما قاله الزجاج أى وقدر فيها أقواتها فى تتمة أربعة أيام لاجل الطالبين للاقوات المحتاجين اليها أو متعلق بمحذوف والتقدير هذا الحصر بيان للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها فى كم يوم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء) أى ثم قصد الى خلق السماء أى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك (وهى دخان) أى أمر ظلمانى أو دخان مرتفع من الماء (فقال لها) أى للسماء (وللارض ائتيا) الى الوجود والحصول أى كونا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهذا عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا (طوعا أو كرها) أى طائعتين أو كارهتين أى شئتما ذلك أو أبيتما (قالتا أتينا طائعين) أى أتينا أمرك منقادين لا على الكره وهذا تمثيل لكمال تأثرهما بالذات العلية عن القدرة الربانية وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا قالتا آتينا بالمد فى الفعلين أى وافقا على مرادى منكما قالتا توافقنا على ذلك أو أعطيا الطاعة من أنفسكما من أمر كما قالتا أعطينا الطاعة ويقال ان الله تعالى قال للسماء والارض بعد ما فرغ منهما أعطيا ما فيكما أو جيا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها للخلق أى قال

لهما افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه (فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى أتم السماء حال كونها سبع سموات فى يومين ذكر أهل الاثر ان الله تعالى خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وان الذى خلق أولا هو الدخان الذى هو أصل السماء ثم بعده الارض غير مدحوة ثم خلقت السماء مبسوطة متفاصلة طباقا بعضها فوق بعض ثم دحيت الارض وخلق ما فيهما من الارازق وغيرها (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال مقاتل أمر فى كل سماء بما أراد وقال قتادة والسدى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم خلق فى كل سماء ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى ويقال ولله تعالى على أهل كل سماء تكليف خاص فمن الملائكة من هو فى القيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون وذلك الامر مختص بأهل السماء (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهى النيران التى خلقها فى السموات وخص كل واحد بضوء معين وطبيعة معينة وبسر معين لا يعلمها الا الله تعالى (وحفظا) أى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع وقيل ان حفظا مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فبعض النجوم زينة السماء لا يتحرك وبعضها يهتدى به فى ظلمات البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين (ذلك) أى هذه التفاصيل (تقدير العزيز العليم) لانها لا تمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط (فان أعرضوا) عن قبول هذه الحجة القاهرة وأصروا على التقليد (فقل) لهم (أنذرتكم صاعقة) أى خوفتكم عذابا هائلا كأنه نار معها رعد شديد (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرأ ابن الزبير والنخعى والسلمى وابن محيصن صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من صيحة العذاب روى أن أبا جهل قال فى ملأ من قريش التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان كنت أردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لا نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد كلمته فأجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمت أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد أو ظرف منها منصوب بها لانها بمعنى عذاب فالمعنى صعقة عاد وثمود وقت مجئ رسلهم اليهم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من جميع جوانبهم وأتوهم بجميع وجوه الحيل فلم يروا منهم الا الاعراض أى جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم أى جاءهم هود وصالح داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل فكأن جميع الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) فان مفسرة بمعنى

أى أو مخففة من الثقيلة أى بأنه لا تعبدوا أى بان الحديث قولهم لهم لا تعبدوا الا الله أو مصدرية والجملة بعدها صلتها وصلت بالنهى كما توصل بالامر أى جاؤهم بكونهم نهوهم عن الشرك ويجوز أن تكون أن نافية على هذا الوجه أى جاؤهم بامرهم بالتوحيد ونفى الشرك (قالوا) أى عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح (لوشاء ربنا) أى ارسال الرسل الى البشر (لانزل ملائكة) أى لارسلهم بطريق الانزال (فانا بما أرسلتم به كافرون) أى فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وقوله تعالى بما أرسلتم به حكاية لكلامهم على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون (فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى فأما قوم هود فتعظموا فى الارض على أهلها بغير استحقاق للتعظم (وقالوا) لهود لما هددهم بالعذاب (من أشد منا قوة) أى نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا وذلك لان أطولهم كما قال ابن عباس كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم (أولم يروا) أى ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا (أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة يقدر على اهلاكهم (وكانوا بآياتنا يجحدون) أى انهم كانوا يعرفون أن الآيات المنزلة على الرسل حق ولكنهم أنكروها كما ينكر المودع الوديعة (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردا شديدا يحرق ببرده كما تحرق النار بحرها أو ريحا يصوت فى هبوبه وعن ابن عباس ان الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمى والمراد انه مع قلته أهلك الكل وذلك للتدليل على كمال قدرته تعالى (فى أيام نحسات) أى مشومات روى أن الايام كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء قال ابن عباس وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسرها (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) بسبب انهم استكبروا فقابل الله ذلك الاستكبار بايصال الذل اليهم وقرئ لتذيقهم بالتاء على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الايام (ولعذاب الآخرة أخزى) أى أشد اهانة مما كان لهم فى الدنيا (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) أى وأما قوم صالح فبينا لهم طريق الخير والشر فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد وقرأ الجمهور برفع ثمود ممنوعا من الصرف وقرئ بالنصب بفعل يفسره ما بعده وقرأه الاعمش وابن وثاب منونا فى الحالين والرفع أفصح لوقوع ثمود بعد حرف الابتداء وقرئ ثمود بضم الثاء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى داهية العذاب الذى يهينهم بشدته (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة وهى شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا) من الفريقين (وكانوا يتقون) الاعمال التى أتى بها قوم عاد وثمود (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى واذكر يا أشرف الخلق لقريش المعاندين لك حال الكفار فى القيامة يوم يجمع بكره الكفار الاولون والآخرون الى موقف الحساب والتعبير عنه بالنار للاعلام بانها آخر حشرهم أو لان حسابهم يكون على شفيرها ويحشر بالبناء للمفعول وأعداء بالرفع على قراءة الجمهور وقرأ نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين ونصب أعداء وقرئ ويحشر بالبناء للفاعل ونصب أعداء وقرئ بكسر الشين مع البناء للفاعل فى الحالين (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا ما جاؤها) أى حتى اذا حضروا موقف الحساب (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج (وقالوا لجلودهم) أى لاعضائهم أو لفروجهم (لم شهدتم علينا) وكنا نحابس عنكم

بالجدال وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه اهـ وذلك لان مقدمة الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الامر انما تحصل بالفخذ (قالوا) أى الجلود (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها فان القادر على انشائكم وانطاقكم فى المرة الاولى حال ما كنتم فى الدنيا وعلى اعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاقكم فى المرة الثانية وهى حال القيامة فكيف يستبعد منه انطاق الاعضاء (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أى وما كنتم تستترون بنحو الحيطان فى الدنيا عند الاقدام على الافعال القبيحة مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم ولانكم منكرون للبعث والجزاء ولكن استتاركم لاجل انكم ظننتم أن الله لا يعلم الاعمال التى أقدمتم عليها من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) فاسم الاشارة مبتدأ وظنكم خبر والموصول نعت أو بدل وأرداكم حال أى ذلكم الظن المذكور ظنكم الذى بربكم مهلكا اياكم ويجوز أن يكون ظنكم والموصول وجملة أرداكم اخبارا (فأصبحتم من الخاسرين) أى فصرتم بسبب ذلك الظن المردى من الهالكين بالعقوبة قال أهل التحقيق الظن قسمان حسن وفاسد فالظن الحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى والظن الفاسد أن يظن ان الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مرد فالمنجى هو المحكى بقوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه والمردى هو المحكى بقوله تعالى ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان أمسكوا عن الاستغاثة لاجل فرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك الفرج وتكون النار محل اقامة أبدية لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) أى وان طلبوا الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه لم يعطوه ولم يجابوا اليه وقرئ وان يستعتبوا بصيغة المفعول فما هم من المعتبين بصيغة اسم الفاعل أى وان يطلبوا الى أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون اذ لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم قرناء) أى بعثنا لهم شركاء من الشياطين يلازمونهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى فزينوا لهم أمر الآخرة بان لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وأمر الدنيا بانها قديمة باقية لا تفنى ولا صانع الا الطبائع والافلاك ويقال فزينوا لهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الخسيسة وهو ما يزعمون انهم يعملونه (وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) أى وثبت عليهم كلمة العذاب حال كونهم كائنين فى جملة أمم من المتقدمين من الجن والانس لانهم كانوا هالكين بالعقوبة (وقال الذين كفروا) أى كفار مكة أبو جهل وأصحابه عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن) لانه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا اليه (والغوا فيه) أى تشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارى (لعلكم تغلبون) أى لكى تغلبوا محمدا على قراءته فيسكت فهددهم الله بالعذاب الشديد بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) فى الدنيا بالحرمان وفنون الهوان (ولنجزينهم) فى الآخرة (أسوأ الذى كانوا يعملون) أى سيآت أعمالهم بحسب تفاوت السيآت فى الاثم ولا يجازيهم على محاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وفى هذا تهديد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على

القارى ويخلط عليه القراءة وتعريض بمن لا يكون عند كلام الله خاضعا خاشعا (ذلك) أى جزاء أقبح أعمالهم (جزاء أعداء الله) أى جزاء معد لهم (النار) عطف بيان (لهم فيها دار الخلد) أى لهم فى دركات النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) وجزاء منصوب بجزاء فان المصدر ينصب بمثله أى جزاء بسبب ما كانوا يلغون فى قراءة آياتنا وانما سمى اللغو جحودا لانهم لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فى عذاب النار (ربنا أرنا الذين أضلانا) عن الحق (من الجن والانس) أى الشياطين ورؤساء الانس وقال على بن أبى طالب أى من ابليس وقابيل لان الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قابيل وقرأ ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا أى أعطناهما واختلس الدورى كسر الراء وشدد ابن كثير النون من اللذين (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندسهما ليكون وقاية بيننا وبين النار فتخفف عنا حرارتها نوع خفة (ليكونا من الاسفلين) أى ليكون ممن هو أذل منا مكانا وأشد منا عذابا كما جعلانا فى الدنيا تحت أمرهما (ان الذين قالوا ربنا الله) قولا مقرونا باليقين التام بالمعرفة الحقيقية (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاعمال الصالحة (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت وفى القبر وعند البعث بالبشرى (أن لا تخافوا) وأن مفسرة أو مخففة من الثقيلة ولا ناهية أى بأنه لا تخافوا على ما أمامكم أو مصدرية ولا اما ناهية أو نافية وقرى لا تخافوا على انه حال من الملائكة أى يقولون لا تخافوا (ولا تحزنوا) على ما تركتم من خلفكم فالله تعالى أخبر ان الملائكة يخبرون فى أول الامر بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا فان المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حالة أبعد حصولا ولهذا قال الشاعر

فلا زال ما نهواه أقرب من غد * ولا زال ما نخشاه أبعد من أمس

وعند حصول هذين الامرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية ثم بعد الفراغ من ذلك الاخبار يبشرون بحصول المنافع لان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة وذلك قوله تعالى (وأبشروا) أى املؤا صدوركم سرورا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على ألسنة الرسل (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى نحن أقرب الاقرباء اليكم فنوقظكم من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام ونبعدكم عن الآثام فى الحياة الدنيا وندفع عنكم المضرات ونجلب لكم المسرات فى الآخرة بالشفاعة حيث يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من اللذائذ لانكم منعتموها فى الدنيا من الشهوات (ولكم فيها) أى الآخرة (ما تدعون) أى تطلبون (نزلا) حال من ما تدعون أى حال كون هذا رزقا مهيأ كما يهيأ للضيف مستقر لكم (من غفور رحيم) قال العارفون هذه الآية تدل على ان هذه الاشياء جارية مجرى المهيأ للضيف والكريم جل وعلا اذا أعطى النزل فلا بد وان يبعث الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع ليست الا السعادات الحاصلة عند رؤيته تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى لا أحد أحسن من جهة القول ممن دعا الى طاعة الله (وعمل صالحا) أى والحال انه قد عمل صالحا فى نفسه وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء بالمعجزات وبالحجج وبالسيف والثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالبراهين فهم نواب الانبياء فى العلم أما الملوك فهم نواب الانبياء فى القدرة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم دعاة الى طاعة الله تعالى (وقال

انني من المسلمين) أي ابتهاجا بانه منهم فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة الاولى الاقرار باللسان وهو الدعوة الى الله باقامة الدلائل اليقينية والثانية الاعمال الصالحة بالجوارح والثالثة الاعتقاد الحق بالقلب وهاتان داخلتان في قوله تعالى وعمل صالحا والرابعة الاشتغال باقامة الحجة على دين الله تعالى والموصوف بهذه الخصال الاربعة أفضل الناس وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن أبي عبلة انني بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أي لا تستوى الدعوة الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار ولا قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ولا تسمعوا لهذا القرآن (ادفع بالتي هي أحسن) أي ادفع جهالتهم بالطريق التي هي أحسن الطرق (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) واذا التي هي للمفاجأة ظرف مكان لمعنى التشبيه والموصول مبتدأ والجملة بعده خبره واذا معمولة لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوي أي فالذي بينك وبينه عداوة مشبه في المحبة للصديق في الدين القريب في النسب الذي لم تسبق منه عداوة اذا اصبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى والمعنى فاذا قابلت أفعال أعدائك القبيحة بالافعال الحسنة ولم تقابل سفاهتهم بالغضب والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة قيل نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصار وليا مصافيا له صلى الله عليه وسلم (وما يلقاها الا الذين صبروا) أي وما يعطى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين شأنهم الصبر على تحمل المكاره وتجرع الشدائد (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي وما يوفق على هذه الفعلة أي التي هي دفع السيئة بالحسنة الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة أو من الخلق الحسن (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أي وان يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به بان صرفك صارف عما شرعت من الدفع بالتي هي أحسن فاستجر بالله من شره يدفعه عنك (انه هو السميع العليم) لقولك وأفعالك (ومن آياته) الدالة على وجود الله وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق له تعالى مسخر لأمره تعالى (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما عبدان مخلوقان مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) أي الاربعة (ان كنتم اياه تعبدون) أي ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فان عبادة الله في ترك عبادتهما فان الذين يعبدونهما يقولون نحن أذل من ان يحصل لنا أهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله (فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) أي فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه من الملائكة أي والله لا يعدم عابدا له أبدا بل يكون من خلقه من يعبده على الدوام (وهم لا يسأمون) أي لا يملون عن عبادة الله تعالى ولا يفترون وموضع السجود عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن حكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد لذكر السجود قبيله وعند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة لان الكلام انما تم عنده وعند الشافعي عند قوله تعالى اياه تعبدون لكن قال الشربيني والصحيح عند الشافعي عند قوله تعالى لا يسأمون (ومن آياته) الدالة على قدرته تعالى ووحدانيته (أنك) أيها الانسان (ترى الارض خاشعة) أي منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي انتفخت ثم تصدعت عن النبات وقرئ ربأت أي ارتفعت (ان الذي أحياها لمحيي الموتى) أي ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد

بعد موتها (انه على كل شيء قدير) أي انه تعالى قادر على الممكنات فوجب أن يكون قادرا على اعادة التركيب والحياة والقدرة والعقل الى تلك الاجزاء المتفرقة (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الحق في أدلتنا (لا يخفون علينا) في وقت من الاوقات وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) أي الذين يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتأويل الباطل فيلقون في النار خير أم الذين يؤمنون بآياتنا فيأتون آمنين من العذاب يوم القيامة (اعملوا) يا أهل مكة (ماشئتم) من الاعمال المؤدية الى الالقاء في النار والاتيان آمنا (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وفي ذلك تهديد (ان الذين كفروا بالذكر) أي بالقرآن (لما جاءهم) لهم في الآخرة نار جهنم أو يجازون بكفرهم (وانه) أي القرآن (لكتاب عزيز) أي غالب عديم النظير لانه بقوة حجته غلب على كل ماسواه ولان الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا تكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه (تنزيل من حكيم) في أمره (حميد) في أفعاله (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قد قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين (وذو عقاب أليم) للمبطلين ففوض هذا الامر الى الله واشتغل بما أمرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى (ولو جعلناه) أي هذا الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا) أي كفار مكة (لولا فصلت آياته) أي لم لا بينت آياته بلسان نفهمه (أأعجمي وعربي) أي أكلام أعجمي ورسول أو مرسل اليه عربي والمعنى انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه أي من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لانفهمه ولا نحيط بمعناه ولما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقر منها وقرئ أعجمي على الاخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى) لانه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات (وشفاء) لانه اذا أمكنهم الاهتداء فقد حصل لهم الهدى فذلك الهدى شفاء لهم من مرض الكفر والجهل (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي والذين لا يؤمنون هو حال كونه كائنا في آذانهم صمم فوقر خبر للضمير المقدر والجملة خبر الموصول وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر (وهو) أي القرآن (عليهم عمى) قرأ الجمهور على صيغة المصدر وقرأ ابن عباس عم على صيغة النعت (أولئك) الموصوفون بالصمم عن الحق والعمى عن الآيات الظاهرة (ينادون من مكان بعيد) أي هم مثل البهيمة التي لا تفهم الا النداء وقيل هم كمن ينادون من مكان بعيد لم يسمعوا وان سمعوا لم يفهموا (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) فقبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي لولا عدة سبقت بتأخير عذاب في حق أمتك المكذبة الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين المكذبين والمصدقين بالعذاب الواقع بالمكذبين في الدنيا (وانهم) أي كفار قومك (لفي شك منه) أي من كتابك (مريب) أي موقع في شك ظاهر فلا ينبغي أن تستعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه (من عمل صالحا فلنفسه

ومن أساء فعليها) أى خفف يا أكرم الرسل على نفسك اعراضهم فانهم أن آمنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم (وما ربك بظلام للعبيد) وهو يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء فى يوم القيامة (اليه) أى الى ربك (يرد علم الساعة) أى لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكما أن هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى ثم ذكر الله تعالى من أمثلة هذا الباب مثالين بقوله (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى أوعيتها (وما تحمل من أنثى ولا تضع) حملها (الا بعلمه) أى الا ملابسا بعلمه المحيط أما أصحاب الكشف فهو من الهام الله تعالى وأما أصحاب علم الرمل وعلم التعبير فلا يمكنهم الجزم فى شئ من المطالب البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف وما نافية ومن فى ثمرات وفى أنثى زائدة للاستغراق وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالجمع والباقون من ثمرة بالافراد (ويوم يناديهم) أى يوم ينادى الله المشركين (أين شركائى) بحسب اعتقادكم (قالوا) أى يقولون متبرئين من اثبات الشريك لله تعالى (آذناك) أى أخبرناك وأسمعناك (ما منا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد بأن لك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى غابت عنهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ولا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وظهر لهم عدم نفعها حالتئذ (وظنوا ما لهم من محيص) أى أيقنوا أنه ليس لهم مهرب من النار (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أى من طلب السعة فى أسباب المعيشة (وان مسه الشر فيؤس قنوط) أى أصابته ضيقة فهو مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله ومن رحمته حتى يظهر آثاره فى الاحوال الظاهرة (ولئن أذقناه) أى الانسان (رحمة منا من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة أصابته (ليقولن هذا لى) أى هذه الخيرات انما حصلت لى بسبب استحقاقى لما حصل عندى من الفضائل وأعمال القربة من الله (وما أظن الساعة قائمة) أى ان الانسان يكون شديد الرغبة فى الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده) أى فى الآخرة (للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وقوله ان لى الخ جواب القسم لسبقه الشرط (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى فلنظهرن لهم أن الامر على عكس ما تصوروه (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أى شديد (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (ونأى بجانبه) أى تباعد عن الشكر بكليته تعظما (واذا مسه الشر) أى أصابه فقر (فذو دعاء عريض) أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى التضرع (قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى قل لهم يا أشرف الخلق اخبرونى ان كان هذا القرآن من الله ثم كفرتم به من أضل منكم فان حالكم فى معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم وأنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) أى سنرى أهل مكة علامات وحدانيتنا وقدرتنا فى أطراف الارض من خراب مساكن الامم الماضية كعاد وثمود وسنريهم ذلك فى أنفسهم من الامراض والمصائب وغير ذلك (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى ان هذا القرآن هو الحق المنزل من الله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وبربك فاعل والباء مزيدة وأنه بدل منه أى أولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد ولم يغنهم اخباره للامم الماضية (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى ان أهل مكة فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى ان الله عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها

فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازى كل أحد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر

﴿سورة شورى وتسمى سورة حم عسق وسورة حم سق مكية وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستة وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق وهما خبران لمبتدا محذوف (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى الله القادر على ما لا نهاية له العالم بجميع المعلومات الغنى عن جميع الحاجات اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم وقرأ ابن كثير يوحى بالبناء للمفعول وروى أيضا عن أبى عمرو وعلى أن كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضمير عائد عليه واسم الجلالة مرفوع بما دل عليه يوحى أى الموحى الله وقرأ أبو حيوة والاعمش وابان نوحى بنون العظيمة فاسم الجلالة مبتدا وعلى هاتين القراءتين فالوقف على من قبلك كاف بخلاف قراءة الجمهور فلا يوقف عليه (له ما فى السموات وما فى الارض) فكل من كان موجودا فى السموات فهو عبد الله فوجب ان يكون الله منزها عن الكون فى المكان والجهة والعرش والكرسى (وهو العلى العظيم) أى هو المتعالى عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات العظيم بالقدرة وكمال الالهية فهو تعالى أعلى كل شئ وأعظم كل شئ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى يتشققن من هيبة الله تعالى وعظمته ويبتدى التشقق من جهتهن الفوقانية قرأ أبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر تكاد بالتاء ينفطرن بنون ساكنة بعد الياء وابن كثير وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء المفتوحة بعد الياء ونافع والكسائى يكاد بالياء يتفطرن بالتاء ومن قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز الوجهين فى ينفطرن ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن الا بالتاء الفوقية (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى والملائكة ينزهون الله تعالى عما لا ينبغى ملتبسين بوصفه تعالى بكونه مفيضا لكل الخيرات (ويستغفرون لمن فى الارض) أى يطلبون تجاوز الذنوب عن المؤمنين وتأخير العقوبة عن الكافرين والفاسقين طمعا فى ايمانهم وتوبتهم ويطلبون الرزق لهم وحيث لم يذكر الله تعالى عن الملائكة استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤن عن كل الذنوب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) فان الله تعالى يعطى المغفرة التى طلبوها ويزيدهم على ما طلبوه رحمة كاملة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى أربابا يعبدونهم من الاصنام (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أعمالهم فيجازيهم عليها (وما أنت عليهم بوكيل) أى ما أنت يا أشرف الرسل بموكول اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فقط (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) أى كما أوحينا اليك أنت لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم فكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتكون نذيرا لاهل أم القرى ولمن حولها من سائر الناس (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة فيجتمع فيه أهل السموات مع أهل الارض (لا ريب فيه) والوقف هنا كاف (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف ففريق مبتدأ خبره الظرف بعده وقرئ بالنصب على الحالية وتنذر يوم جمعهم متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) فى الدنيا (أمة

واحدة) أى على دين واحد وهو اما الاسلام أو الكفر ولكن الله جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا وهو معنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يدخل الله فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ان يدخله فيه (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولى) أى قريب ينفعهم (ولا نصير) أى مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى (أم اتخذوا من دونه أولياء) أى بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الاصنام وغيرها هيهات (فالله هو الولى وهو يحيى الموتى) أى ان أرادوا أوليا بحق فالله هو الولى بحق لا ولى سواه لانه يحيى الموتى (وهو على كل شئ قدير) فهو حقيق بأن يتخذوليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (فحكمه) راجع (الى الله) وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين (ذلكم الله ربى) أى أى ذلكم الحاكم بينكم هو الله مالكى (عليه توكلت) فى دفع كيد الاعداء وفى طلب كل خير (واليه أنيب) أى واليه تعالى أرجع فى كل المهمات لا الى أحد سواه (فاطر السموات والارض) بالرفع خبر خامس لذلكم أو مبتدأ خبره ما بعده وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير أو وصف لاسم الجلالة المجرور بالى (جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم من الناس (أزواجا) أى نساء (ومن الانعام أزواجا) أى وجعل للانعام من جنسها أصنافا ذكرا وأنثى (يذرؤكم فيه) أى يكثركم بسبب هذا الجعل لان الناس والانعام يتوالدون به (ليس كمثله شئ) أى ليس كذاته تعالى ذوات وليس كصفاته تعالى صفات (وهو السميع البصير) للمسموعات والمرئيات (له مقاليد السموات والارض) أى له تعالى مفاتيح الرزق من السموات والارض وهى الامطار والنباتات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسعه لمن يشاء ويقتر (انه بكل شئ عليم) فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) أى اختار الله لكم يا أمة محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمدا وابراهيم وموسى وعيسى فهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع العظيمة وأن تفسيرية بمعنى أى أو مصدرية فى محل نصب بدل من الموصول أو فى محل جر بدل من الدين أو فى محل رفع خبر مبتدأ مضمر تقديره هو ان أقيموا دين الاسلام (ولا تتفرقوا فيه) أى لا تختلفوا فى أصل الدين الذى لا تختلف فيه الشرائع وهو التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق والاعتداء على الحيوان واقتحام الدنا آت وما يعود بخرم المروآت فهذا كله لم يختلف على ألسنة الانبياء (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) أى شق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى (الله يجتبى اليه من يشاء) أى الله يقرب الى ما تدعوهم اليه من يشاء وهو من ولد فى الاسلام ويموت عليه (ويهدى اليه من ينيب) أى ويرشد اليه من يميل اليه من أهل الكفر (وما تفرقوا) أى المشركون فى الدين الذى دعوا اليه (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته (بغيا بينهم) أى حسدا منهم وطلبا للرياسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم) أى ولولا عدة ثبتت فى الازل من ربك بتأخير عذاب هذه الأمة الى وقت معلوم هو يوم القيامة لا وقع القضاء بينهم من هلاكهم بالاستئصال فى الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب) أى وان أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أعطوا كتابهم الذى هو التوراة والانجيل من بعد المختلفين فى الحق

لفي شك من كتابهم موقع في قلق النفس لا يؤمنون به حق الايمان (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) أي فلاجل ماحدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الناس كافة الى الاتفاق على الملة الاسلامية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله تعالى ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي وقل يا أكرم الرسل آمنت بما أنزل الله على الانبياء من كتاب صح ان الله أنزله وهو الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) أي وأمرت بأن أعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي وأسوي بين أكابركم وأصاغركم فيما يتعلق بحكم الله تعالى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) أي ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه لا خصومة بيننا وبينكم في الدين لان الحق قد ظهر ولم يبق للمخاصمة مجال ولا للمخالفة محل سوى العناد وبعده لا جدال فان الله يجمع بين الكل يوم القيامة ويجازيه على عمله لان مرجع الكل اليه تعالى فيظهر هنالك حالنا وحالكم (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم) أي والذين يخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين ودخلوا فيه حجتهم باطلة عند ربهم وتلك المحاجة هي ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست متفقا عليها فحينئذ وجب الاخذ باليهودية فبين الله تعالى ان هذه الحجة فاسدة وذلك لان اليهود أطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق قوله عليه السلام وقد ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على صدق صاحبها وجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لا يدل على صدقه وجب ان لا يقروا بنبوة موسى عليه السلام والاقرار بنبوة موسى مع الانكار بنبوة محمد مع استوائهما في ظهور المعجزات باطل لانه متناقض (وعليهم غضب) لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) أي القرآن وسائر الكتب المنزلة قبلك (بالحق) أي بالصدق (والميزان) أي الشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي أي شئ يجعلك عالما بأن الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب شئ قريب فوجب على العاقل ان يجتهد في النظر ويترك طريقة أهل التقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة قالوا على سبيل السخرية متى تقوم القيامة وليتها قامت ليظهر لنا ان الحق ما نحن عليه أو ما عليه محمد وأصحابه فدفع الله ذلك فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكار واستهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون من قيامها وأهوالها لعلمهم ان التوبة تمتنع عندها (ويعلمون انها الحق) أي الكائنة بلا شك (ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) أي ان الذين يدخلهم الشك في وقوع الساعة فيجادلون فيها لفي ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا محال فكان انكار القيامة ضلالا بعيدا (الله لطيف بعباده) أي كثير الاحسان بهم بالحياة والعقل ودفع أكثر البليات عنهم واعطاء ما لابد منه من الرزق وتأخير العذاب عمن يستحقون العذاب (يرزق من يشاء) كيفما يشاء (وهو القوي) أي القادر على ما يشاء (العزيز) أي الذي لا يغالب فلا يقدر أحد ان يمنعه عن شئ يريده (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) أي

من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نزدله ثوابه بالتضعيف الى مانشاء ونزدله فى تسهيل سبيل الطاعات ونعطه من الدنيا ما كتبناه له (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) أى ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا نعطه بعض ما يطلبه حسب ماقسمناله وماله فى الآخرة ثواب لانه عمل للدنيا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى ألكفار مكة شياطينهم الذين زينوا لهم مالم يأمر الله تعالى به من الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا فانها على ضد دين الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين فى الدنيا (وان الظالمين) أى الذين اختاروا مالم يأذن به الله (لهم عذاب أليم) وقرأ بعضهم وأن بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل أى ولولا الوعد بأن الفصل بينهم يكون يوم القيامة وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشفقين مما كسبوا) أى خائفين خوفا شديدا من جزاء ماعملوا فى الدنيا من السيآت (وهو) جزاؤه (واقع بهم) يوم القيامة فلا ينفعهم الحذر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى مستقرون فى أطيب بقاع الجنات (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى مايشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم فان كل الاشياء حاضرة عنده مهيأة (ذلك) أى جزاء الايمان والعمل الصالح (هو الفضل الكبير) أى فان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشر الله) فى الدنيا (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين والباقون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين (قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) أى قل يا أشرف الخلق لاهل مكة لا أسألكم أجرا قط على التبليغ ببشارة ونذارة ولكن أسألكم المودة متمكنة فى أهل القرابة وحب آل محمد واجب قال الشافعى رضى الله عنه

يارا كباقف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى * فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان انى رافضى

(ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا) أى ومن يكتسب أى حسنة كانت كالمودة للقربى نزدله فى تلك الحسنة تضعيف ثوابها وقرئ يزد بالياء أى يزد الله وقرى حسنى (ان الله غفور شكور) أى انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم وفى التفضل عليهم بزيادة أنواع كثيرة على ذلك الثواب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أى بل أيقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته) أى لو كان القرآن افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق بوحيه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه (انه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وروى جابر ان أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى

من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيآت) فتارة يعفو عن الذنوب بواسطة قبول التوبة وتارة يعفوا بتداء من غير توبة (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازى التائب ويتجاوز عن غير التائب وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على المخاطبة والباقون بالياء على المغايبة (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يجيب الله دعاءهم (ويزيدهم) على ما طلبوه بالدعاء (من فضله) وقال عطاء عن ابن عباس والمعنى ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) أى ولو سوى الله الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الامر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح وقال ابن عباس ولو وسع الله المال على عباده لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (انه بعباده خبير بصير) أى انه عالم بأحوال الناس وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجدب (من بعد ما قنطوا) أى من بعد يأسهم من نزوله وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بتشديد الزاى وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش بكسر نون قنطوا (وينشر رحمته) أى منافع الغيث وما يحصل به من الخصب (وهو الولى الحميد) أى وهو الذى يتولى عباده باحسانه المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) وما معطوف على السموات أى وخلق ما نشر الله فيهما من حى (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) أى وهو تعالى على جمع العقلاء للمحاسبة فى أى وقت يشاء قدير (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها فما متضمنة معنى الشرط ولذلك جاءت الفاء فى جوابها وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء فما بمعنى الذى وبما كسبت خبره والمعنى والذى أصابكم من الاحوال المكروهة وقع بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير) من الذنوب فان الذنوب قسمان قسم يعجل العقوبة عليه فى الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه وهو أكثر (وما أنتم بمعجزين فى الارض) أى بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولى) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) أى السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) أى كالجبال وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء وصلا وابن كثير وهشام بها وقفا والباقون بحذفها للتخفيف (ان يشأ يسكن الريح) التى تجرى بها السفن وقرأ نافع وحده الرياح على الجمع (فيظللن رواكد على ظهره) أى يصرن ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) فان كان المؤمن فى البلاء كان من الصابرين وان كان فى النعماء كان من الشاكرين فلا يكون من الغافلين عن دلائل معرفة الله البتة (أو يوبقهن بما كسبوا) والمعنى أنه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فتقف الجوارى على متن البحر واما أن يرسل الرياح عاصفة فيهلكن بسبب الاغراق بمعصيتهم (ويعف عن كثير) اى ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم وقرأ الاخفش ويعفو بالواو وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب باضمار أن بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) وقرأ نافع

وابن عامر بالرفع على الاستئناف والباقون بالنصب عطف على علة مقدرة تقديره لينتقم منهم وليعلم الخ وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم وعلى هذا فلا يوقف على كثير بخلاف القراءتين الاولين فالوقف عليه تام فمعنى الآية وليعلم الذين ينازعون فى آياتنا على وجه التكذيب أن لا تخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح فيصير ذلك سببا الاعترافهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) أى فما أعطيتم مما تتنافسون فيه من أثاث فهو ما تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من الثواب (خير) مما عندكم (وأبقى) زمانا (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت هذه الآية (والذين يجتنبون كبائر الاثم) كالغيبة والنميمة (والفواحش) كالقتل والزنا والسرقة وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم بالافراد والموصول معطوف على للذين آمنوا وكذا ما بعده (واذا ما غضبوا هم يغفرون) واذا منه وبة بيغفرون ويغفرون خبر لهم والجملة بأسرها عطف على يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية (والذين استجابوا لربهم) أى أجابوا لربهم بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلاة) أى أدوا الصلوات الخمس بشروطها وهيآتها (وأمرهم شورى بينهم) أى اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيما بينهم فيه ثم عملوا به ولا يعجلون فى أمورهم (ومما رزقناهم) أى أعطيناهم من المال (ينفقون) أى فى سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغى) أى المظلمة (هم ينتصرون) أى ينصفون بالقصاص لا بالمكابرة وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء (وجزاء سيئة سيئة مثلها) أى جزاء جناية مثل تلك الجناية (فمن عفى) على المسئ اليه (وأصلح) بينه وبين خصمه بترك المكافأة (فأجره على الله انه لا يحب الظالمين) أى البادئين بالسيئة والمتعدين فى الانتقام واعلم أن العفو على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ولرجوعه عن جنايته فآيات العفو محمولة على هذا القسم وثانيهما أن يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجانى ولقوة غضبه فآية الانتقام محمولة على هذا (ولمن انتصر) أى سعى فى نصر نفسه بطاقته وانتصف بالقصاص (بعد ظلمه) أى بعد ظلم الظالم اياه وقرئ بعد ما ظلم (فأولئك) أى المنتصرون (ما عليهم من سبيل) أى من مأثم وعقاب لانهم فعلوا ما أبيح لهم (انما السبيل) أى المأثم (على الذين يظلمون الناس) أى يبدؤن بالظلم أو يجاوزون فى الانتقام (ويبغون فى الارض بغير الحق) أى يتكبرون فى الارض بلا حق (أولئك لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وتطاولهم (ولمن صبر) على الاذى بأن لا يقتص (وغفر) لمن ظلمه وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) أى الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) أى من مطلوبات الله تعالى فى الامور وقيل نزل قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله تعالى لمن عزم الامور فى شأن أبى بكر الصديق وعمرو بن غزية الانصارى فى تنازع بينهما فشتم الانصارى أبا بكر الصديق فأنزل الله تعالى فى شأنهما هذه الآيات (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) أى من أضله الله تعالى عن هذه الاشياء فليس له هاد يهديه من بعد اضلال الله اياه (وترى الظالمين) أى المشركين يوم القيامة (لما رأوا العذاب) أى حين يرونه (يقولون هل الى مرد من سبيل) أى هل الى رجوع الى الدنيا من حيلة (وتراهم) فى ذلك اليوم (يعرضون عليها) أى النار والخطاب فى الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) أى حال كونهم حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل (ينظرون

من طرف خفي) أي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كما ينظر المقتول الى السيف (وقال الذين آمنوا) على سبيل التعيير للكافرين (ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) باستغراقها في العذاب (وأهليهم) بغفارقتهم لهم (يوم القيامة) ظرف لقال وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين) أي المشركين (في عذاب مقيم) أي دائم وهذا من كلام الله تصديقا للمؤمنين أو من تمام كلامهم (وما كان لهم) أي المشركين (من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسب ما كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من سبيل) أي دين (استجيبوا لربكم) اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) وقوله من الله اما صلة للامرد أي لا يرده الله بعد ما حكم به واما صلة ليأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده (ما لكم من ملجأ) ينفع في التخلص من العذاب (يومئذ) أي في ذلك اليوم (وما لكم من نكير) أي لا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه من الاعمال لانه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي فان لم يقبل هؤلاء هذا الامر فانا لم نرسلك لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان عليك الا البلاغ) لما أرسلناك به وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أي نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها) وأعجب بها غير شاكر لها (وان تصبهم سيئة) أي بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم) أي بما عملوه من المعاصي (فان الانسان كفور) أي فيظهر منه الكفر ونسيان النعمة وذكر البلية من غير تأمل لسببها (لله ملك السموات والارض) فيتصرف فيهما وما فيهما كيفما يشاء ويقسم النعمة والبلية حسب ما يريده (يخلق ما يشاء) كيف يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أي يخلطهم ذكرانا واناثا (ويجعل من يشاء عقيما) أي بلا ولد (انه عليم) بما خلق (قدير) على ما يشاء ان يخلقه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) أي وما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله الا على أحد ثلاثة أوجه اما أن الله يلهمه في قلبه لا بواسطة شخص آخر ولا بسمع عين كلام الله كما في أم موسى وكما في رؤية ابراهيم عليه السلام في المنام بذبح ولده واما أن الله يوصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه سمع عين كلام الله من غير رؤية ذاته تعالى كما وقع لموسى عليه السلام واما أن الله يوصل اليه الوحي بواسطة شخص آخر وهو جبريل وهذا هو الذي يجري بينه وبين الانبياء في أكثر الاوقات من الكلام روي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت هذه الآية وقرأ نافع برفع يرسل باضمار مبتدأ أي أو هو يرسل أو بالعطف على ما يتعلق به من وراء اذ التقدير أو يسمع من وراء حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسل رسول وكذلك فيوحي فسكنت ياؤه وأما على قراءة الجمهور بنصب يرسل ويوحي فهو معطوف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي أو اسماع للكلام من وراء حجاب أو ارسال رسول ويقال التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحي اليه وحيا أو يسمع اسماعا من وراء حجاب أو يرسل رسولا (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل

الالهام وثانيا باسماع الكلام وثالثا بتوسيط الملائكة الكرام (وكذلك) أى مثل ذلك الايحاء (أوحينا اليك روحا من أمرنا) أى حال كون الروح وهو القرآن بعض ما نوحيه اليك لان الموحى اليه لا ينحصر فى القرآن وسمى القرآن روحا لانه يفيد الحياة من موت الجهل والكفر (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) أى أى شىء هو القرآن والايمان بتفصيل ما فى القرآن من الامور التى لا تهتدى اليها العقول (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه اليك (نورا نهدى به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره الى جهة الاهتداء به (وانك لتهدى) بذلك النور من تشاء هدايته (الى صراط مستقيم) أى دين حق وقرئ لتهدى بالبناء للمفعول أى ليهديك الله وقرئ لتدعو (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى فالذى تجوز عبادته هو الذى يملك السموات والارض (ألا الى الله تصير الامور) أى أمور الخلائق فى الآخرة فلا حاكم سواه يجازى كلا منهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب

﴿سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين) أى والكتاب المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى أبواب الديانة (انا جعلناه) أى انا صيرنا الكتاب (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى لكى تفهموه وتعرفوا حق النعمة فى ذلك (وانه) أى الكتاب (فى أم الكتاب) أى مثبت فى أصل الكتب السماوية وهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة والكسائى بكسر همزة أم الكتاب (لدينا) أى محفوظ عندنا من التغيير (لعلى) أى رفيع الشان (حكيم) أى محكم فى أبواب البلاغة والفصاحة (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أى أنترككم فنبعد عنكم المواعظ ابعادا وهذا استفهام على سبيل الانكار (أن كنتم قوما مسرفين) وقرأ حمزة والكسائى ونافع بكسر الهمزة على انها شرطية لقصد تجهيل المخاطب والباقون بالفتح على التعليل أى انا لا نترك هذا الانذار بسبب كونكم منهمكين فى الاسراف وهذا الكلام يحتمل الرحمة والمبالغة فى التغليظ فالمعنى على الاول انا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم الى ان ترجعوا الى الطريق الحق وعلى الثانى أتظنون ان نترككم مع ما تريدون كلا بل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب وأقدمتم على القبيح قال قتادة لو ان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة (وكم أرسلنا من نبى) قبلك يا أكرم الرسل (فى الاولين) أى فى الامم الماضية (وما يأتيهم) أى والحال انه ما يأتى الاولين (من نبى الا كانوا به يستهزؤن) أى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب فلا ينبغى ان تتأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب لان المصيبة اذا عمت خفت (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا أهلكنا أشد قوة من أهل مكة الذين يستهزؤن بك (ومضى مثل الاولين) أى سبق فى القرآن مرارا ذكر صفة الاولين فى الاهلاك (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) فهم مقرون بان خالقهن وما فيهن هو الله ذو العزة فى سلطانه والعلم فى تدبيره ومع هذا الاقرار يعبدون معه تعالى غيره وينكرون قدرته على البعث (الذى جعل لكم الارض مهدا)

أي فراشا ثابتة ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية وقرأ الكوفيون مهدا والباقون مهادا وهذا الموصول ابتداء الكلام من الله تعالى دال على نفسه بذكر مصنوعاته أي هو الذي الخ (وجعل لكم فيها) أي الارض (سبلا) تسلكونها في أسفاركم (لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم ولتهتدوا بالتفكر فيها الى التوحيد والدين الحق (والذي نزل من السماء ماء بقدر) حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم لا كما أنزل على قوم نوح حتى أغرقهم (فأنشرنا به بلدة ميتا) أي فأحيينا بذلك الماء مكانا خاليا من النبات (كذلك تخرجون) أي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من قبوركم أحياء فهذا الدليل كما يدل على قدرته تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة (والذي خلق الازواج) أي أصناف المخلوقات (كلها) وقيل كل ماسوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات والصيف والشتاء والربيع والخريف (وجعل لكم من الفلك والانعام) أي الابل (ماتركبون) أي ماتركبونه (لتستووا على ظهوره) أي لتستعلوا على ظهور ماتركبونه من الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم) أي ركبتم (عليه) بان تعرفوا ان الله تعالى خلق البحر والرياح والسفن والابل وتعرفوا ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى وتشتغلوا بالشكر للنعم التي لانهاية لها (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي ليس لنا من القوة ان نضبط هذه الدابة والفلك (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون من الدنيا الى دار البقاء كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وروي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال له ما بهذا أمرت أمرت أن تقول الحمد لله الذي هدانا للاسلام الحمد لله الذي من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحان الذي سخر لنا هذا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا ثم قال اللهم اني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا السفر واطو عنا بعد الارض اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة على الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان اذا رجع الى أهله يقول آيبون تائبون لربنا حامدون (وجعلوا له من عباده جزأ) أي أثبتوا أي بنوه لمح له تعالى ولدا هو عبد من عباده (ان الانسان لكفور مبين) أي لمبالغ في الكفر ظاهر الكفر (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أي بل اتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي واذا أخبر أحد بني مليح بالبنت التي جعلها للرحمن شبها صار وجهه أسود من أحزان ما أخبر به والحال انه مغموم أفبرضون لله مالا يرضون لأنفسهم وقرئ مسود ومسوادة واسم ظل اما ضمير يعود الى أحد وجملة وجهه مسود من المبتدا والخبر خبرها واما وجهه فمسود خبر مبتدا مقدر أي هو مسود فتقع هذه الجملة موقع خبر ظل (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أي أو جعلوا من عادتها ان تربى في الزينة من الذهب والفضة ولدا لله فالتي تتربى في الزينة تكون ناقصة الذات اذ لولا نقصانها في ذاتها لما احتاجت في تكميل نفسها الى الزينة والحال انها اذا احتاجت المخاصمة عجزت عن اقامة الحجة لضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها وهي النساء فكيف يليق ان يكن بنات الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم

بضم الياء وفتح النون والباقون بفتح الياء وسكون النون (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا بان الملائكة أكرم العباد على الله أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا فالقول بان الملائكة اناث كفر وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن أى وحكموا بان الملائكة الذين يكونون عند الرحمن لاعند هؤلاء الكفار اناث فكيف عرفوا كونهم اناثا (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا اخلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بأنوثتهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وسكون الشين وأدخل قالون بينهما الفا أى آحضروا خلقهم أى حين خلقهم (ستكتب شهادتهم) فى ديوان أعمالهم وهى قولهم ان لله جزأ وان له بنات وانها الملائكة (ويسئلون) عنها يوم القيامة (وقالوا) أى بنو مليح (لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى لوشاء الله عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ماعبدناهم فافعلنا من عبادتنا اياهم حق مرضى عنده تعالى (مالهم بذلك) أى القول (من علم ان هم الا يخرصون) أى ماهم الا يكذبون فى ذلك القول وهو قولهم الملائكة بنات الله وان الله قدشاء مناعبادتنا اياهم بمشيئة الارتضاء (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) أى هل وجدوا ذلك الباطل فى كتاب منزل قبل القرآن حتى جاز لهم ان يتمسكوا به (بل قالوا اناوجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أونقلية بل اعترفوا بتقليد آبائهم الجهلة وقالوا اناوجدنا آباءنا على حالة عظيمة تقصدوانامهتدون على أعمالهم (وكذلك) أى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى ما أرسلنا نبيا مخوفا من قبلك الى أهل قرية الا قال من يحبون الشهوات والملاهى و يبغضون تحمل المشاق فى طلب الحق قولا مثل قول قومك (اناوجدنا آباءنا على أمة) أى على طريقة تستحق ان تقصد (وانا على آثارهم) أى أعمالهم (مقتدون قال) يا أشرف الرسل لقومك قال أبو السعود صيغة الامر أمر ماض متعلق بالنذير السابق حكاه الله لنبيه على تقدير فقلناله قل لا أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك انه قرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضى أى قال كل نذير لأممهم (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أوضح فى الدلالة من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أى قال كل أمة لنذيرها انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أصوب فانا بما أرسلت به منكرون وان كان ماجئتنا به أوضح مما كنا عليه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من الامم الماضية فلا تكترث بتكذيب قومك (واذقال ابراهيم لابيه) آزر (وقومه) المكبين على التقليد (اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى) أى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى خلقنى وبراء مصدر نعت به مبالغة وقرأ الزعفرانى وابن المنادى بضم الباء وقرأ الاعمش انى برىء بنون واحدة وبصيغة اسم الفاعل (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية والسين للتأكيد وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها كلمة باقية فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى و يدعو الى توحيده فقوله عليه السلام اننى براء مما تعبدون جار مجرى لااله وقوله الا الذى فطرنى جار مجرى الا الله فكان مجموع قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى جار يا مجرى قوله لا اله الا الله وعلى هذا لا يوقف على قوله مما تعبدون وقرئ كلمة وفى عقبه بسكون اللام وسكون القاف (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم (بل متعت هؤلاء) أى بل متعت منهم أهل مكة (وآباءهم) بطول العمر وسعة الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة

التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (و رسول مبين) أى ظاهر الرسالة و يوضحها بما معه من الآيات والمعجزات فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولذا قال تعالى (ولما جاءهم الحق) أى القرآن (قالوا هذا سحر) أى خيال (وانا به كافرون) فكفروا بالقرآن واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) فى المال والجاه فالذى بمكة هو الوليد بن المغيرة والذى بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفى (أهم يقسمون رحمة ربك) أى نبوة ربك لمن شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق (درجات) أى متفاوتة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فى القوة والضعف والعلم والجهل والحذاقة والبلاهة والشهرة والخمول فلو سوينا بينهم فى كل هذه الاحوال لم يخدم أحد أحدا وحينئذ يفضى ذلك الى فساد نظام الدنيا وخراب العالم ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا فى أحوال الدنيا مع دناءتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة فكما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورحمة ربك) من النبوة وسعادة الدارين (خير مما يجمعون) من الاموال فالعظيم من حاز النبوة لا من حاز الاموال الكثيرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أى ولولا ان يرغب الناس فى الكفر اذا رأوا أهل الكفر فى سعة من الرزق لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لاعطينا الكافرين أكثر الاسباب المفيدة للتنعم ولجعلنا سقف بيوتهم من فضة ومصاعد من فضة يرتقون عليها وأبواب بيوتهم من فضة وسررا من فضة ينامون عليها (وزخرفا) أى زينة من كل شىء فى كل شىء وهو معطوف على سقفا ويجوز ان يكون معطوفا على محل فضة أى جعلنا بعض هذه الاشياء فضة وبعضها ذهبا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف والباقون بضمهما وقرئ معاريج (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم فهو بمعنى الا وان نافية كما فى قراءة أبى وما ذلك أى وما كل ما ذكر الاشىء يتمتع به فى الحياة الدنيا والباقون بالتخفيف فما زائدة وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة أى وانه كل ذلك لمتاع الحياة وقرئ بكسر اللام وهى تعليل وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الحياة (والآخرة) أى ما فيها من فنون النعم (عند ربك للمتقين) أى عن الكفر والمعاصى فان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش عن ذكر الرحمن) بضم الشين أى ومن يعرض عن القرآن وقرئ يعش بفتح الشين أى يعمو بالكسر أى يعمى وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرف ان القرآن حق وهو يتجاهل (نقيض له) أى نضم اليه (شيطانا فهو) أى الشيطان (له قرين) فى الدنيا وفى النار روى ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار وقرئ يقيض بالياء والفاعل يعود الى الرحمن ومن قرأ يعشو فحقه ان يرفع يقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) أى وان الشياطين ليصرفون قرناءهم عن سبيل الحق (ويحسبون انهم مهتدون) أى والحال ان الكفار المعرضون عن القرآن يعتقدون انهم على هدى (حتى اذا جاءنا) أى جاءنا كل واحد من العاشين مع قرينه الشيطان يوم القيامة فى سلسلة واحدة وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر جاآنا على صيغة التثنية أى جاءنا العاشى والشيطان (قال) أى العاشى مخاطبا الشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين)

أى ليت حصل بيني وبينك فى الدنيا مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت فكسرة
المال والجاه توجب كمال النقصان والحرمان فى الدين والدنيا فظهر ان قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم كلام فاسد (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) وفاعل ينفع
اما انكم ومدخولها واذ ظلمتم ابدل من اليوم والمعنى ولن ينفعكم اليوم اذ تبين الآن عندكم وعند
الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بالاشراك بالله كونكم مشتركين فى العذاب بمعنى ان يحصل
لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من
العذاب والعنهم لعنا كبيرا واما ضمير يعود الى التمنى واذ ظلمتم تعليل لنفى النفع وكذلك أنكم بفتح الهمزة
ويؤيد هذا الاحتمال قراءة ابن عامر فى رواية انكم بكسر الهمزة والمعنى ولن ينفعكم يوم القيامة تمنيكم
لمباعدتهم لاجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى لان حقكم ان تشتركوا
أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن
كان فى ضلال مبين) أى أفأنت وحدك من غير ارادتنا تسمع الصم الحق أو تهدى العمى حتى يبصروا
الحق وتهدى من تمرنوا فى الضلال الى الهدى أى انهم بلغوا فى النفرة عن دينك الى حيث اذا أسمعتهم
القرآن كانوا كالصم واذا رأيتهم المعجزات كانوا كالعمى فان صممهم وعماهم كانا بسبب كونهم فى كفر
بين (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) أى فان قبضناك قبل نزول النقمة بهم فانا منتقمون منهم
بعد موتك فى الدنيا والآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) أى أو نرينك فى حياتك
ما وعدناهم من الذل والقتل فلا يعوقنا عائق لانا قادرون على عذابهم قبل موتك وبعده (فاستمسك
بالذى أوحى اليك) بان تعتقد انه حق وبان تعمل بموجبه وقرئ أوحى بالبناء للفاعل وهو الله تعالى
(انك على صراط مستقيم) لا يميل عنه الا الضال فى الدين (وانه لذكر لك ولقومك) أى وان الذى أوحى
اليك لموجب شرف عظيم لك ولقريش حيث يقال ان هذا الكتاب أنزله الله تعالى على رجل منهم
(وسوف تسئلون) هل أديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل (واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى واسأل مؤمنى أهل التوراة والانجيل هل جاءت
عبادة الاوثان فى ملة من مللهم بأمرنا فانهم يخبرونك عن كتب الرسل فاذا سألتهم فكأنك سألت
الانبياء فما جاءت الرسل الا بالتوحيد فلم يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان موقنا بذلك واذا كان
التوحيد متفقا عليه بين الرسل وجب ان لا يجعلوه سببا لبغض محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا) وهى المعجزات التى كانت مع موسى عليه السلام (الى فرعون وملئه) أى قومه (فقال انى
رسول رب العالمين) اليكم فقالوا له ائت بآية (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أى استهزؤا
بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى الا وهى أعظم من الآية
التى كانت قبلها فى زعم الناظر (وأخذناهم بالعذاب) أى بأنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع
والبرد الكبار ملتهبا بالنار وموت الابكار (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن كفرهم الى الايمان
(وقالوا) لموسى لما رأوا العذاب (يا أيها الساحر) أى العالم الماهر يوقرونه عليه السلام بذلك القول
لاستعظامهم علم السحر (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) أى بالذى عهد لك
وكان عهده لموسى ان آمنوا كشفنا عنهم العذاب (اننا لمهتدون) أى لمؤمنون بك وبما جئت به (فلما
كشفنا عنهم العذاب) بدعوته عليه السلام (اذا هم ينكثون) عهدهم فى كل مرة من مرات العذاب

أى فكانوا يتوبون فى كل واحدة من العذاب فاذا انكشف عنهم نقضوا العهد بالايمان (ونادى فرعون فى قومه) أى فيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) أربعين فرسخا فى أربعين فرسخا قال مجاهد هى الاسكندرية (وهذه الانهار) التى فصلت من النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى (أفلا تبصرون) ذلك فقد احتج فرعون على فضيلة نفسه بكثرة أمواله وقوة جاهه (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين) أى بل أنا خير من موسى الذى هو فقير ضعيف الحال لانه يتعاطى أموره بنفسه (ولا يكاد يبين) أى يظهر حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقى على موسى من عند مرسله مقاليد الملك ان كان صادقا فى دعواه لان عادة القوم جرت بانهم اذا جعلوا واحدا رئيسا لهم ألبسوه سوارا من ذهب وطوقا من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحالة وقرأ حفص أسورة والباقون أساورة وقرئ ألقى عليه أسورة وأساورة على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أى أو هلا جاء الملائكة ماشين مع موسى فيستدلون على صحة نبوته (فاستخف قومه) أى فطلب فرعون من قومه الخفة فى الاتيان بما كان يأمرهم به (فأطاعوه) فيه (انهم كانوا قوما فاسقين) حيث سارعوا الى طاعة ذلك الجاهل الفاسق (فلما آسفونا انتقمنا منهم) أى فلما أغضبوا انبياءنا موسى ومالوا الى ارادة عقابنا بالافراط فى العصيان عاقبناهم (فأغرقناهم أجمعين) فى البحر (فجعلناهم سلفا) أى متقدمين ليتعظ بهم كفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام والباقون بفتحهما (ومثلا للآخرين) أى عظة لمن بقى بعدهم وقصة عجيبة لهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أى لما جعل عيسى مشابها للاصنام فى كونه معبودا (اذا قومك) قريش (منه) أى من ذلك المثل (يصدون) أى يضحكون ويرتفع أصواتهم فرحا بما سمعوا من ابن الزبعرى لظنهم ان محمدا صار مغلوبا بهذا الجدل المروى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبدالله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولآلهتنا أو لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال عبدالله خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فاذا كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبى صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضجوا فنزلت هذه الآية وعبدالله هذا صحابى مشهور وهذه القصة كانت قبل اسلامه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى وأبو بكر عن عاصم بضم الصاد وهو قراءة على بن أبى طالب والباقون بكسرها وهو قراءة ابن عباس (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أى ان جاز لعيسى الدخول فى النار مع النصارى يجوز لنا الدخول فى النار مع آلهتنا وأنت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى فاذا كان هو من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون وقيل ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فقولهم أآلهتنا خير أم هو تفضيل لآلهتهم على عيسى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا قالوا يجب عبادة هذه الاصنام فحينئذ عبادة الاصنام أولى لان آباءنا متطابقين عليه وأما محمد فانه متهم فى أمرنا بعبادته فمعنى أآلهتنا خير أم هو أى أعبادة الاصنام خير أم عبادة محمد والوقف على أم هو تام (ماضربوه لك الا جدلا) أى ماضربوا لك هذا المثل الا لاجل الغلبة فى القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) أى شداد الخصومة مجبولون على اللجاج فان قوله

تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول عيسى والملائكة لان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة ولان النصوص الدالة على تعظيم عيسى والملائكة أخص من هذا القول والخاص مقدم على العام (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي ما عيسى الا عبد كسائر العبيد شرفناه بالنبوة والاقدار على الخوارق وليس هو باله وصيرناه عبرة عجيبة حيث خلقناه من غير أب ليعرفوا اتميزنا بالقدرة الباهرة (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) أي ولو نشاء لجعلنا من رجالكم ملائكة مستقرين في الارض بطريق التوليد من غير واسطة نساء يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى بلا فحل فهذا أمر سهل علينا مع انه أعجب من حال عيسى الذي تستغربونه فانه بواسطة أم وشأن الام الولادة (وانه لعلم للساعة) أي وان عيسى لشرط من اشراط الساعة والمعنى وان نزول عيسى من السماء علامة على قرب الساعة وقرأ ابن عباس لعلم بفتح العين واللام أي علامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على ثنية في الارض المقدسة يقال لها أفيق وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به (فلا تمترن بها) أي فلا تشكن في وقوع الساعة (واتبعون) أي واتبعوا هداي أو رسولي (هذا) أي الذي أدعوكم اليه (صراط مستقيم) أي موصل الى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعي (انه لكم عدو مبين) أي انه قد بانت عداوته لكم لاجل انه هو الذي أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى) الى بني اسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات وبالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أي بأصول الدين لاعلمكم اياها (ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه) وهي فروع الدين فان قوم موسى قد اختلفوا في أشياء من أحكام التكليف واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في المسائل الخلافية أما اختلافهم في الاشياء التي لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها (فاتقوا الله) في الاعراض عن دينه (وأطيعون) فيما أبلغه اليكم من التكاليف (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه) بالشرائع واعتقدوا وحدانيته تعالى أي التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) لا يضل سالكه (فاختلف الاحزاب من بينهم) أي فاختلف الطوائف في عيسى بعد رفعه الى السماء اختلافا ناشئا منهم فقال اليعقوبية هو الله وقال النسطورية هو ابن الله وقال الملكانية هو شريك الله وقال المرقوسية هو ثالث ثلاثة وقال اليهود هو ابن زنا (فويل) أي شدة عذاب (للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين الذين وضعوا القول في غير موضعه (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) فان تأتيهم بدل من الساعة أي ما ينتظر الناس الا اتيان الساعة فجاءة غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أي المتحابون في الدنيا بعضهم عدو لبعض يوم اذ تأتيهم الساعة الا الموحدين الذين يتحاب بعضهم بعضا على التقوى فان مودتهم لا تصير عداوة فان الذين حصلت بينهم محبة في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل طلب الدنيا ولذاتها فهذه المطالب لا تبقى في القيامة بل تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة في القيامة وان كان حصول المحبة في الدنيا لاجل الاشتراك في محبة الله وفي طاعته كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كأنها تصير أصفى مما كانت في الدنيا ويقول الله لهم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)

أى مخلصين لنا بالعبادة وقد روى فى هذا الحديث ان المنادى ينادى يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرفع الخلائق رؤسهم فيقولون نحن عباد الله ثم ينادى الثانية الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ويبقى الموحدون رافعين رؤسهم ثم ينادى الثالثة الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكبائر رؤسهم ويبقى أهل التقوى رافعين رؤسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم الله لانه أكرم الاكرمين والموصول صفة للمنادى أونصب للمدح وعلى هذا لايوقف على تحزنون أما ان جعل مبتدأ وخبره مضمر فالوقف على تحزنون تام والتقدير يقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تكرمون بالتحف اكراما على سبيل المبالغة (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) أى لهم فى الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم فى قصاع من ذهب وكيزان من ذهب (وفيها) أى الجنة (ماتشتهيه الانفس) من الاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا أنفسهم من الشهوات فى الدنيا (وتلذ الاعين) من الاشياء المبصرة جزاء ماتحملوه من منع أعينهم من نظر مالايجوز شرعا وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه باثبات العائد على الموصول والباقون بحذفه وقرئ وتلذه بالهاء (وأنتم فيها) أى الجنة (خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها جزاء على عملكم الصالح فى الدنيا (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فلا تنفد أبدا (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبران وفى عذاب متعلقة به (لايفتر عنهم) أى لاينقص العذاب عنهم (وهم فيه) أى العذاب (مبلسون) أى آيسون من النجاة وقرأ عبد الله وهم فيها أى فى جهنم وهذه جملة حالية (وماظلمناهم) بعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) لاقبال أنفسهم للعذاب الخالد بقصدهم عدم الانفكاك عن الكفر مابقوا فى الدنيا فالظالمين خبركان وقرأ عبد الله وأبو زيد الظالمون على أنه خبرلهم والجملة خبركان (ونادوا) خازن النار (يامالك) قرأ ابن مسعود يامال بحذف الكاف وهذا دليل على أنهم بلغوا فى الضعف الى حيث لايمكنهم أن يذكروا من الكلمة الابعضها (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربك أن يميتنا لنستريح من العذاب وهذا تمن للموت لشدة عذابهم (قال) أى مالك بعد أربعين سنة كما قاله عبد الله بن عمر وقيل الضمير يعود الى الله (انكم ماكثون) فى العذاب أبدا لاخلاص لكم منه بموت ولابغيره قال الله تعالى مقررا الجواب مالك ومبينا السبب مكثهم (لقد جئناكم بالحق) أى بالدين الحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ينفرون عنه ويبغضونه (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون) أى أأتقن مشركوا مكة أمرا فى كيدهم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فانا متقنون كيدنا حقيقة وكانوا يتشاورون فى أموره صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم) أى بل أيحسبون أنا لانسمع ماحدثوا به أنفسهم أوغيرهم فى مكان خال وماتكلموا به فيما بينهم (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى بلى نسمعهما ونطلع عليهما والحال ان رسلنا وهم الحفظة الذين يلازمونهم أينما كانوا يكتبون عليهم كل ماصدر عنهم من الافعال والاقوال (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولد يجب على عبده أن يخدمه كما يجب عليه أن يخدم السلطان والمعنى ان قام الدليل على ثبوت ولد لله تعالى كنت مقرا بوجوب خدمته لكن لم يوجد الدليل على ثبوته بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقر بوجوده قال بعضهم ان كلمة ان ههنا نافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فأنا أول المقرين من أهل مكة بان ليس لله ولد وأنا أول الموحدين منهم أن لاشريك له تعالى وقرأ حمزة والكسائى ولد بضم الواو واسكان

للام والباقون بفتحهما (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) من أن له ولد (فذرهم) أى فاتركهم فى ذلك الباطل حيث لم يذعنوا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلى (يخوضوا) أى يفعلوا فى أباطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى حتى يصلوا الى اليوم الذى يوعدون فيه بالعذاب وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) أى وهو الذى هو معبود فى السماء ومعبود فى الارض (وهو الحكيم العليم) فكونه بليغ الحكمة فى تدبير خلقه وبالغا فى العلم عصا لحهم ينافى حصول الولد له (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) أى دام الذى له ملكها وكثرت خيراته فعيسى ليس ولدا لله تعالى لانه حدث بعد ان لم يكن ثم انه مات ولانه محتاج الى الطعام فالذى هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ولا مجانسة بين عيسى والباقى الغنى عن كل شئ فامتنع كونه ولدا له تعالى (وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها ومن كان كاملا فى الذات والعلم والقدرة امتنع أن يكون له ولد عاجز وعديم العلم على أحوال العالم بالحد الذى وصفه النصارى (واليه ترجعون) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للتهديد وقرئ تحشرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) أى ان الملائكة وعيسى وعزيرا الذين كانوا يعبدهم الكفار من دون الله لا يشفعون الا لمن شهد بالحق (وهم يعلمون) بقلوبهم ما يشهدون به بألسنتهم روى أن النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نعبد الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد فأنزل الله هذه الآية ويقال ان كل معبود من دون الله لا يملكون الشفاعة الا من شهد أنه لا اله الا الله وهم الملائكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله وهم يعلمون ان الله خلقهم وانهم عباده (ولئن سألتهم) أى الكفار الذين ادعوا الشريك لله (من خلقهم) أى العابدين والمعبودين معا (ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ولم يكذبون على الله حيث قالوا ان الله أمرنا بعبادة الاصنام (وقيله) قرأ الاكثرون بالنصب على المصدر أى قال النبى قوله أو عطف على سرهم أو على محل الساعة وقرأ عاصم وحمزة بالجر عطف على الساعة أو ان الواو للقسم وقرأ الاعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع عطف على علم الساعة أو مبتدأ وخبره ما بعده (يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) بك وبرسولك قال تعالى (فاصفح عنهم) أى فاعرض عنهم بغيرا التبليغ وبالدعاء عليهم بالعذاب (وقل سلام) أى شأنى الآن متاركة بسلامتكم منى وسلامتى منكم فهذا تباعد منهم (فسوف يعلمون) ما يفعل بهم وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب على الالتفات لزيادة التهديد والتقريع والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون وهذه الآية غير منسوخة لان الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأى حاجة فيه الى التزام النسخ

﴿سورة الدخان مكية وهى تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التى أنزلها الله تعالى على أنبيائه وأن يكون المراد به اللوح المحفوظ وان يكون المراد به القرآن وهذا يدل على

غاية تعظيم القرآن (انا أنزلناه) أى القرآن (فى ليلة مباركة) قال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان ونقل محمد بن جرير الطبرى عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتى عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه والقرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هى ليلة القدر وقد قيل انه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فى ليلة مباركة ثم أنزل فى كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت (انا كنا منذرين) أى مخوفين بالقرآن (فيها) أى ليلة مباركة (يفرق) أى يظهر للملائكة الموكلين بالتصرف فى العالم (كل أمر حكيم) أى مبرم لا يحصل فيه تغيير ولا نقص بل لا بد من وقوعه فى تلك السنة وقال الرازى معنى الحكيم ذو حكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله تعالى فلما كانت تلك الافعال والاقضية دالة على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكيمة وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل ونصب كل والفارق هو الله تعالى وقرأ زيد بن على نفرق بالنون (أمرا من عندنا) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله أى فى حال كون القرآن أمرا من عندنا على ما يجب ان يفعل أو من أمر حكيم أو مفعول له وناصبه اما أنزلناه واما منذرين واما يفرق أى أو مصدر من معنى يفرق أى فرقا كائنا من عندنا (انا كنا مرسلين) أى انا فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين الانبياء (رحمة من ربك) مفعول له أى لاجل افاضة رحمتنا على العباد والمعنى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاقتضاء رحمتنا لسابقة ارسالهم أو بدل من أمرا فيجىء فيه رحمة ما تقدم من الاوجه فى أمرا (انه هو السميع العليم) فان المحتاجين للرحمة اما ان يذكروا حاجاتهم بألسنتهم واما أن لا يذكروها فان ذكروها فانه تعالى سميع لكلامهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بحاجاتهم (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بالجر بدل من ربك أو بيان عليه والباقون بالرفع عطف بيان على قوله السميع العليم أو خبرا آخر أو استئناف على اضمار مبتدا (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تريدون اليقين فاعرفوا ان الامر كما قلنا (لا اله الا هو يحيى ويميت) وهذا تنبيه على تمام دلائل التوحيد (ربكم ورب آبائكم الاولين) بالرفع بدل أو بيان أو نعت لرب السموات وقرأ ابن محيصن وابن أبى اسحق وأبو حيوة والحسن بالجر على البدل أو البيان أو النعت لرب السموات وقرأ الانطاكى بالنصب على المدح (بل هم فى شك) أى ليسوا على يقين فى اقرارهم بأن للسموات والارض ربا وخالقا هو الله تعالى وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم فهم فى شك (يلعبون) فى دينهم بما يظهر لهم من غير حجة (فارتقب) أى انتظر يا أكرم الرسل عذابهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وهو ما أصابهم من شدة الجوع فانهم لظلمة أبصارهم كانهم يرون دخانا بين السماء والارض فالمراد بالدخان هنا على ما قاله ابن عباس فى بعض الروايات وابن مسعود ومقاتل ومجاهد واختاره الفراء والزجاج هو ما أصاب قريشا من الجوع بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كذبه قومه بمكة دعا عليهم فقال اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف فارتفع المطر واجدبت الارض وأصابت قريشا شدة المجاعة حتى أكلوا

العظام والكلاب والجيف فكان الرجل يرى بينه وبين السماء كالدخان لما به من الجوع ونقل عن علي وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وزيد بن علي والحسن ان المراد بالدخان هنا دخان يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والارض يمكث أربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كالزكام وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت أوقدت فيه النار وقال عبد الرحمن الاعرج ان المراد بالدخان هو الغبار الذي ظهر يوم فتح مكة من ازدحام جنود الاسلام حتى حجب الابصار عن رؤية السماء (يغشى الناس) أي يشملهم وهو في محل جر صفة لدخان (هذا عذاب أليم) فان قلنا التقدير يقولون هذا عذاب أليم (ربنا اكشف عنا العذاب) فالعذاب هو القحط الشديد وان قلنا التقدير يقولون ربنا اكشف عنا العذاب فالعذاب هو الدخان المهلك الذي يدخل في اسماع الكفرة حتى يصير رأسهم كالرأس الحنيذ (انا مؤمنون) بمحمد وبالقرآن والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أي كيف يتعظون بهذه الحالة والحال انهم قد شاهدوا ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة وهي أعظم موجبات الاتعاظ ثم لم يلتفتوا اليه وقالوا ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من جبر غلام عامر بن الحضرمي وهو قين نصراني أو غلام لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وقالوا ان الجن يلقون على محمد هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أي انا نكشف العذاب عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا بدعاء محمد صلى الله عليه وسلم انكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك والمعنى انهم لا يفون بعهدهم وانهم في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) ويوم منصوب بما دل عليه منتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها أي يوم نأخذ بشدة أخذ اقويا بايصال الآلام المتتابعة ننتقم انا منتقمون وهو يوم بدر كما قاله ابن مسعود ومجاهد ومقاتل وأبو العالية وروى عكرمة عن ابن عباس هو يوم القيامة وقرأ الحسن البصري وأبو جعفر المدني نبطش بضم الطاء وقرئ نبطش بضم النون فان الله أمر الملائكة بأن يعاقبهم العقوبة العظمى (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أي ولقد عاملنا قوم فرعون قبل هؤلاء العرب معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم (وجاءهم رسول كريم) على ربه وهو موسى عليه السلام اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام (أن أدوا الى عباد الله) أي بأن الحديث أرسلوا بني اسرائيل معي (اني لكم رسول) من الله (أمين) أي قد ائتمنني الله تعالى على وحيه ورسالته وصدقني بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعلوا على الله) أي وبأن الشأن لا تتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله (اني آتيكم بسلطان مبين) أي آتيكم من جهة الله تعالى بحجة واضحة يعترف بصحتها كل عاقل (واني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أي واني اعتصمت بربي وربكم من ان تقتلون قيل لما قال موسى وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل ما أتيتكم به من الحجة فخلوا سبيلي لا لي ولا علي (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أي انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بأن هؤلاء قوم مشركون اكتسبوا الهلاك على أنفسهم فافعل بهم يا رب ما يليق بهم وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى والحسن بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين (ف) قال ربه (أسر بعبادي ليلا) أي سر ليلا ببني

إسرائيل قرأ نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم ويصير ذلك سببا لهلاكهم (واترك البحر رهوا) أي اجعل البحر طرقا واسعة حتى يدخله القبط فيغرقوا كما قال تعالى (انهم جند مغرقون) في البحر وقرئ بفتح الهمزة أي لانهم وانما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة) بفتح النون أي فاغرقهم الله وتركوا أمورا كثيرة من بساتين ومياه ظاهرة في البساتين وحروث ومنازل محسنة ومجالس مزينة وأمور يتمتعون بها كالملابس والمراكب (كانوا فيها) أي في هذه الاشياء (فاكهين) بالالف أي طيبين الانفس معجبين وقرأ الحسن وأبو رجاء فكهين بدون الالف أي مستهزئين بنعمة الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك السلب سلبناهم هذه الاشياء منهم (وأورثناها) أي تلك الاشياء (قوما آخرين) أي جعلناها من بعدهم ميراثا لبني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وروى في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه أي ولم يبك السماء والارض على فرعون وقومه لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح (وما كانوا منظرين) أي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون) أي من العذاب الشديد الصادر من فرعون وهو قتل الابناء واستخدام النساء والاتعاب في الاعمال الشاقة وقرئ من عذاب المهين أي وهو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة المحقين وقرأ ابن عباس من فرعون بمعنى الاستفهام والمعنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته (انه كان عاليا من المسرفين) أي كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين أو يقال انه كان متكبرا مسرفا فانه مع حقارته ادعى الالهية فقوله من المسرفين حال من الضمير في عاليا أو خبر ثان لكان (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) أي ولقد اخترنا بني اسرائيل على العالمين جميعا عالمين بكونهم مستحقين لان يختاروا ويرجحوا على غيرهم لكثرة الانبياء فيهم ويقال ولقد اخترناهم على عالمي زمانهم مع علمنا بأنهم قد يزيغون في بعض الاوقات ويصدر عنهم الفرطات في بعض الاحوال (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي وأعطينا بني اسرائيل ما فيه نعمة ظاهرة من الآيات التي لم يظهر الله مثلها على أحد سواهم مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها فانه تعالى لما كان يبلو بالمحنة فقد يبلو بالنعمة أيضا اختبارا لظاهر التمييز الصديق عن الزنديق (ان هؤلاء) أي ان كفار قريش (ليقولون ان هي الاموتتنا الاولى) أي ما نهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية (وما نحن بمنشرين) أي بمحيين بعد الموت (فأتوا بآبائنا) أي فعجلوا لنا أيها القائلون باننا نبعث بعد الموت أحياء من مات من آبائنا بأن تسألوا ربكم ذلك حتى يصير دليلا عندنا على صدق دعواكم في البعث (ان كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق قال تعالى مقتصرا على الوعيد (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) أي قبل قوم تبع كمدين وأصحاب الايكة والرس وثمود وعاد وسمي تبعا لكثرة تبعه واسمه أسعد بن ملكيكرب وكنيته أبو كرب وهو نبي كما قاله ابن عباس أو رجل صالح كما قالته عائشة وكان قومه كافرين وأراد خراب المدينة فلما أخبر انها مهاجر نبي اسمه أحمد انصرف عنها وقال شعرا أودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه

وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص ويقال كان الكتاب والشعر عند أبى أيوب خالد بن زيد وفيه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) فأهلكناهم مستأنف لبيان عاقبة أمرهم وانهم تعليل لا هلاكهم أى ان أولئك الكفار أهلكوا بسبب اجرامهم مع انهم كانوا أقوى من هؤلاء أفلا يخافون من هلاكهم وهم شركاء لأولئك فى الاجرام (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) أى لاهين ولو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لان الله تعالى خلق نوع الانسان ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يميز المطيع من العاصى فيتعلق فضله تعالى واحسانه للمطيع ويتعلق عدله وعقابه للعاصى فلا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت وقرأ عمرو بن عبيد وما بينهن وقرأ الجمهور بينهما باعتبار النوعين (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أى الا بسبب الحق الذى هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم) أى أهل مكة (لا يعلمون) انا خلقنا الخلق بسبب اقامة الحق عليهم (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أى ان يوم تمييز المحق من المبطل وقت موعد الناس أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم خبرها أى ان ميعادهم جزاؤهم البر والفاجر فى يوم فصل الله بين عباده (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) أى لا ينفع قريب عن قريب شيأ (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من العذاب (الا من رحم الله) أى الا المؤمنين فانهم يمنعون من العذاب أو فانهم يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى بعضهم وتشفع لهم الملائكة والانبياء (انه هو العزيز الرحيم) أى ان الله هو الغالب بتعذيب الكافرين الرحيم بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) أى الكثير الآثام وهو الكافر (كالمهل) وهو دردى الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس وسائر الفلزات (يغلى فى البطون كغلى الحميم) وقرأ حفص وابن كثير يغلى بالياء التحتية فهو حال من طعام أو الزقوم والباقون بالتاء الفوقية فهو خبر ثالث لان أى تغلى الشجرة فى البطون غليانا كغلى الماء الشديد الحرارة يقول الله للزبانية (خذوه) أى الاثيم (فاعتلوه) أى جروه بعنف وقودوه (الى سواء الجحيم) أى الى وسط النار العظيمة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أى صبوا على رأسه عذابا شديدا يشبه الماء الحار بعدما يضرب رأسه بمقامع الحديد فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب ويقال له على سبيل الاستهزاء (ذق) يا أبا جهل (انك أنت العزيز الكريم) وقرأ الكسائى أنك بفتح الهمزة على معنى العلة أى لانك أو على تقدير مضاف أى ذق عذابا انك أنت المتعزز فى قومك المتكرم عليهم روى ان أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أى مكة أعز ولا أكرم منى فوالله ماتستطيع أنت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) أى تشكون فى الدنيا (ان المتقين فى مقام أمين) أى مكان مأمون من الزوال والآفات وقرأ نافع وابن عامر مقام بضم الميم أى موضع الاقامة (فى جنات وعيون) أى أنهار الخمر والماء واللبن والعسل (يلبسون من سندس واستبرق) والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماثخن منه (متقابلين) فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى أتيناهم مثل ذلك أو هكذا مقام المؤمنين فى الجنة (وزوجناهم بحور عين) أى قرناهم فى الجنة بجوار بيض حسان الوجوه وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور

الحور

الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن أبي قرصافة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور الحور العين (يدعون فيها بكل فاكهة) أي يأمرون الخدم في الجنة باحضار مايشتهونه ويتناولون فيها بألوان كل فاكهة (آمنين) من التخم والامراض (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى التي في الدنيا بعد حياتهم فيها أو يقال لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم) أي وقى الله المتقين في أول الامر من عذاب الجحيم ورفع الله العذاب عن عصاة المؤمنين بعد دخولهم النار وقرئ ووقاهم بتشديد القاف (فضلا من ربك) أي تفضل ربك بذلك الثواب تفضلا وقرئ فضل بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) فان الفضل أعلى من درجات الثواب المستحق فان الملك العظيم اذا أعطى الاجير أجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة أعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة (فانما يسرناه بلسانك) أي انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك (لعلهم يتذكرون) أي لكي يتعظون به (فارتقب انهم مرتقبون) أي فانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) أي هذه السورة مسماة بحم (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أي تنزيل هذا الكتاب واقع من الله العزيز في ملكه الحكيم في أمره وقضائه (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين) لانه حصل في ذوات السموات والارض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها ولان الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والارض وهي دلالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار (وفي خلقكم) من نطفة ثم من علقة متقلبة في أطوار مختلفة الى تمام الخلق (ومايبث) أي وفيما ينشره (من دابة آيات لقوم يوقنون) فان الاجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الاعضاء لابد وان يكون بتخصيص القادر المختار وكذا انتقاله من حال الى حال آخر (واختلاف الليل والنهار) أي وفي تعاقبهما وتفاوتهما طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء من رزق) أي وفيما أنزله من السحاب من مطر (فأحيى به الارض بعد موتها) أي بعد يبوستها (وتصريف الرياح) أي وفي تقليبها من جهة الى أخرى ومن حال الى حال (آيات لقوم يعقلون) وقرأ حمزة والكسائي آيات لقوم في الموضعين بالنصب بالكسرة معطوف على آيات الاول الذي هو اسم ان والباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف المقدم وقرئ آية بالتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح بالتوحيد وحاصل ماذكرهنا من الدلائل ستة على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون وسبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب اليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فكونوا من العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل وأبدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض وانه لابد لهما من صانع آمنوا واذا نظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث عقلوا (تلك) أي الآيات

المذكورة (آيات الله) أي حججه الدالة على وحدانيته (نتلوها) أي نقصها (عليك بالحق) أي ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية وهذا من أعظم الدلائل على الترغيب في تقرير المباحث العقلية (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) أي ان من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعدها يجوز ان ينتفع به وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بتاء الخطاب مناسبة لقوله تعالى وفي خلقكم (ويل لكل أفاك) أي كذاب (أثيم) أي مبالغ في اقتراف الآثام وهو نضر بن الحرث (يسمع آيات الله) أي القرآن (تتلى عليه ثم يصر) أي يقيم على كفره اقامة بقوة (مستكبرا) عن الايمان بآيات الله معجبا بما عنده كان النضر يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن (كأن لم يسمعها) أي حال كونه مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا) أي انه اذا سمع كلاما وعلم انه من آياتنا بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على الاستهزاء بما سمعه فقط (أولئك) أي كل أفاك أثيم (لهم عذاب مهين) أي ذو اهانة (من ورائهم) أي قدامهم بعد الموت (جهنم) فانهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم جهنم لانهم مقبلون على الدنيا معرضون عما أعد لهم (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي ولا ينفعهم ما ملكوه في الدنيا ولا أصنامهم التي عبدوها (ولهم عذاب عظيم) أي بالغ الى أقصى الغايات في كونه ضررا (هذا) أي القرآن (هدى) أي في غاية الكمال في الهداية (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع أي لهم عذاب أليم من تجرع ماء صديد والباقون بالجر أي لهم عذاب من عذاب شديد الايلام (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أي باذنه وأنتم راكبوها لجريان السفن على وجه البحر لا يحصل الا بسبب ثلاثة أشياء أحدها الرياح التي توافق المراد وثانيها الماء وثالثها خشبة طافية لا تغوص في الماء وهذه الثلاثة لا يقدر عليها أحد من البشر فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله تعالى (ولتبتغوا من فضله) اما بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطري (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تشكروا نعمته تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) أي وسخر الله لكم الشمس والقمر والنجوم والسحاب والشجر والدواب والجبال والبحار كائنة منه تعالى وحاصلة من عنده فانه تعالى موجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه وقرأ سلمة بن محارب منه على انه فاعل سخر أو على انه خبر مبتدا محذوف أي ذلك منه وقرئ منه على انه مفعول له (ان في ذلك) أي فيما ذكر (لآيات) كثيرة (لقوم يتفكرون) في بدائع صنع الله تعالى فانهم يطلعون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) اغفروا للكفار (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الامم الخالية كما قاله ابن عباس وهذا محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة وقال المهدوي والنحاس ومقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بن الخطاب بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل هذه الآية (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أي لكي يجازي الله يوم القيامة قوما يعملون الخير وقيل ليجزي الله الكفار بما كانوا يكسبون من الاثم والمعنى لا تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزي قوما أي وليجزي الجزاء قوما (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي ان العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردئ يعود بالضرر على فاعله وهذا ترغيب منه تعالى في العمل

الصالح

الصالح وزجر عن العمل الباطل (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أوشرا (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى معرفة أحكام الله تعالى وفصل الحكومات بين الناس (والنبوة) حيث كثر الله فيهم الانبياء (ورزقناهم من الطيبات) فانه تعالى وسع عليهم فى الدنيا فأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما (وآتيناهم بينات من الامر) أى أدلة على أمور الدنيا وعلى أمور الدين (فما اختلفوا) فى الامر (الامن بعد ماجاءهم العلم) ومجئ العلم لهم كان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم (بغيابينهم) أى حسدا منهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بالجزاء (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) أى ثم اخترناك على طريقة واضحة من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل ولا تتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال وأديانهم المبنية على الاهواء قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن فأنزل الله تعالى هذه الآية (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أى انك لوملت الى أديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب فهم لايقدرون على دفع عذاب الله عنك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) أى ان الكافرين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا أما فى الآخرة فلاولى لهم ينفعهم فى ايصال الثواب وازالة العقاب (والله ولى المتقين) أى والله ناصر المهتدين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) فان مافيه من معالم الدين بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى أظن هؤلاء المكتسبين للسيئات ان نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على مساوى الاحوال أمثال المؤمنين وهم فى محاسن الاعمال (سواء محياهم ومماتهم) وقرأ حمزة والكسائى وحفص بنصب سواء فهو حال من الضمير المستتر فى كالذين ومحياهم ومماتهم مرتفعان على الفاعلية والمعنى أحسب الكفار ان نجعل المؤمنين كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شئ منهما فان هؤلاء فى شرف الايمان والطاعة فى المحيا وفى رضوان الله تعالى فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى فى المحيا وفى العذاب الخالد فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان أى حال كون كل الفريقين مستوين فى محياهم ومماتهم وقيل انهما بدلان من الضمير المنصوب فى نجعلهم فيصير التقدير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء وقرأ الباقون برفع سواء على انه خبر ومحياهم مبتدأ والجملة فى حكم المفرد فى محل النصب هو بدل من المفعول الثانى وهو الكاف (ساء مايحكمون) قال الكلبي ان عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث فقتلوا أولئك وقالوا للمؤمنين والله ماأنتم على شئ ولو كان ماتقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم فى الآخرة كما انا أفضل حالا منكم فى الدنيا فأنكر الله عليهم هذا الكلام وأنزل الله هذه الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أى لاجل اظهار الحق (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لايتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت فى الدرجات والدركات بين المحقين والمبطلين وقوله ولتجزى معطوف على بالحق لان معنى الباء هنا للتعليل أو معطوف على علة محذوفة والتقدير خلقها بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى الخ ويجوز

ابن عطية أن تكون هذه اللام لام الصيرورة أى وصار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها آخرون ولا وقف على قوله تعالى بالحق وعند أبي حاتم فالوقف عليه تام يجعل لام لتجزى لام قسم (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى أنظرت يا أشرف الخلق فرأيت من ترك متابعة الهدى وأقبل متابعة الهوى فكان يعبد الهوى فذاك من العجب وقرئ آلهته هواه لانه كلما مال طبعه الى شيء اتبعه فكأن اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها روى عن أبي رجاء العطاردى انه أدرك الجاهلية وهو ثقة مات سنة خمس ومائة وعمره مائة وعشرون سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب فحلبنا عليها ثم طفنا بها (وأضله الله على علم) وهذا اما حال من الفاعل أى عالما بان جوهر روحه لا يقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق (وختم على سمعه وقلبه) فلا يقبل المواعظ ولا يتفكر فى النذر (وجعل على بصره غشاوة) أى غطاء مانعا عن الاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين والاعمش وابن مصرف بكسر الغين والباقون غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش أيضا بفتحها وعبد الله بضمها (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلال الله اياه وهذه الجملة مفعول ثان لرأيت (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون بالتاءين على الاصل (وقالوا) من غاية ضلالهم (ماهى الاحياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيي) أى يصيبنا الموت والحياة فى الدنيا وليس وراء ذلك حياة (وما يهلكنا الا الدهر) أى الامر ور الزمان والمعنى أن تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة فى هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله والقيامة (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) أى ما لهم باقتصار الحياة على ما فى الدنيا واستناد الحياة والموت مستند الى نقل أو عقل صحيح ما هم الا قوم أمرهم الظن والتقليد (واذا تتلى عليهم آياتنا) الدالة على قدرتنا (بينات) أى مبينات لما يخالف معتقدهم (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت وحجتهم بالنصب خبر كان والا أن قالوا اسمها فالمعنى ما كان متمسكا لهم على انكار البعث شئ من الاشياء الا هذا القول الباطل وهو قولهم لو صح ذلك البعث فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث وقرئ برفع حجتهم على أنه اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيأ من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) احياء بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة (ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون) ان دلالة حدوث الانسان وغيره على وجود الاله الحكيم وان الله تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة ثانيا (ولله ملك السموات والارض) أى لله التصرف فيها كما أراد وله القدرة على جميع الممكنات فيلزم كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرة الثانية (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى ولله ملك يوم قيام الساعة يومئذ يظهر غبن المبطلين لان الحياة والعقل والصحة كلها رأس المال والتصرف فيها لطلب سعادة الآخرة يجرى مجرى تصرف التاجر فى رأس المال لطلب الربح والكفار قد أتعبوا أنفسهم فى هذه التصرفات وما وجدوا منها الا الحرمان فكان ذلك فى الحقيقة

نهاية الخسران (وترى) أيها المخاطب (كل أمة) أى كل أهل دين (جاثية) أى مجتمعين لا يخالطهم غيرهم وهو حال وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع قال الوقف هنا حسن كالوقف على كتابها (كل أمة تدعى الى كتابها) أى الى قراءة صحائف أعمالها والعامة على رفع كل على الابتداء وقرأ يعقوب كل بالنصب على البدل من كل الاولى وتدعى حال أو صفة وعلى هذا فلا وقف على جاثية ويقال لهم حالة الدعاء (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من خير أو شر (هذا كتابنا) أى كتاب الملائكة الذى أمرناهم بكتبه (ينطق عليكم بالحق) خبر ثان أى يشهد عليكم بما عملتم من غير زيادة ونقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى انا كنا فيما قبل نأمر الملائكة باثبات أعمالكم فى الكتابة وورد فى الحديث أن الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما فى اللوح (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم) فى ذلك اليوم (ربهم فى رحمته) أى فى جنته (ذلك) أى الادخال فى رحمته (هو الفوز المبين) أى الظاهر لخلوص الجنة من الاكدار (وأما الذين كفروا) فيقال لهم بطريق التوبيخ (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى ألم تأتكم رسلى فى الدنيا فلم تكن آياتى تقرأ عليكم (فاستكبرتم) عن الايمان بتلك الآيات (وكنتم قوما مجرمين) أى مذنبين باصرار الكفر (واذا قيل) لكم أى وكنتم اذا قيل لكم أيها الكفار من أى قائل كان (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) أى واقع بلا شك وقرأ الاعرج وعمرو بن فائد بفتح الهمزة على اجراء القول مجرى الظن (والساعة لا ريب فيها) وقرأ حمزة بالنصب عطف على وعد الله أى وان الساعة آتية لا شك فى وقوعها والباقون بالرفع على الابتداء والمعنى وقيل والساعة لا ريب فيها قال الاخفش والرفع أجود فى المعنى وأكثر فى كلام العرب اذا جاء بعد خبر ان لانه كلام مستقل بنفسه بعد مجىء الكلام الاول بتمامه (قلتم ما ندرى ما الساعة) أى أى شىء هى انكارا لها (ان نظن الا ظنا) أى ما نقول فى أمر الساعة كلاما تم الا بالظن لامكانه (وما نحن بمستيقنين) بقيام الساعة والقوم كانوا فى أمر البعث فرقتين فرقة جازمة بنفيه وهم المذكورون فى قوله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا وفرقة كانت تشك وتتحير فيه لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته وهم المذكورون فى هذه الآية (وبدا لهم سيآت ما عملوا) أى ظهر لهم فى الآخرة سيآت أعمالهم فى الدنيا فتصورت لهم بصورة هائلة فيعرفوا مقدار جزائها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم عقوبة استهزائهم بالرسل (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى قيل لهم اليوم نترككم فى العذاب كما تركتم الاقرار بهذا اليوم والعدة للقائه (ومأواكم النار) أى مستقركم نار جهنم (وما لكم من ناصرين) أى وما لكم أحد يخلصكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) أى ذلكم العذاب العظيم بسبب استهزائكم بآيات الله وغروركم بما فى الحياة الدنيا وحسبانكم أن لا حياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء (ولا هم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى فاحمدوا الله الذى هو خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد على كل أحد من المخلوقين وقرأ العامة رب فى الثلاثة بالجر وقرئ بالرفع على المدح باضمار هو (وله الكبرياء فى السموات والارض) وهذا اشارة الى أن التكبير لا بد وان يكون بعد التحميد واشارة الى وجوب كون الحامدين أن يعرفوا أنه تعالى أكبر من حمد الحامدين وان

عطاياه أجل من شكر الشاكرين وان الكبرياء له تعالى لا لغيره تعالى (وهو العزيز الحكيم) أى هو الذى يغلب كل شىء الذى يضع الاشياء فى مواضعها

(سورة الاحقاف مكية الا قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا ثلاث آيات من قوله تعالى ووصينا الانسان الى قوله تعالى فيقول ماهذا الا أساطير الاولين وهى أربع وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى القوى بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى المتقن للامور* (ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) أى الا لأجل الفضل والرحمة والاحسان (وأجل مسمى) أى والا لأجل مسمى أى الا لوقت معين لافناء الدنيا فان اله العالم ماخلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل فيقع الجزاء فى الدار الآخرة ولولم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين (والذين كفروا عما أنذروا) أى خوفوا به مما فى يوم القيامة (معرضون) فلا يؤمنون به ولا يستعدون له (قل) توبيخا لهم (أرأيتم ماتدعون من دون الله) أى اخبرونى ماتعبدون من الاوثان وقرئ أرأيتكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى اخبرونى أى شىء خلقه الاوثان مما فى الارض (أم لهم شرك) فام بمعنى الهمزة أى ألهم شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها (ائتونى بكتاب من قبل هذا) أى بكتاب دال على صحة دينكم كائن من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك (أو أثارة من علم) أى أو بقية منقولة عن الانبياء من علم سوى ماجاء فى الكتب وقرأ على وابن عباس وزيد بن على وعكرمة أثرة دون ألف وقرأ الكسائى أثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمى بفتح فسكون أى أو ائتونى بخبر واحد يشهد بصحة قولكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أى لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يعبد الاصنام وهى اذا دعيت لا تصح منها الاجابة لا فى الحال ولا بعده الى يوم القيامه وانما جعل غاية لانه قيل ان الله تعالى يحييها يوم القيامة وتقع بينها وبين من يعبدها مخاطبة (وهم عن دعائهم غافلون) أى والاصنام عن دعاء من يعبدهم لا يسمعون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى واذا قامت القيامة وحشر الناس كانت هذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين (وكانوا بعبادتهم كافرين) أى وكانت الاصنام مكذبين بكونهم معبودين يقولون انهم انما عبدوا فى الحقيقة أهواءهم لانها الآمرة لهم بالاشراك (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) أى واذا يتلى على كفار أهل مكة القرآن واضحا قالوا من غير تأمل فى شأن القرآن حين جاءهم هذا المتلو خيال ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) أى بل أيقولون افترى محمد القرآن من عند نفسه (قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى قل لهم يا أشرف الخلق ان اختلقت القرآن من تلقاء نفسى كما تقولون فان الله تعالى يعاجلنى بالعقوبة حينئذ وأنتم لا تقدرون على دفعه عنى معاجلته اياى بالعقوبة فكيف أجترئ على هذه الفرية وأعرض نفسى للعقوبة (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى أعلم بما تتكلمون فيه من التكذيب بالقرآن وتسميته سحرا تارة وفرية تارة أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) أى كفى بالله شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم

بالكذب والانكار وكفى بالقرآن شهيدا بيني وبينكم وقد شهد بصدقي وبعجزكم عن معارضة شيء منه (وهو الغفور) لمن رجع عن الكفر (الرحيم) بعباده فلم يعاجلكم بالعقوبة مع عظم ما ارتكبتموه من الذنوب (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي قل يا أكرم الرسل لهم لست أول رسل فلا ينبغي أن تنكروا أخباري بأني رسول الله اليكم مع ان صفتي كصفة من سبق من الرسل ولا أن تنكروا دعائي لكم الى التوحيد ونهيي لكم عن عبادة الاصنام فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق وقرأ عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة بدعا بفتح الدال وقرأ أبو حيوة أيضا ومجاهد بفتح الباء وكسر الدال (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما أدري ما يفعل بي أأموت أم أقتل كما قتل الانبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الامم كالمكذبين قبلكم (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أفعل الا اتباع ما يوحى الي وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب وقال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى تهاجر الى الارض التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رأيته في المنام وانا لا أتبع الا ما أوحاه الله الي اه وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن علي ما يفعل مبنيا للفاعل أي الله تعالى وقرئ ما يوحي على البناء للفاعل (وما أنا الا نذير مبين) أي انهم كانوا يطالبونه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال تعالى قل وانما أنذركم عقاب الله تعالى حسب ما يوحى الي بين الانذار وليس القادر على الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بالغيوب الا الله (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أي قل يا أشرف الخلق لليهود اخبروني يا معشر اليهود ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل هو عبد الله بن سلام على صفة القرآن من كونه من عند الله وكونه معجز الخلق عن معارضته فآمن هذا الشاهد بالقرآن وتكبرتم يا معشر اليهود عن الايمان به ألستم كنتم ظالمين أنفسكم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) روى أنس انه لما سمع عبد الله بن سلام بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو أمه فقال صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعها فقال أشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبد الله فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله (وقال الذين كفروا) بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع (للذين آمنوا) أي لاجل اسلام من

أسلم وهم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) أي ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه أولئك الاراذل فان أكثرهم فقراء وموال ورعاة (واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) أي واذلم يهتدوا بالقرآن ظهر عنادهم فسيقولون هذا القرآن كذب قديم ولم يكتفوا بنفي خيريته (ومن قبله كتاب موسى) أي قالوا ذلك والحال انه كان كتاب موسى من قبل القرآن أي كيف يصح كون القرآن افكا قديما وقد رجعوا الى حكم كتاب موسى وقرئ ومن قبله كتاب موسى أي وآتينا من قبل محمد التوراة (اماما) أي قدوة يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمة) من الله تعالى لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى في ان محمدا رسول الله (لسانا عربيا) حال من كتاب وقيل مفعول لمصدق على حذف مضاف أي مصدق ذا لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر ذلك الكتاب مشركي مكة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وبشرى للمحسنين) أي المؤمنين بأن لهم الجنة وهو في محل نصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له أو في محل رفع معطوف على مصدق أو كتاب ولا يوقف على ظلموا اما اذا جعل مبتدأ وخبره للمحسنين فالوقف على ظلموا كاف (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب أي ان الذين جمعوا بين التوحيد والاستقامة في أمور الدين فهم يوم القيامة آمنون من الاهوال وزائل عنهم خوف العقاب أما خوف الجلال والهيبة فلا يزول عن العبد البتة (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي احسانا وهو قراءة ابن عباس أي أمرناه بأن يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة والباقون حسنا بضم فسكون أي أمرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسنا وهو ضد القبح أي فعلا ذا حسن وقرئ بضم الحاء والسين وقرأ عيسى والسلمي بفتحهما نزلت هذه الآية في عبد الرحمن وفي أبيه وأمه وهما أبو بكر الصديق وأم رومان وقالت عائشة نزلت في خلال بن قلال (حملته أمه) في بطنها (كرها) أي على مشقة (ووضعته كرها) أي في مشقة قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان بضم الكاف والباقون بالفتح (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي ومدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرا فان أقل مدة الحمل ستة أشهر وان مدة اتمام الرضاع أربعة وعشرون شهرا ولما كان الرضاع يليه الفصال لانه يتم به سمي فصالا (حتى اذا بلغ أشده) وقرئ اذا استوى وبلغ أشده (وبلغ أربعين سنة) والاصح ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه عثمان بن عامر وأمه أم الخير سلمى بنت صخر وذلك ان أبا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بالنبوة واختصه بالرسالة فآمن به أبو بكر الصديق وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ثم أسلم أبواه وأسلم ابنه عبد الرحمن ثم ابنه محمد كلهم أدركوا النبي ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم الا أبو بكر ووالده أبو قحافة وأمه سلمى بنت صخر فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا ربه و(قال رب أوزعني) أي ألهمني ووفقني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت) بها (علي وعلى والدي) وهي نعمة الدين قال الذين قالوا ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ان أبا بكر أسلم والداه ولم

يتفق لاحد من الصحابة والمهاجرين اسلام الابوين الاانه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس فأجاب الله دعاء أبي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يترك شيأ من الخير الا أعانه الله عليه (وأصلح لى فى ذريتى) أى واجعل الصلاح راسخا فى ذريتى قال ابن عباس لم يبق لابى بكر ولد من الذكور والاناث الاوقد آمنوا (انى تبت اليك) عما يشغلنى عن ذكرك (وانى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) أى أهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فالمباح حسن لا يثاب عليه (ونتجاوز عن سيآتهم) وقرأ الاخوان وحفص الفعلين بفتح النون والباقون بياء مضمومة ببنائهما للمفعول ورفع أحسن وقرأ الحسن والاعمش وعيسى بياء مفتوحة فيهما والفاعل الله تعالى (فى أصحاب الجنة) أى كائنين فى جملتهم (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) أى وعدهم الله وعدا صادقا فى الدنيا على لسان الرسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى قال لوالديه) عند دعوتهما له الى الايمان (أف لكما) أى قذرا لكما قرئ أف بفتح الفاء وكسرها بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين لكن القراآت السبعية ثلاثة كسر الفاء مع التنوين وتركه وفتحها من غير تنوين وهو صوت اذا صوت الانسان به علم انه متضجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام فى لكما لبيان المؤفف له معناه هذا التأفيف لاجلكما خاصة دون غيركما (أتعدانى أن أخرج) أى أن أبعث من القبر وقرأ هشام بادغام النون الاولى فى الثانية وقرأ بعضهم بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف وقرئ ان أخرج بفتح الهمزة وضم الراء (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت الامم من قبلى ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أى والداه يدعوان الله أو يستغيثان بالله من كفره وانكاره للبعث قائلين له (ويلك) وهو دعاء بالهلاك والمراد به التحريض على الايمان (آمن) أى صدق بالبعث (ان وعد الله) بالبعث بعد الموت (حق) أى كائن وقرئ أن بفتح الهمزة أى آمن بان وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (ماهذا الا أساطير الاولين) أى ما هذا الذى تسميانه وعد الله الا أكاذيب الاولين التى كتبوها فى كتبهم من غير ان يكون لها حقيقة (أولئك الذين حق عليهم القول) أى ثبتت عليهم كلمة بالعذاب (فى أمم قد خلت) أى مع أمم قد مضت (من قبلهم من الجن والانس) أى من كفارهم (انهم كانوا خاسرين) أى قد ضيعوا أعمارهم فى الضلال قال ابن عباس والسدى نزل قوله تعالى والذى قال الى آخره فى عبد الله بن أبى وقيل فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام فابى وقال أف لكما الخ ثم أسلم وحسن اسلامه وصار من أفاضل المسلمين فالذين قالوا ان المراد بقوله تعالى والذى قال لوالديه أف كل عاق لوالديه فاجر لربه قالوا ان الوعيد فى قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية مختص بهم فاسم الاشارة عائد الى القائلين هذه المقالات الباطلة امامن قال المراد بنزول الآية سيدنا عبد الرحمن ابن سيدنا أبى بكر فيقولون ان اسم الاشارة عائد الى القرون التى قبله فالمراد أجداده والوعيد عليهم كان له جدان ماتا فى الجاهلية جدعان وعثمان ابنا عمرو (ولكل درجات مما عملوا) أى ولكل واحد من الفريقين درجات من الايمان والطاعة والكفر والطاعة قال ابن زيد درج أهل الجنة يذهب علوا ودرج أهل النار ينزل هبوطا (وليوفيهم أعمالهم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية أى وجازاهم الله بذلك ليوفيهم أجزية أعمالهم والباقون بالنون أى ونجازيهم لنوفرهم جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين قدر الله جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات

والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أذهبتم) قرأ ابن كثير بهمزة ومدة وابن عامر بهمزتين بلا مد وهشام بهمزتين ومد بينهما والباقون بهمزة محققة (طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أى قد أخذتم ما قدر لكم من الراحات فى الدنيا وتمتعتم باللذات واتبعتم الشهوات فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم فى الدنيا شئ منها فى الآخرة (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى بالعذاب الشديد وقرئ عذاب الهوان (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى بسبب استكباركم بغير استحقاق لذلك أو بسبب خروجكم عن طاعة الله تعالى فالترفع ذنب القلب والفسق ذنب الجوارح (واذكر) يا أكرم الرسل لكفار مكة (أخا عاد) هود ابن عبد الله بن رباح (اذ أنذر قومه) بدل اشتمال أى وقت حذرهم عقاب الله ان لم يؤمنوا (بالاحقاف) أى نازلين على رمال مشرفة على البحر فى أرض الشحر من بلاد اليمن وقال ابن عباس هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده (أن لا تعبدوا الا الله) وهذا تفسير للانذار وانما كان هذا انذارا لان النهى عن الشئ تخويف من مضرته أى صورة انذار هود ان قال لا تعبدوا الخ فان مخففة من الثقيلة وباء التصوير مقدرة معها ولا ناهية (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا) يا هود (لتأفكنا عن آلهتنا) أى لتصرفنا عن عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك بنزول العذاب بنا (قال) لهم هود (انما العلم عند الله) أى لا علم لى بوقت عذابكم انما علم وقت اتيان العذاب عند الله تعالى (وأبلغكم ما أرسلت به) من التحذير عن العذاب وأما العلم بوقته فما أوحاه الله الى وأما الاتيان بالعذاب فليس بمقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى وقرأ أبو عمرو بسكون الباء (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث تصرون على طلب العذاب فان لم يظهر لكم كونى صادقا لم يظهر لكم كونى كاذبا فالاقدام على طلب العذاب جهل عظيم (فلما رأوه) أى رأوا ما يوعدون به (عارضا) أى سحابا يعرض فى أفق السماء وهو بدل من الضمير العائد على ما فى بما تعدنا (مستقبل أوديتهم) أى سائرا الى أوديتهم استبشروا و (قالوا هذا عارض ممطرنا) أى هذا المرئى سحاب يأتينا بالمطر قال هود وليس الامر كذلك (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها) أى تهلك كل شئ من الناس والحيوان والنبات بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم وروى ان هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع فكانت الريح التى تصيبهم ريحا لينة هادئة طيبة والريح التى تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطيرهم الى السماء وتضربهم على الارض وروى انهم رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفتها الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أى فصاروا بعد الهلاك لا ترى الا آثار مساكنهم وقرأ حمزة وعاصم يرى بضم الياء التحتية ورفع مساكنهم والباقون لا ترى بفتح تاء الخطاب ونصب مساكنهم أى لا ترى أنت أيها المخاطب وقرأ الجحدرى والاعمش وابن أبى اسحق والسلمى وأبو رجاء بضم التاء الفوقية ورفع مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الهائل (نجزى القوم المجرمين) وهذا تخويف لكفار مكة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) أى ولقد قررنا عادا فى أمر عظيم لم نقرركم يا أهل مكة فيه من

قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال ومع ذلك مانجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى وأعطيناهم سمعا فما استعملوه فى سماع الدلائل وأبصارا فما استعملوها فى تأمل العبر وأفئدة فما استعملوها فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذا تهم فما دفع عنهم هذه القوى شيأ من عذاب الله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أى لاجل انهم كانوا ينكرون دلائل الله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى ونزل بهم العذاب الذى كانوا يطلبونه بطريق الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس (وصرفنا الآيات) أى كررناها لهم (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن الكفر والمعاصى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أى فهلا خلصهم من العذاب الاصنام التى اتخذوها آلهة حال كونها متقربا بها الى الله (بل ضلوا عنهم) أى بل غابوا عنهم فنصرة آلهتهم لهم أمر ممتنع (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) أى وذلك امتناع نصرهم أثر كذبهم الذى هو اتخاذهم الاصنام آلهة وأثر افترائهم الكذب على الله تعالى فى اثبات الشركاء له تعالى وقرأ ابن عباس أفكهم بفتح الهمزة وسكون الفاء وقرأ عكرمة والصباح أفكهم على صيغة الماضى أى وذلك الاتخاذ الذى ضياع آلهتهم عنهم ثمرته صرفهم عن الحق وقرأ أبو عياض وعكرمة أيضا أفكهم بتشديد الفاء وابن الزبير وابن عباس أيضا آفكهم بمد الهمزة أى جعلهم آفكين وقرأ ابن عباس أيضا آفكهم على صيغة اسم الفاعل بمعنى صارفهم (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أى واذكر لقومك اذ وجهنا اليك جماعة كائنة من جن نصيبين فى الجزيرة وهى بين الشام والعراق (يستمعون القرآن فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى اسكتوا لنسمعه روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر من أشراف جن نصيبين منهم زوبعة فسافروا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى فاستمعوا القراءته وذلك عند رجوعه من الطائف وذلك فى السنة الحادية عشر من النبوة (فلما قضى) أى فرغ عن تلاوة القرآن وقرأ أبو مجلز وأبو حبيب بن عبد الله قضى بالبناء للفاعل أى أتم الرسول قراءته (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم منذرين) روى محمد بن جرير الطبرى عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم (قالوا) عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا انا سمعنا كتابا) أى قرآنا يقرأ (أنزل من بعد موسى) روى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس أن الجن ما سمعت أمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) أى لما قبله من كتب الانبياء (يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) أى موصل الى المقصود وهى الاعمال الصالحة (يا قومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم أو كتابه (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر الله بعض ذنوبكم وهو حق الله تعالى وحق الحربيين فهو يغفر بمجرد اسلام الظالم ولا يتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربى أما مظالم العباد غير الحربيين فلا تغفر الا برضا أصحابها وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله صلى الله عليه وسلم (ويجركم من عذاب أليم) أى ويمنعكم الله من

عذاب أليم معد الكفرة قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه فى البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم (ومن لا يجب داعى الله) محمدا أو من يبلغ عنه (فليس بمعجز) له تعالى (فى الارض) بهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها (وليس له من دونه) أى من غير الله (أولياء) أى أنصار يدفعون عنه العذاب بالاستشفاع له أو الافتداء (أولئك) أى من لا يجيبون داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (أولم يروا) أى ألم يتفكر كفار مكة ولم يعلموا علما جازما (أن الله الذى خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال (ولم يعى) أى لم يتعب (بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى) وانما جاز ادخال الباء على خبر ان لانه فى تأويل خبر ليس فكأنه قيل أليس الله بقادر ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شئ قدير) فان تعلق الروح بالجسد أمر ممكن اذ لو لم يكن ممكنا فى نفسه لما وقع أولا والله تعالى قادر على جميع الممكنات فوجب كونه تعالى قادرا على اعادة الروح الى الجسد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أليس هذا) أى العذاب (بالحق) أى بالعدل (قالوا بلى وربنا) انه الحق أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص من العذاب بالاعتراف بحقية عذاب النار كما فى الدنيا وانى لهم ذلك (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم فى الدنيا (فاصبر) أى اذا كان عاقبة أمر الكفار ما ذكر فاصبر على أذى قومك (كما صبر أولو العزم من الرسل) أى كما صبر أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تقريرها وصبروا على تحمل مشاق معاداة الطاعنين فيها وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله على التعيين فى قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك الآية (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى وعند نزول العذاب بهم فى الآخرة يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار لطول مدة العذاب ولهول ما عاينوه من شدة العذاب والمعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة يسيرة من النهار أو كأنه لم يكن (بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا القرآن كفاية فيها وقرأ زيد بن على والحسن وعيسى بلاغا نصبا اما على المصدر أى بلغ أيها الرسول بلاغا كما يؤيده قراءة أبى مجلز بلغ أمرا واما على النعت لساعة وقرأ الحسن أيضا بلاغ بالجر على أنه وصف لنهار على حذف مضاف أى ذى بلاغ أى أجل (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى فلا يهلك بالعذاب الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه وقرأ ابن محيصن يهلك بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما وقرأ زيد بن ثابت يهلك بضم الياء وكسر اللام والفاعل الله وبنصب القوم الفاسقين ونهلك بنون العظمة ونصب القوم ووصفه قال ابن عباس اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين فى صحفة ثم تغسل وتسقى منها وهى بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الآية والله أعلم

﴿سورة القتال وتسمى سورة محمد وسورة الذين كفروا مكية وهى تسع

وثلاثون

وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة
وتسعة وأربعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا) من قريش (وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الاسلام ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل كالمطعمين الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه وغيرهم (أضل أعمالهم) أى ابطل الله أعمالهم فلم يبق لهم عمل بر لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم (والذين آمنوا) بالله ورسوله واليوم الآخر (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (وآمنوا بما نزل على محمد) أى بجميع الاشياء الواردة فى كلام الله ورسوله (وهو الحق من ربهم) أى الحق النازل من ربهم (كفر عنهم سيآتهم) أى ستر الله أعمالهم السيئة بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم ونياتهم وذلك حيث يأتى المؤمن بسيئة ثم يتنبه ويندم ويقف بين يدى ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه فصار الذنب شرطا للندم والثواب ليس على السيئة وانما هو على الندم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك اضلال الاعمال وتكفير السيآت واصلاح البال كائن بسبب أن الكفار اتبعوا الشيطان وبسبب ان المؤمنين اتبعوا أمر الله وقوله من ربهم اما متعلق باتبعوا الاخير أى من فضل ربهم أو من هدايته أو متعلق بالامرين جميعا أى اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق من حكم ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى مثل هذا البيان يبين الله للناس أحوالهم العجيبة باحباط الاعمال للكفر ويغفر الذنوب بالايمان والفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث ابطال الاعمال والآخر يورث تكفير السيآت بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الباطل والآخر يكون فيه اتباع الحق كاطعام الطعام وقد يختلفان فى الظاهر والباطن كمن يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان فابطال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايمان مثلان يثبت فيهما حكمان وقد علم سبب ثبوت الحكم وهو اتباع الحق والباطل فكل أمر اتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما فى الامثال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أى فاذا لقيتم الكفار فى المحاربة يوم بدر فاضربوا أعناقهم أى فاقتلوهم بأى طريق أمكنكم (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق) أى حتى اذا أضعفتموهم بالجراح فاستوثقوا الاسرى (فاما منا بعد واما فداء) أى فاما تمنون منا عليهم بارسالهم من غير فداء بعد أسرهم وشد وثاقهم واما تفدون فداء بمال أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب أوزارها) أى حتى تضع أهل الحرب آلات الحرب أى حتى تنقرض الحرب بالكلية بحيث لا يبقى فى الدنيا حزب من أحزاب الكفر يحارب حزبا من أحزاب الاسلام (ذلك) أى ذلك المذكور واجب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى لانتقم من الكفار من غير قتالكم ببعض أسباب الهلكة كالخسف (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أى ولكن لم يشأ ذلك بل يكلفكم بالقتال ليحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر ويختبركم بالكفار لتجاهدوهم لاستحقاق العظيم وليختبرهم بكم ليعاجلهم ببعض العذاب على أيديكم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ أبو عمرو وحفص قتلوا مبنيا للمجهول أى والذين استشهدوا فى طاعة الله يوم بدر فلن يضيع الله أعمالهم أى لا تخافوا القتل فان من يقتل فى سبيل الله له من الاجر ما لا يمنع المقاتل من القتال بل يحثه

عليه وقرأ الباقون قاتلوا أى جاهدوا لاعلاء دين الله سواء قتلوا أولم يقتلوا (سيهديهم) فى الدنيا الى أرشد الامور ان لم يقتلوا وفى الآخرة الى طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم (ويصلح بالهم) أى حالهم فى الدنيا والآخرة بان يقبل الله أعمالهم ويرضى خصماءهم يوم القيامة (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم وقال ابن عباس أى طيبها لهم (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى ان تنصروا دين الله وحزب الله (ينصركم) على أعدائكم (ويثبت أقدامكم) أى يثبتكم فى مواضع الحرب وعلى محجة الاسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) أى فألزمهم الله هلاكا وعثارهم واجب لان آلهتهم جمادات لاقدرة لها على النصرة (وأضل أعمالهم) أى أبطل نفقاتهم يوم بدر (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى ذلك الهلاك وابطال الاعمال بسبب انهم كرهوا القرآن لما فيه من بيان التوحيد وبيان أمر الآخرة (فأحبط أعمالهم) أى فأبطل الله حسناتهم فلو عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعد كفار مكة فى أماكنهم ولم يسافروا فى الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المكذبة (دمر الله عليهم) أى أهلك الله ما يختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين أمثالها) أى ولقوم محمد أمثال تلك العاقبة فأهلكوا بأيدى أمثالهم الذى كانوا لايرضون بمجالستهم وأسروا بأيدى من كانوا يستضعفونهم وذلك آلام من الهلاك بسبب عام (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ثبوت هلاك امة محمد كالامم السالفة بسبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين على أعدائهم وقرئ ولى الذين الخ (وأن الكافرين لامولى لهم) أى وان الكافرين اتخذوا آلهة لاتنفع ولاتضر وتركوا الله فلاناصر لهم (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) فالانهار يتبعها الاشجار والاشجار يتبعها الثمار والماء سبب حياة العالم والمؤمنون ينظرون اليه و ينتفعون به (والذين كفروا يتمتعون) أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الانعام) فلايهمهم الا أكل الملاذ ولايستدلون بالمأكولات على خالقها ولايعلمون عاقبة أمرهم كالانعام فانها لاتعلم انها كلما كانت أسمن كانت أقرب الى الذبح (والنار مثوى لهم) فيتقلبون فى النار و يتضررون بها (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية كذبوا رسلهم أهلكناهم وهم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم (فلاناصر لهم) من اهلاكنا كذلك نفعل بأهل مكة فاصبر كما صبر رسل أولئك (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) أى أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة من مالك أمره وهو القرآن وسائر الحجج العقلية كمن زين له سوء عمله فرآه حسنا واتبعوا أهواءهم الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) ومثل مبتدأ وخبره فيها أنهار وهو عين المبتدأ لان اشتمال الجنة على أنهار من كذا وكذا صفة لها وقيل ان مثل زائدة وقيل والخبر مقدر والتقدير وفيما نقص عليكم مثل الجنة وعلى هذا فالوقف على المتقون كاف والجملة بعده مفسرة للمثل (من ماء غير آسن) أى غير متغير ريحه وطعمه حتى فى البطون وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بعدها (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) فلايعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم فلو أرادوا تغيره من أصل خلقته لشهوة اشتهوها تغير (وأنهار من خمر لذة للشاربين) باسرهم فليس فيها كراهة الطعم لهم وهى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) من شمع وغيره وروى عن كعب الاحبار انه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة

ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات) أى ولاهل الجنة فى الجنة زوجان من كل الثمرات (ومغفرة من ربهم) أى ولهم فيها رفع تكاليف عنهم فيأكلون ويشربون من غير حساب ولا عقاب ورفع قبيح ومكروه فلا يحتاجون الى غائط ولا يعرضون بسبب تناول المأكولات والمشروبات بخلاف الدنيا فان للاكل توابع ولوازم لابد منها (كمن هو خالد فى النار) أى أمن هو خالد فى هذه الجنة حسب ماجرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم (وسقوا ماء حميما) أى حارا (فقطع امعاءهم) أى مباعرهم لحدة تكون فى ذلك الماء من فرط الحرارة وقوله تعالى على بينة فى مقابلة زين له سوء عمله وقوله تعالى من ربه فى مقابلة واتبعوا أهواءهم والجنة فى مقابلة النار والثمار فى الجنة فى مقابلة الزقوم فى النار والماء الحميم فى مقابلة الانهار وقطع الامعاء فى مقابلة المغفرة لان المغفرة التى فى الجنة على أحد الوجوه هى تعرية أكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والامراض كأنه تعالى قال للمؤمن أكل وشرب لا يجتمع فى جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم الى قضاء حاجة وللكافر ماء حميم ففى أول مايصل الى جوفهم يقطع مصارينهم ويشتهون خروجه من جوفهم فخرجت المصارين من أدبارهم ثم الوجه فى توحيد الضمير العائد الى من وجمعه أن يقال المسند الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لانه المسموع واذا كان مع انفصال فرعاية المعنى أولى لانه لا يسمع بل يبقى فى ذهن السامع فالحمل فى الانفصال على المعنى وهو جمع الضمير أولى وحمل الاتصال على اللفظ وهو افراد الضمير أولى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) أى ومن الخالدين فى النار قوم يستمعون الى خطبتك يوم الجمعة فاذا خرجوا من المسجد قالوا للعلماء من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء ما قال النبي صلى الله عليه وسلم أى شئ قال محمد على المنبر الساعة الماضية القريبة منا أى لا نعمل بقوله لانه قول ساقط لا يعتد به وقرأ البزى بخلاف عنه بقصر الهمزة (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أى أولئك التاركون اتباع الحق هم الذين أمات الله قلوبهم فلم تفهم فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أى والذين اهتدوا بالايمان زادهم الله تعالى على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين وخلق الله فيهم كمال التقوى فلا يخافون معها لومة لائم ويتنزه العارفون عما يشغل أسرارهم عن الحق ويتبتلون اليه (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) وان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة وانى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر أهوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وعظائم الاهوال فيها فما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة فجأة اذ قد جاء علاماتها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة فمن أين لهم التذكر والتوبة اذا جاءتهم الساعة فجأة أى لا تنفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الايمان حينئذ وقرئ ان تأتهم على أن ان شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما فكيف لهم اتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو ترك الافضل أو ضرب اليهودى زيد بن السمين (وللمؤمنين والمؤمنات) وللنبي

صلى الله عليه وسلم ثلاث حالات حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره والمعنى فوحد الله واطلب العصمة من الله لنفسك واطلب الغفران من الله للمؤمنين والمؤمنات ومعنى طلب الغفران طلب عدم الافضاح ولذلك قد يكون بالعصمة من القبيح كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر على القبيح بعد وجوده كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي يعلم أحوالكم في الدنيا وموطن اقامتكم في الآخرة اما في الجنة أو في النار (ويقول الذين آمنوا) اذا تأخر عنهم التكليف خوفا من أن لا يؤهلوا للعبادة (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة فيها تكليف يمحن المؤمن والمنافق (فاذا أنزلت سورة محكمة) أي لم تنسخ (وذكر فيها القتال) أي وذكر فيها الامر بالقتال فانه أشق تكليف وقرئ وذكر فيها القتال على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى وعلى نصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم نحوك عند ذكرك القتال شخوصا مثل شخوص من أصابته غشية الموت من كراهية قتالهم مع العدو (فأولى لهم) أي قاربهم ما يهلكهم أو فاهلاك لهم وهذا تهديد لهم من عذاب الله تعالى أو يقال فالموت أولى لهم فان الموت خير من الحياة التي ليست في طاعة الله ورسوله (طاعة وقول معروف) أي طاعة مخلصة وقول حسن خير لهم وقيل هذا حكاية لقولهم ويدل عليه قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي يقول المنافقون أمرنا طاعة وكلام حسن لمحمد عليه الصلاة والسلام (فاذا عزم الامر) أي فاذا اجد الامر خالفوا موعدهم وتأخروا عنه (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) أي فلو صدقوا الله تعالى في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان الصدق خيرا لهم أو فلو صدقوا الله في ذلك القول وأطاعوا الله ورسوله لكان الصدق خيرا لهم وقيل ان جملة فلو صدقوا الله الخ جواب اذا مثل قولك اذا احضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أي ان كنتم تتركون القتال وتعرضون عنه وتقولون ان في القتال افسادا وقطع الارحام لكون الكفار أقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون على أدنى شيء كما هو عادة العرب وهذه الآية اشارة الى فساد قولهم كيف نقاتل والقتال افساد والعرب من ذوي أرحامنا فقال تعالى ان أعرضتم عن القتال فلا يقع منكم الا الفساد في الارض فانكم تقتلون من تقدرون عليه وتنهبونه والقتال واقع بينكم أليس قتلكم البنات افسادا وقطعا للرحم فلا يصح تعللكم بذلك مع انه خلاف ما أمر الله به وهذا القتال مع الكفار طاعة وقيل ان توليتم من الولاية والمعنى فلعلكم يا معشر المنافقين تتمنون ان صرتم أمراء على الناس وصار وا بأمركم أفسدتم في الارض بالقتل والمعاصي وقطعتم الارحام باظهار الكفر ويؤكد هذا القول قراءة من قرأ وليتم على البناء للمفعول أي وان جعلتم ولاة ظلمتم باخذ الرشا ونحوه وقراءة علي رضي الله عنه توليتم والمعنى ان تولاكم ولاة ظلمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ تقطعوا بحذف احدى التاءين من التقطع فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أي في أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع (أولئك الذين لعنهم الله) أي أبعدهم الله عن الخير (فأصمهم) فلا يسمعون الكلام المستبين (وأعمى أبصارهم) فلا يتبعون الصراط المستقيم فمن حيث انهم استمعوا الكلام العلي ولم يفهموه فهم صم وعند الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهي عنه فتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالاصلاح وصلة الارحام ولو دعاهم من يأمر بالافساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي أفلا يتدبرون القرآن لكونهم مبعودين منه ومن كل

خير

خير أم على قلوب أقفال فيتدبرون ولا يفهمون فلا تدخل معانيه في قلوبهم (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم) أي ان الذين رجعوا الى الكفر من بعد ما ظهرت لهم الدلائل ومعها وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الشيطان زين لهم الرجوع الى دينهم وسهل لهم اقتراف الكبائر وقرئ سوّل مبنيا للمفعول على حذف المضاف أي كيد الشيطان زين لهم (وأملى لهم) أي ومد الشيطان لهم في الآمال فيقول لهم ان في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم وراستكم الى آخر أعماركم وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرأ ابو عمرو وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في أعمارهم والباقون على البناء للفاعل والفاعل اما الشيطان فان الله قدر على لسانه ويده ذلك التزيين أو الله تعالى كما تقدم وقرئ وأملي لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أي ذلك الارتداد بسبب ان المنافقين قالوا سرا لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم (سنطيعكم في بعض الامر) كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معكم عن الديار ان أخرجتم منها ولا نطيعكم في اظهار الكفر قبل قتالكم واخراجكم من دياركم وهذا عبارة عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوادونهم (والله يعلم اسرارهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة أي اخفاءهم لما يقولونه والباقون بفتحها أي جميع أسرارهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي فكيف يصنعون اذا قبضتهم الملائكة في حال انهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد فانهم يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل وقرأ الاعمش توفاهم على أنه اما ماض أو مضارع حذف احدى تاءيه (ذلك) أي الضرب (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) من الايمان والطاعة أي تضرب وجوههم لانهم أقبلوا على سخط الله كانكار الرسول وأدبارهم لانهم تولوا عما فيه رضا الله كالاقرار بالرسول وبدين الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره (فأحبط أعمالهم) أي فابطل الله حسناتهم يقال نزلت الآيات من قوله تعالى ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى ههنا في شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت في شأن الحكم بن أبي العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة في أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان ولينا أمر هذه الامة نفعل كذا وكذا ولا يستمعون الى خطبته صلى الله عليه وسلم حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ماذا قال محمد الآن على المنبر استهزاء منهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي أحسب المنافقون أنه لن يعلم الله أسرارهم أم حسبوا أنه لن يظهر الله أحقادهم على المؤمنين لرسوله وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة فأم استفهامية والمعنى ان ذلك الاظهار مما لا يكاد يدخل تحت الشك (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) أي ولو أردنا لعرفناكهم تعريفا معه المعرفة فتعرفهم بعلامتهم القبيحة وعن أنس رضي الله عنه قال ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (ولتعرفنهم

فى لحن القول) أى والله انك يامحمد لتعرفن المنافقين فى وجه خفى من القول فيفهمه النبى عليه السلام ولا يفهمه غيره ولكن لم يظهره الى أن أذن الله تعالى له فى اظهار أمرهم وفى المنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فكان للمنافق قول بلا عمل وللمؤمن عمل ولا يقول به وكان المؤمن يعمل الصالحات ويتكلم فى السيآت مستغفرا وكان المنافق يتكلم فى الصالحات ويعمل السيء والله تعالى يسمع الاقوال الفارغة من المنافقين ويعلم الاعمال الصالحة منكم ولا يضيع (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد والتكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم) أى حتى نعلم المقدمين على الجهاد (والصابرين) على مشاق الجهاد أى الذين لا يولون الادبار (ونبلوا أخباركم) أى ونظهر أخباركم من حسن أعمالكم وقبحها وقرأ شعبة فى الافعال الثلاثة بالياء التحتية مسند الضمير راجع الى الله وقرئ ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا) من أهل الكتاب قريظة والنضير أو من كفار قريش (وصدوا عن سبيل الله) أى اعرضوا عن دين الله وصرفوا الناس عن طاعة الله (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) وهو نعت محمد فى التوراة وما ظهر على يديه من المعجزات وما نزل عليه من الآيات (لن يضروا الله شيأ) تنزه الله تعالى عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق (وسيحبط أعمالهم) أى مكايدهم فى القتال وفى ابطال دين الله تعالى فيكون النصر للمؤمنين (ياأيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (أطيعوا الله) فيما أمركم من الفرائض والصدقة (وأطيعوا الرسول) فيما أمركم من الجهاد والسنة (ولا تبطلوا أعمالكم) بالكفر والنفاق والعجب والرياء والسمعة والمن والاذى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) أى ان الله لا يغفر الشرك ويغفر غيره ان شاء (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون) أى اذا علمتم وجوب الجهاد فلا تضعفوا بالقتال مع العدو ولا تدعوا الكفار الى الصلح وأنتم الاعلون أى الغالبون وهذه جملة حالية فتدعوا اما معطوف على المجزوم أو جواب النهى منصوب بأضمار أن وقرأ حمزة وشعبة السلم بكسر السين (والله معكم) وهذا ارشاد يمنع المكلف من الاعجاب بنفسه وذلك لان الله تعالى لما قال وأنتم الاعلون كان ذلك سبب الافتخار فقال تعالى والله معكم أى ليس ذلك العلو على الكفار من أنفسكم بل من الله تعالى وأيضا لما كان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم وقلتهم وشوكة الكفار وكثرتهم قال تعالى وأنتم الاعلون ولما كان الامر ربما يقع فى نفس بعضهم انهم كيف يكون لهم الغلبة فقال تعالى والله معكم أى والله ناصركم فلا يبقى لكم شك فى ان الغلبة لكم (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن يضيعها والمعنى ان الله ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيأ أى فكأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون فى ذلك النصرة فيعطيكم أجوركم بالتمام (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى ان الاشتغال بالدنيا أعمال ضائعة ومشغلة عن طاعة الله تعالى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى يعطكم ثواب ايمانكم وتقواكم وثواب كل أعمالكم (ولا يسألكم أموالكم) أى ولا يطلب منكم اخراج أموالكم كلها بحيث يخل الاخراج بمعاشكم بل يطلب منكم انفاق القليل من الاموال فى طاعته تعالى ليرجع ثوابه اليكم (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى لو طلب الله جميع أموالكم وألح عليكم فى الطلب لما تعطونها وأخرج الله أو الطلب أو البخل أحقادكم كيف وأنتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير ومن نوزع فى حبيبه ظهرت طويته التى كان يسرها وقرئ ونخرج بنون

العظمة وقرئ ويخرج بالياء والتاء وفاعله أضغانكم أي ويخرج بسبب البخل الضغائن فيفضي الى قتال الطالبين وهم النبي وأصحابه (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) أي أنتم الذين تطلبون لتنفقوا في طاعة الله من الزكاة ونفقة الغزو وغيرهما (فمنكم من يبخل) أي فمنكم ناس يبخلون ومنكم من يجود (ومن يبخل) بالانفاق في طاعة الله (فانما يبخل عن نفسه) أي فانما يمسك الثواب عن نفسه فان من يبخل وهو مريض باجرة الطبيب وبثمن الدواء فلا يبخل الا على نفسه (والله الغني) فلا يحتاج الى مالكم (وأنتم الفقراء) فلا تقولوا نحن أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك لانهم لولا القتال لقتلهم الكفار ولولا دفع حاجة الفقراء لقصدوهم بسوء وكيف لا يكونون فقراء وهم يوم القيامة موقوفون مسؤلون (وان تتولوا) أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) أي يخلق الله قوما آخرين بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونون راغبين فيهما روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقالوا يا رسول الله من هؤلاء فضرب صلى الله عليه وسلم بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله الرجال من الفرس وحكي عن أبي موسى الاشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم

﴿سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا﴾

وسبب نزول هذه السورة انه صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة منعه المشركون من دخول مكة وصالحوه على ان يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام فتحلل هو وأصحابه هنالك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدي ثم رجعوا يخالطهم الحزن فأراد الله اذهاب الحزن عنهم فأنزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم هذه السورة وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة فبشر بفتح مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عند انصرافه من الحديبية وقال صلى الله عليه وسلم نزلت على آية هي أحب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها قال المسلمون هنيئا مريئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

(بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي ظاهر الأمر فارقا بين الحق والباطل أي ان الله فتح مكة عنوة وصلحا وفتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان فان أسفل مكة فتحها خالد عنوة وأعلاها فتحه الزبير صلحا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من جهته رضي الله عنه فصار الحكم له صلى الله عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي لكي يغفر الله لك ما سلف من ترك الافضل قبل الوحي وما يكون بعد الوحي الى الموت (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وباخلاء مكة عن معانديك وباستجابة دعائك في طلب الفتح وبقبول شفاعتك في الذنوب في الآخرة (ويهديك صراطا مستقيما) في تبليغ الرسالة واقامة علامات الرياسة فلا يبقى من يقدر على الاكراه على الكفر (وينصرك

الله نصرا عزيزا) أى نفيسا قليل النظير وهو أخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه فان فتح مكة كان سببا التطهير بيت الله تعالى من رجس الأوثان وسببا التطهير العباد من العصيان وبالفتح يحصل الحج ثم بالحج يحصل الغفران وقال الشعبي المراد من هذا الفتح صلح الحديبية لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة مالم يصب في غزوة غيرها حيث بويع بيعة الرضوان وغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية أعظم الفتوح (هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) أى الله وحده هو الذى أنزل الطمأنينة في يوم الحديبية وغيره في قلوب الراسخين في الايمان وهم أهل الحديبية بسبب ذكرهم الله تعالى تحقيقا للنصر (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى ليزدادوا ايمانا بشرائع الدين مع ايمانهم بالله ورسوله وليزدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله وان الله واحد وان الحشر كائن وآمنوا بأن كل ما يأمر الله به واجب وبأن كل ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم صدق وهو الذى قد قال لهم لابد من ان تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة أو الاسباب كالصاعقة والزلازل فكان تعالى قادرا على اهلاك عدوه بجنوده ولكن لم يفعل ذلك بل أنزل على المؤمنين ثبات قلوبهم ويقينهامع الله ورسوله ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب (وكان الله عليما) بجميع الامور (حكيما) في تدبيره تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) لا يخرجون منها (ويكفر عنهم سيآتهم) أى يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) والظرف حال من فوزا أى كائنا في علم الله تعالى فجاء عبد الله بن أبي بن سلول حين سمع بكرامة الله للمؤمنين فقال يارسول الله والله مانحن الا كهيئتهم فمالنا عند الله فأنزل الله تعالى قوله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الامر السوء فانهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا الى الحديبية لا يرجعون الى المدينة وان المشركين يستأصلونهم والتعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأن الله تعالى يقول بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الله جنات في الآخرة ويعذب الكافرين والمنافقين بأيديكم في الدنيا ويكون تعذيبهم بايصال الله الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبتسليط النبي وأصحابه عليهم قتلا وأسرا واسترقاقا (عليهم دائرة السوء) أى عليهم دائرة الفساد فيحيط بهم بحيث لا خروج لهم منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بالفتح (وغضب الله عليهم) وهذا اشارة الى ان الذى نزل بهم يكون على وجه التعذيب فان من كان به بلاء قد يكون مصابا على وجه الامتحان ليصير مثابا وقد يكون مصابا على وجه التعذيب (ولعنهم) أى طردهم من كل خير فان المغضوب عليه قد يقنع الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يقتضى غضبه الى ابعاد المغضوب عليه من جنابه ولا الى طرده من بابه وقد يفضى غضبه الى ذلك لكون الغضب شديدا (وأعد لهم) في الآخرة (جهنم وساءت) أى جهنم (مصيرا) أى مرجعا (ولله جنود السموات والارض) فانزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب (وكان الله عزيزا) أى شديد النقمة الكافرين والمنافقين (حكيما) بكرامة المؤمنين المخلصين بايمانهم (انا أرسلناك شاهدا) أى يشهد ان لا اله الا الله وأن دينه هو الحق

وأحق ان يتبع (ومبشرا) لمن وافقك فى تلك الشهادة (ونذيرا) لمن خالفك فيها (لتؤمنوا بالله ورسوله) لان كون النبى مرسلا من الله يستلزم ان يؤمن المكلف بالله و بالمرسل (وتعزروه) أى تنصروه بتقوية دينه ورسوله وقرئ شاذا تعززوه بزاءين مع الفوقانية وقرئ بضم التاء وسكون العين وبفتح التاء وضم الزاى وكسرها وهاتان مع الراء (وتوقروه) أى تعظموه لان الله يعظمكم بالبشارة وقرئ بسكون الواو (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أى تنزهوه عن السوء فى الدوام مخافة عقابه الشديد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة فى الافعال الاربعة والباقون بالتاء على الخطاب والكنايات الثلاثة راجعة الى الله تعالى لتكون على وتيرة واحدة و يصح رجوعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ ان معنى يسبحونه ينزهونه صلى الله عليه وسلم عن كل وصمة بالخلاف وعده بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام و بنحو ذلك ويصح ان يكون أمرهم بالتنزيه فى أوقات يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) أى ان الذين بايعوا نبى الله على ان لا يفروا من قتال قريش تحت شجرة السمرة فى الحديبية وهم مقدار ألف وخمسمائة رجل كانهم يبايعون الله والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما لان من بايع النبى على ان لا يفر من موضع القتال الى ان يقتل أو ان يفتح الله لهم وان كان يقصد ببيعته رضا الرسول ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضا الرحمن فان المقصود توثيق العهد مراعاة أوامره ونواهيه وهذا يسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى فى شأن هذه البيعة لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك الآية وقرئ انما يبايعون لله أى لاجله (يد الله فوق أيديهم) أى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق احسانهم الى الله وهو ما صنعوا من البيعة أو نصرة الله تعالى اياهم أعلى من نصرتهم اياه و يقال حفظ الله اياهم على البيعة أقوى من وضع يد ثالث على أيدى المتبايعين لحفظ أيديهما الى ان يتم العقد فان كل واحد من المتبايعين مد يده الى صاحبه فى البيع والشراء و بينهما ثالث متوسط يضع يده على يديهما فيحفظ يديهما الى ان يتم العقد (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نقضه على نفسه لانه فوت على نفسه الاحسان الجزيل فى مقابلة العمل القليل فقد خسر أو يقال من يبايعك أيها النبى اذا نكث لا يكون نكثه عائدا اليك لان البيعة مع الله ولا عائد الى الله لانه لا يتضرر بشئ فضرره لا يعود الا اليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) أى ومن وفى بعهده بالله بالصدق فسوف يعطيه جنة فلم ينقض منهم أحد حتى ماتوا على بيعة الرضوان الا رجل منهم يقال له جد بن قيس وكان منافقا اختبأ يومئذ تحت ابط بعيره ولم يدخل فى بيعتهم فأماته الله على نفاقه وقرأ حفص بضم هاء عليه وتفخيمه والباقون بالكسر والترقيق وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون (سيقول لك المخلفون) من غزوة الحديبية (من الاعراب) أى من بنى غفار وأسلم وأشجع وديل وقوم من مزينة وجهينة فانهم امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم انه يهزم فانهم قالوا أهل مكة يقاتلون فى باب المدينة فكيف يذهب الى قوم قد غزوه فى قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فى أحد وكيف يكون حالهم اذا دخل عدوهم بلادهم وأحاطوا بهم فأوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم بأنهم سيقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) أى النساء والذرارى عن الخروج معك الى الحديبية وعن اجابتك فى هذه العمرة فانا لو تركناهم لضاعوا الا نه لم يكن لنا من يقوم بمصالحهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال وعن التفريط فى العيال (فاستغفر لنا) الله يا رسول الله بتأخرنا عنك الى غزوة الحديبية فكذبهم الله تعالى فى الاعتذار والاستغفار بقوله (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل) لهم يا أكرم

الخلق عند اعتذارهم (فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) أى فمن يمنعكم من قضاء الله على شئ من النفع ان أراد بكم ما يضركم من هلاك الاهل والمال حتى تخلفوا عن الخروج الى الحديبية لحفظهما وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم نفعا) أى ومن يمنعكم من مشيئة الله على شئ من الضر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فاى حاجة الى التخلق عن الخروج لاجل حفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيرا) أى ليس الامر كما تقولون فانكم أظهرتم انكم تعتقدون أنهم بالتخلف مسيئون حتى استغفرتم بل كان الله عالما بأن ما فى قلوبكم ليس حاجة فى ذلك الاستغفار لانكم تعتقدون انكم بالتخلف محسنون وليس تخلفكم لخوف ضياع المال والاهل (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل ظننتم أن لا يرجع من الحديبية الى المدينة أبدا محمد وأصحابه لان المشركين يستأصلهم بالمرة فخشيتم ان خرجتم معهم ان يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لما فى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى حملكم ذلك على انكم قلتم ماهم فى قريش الا أكلة رأس (وزين ذلك) أى الظن (فى قلوبكم) فمن ذلك تخلفتم وقلتم مالا ينبغى وقرئ زين بالبناء للفاعل واسناده الى الله تعالى أو الى الشيطان أى فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به (وظننتم ظن السوء) كظن أن لا ينصر الله نبيه وظن ان الرسول كاذب فى قوله وان الله يخلف وعده وان محمدا غير رسول (وكنتم قوما بورا) أى هلكى عند الله تعالى بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) أى ومن لم يصدق بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا لهم نارا شديدة فى التوقد (ولله ملك السموات والارض) وما فيهما يتصرف فى الكل كيف ما يشاء ومن عظم ملكه يكون أجره فى غاية العظم وعذابه فى غاية الالم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من المبايعين بيعة الرضوان وغيرهم (ويعذب من يشاء) ان يعذبه من الظانين ظن السوء وغيرهم وفى هذا حسم لاطماعهم الفارغة فى استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم (وكان الله غفورا رحيما) أى مبالغ المغفرة والرحمة لمن يشاء من المؤمنين (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) أى سيقول المتأخرون عن غزوة الحديبية عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتغتنموها (ذرونا) أى اتركونا (نتبعكم) الى خيبر وقد أوضح الله كذبهم بهذا حيث يقولون من تلقاء أنفسهم دعونا نشهد معكم قتال أهل خيبر فاذا كان أموالهم وأهلوهم شغلتهم يوم دعوتكم اياهم الى أهل مكة فما بالهم لا يشتغلون بذلك يوم أخذ الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقرأ حمزة والكسائى كلم الله بفتح الكاف وكسر اللام أى يريدون ان يغيروا وعد الله الذى وعده لاهل الحديبية فان الله وعد أهل الحديبية فتح خيبر وان غنيمتها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر ولم يغب عنها منهم غير جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر فالله تعالى جعل غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث رجعوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وقيل والمعنى يريدون ان يبدلوا كلام الله وهو قوله تعالى وغضب الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعوكم لكانوا فى حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين بالغنيمة فيكونون من الذين رضى الله عنهم فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله (قل) يا أشرف الخلق لهم اقناطا لهم (لن تتبعونا) أى لا تتبعونا فى الخروج الى خيبر (كذلكم) أى مثل هذا القول الصادر منى (قال الله من قبل) أى من قبل مرجعنا اليكم أى حكم الله عند انصرافنا من الحديبية بأن لا تتبعونا وبأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم منها نصيب

(فسيقولون)

(فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي ليس ذلك النهي حكم الله (بل تحسدوننا) على ان نشارككم في الغنائم فقلتم ان الله حكم بتخصيص أهل الحديبية بغنائم خيبر وعنعنا منها (بل كانوا لا يفقهون الاقليلا) أي لا يفهمون الافهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رلا يفهمون من قولك لاتخرجوا الى خيبر الاظاهر النهي ولم يفهموا من حكمه فحملوه على مرادهم وعللوه بالحسد فان حب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل (قل) يا أشرف الرسل (للمخلفين من الاعراب) أي أهل غلظ الا كاد ديل وأشجع وقوم من مزينة وجهينة (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) أي الى قتال قوم أصحاب سلاح من آلة الحديد وقوة شديدة في القتال وهم بنو حنيفة هم تابعوا مسيلمة الكذاب وغزاهم أبو بكر وقال رافع ابن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم أوهم هوازن وثقيف غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا المخلفين عام الحديبية الى الحرب فامتنعوا فقال ستدعون الى حرب قوم مسلمين محاربين فهم أكثر بأسا من يكون على خلاف ذلك (تقاتلونهم أو يسلمون) أي ان أحد الامرين يقع اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير وقرئ أو يسلموا بالنصب باضمار أن على معنى تقاتلونهم الى ان يسلموا (فان تطيعوا) أي توافقوا الداعي على القتال (يؤتكم الله أجرا حسنا) أي يعطكم الله الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أي وان تعرضوا عن اجابة الدعوة الى قتال المرتدين كمسيلمة أو المشركين كهوازن كما أعرضتم عن غزوة الحديبية من قبل هذا الوقت بناء على الظن الفاسد (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم ثم جاء أهل الزمانة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله قد أوعد الله بعذاب أليم لمن يتخلف عن الغزو فكيف لنا ونحن لا نقدر على الخروج الى الغزو فأنزل الله فيهم قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على من في عضوه أوقوته خلل مأثم في التخلف عن الغزو وكذا فقير لا يمكن من استصحاب مايحتاج اليه من مصالح الجهاد وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذره مستمر لا يمكن الانتفاع به في حراسة وغيرها ولا يعود بصيرا أما الاعرج فانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقد يقدر على القتال بالرمي وغيره وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب فالعذر في محل الآلة أتم من الآفة في القوة (ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر والنواهي من المعذورين وغيرهم (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) فطاعة الله تعالى في طاعة رسوله وكلامه تعالى يسمع من رسوله (ومن يتول) عن الطاعة بقلبه (يعذبه عذابا أليما) وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى أهل مكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم انه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فنعهم الاحابيش فخلوا سبيله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه صلى الله عليه وسلم لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على ان يقاتلوا

قريشا ولا يفروا ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه فقال هذه بيعة عثمان وقد علم بنور النبوة ان عثمان لم يقتل حتى بايع عنه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه صلى الله عليه وسلم (فعلم) الله (ما في قلوبهم) من الاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض وهذا معطوف على يبايعونك لان رضاه تعالى عنهم كان عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم لا عند المبايعة فقط (فأنزل السكينة عليهم) وهذا معطوف على رضي أي فأنزل الله عليهم سكون النفس بالربط على قلوبهم وقد جعل الله تعالى طاعة الله والرسول علامة لادخال الله تعالى الجنة وبين ان تلك الطاعة وجدت من أهل بيعة الرضوان وأشار الى طاعة الله بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين والى طاعة الرسول بقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة وأشار الى الموعود به وهو ادخال الجنة بقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه ادخال الجنة (وأثابهم فتحا قريبا) أي وجزاء لهم على الطاعة فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وقال السدي هو فتح مكة وقرئ وآتاهم بالمد أي أعطاهم (ومغانم كثيرة) من خيبر وهي أرض ذات عقار وأموال (يأخذونها) وقرأ الاعمش وطلحة ونافع بالتاء على طريق الالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) أي غالبا غنيا عن اعانتكم اياه (حكيما) حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه فانه تعالى يذل من يشاء بعزته ويعز من يشاء بحكمته (وعدكم الله مغانم كثيرة) من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر فيما يأتي الى يوم القيامة (تأخذونها) والخطاب لاهل الحديبية (فعجل لكم هذه) أي غنائم خيبر فليست كل الثواب بل الجزاء قدامكم (وكف أيدي الناس عنكم) أي كف الله أيدي بني أسد وغطفان وهم حلفاء أهل خيبر عنكم حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا عن عيالكم لما خرجتم الى خيبر فان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم فنكصوا وقال قتادة كف أيدي يهود خيبر عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية أما كف أيدي أهل مكة بالحديبية فمذكور بقوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الخ (ولتكون آية للمؤمنين) وهذا معطوف على مفهوم فعجل لكم هذه فاللام يدل على النفع كما أن على يدل على الضر أي فعجل الله هذه الغنائم وفتح خيبر لتنفعكم ولتكون أمارة يعرف المؤمنون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة أي لتنفعكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم اذا رأيتم صدق الرسول في أخباره عن الغيوب فيكمل اعتقادكم أي عجل الله فتح خيبر ليكون ذلك الفتح وهو هزيمة أهل خيبر وسلامتكم عبرة للمؤمنين لانكم كنتم ثمانية آلاف وان أهل خيبر كانوا سبعين ألفا وكف أيدي الناس عنكم وعن عيالكم ليكون ذلك الكف علامة للمؤمنين فيعلموا ان الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أي طريق التوكل عليه تعالى والثقة بفضله تعالى في كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله وأخرى اما مبتدأ ولم تقدروا صفته وقد أحاط الله خبره أي وغنيمة أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم فأنتم وان لم تقدروا عليها

فى الحال فهى محبوسة عليكم لا تفوتكم وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين واما معطوف على مغانم كثيرة فكأنه تعالى قال وعدكم الله مغانم تأخذونها ومغانم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرون عليها وانما يأخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين قد حفظها الله لهم لا يجرى عليها اهلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزائن وهى غنائم فارس والروم (وكان الله على كل شيء قديرا) لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار) أى ولو اجتمع بنو أسد وغطفان مع أهل خيبر كما زعموا وقاتلوكم لانهزموا ولا ينصرون بل انما الغلبة واقعة للمسلمين فليس أمرهم أمرا اتفاقيا بل هو أمر الهى محتوم (ثم) بعد انهزامهم (لا يجدون وليا) ينفع باللطف (ولا نصيرا) يدفع بالعنف بل الهلاك لاحق بهم بعد الانهزام (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم حين خرجوا على الانبياء (ولن تجد) أيها السامع (لسنة الله تبديلا) أى ان الله فاعل مختار يفعل مايشاء ويقدر على اهلاك أحبائه من الانبياء ولكن لا يغير عادته (وهو الذى كف أيديهم) أى أيدى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أى فى داخل الحرم وهو الحديبية غير ان كان فيها رمى بالحجارة بين الفريقين (من بعد أن أظفركم عليهم) أى ان غلبكم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وروى الترمذى وثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم ليقتلوه فأخذهم سلما فاستحياهم فنزلت هذه الآية (وكان الله بما تعملون بصيرا) وقرأ أبو عمرو بالياء التحتية أى بما يعمل الكفار والباقون بالتاء الفوقية أى بما تعملون أنتم فان الله يرى فيما تعملون من المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أى عن وصولكم الى البيت الحرام عام الحديبية (والهدى) أى وصدوا الهدى الذى ساقه النبى وأصحابه وقرأ أبو عمرو فى رواية بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى وعن نحر الهدى وقرئ بالرفع بفعل مقدر مبنى للمجهول أى وصد الهدى وروى عن أبى عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء (معكوفا أن يبلغ محله) فقوله أن يبلغ اما فى محل رفع على أنه نائب الفاعل أى ممنوعا بلوغ الهدى محل نحره المعتاد وهو منى واما فى محل جر على اسقاط الجار أى ممنوعا من أن يبلغ محره فان الكفار لم يتركوا المسلمين أن يبلغوا الهدى محله التى يعتاده الناس بذبحه فيه (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) وقوله أن تطؤهم بدل من رجال ونساء وجواب لولا محذوف أى لولا اهلاك أناس مؤمنين فى مكة كالوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وأبو جندل غير معروفين لكم فأصابكم اثم اياكم من جهتهم من غير أن تعلموا أنهم مؤمنون مانع لما كف الله أيديكم عن كفار مكة ولسلطكم عليهم بالقتل عام الحديبية فانكم ان قتلتم المؤمنين لزمتكم الكفارة وهو دليل الاثم بتقصيركم فى عدم تمييز المسلم من الكافر ولزمكم تعيير الكفار لكم بأنكم فعلتم باخوانكم مافعلتم بأعدائكم (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى هم الذين كفروا والذين استحقوا التعجيل فى اهلاكهم ولولا مؤمنون مختلطون بهم لعجل الله بهم ولكن كف الله أيديكم عنهم لكى يكرم الله المؤمنين بزيادة الخير والطاعة لله تعالى والمشركين بدخولهم فى دين الاسلام أى ليخرج المؤمنون من مكة ويهاجروا الى المدينة وليؤمن من المشركين من علم الله أنه يؤمن فى تلك السنة لانهم اذا شاهدوا رحمة الله فى شأن طائفة من المؤمنين بأن منع الله من تعذيب أعداء الدين بعد

الظفر بهم لاجل اختلاطهم بهم رغبوا فى مثل هذا الدين (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو تميز المؤمنون عن الكفرة وخرجوا من عندهم لعذبنا كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم بقتلهم وبسبي ذراريهم (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) فاذ ظرف لعذبنا أى لعذبناهم حين جعلوا فى قلوبهم التكبر تكبر الملة الجاهلية وهو منعهم رسول الله وأصحابه عن البيت الذى الناس فيه سواء وقالوا ان المسلمين قتلوا أبناءنا واخواننا ثم دخلوا علينا على أهانتهم ايانا والّلات والعزى لا يدخلون مكة فهذا تكبر الجاهلية التى دخلت فى قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وهذا عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين وسوء صنيع الكفرة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام وعلى وضع الحرب عشر سنين وقال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين الى المدينة مسلما ردوهم اليهم ومن أتاهم من المسلمين الى مكة لم يردوه الى المدينة وعلى أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من عام قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام وعلى أن لا يدخلها بسلاح فقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يبطشوا بهم وكان فى نفس المؤمنين أن لا يرجعوا الا بأحد الثلاثة بالنحر فى المنحر وأبوا أن لا يكتبوا محمد رسول الله وبسم الله فأنزل الله السكينة عليهم فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون فلما فرغ من قضية الكتاب قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات لما حصل لهم من الغم فقام صلى الله عليه وسلم ودخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس من عدم امتثال أمره صلى الله عليه وسلم فقالت له يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل ذلك فلما رأوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا (وألزمهم كلمة التقوى) أى ألهم الله المؤمنين كلمة الشهادة وهى لا اله الا الله حتى لا يلتفتوا الى ما سوى الله تعالى (وكانوا أحق بها) أى كانوا أحق بكلمة التوحيد فى علم الله تعالى (وأهلها) أى وكانوا متصفين بكلمة التقوى فى الدنيا لان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه (وكان الله بكل شئ عليما) فيسوق كل شئ الى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) أى لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة ولم يجعلها أضغاث أحلام وقوله بالحق اما صفة لمصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحكمة البالغة وهى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالصدق ليست من نوع أضغاث الاحلام حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقت خروجه الى الحديبية والله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعالى (آمنين) من العدو فلا تخافون عدوكم من أن يخرجكم فى المستقبل (محلقين رؤسكم ومقصرين) فقوله تعالى لتدخلن اشارة الى أداء الحج ومحلقين اشارة الى تمام الحج (لا تخافون) من العدو فيبقى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام لان الانسان اذا خرج عن الاحرام بالحلق لا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم أى رأى عام الحديبية

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصر وافقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة في عامهم فلما تأخر جوامعه صلى الله عليه وسلم وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت هذه الآية (فعلم مالم تعلموا) أي فعلم الله مالم تعلموا في الصلح في الحديبية من المصلحة المتجددة فان دخولكم في سنتكم سبب لهلاك المؤمنين والمؤمنات (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فجعل الله من قبل ذلك الدخول في مكة أو جعل الله في المنع عن الوصول الى مكة أو جعل الله لاجل صلح الحديبية فتحا سريعا وهو فتح خيبر فيقويكم به فانه كان سببا الاسلام ناس كثيرة تقوى بهم المسلمون فتكون تلك الكثرة سببا لهيبة الكفار ولمنعهم من قتال المسلمين حين رجعوا الى مكة في العام القابل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بالقرآن (ودين الحق) أي وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلى الله أو رسوله الدين الحق على كل الاديان بنسخ بعض الاحكام وباظهار بطلان الباطل وبتسليط المسلمين على أهل الباطل (وكفى بالله شهيدا) على نبوة رسوله باظهار المعجزات (محمد رسول الله) فمحمد خبر مبتدا محذوف أي هو أي الرسول المرسل بذلك محمد ورسول الله عطف بيان أو هو مبتدا ورسول الله نعت له مفيد للمدح والموصول بعده عطف عليه وخبره أشداء ورحماء وتراهم وعلى هذا فلا يحسن الوقف على رسول الله بل على بينهم بخلاف الاعراب الاول فالوقف على رسول الله حسن كما اذا جعل خبر المحمد (والذين معه) أي الذين قاموا معه يدعون الكفار الى دين الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أي هم يظهرون الصلابة لمن خالف دينهم والرأفة لمن وافقهم في الدين فانهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس ثياب الكفار ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ولا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وقرئ أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أي تشاهدهم أيها السامع حال كونهم راكعين ساجدين في الصلاة (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون من الله ثوابا ورضا التمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وعن ركوع المرائين وسجودهم (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) أي علامة سهرهم كائنة في وجوههم كائنة من أثر كثرة السجود بالليل ففي وجوههم خبر ومن أثر حال وقرئ سيماؤهم بالياء بعد الميم وبالمد وقرئ من آثار السجود بعد الهمزة والثاء وقرئ من اثر السجود بكسر الهمزة قال صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار أي وهذا محقق لمن يعقل ويفرق بين الساهر في الشرب واللعب والساهر في الذكر واستفادة العلم (ذلك مثلهم في التوراة) فذلك مبتدا ومثلهم خبره وفي التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة والوقف هنا تام أي ذلك المذكور من أنهم أشداء على الكفار الى آخره صفتهم في التوراة (ومثلهم في الانجيل كزرع) ومثلهم مبتدا وخبره كزرع فهذان مثلان كما ذهب اليه ابن عباس أي وصفتهم الكائنة في الانجيل كزرع (أخرج شطأه فآزره) أي مثل زرع أخرج فراخه فقوى الفراخ بكثافتها الزرع (فاستغلظ) أي فصار الزرع غليظا بعدما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) أي فاستقام الزرع على قصبه (يعجب الزراع) وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحابه صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا وافترق أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس قيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (ليغيظ بهم الكفار) وقال بعضهم محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق

فانه أول من آمن به أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله بقية المبشرين بالجنة طلحة والزبير وسعد وسعيد وأبي عبيدة وعبد الرحمن سيماهم في وجوههم سلمان وبلال وصهيب وأصحابهم كزرع محمد أخرج شطأه أبا بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب أي استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع أي المؤمنين ليغيظ بهم الكفار أي بقول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أرحم أمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبي وأعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح ويقال نزلت الآية من قوله تعالى والذين معه الى ههنا في مدحة أهل بيعة الرضوان وبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المخلصين المطيعين لله وقوله تعالى ليغيظ تعليل لمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع كأنه قيل اغاقواهم الله تعالى وكثرهم ليغيظ بهم الكفار أو تعليل لوعد الله الذين آمنوا الخ لان الكفار اذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا وبما أعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك أشد غيظ أو تعليل لمحذوف دل عليه قوله تعالى أشداء على الكفار الخ أي جعلهم الله تعالى بهذه الصفات الجليلة ليغيظ بهم الكفار (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) وضمير منهم راجع للصحابة فمن لبيان الجنس لانهم كلهم بتلك النعوت الجليلة أو للكفار فمن للتبعيض

(سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وقرأ العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة أي لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لانفسكم تقدما في الرأي عنده صلى الله عليه وسلم وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بأنه عند الله في منزلة عظيمة توجب اجلاله وقرأ ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الاحرف الثلاثة وقرى لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال أي لا تقدموا على شيء من أمور الدين بغير اذن الله ورسوله (واتقوا الله) في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتلوا رجلين من بني سليم في صلح النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمره فنهاهم الله تعالى وقال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا تجرؤا على اتيان أمر من غير اذن من له الاذن واتقوا الله في مخالفة الحكم المنهي عنه ان الله سميع لمقالة الرجلين عليم بما اقترفا وكان قولهم لو كان هكذا لكان كذا (يا أيها الذين آمنوا) نزلت هذه الآيات في ثابت بن قيس بن شماس برفع صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وفد بني تميم فنهاه الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) فان رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي لا تجهروا له كما تجهرون لاقرانكم بل اجعلوا كلمته عليا ولا تكثروا الكلام عنده وقللوا غاية التقليل فلا تخاطبوه صلى الله عليه وسلم كما تخاطبون غيره (أن تحبط أعمالكم) أي خشية حبوط أعمالكم فقوله تعالى لا ترفعوا الخ نهي عن زيادة صوتهم على صوت الرسول وقوله تعالى ولا تجهروا الخ نهي عن مساواة صوتهم لصوته (وأنتم لا تشعرون) بحبوط الاعمال

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) أي يخفضونها عنده مراعاة للادب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي الذين امتحن الله قلوبهم ليعلم منها التقوى فان من يعظم واحدا من أبناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه للرسل أعظم وخوفه منه أقوى فالاختيار بالمحن والتكاليف الشاقة سبب لظهور التقوى ويقال أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتوحيد وصفاها من المعصية (لهم مغفرة وأجر عظيم) قيل لما جرى الكلام بين أبي بكر وعمر في تأمير القعقاع بن معبد أو الاقرع بن حابس على وفد بني تميم نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية ولما رفعا أصواتهما في تلك القضية نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما دخل أعراب بني تميم المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نام للقائلة نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآيتين وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية الى قوم من بني عنبر جماعة من خزاعة وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فسار اليهم فلما بلغهم انه خرج اليهم فروا وتركوا عيالهم وأموالهم فسبى ذراريهم وجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاؤا اليفادوا ذراريهم فدخلوا المدينة عند القيلولة فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اخرج الينا وكان نائما حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فاد ناعيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم وعمي عمرو شاهد وهو الاعور ابن بشامة فرضوا به فقال الاعور رأى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم ولو صبر والاعتق جميعهم بغير فداء فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) أي ان الذين يدعونك من خلف حجرات نسائك كلهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على سوء الادب فكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة ومناداتهم من خارج الحجرات اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من خارجها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم الى الصلاة حتى تخرج اليهم لكان الصبر حسنا لهم وخيرا من استعجالهم ايقاظك في الهاجرة وما لو قرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من الصحابة ولو راعوا حسن الادب وتعظيم الرسول لزادهم في الفضل فأطلق ذراريهم ونساءهم كلهم بلا فداء (والله غفور رحيم) لهؤلاء ان تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) نزلت هذه الآية في الوليد بن عتبة أخي عثمان لامه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليجيء بصدقاتهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب الرسول فأراد هو أن يغزوهم فنهاه الله عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بخبر فتبينوا صدقه وقرئ فتثبتوا أي قفوا حتى يتبين لكم ما جاء به من صدقه أو كذبه (أن تصيبوا قوما بجهالة) أي حذر أن تصيبوا قوما بالقتل والسبي ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) أي فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما نسب اليهم نادمين على ما فعلتم في حقهم في اصابتهم بالقتل وغيره (واعلموا أن فيكم رسول الله) هو

مرشد لكم فارجعوا اليه واعتمدوا على قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) أى لو يتبعكم رسول الله فى كثير من الحوادث لوقعتم فى شدة وهلاك وقد يوافق الناس و يفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفائدة قوله تعالى وشاورهم فى الامر (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى بينه وقربه اليكم وأدخله فى قلوبكم (وزينه فى قلوبكم) بالبرهان اليقينى بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذه الثلاثة فى مقابلة الايمان الكامل فانه يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فالكفر هو التكذيب بالجنان والفسوق هو كذب اللسان كما قاله ابن عباس فقد قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمى من كذب فاسقا والعصيان هو ترك الامر (أولئك هم الراشدون) أى الموافقون للرشد يأخذون ما يأتيهم الله و ينتهون عما ينهاهم (فضلا من الله ونعمة) مفعول من أجله منصوب بحبب وكره أو بالراشدون (والله عليم) بما فى خزائن رحمته من الخير وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد (حكيم) ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) قيل نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وأصحابه وعبد الله بن رواحة المخلص وأصحابه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبى وكان من الخزرج فبال الحمار فسد ابن أبى أنفه وقال اليك عنى والله لقد أذانى نتن حمارك وذلك قبل ان يسلم بالظاهر فقال ابن رواحة وكان من الاوس لبول حماره صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما وهما الاوس والخزرج ضرب بالايدى والنعال والسيف وعن قتادة نزلت فى رجلين من الانصار كان بينهما مداراة فى حق فقال أحدهما للآخر لآخذن حقى منك عنوة وطلب الآخر منه أن يحاكمه الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدى قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقى بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه واقتتلوا بالايدى والنعال فنزلت هذه الآية أى وان تقاتل فرقتان من المؤمنين فأصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما) أى ظلمت (على الاخرى) بأن أبت الاجابة الى حكم كتاب الله تعالى (فقاتلوا التى تبغى) أى تظلم (حتى تفئ الى أمر الله) أى حتى ترجع تلك الطائفة التى لم تقبل النصيحة الى الصلح وهو مأموربه (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) أى فان رجعت الى الصلح حذرا من قتالكم فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق ولا تكتفوا بمجرد متاركهما عسى أن يكون بينهما قتال فى وقت آخر (وأقسطوا) أى وأعدلوا فى كل أمر (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين فى كل ما يأتون وما يذرون فيفضى الى أشرف درجة وارفع منزلة (انما المؤمنون اخوة) فى الدين (فأصلحوا بين أخويكم) وان لم تكن الفتنة عامة وان لم يكن الامر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا فى الاصلاح وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم وأخواتكم (واتقوا الله) بالصون عن التشاجر فان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال النبى صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن من يأمن جاره بوائقه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أى رجال منكم (من قوم) آخرين منكم قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر رجلا من الانصار بسوء ذكر أم رجل كانت فى الجاهلية وقال الضحاك نزلت فى وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وابن فهيرة و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابن حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهي أي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين (ولا نساء من نساء) روى عن أنس ان هذه الآية نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب قالت لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي فنهاهن الله عن ذلك وقال ولا نساء من نساء أي ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن (عسى أن يكن) أي المسخور منهن (خيرا منهن) أي من الساخرات عند الله وأفضل نصيبا (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا باشارة أو نحوها فصرتم عائبين من وجه معيبين من وجه (ولا تنابزوا بالالقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان واشتهارهم به ويقال هذا تمام للزجر ويصير التقدير بئس الفسوق بعد الايمان و بئس ان تسموا بالفاسق بسبب السخر واللمز والتنابز بعد ما سميتموهم مؤمنين (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) أي ومن يجعل ذلك عادة ولم يتركه ولم يتب عما مضى فهو ظالم (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) فيجب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم انه من أي نوع فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وظن الخير في الله تعالى في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا وظن الخير في المؤمن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ظنوا بالمؤمن خيرا ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمن ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) أي ذنب يستحق العقوبة (ولا تجسسوا) أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين والمعنى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وقرأ نافع بتشديد الياء وهو حال من اللحم أو من الاخ فالاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة فالمغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب ففي هذه الآية نهي عن اغتياب المؤمن دون الكافر أما الفاسق فيجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة فمن نقص مسلما أو ثلم عرضه فهو كآكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتا الا ان الميتة لا يعلم بأكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه (فكرهتموه) أي الاكل فالاستفهام في قوله تعالى أيحب للانكار فكأنه تعالى قال لا يحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا وقرئ كرهتموه بغير فاء أي جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه و بالندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) ذكر الله تعالى في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة فكأنه تعالى قال لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سئلتم عن المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيأ من غير تجسس فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ففي الاول نهي عن تكلم ما لم يعلم ثم نهي عن طلب علم عيب الناس ثم نهي عن ذكر ما علم منه وروى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه لهما طعاما فقال له انطلق الى أسامة بن زيد واطلب منه فضل طعام وادام ان كان عنده فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقال كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى بعض

الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناسلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما فى يومنا هذا فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتما سلمان واسامة فنزلت هذه الآية ثم قال تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أى من آدم وحواء ومن أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وطبقات النسل التى عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والشعيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالعشائر تحت الفصائل وهى تحت الافخاذ وهى تحت البطون وهى تحت العمائر وهى تحت القبائل وهى تحت الشعوب بخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا بأصل الانسان فلا ينتسب أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل ولا لتدعوا التفاوت فى الانساب (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس قال كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى قال الرازى سمعت ان بعض الشرفاء فى بلاد خرسان كان فى النسب أقرب الناس الى على رضى الله عنه غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقيه الشريف سكران وكان الناس يطردون الشريف و يبعدونه عن طريقه فغلبهم وتعلق بأطراف الشيخ وقال له يا أسود الحوافر والشوافر يا كافر بن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجل وأذم وتكرم وأهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه لجده وضربه معدود بجده ولكن يا أيها الشريف بيضت باطنى وسودت باطنك فيرى الناس بياض قلبى فوق سواد وجهى فحسنت وأخذت سيرة أبيك وأخذت سيرة أبى فرآنى الخلق فى سيرة أبيك ورأوك فى سيرة أبى فظنونى ابن أبيك وظنوك ابن أبى فعملوا معك مايعمل مع أبى وعملوا معى مايعمل مع أبيك (ان الله عليم) بأنسابكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن أحوالكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا فى التقوى قال الزهرى نزلت هذه الآية فى ابن هند خاصة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم نزوج بناتنا موالينا فأنزل الله تعالى هذه الآية قال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبى العيص الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ماوجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان أنا لا أقول شيأ أخاف ان يخبر به رب السموات فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فاقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى (قالت الاعراب) أى أهل البادية (آمنا) نزلت هذه الآية فى بنى أسد أصابتهم سنة شديدة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر طالبين الصدقة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقولون أتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها ونحن قد جئناك بالاطفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان و بنو فلان أطعمنا وأكرمنا يارسول الله فانا صدقنا بجميع ماجئت به فأنزل الله هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهم (لم

تؤمنوا)

تؤمنوا) أى لم تصدق قلوبكم لانكم لوآمنتم لم تمنوا على فلا تقولوا آمنا (ولكن) أسلمتم أى أظهرتم الانقياد واستسلمتم من السيف والسبى بل (قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وهذا قد حصل أما الايمان وهو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب لم يحصل لكم والا لما مننتم على ماذكرتم (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أى ولم يدخل حب الايمان فى قلوبكم الى هذا الوقت فلا يعد اقرار اللسان ايمانا الا بموافقة القلب (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق فى السر كما أطعتموهما فى العلانية (لايلتكم من أعمالكم شيأ) أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيأ من النقص وقرأ الدورى عن أبى عمرو ولا يألتكم بهمزة ساكنة بعد الياء التحتية وأبدلها السوسى ألفا وقرأ الباقون بغير همز ولا ألف (ان الله غفور) لكم ما قد سلف ان تبتم (رحيم) بما أتيتم به من الطاعة بالتفضل عليكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى ايمانهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعة الله على تكثر أنواعها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك هم الصادقون) أى أولئك الموصوفون بما ذكرهم الذين صدقوا فى دعوى الايمان لاغيرهم روى انه لما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل) لهؤلاء الاعراب مبكتا لهم (أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرون الله بدينكم بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) فيعلم ما فى قلوب أهلهما الواو للحال (والله بكل شئ عليم) فلا يخفى عليه شئ فالدين ينبغى ان يكون لله وأنتم أظهرتموه لنا لا لله فلا يقبل منكم ذلك (يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون اسلامهم من غير قتال منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب معطيها ثوابا ممن أنعم اليه (قل) فى جواب قولهم هذا (لاتمنوا على اسلامكم) أى لا تعدوا الاسلام الذى عندكم منة على فان الله تعالى كذبهم فى قولهم آمنا ولم يصدقهم فى الاسلام فانهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى بسبب ان هداكم للايمان حيث بين لكم الطريق المستقيم ودعاكم اليه فان ارسال الرسول بالآيات البينات هداية وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم أى فى زعمكم (ان كنتم صادقين) فى قولكم آمنا فالله هو المان عليكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه أعمال قلوبكم الخفية (والله بصير بما تعملون) من ظاهر اسلامكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون والباقون بالتاء على الخطاب نظرا الى قوله تعالى لاتمنوا على اسلامكم

(سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وخمس وتسعون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم ق) قال ابن عباس هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه وهو قسم أقسم الله به قال الرازى المنقول عن ابن عباس ان ق اسم جبل وأما ان المراد فى هذا الموضع به ذلك فلا (والقرآن المجيد) أى العظيم لان القرآن عظيم الفائدة أولانه كلام الله تعالى أوكثير الكرم لان كل من طلب مقصوده من القرآن وجده فانه مغنى كل من لاذ به أوذى الشرف فان من علم معانيه وعمل بما فيه شرف عند الله تعالى وعند الناس (بل عجبوا) وهذا اضراب عن جواب القسم المحذوف أى ما آمن كفار مكة بمحمد والقرآن بل جعلوا كلا منهما عارضة للتعجب مع كونهما أقرب شئ الى التلقى بالقبول وانما عجبوا

من ذلك لكون محمد من جنسهم لا من جنس الملائكة ولكون القرآن أخبر البعث بعد الموت وذلك قوله تعالى (أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم يخوفهم بالنار بعد البعث فقال كفار مكة منهم أبي وأمية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج هذا أي كون المنذر منا وكون المنذر به هو البعث بعد الموت أمر يتعجب منه (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين غوت ونصير ترابا رميما نبعث (ذلك رجع بعيد) أي ذلك الخبر برجوعنا الى ما كنا عليه بعد موتنا رجع بعيد من الاوهام والامكان وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر ميم متنا والباقون بالضم قال الله تعالى ردا لاستبعادهم (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل الارض من لحومهم وعظامهم فلا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتتها في الارض أي ان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد وكما يعلم أجزاءهم يعلم أعمالهم فذلك قوله تعالى (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لاجزائهم وأعمالهم بحيث لا ننسى شيأ منها أي فالعلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ وشيأ شيأ (بل كذبوا بالحق) أي بالنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) أي حين جاءهم منذر هو محمد صلى الله عليه وسلم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بكسر اللام على ان اللام للتوقيت أي وقت مجيء المنذر اياهم (فهم في أمر مريج) أي فهم في شأن المنذر في قول مختلف فانهم تارة يقولون انه ساحر وأخرى شاعر وأخرى كاهن وأخرى مجنون قال الرازي نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك الى الظن بصدقه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بينهم ومن الظن الى القطع بصدقه لظهور المعجزات القاهرات على يديه ولسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المرج ووقع الدرك مع المرج (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم) أي أعموا فلم يشاهدوا السماء كل وقت وهي ظاهرة فوق رؤسهم غير غائبة عنهم (كيف بنيناها) أي رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) أي والحال ليس لها فتوق وهذا اشارة الى وجه الدلالة فالانسان له أساس وهي العظام التي هي كالدعامة وله قوى وأنوار كالسمع والبصر فبناء السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء أكمل من زينة الانسان بلحم وشحم وليس للسماء فروج وللانسان مسام فتأليف السماء أشد ولا شك ان التأليف الاشد كالنسج الاصفق والتأليف الاضعف كالنسج الاسخف والاول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى (والارض مددناها) أي بسطناها على الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت أوتادا لها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل لون حسن في المنظر وهذا اشارة الى دليل آخر يدفع قولهم ذلك رجع بعيد وهم قالوا الانسان اذا مات وفارقته القوى لا تعود اليه تلك القوى فنقول الارض أشد جمودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكر الله في الارض ثلاثة أمور كما ذكر في السماء ثلاثة أمور فكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء واثبات الرواسي في الارض في مقابلة ركز الكواكب في السماء وشق الارض بالانبات في مقابلة سد الفروج اذا علمت هذا ففي الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالانف والاذن وأشياء متحركة كالمقلة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور الرأس وأشياء لها فروج كالمناخر والصماخ والفم فالقادر على هذه الاضداد في السبع الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الاجساد (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أي خلقنا السماء والارض تبصيرا وتذكيرا لكل عبد مقبل الى الله راجع الى التفكر في بدائع صنائعه فان فيهما آيات مستمرة

منصوبة على مرور الزمان وآيات متجددة مذكرة عند التناسي ونصب الاسمين على المفعول من أجله أو على الحال أي مبصرين ومذكرين وقرأ زيد بن علي تبصرة وذكرى برفعهما أي هي تبصرة وذكرى أي عبرة وعظة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي نافعا كثير الخير (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي أشجارا كثيرة يقطف ثمارها والاصول باقية (وحب الحصيد) أي حب زرع يحصد كل عام (والنخل) وهو جنس مختلط من الزرع والشجر لان التمر فاكهة وقوت بخلاف غيره فان بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت وأيضا ان النباتات ما يبقى أصلها سنين ولا يحتاج الى عمل عامل ومالا يبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل ومايبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل (باسقات) أي طوالا أو حوامل وهي حال مقدرة وقرئ باصقات بالصاد لاجل القاف (لها طلع نضيد) أي لتلك النخل كفرى مجتمعة بعضها فوق بعض (رزقا للعباد) أي لنرزقهم وهذا علة لأنبتنا والحكمة في تعليل الانبات بالرزق بعد تعليل الانبات الاول بالتبصرة والتذكير اشارة الى ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بالنباتات من حيث الاستبصار والتذكر أقدم من تمتعه بها من حيث الرزق والحكمة في اطلاق العباد في الرزق وفي تقييدهم بكونهم منيبين في التبصرة والتذكير لان الرزق حصل لكل أحد والتذكرة لا تكون الا لكل منيب فهو يأكل ذاكرا شاكرا للانعام ثم التبصرة بالخلق هو الاستدلال بان القادر على خلق السموات والارض قادر على خلقهم ثانيا والتذكرة بالبقاء بالرزق بعد الاعادة هو الاستدلال بان البقاء في الدنيا يكون بالرزق وبان القادر على اخراج الارزاق من النجم والشجر قادر على أن يرزق العبد في الجنة وان يبقيه فيها (وأحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا) أي أرضا جدبة لا نماء فيها أصلا (كذلك الخروج) أي مثل خروج النبات من الارض بالماء خروجهم من القبور يوم القيامة بالمطر الذي كمني الرجال ومثل تلك الحياة في النبات بالاخراج حياتهم بالبعث من القبور على ما كانوا عليه في الدنيا (كذبت قبلهم) أي قبل قومك (قوم نوح وأصحاب الرس) وهو بئر دون اليمامة وهم قوم شعيب وقيل هم قوم عيسى الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وقيل هم أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) وانما نص عليه لانه ليس في قادة قومه كافر غيره لانه استخف قومه وأطاعوه فجعل الاعتبار له خاصة (واخوان لوط) وانما قال ههنا ذلك لان لوطا كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم معارف لوط (وأصحاب الايكة) أي الغيضة وهم قوم شعيب غير أهل مدين (وقوم تبع) وهو كان معتمدا بقومه (كل كذب الرسل) أي فالمذكورون كانوا منكرين للحشر وكل واحد منهم كذب جميع الرسل (فحق وعيد) أي فثبت وعيدي من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم (أفعيينا بالخلق الاول) أي أقصدنا ايجاد الانسان وسائر الحيوان وايجاد السموات والارض فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) أي انهم غير منكرين لقدرتنا على اختراع الخلق من العدم بل هم في شك في اعادة الخلق الى الحياة بعد الموت لما فيه من مخالفة العادة (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما يخطر بباله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي ونحن أقرب الى الانسان من العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله وبنفوذ قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فاذ منصوب بأقرب أي فالله أقرب الى الانسان من عرقه المخالط له في وقت أخذ الملكين الحافظين منه قوله وفعله فلهما عن اليمين مقاعد وعن الشمال مقاعد وفي هذا اشارة الى ان المكلف غير متروك

سدى و يقال وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيد فالمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذ ذروحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين و ينقلها الى السرور والى يوم النشور والآخر يأخذ أرواح الطالحين و ينقلها الى الثبور والى يوم النشر من القبور أى فهذان الملكان ينزلان الى الانسان وعنده ملكان كاتبان لاعماله ما قاعدان عن يمينه وشماله فوقت تلقيهما اياهما يسألانهما عن أى النوعين كان هذا الانسان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور و يرجع الى الملك الآخر مسرورا وان كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب و يرجع الى الآخر محزونا (ما يلفظ من قول) أى ما يرمى الانسان المكلف به من فيه من خير أو شر (الا لديه رقيب عتيد) أى الا لديه ملك يحفظ قوله و يكتبه وملك يهيء للكتابة ما أمر به من الخير أو الشر فكل من كاتب الحسنات وكاتب السيئات يقال له رقيب عتيد وقرى ما يلفظ على البناء للمفعول (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى جاءت شدة الموت الذاهبة بالعقل بالموت كأن شدة الموت تحضر الموت كما قرى وجاءت سكرة الحق بالموت أو يقال والمراد من الحق هو الدين فالمعنى وأظهرت سكرة الموت الدين اذ ما من أحد فى تلك الحالة الا وهو يظهر الايمان لكنه لا يقبل الا ممن سبق منه ذلك (ذلك ما كنت منه تحيد) أى ذلك الموت ما كنت تفر منه أيها السامع (ونفخ فى الصور) هى نفخة البعث فقوله تعالى وجاءت سكرة الموت اشارة الى الاماتة وقوله تعالى ونفخ فى الصور اشارة الى الاحياء والاعادة (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك الزمان يوم وقوع الوعيد وهو العذاب الموعود (وجاءت) فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى ملك يسوق البر الى الجنة والفاجر الى النار (وشهيد) أى كاتب فانه يشهد عليها بعملها و يقال (لقد كنت) أيها الشخص فى الدنيا (فى غفلة من هذا) أى اليوم فامن أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقرى كنت بكسر التاء باعتبار تأنيث النفس (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا عنك غفلتك (فبصرك اليوم حديد) أى نافذ وكان من قبل كليلا وقرى بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه هذا ما لدى عتيد) أى قال الشيطان الذى زين له العصيان هذا العصيان هو الذى عندى معد لجهنم أو قال الملك الذى يكتب أعماله هذا الكتاب مكتوب عندى مهيأ للعرض قال تعالى خطابا للسائق والشهيد (ألقيا فى جهنم كل كفار) وقرأ الحسن ألقين بنون التوكيد خطاب لواحد من خزنة النار (عنيد مناع للخير معتد مريب) أى ألقيا فى جهنم كل كافر بالله معاند آياته مانع الناس من اتباع رسول الله ومن الانفاق على من عنده ظالم بالايذاء وكثرة الهذاء شاك فى اليوم الآخر فلا يظن ان الساعة قائمة فكل كافر هو موصوف بهذه الصفات (الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) وقوله تعالى الذى مبتدأ يشبه الشرط فى العموم ولذا دخلت الفاء فى خبره و يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف أى هو الذى جعل و يكون فألقياه تأكيدا لالقيا الاول (قال قرينه ربنا ما أطغيته) أى ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا أطغانى شيطانى فيقول الشيطان متبرأ منه ربنا ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق وقال ابن عباس لما يقول الكافر يا رب ان الملك زاد على فى الكتابة فكتب على ما لم أقل وما لم أفعل وعجلنى بالكتابة حتى نسيت قال الملك الذى يكتب عليه سيئاته ربنا ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل وما عجلته بالكتابة ولكن كان فى ضلال طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) تعالى خطابا للكافرين وقرنائهم (لا تختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالتهديد فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى حيث قلت لكم اذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه

(ما

(ما يبدل القول لدى) أى ما يغير الوعيد بتخليد الكافر فى النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم فى هذا الموقف (وما أنا بظلام للعبيد) أى وما أنا أعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم (يوم تقول لجهنم) وقرى يقول بالياء (هل امتلأت) أى قد امتلأت كما وعدتك وهو استفهام تقرير والمراد الاخبار عن امتلاء جهنم (وتقول هل من مزيد) أى قد امتلأت فليس فى مكان رجل واحد لم يمتلئ فهو استفهام انكار أى لما خاطب الله جهنم بصورة الاستفهام أجابته بصورة الاستفهام أيضا ومرادها الاقرار بامتلائها أو استفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى الامر أى زدنى يارب (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى قربا حقيقيا بحيث يشاهدونها من الموقف أو قربت تقريب حصول لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة (هذا) أى الجنة (ما توعدون) فى الدنيا وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (لكل أواب) أى مقبل الى الله وهذا بدل كل من المتقين (حفيظ) أى حافظ لامر الله فى الخلوات (من خشى الرحمن بالغيب) حال من المفعول أى غائبا عن الخاشى ومن بدل من كل أو خبر مبتدا مضمر أى هم من خشى الخ والخشية من عظمة المخشى والخوف من ضعف الخاشى (وجاء بقلب منيب) أى برىء من الشرك يقول الله تعالى لهم (ادخلوها) أى الجنة (بسلام) أى بسلامة من عذاب الله تعالى أو بسلام على من فيها فلا تتركوا حسن عادتكم (ذلك يوم الخلود) أى ذلك الزمان يوم خلود أهل الجنة فى الجنة (لهم ما يشاؤن فيها) من فنون المطالب (ولدينا مزيد) هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم) أى من قومك (بطشا) أى قوة (فنقبوا فى البلاد) أى خرقوا فيها وجالوا فى أكناف الارض كل مجال حذار الموت (هل من محيص) أى هل لهم مخلص من أمر الله تعالى (ان فى ذلك) أى فى اهلاكهم (لذكرى) أى لعظة (لمن كان له قلب) أى قلب واع سليم يتفكر فى الامور كما ينبغى بذكائه (أو ألقى السمع) الى ما يتلى عليه من الوحى الدال على ما جرى عليهم (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (فى ستة أيام) أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة (وما مسنا من لغوب) أى وما أصابنا من تعب قيل هذه الآية نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم (فاصبر على ما يقولون) من حديث التعب بالاستلقاء قال الرازى والاقرب والظاهر ان المراد بهذه الآية الرد على المشرك فى انكار البعث والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما فى اثبات البعث وعلى هذا فالمعنى فاصبر على ما يقولون هذا شئ عجيب أى هذا الذى يقول محمد نبعث بعد الموت شئ عجيب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) أى نزه الله تعالى عن الشرك وعن العجز عن الممكن الذى هو البعث وذكرهم بعظمة الله تعالى فى وقت اجتماعهم وهو قبل الطلوع وقبل الغروب وأول الليل أى عقب سجودك نزه ربك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية ادبار السجود ولا تسأم من تكذيبهم اياك وامتناعهم من استماع وعظك ويقال صل حامدا لربك الصلوات الخمس والنوافل بعد المكتوبات وشغل رسول الله أمران عبادة الله وهداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو

عبادة الله واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له وقرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة والباقون بالفتح (واستمع) لما يوحى اليك من أحوال القيامة (يوم يناد المناد من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء قيل يقف المنادى اسرافيل أو جبريل على صخرة بيت المقدس قال الشهاب والاصح ان المنادى جبريل والنافخ اسرافيل فيقول المنادى أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى بالبعث فيوم بدل من يوم أول و بالحق اما حال من الواو أى يسمع الخلق كلهم نفخة البعث ملتبسين باليقين أو حال من الصيحة أى يسمعون النفخة الثانية ملتبسة بالخروج من القبور (ذلك) أى يوم النداء وسماع صيحة النفخ (يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك أحد (والينا المصير) أى الرجوع فى الآخرة للجزاء (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى مسرعين فى خروجهم من الارض و لتشقق يكون عند الخروج منها فسراعا حال من الضمير فى عنهم ويوم بدل من يوم الاول أو ظرف للمصير أو ظرف للخروج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر تشقق بتشديد الشين والباقون بالتخفيف وقرئ تشقق على البناء للمفعول وقرئ تنشق (ذلك حشر علينا يسير) أى ذلك الاخراج بتشقيق الارض أحياء و جمعهم علينا للحساب والجزاء فكيف ينكره منكر (نحن أعلم بما يقولون) من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة بثبوت البعث (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط ان تقصرهم على الايمان وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال بالوصل وقوله تعالى فذكر اشارة الى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل مأمور بالتذكير وقوله تعالى بالقرآن اشارة الى انه أنزل عليه القرآن وقوله تعالى وعيد اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله تعالى وعيد يدل على الوحدانية أى انما يقبل عظتك من يخاف عذابى فى الآخرة

(سورة الذاريات مكية ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا) أى والرياح التى تذرو التراب وغيره وتهب فى منازل القوم (فالحاملات وقرا) أى فالسحب الحاملة للمطر (فالجاريات يسرا) أى فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها وهذا التفسير هو ما روى عن على رضى الله عنه وقال الرازى والاقرب ان هذه الامور الاربعة صفات أربع للرياح فالذاريات هى الرياح التى تنشئ السحاب أولا والحاملات هى الرياح التى تحمل السحب التى هى بخار المياه التى اذا سحت جرت السيول العظيمة وهى أوقار أثقل من جبال والجاريات هى الرياح التى تجرى بالسحب بعد حملها الماء والمقسمات هى الرياح التى تفرق الامطار على الاقطار (انما توعدون لصادق) أى ان وعدكم بالبعث والحساب لوعد صادق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لحاصل فالحساب يستوفى والعقاب يوفى (والسماء ذات الحبك) أى ذات الحسن أو ذات الزينة أو ذات الطرائق وهى مسير الكواكب ومسالك النظار (انكم) يا معشر قريش (لفى قول مختلف) أى منعكس وانكم غير جازمين فى اعتقادكم فانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق فى قولك وانما تجادل ونحن نعجز عن الجدل فكأنه تعالى قال

لنبيه انك صادق ولست معاندا بل هم جازمون بانك صادق وانما يظهرون الجزم بأمر لشدة عنادهم فانعكس الامر عليهم (يؤفك عنه من أفك) قيل هذا مدح للمؤمنين أى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى القول المستوى وقيل ان هذا ذم أى يصرف عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والحشر من قد صرف عن الهدى وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وأبى بن خلف وأمية ابن خلف ومنبه ونبيه (قتل الخراصون) أى لعن الكذابون الذين لا يجزمون بأمور وهم أصحاب القول المختلف وهذا دعاء عليهم وقرئ قتل الخراصين بالبناء للفاعل أى قتل الله المقدرين ما لا صحة له (الذين هم فى غمرة) أى فى جهالة بأمر الآخرة (ساهون) أى غافلون عما أمروا به (يسألون) أى بنو مخزوم بطريق الاستعجال استهزاء (أيان يوم الدين) أى متى يكون يوم الجزاء الذى نعذب فيه قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أى يكون ذلك يوم هم يعرضون على النار ويحرقون بها ويجوز أن يكون يوم هم خبر المبتدأ محذوف وهو مبنى على الفتح لاضافته الى مبنى ويؤيده انه قرئ بالرفع أى هو يوم هم الخ وتقول لهم الزبانية (ذوقوا فتنتكم) أى حرقكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) بالقول بطريق الاستهزاء أو بالفعل وهو الاصرار على العناد واظهار الفساد وقوله تعالى هذا الآية داخل تحت القول المضمر وهو اما مبتدأ أو بدل من فتنتكم (ان المتقين فى جنات وعيون) جارية فى خلال الجنات (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم ربهم راضين به من الجنات والعيون (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل اعطاء الله الجنات لهم (محسنين) فى الدنيا بالقول والفعل (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) فما زائدة وهذا تفسير للاحسان أى كانوا ينامون فى جزء قليل من الليل وقيل ما مصدرية ويهجعون بدل اشتمال من الواو أى كان هجوعهم من الليل قليلا أو فاعل لقليلا أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وقيل ما نافية وقليلا خبر كان وعلى هذا فالوقف عليه صالح كالوقف على يهجعون والمعنى كان عددهم قليلا لا ينامون من الليل (وبالاسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة نومهم وكثرة صلاتهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار ويعدون أنفسهم مذنبين لوفور علمهم بالله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) أى هم لا يجمعون الاموال الا ويجعلونها ظرفا للحق فيرون فى أموالهم حقا للذى يسأل العطاء من الناس وللمتعفف الذى يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيأ فهو الذى لا يسأل ولا يعطى أى هم أوجبوا على أنفسهم بمقتضى الكرم ان يصلوا بأموالهم الارحام والفقراء والمساكين (وفى الارض آيات للموقنين) أى وفى جهة السفل دلائل واضحة للموقنين على شؤنه تعالى فان الموقن لا يغفل عن الله تعالى فى حال ويرى فى كل شئ آيات دالة على قدرته تعالى ووحدانيته اما الغافل فلا يتنبه الا بأمور كثيرة فيكون الكل له كآية واحدة (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات دالة لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته اذ ليس فى العالم شئ الا وفى الانفس له نظير (أفلا تبصرون) أى الا تنظرون الارض وما فيها والانفس وما فيها فلا تبصرون بعين البصيرة (وفى السماء رزقكم وما توعدون) أى رزقكم ووعدكم بالجنة والنار مكتوبة مقدرة فى السماء ويقال هذا الخطاب مع الكفار فكأنه تعالى قال وفى الارض آيات للموقنين كافية واما أنتم أيها الكافرون ففى أنفسكم آيات هى أظهر الآيات تكفرون بها لحب الرياسة وحطام الدنيا وفى السماء الارزاق فلو تأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه واصل اليكم بكل طريق ولا اجتنبتم الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل من السماء فأسباب الرزق من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك من ماهيأ الله تعالى به لمنافع العباد هى من جهة العلو (فورب السماء والارض انه

الحق مثل ما أنكم تنطقون) أى ان ماذكر من أمر الرزق والوعد بالثواب والعقاب لحق مثل نطقكم فكما لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى لكم ان لا تشكوا فى حقيته ذلك وقرأ حمزة والكسائى وشعبة مثل بالرفع والباقون بالنصب لاضافته الى مبنى وهو انكم وما مزيدة (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) أى ألم يأتك حديث ضيف ابراهيم الذين أكرمهم بخدمته لهم وبالعجل قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أخرجه أبو نعيم (اذ دخلوا عليه) أى ابراهيم ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو للمكرمين ان فسر بذلك المذكور (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما أو نبلغك سلاما (قال) أى ابراهيم (سلام) أى سلام عليكم أو جوابه سلام أو أمرى سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بينى وبينكم لانى لا أعرفكم أو قولكم سلام يدل على السلامة وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى سلما بكسر السين وسكون اللام وبالنصب (قوم منكرون) قال ابراهيم ذلك فى نفسه كما قاله ابن عباس والمعنى هؤلاء قوم غرباء لا أعرفهم وانما أنكرهم ابراهيم عليه السلام لانهم ليسوا ممن عرف من الناس (فراغ الى أهله) أى ذهب ابراهيم الى أهله فى سرعة على خفية من ضيفه (فجاء بعجل سمين) أى فذبح فتى من أولاد البقر فحنذه فجاء به الى أضيافه (فقربه اليهم) بأن وضعه عندهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال) أى ابراهيم (ألا تأكلون) من الطعام (فأوجس منهم خيفة) أى فأضمر فى نفسه خيفة منهم لظن أنهم لصوص فلما علموا خوف ابراهيم (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم انا رسل ربك قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام عليم) أى بولد عليم فى صغره حليم فى كبره وهو اسحق او اسمعيل كما قاله مجاهد (فأقبلت امرأته فى صرة) أى أقبلت سارة على أهلها صائحة لانها كانت فى خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت وأعرضت عنهم (فصكت وجهها) أى لطمته من الحياء كما جرت عادة النساء عند الاستحياء أو التعجب (وقالت عجوز عقيم) أى قالت سارة أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) أى قالت الملائكة حكم ربك فى الازل مثل ذلك القول الذى أخبرناك به يا سارة فلا تعجبين منه فكذلك منصوب بقال الثانية على المصدر (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله متقنا اذ الحكيم هو الذى فعله كما ينبغى لعلمه مع قصد ذلك (قال) أى ابراهيم (فما خطبكم) أى فما أمركم العظيم الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة فلعظمتكم لا ترسلون الا فى عظيم (أيها المرسلون) أتى ابراهيم عليه السلام بما هو من آداب المضيف حيث يقول لضيفه اذا استعجل فى الخروج ما هذه العجلة وما شغلك الذى يمنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا يسكت عند خروجهم لان سكوته يوهم استثقالهم (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى كافرين من قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أى لننزل عليهم من السماء حجارة من طين مطبوخ كالآجر بعد ما قلبنا قراهم قال السدى ومقاتل كانوا استمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها بأن جعل عاليها سافلها ثم أرسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة مسافريهم وشذاذهم أى المنفردين عن الجماعة (مسومة عند ربك للمسرفين) أى مكتوبا على كل واحد من الحجارة اسم واحد من المجاوزين الحد فى الفجور وذلك انما يعلمه الله تعالى (فأخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين) بلوط لاهلاك الكافرين فان القرية ما دام فيها المؤمن لم تهلك فببركة المحسن ينجو المسىء (فما وجدنا فيها) أى فى تلك القرى (غير بيت)

واحد

واحد (من المسلمين) قال مجاهد كان الناجون لوطا وابنته وقال قتادة كانوا أهل بيته وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أى وتركنا فى قريات قوم لوط علامة للمنتفع بها قيل هى حجارة منضودة فى ديارهم وهى بين الشام والحجاز وقيل هى ماء اسود منتن خرج من أرضهم وقيل هى نفس القرى الخربة (وفى موسى) وهذا اما معطوف على فيها والمعنى وتركنا فى قصة موسى آية أو يقال وجعلنا فى قصة قوم لوط عبرة للخائفين حلول العذاب فلا يقتدون بفعلهم وجعلنا فى قصة موسى آية واما معطوف على قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفى موسى حديث وهذا مناسب اذ جمع الله كثيرا بين ذكر ابراهيم وذكر موسى عليهما السلام (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى ببرهان قاطع حاج به فرعون أو بمعجزة فارقة بين سحر الساحر وأمر المرسلين كاليد والعصا (فتولى بركنه) أى فأعرض فرعون عن الايمان به مع جنوده أو فتقوى فرعون بأقوى جنده وهو هامان فانه كان وزيره (وقال) فى شأن موسى هذا (ساحر) تأتيه الجن بسحره باختياره (أو مجنون) تقصده الجن من غير اختياره كأن فرعون نسب الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنها حصلت باختيار موسى أو بغيره (فأخذناه وجنوده) أخذ غضب وقهر (فنبذناهم فى اليم) أى فأغرقناهم فى البحر (وهو مليم) أى والحال ان فرعون آت بما يلام عليه من الطغيان (وفى عاد) أى وفى قوم هود حديث (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى المهلك وقاطع النسل وهى الدبور (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى ما تترك هذه الريح شيأ مرت عليه مقصودا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم الا جعلته مثل التراب أو مثل الشئ الهالك (وفى ثمود) أى وفى قوم صالح حديث (اذ قيل لهم) وقرأ هشام والكسائى باشمام القاف والباقون بكسرها (تمتعوا حتى حين) أى عيشوا وانتفعوا بالزروع والابنية وبلبن الناقة الى أواخر آجالكم (فعتوا عن أمر ربهم) أى فجازوا الحد فى الاستكبار عن الامتثال بأمر الله تعالى فقتلوا ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم الصاعقة) أى النار التى فيها الصوت الشديد التى حملتها الريح فأوصلتها الى مسامعهم وقرأ الكسائى الصعقة باسكان العين بعد الصاد بدون ألف بينهما وهى المرة من الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أى وهم يعاينون النار التى تنزل من السماء فيها رعد شديد ولا يقدرون على دفعها ويقال أتاهم العذاب بعد انذارهم بمجيئه بثلاثة أيام وهم ينتظرون مجيئه (فما استطاعوا من قيام) أى فعجزوا عن فرار من العذاب (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين من العذاب بأبدانهم وبغيرهم (وقوم نوح من قبل) وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالجر عطفا على وفى ثمود على معنى وفى قوم نوح عبرة لكم من قبل ثمود وعاد وغيرهم ويقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح والباقون بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح من قبل لان ما تقدم دل على الهلاك وقرأ أبو السمال وابن مقسم وأبو عمرو فى رواية الاصمعى بالرفع على الابتداء وخبر المبتدا اما مقدر أى أهلكناهم أو ما بعده وهو قوله تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الحدود فى الكفر والمعاصى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وانا لموسعون) أى لقادرون ويحتمل أن يقال ان هذا اشارة الى المقصود الآخر وهو البعث للموتى من القبور كأنه تعالى يقول بنينا السماء وانا القادرون على ان نخلق مثلها وقيل انا لموسعون الرزق على الخلق (والارض فرشناها) أى بسطناها على الماء ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى فنعم الفارشون نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أى وخلقنا من كل جنس نوعين من الجوهر متضادين كالذكر والانثى أو متشاكلين فان كل شئ له نظير كالعرش والكرسى واللوح والقلم (لعلكم تذكرون)

أى لكى تتعظوا فيما خلقه الله فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا كثرة فيه فتعبدونه وانه لا يعجز عن حشر الاجساد والارواح (ففروا الى الله) أى اذا علمتم ان الله تعالى فرد لا نظير له وان هذه المذكورة شؤونه فاهربوا اليه بالطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه (انى لكم منه) أى من الله تعالى (نذير مبين) ففى الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه فقوله تعالى لكم اشارة الى المرسل اليهم وقوله تعالى منه اشارة الى المرسل وقوله تعالى نذير بيان للرسول وقوله تعالى مبين اشارة الى ما تعرف به الرسالة لان كل حادث له سبب فلا بد للرسول من علامة يعرف بها وهى اما البرهان أو المعجزة (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) بل وحدوا الله فان التوحيد بين التعطيل والتشريك فالمعطل يقول لا اله أصلا والمشرك يقول ان فى الوجود آلهة فقوله تعالى ففروا الى الله أثبت وجود الله وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نفى الاكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين ولهذا قال الله تعالى مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى لا أقول شيأ الا بدليل ظاهر فالرسول نذير من الله فى المقامين عند الامر بالطاعة وعند النهى عن الشرك وذلك ليعلم ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) خبر مبتدا محذوف وقد فسر هذا الابهام بما بعده أى الشأن مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) أى ما أتى الامم الاولين رسول من رسل الله الا وقد قالوا فى حقه هو ساحر أو مجنون (أتواصوا به) وهذا استفهام للتعجيب والتوبيخ والانكار أى أتواصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه كأن بعضهم قال لبعض لا تقولوا الا هذا القول أى كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم توافقوا عليه أى ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد (بل هم قوم طاغون) أى لم يكن ذلك عن التواطؤ وانما كان لمعنى جامع هو ان الكل استغنوا بالاموال فنسوا الله وجاوزوا الحد فى العصيان فكذبوا رسلهم (فتول عنهم) أى فاعرض يا أشرف الخلق عن جدالهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا العناد (فما أنت بملوم) أى لا تحزن فانك لست بملوم بسبب التقصير منك وانما هم الملومون بالاعراض والعناد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى ولا تدع العظة فانها تزيد المؤمنين قوة فى يقينهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى الا ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها كما قاله ابن عباس أى فان الكافرين يقرون للعبودية وهو اظهار التذلل بالخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم عابدون بهذا الاعتبار أو الا لآمرهم بالعبادة كما نقل عن على بن أبى طالب وهى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واللام لام الحكمة والسبب شرعا وقال مجاهد الا ليعرفونى أى لانه تعالى لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف اهـ وعبر بالعبادة عن المعرفة لانها وسيلة الى المعرفة أى ان الله خلق الخلق مستعدين لمعرفته مع كونها مطلوبة منهم (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى لست كالسادة فى طلب العبادة بل هم الراغبون فى عبادتهم والعبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة كمماليك الملوك فالملك يطعمهم ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من البلاد والطراف بعد التلاد وقسم منهم للانتفاع بهم فى تحصيل الارزاق ولا صلاحها فليتفكروا فى أنفسهم فى كونهم مخلوقين للعبادة هل هم من نوع ان يطلب منهم تحصيل رزق أو هم ممن يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والخوانى الذى يقرب الطعام وليسوا من هذا القسم بل هم عبيد من القسم الاول فينبغى أن لا يتركوا التعظيم لامر الله (ان الله هو الرزاق

ذو

ذو القوة المتين) أى الثابت الذى لا يتزلزل فلا يطلب الرزق لغناه عبد من عباده فانه يرزقهم ولا يطلب منهم ان يعينوه على الارزاق لانه تعالى قوى وقرئ انى أنا الرزاق وقرأ ابن محيصن هو الرازق كما قرأ وفى السماء رازقكم وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) بفتح الذال أى اذا عرفت حال الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين من كفار مكة نصيبا وافرا من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الامم السابقة (فلا يستعجلون) أى فلا يطلبوا منى ان أعجل فى المجئ بالعذاب فلا يأتى الاجل مالم يفرغ الرزق (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى فالشدة من العذاب لكفار مكة من أجل يومهم الذى يوعدون العذاب فيه وهو يوم بدر كما هو الاوفق لما تقدم أو يوم القيامة وهو الانسب بما فى أول السورة الآتية

﴿ سورة الطور مكية تسع وأربعون آية وثمانمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والطور) أى طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى واسمه زبير أقسم الله به (وكتاب مسطور فى رق منشور) أى كتاب مكتوب فى كاغد مبسوط غير مطوى وغير مختوم عليه وهو القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ أو هو التوراة المكتوبة فى الالواح التى أنزلت على موسى (والبيت المعمور) وهو اما الكعبة وهو بيت معمور بالناس الطائفين به العاكفين يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة أو الضراح وهو فى السماء بحيال الكعبة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا (والسقف المرفوع) فوق كل شئ وهو السماء وقيل العرش فانه سقف الجنة (والبحر المسجور) أى الممتلئ وهو بحر فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن يسمى بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم ويقال هو بحر حار يصير نارا روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل بشدة على مستحقه يوم القيامة (ماله) أى العذاب (من دافع) عنه (يوم تمور السماء مورا) أى يوم تخرج السماء عن مكانها وتدور بأهلها دورانا كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم فى بعض من الهول فيوم معمول لواقع أو لدافع أى ليس له دافع يوم تمور السماء (وتسير الجبال سيرا) أى تزول الجبال عن وجه الارض وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) أى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فشدة عذاب اذا للمكذبين للرسل الذين هم يلهون فى أباطيل فأفعالهم مثل أفعال الخائض فى الماء فهو لا يدرى أين يضع رجله (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) ويوم اما ظرف لقول مقدر بعده أى يوم يدفعون اليها دفعا عنيفا يقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم ويقولون لهم توبيخا هذه النار الخ واما بدل من يومئذ والمعنى فويل يوم يقع العذاب للمكذبين وهو يوم يدعون أى المكذبون الى النار والعامة على فتح الدال وتشديد العين مضمومة وقرأ على والسلمى وأبو رجاء وزيد بن على بسكون الدال وفتح العين فيكون دعا

حالا من الواو أى يوم ينادون مدعوعين بان يقال لهم هلموا الى نار جهنم فادخلوها وتقول لهم الخزنة هذه النار (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) أى أفهذا العذاب الذى ترونه سحر كما كنتم تقولون فى الدنيا للانبياء هم سحرة أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أى هل فى المرئى شك أم هل فى بصركم خلل فالذى ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق (اصلوها) أى ادخلوا النار وقاسوا شدائدها (فاصبروا أو لا تصبروا) أى فافعلوا ما شئتم من الصبر على عذاب النار وعدمه (سواء عليكم) أى صبركم عليه وتركه سواء عليكم فى عدم النفع (انما تجزون ما كنتم تعملون) فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع بحسب الوعد كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) دائم (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى متلذذين بما أعطاهم ربهم وقرأ الحسن وغيره فكهين بغير ألف أى معجبين وقرئ فاكهون على انه خبران أى ذو وفاكهة كثيرة بسبب اعطاء ربهم اياهم تلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم أى انهم ناعمون بامرين بما آتاهم ربهم وبأنه وقاهم أو عطف على فى جنات فالمعنى ان المتقين أدخلهم ربهم جنات ونعيما ووقاهم عذاب الجحيم فيقول الله لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أى بلا تعب فى تحصيل الطعام والشراب وبلا داء فى تناولهما وبلا خوف نفاد وبلا اثم (بما كنتم تعملون) فلا من عليكم فى هذا اليوم وانما منتى عليكم فى الدنيا اذ هديتكم ووفقتكم للاعمال الصالحة لان هذا انجاز الوعد (متكئين على سرر مصفوفة) حال من الضمير المستكن فى خبران أى كائنون فى جنات حال كونهم متكئين على نمارق على سرر موصولة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين) أى بنساء بيض عظام الاعين فقوله تعالى وزوجناهم عطف على خبران وهو اشارة الى ان المزوج هو الله تعالى فهو تعالى يتولى الطرفين يزوج عبيده باماثه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العبيد والاماء فهو اشارة الى ان الحور العين فى الجنات مملوكات على ملك اليمين لا على ملك النكاح وانما عدى بالباء اشارة الى ان المنفعة فى التزويج هنا للرجال فقط فانما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم وأيضا ان فى التزويج معنى الالصاق وفى الباء كذلك فكأن المعنى جعلناهم ملصقين بحور من غير عقد منهم وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه وبقطع الهمزة والباقون واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وبهمزة وصل وقرأ نافع ذريتهم بالافراد فى الاولى والجمع فى الثانية وقرأ ابن كثير والكوفيون بالافراد فيهما وأبو عمرو بالجمع فيهما مع النصب بالكسرة وابن عامر بالجمع فيهما والرفع فى الاولى والنصب بالكسرة فى الثانية والذرية هنا محمولة على الآباء والابناء معا أى ان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا بسبب الايمان كما هو منقول عن ابن عباس وغيره والله تعالى اتبع الولد الوالدين فى الايمان ولم يتبعه أباه فى الكفر بدليل ان من أسلم من الكفار حكم باسلام أولاده الصغار ومن ارتد من المسلمين لا يحكم بكفر ولده كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فالآباء داخلون فى اسم الذرية ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب (وما ألتناهم من عملهم من شئ) أى وما نقصناهم شيأ من درجة الاعلى لاجل الحاق الادنى به وهذا ازالة وهم المتوهم ان ثواب الاعلى يوزع على من دونه وقرأ ابن كثير ألتناهم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ ابن هرمز

آ لتناهم بمد الهمزة وقرئ لتناهم بكسر اللام ولتناهم بالفتح (كل امرئ بما كسب رهين) أي كل امرئ مرهون عند الله تعالى بعمله فان عمل صالحا فك نفسه والا أهلكها فالعمل بمنزلة الدين الثابت حيث ان العبد مطالب بذكر العمل خيرا أو شرا ويقال كل امرئ بما كسب دائم فان أحسن ففي الجنة مؤبدا وان أساء ففي النار مخلدا (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي زدناهم على ما كان لهم وقتا بعد وقت بأنواع الفواكه وأنواع اللحمان مما يشتهون فكل واحد من أهل الجنة يعطى في الجنة ما يشتهي وان لم يطلبه (يتنازعون فيها كأسا) أي يتعاطون في الجنة خمراهم وجلساؤهم بكمال الاشتياق أو يتجاذب بعضهم اناء الخمر من بعض في شربها تجاذب ملاعبة لا تجاذب مخاصمة وهو المؤمن وزوجاته وخدمه (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا كلمة لغو ولا اثم بسبب شربها أي بسبب زوال العقل ونهوض الغضب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالبناء على الفتح في الاسمين والباقون بالرفع (ويطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من التحف للخدمة (غلمان لهم) وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالحور ولذلك لم يقل تعالى غلمانهم وانما قال غلمان لهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيخاف كل من خدم أحدا في الدنيا ان يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا (كأنهم) في بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) مخزون مصون من الحر والبرد (وأقبل بعضهم على بعض) في الزيارة (يتساءلون) أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أمر الدنيا وعن نعيم الجنة (قالوا) أي قال كل منهم (انا كنا قبل) أي قبل دخول الجنة (في أهلنا مشفقين) أي خائفين على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان فأخطأنا في ذلك وقوله تعالى في أهلنا متعلق بمحذوف حال من الضمير في مشفقين أي حال كوننا بين أهلينا في الدنيا أو بيان لقبل أي في وقت اجتماعنا مع أهلنا (فمن الله علينا) بالمغفرة ودخول الجنة (ووقانا عذاب السموم) أي عذاب النار وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة البرد في النهار (انا كنا من قبل) أي من قبل هذه الرحمة أي في الدنيا (ندعوه) أي نسأله الحفظ من العذاب ونعبده (انه هو البر) أي الصادق في وعده لنا المحسن الينا (الرحيم) بعباده المؤمنين وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه على تقدير كون اللام ملفوظا بها والباقون بكسرها استئنافا على معنى التعليل (فذكر) أي عظ يا أشرف الخلق (فما أنت بنعمة ربك) بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) أي فلا تتغير ولا تتبع أهواءهم لقولهم لك أنت كاهن تخبر بما في الغد ومجنون (أم يقولون) أي بل أيقولون أي كفار مكة هو (شاعر) يتقول الكلام من تلقاء نفسه (نتربص به ريب المنون) أي ننتظر بذلك الشاعر تقلبات الزمان ونزول الموت فانه ان كان شاعرا فصروف الزمان قد تضعف ذهنه فيتبين كساد شعره وقالوا أيضا نتربص موته فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه فلا نعارضه الآن مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وجملة نتربص به نعت لشاعر (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الكفار (تربصوا) أي انتظروا موتي وهذا أمر تهديد (فاني معكم من المتربصين) أي فاني أتربص هلاككم وقد أهلكوا في يوم بدر وفي غيره من الايام ويقال ان معنى هذه الآية اني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لاحد وانما أنا نذير فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تمنون بعدي (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) أي أتأمرهم عقولهم بهذا المقال المتناقض فانهم قالوا في حق الرسول هو كاهن مجنون شاعر فان الكاهن ذو دقة نظر في الامور والمجنون مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء في واحد بل أهم قوم مجاوزون الحدود في العناد لا يحومون حول السداد ولذلك يقولون

اكاذيب خارجة عن دائرة العقول وقرئ بل هم (أم يقولون تقوله) أى بل يقولون كذب محمد فى القرآن من عند نفسه وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا (فليأتوا بحديث مثله) أى فليجيئوا بكلام مثل القرآن فى البلاغة وصحة المعانى والاخبار بالمغيبات من تلقاء أنفسهم فانهم مثل محمد فى البشرية والعربية (ان كانوا صادقين) فيما قالوا فان صدقهم فى ذلك يستلزم قدرتهم على الاتيان بمثله ففيهم الشعراء البلغاء والكهنة الاذكياء ومن يرتجل القصائد ويقص القصص (أم خلقوا من غير شئ) أى أوجدوا من غير خالق فلذلك ينكرون القول بالتوحيد لانتفاء الايجاد وينكرون الحشر لانتفاء الخلق الاول وقال ابن كيسان أم خلقوا لغير شئ من عبادة وجزاء فخلقوا عبثا وتركوا سدى فلا اعادة وقيل أى من غير أب وأم فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقيم الله عليهم حجة أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة (أم هم الخالقون) لانفسهم فلا يأتمرون لامر الله ولا يعبدون الله وهم لا يقولون ذلك فاذا أقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذى يمنعهم من الاقرار له بالعبادة ومن الاقرار بانه قادر على البعث (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) فأم للاستفهام الانكارى بمعنى النفى أى ما خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون بأن الله واحد فاذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته أى لما لم ينشأ من ايقانهم بالله أثره وهو الاقبال على عبادته جعل ايقانهم كالعدم فنفى عنهم وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى انهم كما طعنوا فيك يا أشرف الخلق طعنوا فى خالقهم (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه) وأم استفهام انكارى أى أعندهم خزائن رحمة الله حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علم الله بالغيب حتى يختاروا للنبوة من شاؤا أم هم الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاؤا أم لهم مصعد الى السماء يستمعون ما يوحى الى الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ان محمدا ليس برسول وان كلامه ليس بمرسل أى أنتم لستم بخزنة الله ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها ولا أنتم اجتمعتم بهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم اليهم (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى اذا ادعوا الاستماع من الملائكة فليأت مدعى الاستماع بحجة واضحة تصدق دعواه (أم له البنات ولكم البنون) أى أتزعمون ان لله تعالى البنات ولكم البنون خاصة لتكونوا أقوى منه تعالى فتكذبوا رسوله وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم تسألهم أجرا) أى أجر الدنيا من مال أو غيره على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لذلك الاجر من التزام غرامة يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى هل عندهم علم ما غاب عنهم فهم يكتبون ما غاب عنهم حتى يمكنهم منازعة محمد أى هل صاروا فى درجة محمد حتى استغنوا عنه وأعرضوا (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) والمعنى أتهديهم لوجه الله أم تسألهم أجرا فتثقلهم فيمتنعون عن الاتباع أم عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس لهم شئ من هذين الامرين بل يريدون العذاب بغتة من حيث لا يشعرون فالذين كفروا معذبون (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون) أى عن الذين يشركون من الولد ومن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون البنات لله وكانوا يقولون هو تعالى مثل ما يعبدونه (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) أى لو عذبنا كفار مكة بنزول قطع من السماء عليهم لم ينتهوا عن طغيانهم ولم يرجعوا عن عنادهم ولقالوا فى هذا النازل اغاظة لمحمد هذا سحاب تراكب بعضه على على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه قطعة نازلة للعذاب (فذرهم) أى اذا تبين أنهم لا يرجعون عن الكفر

فاتركهم على شرأحوالهم (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) أى يهلكون بالقتل يوم بدر وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء مبنيا للمفعول وباقى السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرأ أبو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) أى يوم لا يدفع عنهم مكرهم فى مناصبتهم يوم بدر شيأ من الهلاك (ولاهم ينصرون) أى ولا يمنعون من القتل والاسر النازلين بهم فى ذلك اليوم (وان للذين ظلموا) أى ان لهؤلاء الظلمة بعبادتهم الاوثان (عذابا دون ذلك) أى قبل مالاقوه من القتل يوم بدر وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين وقرئ دون ذلك قريبا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب يلاقوه (واصبر لحكم ربك) بابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان (فانك بأعيننا) أى بمنظر منا وفى حفظنا (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من موضعك أى حين تعزم على القيام وقد ورد فى الخبر ان من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد صدر منه من اللغط واللغو فى ذلك المجلس (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء (وادبار النجوم) أى وقت الصبح حين يذهب ضياؤها بضوء الشمس

(سورة النجم مكية ثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى) أى والقرآن اذا نزل وهذا استدلال بمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أو والنجوم التى هى ثابتة فى السماء للاهتداء اذا سقطت الى أسفل وفائدة تقييد القسم بالنجم بوقت هويه انه اذا كان فى وسط السماء لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال (ماضل صاحبكم) أى ماعدل سيدكم يامعشر قريش عن الطريق المستقيم أو ماجن مصاحبكم محمد (وماغوى) أى وما اعتقد باطلا قط بل هو رشيد مرشد دال على الله تعالى (وما ينطق عن الهوى) أى لم يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه وعن رأيه أصلا (ان هو الا وحى يوحى) أى ما القرآن الا وحى من الله يوحى أى يجدد ايحاؤه اليه صلى الله عليه وسلم وقتا بعد وقت ويقال فى معنى هذه الآية ماجن محمد وما مسه الجن فليس بكاهن وليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر وماقوله الا وحى وليس بقول كاهن ولا شاعر (علمه شديد القوى) أى علم النبى الوحى ملك شديد القوة بالبدن وهو جبريل عليه السلام روى أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ما بعثت الى نبى قط أحب الى منك ألا أعلمك أسماء من أسماء الله عز وجل هن أحب أسمائه أن يدعى بهن قل يانور السموات والارض ياجبار السموات والارض ياعماد السموات والارض يابديع السموات والارض ياقيام السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياصريخ المستصرخين ياغياث المستغيثين يامنتهى العابدين وياأرحم الراحمين فيزول بك كل حاجة (ذومرة) أى قوة فى العقل (فاستوى) والفاء للسببية أى فاستقام جبريل على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها فرآه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بحراء فخر مغشيا عليه دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحى وذلك ان رسول الله أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فان التشكل بشكله الذى فطر عليه يتسبب عن شدة قوته وقدرته على الخوارق (وهو بالافق الاعلى) أى والحال أن جبريل فى الجانب الشرقى فسد المشرق لعظمته وقال الرازى والظاهر

أن المعنى ارتفع محمد بالمكان وهو بالمكان الاعلى رتبة فى رفعة القدر لاحقيقة فى الحصول فى المكان فانه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية وصار نبيا وهو واصل الى الافق الاعلى الفارق بين المنزلتين (ثم دنا) أى بعد مامد جبريل جناحه وهو بالافق الاعلى عاد الى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبى صلى الله عليه وسلم (فتدلى) أى فنزل من الافق الاعلى الى النبى صلى الله عليه وسلم فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه حتى أفاق وسكن روعه صلى الله عليه وسلم ويقال دنى جبريل من النبى فبقى متدليا من الهواء واقفا بين السماء والارض فان التدلى هو التعلق من الهواء (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى فكان مقدار ما بين جبريل والنبى مقدار قوسين بل أقرب من ذلك بنصف قوس (فأوحى الى عبده ما أوحى) أى فأوحى الله الى جبريل ما أوحى جبريل الى كل رسول فان جبريل أمين لم يخن فى شئ مما أوحى اليه (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى صدق فؤاد محمد فيما رأى شيأ من صورة جبريل ومن الله تعالى ليلة المعراج ومن الآيات العجيبة الالهية أى ان قلبه صلى الله عليه وسلم لم يقل ان المرئى خيال لا حقيقة له ولم يقل انه جنى أو شيطان ويحتمل أن يقال لم يكذب جنس الفؤاد ما رأى صلى الله عليه وسلم ببصره بأن يقول كيف يرى الله وهو ليس فى مكان ولا جهة وليس على هيئة أو كيف يرى جبريل مع أنه ألطف من الهواء والهواء لا يرى فرؤية الله تعالى ورؤية جبريل على ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة تنكره وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أى ان ما رآه محمد بعينه صدقه بقلبه أى ما قال فؤاده لما رآه بصره لم أعرفك وما مفعول به موصولة والعائد محذوف وكذا قيل فى قراءة التخفيف وقيل فيه على اسقاط الخافض أى فيما رآه (أفتمارونه على ما يرى) أى أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما قد رآه وقرأ الاخوان أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم أى أفتنكرونه وقرأ عبد الله بن مسعود والشعبى بضم التاء وسكون الميم أى أتجحدونه شيأ كان يماراى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) أى وبالله لقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش وهو موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح قال مقاتل وهى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها فى الارض لاضاءت لاهلها وهى شجرة طوبى (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى اليها المتقون وأرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) واذ ظرف لرآه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما علاها ما علاها من فراش من ذهب أو من ملائكة يأتونها كأنهم طيور أو من أنوار الله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها وظهرت الانوار (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما التفت محمد الى الجراد ولا الى غيره وما جاوز الى ما سوى الله تعالى أو ما مال محمد عن الانوار وما طلب شيأ غيرها بل اشتغل بمطالعتها مع أن فى ذلك العالم العجائب ما يحير الناظر (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به العبارة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) أى ومناة المتأخرة الذليلة أى الوضيعة المقدار وذلك لان اللات كان وثنا على صورة آدمى وهو لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة والعزى صورتها صورة شجرة سمرة لغطفان ومناة صورتها صورة صخرة كانت لخزاعة ولهذيل بقديد فلآدمى أشرف من النبات وهى أشرف من الجماد وهو متأخر فالمناة فى أخريات المراتب والمعنى لما ذكر الله تعالى عظمة آياته فى ملكوته وهى أن رسول الله الى الرسل الذى يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها

شركاء الله مع ما تقدم ويقال أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة فى الدنيا تنفعكم فى الآخرة (ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد اعترفتم فى أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فكيف جعلتموه ناقصا ونسبتم الى أنفسكم الكامل فنسبتكم البنات الى الله تعالى قسمة جائرة على طريقتكم حيث نسبتم الى أنفسكم الاعظم من الثقلين وأبغضتم البنات ونسبتموهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادتكم أن تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فاذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التى هى لكم (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى ما هذه الاصنام المذكورات الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها أنتم وآباؤكم فانكم قلتم انها آلهة وليست بآلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى ما أنزل الله بهذه الاسماء من حجة فوضع الاسم لا يجوز الا بدليل نقلى أو عقلى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) أى ما يتبع الكافرون فى تسمية الاصنام آلهة الا توهم أن ما هم عليه حق والا ما دونه مما تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والمرسل أن الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار (أم للانسان ما تمنى) أى أللانسان ما اشتهاه من شفاعة الاصنام وغيرها أوهل له أن يعبد بالاشتهاء فيعبد ما لا يستحق العبادة (فلله الآخرة والاولى) أى ان اختار الانسان معبودا على ما اشتهاه فيعاقبه على فعله فى الدنيا والا فيعاقبه فى الآخرة (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) أى وكثير من الملائكة مع علو منزلتهم لا تنفع شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله فى الشفاعة فيمن يشاء ويرضى وهو العابد الشاكر لا المعاند الكافر فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فكيف تقبل شفاعة الجمادات (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بأحوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هى انهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لا نعبد الاصنام لأنها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورها ننصبها بين أيدينا ليذكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملك الذى ثبت أنه مقرب عظيم الشأن فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث حيث قلتم الملائكة بنات الله (وما لهم به من علم) وهذه الجملة حال من فاعل ليسمون أى ليسمون الملائكة بالبنات والحال أنه لا علم لهم بما كانوا يقولون أصلا وقرئ بها أى بالتسمية أو بالملائكة (ان يتبعون الا الظن) فى ان الملائكة اناث (وان الظن لا يغنى من الحق شيأ) أى لا ينفع شيأ من العلم بحقيقة الشئ والظن يتبع فى الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول الى اليقين ومدح من حاله لا يعلم فالظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب وأما فى الاعتقاديات فلا يغنى الظن شيأ من الحق فان المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير فى الحق ينبغى ان يكون جازما والظان لا يكون جازما ويحتمل ان المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى وان الظن لا يفيد شيأ من الله تعالى فان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أى اترك مجادلة من أعرض عن القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكور للامور الآخرة قاصرا نظره الى الدنيا وهذه الآية غير منسوخة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بالجواب عنها بالمجادلة ثم لما لم ينفع أمر بالاعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالبرهان أى وأمر بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة (ذلك

مبلغهم من العلم) أى ذلك الظن غاية مايبلغون به من الادراك المنتظم للظن الفاسد (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى ان الله أعلم بمن لم يرجع الى الهدى أصلا وبمن يقبل الاهتداء فى بعض الاحوال وقد علم الله انه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وانما ينفع فيهم أن يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال (ولله ما فى السموات وما فى الارض) أى خلقا وملكا والوقف هنا تام عند أبى حاتم (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة وقوله تعالى ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى كأنه تعالى قال هو يعلم بمن ضل واهتدى ليجزيهما أو متعلق بقوله تعالى فأعرض أى اعرض عنهم ليقع الجزاء (الذين يجتنبون كبائر الاثم) وهذا الموصول بدل من الموصول الثانى وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والفواحش) قيل الكبائر ماوعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما أوجب الله عليه حدا فى الدنيا (الا اللمم) وهو ما يقصده المؤمن ولا يحققه أو ما يأتى به المؤمن و يندم فى الحال (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وهذا تنبيه على ان اخراج اللمم عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) أى هو تعالى أعلم بأحوالكم يعلمها حين ابتدأ خلقكم من تراب فان كل أحد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة وحين صوركم فى الارحام وهذا تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام فى غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين فى بطن الام لا يخفى عليه ماظهر من حال العباد (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) أى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصى بالكلية على سبيل الاعجاب أو الرياء ولا تقولوا لمن لا تعرف حقيقته أنا خير منك ولا تقطعوا أيها المؤمنون بخلاصكم من العذاب فان الله أعلم بمن أطاع وأخلص العمل أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فجائز وذلك بأن اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة بتوفيق الله ولم يقصد بذلك الاعتراف المدح وهذا لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى) أى أفرأيت الذى أدبر عن الايمان وأعطى شيأ قليلا من المال المسمى وقطع العطاء قيل نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة كان يجلس عند النبى صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه وأثرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل من المشركين لم تركت دين آبائك فقال أخشى عذاب الله فقال له لا تخف وأعطنى كذا وأنا أتحمل عنك العذاب فتولى الوليد عن الوعظ وسماع الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وأعطاه الوليد بعض المشروط وبخل بالباقى فلا يفى بالعهد ولا يحصل بذلك حمل الوزر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أى أعنده علم بالامور الغيبية فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى بل لم يخبر بالخبر الذى كان فى التوراة وفى صحف ابراهيم الذى بالغ فى الوفاء بما عاهد الله تعالى انه لا تحمل نفس حمل نفس أخرى أى انه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وعن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان أهل المقتول اذا ظفروا بأبى القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى نهاهم ابراهيم عن ذلك وبلغهم عن الله ان لا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى وانه ليس للانسان يوم القيامة الا ما عمل فى الدنيا من خير وشر فان حسنة الغير لا تفيد نفعا وان المسىء لا يجد بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه أحد عقابا (وأن سعيه) أى عمله من خير وشر

(سوف

(سوف يرى) أي يعرض عليه و يكشف له يوم القيامة في ديوانه وميزانه (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أى ثم يجزى الانسان سعيه بالجزاء الاتم (وأن الى ربك المنتهى) أى المرجع بعد الموت وعند ذلك يجازى الرب الشكور ويجزى الكفور والقراءة المشهورة فتح الهمزة على العطف على ما فهذا في الصحف أيضا وهو الحق فالمخاطب به موسى وابراهيم على التوزيع وقرئ بالكسر على الابتداء فالمخاطب بهذا اما ما وهو كل سامع فهو تهديد للمسيء وحث للمحسن أو خاص وهو النبي صلى الله عليه وسلم ففي هذا تسلية لقلبه كأنه تعالى قال لا تحزن فان المنتهى الى الله (وأنه هو أضحك وأبكى) فكل ما يعمله الانسان بخلقه حتى الضحك والبكاء قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء والقرد يضحك ولا يبكي والابل تبكي ولا تضحك (وأنه هو أمات وأحيى) أى خلق الموت والحياة فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) أى تهراق في رحم الانثى (وأن عليه تعالى (النشأة الاخرى) أى نفخ الروح كما قال تعالى هنالك أنشأناه خلقا آخر أى نفخ الروح بعد خلق النطفة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشاءة بفتح الشين وبعدها ألف ممدودة قبل الهمزة (وأنه هو أغنى) أى أغنى الناس بلبن الام و بنفقة الاب في صغره (وأقنى) أى وأعطاه الاموال بالكسب بعد كبره فكل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء (وأنه هو رب الشعرى) وهي نجم مضيء وتسمى الشعرى العبور وهي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وتسمى الشعرى اليمانية وكانت خزاعة تعبدها وتعتقد تأثيرها في العالم وهي المرادة في هذه الآية دون الشعرى الشامية المسماة بالشعرى الغميصاء وهي التي في الذراع وهذا اشارة الى فساد قول قوم فان بعض الناس قال ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم قال ان ذلك بالبخت وذلك بالنجوم فردهم الله تعالى بقوله هو تعالى محرك النجوم ورب معبودهم الشعرى العبور (وأنه أهلك عادا الاولى) وهي قوم هود وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي ثمود قوم صالح وقرأ نافع وأبو عمرو باسقاط نون التنوين لالتقاء الساكنين و بنقل حركة همزة أولى وحذفها الى اللام وقرأ قالون كذلك لكن يقلب الواو همزة ساكنة وقرأ الباقون بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وسكون اللام و بعدها همزة مضمومة (وثمود) عطف على عادا وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين للدال في الوصل و بسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل و بالوقف على الالف (فما أبقى) أى فما أبقى من عاد وثمود أحدا (وقوم نوح من قبل) أى أهلكهم من قبل الفريقين (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث يبتدؤن بالكفر و يتجاوزون في المعاصي فانهم كانوا يؤذون نوحا عليه السلام و يضربونه حتى يغشى عليه وينفرون الناس عنه ويحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه والبادئ أظلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها (والمؤتفكة أهوى) أى أسقط قريات لوط سدوم وصادوم وعمورا وصواتم الى الارض بعد ان رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه السلام بأمره جبريل بذلك (فغشاها ما غشى) أى فكساها الله تعالى أمرا عظيما من فنون العذاب (فبأي آلاء ربك تتمارى) أى فتتشكك في أى أنعم ربك أيها الانسان أى لما عد الله تعالى من أنواع النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح فيه والاغناء والاقناء وذكر ان الكافرين أهلكهم قال فبأي آلاء ربك تتمارى فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل (هذا نذير من النذر الاولى) أى هذا النبي رسول كالرسل قبله يرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم والله تعالى لما بين الوحدانية بقوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى أشار الى اثبات رسالة سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هذا نذير الخ ثم أشار الى القيامة بقوله (أزفت الآزفة) أى قربت الساعة التى يزداد كل يوم قربها فهى كائنة قريبة وازدادات فى القرب (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس للساعة نفس قادرة على اظهار وقتها الا الله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون) أى أتعجبون انكاراً من هذا القرآن أو من حديث حشر الاجساد بعد الفساد (وتضحكون) استهزاءً من القرآن أو أتضحكون وقد سمعتم ان القيامة قريب (ولا تبكون) مما فى القرآن من الزجر والتخويف وكان حقالكم ان تبكوا منه (وأنتم سامدون) أى معرضون أو مستكبرون (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا الله الذى أنزل القرآن واعبدوه ولا تعبدوا غيره لان عبادة غيره تعالى ليست بعبادة

(سورة القمر وتسمى سورة اقتربت مكية وهى خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة) أى دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم (وانشق القمر) نصفين فهو من علامات قرب الساعة روى أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (وان يروا آية) أى عظيمة (يعرضوا) عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أى هذا سحر دائم يأتى به محمد على مر الزمان أو قوى لا يمكن ازالته وقيل أى مار يزول ولا يبقى وقيل أى شديد المرارة فلا نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر وقرئ وان يروا على البناء للمفعول (وكذبوا) بالآية بكونها دالة على صدق الرسول (واتبعوا أهواءهم) أى فقالوا انه سحر القمر أو سحر أعيننا (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) فكل عامل يرى فى الآخرة أثر عمله وقرئ مستقر بالجر صفة لامر فكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) أى وبالله لقد جاءهم فى القرآن كائنا من أخبار الامم الماضية المهلكين ما فيه ازدجار وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغامها فيه وقرأ زيد بن على مزجر بصيغة اسم الفاعل أى ذو زجر (حكمة بالغة) أى لا خلل فيها بدل من ما وقرئ بالنصب حالا منها (فما تغنى النذر) وما اما نافية والمعنى ان الرسل لم يبعثوا ليلجئوا قومهم الى الحق وانما أرسلوا مبلغين واما استفهامية والمعنى انك يا أشرف الرسل أتيت بما عليك من الدعوى واظهار الآية عليها فكذبوك فأنذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم انذارك فهذه حكمة بالغة فأى شئ من الامور النافعة غير هذا تحصله فلم يبق عليك شئ آخر (فتول عنهم) أى لا تناظرهم بالكلام وهذه الآية غير منسوخة (يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ويوم منصوب بيخرجون وخشعا حال من فاعل يخرجون وكذا جملة كأنهم الخ وقرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والباقون بالضم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى خاشعا بفتح الخاء وبالف بعدها والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة وقرئ خاشعة بالتأنيث على الاصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر والجملة حال والمعنى يخرج الناس من القبور حال كونهم مثل جراد منتشر فى كثرتهم واجتماع بعضهم على بعض يوم يدعوا اسرافيل أو جبريل الى شئ فظيع تنكره النفوس وهو هول القيامة اذلة أبصارهم من شدة الهول (مهطعين الى الداع) أى مسرعين اليه مادى أعناقهم اليه (يقول الكافرون) فى ذلك اليوم (هذا يوم عسر)

أى صعب شديد ثم شرع فى ذكر بعض الانباء الموجبة للازدجار فقال (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) عطف على قالوا أى قالوا لنوح هو مجنون وزجروه عن مقالته بأنواع الاذية (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) أى بأنى غلبنى قومى بالقوة فانتقم لى منهم والعامة على فتح همزة أنى وقرأ الاعمش وابن أبى اسحق بالكسر أى فقال نوح يا الهى ان نفسى غلبتنى بحكم البشرية وقد أمرتنى بالدعاء عليهم فأهلكهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أى بمطر منصب من السماء على الارض أربعين يوما وقرأ ابن عامر بتشديد التاء لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى فارماء الارض بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء وقرى الماآن بالتثنية وتحقيق الهمزة والما وان بقلب الهمزة واوا أى ماء السماء وماء الارض (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أى وحملنا نوحا على سفينة ذات أخشاب عريضة ومسامير (تجرى بأعيننا) أى تسير السفينة محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى حملناه جزاء لنوح على صبره على كفرانهم لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة على أمته وقرى جزاء بكسر الجيم أى مجازاة وقرى كفر بالبناء على الفاعل أى أغرقنا الكفار جزاء لهم (ولقد تركناها آية) أى ولقد جعلنا السفينة انه يعتبر بها من يقف على خبرها (فهل من مدكر) أى فهل معتبر يعتبر بما صنع الله بقوم نوح موجود فيترك المعصية ويختار الطاعة (فكيف كان عذابى) الذى عذبتهم به (ونذر) أى وكيف كان عاقبة انذارى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن نزلناه على لغتهم للاتعاظ (فهل من مدكر) أى فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت عاد) هودا فاسمعوا (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذار أتى لهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردة وهو ريح الدبور (فى يوم نحس) أى شديد القباحة (مستمر) أى الى نفاد المراد وهو من يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب شمس الاربعاء آخره ومستمر وصف ليوم مضاف الى نحس بسكون الحاء وقرى بتنوين يوم وكسر حاء نحس ومن جعل نحسا اسم معنى أو مصدرا كان مستمر وصفا لنحس أى مستمر النحوسة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى تقلع قوم هود من أماكنهم فيلقون أمواتا وهم جثث عظام طوال كأنهم نخل قطعت رؤسه منقلع عن مغارسه (فكيف كان عذابى ونذر) أى انظر كيف كان عذابى عليهم وكيف كان حال انذاراتى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى هيأناه للتذكر (فهل من مدكر) أى فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) أى بالانذارات (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر) أى فقالوا أنتبع آدميا مثلنا واحدا من آحادنا لا من أشرافنا فى دينه وأمره انا وقتئذ لفى خطأ بين وتعب (أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أألقى الوحى على صالح وهل خص بالنبوة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر مالا وأحسن حالا (بل هو كذاب) فى قوله (أشر) أى متكبر مرح (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) وقرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب وهو حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه أى ستعلمون وقت نزول العذاب بكم فى الدنيا عن قريب من شديد الكذب المتكبر والباقون بياء الغيبة وهو حكاية لقوله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه أى سيعلمون عن قريب وهو وقت نزول العذاب بهم فى الدنيا من الذى حمله كذبه وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرى الاشر أى الابلغ فى الشرارة فقال الله لصالح (انا مرسلوا الناقة) أى انا مخرجوا الناقة من الجبل المنبسط على الارض

حسب ماسألوا (فتنة لهم) مفعول لاجله أى امتحانا لهم ليتميز حال من يثاب ممن يعذب فاخراج الناقة من الصخرة كان معجزة لصالح لانها تصديق له وبعده يتميز المصدق عن المكذب وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة (فارتقبهم) أى انتظرهم بالعذاب وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم أى فان كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى اخبرهم بأن ماء بئرهم مقسوم بين قوم صالح والناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب محتضر) أى كل نصيب من الماء يحضره صاحبه فى نوبته فبقوا على ذلك مدة ثم سئموا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف ويلقب بالاجهر بعدما رماها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى فعقر) أى تناول قدار السيف فقتل الناقة به موافقة لهم (فكيف كان عذابى ونذر) أى انذارى لهم بالعذاب قبل نزوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتلهم الناقة لانه كان فى يوم الثلاثاء ونزول العذاب بالصيحة بهم كان يوم السبت (فكانوا كهشيم المحتظر) بكسر الظاء أى فصاروا كالشىء اليابس من الحطب والشوك لمن يعمل الحظيرة فى اهلاكهم وقرئ بفتح الظاء أى فصاروا كالشىء الذى داسته الغنم فى الحظيرة وهى زريبة الغنم تتخذ من دقاق الشجر وضعيف النبات تقيها عن الحر أو البرد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى هونا القرآن للعظة والحفظ والقراءة قال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا أى بغير نظر الا القرآن وقال غيره ولم يكن هذا لبنى اسرائيل ولم يكونوا يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (فهل من مدكر) أى فهل من طالب لحفظه فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) أى بالامور المخوفة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى عذابا بحجارة من سجيل عليها علامة كل واحد فالملائكة حركوا الريح فالريح رمت الحجارة عليهم (الا آل لوط) أى الا لوطا وابنتيه زاعورا وريثا (نجيناهم بسحر) أى فى آخر الليل وقيل عند السدس الاخير من الليل (نعمة من عندنا) مفعول له أى كان ذلك الانجاء فضلا منا كما أن ذلك الاهلاك كان عدلا منا (كذلك نجزى من شكر) أى كما أنعمنا على من آمن بالله تعالى وأطاعه بالانجاء ننعم عليهم يوم الحساب وقيل أى مثل ذلك الانجاء ننجى من آمن بالله من عذاب الدنيا ولا نهلكه بالهلاك العام وعلى هذا فهو وعد لامة محمد المؤمنين (ولقد أنذرهم بطشتنا) أى ولقد خوفهم لوط عذابنا الاكبر يوم القيامة لئلا يكون مقصرا فى التبليغ (فتماروا بالنذر) أى شكوا فى الانذارات وكذبوا لوطا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا من لوط المرة بعد المرة أن يخلى بينهم وبين أضيافه من الملائكة التى فى صورة شبان مرد للفاحشة (فطمسنا أعينهم) أى أذهبنا صورة أعينهم بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة الملساء روى أنهم لما دخلوا داره عليه السلام عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابى ونذر) أى فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا عذابى الذى هو طمس العين وثمرة انذارى وقال القرطبى والمراد من هذا الامر الخبر أى فأذقتهم عذابى الذى أنذرهم به لوط عليه السلام (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أى ولقد أتاهم وقت الصبح أول جزء منه عذاب دائم فانهم لما أهلكوا انقلوا الى الجحيم فكان ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم أى فقلع جبريل بلادهم فرفعها ثم قلبها وأمطر الله عليها الحجارة من النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذى لا يعيش به حيوان وقرئ بكرة غير منون على أن المراد بها أول نهار مخصوص (فذوقوا عذابى

ونذر) أي فقلنا لهم ذوقوا عذابي وفائدة تخويفي وهي فنون هذا العذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هونا القرآن للحفظ والكتابة (فهل من مدكر) أي فهل متعظ يتعظ بما صنع بقوم لوط فيترك المعصية (ولقد جاء آل فرعون النذر) أي ولقد جاء فرعون وهامان وقارون الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) السمعية والعقلية (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) أي أخذ غالب غير عاجز (أكفاركم خير من أولئكم) أي الذين يصرون على الكفر منكم يا أهل مكة خير في القوة فلا تهلكون أم الذين أصروا عليه من أولئكم المذكورين قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وآله وهم من يؤول اليهم خيره وشره (أم لكم براءة في الزبر) أي هل حصل لكم براءة من غوائل الكفر والمعاصي في الكتب السماوية تأمنون العذاب بسببها فلذلك تصرون على ما أنتم عليه (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي بل أيقولون نحن كثير متفقون على من خالفنا قويون على من عادانا (سيهزم الجمع) أي يهزم جمعهم بأيسر أمر بوعد لا خلف فيه (ويولون الدبر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها اهـ وقرئ سيهزم الجمع بالبناء للفاعل أي سيهزم الله تعالى الجمع (بل الساعة موعدهم) أي ليس ما وقع لهم في بدر تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من مقدماته (والساعة أدهى وأمر) والساعة أشد من أنواع عذاب الدنيا وآلم وأدوم (ان المجرمين) من الاولين والآخرين (في ضلال وسعر) في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أي يوم يجرون على وجوههم الى النار يقال لهم قاسوا حر جهنم وألمها (انا كل شيء خلقناه بقدر) أي انا خلقنا كل شيء ملتبسا بقدر معين والمعنى أن الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أي وما أمرنا في كل شيء أردنا ايجاده الا كلمة واحدة وهي كن كطرف البصر في السرعة (ولقد أهلكنا أشياعكم) أي أشباهكم في الكفر من الامم الماضية فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (فهل من مدكر) أي متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي وكل شيء فعله الاشياع في الشرك بالله من المعاصي والجفاء بالانبياء مكتوب عليهم في ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أي مكتوب بتفاصيله في اللوح المحفوظ (ان المتقين) من الكفر والمعاصي (في جنات) أي رياض واسعة عظيمة الشأن (ونهر) أي عند أنهار وقرئ نهر بضم النون والهاء (في مقعد صدق) أي في مكان مرضي أو في مجلس لا كذب فيه وقرئ مقاعد (عند مليك مقتدر) أي مقربين عند من له ملك عظيم قادر لا يعجزه شيء ولا شيء الا وهو تحت ملكوته والقربة من الملوك لذيذة كلما كان الملك أشد قدرة كان المتقرب منه أشد التذاذا والمراد من القرب قرب المنزلة والشأن لا قرب المعنى والمكان

(سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية وهي سبع وسبعون آية وثلاثمائة وإحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن) أي علم الانسان القرآن فان الله بعث جبريل بالقرآن الى محمد

صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشاه على ماهو عليه من القوى الظاهرة
والباطنة (علمه البيان) أى النطق فيمتاز الانسان به عن غيره من سائر الحيوانات وألهمه الله أسماء
كل شيء وكل دابة تكون على وجه الارض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر يجريان
بحساب مقدر فى بروجهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون
والاوقات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان)
أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الارض ويثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات فى المكان بالسجود
لان الساجد يثبت (والسماء رفعها) فوق كل شيء (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن فى الارض
وبين العدل (أن لا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تتجاوزوا الانصاف فى الوزن وفى اعطاء المستحقين
حقوقهم وقرئ لا تطغوا بدون ان على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا
الميزان) أى ولا تنقصوا الموزون فالطغيان فى الوزن أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط
التوسط بين الطرفين (والارض وضعها للانام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس والجن (فيها) أى
الارض (فاكهة) أى أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الاكمام) وهى أوعية الثمر
وهى جمع كم بكسر الكاف أوهى كل ما يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من
ثمره وجماره وجذوعه وهى جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب
الثلاثة بخلق مضمرا أى وخلق جميع الحبوب كالحنطة والارز ذا الاوراق وخلق الريحان المعروف
الذى بزره ينفع فى الادوية أو المشمومات وقرأ حمزة والكسائى برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان
عطفا على العصف أى وفيها الحب ذو الساق وذو الاوراق وقرأ الباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة
أى وفيها الحب ذو الاوراق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها
مشمومات أو ريحان معروف ويجوز أن يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه والمعنى وذو السنبلة والثمر أو وخلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى فرد
من افراد نعم ربكما أيها الجن والانس تنكران انعم اليست من الله أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها
ويسن لسامع القارئ لهذه السورة أن يجيبه كلما قرأ هذه الآية وهى مكررة فى أحد وثلاثين موضعا
بان يقول ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ الجن
على ذلك الجواب (خلق الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين منتن يابس له صوت
(كالفخار) أى كالخزف المشوى بالنار المجوف كالاناء فى ان كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر ليعلم هل
فيه عيب أولا (وخلق الجان) أى الجن نفسه (من مارج) أى من لهب صاف (من نار) لا دخان
لها وهو بيان لمارج (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أيها الجن والانس أبما أفاض عليكما فى حالات شتى
لخلقكما حتى صيركما خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أى الذى فعل ماذكر
رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أبى عبلة رب بالجر بدلا أو بيانا لربكما (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) أى أبما فى ذلك من الفوائد العظيمة التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه أم بغير ذلك (مرج البحرين) أى أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب
(يلتقيان) أى يتماسان ولا يمتزجان (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى
لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فهلا

فهلا اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فاللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره قيل ان اللؤلؤ يتولد في ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف في المالح عند انعقاد الدر فيه فينتقل هنالك فلا يمكنه الدخول في العذب وقيل هما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع في البحر واخراج الحلي العجيبة أم بغيرها (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي وله تعالى السفن الرافعات الشراع في البحر كالجبال والباقون بالفتح أي المرفوعات القلع وقرأ ابن أبي عبلة بتشديد الشين وقرأ يعقوب الجواري باثبات الياء في الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء في الرسم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أي على الارض من الحيوانات والمركبات (فان) أي هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أيها السامع أي ذاته عز وجل (ذو الجلال) أي العظمة التي لا يسعها عقل (والاكرام) أي الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والاكرام مرتب على بقائه تعالى وقال صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا في الدعاء ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك والعامة على ذو بالواو صفة لوجه وقرأ أبي وعبد الله ذي بالياء صفة لرب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم من دفع البلاء وابقاء ما هو مخلوق الى وقت فنائه أم بغيرها (يسأله من في السموات والارض) فيسأله كل أحد ما يحتاج اليه في دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الاول اشارة الى كمال القدرة والوجه الثاني اشارة الى كمال العلم (كل يوم هو في شأن) أي كل وقت من الاوقات هو تعالى في شأن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال يحتمل أن يكون هو عائدا الى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أي يقع سؤالهم في كل يوم هو في شأن يتعلق بهم فيطلبون ما يحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لاحسانه تعالى أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أي سنقصد لحسابكم وجزائكم أيها الجن والانس أي سنتدبر لكم أمر الآخرة من الاخذ في الجزاء وايصال الثواب والعقاب اليكم بعد تدبيرنا الامر الدنيا بالامر والنهي والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائي سيفرغ بالياء على الغيبة وقرئ بالبناء للمفعول وقرئ سنفرغ اليكم وترسم أيه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائي بالالف في الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عامر برفع الهاء في الوصل والباقون بالفتح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أي ياجماعة الجن والانس ان قدرتم أن تخرجوا من أطراف السموات والارض وان تهربوا من قضائي وملكي فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون الا بسلطان) أي ما تنفذون الا ومعكم سلطان الله أي فلا مهرب لكم ولا تخرج عن ملك الله تعالى وأينما توليتم فثم ملك الله وأينما تكونوا أتاكم حكم الله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل عليكما شواظ) أي لهب خالص لا دخان فيه (من نار ونحاس) أي دخان لا لهب معه يسوقانكما الى

صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشاه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة (علمه البيان) أى النطق فيمتاز الانسان به عن غيره من سائر الحيوانات و ألهمه الله أسماء كل شيء وكل دابة تكون على وجه الارض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر فى بروجهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون والاوقات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان) أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الارض و يثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات فى المكان بالسجود لان الساجد يثبت (والسماء رفعها) فوق كل شيء (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن فى الارض و بين العدل (أن لا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تتجاوزوا الانصاف فى الوزن وفى اعطاء المستحقين حقوقهم وقرئ لا تطغوا بدون ان على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أى ولا تنقصوا الموزون فالطغيان فى الوزن أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (والارض وضعها للانام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس والجن (فيها) أى الارض (فاكهة) أى أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الاكمام) وهى أوعية الثمر وهى جمع كم بكسر الكاف أوهى كل ما يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وهى جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة بخلق مضمرا أى وخلق جميع الحبوب كالحنطة والارز ذا الاوراق وخلق الريحان المعروف الذى بزره ينفع فى الادوية أو المشمومات وقرأ حمزة والكسائى برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف أى وفيها الحب ذو الساق وذو الاوراق وقرأ الباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة أى وفيها الحب ذو الاوراق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها مشمومات أو ريحان معروف و يجوز أن يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمعنى وذو السنبلة والثمر أو وخلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى فرد من افراد نعم ربكما أيها الجن والانس تنكران انها ليست من الله أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها و يسن لسامع القارئ لهذه السورة ان يجيبه كلما قرأ هذه الآية وهى مكررة فى أحد وثلاثين موضعا بان يقول ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ الجن على ذلك الجواب (خلق الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين منتن يابس له صوت (كالفخار) أى كالخزف المشوى بالنار المجوف كالاناء فى ان كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر ليعلم هل فيه عيب أولا (وخلق الجان) أى الجن نفسه (من مارج) أى من لهب صاف (من نار) لا دخان لها وهو بيان لمارج (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أيها الجن والانس أبما أفاض عليكما فى حالات شتى لخلقتكما حتى صيركما خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أى الذى فعل ما ذكر رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أبى عبلة رب بالجر بدلا أو بيانا لربكما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبما فى ذلك من الفوائد العظيمة التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أم بغير ذلك (مرج البحرين) أى أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أى يتماسان ولا يمتزجان (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (فبأى آلاء ربكما تكذبان)

فهلا اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فاللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره قيل ان اللؤلؤ يتولد فى ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف فى المالح عند انعقاد الدر فيه فيثقل هناك فلا يمكنه الدخول فى العذب وقيل هما يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع فى البحر واخراج الحلى العجيبة أم بغيرها (وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى وله تعالى السفن الرافعات الشراع فى البحر كالجبال والباقون بالفتح أى المرفوعات القلع وقرأ ابن أبى عبلة بتشديد الشين وقرأ يعقوب الجوارى باثبات الياء فى الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء فى الرسم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أى على الارض من الحيوانات والمركبات (فان) أى هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أيها السامع أى ذاته عز وجل (ذو الجلال) أى العظمة التى لا يسعها عقل (والاكرام) أى الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والاكرام مرتب على بقائه تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام أى الزموا فى الدعاء ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك والعامة على ذو بالواو صفة لوجه وقرأ أبى وعبد الله ذى بالياء صفة لرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبتلك النعم من دفع البلاء وابقاء ماهو مخلوق الى وقت فنائه أم بغيرها (يسأله من فى السموات والارض) فيسأله كل أحد مايحتاج اليه فى دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل مايحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الاول اشارة الى كمال القدرة والوجه الثانى اشارة الى كمال العلم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت من الاوقات هو تعالى فى شأن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ويقال يحتمل أن يكون هو عائدا الى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أى يقع سؤالهم فى كل يوم هو فى شأن يتعلق بهم فيطلبون مايحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لاحسانه تعالى أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنقصد لحسابكم وجزائكم أيها الجن والانس أى سنتدبر لكم أمر الآخرة من الاخذ فى الجزاء وايصال الثواب والعقاب اليكم بعد تدبير الامر الدنيا بالامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائى سيفرغ بالياء على الغيبة وقرى بالبناء للمفعول وقرى سنفرغ اليكم وترسم أيه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائى بالالف فى الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عامر برفع الهاء فى الوصل والباقون بالفتح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أى ياجماعة الجن والانس ان قدرتم أن تخرجوا من أطراف السموات والارض وان تهربوا من قضائى وملكى فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابى (لا تنفذون الا بسلطان) أى ما تنفذون الا ومعكم سلطان الله أى فلا مهرب لكم ولا مخرج عن ملك الله تعالى وأينما توليتم فثم ملك الله وأينما تكونوا أتاكم حكم الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل عليكما شواظ) أى لهب خالص لا دخان فيه (من نار ونحاس) أى دخان لا لهب معه يسوقانكما الى

المحشر قرأ ابن كثير بكسر شين شواظ وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو بجر نحاس عطفا على نار ولابد في هذه القراءة من كسر الشين أو امالة نار وعلى هذا فالشواظ مركب من نار ومن دخان وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ نحاس بكسر النون وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس بضمتين جمع نحاس (فلا تنتصران) أي فلا ينتصر أحدكما بالآخر ولا أنتما بغيركما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من بيان عاقبة الكفر والمعاصي أم بغيرها (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) أي فاذا انصدعت السماء وخربت يوم القيامة فصارت حمراء كالاديم المغربي وهو ما فيه حمرة مع السواد يكون الامر عسيرا في غاية العسر أو يلقى المرء فعله ويحاسب حسابه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أي فالمذنب يوم اذ تنشق السماء وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم لا يسئل عن ذنبه انسي ولا جني لانهم يعرفون بسيماهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من الاخبار عما يزجر عن الشر أم أم بغيرها (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) أي يجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيطرحون في النار (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي تجحدون واوقف هنا تام (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) وهذه اشارة الى قربها أي جهنم التي يكذب بها المشركون هذه قريبة غير بعيدة عنهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يترددون بين النار وماء حار قد انتهى حره فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم ويظهر لهم شئ مائع هو صديدهم المغلي فيظنونه ماء فيسقون منه ويصب فوق رؤسهم فاذا استغاثوا منه يسعى بهم الى النار وهكذا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مما أشرنا اليه من أول السورة فتستحقان العذاب وتحرمان الثواب (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي ولمن خاف المقام الذي يقوم هو فيه بين يدي ربه وهو مقام عبادته والمقام الذي اطلع الله على عباده فانتهى عن المعصية جنتان جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف بهذين النوعين وقيل هي جنة جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (ذواتا أفنان) أي صاحبتا أغصان فان الجنات ذوات أشجار والاشجار ذوات أغصان والاغصان ذوات أزهار وأثمار وهي لتنزه الناظر وتنكير افنان للتعجيب أي على الافنان أوراق عجيبة وثمار طيبة من غير سوق غلاظ فالجنة ذات فنن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقفة في في الجو وأهلها تحتها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة أم بغيرها (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها أم بغيرها (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي في كل واحدة من الجنتين نوعان من الفواكه معروف وغريب أو رطب ويابس وكلاهما حلو يستلذ به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم أم بغيرها (متكئين) حال من فاعل خاف الذي هو عامل للحال أو كان عامله وصاحبه ما تدل عليه فاكهة أي يتفكه المتفكهون حال كونهم جالسين جلوس المتمكن المتربع (على فرش بطائنها) أي التي تلي الارض (من استبرق) أي ديباج ثخين وكذا ظهائرها بخلاف أهل الدنيا فلا يجعلون البطائن كالظواهر لان غرضهم اظهار الزينة والبطائن لا تظهر أما في الآخرة فالامر مبني على الاكرام والتنعيم فتكون البطائن كالظواهر (وجنى الجنتين دان) أي ثمر

الجنتين قريب يناله القاعد والقائم فى وقت واحد ومكان واحد فان العجائب كلها من خواص الجنة فكان أشجارها دائرة عليهم سائرة اليهم وهم ساكنون على خلاف ما كان فى جنات الدنيا فان الانسان فيها متحرك ومطلوبه ساكن والولى قد تصير الدنيا له أنموذجا من الجنة فانه يكون ساكنا فى بيته ويأتيه الرزق متحركا اليه دائرا حواليه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبقدرته على ثنى الاغصان وتقريب الثمار أم بغيرها (فيهن قاصرات الطرف) أى فى الجنان نساء مانعات أعينهن من النظر الى غير بعلهن وللجنة اعتبارات ثلاثة فلا تصال أشجارها وعدم الاراضى الغامرة كأنها جنة واحدة ولاشتمالها على النوعين ما فى الدنيا وما ليس فيها وما يعرف وما لا يعرف وما يقدر على وصفه وما لا يقدر ولذات جسمانية ولذات روحانية كأنها جنتان ولسعتها وكثرة أماكنها وأشجارها وأنهارها كأنها جنات كثيرة فالضمير هنا عائد الى الجنتين (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أى لم يجامع الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا وانما هن مخلوقات فى الجنة فان أكثر نساء أهل الدنيا مطموثات (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نوع من أنواع هذا الاحسان تنكران (كأنهن الياقوت والمرجان) أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة وبالمرجان بمعنى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبما جعله مثالا لوصفهن أم بغيره (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فجزاء كل من أحسن الى غيره ان يحسن هو اليه أيضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم الجليلة أم بغيرها (ومن دونهما جنتان) أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم من الجنات أم بغيره (مدهامتان) أى سوداوان من شدة الخضرة من الرى وهذه صفة الجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها (فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان أى ماؤهما متحرك الى جهة فوق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وأفردهما بالذكر مع دخولهما فى الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة كما قاله الشافعى وأكثر العلماء خلافا لابى حنيفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهن خيرات حسان) أى فى الجنتين نساء فى باطنهن خير وفى ظاهرهن حسن روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله اخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبنعمة الحوراء أم بغيرها (حور مقصورات) أى محبوسات على أزواجهن (فى الخيام) أى فى خيام الدر المجوف وهى فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (متكئين) حال مما دل عليه لم يطمثهن الخ فأزواجهن يطمثهن حال كونهم متكئين (على رفرف) أى رياض أو بسط (خضر) فالاخضر حصل فيه الالوان الثلاثة الابيض والاسود والاحمر فالابيض يفرق البصر والاسود يجمع البصر كالاحمر فلما اجتمع فى الاخضر الامور

الثلاثة دفع بعضها أذى بعض ولما كان ميل النفس فى الدنيا الى الاخضر أكثر ذكره الله تعالى (وعبقرى حسان) فالثياب المعمولة عملا جيدا يسمونها عبقريات مبالغة فى حسنها كأنها ليست من عمل الانس لان العبقرى منسوب الى عبقر وهو موضع من مواضع الجن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم أم بغيرها (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) أى تعالى اسمه الجليل وارتفع عما لا يليق بشأنه قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو والباقون ذى بالياء صفة لرب وهذا اشارة الى ان أتم النعم عند الله تعالى وأكمل اللذات ذكر الله تعالى

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) أى اذا اقامت القيامة يعترف بها كل أحد ويبطل عناد المعاندين ولا يتمكن أحد من انكارها والعامل فى اذا ليس لوقعتها كاذبة فاللام بمعنى فى أى ليس كاذبة توجد فى وقت وقوعها أو بمعنى عند أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب فى نفيها واغا سميت القيامة واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (خافضة رافعة) أى هى خافضة للكافرين فى دركات النار والعذاب ورافعة للمؤمنين فى درجات الجنة والنعيم وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا زلزلت الارض زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل واذا متعلقة بخافضة رافعة أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أى فتتت الجبال فتا (فكانت هباء منبثا) أى فصارت الجبال غبارا منتشرا (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى وصرتم فى ذلك اليوم أيها الخلائق ثلاثة أصناف اثنان فى الجنة وواحد فى النار ثم بينهم الله تعالى بقوله (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) أى فأهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم أى شئ هم فى حالهم فهم فى غاية حسن الحال فى الكرامة والسرور (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) أى وأهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم أى شئ هم فى حالهم فهم فى غاية سوء الحال وهم فى الهوان والعذاب (والسابقون السابقون) أى والسابقون الذين لا حساب عليهم هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم فهم يسبقون الخلق الى الجنة من غير حساب فالسابقون الى الخيرات فى الدنيا هم السابقون الى الجنة فى العقبى (أولئك) أى السابقون (المقربون) الى الله تعالى (فى جنات النعيم) فى أعلا عليين فلهم قرب عند الله كما يكون لجلساء الملوك فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرد عليهم أمر فيلتذون بالقرب ويتنعمون بالراحة بخلاف قرب الملائكة الذين هم للاشغال فهو قرب الخواص عند الملك فهم ليسوا فى نعيم وان كانوا فى لذة عظيمة ولا يزالون خائفين قائمين بباب الله يرد عليهم الامر ولا يرتفع عنهم التكليف (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم أى السابقون الى الايمان بالانبياء عيانا المجتمعون عليهم جماعة كثيرة من الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهم السلام وقليل من هذه الامة أى ان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وهذا لا ينافى كون أمة محمد ثلثى أهل الجنة (على سرر موضونة) أى موصولة بالذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت ويقال أرضها من الذهب الممدود وقوائمها من الجواهر النفيسة (متكئين عليها) أى السرر (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وهذا وصف لهم بحسن العشرة والآداب وتهذيب الاخلاق ويقال السابقون هم الذين أجسامهم أرواح نورانية جميع

جهاتهم وجه (يطوف عليهم) أي يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أي مبقون أبدا على شكل الولدان لا يكبرون ولا يلتحون (بأكواب) أي بكيزان وهي أوان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم (وأباريق) وهي أوان لها عرى وخراطيم (وكأس من معين) أي اناء خمر طاهرة تجري من عيون (لا يصدعون عنها) أي لا يصيبهم صداع بسبب شربها (ولا ينزفون) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بكسر الزاي أي لا ينفد شرابهم والباقون بفتحها أي لا يسكرون أي لا ينزف عقولهم (وفاكهة مما يتخيرون) أي مما يختارونه ويأخذون أفضله (ولحم طير مما يشتهون) وقرئ ولحوم طير وعن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول أحدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها الناعمة قال آكلها أنعم منها (وحور عين) أي نساء شديدات بياض أجسادهن وشديدات سواد العيون مع سعتها وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم طير ومصاحبة حور والباقون بالرفع عطفا على ولدان فلاهل الجنة حور مقصورات في حظائر معظمات ولهن جوار وخوادم وحور تطوف مع الولدان السقاة وقرئ وحورا عينا بالنصب أي ويعطون حورا عينا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المصون الذي لم تقع عليه الشمس والهواء وهذا اشارة الى غاية صفائهن (جزاء بما كانوا يعملون) أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (لا يسمعون فيها) أي الجنة (لغوا) أي شيأ لا ينفع (ولا تأثيما) أي شيأ منسوبا الى الاثم كالشتم (الا قيلا سلاما سلاما) أي لكن يقولون ويسمعون قولا سلاما سلاما أي يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب السلام اليهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر) أي يتنعمون في شجر نبق (مخضود) أي غير ذي شوك وموقر من الحمل حتى لا يبين ساقه والله تعالى جعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر كما في الحديث (وطلح منضود) أي وفي موز متراكب أوراقه وثمره لا يرى له ساق من كثرة ثمره الذي أحلى من العسل وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كله مأكول ومشروب ومشموم منظور اليه واعلم ان الاشجار يجمعها نوعان أوراق صغار وأوراق كبار فالسدر في غاية الصغر وشجر الموز في غاية الكبر فوقعت الاشارة الى الطرفين جامعة لجميع الاشجار نظرا الى أوراقها كما ذكر الله النخل والرمان عند ذكر الثمار لان بينهما غاية الخلاف فوقعت الاشارة اليهما جامعة لجميع الاشجار نظرا الى ثمارها وكذلك النخيل والاعناب فان النخل من أعظم الاشجار المثمرة والكرم من أصغر الاشجار المثمرة وبينهما أشجار فوقعت الاشارة اليهما جامعة لسائر الاشجار فان البليغ يذكر طرفي أمرين يتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع ما بينهما كما يقال فلان ملك الشرق والغرب ويفهم منه انه ملك ما بينهما وكما يقال فلان أرضى الصغير والكبير ويفهم منه انه أرضى كل أحد (وظل ممدود) أي منبسط لا تزيله الشمس أبدا كظل ما بين الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) أي مصبوب من ساق العرش سائل يجري على الارض في غير أخدود ومثل الله حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادي اعلاما بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) في وقت

من الاوقات (ولا ممنوعة) عن متناولها بوجه من الوجوه وقرئ وفاكهة بالرفع أى وهناك فاكهة الى آخره (وفرش مرفوعة) على الاسرة كما فانه على أو نساء مرفوعات على الارائك ومرفوعات بالفضل والجمال و يدل على هذا التأويل قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) روى النحاس أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء هن عجائز الدنيا انشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع (عربا) أى حسناء محسنة لكلامها متحببات الى أزواجها (أترابا) أى مستويات فى السن على مقدار ثلاثة وثلاثين سنة (لاصحاب اليمين) أى على سنهم وفى هذا اشارة الى الاتفاق لان أحد الزوجين اذا كان أكبر من الآخر فالشباب يعيره والجار والمجرور متعلق باترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساوله فى السن (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أى هم أى أصحاب اليمين كثيرون من أوائل الامم قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أواخر الامم وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم) أى فى ريح متعفن يتحرك من جانب الى جانب فاذا شم الانسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة و يقتل الانسان (وحميم) أى ماء حار وهذا اشارة بالادنى الى الاعلى فالهواء والماء أنفع الاشياء فى الدنيا فهو اؤهم الذى يهب عليهم سموم وماؤهم الذى يستغيثون به حميم فما ظنك بنارهم التى هى عندنا أحر وكيف حالهم مع أحر الاشياء (وظل من يحموم) أى من دخان جهنم أسود (لا بارد ولا كريم) أى لا بارد يطلب الظل لبرده ولا ذى كرامة قد أعد للجلوس فيه وحفظ عن القاذورات (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل سوء العذاب فى الدنيا (مترفين) أى منعمين بأنواع النعم ولم يشكروها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى كانوا فى الدنيا يدعون على الذنب العظيم الذى هو الشرك (وكانوا يقولون) اذا كانوا فى الدنيا (أئذا متنا وكنا) أى صرنا (ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون) وهذه الآيات الثلاثة اشارة الى الاصول الثلاثة فقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين يدل على ذمهم بانكار الرسل وعلى تكبرهم بغناهم وهم كانوا يقولون أبشرا منا واحدا نتبعه وقوله تعالى يصرون على الحنث العظيم اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد وقوله تعالى وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا الخ اشارة الى انكار الحشر وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو والباقون بفتحها أى أئنا أوآباؤنا مبعوثون أو أوتبعث آباؤنا الاولون الذين قد فنيت عظامهم (قل) يا أشرف الخلق لمنكرى البعث (ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) أى انهم يساقون بعد البعث الى عرصة الحساب ويجمعون فى وقت يوم معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن سبيل الله وهو التوحيد (المكذبون) أى المنكرون الحشر (لآكلون من شجر من زقوم) أى لآكلون شجرا هو الزقوم (فمالئون منها البطون) أى كل واحد منكم يملأ بطنه من تلك الشجر (فشاربون عليه) أى عقب ذلك الاكل بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار (فشاربون شرب الهيم) أى لا يكون شربكم منه شربا معتادا بل يكون مثل شرب الابل العطاش (هذا نزلهم يوم الدين) أى ليس هذا المذكور كل العذاب بل هذا أول ما يلقونه من العذاب وهو جزء منه واذا كان هذا ما يعد لهم أول قدومهم فما ظنك بحالهم بعد استقرارهم فى النار (نحن خلقناكم فلولا تصدقون)

بالبعث

بالبعث (أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) أى هل تشكون فى أن الله خلقكم أولا أم لا فان لم تشكوا فى ذلك فهلا تصدقون أيضا بخلقكم ثانيا فان من خلقكم أولا من لاشئ لا يعجز أن يخلقكم ثانيا من أجزاء معلومة عنده فاخبرونى أى شئ هو تصبون فى أرحام النساء من المنى ان كنتم تشكون وتقولون الخلق لا يكون الا من منى وبعد الموت لامنى أفهذا المنى أنتم تخلقونه أم الله فان كنتم تعترفون بقدرة الله وارادته وعلمه فذلك يلزمكم القول بجواز البعث وصحته (نحن قدرنا بينكم الموت) أى وقتنا موت كل أحد بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال أى سوينا بينكم بالموت فتموتون كلكم (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أى لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق أى وما نحن عاجزين عن خلق أمثالكم واعادتكم بعد تفرق أوصالكم (وننشئكم فيما لا تعلمون) أى انا قادرون على أن نخلقكم فى صور لا تعلمونها فى جنسكم ويقال أن نجعل أرواحكم يوم القيامة فيما لا تصدقون وهى النار وقال بعضهم أن نجعل أرواحكم فى حواصل طير تكون ببرهوت كأنها الزرازير كما أخرجه ابن أبى حاتم (ولقد علمتم النشأة الاولى) أى الخلق الاول فى بطون الامهات وهو من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فلولا تذكرون) أى فهلا تتعظون بان من قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الاخرى حتما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين فى النشأة وبألف بعدها فهمزة وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال فى تذكرون والباقون بالتشديد وقرئ تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ما تحرثون) أى اخبرونى يا أهل مكة ما تبذرون من الحبوب (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أى أأنتم تنبتونه بل نحن المنبتون لا أنتم (لو نشاء لجعلناه حطاما) أى لجعلنا الزرع متكسرا يابسا بعد خضرته وقبل ظهور الحب أى ان قلتم نحن نلقى البذر فى الارض وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا قال تعالى ولو سلم لكم هذا الباطل فما تقولون فى سلامة الزرع عن الآفات فيفسد قبل اشتداد الحب فهل تدفعون الآفات عنه أو هذا الزرع بنفسه يدفعها عن نفسه كما تقولون انه بنفسه ينبت (فظلتم تفكهون) أى فصرتم تعجبون من يبسه بعد خضرته وقرئ فظلتم بكسر الظاء وفظلتم على الاصل بكسر اللام وقرئ تفكنون أى تتندمون على ما أنفقتم عليه قائلين (انا لمغرمون) أى انا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع أو انا لمكرهون بالغرامة وقرأ شعبة أئنا على الاستفهام (بل نحن محرومون) أى ممنوعون منفعة زروعنا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا (أأنتم) يا أهل مكة (أنزلتموه) عليكم (من المزن) أى السحاب الثقيل بالماء (أم نحن المنزلون) أى بل نحن المنزلون عليكم لا أنتم (لو نشاء جعلناه) أى ذلك الماء (أجاجا) أى حارا أو مرا من شدة الملوحة (فلولا تشكرون) أى فهلا تشكرون على هذه النعمة التامة فان النعمة لا تتم الا عند الاكل والشرب وذلك لان الانسان اذا كان فى البرارى الذى لا يوجد فيها الماء لا يأكل شيأ مخافة العطش (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها عن كل عود غير العناب وهو الشجر الاحمر (أأنتم أنشأتم شجرتها) أى الشجرة التى تصلح لايقاد النار (أم نحن المنشؤن) أى بل نحن المنشؤن لها بقدرتنا لا أنتم (نحن جعلناها تذكرة) لنار جهنم فيجب على العاقل اذا رأى النار الموقدة أن يخشى عذاب الله أو تذكرة لصحة البعث لان من قدر على ايداع النار فى الشجر الاخضر لا يعجز عن ايداع الحرارة الغريزية فى بدن الميت (ومتاعا للمقوين) أى منفعة للذين ينزلون القوى وهى القفر البعيدة من العمران وهم الذين أوقدوا النار لانهم أحوج الى النار

فى الليل لتهرب السباع و يهتدى الضال (فسبح باسم ربك العظيم) ولا تقل لغير الله تعالى انه اله فان الاسم يتبع المعنى والحقيقه أى ان الكفار اعترفوا بان الامور من الله واذا طولبوا بالوحدانية قالوا نحن لا نشرك فى المعنى وانما نتخذ أصناما آلهة فى الاسم ونسميها آلهة والله هو الذى خلقها فنحن ننزهه تعالى فى الحقيقة فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أى فكما أنت أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراك الله مع غيره فى الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما فى الاسم (فلا أقسم) قيل لا مزيدة مؤكدة وقيل الاصل فلانا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء و يعضده قراءة من قرأ فلاقسم بلام التأكيد وقيل ان لا نافية ردلكلام يخالف المقسم عليه والقدير والله لاصحة لقول الكفار أقسم (بمواقع النجوم) أى بمواضعها فى السماء فى منازلها وقرأ حمزة والكسائى بموقع النجوم بسكون الواو أى بموضع سقوطها عند غروبها (وانه) أى ان القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أى لو تعلمون عظمة القسم لعظمتم هذا القسم لكنكم ماعظمتموه لانكم لا تعلمون ولا وقف هنا لان القسم وقع على مابعده (انه) أى ان الكلام الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لقرآن كريم) أى كثير النفع لاشتماله على اصلاح المعاش والمعاد (فى كتاب مكنون) أى فى كتاب محفوظ عن الباطل وهو المصحف الذى فى أيدينا (لا يمسه الا المطهرون) أى لا يمس ذلك الكتاب الا المطهرون من الاحداث أى يحرم عليهم مسه بدون الطهارة وهذه الجملة صفة ثانية لكتاب فالخبر بمعنى النهى و يؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود ما يمسه بما النافية و روى مالك وغيره أن كتاب عمرو بن حزم وهو من أهل الظاهر لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وأنت طاهر (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة لقرآن أى منزل من الله تعالى وفى ذلك رد على قول من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة وفى هذا رد على الذين يقولون ان القرآن فى كتاب ولا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة ورد على الروافض الذين يقولون ان جبريل أنزل على على فنزل على محمد فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك وقرئ تنزيلا بالنصب حال من قرآن (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) أى أفبهذا القرآن أنتم يا أهل مكة متهاونون به و يقال أفبهذا الكلام الذى تتحدثون به أنتم تلينونه لاصحابكم من شأن محمد والبعث والحساب والجنة والنار تعلمونهم خلافه (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى تجعلون معاشكم تكذيب محمد لانكم تخافون ان صدقتموه ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر أن يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم انكم تكذبون الرسل وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) أى فلم لا تكذبون الرسل اذا بلغت الروح الحلقوم والحال انكم وقت النزع تشاهدون الامور وتعلمونها وهذا اشارة الى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل ايمان من لم يؤمن من قبله (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) أى ونحن أقرب الى الميت من أهله الحاضرين عنده بعلمنا وقدرتنا ولكن لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤننا (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) أى فلم لا تردون الروح الى الجسد عند بلوغها الحلقوم ان كنتم غير مجزيين وغير محاسبين ان كنتم صادقين فى اعتقادكم أى انكم اذا كنتم لستم تحت قدرة أحد فلم لا ترجعون أنفسكم الى الدنيا مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم كما كنتم فى الدنيا التى ليست دار جزاء (فأما ان كان من المقربين فروح) أى فاما ان كان المجزى من المقربين السابقين فله راحة وقرأ بعضهم بضم الراء أى فله حياة دائمة أو رحمة لانها كالحياة للمرحوم (وريحان) أى رزق عظيم أو زهر فقد قيل ان أرواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا

الاو يؤتى اليهم بريحان من الجنة يشمونه (وجنة نعيم) أى بستان ذات تنعم ليس فيها غيره (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى ان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى المقربين الذين هم فى عليين كأصحاب الجنة بالنسبة الى أهل عليين فكأن الله تعالى قال هؤلاء الذين هم أهل الجنة وان كانوا دون الاولين لكن لا تنقطع بينك يا أشرف الخلق و بينهم المكالمة والتسليم بل هم يرونك و يصلون اليك وصول جليس الملك الى الملك والغائب الى أهله و ولده وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وان كنت أعلى مرتبة منهم (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم) أى وأما ان كان المجزى من المنكرين للبعث الضالين عن سبيل الله فله ضيافة من ماء حار يشربه بعد أكل الزقوم (وتصلية جحيم) أى وادخال فى النار واحتراق بها (ان هذا) أى ما ذكر فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى نهاية اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) لما بين الله تعالى الحق وامتنع الكفار قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا هو حق فان امتنعوا فسبح ربك فى نفسك وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك

﴿سورة الحديد مدنية أو مكية تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض) أى أبعد الخلق ذات الله تعالى من أن يكون محلا للامكان وصفاته من أن تكون متغيرة وأفعاله من أن تكون موقوفة على مادة ومثال (وهو العزيز الحكيم) أى وهو القادر الغالب الذى يفعل أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أى له التصرف فيهما وفيما فيهما من الموجودات (يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير) أى هو قادر على خلق الحياة والموت ومنفرد بايجادهما لا يمنعه تعالى عنهما مانع ولا يرده عنهما راد (هو الاول) أى ليس قبله شئ (والآخر) أى ليس بعده شئ فهو الباقى بعد فناء سائر الموجودات (والظاهر) بحسب الدلائل (والباطن) أى المحتجب عن الابصار وعن الحواس وعن ادراك حقيقة ذاته فى الدنيا والآخرة (وهو بكل شئ عليم) لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) من أيام الدنيا تعليما للعباد فى التأنى للامور (ثم استوى على العرش) أى تصرف فى ملكه تصرفا تاما (يعلم ما يلج فى الارض) من المياه والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من النبات والمياه والمعادن والاموات (وما ينزل من السماء) من الامطار والملائكة والصواعق والحر والبرد (وما يعرج فيها) من الحفظة والاعمال (وهو معكم أينما كنتم) بسبب القدرة والايجاد والتكوين و بسبب العلم فهو كونه تعالى ظاهرا باطنا ظواهرنا و بواطننا لا بالمكان والجهة قال المحققون ما رأيت شيأ الا و رأيت الله قبله وقال المتوسطون ما رأيت شيأ الا و رأيت الله معه وقال الظاهريون ما رأيت شيأ الا و رأيت الله بعده (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور) أى جميع الامور فى الآخرة حيث لا مالك سواه وقرأ الاخوان وابن عامر بفتح التاء وكسر الجيم (يولج الليل فى النهار) فيزيد النهار (و يولج النهار فى الليل) فيزيد الليل (وهو عليم بذات الصدور) أى بمكنونات القلوب من نياتهم (آمنوا بالله و رسوله) وهذا خطاب مع من عرف الله فالمقصود من هذا الامر معرفة صفات الله أما معرفة وجود الصانع فحاصلة للكل (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى من الاموال التى فى أيديكم التى

جعلكم الله بمنزلة الوكلاء فيها تحفظونها لمن يأتون بعدكم فلا ينبغي لكم البخل بها فالصواب ان تصرفوها في الوجوه التي تنفعكم في المعاد (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أموالهم في طاعة الله (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) أى أى شئ حصل لكم غير مؤمنين بالله والحال أن الرسول يدعوكم للايمان به والحال أن الرسول قد نصب الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسول في العقول فقد تطابقت دلائل النقل والعقل وسميت الدلائل المستلزمة وجوب القبول ميثاقا لانها أوكد من الحلف (ان كنتم مؤمنين) أى ان كنتم تؤمنون بشئ لاجل دليل فالكم لا تؤمنون الآن فانه قد تطابقت الدلائل النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها وقرأ أبو عمرو وأخذ ميثاقكم بالبناء للمفعول وبرفع ميثاقكم أى مكن عقولكم من النظر في الادلة (هو الذى ينزل على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (آيات بينات) وهى القرآن (ليخرجكم) أى الله أو العبد بتلك الآيات (من الظلمات الى النور) أى من الكفر الى الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الادلة العقلية (ومالكم أن لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) أى وأى شئ يحصل لكم يامعشر المؤمنين في أن لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ماهوله في الحقيقة والحال أنه لا يبقى لكم شئ منها بل يبقى كله لله تعالى فانكم ستموتون فتورثون أى وذلك لان المال لابد من خروجه عن اليد اما بالموت واما بالانفاق في طاعة الله فان خرج عن اليد بغير الانفاق في طاعة الله استعقبه اللعن والعقاب وان خرج عنها بالانفاق في مرضاة الله أستعقبه المدح والثواب (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لا يستوى منكم يامعشر المؤمنين عند الله في الفضل من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل أعداء الله ومن أنفق وقاتل من بعد فتح مكة وقوة الاسلام وقرئ قبل الفتح بغير من (أولئك) أى المنعوتون بذينك النعتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة عند الله (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه فانه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف به على الهلاك قال عمر كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرئ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربى انى عن ربى راض (وكلا وعد الله الحسنى) أى وكل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله الحسنى (والله بما تعملون خبير) فيوصل الثواب اليكم بحسب استحقاقكم له (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى من ذا الذى ينفق ماله في طاعته تعالى بالصدق من قلبه رجاء أن يعوضه وقال بعض العلماء لا يكون القرض حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة الاول أن يكون القرض من الحلال والثانى أن يكون من أكرم ماتملكه دون أن تنفق الردئ والثالث أن تتصدق بما تملكه وأنت تحتاج اليه بأن ترجوا الحياة والرابع أن تصرف صدقتك الى الاحوج والخامس أن تكتم الصدقة ما أمكنك والسادس أن لا تتبعها منا ولا أذى والسابع أن تقصد بها وجه الله ولا ترائى والثامن أن تستحقر ما تعطى وان كثر والتاسع أن يكون المعطى من أحب أموالك اليك والعاشر أن لا ترى عز نفسك وذل الفقير بل ترى نفسك تحت

دين الفقير وترى الفقير كأن الله تعالى أحال عليك رزقه الذي قبله منك (فيضاعفه له) أي فيعطيه الله أجره أضعافا وقرأ عاصم بالالف والنصب ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالالف والرفع وابن كثير بالتشديد في العين والرفع وابن عامر بالنصب فالرفع على العطف على يقرض أو على الاستئناف على تقدير مبتدا أي فهو يضاعفه والنصب على جواب الاستفهام بالفاء (وله أجر كريم) أي وللقرض ثواب حسن في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضف فكيف وقد ضعف اضعافا كثيرة الى أكثر من سبعمائة نزلت هذه الآية في أبي دحداح (يوم) ظرف لقوله تعالى فيضاعفه أو للاستقرار العامل في وله أجر أي استقر له أجر يوم (ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وهذا النور هو ما يكون سببا للنجاة وانما قال تعالى بين أيديهم وبأيمانهم لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فاذا مروا على الصراط يسعى معهم نور الايمان والاعمال المقبولة أمامهم ونور الانفاق في جهة أيمانهم لان الانفاق يكون بالايمان ومراتب الانوار مختلفة على قدر الاعمال فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن وصنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه وأدناهم نورا من يكون نوره على ابهاميه ينطفي مرة ويتقد أخرى وهذا القول منقول عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما وقرأ سهل بن شعيب وأبو حيوة وبإيمانهم بكسر الهمزة أي وبسبب ايمانهم حصل سعي ذلك النور (بشراكم اليوم جنات) أي تقول لهم الملائكة على الصراط بشارتكم العظيمة في هذا الوقت دخولكم جنات (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) وهو حال من ضمير المخاطب المقدر (ذلك) أي ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم باسقاط كلمة هو (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) لما رأوهم يسرع بهم الى الجنة ويوم بدل من يوم ترى أو كان العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم (انظرونا) أي انظروا الينا أي لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور أمامهم فيستضيئون به وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء أي انتظرونا لنلحق بكم (نقتبس من نوركم) أي نستضيء بنوركم (قيل) أي قال لهم المؤمنون قول تنديم وتوبيخ (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور فاطلبوا نورا هنالك وقيل ارجعوا الى دار الدنيا فالتمسوا هذه الانوار هنالك وقال أبو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا الخ منع المنافقين عن الاستضاءة لا أمر لهم بالرجوع أي تنحوا عنا فلا سبيل لكم الى وجدان هذا المطلوب البتة فيرجعون في طلب النور (فضرب بينهم) أي بني بين الفريقين (بسور) الباء زائدة أي حائط بين الجنة والنار كما قاله قتادة أو حجاب كما في سورة الاعراف كما قاله مجاهد وقال من قال ارجعوا الى دار الدنيا والمراد من ضرب السور هو امتناع العود الى الدنيا (له باب باطنه فيه الرحمة) أي لذلك السور باب في باطن ذلك السور الجنة التي فيها المؤمنون (وظاهره من قبله العذاب) أي وخارج السور من جهته النار فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور والكافرون يبقون في العذاب (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور (ألم نكن معكم) في الدنيا على الغزوات والعبادات (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بالكفر السر واستعملتموها في المعاصي والشهوات (وتربصتم) أي احتكرتم أنفسكم عن التوبة من النفاق وانتظرتم موت رسول الله وحوادث السوء على المؤمنين (وارتبتم) أي شككتم في نبوة محمد وفي البعث وفي وعيد الله (وغرتكم الاماني) أي

الاباطيل وهي ما كانوا يتمنون من نزول الحوادث بالمؤمنين ومن انتكاس أمر الاسلام (حتى جاء أمر الله) أي حتى جاءكم وعد الله بالموت على غير التوبة من النفاق أي حتى أماتكم الله والعاكم في النار (وغركم بالله الغرور) بفتح الغين أي الشيطان لالقائه اليكم ان لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة وقرأ سماك ابن حرب بضم الغين والمعنى وغركم عن طاعة الله سلامتكم من أباطيل الدنيا مع الاغترار بأمتعة الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أي فاليوم لا يقبل منكم يا معشر المنافقين فداء ولا من الذين أظهروا الكفر وقرأ ابن عامر تؤخذ بالتأنيث (مأواكم النار) أي منزلكم النار (هي مولاكم) أي هي موضعكم الذي تصلون اليه (وبئس المصير) أي بئس المرجع هذه النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم بتخفيف الزاي والمعنى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوب المؤمنين لذكرهم الله ولما نزل من القرآن وينقادوا لأوامره ونواهيه انقيادا تاما وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بتشديد الزاي أي ولما نزله الله من القرآن وعن أبي عمرو نزل مبنيا للمفعول وقرأ الحسن البصري ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون وقرأ الحسن ألما يأن وعن الاعمش قال ان الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا الينا في العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أي هذا اما معطوف على تخشع فلا نافية أي وألم يأت وقت ان لا يكونوا كاليهود والنصارى من قبل ما نزل اليكم والمراد نهي المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم واما جزم بلا الناهية ويدل على هذا الوجه قراءة من قرأ بالتاء على سبيل الالتفات (فطال عليهم الامد) أي طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم وقيل أي طالت أعمارهم في الغفلة وقيل طال عليهم الزمان بطول الامل وقال ابن عباس أي مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وروى عن ابن كثير الامد بتشديد الدال أي الوقت الاطول فزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) للمواعظ بسبب الطول (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين من أجل فرط قسوتهم وهذا اشارة الى أن عدم الخشوع في أول الامر يفضي الى الفسق في آخر الامر (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) أي ان الله يلين القلوب بالخشوع الناشئ عن الذكر وتلاوة القرآن بعد قساوتها كما يحيي الله الارض بالغيث بعد يبوستها كذلك يحيي الله الموتى من القبور بالمطر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا على احياء الموتى (لعلكم تعقلون) أي لكي تكمل عقولكم فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر بتخفيف الصاد من التصديق أي ان الذين آمنوا من الرجال والنساء وتصدقوا صدقة واجبة أو تطوعا عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم الى ألفي ألف الى ماشاء الله من الاضعاف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم بتشديد الصاد من التصدق وقرأ أبي ان المتصدقين والمتصدقات والمعنى ان الذين أعطوا الصدقة من الرجال والنساء وعملوا الصالحات الخ لان اقراض الله من الاعمال الصالحة وهو تقديم الحسنات وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف لهم بتشديد العين والجار والمجرور نائب الفاعل (ولهم أجر كريم) أي ثواب حسن في الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك الصديقون) وهم الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأما في أمة محمد فهم

ثمانية سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته كما قاله الضحاك ومقاتل ويقال الصديق هو الذى يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يميل الى التأويلات (والشهداء) وهذا اما معطوف على ما قبله ويجوز الوقف هنا وهم عدول الآخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضى الله عنهم وقال مقاتل ومحمد بن جرير هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقال الفراء والزجاج هم الانبياء فأولئك مبتدأ ثان وهم مبتدأ ثالث والصديقون خبرهم وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء بعلو الرتبة ورفعة المحل واما مبتدأ وخبره اما (عند ربهم) واما (لهم أجرهم ونورهم) وعلى هذا فالوقف على الصديقون تام والاظهر أن جملة لهم أجرهم من مبتدأ وخبر محلها رفع على أنه خبر ثان للموصول والضمير الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء وهذه الجملة بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أى للذين آمنوا مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال فالمماثلة بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا ولما ذكر الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين ذكر ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الآخرة (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدا ثم ان تلك المتاعب تنقضى من غير فائدة (ولهو) وهو فعل الشبان فبعد انقضائه لا يبقى الا التحزن لان العاقل يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا (وزينة) وهو دأب النسوان لان المطلوب من الزينة تحسين القبيح وتكميل الناقص (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض بالنسب أو بالقوة أو بالقدرة أو بالعساكر وكلها ذاهبة (وتكاثر) أى مغالبة فى الكثرة (فى الاموال والاولاد) فالحياة الدنيا غير مذمومة وانما المذموم من صرف هذه الحياة الى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى لا الى طاعة الله تعالى والمعنى اعلموا أن شغل البال بالحياة الدنيا دائر بين هذه الامور الخمسة (كمثل غيث) أى صفة الدنيا فى اعجابها كصفة مطر (أعجب الكفار نباته) أى أعجب الزراع النبات الحاصل بالمطر وسمى الزارع كافرا لانه يغطى البذر بتراب الارض (ثم يهيج) أى يجف النبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا وقرئ مصفارا (ثم يكون حطاما) أى ثم يصير النبات متكسرا (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن كانت حياته بهذه الصفة (ومغفرة من الله ورضوان) لاوليائه وأهل طاعته والرضوان أعظم درجات الثواب (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن أقبل عليها وأعرض بها عن طلب الآخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا الى سائر ما كلفتم به فان المسارعة الى ذلك تؤدى الى مغفرة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى لو جعلت السموات السبع والارضون السبع وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) أى هيئت الجنة للمؤمنين من جميع الامم (ذلك) الموعود به من المغفرة والجنة (فضل الله) أى عطاؤه (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه (والله ذو

الفضل العظيم) وهذا تنبيه على عظم حال الجنة (ما أصاب من مصيبة فى الارض) هى قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الاثمار وتتابع الجوع (ولا فى أنفسكم) وهى الامراض والفقر وذهاب الاولاد وإقامة الحدود على الانفس (الا فى كتاب) أى مكتوب فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى ان نخلق هذه المصائب والانفس والارض (ان ذلك) أى ان اثبات كل ذلك مع كثرته فى الكتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أى أخبرنا كم بذلك لئلا تحزنوا حزنا زائدا على ما فى أصل الجبلة على ما فاتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى بما أعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرأ أبو عمرو أتاكم بقصر الهمزة أى بما جاءكم من الله وقرئ بما أوتيتم والمراد نفى الحزن المانع عن التسليم لامر الله تعالى ونفى الفرح الموجب للبطر والاختيال (والله لا يحب كل مختال فخور) أى كل متكبر بما أوتى فخور به عند الناس نظرا الى ما فى يده من الدنيا (الذين يبخلون) باداء حق الله تعالى (ويأمرون الناس بالبخل) وذلك نتيجة فرحهم عند اصابة النعم والموصول صفة لكل مختال فخور وقيل هو مستأنف لا تعلق له بما قبله وهو مبتدأ خبره محذوف وهو بيان لصفة اليهود والمعنى الذين يبخلون ببيان صفة النبى التى فى كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مأكلتهم ويأمرون الناس بالبخل به لهم تهديد شديد (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) أى ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه فلا يعود عليه ضرر بخل البخيل حميد فى ذلك الاعطاء مستحق للحمد حيث فتح أبواب نعمته وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى بحذف لفظ هو (لقد أرسلنا رسلنا) أى الانبياء الى الامم (بالبينات) أى الدلائل القاهرة والمعجزات الظاهرة (وأنزلنا معهم الكتاب) أى أنزلنا اليهم الكتاب وهو الذى يتوسل به الى فعل ما ينبغى من الافعال النفسانية لان به يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة (والميزان) هو الذى يتوسل به الى فعل ما ينبغى من الافعال البدنية وهو الذى يتميز به العدل عن الظلم والزائد عن الناقص (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أى قوة شديدة وهو زاجر للخلق عما لا ينبغى والحاصل أن الكتاب اشارة الى القوة النظرية والميزان اشارة الى القوة العملية والحديد اشارة الى دفع ما لا ينبغى (ومنافع للناس) أى لا متعتهم مثل السكاكين والفاس والمبرد وغير ذلك وما من صنعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أى وليعلم الله من ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين حال كونه تعالى غائبا عنهم أى ينصرونه تعالى ولا يبصرونه (ان الله قوى) على الامور قادر على اهلاك جميع أعدائه (عزيز) أى لا يمانع ولا يفتقر الى نصرة أحد بل واغا ليصلوا بامتثال الامر فى الجهاد الى الثواب (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) فما جاء بعدهما أحد بالنبوة الا وكان من أولادهما وكانت الكتب الاربعة فى ذرية ابراهيم وهو من ذرية نوح فانه الاب الثانى لجميع البشر (فمنهم) أى الذرية (مهتد) الى الحق (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن الطريق المستقيم (ثم قفينا على آثارهم) أى نوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم (برسلنا) أى أرسلنا بعضهم بعد بعض الى أن انتهى الى أيام عيسى عليه السلام (وقفينا بعيسى بن مريم) أى جعلناه متأخرا عنهم فى الزمان (وآتيناه الانجيل) أى أعطيناه الانجيل وقرأ الحسن بفتح همزة انجيل تنبيها على كونه أعجميا وانه لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) على دينه (رأفة) أى لينا

(ورحمة)

(ورحمة) أى شفقة أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم وقرئ رآفة على وزن فعالة (ورهبانية) وقرئ بضم الراء (ابتدعوها) أى أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها أى وفقناهم لاستحداث الرهبانية لينجوا من فتنة بولس اليهود وروى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابن مسعود أما علمت أن بنى اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها فى النار الا ثلاث فرق فرقة آمنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا أعداء الله فى نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والفيافى (ما كتبناها عليهم) أى لم نفرض الرهبانية عليهم وهذه الجملة صفة ثانية لرهبانية (الا ابتغاء رضوان الله) أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أى فما حفظوا الرهبانية حق حفظها لانهم أتوها لطلب الدنيا والرياء والسمعة (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد (منهم) أى الرهبان (أجرهم) وهم الذين لم ينالفوا دين عيسى ابن مريم وهم أربعة وعشرون رجلا فى أهل اليمن جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا فى دينه أى لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق من الرهبان الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه (وكثير منهم) أى من الرهبان (فاسقون) أى تاركوا تلك الطريقة ظاهرا وباطنا وهم الذين خالفوا دين عيسى فقال الله تعالى فى حق قوم عيسى (يا أيها الذين آمنوا) بعيسى وبالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لايمانكم أولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) على الصراط وبين الناس (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم) أى مبالغ المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) لانه قادر مختار يفعل بحسب الاختيار ولا زائدة كما يدل عليه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم وقوله تعالى وان الفضل عطف على أن لا يقدرون والمعنى اغا بالغنا فى هذا البيان وأطنبنا فى الوعد والوعيد ليعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة فى قوم مخصوصين وان الفضل فى تصرف الله تعالى يعطيه من يشاء ولا اعتراض عليه فى ذلك أصلا والمقصود من هذه الآية أن يزيل الله عن قلوب بنى اسرائيل اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم وغير حاصلة الا فى قومهم وقيل ان لفظة لا غير زائدة والضمير فى قوله تعالى أن لا يقدرون عائد الى الرسول وأصحابه وقوله تعالى وان الفضل الخ عطف على أن لا يعلم والمعنى انا فعلنا ذلك لئلا يعتقد أهل الكتاب وهم بنو اسرائيل أنه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو سعادة الدارين ليعتقدوا أن الفضل فى ملكه تعالى على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه (والله ذو الفضل العظيم) فان العظيم لا بد وأن يكون احسانه عظيما

(سورة المجادلة مدنية ثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد السور فهى الثامنة والخمسون منها وأول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي قد أجاب الله دعاء المرأة التي تخاصمك أيها النبي في شأن زوجها وتلك المجادلة انه صلى الله عليه وسلم كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا بان أنزل الله حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها (وتشتكي الى الله) بان قالت رافعة رأسها الى السماء أشكو الى الله فاقتي ووجدي وقالت ان لي صبية صغارا (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتكما في الكلام (ان الله سميع بصير) أي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه روي أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم الانصارية كانت تحت أوس بن الصامت الانصاري رآها زوجها وهي ساجدة في الصلاة وكانت حسنة الجسم فنظر الى عجيزتها فأعجبه أمرها فلما سلمت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم أي توقان الى النساء وقيل مس من الجن فأراد أن يأتيها على حال لا تؤتى عليها النساء فأبت عليه فغضب وقال ان خرجت من البيت قبل أن أفعل بك فأنت على كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان أوساتزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما كبر سني وكثر ولدي جعلني كأمه وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والله ما ذكر طلاقا وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك فانزل على لسان نبيك فرجي فبينما هي كذلك اذ تربد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ثم انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الاربع آيات وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا أن آكل في اليوم مرة أو مرتين لكل بصري ولظننت أني أموت فقال له هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يارسول الله الا أن تعينني منك بصدقة فأعانه رسول الله بخمسة عشر صاعا وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم) أي الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ليست نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وألف وقرأ أبو العالية وعاصم وحسين يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر الهاء وفي قراءة أبي يتظاهرون وقرأ عاصم في رواية المفضل أمهاتهم بالرفع وقرئ بامهاتهم وجملة ما هن أمهاتهم خبر المبتدا الذي هو الموصول (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) أي ما أمهاتهم في الحرمة الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم (وانهم) أي المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) عند الشرع وعند العقل والطبع (وزورا) أي كذبا والظهار حرام اتفاقا (وان الله لعفو غفور) اما من غير التوبة لمن شاء أو بعد التوبة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اما بالسكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه كما قاله الشافعي واما باستباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة كما قاله أبو حنيفة واما بالعزم على جماعها كما قاله مالك (فتحرير رقبة) أي فالواجب اعتاق رقبة مؤمنة فلا تجزئ كافرة عند الشافعي وقال

ابو

أبو حنيفة تجزئ أى رقبة كانت سواء كانت مؤمنة أو كافرة (من قبل أن يتماسا) أى ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بشئ من جهات الاستمتاعات فلا يباشر المظاهر امرأته ولا يتلذذ منها بشئ حتى يكفر فان وطئها قبل أن يكفر استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة (ذلكم) أى التغليظ فى الكفارة (توعظون به) أى تزجرون به عن اتيان ذلك المنكر كى تتركوه ولا تعاودوه (والله بما تعملون خبير) أى من التكفير وتركه (فمن لم يجد) أى رقبة (فصيام شهرين) أى فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) بجميع ضروب المسيس من لمس بيد وغيرها (فمن لم يستطع) أى الصيام (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مد من طعام بلده الذى يقتات منه حنطة أو شعيرا أو أرزا أو تمرا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ولا يعتبر مد حدث بعد. وقال أبو حنيفة لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع واحد من تمر أو شعير ولا يجزئه دون ذلك (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أى ذلك البيان للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله فى العمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى أنواع الطلاق (وتلك) أى هذه الاحكام المذكورة (حدود الله) التى لا يجوز تجاوزتها (وللكافرين) أى لمن جحد هذه الاحكام وكذب بها (عذاب أليم) فان عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط عنه بل هى باقية فى ذمته الى أن يقدر على شئ منها ولا ينبغى للمرأة ان تدعه يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها وأجبره على التكفير وان كان الاجبار بالضرب ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمرأة وامتناع من ايفاء حقها (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما وذلك بالمحاربة مع أولياء الله أو بالصد عن دين الله وتكذيبه (كبتوا) أى اذلوا (كما كبت الذين من قبلهم) أى كما اخزى كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) أى والحال انا قد أنزلنا آيات واضحات فى شأن من خالف الله ورسوله ممن قبلهم من الامم من اهلاكهم (وللكافرين) بتلك الآيات (عذاب مهين) أى يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله جميعا) أى مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم الذى يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أى أحاط الله بجميع أحوال تلك الاعمال من الكمية والكيفية والزمان والمكان (ونسوه) أى والحال أنهم قد نسوا أعمالهم لانهم تهاونوا بها حيث فعلوها ولم يبالوا بها لجراءتهم على المعاصى (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه أمر من الامور قط (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) أى ألم تعلم علما يقينا أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) أى ما يوجد من متناجين ثلاثة الا الله رابعهم ولا متناجين خمسة الا الله سادسهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أى من الاماكن ولو كانوا تحت الارض قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم هل يعلم الله ما نقول وقال الثانى يعلم البعض دون البعض وقال الثالث ان كان يعلم البعض فيعلم الكل وفى مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا أخذوا فى التناجى أى فالله تعالى عالم بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم فكأنه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم قرأ ابن أبى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون وقرأ

الحسن والاعمش وابن أبي اسحق وأبو حيوة ويعقوب ولا أكثر بالرفع امامعطوف على محل نجوى أوهو مبتدأ لعطفه على مبتدا وهو أدنى وجملة الا هو معهم خبره وقرئ ولا أكبر بالباء المنقطة من تحت (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) أي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق وقرأ بعضهم ينبئهم بسكون النون (ان الله بكل شئ عليم) وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات (ألم تر) أي ألم تنظر يا أشرف الخلق (الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم) أي بما هو اثم في نفسه كالكذب (والعدوان) للمؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته نزلت في اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يحزنهم فلما أكثروا ذلك شكى المؤمنون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ حمزة وحده ينتجون أي ويخص اليهود المنافقين بمناجاتهم وقرئ والعدوان بكسر العين وقرئ ومعصيات الرسول (واذا جاؤك) يا أشرف الخلق (حيوك بما لم يحيك به الله) أي انهم كانوا يجيئون الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون في تحيتهم اياك السام عليك يا محمد وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليك فيرد النبي عليهم وعليكم والسام بلغتهم الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى و يا أيها الرسول و يا أيها النبي (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي ويقولون فيما بينهم اذا خرجوا من عند رسول الله ان محمدا لو كان رسولا فلم لا يعذبنا الله بما نقول لنبيه على هذا الاستخفاف وقيل انهم قالوا ان محمدا يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا كما يزعم لكان دعاؤه علينا مستجابا ولمتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا أهل الكتاب يعلمون أن الانبياء عليهم السلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب فأنزل الله فيهم (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) أي يدخلونها (فبئس المصير) جهنم أي ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة فاذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب في الدنيا فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم في الردع عما هم عليه (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) وهو ما يقبح (والعدوان) وهو ما يؤدي الى ظلم الغير (ومعصيت الرسول) وهو ما يكون خلافا عليه وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين (وتناجوا بالبر) وهو الذي يضاد العدوان (والتقوى) وهو ما يتقي به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) أي اتقوا الله في ان تتناجوا دون المؤمنين الذي تجمعون بقهر اليه تعالى يوم القيامة أي الى مكان المحاسبة والمجازاة (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) أي انما النجوى السابقة وهي نجوى المنافقين مع اليهود معتدة من الشيطان أي ان الشيطان يأمرهم بأن يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المؤمنين وذلك لان المؤمنين اذا رأوهم متناجين قالوا ماتراهم الا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا وهزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له وقرأ نافع ليحزن بضم الياء وكسر الزاي فحينئذ ففاعله ضمير يعود على الشيطان أي ليحزن الشيطان المؤمنين بتوهمهم ان النجوى في نكبة أصابتهم (وليس بضارهم شيأ الا باذن الله) أي وليس مناجاة المنافقين بضار المؤمنين شيأ من الضرر الا بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فان من توكل عليه لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) أي اذا قيل لكم ليتوسع بعضكم عن بعض فتوسعوا (يفسح الله لكم) في كل ما تريدون التوسع فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة وهذه الآية تدل على ان كل من وسع على عباد

الله

الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة والمراد من هذا التوسيع ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه وقرأ الحسن وداود بن أبي هند تفاسحوا وقرأ عاصم في المجالس بصيغة الجمع لان لكل جالس موضع جلوس على حدة والباقون في المجلس بالتوحيد على ان المراد به الجنس وقرئ في المجلس بفتح اللام قيل نزلت هذه الآية في نفر من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالسا في صفة صفية يوم الجمعة فلم يجدوا مكانا يجلسون فيه فقاموا على رأس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من أهل بدر يا فلان قم و يا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية لمن أقامه من المجلس فانزل الله فيهم هذه الآية يوم الجمعة و روى عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب منه صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه و بينهم كلام وذكر للرسول محبة القرب منه ليسمع منه وان فلانا لم يفسح له وأمر القوم بأن يوسعوا ولا يقوم أحد لاحد فنزلت هذه الآية * مسئلة اذا أمر انسان انسانا ان يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع أما اذا أرسل سجادة لتفرش له في المسجد حتى يحضر هو فيجلس عليها فذلك حرام لما فيه من تحجير المسجد بلا فائدة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي واذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا الاخوانكم فارتفعوا وقوموا الى الموضع الذي تأمرون به وقرئ انشزوا بكسر الشين و بضمها (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي يرفع الله المؤمنين منكم أيها المأمورون بالتفسح والعالمين منهم خاصة درجات بامتثال أوامره تعالى وأوامر رسوله والموصول الثاني معطوف على الموصول الاول اما من عطف الخاص على العام أو من عطف الصفات ودرجات مفعول ثان كانه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء درجات وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم و ينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر أي و يخص الذين أوتوا العلم بدرجات أو و يرفعهم الى درجات قال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا ما أمروا به (والله بما تعملون خبير) وهذا تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتية (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي اذا أردتم مناجاة الرسول في بعض شؤنكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فتصدقوا قبل المناجاة وفائدة هذا التقديم تعظيم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وان وجده بالسهولة استحقره ونفع كثير امن الفقراء بتلك الصدقة المقدمة على المناجاة وتمييز محب الآخرة عن محب الدنيا بتلك الصدقة فان المال محك الدواعي وقال أبو مسلم ان المنافقين كانوا يمتنعون من بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهرا و باطنا ايمانا حقيقيا فأراد الله تعالى ان يميزهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عمن بقي على نفاقه الاصلي وهذا التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى الغاية المخصوصة فلا يكون هذا منسوخا وقيل نزلت هذه الآية في أهل الميسرة فان منهم من كانوا يكثرون المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالصدقة قبل ان

قوله تعالى والله على كل شئ قدير فى بنى النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبي المنعوت فى التوراة بالنصر فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا ونكثوا العهد فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا من اليهود الى مكة وحالفوا أبا سفيان وأصحابه أربعين رجلا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري بقتل كعب ابن الاشرف فقتله غيلة ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم أخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب فبعث اليهم خفية عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقالوا لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الازقة فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وآيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاؤا من متاعهم وللنبي ما بقى فجلوا الى الشام الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) أى مساكنهم بالمدينة (لاول الحشر) أى عند أول اخراج الجمع من مكان الى مكان وهم أول من أخرجوا من جزيرة العرب الى الشام لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك وأما آخر حشرهم فهو اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام (ما ظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل لعزتهم وقوتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى من عذاب الله أى كانت حصونهم منيعة فظنوا انها تمنعهم من رسول الله وحصونهم اما مبتدأ ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبران واما فاعل لمانعتهم وهى خبران (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى فأتى أمر الله اليهود باذلالهم من حيث لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يد أخيه غيلة وقرئ فآتاهم الله بمد الهمزة أى فأعطاهم الله الهلاك وقيل الضمير للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله من حيث لم يرجوا وهو اخراج بنى النضير من قرية يقال لها زهرة الى الشام وكان بين زهرة والمدينة ميلان (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فى قلوبهم الخوف من محمد وأصحابه وكانوا قبل ذلك لايخافون (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أى يهدمون بعض بيوتهم بأيديهم من داخل الحصون ليسدوا بالخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها مما يقبل النقل ويهدم المؤمنون بعض بيوت بنى النضير من خارج توسيعا لمجال القتال ونكاية لهم ومنعا لتحصنهم بها وقرأ أبو عمرو وحده يخربون بفتح الخاء وتشديد الراء وقال الاخراب ترك الموضع خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما أخربوا (فاعتبروا يا أولى الابصار) أى فاتعظوا بحالهم ولا تعتمدوا على شئ غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على حصونهم وعلى قوتهم وعلى المنافقين فليس للزاهد ان يعتمد على زهده فان زهده لايكون أكثر من زهد بلعام وليس للعالم ان يعتمد على علمه انظر الى ابن الراوندى مع كثرة ممارسته كيف صار فلا ينبغى لاحد ان يعتمد الا على فضل الله ورحمته (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى ولولا ان قضى الله على بنى النضير الخروج عن أوطانهم على الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل باخوانهم بنى قريظة من اليهود (ولهم فى الآخرة عذاب النار) وهذا استئناف غير متعلق بجواب لولا أى ولهم على كل حال سواء أجلوا أم لا عذاب النار فى

الآخرة

الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك المذكور من العذابين بسبب انهم خالفوا الله ورسوله في الدين (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) أي ومن يخالف الله يعاقبه الله في الدنيا والآخرة فان الله شديد العقاب وقرئ ومن يشاقق الله كما في الانفال روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وقد تحصنوا بحصونهم أمر أصحابه بقطع نخيلهم واحراقها قال بنو النضير يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في أنفس المؤمنين شئ من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله تعالى قوله (ماقطعتم من لينة) أي أي شئ قطعتم أيها المسلمون من نخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها) كما كانت (فباذن الله) أي فذلك القطع والترك باباحة الله تعالى ليعز المؤمنين (وليخزي الفاسقين) أي اغا جوز الله ذلك القطع ليسر المؤمنين ويزداد غيظ الكفار اليهود ويتضاعف تلهفهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعز أموالهم وقرئ قوما على أصلها وقرئ أيضا قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (وما أفاء الله على رسوله منهم) أي مارده الله لرسوله من يهود بني النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي لانكم ما أجريتم الى تحصيل ذلك خيلا ولا ركابا (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائهم وقد سلط الله النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء اليهود من غير ان تقاسوا أيها المسلمون شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء نزلت هذه الآية في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب وانما كانوا في زهرة على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة أجراه الله تعالى مجرى مالم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال ثم روى انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق ومعنى الآية ان الصحابة طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفئ بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بينهما وهو ان الغنيمة ما اتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب والفئ ماليس في تحصيله تعب فكان الامر فيه مفوضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كقريظة والنضير وفدك وخيبر وعرينة وينبع والصفراء (فلله وللرسول ولذي القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قيل يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف سهم رسول الله بعد وفاته وهو أربعة أسهم الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم أو الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام رسول الله في رباط الثغور (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أي جعل الله الفئ لمن ذكر لاجل أن لا يكون الفئ شيأ يتداوله الاغنياء بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرأ هشام تكون بالتأنيث على خلاف عنه دولة بالرفع أي كيلا يقع دولة في يد الاغنياء وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي بفتح الدال فقيل الضم والفتح بمعنى وقيل الدولة بالفتح من الملك بضم الميم والدولة بالضم من الملك بكسر الميم (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) فانه واجب الطاعة لانه لا ينطق عن الهوى وهذا يوجب ان كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الفئ فجميع أوامره صلى

الله عليه وسلم ونواهيه داخلة فيها (واتقوا الله) في مخالفته صلى الله عليه وسلم (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء) بدل من لذي القربى وما عطف عليه كأنه قيل أعني بأولئك الاربعة هؤلاء الفقراء (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث ان كفار مكة أحوجوهم الى الخروج منها وكانوا مائة رجل (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي خرجوا منها طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم فان خروجهم من بين الكفار مهاجرين الى المدينة نصرة (أولئك هم الصادقون) في دينهم لانهم هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لأجل الدين وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وأقسم لكم من الغنائم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم وأقسم الغنيمة بين فقراء المهاجرين خاصة دونكم فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم في الغنيمة فأثنى الله عليهم فقال (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) أي والذين هيأوا الدار الهجرة والايمان وتمكنوا فيهما أشد تمكن من قبل مجيء المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لمحبتهم الايمان (ولا يجدون في صدورهم) أي في قلوبهم (حاجة) أي حزازة وحسدا (مما أوتوا) أي مما أعطى المهاجرين من الفيء وغيره دونهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي ويقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش ولو كان فيهم فقر وحاجة الى ما يقدمون به غيرهم حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم روى عن أبي هريرة أن رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية واطفيء السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يوق بتوفيق الله تعالى حرص نفسه على المال حتى يخالفها في حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) أي الظافرون بما أرادوا قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمر الله باعطائه فقد وقي شح نفسه وقرئ يوق بالتشديد وشح بكسر الشين (والذين جاؤا من بعدهم) أي من بعد هجرة المهاجرين ومن بعد قوة ايمان الانصار (يقولون) أي يدعون لهم (ربنا اغفر لنا) ذنوبنا (ولاخواننا) في الدين (الذين سبقونا بالايمان) وهو جميع من تقدمهم من المسلمين لا خصوص المهاجرين والانصار (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا وقرئ غمرا (للذين آمنوا) أيا كانوا (ربنا انك رؤف رحيم) فينبغي للمؤمن ان يذكر السابقين بالدعاء والرحمة فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية (ألم تر الى الذين نافقوا) وهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد فانهم كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا في دينهم (يقولون) في السر (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بني قريظة والنضير فهم مشتركون في الكفر وفي عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (لئن أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم) ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أي في شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) أي وان طال الزمان وقيل لا نعين عليكم أحدا من أهل المدينة (وان قوتلتم) من أي مقاتل كان (لننصرنكم) على عدوكم (والله يشهد انهم لكاذبون) في تلك المقالات الثلاثة المؤكدة بالايمان الفاجرة (لئن أخرجوا) أي اليهود من المدينة (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الامر كذلك وفي هذا دليل على صحة النبوة واعجاز

القرآن حيث أخبر عما سيقع فوقع الامر كما أخبر (ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) أى ولئن خرج المنافقون لقصد نصر اليهود لينهزمن المنافقون ثم يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لئن جاء المنافقون الى اليهود لنصرهم لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى ان خوف المنافقين واليهود فى السر من المؤمنين أشد من خوفهم من الله الذى يظهرونه للمؤمنين وكانوا يظهرون لهم خوفا شديدا من الله والمعنى أنهم لا يقدرون على مقابلتكم لانكم أشد مرهوبية فى صدورهم وهم يظهرون خوفهم من الله (ذلك) أى كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله فيخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدر اليهود والمنافقون على مقاتلتكم مجتمعين فى موطن الا اذا كانوا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب أو الا اذا كان بينكم وبينهم حائط وذلك بسبب ان الله ألقى فى قلوبهم الرعب وان نصرة الله معكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار بكسر الجيم وفتح الدال بالامالة فى جدار كما هو قراءة أبى عمرو وبالصلة فى بينهم بحيث يتولد منها واو كما هو قراءة ابن كثير والباقون جدر بضم الجيم والدال (بأسهم بينهم شديد) أى قتالهم فيما بينهم شديد اذا قاتلوا قومهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تحسبهم فى صورتهم مجتمعين على المحبة متفقين على أمر واحد والحال أن قلوبهم مختلفة لان كل أحد منهم على مذهب آخر وبينهم عداوة شديدة (ذلك) أى تشتت قلوبهم (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتيت قلوبهم مما يوهن قواهم اذ لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا فى العقائد والمقاصد (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم) أى صفة بنى قريظة فى نقض العهد كصفة الذين من قبلهم بسنتين وهم بنو النضير ذاقوا عقوبة أمرهم من نقض العهد (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم كمثل الشيطان) أى ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال وخذلانهم كمثل الابيض مع برصيصا العابد فالابيض هو صاحب الأنبياء والاولياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فدفعه جبريل الى أقصى أرض الهند (اذ قال) أى الشيطان الذى يقال له الابيض (للانسان) أى العابد الذى يقال له برصيصا (اكفر) بالله (فلما كفر) بالله خذله و(قال انى برىء منك) أى ليس بينى وبينك محبة أصلا وقرئ أنا برىء منك روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الابيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزيا بزى الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة أيام مرة ولا يفطر فى كل عشرة أيام الا مرة فأقبل الابيض يصلى فى أصل صومعة برصيصا فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض فى العبادة قال له ما حاجتك قال حاجتى ان تأذن لى ان أرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه فى صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يفطر الا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلاته الا كذلك فلما طال الحول قال الابيض لبرصيصا ان عندى دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفى الله تعالى بها المريض ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انى أكره هذه المنزلة وانى أخاف ان يشغلنى الناس عن عبادة ربى فلم يزل به الابيض حتى علمه الدعوات ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله قد أهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل مطبب فقال لاهله ان

لصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فقال انى لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه الدعاء فدعا له فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون ثم تعرض الابيض لابنة ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان لها ثلاثة أخوة وكان ملك بنى اسرائيل عمهم حينئذ ثم جاء الابيض اليهم فى صورة رجل متطبب فقال أفأعالجها قالوا نعم قال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تتركونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا انها قد عوفيت فتأخذونها منه صحيحة قالوا ومن هو قال هو برصيصا فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ألصقوها بصومعة برصيصا ووضعوا تلك البنت فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين تلك البنت وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فلم يزل الشيطان به حتى واقعها فلم يزل على ذلك حتى حملت البنت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا فهل لك أن تقتلها وتتوب فقتلها فدفنها ليلا جانب الجبل فجاء الشيطان وقتئذ فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها الذين يتعهدونها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا مكروبين جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال فى نفسه هذا حلم من عمل الشيطان فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ففعل الشيطان بأوسطهم مثل ذلك فقال مثل قول أكبرهم ولم يخبر بذلك الحلم أحدا ففعل بأصغرهم مثل ذلك فقال لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله رأيت مثل ذلك وقال الاكبر انا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها مدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى النوم فذهبوا الى برصيصا ومعهم غلمانهم بالفؤوس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك فاقر على نفسه فأمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى قال لا قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك فلم يزل الابيض يعيره قال برصيصا له فكيف أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه من العذاب وأخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذى أردت منك قد صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك (انى أخاف الله رب العالمين) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الياء (فكان عاقبتهما) أى الشيطان والراهب (أنهما فى النار خالدين فيها) وعاقبتهما بالنصب خبر كان مقدم وقرئ شاذا بالرفع وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو (وذلك) أى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) أى المشركين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون (ولتنظر نفس) برة أو فاجرة (ما قدمت لغد) أى ما تريدان تحصله ليوم القيامة فتفعله (واتقوا الله) باداء الواجبات وترك المعاصى (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه تعالى ومسمع فاستحيوا منه تعالى (ولا تكونوا) يا معشر المؤمنين (كالذين نسوا الله) أى

نسوا حق الله كالمنافقين واليهود فان المنافقين تركوا طاعة الله فى السر واليهود تركوا طاعة الله فى السر والعلانية (فأنساهم أنفسهم) أى فجعلهم الله ناسين حق أنفسهم حتى لم يعملوا لانفسهم ماينفعهم عنده تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسوق أى الخروج عن دائرة الطاعة (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله تعالى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بوجه من الوجوه واحتج بهذه الآية أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالذمى (أصحاب الجنة هم الفائزون) بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى لو جعلنا فى الجبل على قساوته عقلا كما جعلنا العقل فيكم ثم أنزلنا عليه هذا القرآن المنطوى على فنون القوارع لخشع وتشقق خشية من الله وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن وأنتم أيها المعترفون باعجازه لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده (وتلك الامثال نضربها للناس) أى نبينها لهم فى القرآن (لعلهم يتفكرون) أى لكى يتأملوا مواعظ القرآن فانه لا عذر فى ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها ذليلة متشققة من خشية الله (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ماغاب عن العباد وماشاهدوه وقال ابن عباس عالم السر والعلانية وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل عالم ماغاب عن الوجود وهو المعدوم وعالم الموجود (هو الرحمن الرحيم) أى هو العاطف على العباد البر والفاجر بالرزق لهم المنعم على المؤمنين خاصة بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لا اله الا هو) أى لا معبود بحق الا هو وحده (الملك) أى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه (القدوس) أى البليغ فى النزاهة فى الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء قال الحسن أى الذى كثرت بركاته (السلام) أى الذى لا يطرأ عليه شئ من العيوب فى الزمان المستقبل (المؤمن) أى واهب الامن (المهيمن) أى الحافظ لكل شئ (العزيز) أى الذى لا يوجد له نظير أو الغالب (الجبار) أى الملك العظيم كما قاله ابن عباس أو مصلح أحوال العباد أو الذى يقهرهم على ما أراد (المتكبر) بربوبيته كما قاله ابن عباس أو المتعظم عن كل سوء كما قاله قتادة أو الذى تعظم عن ظلم العباد (سبحان الله عما يشركون) أى تنزيه الله تعالى عما يشركون به (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده فيرجع الى تعلق الارادة التنجيزى القديم (البارئ) أى المبرز للاعيان من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث فى خصوص الاعيان (المصور) أى مصور الاشياء على هيآت مختلفة كما يريد تعالى فالتصوير آخرا والتقدير أولا والبرء بينهما وقرأ على بن أبى طالب والحسن بفتح الواو وبالنصب مفعول للبارئ (له الاسماء الحسنى) أى له تعالى الاسماء الدالة على معانى الصفات الحسنة (يسبح له مافى السموات والارض) أى ينطق مافيهما بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم

﴿سورة الممتحنة وتسمى سورة براءة المبعثرة والفاضحة مدنية ثلاث
عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف
وخمسمائة وعشرة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى) فى الدين (وعدوكم) فى القتل وهم كفار مكة

(أولياء تلقون اليهم بالمودة) أى توصلون المودة بينكم و بينهم روى ان حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة كتابا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم ثم أرسله مع سارة مولاة أبى عمرو ابن صيفى فأتاها حاطب وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها ذلك الكتاب الى أهل مكة فخرجت سائرة فاطلع الله رسوله على ذلك فبعث عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بينه و بين المدينة اثنا عشر ميلا فان فيها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها واتركوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة وسألوا عن ذلك فانكرت وحلفت مامعها كتاب فسل على سيفه وقال والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها فجاؤا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال ماحملك على هذا قال ان لى بمكة أهلا ومالا فأردت ان أتقرب منهم وقد علمت ان الله تعالى ينزل بأسه عليهم وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ وان الله ناصرك عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا ومايدريك ياعمر لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية وروى ان سارة عاشت الى خلافة عمر وأسلمت وحسن اسلامها (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أى وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق وقرئ لما جاءكم أى كفروا لاجل ماجاءكم من الرسول والقرآن أى جعلوا ماهو سبب الايمان سببا للكفر (يخرجون الرسول واياكم) من مكة الى المدينة (أن تؤمنوا بالله ربكم) وهذا تعليل للاخراج أى يخرجوكم لايمانكم بالله (ان كنتم خرجتم) من مكة الى المدينة (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) وهذا مرتبط بلا تتخذوا أى لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى (تسرون اليهم بالمودة) أى بالنصيحة وهذه الجملة بدل من تلقون اليهم بدل بعض لان القاء المحبة يكون سرا وجهرا (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى والحال انى أعلم منكم بما أخفيتم فى صدوركم وما أظهرتم بالسنتكم فأى فائدة لكم فى اسرار النصيحة وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أى ومن يفعل اسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب هذا كله معاتبة لحاطب وهذا يدل على فضله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل من الوافر

اذا ذهب العتاب فليس ود * و يبقى الود مابقى العتاب

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) أى ان يغلب عليكم أهل مكة يظهروا مافى قلوبهم من غاية العداوة (و يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى يمدوا اليكم أيديهم بالضرب والقتل والسنتهم بالشتم والطعن (وودوا لو تكفرون) أى وتمنوا كفركم بعد ايمانكم فحينئذ لا ينفعكم القاء المودة اليهم (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم (ولا أولادكم) الذين تتقربون الى المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) والظرف ان علق بيفصل فالوقف على أولادكم وقف بيان أو وقف تام عند أبى حاتم والوقف على بينكم تام وان علق بتنفعكم فالوقف على يوم القيامة وهو وقف صالح وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع فتحها ونائب الفاعل ظرف مبنى على الفتح وحمزة والكسائى كذلك الا انهما يكسران الصاد أى يفرق الله بينكم و بين أقاربكم وأولادكم فيدخل أهل الايمان الجنة وأهل الكفر النار وعاصم بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد والباقون وهم نافع

وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد وروى أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء للمفعول كعاصم وقرئ نفصل ونفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولم يقل تعالى خبير مع انه أبلغ في العلم لان البصير أظهر من خبير في العلم لانه تعالى يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر (قد كانت لكم اسوة حسنة) أي قدوة حسنة (في ابراهيم) أي في جميع أحواله من قول وفعل (والذين معه) من أصحابه المؤمنين وقرأ عاصم اسوة بضم الهمزة في الموضعين والباقون بكسرها (اذ قالوا) بدل اشتمال من ابراهيم والذين معه (لقومهم) أي لقرابتهم الكفار مع انهم أكثر من عدوكم وأقوى وقد كان من آمن بابراهيم أقل منكم وأضعف (انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) أي انا متبرؤن من قرابتكم ايانا ومن معبودكم من الاوثان (كفرنا بكم) أي أنكرنا دينكم فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة وهي المباينة في الافعال (والبغضاء) وهي المباينة بالقلوب (أبدا) أي على الدوام (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة أمر الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتدوا بسيدنا ابراهيم ومن معه من الانبياء والاولياء (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) أي فليس لكم الاقتداء بابراهيم في ذلك لانه انما استغفر لابيه لاجل موعدة وعدها اياه لانه ظن انه أسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه وأنتم لا تظنون اسلام الكفار الذين اتخذتموهم أولياء (وما أملك لك من الله من شئ) وهذا حال من فاعل لاستغفرن أي لاستغفرن لك والحال اني لا أدفع عنك شيأ من عذاب الله ان أشركت به أي وما على الا بذل الوسع في الاستغفار فوعده الاستغفار رجاء الاسلام وقال ابن عباس كان من دعاء ابراهيم وأصحابه (ربنا عليك توكلنا) أي في جميع أمورنا (واليك أنبنا) أي رجعنا بالتوبة عن المعصية وأقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) اذ المصير ليس الا الى حضرتك (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي مفتونين بهم قال ابن عباس لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا انهم على الحق وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي أنت الذي تغلب في ملكك الحكيم في صنعك (لقد كان لكم) يا أمة محمد (فيهم) أي في ابراهيم والذين معه (أسوة حسنة) قال ابن عباس كانوا يبغضون من خالف الله ويحبون من أحب الله وهذا هو الحث على الائتساء بابراهيم وقومه (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة وقوله لمن الخ بدل من لكم بدل بعض من كل (ومن يتول) أي يعرض عن الائتساء بهم ويمل الى مودة الكفار (فان الله هو الغني) عنه وعن سائر خلقه (الحميد) أي المحمود في فعاله قال مقاتل لما أمر الله تعالى المؤمنين عداوة الكفار شددوا في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقاربهم فأنزل الله تعالى قوله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) أي صلة بمخالطتهم مع أهل الاسلام (والله قدير) أي مبالغ في القدرة فيقدر على تسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) بهم اذا تابوا وأسلموا ورجعوا الى حضرة الله تعالى فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت هي قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وراودها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل

لا يفدغ أنفه والمراد بقوله تعالى الذين عاديتم منهم نفر من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان بن حرب وأبو سفيان بن الحرث والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) أى لاجل دينكم (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أى تصلوهم وهو بدل من الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أى تفضوا اليهم بالصلة وغيرها (ان الله يحب المقسطين) أى أهل البر والتواصل عن عبد الله بن الزبير ان هذه الآية نزلت فى أسماء بنت أبى بكر فان أمها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة قدمت عليها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت هذه الآية فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل نزلت فى خزاعة قوم هلال ابن عويمر وخزيمة وبنو مدلج فانهم صالحوا النبى قبل عام الحديبية على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه من مكة ولا يعينوا أحدا على اخراجه وقيل نزلت فى قوم من بنى هاشم أخرجوا يوم بدر كرها وهذه الآية تدل على جواز الاحسان بين المشركين والمسلمين وان كانت المناصرة منقطعة (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) أى لاجل دينكم (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) أى عاونوا عليه من سائر أهل مكة (أن تولوهم) أى ان تناصروهم وهذا بدل اشتمال من الذين قاتلوكم (ومن يتولهم) أى ومن يحبهم ويناصرهم (فأولئك هم الظالمون) لانفسهم بأقبالها للعذاب لوضعهم المحبة فى موضع العداوة (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) أى المقرات بالله (مهاجرات) من مكة من بين الكفار (فامتحنوهن) أى فاختبروهن بما يغلب على ظنكم بالتحليف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة من أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) أى بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما تفرد الله بعلمه (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) أى فان ظننتموهن بعد الامتحان مؤمنات بالعلائم فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهم) أى ليست المؤمنات حلالا لازواجهن الكفار وهذا بيان لزوال النكاح الاول (ولاهم يحلون لهن) أى وليس الكفار حلا للمؤمنات وهذا بيان لامتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور لان المهر فى نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتها المهاجرة فلا يجمع على الرجل خسارتان الزوجية والمالية وذلك ان الصلح عام الحديبية كان على ان من جاءكم من أهل مكة يرد اليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك العهد كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى فقال يا محمد أردد على امرأتى فانك قد شرطت لنا شرطا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف فنزلت هذه الآية ابيانا ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ثم تزوجها عمر رضى الله عنه وأخرج الطبرانى عن عبد الله ان هذه الآية نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وعن الزهرى كانت هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد فحبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد أخويها وأخرج ابن أبى حاتم عن يزيد بن أبى حبيب انها نزلت فى أمية بنت بشر امرأة أبى حسان بن الدحداحة وعن مقاتل انها نزلت فى سعيدة امرأة صيفى بن الواهب (ولا جناح عليكم) يا معشر المؤمنين (ان تنكحوهن) بعد الاستبراء (اذا آتيتموهن أجورهن) أى اذا التزمتم مهورهن فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذى يجب على المسلم اذا

تزوجهن اذ المهر أجر البضع قال ابن عباس أيما امرأة أسلمت وزوجها كافر فقد انقطع ما بينها وبين زوجها من عصمة ولا عدة عليها من زوجها الكافر وجاز لها ان تتزوج اذا استبرأت (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) أى لا تأخذوا بعقود الكافرات غير أهل الكتاب قال ابن عباس ايما امرأة كفرت بالله فقد انقطع ما بينها وبين زوجها المؤمن من العصمة وقرئ فى السبعة تمسكوا بضم التاء وسكون الميم وبفتح الميم وتشديد السين وقرئ تمسكوا بفتح التاء والميم وتشديد السين (واسألوا ما أنفقتم) أى اطلبوا أيها المؤمنون من أهل مكة ما أنفقتم على أزواجكم من مهورهن ان دخلن فى دينهم (وليسألوا ما أنفقوا) أى وليطلبوا منكم ما أنفقوا على أزواجهم من المهور ان دخلن فى دينكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) روى انه لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون ان يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى وان انفلت منكم أحد من أزواجكم ورجع الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد فغنمتم من العدو فاعطوا الذين ذهبت أزواجهم الى الكفار من الغنيمة قبل الخمس مثل ما أنفقوا عليهن من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تعطوه زوجها الكافر (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وجميع من ارتدت من نساء المؤمنين ست نسوة أخت أم سلمة فاطمة بنت أبى أمية وأم كلثوم بنت جرول وهما تحت عمر بن الخطاب أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان من بنى مخزوم وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هاشم بن العاص فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات) أى نساء أهل مكة بعد فتح مكة (يبايعنك) أى قاصدات للمشارطة (على ان لا يشركن بالله شيأ) من الاشراك (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) وقرئ ولا يقتلن بتشديد التاء (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود من الزنا فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عن هذا بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وهو ما عرف حسنه من جهة الشرع وهذا تنبيه على نفى جواز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وذلك كترك النوح وجز الشعر ونتفه وحلق الرأس وخمش الوجه وشق الجيوب وتمزيق الثياب وان لا يخلون مع رجل غير محرم وان لا يسافرن مع غير ذى محرم (فبايعهن) أى فشارطهن على ذلك (واستغفر لهن الله) فيما سلف منهن فى الجاهلية (ان الله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة جلس على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل يبايع النساء وكانت جملتهن اذ ذاك أربعمائة وسبعا وخمسين امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن أيديهن فيه وكانت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن قالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح

وانى أصبت من ماله هناة فما أدرى أتحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فلما قال ولا تزنين فقالت أو تزنى الحرة فلما قال ولا تقتلن أولادهن قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ولا يأتين ببهتان الخ قالت والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصيننى فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) أى لا تحبوا اليهود فانهم قوم غضب الله عليهم روى ان جمعا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين لحاجتهم اليهم من اصابة ثمارهم فنهوا عن ذلك بهذه الآية (قد يئسوا من الآخرة) أى قد حرموا من ثواب الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما حرم من ذلك الذين ماتوا منهم وقال أبو اسحق يئس اليهود الذين عاندوا النبى صلى الله عليه وسلم كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم

(سورة الصف مدنية أربع عشرة آية ماءتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة وستة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى شهد له تعالى بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات السنية جميع ما فى السموات والارض (وهو العزيز) أى الذى يغلب على غيره (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء فى أتقن مواضعها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت هذه الآية أى لم تعدون ما لا توفون وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهذا أى لم تتكلمون بما لا تعملون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قال الزجاج أى كبر قولكم ما لا تفعلون بغضا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) أى فى طاعته تعالى (صفا) فى القتال قرأ زيد بن على يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون أى يصفون وصفا حال من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم بنيان مرصوص) أى مشبهين ببنيان ألصق بعضه على بعض حتى صار شيأ واحدا (واذ قال موسى لقومه) أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره (يا قوم لم تؤذوننى) أى بالمخالفة فيما أمرتكم به (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة وقضية علمكم بذلك موجبة للتعظيم والمسارعة الى الطاعة (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى لما مالوا عن الحق وكذبوا موسى زاد الله زيغ قلوبهم حتى صرفها عن قبول الحق وقال مقاتل أى لما عدلوا عن الحق بأبدانهم أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء ما عملوا (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يهدى من سبق فى علمه تعالى انه خارج عن منهاج الحق مصر على الغواية (واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى) أى مصدقا لما قبلى (من التوراة) ومن كتب الله ومن أنبيائه جميعا (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) قرأ

نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء على الاصل وهو الاختيار عند الخليل وسيبويه في كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء ساكنين والباقون بالسكون وهو حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين وهما الياء والسين كما قاله المبرد وأبو علي (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) أي فلما جاء عيسى بني اسرائيل بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا الذي أتى به سحر بين وقرأ حمزة والكسائي ساحر بفتح السين مع الالف ويقال فلما جاءهم أحمد بالتي تبين أن الذي أتى به انما أتى به من عند الله قالوا هذا الآتي بالبينات ساحر بين (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أي أي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله من نسبة الولد اليه ووصف أنبيائه بالسحرة (والله لا يهدى القوم الظالمين) أي لا يوفقهم الله للطاعة عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أي يريدون رد رسالة الرسول ليبطلوا دين الله بقولهم ان الرسول ساحر وليبطلوا كتاب الله بقولهم انه سحر (والله متم نوره) بالاضافة وتركه أي والله مبالغ نوره الى غايته بنشره في الآفاق (ولو كره الكافرون) أي ولو كره المشركون واليهود والنصارى اتمام النور وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (هو الذي أرسل رسوله) وقرى نبيه أي محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) أي بالقرآن (ودين الحق ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) اعلاءه عليها (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وهي التجارة بين أهل الايمان وحضرة الله تعالى وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم قال مقاتل نزلت هذه الآية في عثمان بن مظعون وذلك انه قال لرسول الله لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر نهارا أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله ان أعلم أي التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت (تؤمنون بالله ورسوله) وهذا استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تعالى تؤمنون أي تدومون على الايمان (وتجاهدون في سبيل الله) أي في طاعته (بأموالكم وأنفسكم) أي بنفقة أموالكم وبخروج أنفسكم والجهاد بعد هذين الوجهين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو أن يتخذها زادا لمعاده فيكون الجهاد على خمسة أوجه وقرئ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر (ذلكم) أي الذي أمرتم به من الايمان والجهاد (خير لكم) من أن تتبعوا أهواءكم (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم تنتفعون بما علمتم فهو خير لكم (يغفر لكم ذنوبكم) وهذا جواب قوله تؤمنون الخ لما فيه معنى الامر وهو بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري وقوله يغفر لكم الخ بمنزلة المبيع الذي يأخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن) وهي قصبة الجنان والمساكن الطيبة قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء

فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله (ذلك) أى الجزاء الذى هو المغفرة وادخال الجنات (الفوز العظيم) أى الذى لا فوز وراءه (وأخرى) وهو امامرفوع أى ولكم تجارة أخرى فى العاجل مع ثواب الآجل أو منصوب بفعل مضمر امامن نوع الاشتغال أى وتحبون خصلة أخرى فى الدنيا مع ثواب الآخرة أو من نوع معطوف على الجواب أى ويعطكم نعمة أخرى أو مخفوض عطفا على تجارة (تحبونها) أى تشتهون أن تكون لكم (نصر من الله) بمحمد على كفار قريش (وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة وقرئ نصرا من الله وفتحا قريبا وقوله نصر من الله الخ مفسر لاخرى وهو ربح للتجارة (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر المؤمنين يارسول الله بذلك (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأنصارا منونا ولله جارا ومجرورا والباقون أنصار الله مضافا للجلالة وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار دين الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أى من أعوانى مع الله على أعدائه أو المعنى قل لهم كونوا أنصار دين الله كما قال عيسى لاصفيائه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى بن مريم (وكفرت طائفة) وهم الذين أضلهم بولس أى لما رفع عيسى الى السماء تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان عيسى الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الفرقة الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى فأعنا الذين لم يخالفوا دين عيسى على الذين خالفوه (فأصبحوا ظاهرين) أى فصاروا غالبين على أهل الاديان بالحجة

(سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وثمانية وأربعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله) أى يذكر الله بالتنزيه (مافى السموات ومافى الارض) أى مافى جهة العلو والسفل من الخلق (الملك) فكلهم تحت تصرفه وفى قبضة قدرته (القدوس) أى المنزه عما يخطر ببال أوليائه كما نقل عن الغزالى وقيل أى المبارك أو الطاهر بلا ولد ولا شريك (العزيز) أى الغالب فى ملكه بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء مواضعها وقد قرئت هذه الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) أى هو الذى أرسل الى العرب رسولا من جملتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهو من جنسهم قال ابن عباس المراد بالاميين الذين ليس لهم كتاب ولا نبى بعث فيهم (يتلوا عليهم آياته) التى تبين رسالته وتظهر نبوته مع كونه أميا مثلهم لم يعتد منه قراءة ولا تعلم وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحى وتكون حاله مشابهة لحال أمته الذين بعث فيهم (ويزكيهم) أى يطهرهم من خبث الشرك وخبث

الاقوال والافعال (ويعلمهم الكتاب) أى آيات القرآن (والحكمة) أى وجه التمسك بها وقيل الكتاب هو الآيات نصا والحكمة ما أودع فيها من المعانى (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) أى والحال انهم كانوا من قبل مجئ محمد اليهم بالقرآن لفى ضلال ظاهر لانهم كانوا عبدة الاصنام (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وآخرين معطوف على الاميين ولما يلحقوا صفة لآخرين أى و بعثه الى غير العرب من أى طائفة كانت لم يلحقوا بالعرب الاول وهم كل من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة و يجوز أن يكون معطوفا على الضمير المنصوب فى و يعلمهم أى و يعلم آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم كل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله معلمهم بالقوة أى فى المعنى والحكم لانه أصل الخير والفضل (وهو العزيز الحكيم) حيث جعل فى كل واحد من البشر أثر الفقر اليه وجعل فى كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته (ذلك) أى تفضيل رسول الله على غيره والحاق أبناء العجم الذين آمنوا بقريش شاهدوا الرسول فى درجة الفضل (فضل الله) وهو ما لم يكن مستحقا (يؤتيه من يشاء) وهم رسول الله والاميون والآخرون (والله ذو الفضل العظيم) على جميع خلقه فى الدنيا بتعليم الكتاب والحكمة وفى الآخرة بتفخيم الجزاء على الاعمال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى صفة الذين أمروا بأن يعملوا بما فى التوراة ثم لم يعملوا بما أمروا فيها كصفة الحمار يحمل كتبا كبارا فى عدم انتفاعه بها وقال أهل المعانى هذا المثل مثل من يفهم معانى القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس صفة القوم الذين كذبوا بالتوراة حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) لانفسهم بتكذيب الانبياء (قل يا أيها الذين هادوا) أى الذين تهودوا وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت) أى ان قلتم انكم أحباء الله من دون محمد وأصحابه فتمنوا من الله ان يميتكم و ينقلكم سريعا من دار البلية الى دار الكرامة التى أعدها الله لاحبابه وقوله تعالى فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وقرأ ابن السميقيع وابن يعمر وابن أبى اسحق بكسرها وقرأ ابن السميقيع أيضا بفتحها للتخفيف (ان كنتم صادقين) فى زعمكم فتمنوا الموت فان من أيقن بانه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها وطريقها الموت (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أى و يأبون التمنى للموت بسبب ما عملوا من الكفر وتحريف الآيات الموجب لدخول النار (والله عليم بالظالمين) أى بظلم الظالمين من تحريف الآيات وعنادهم لها (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) أى ان الموت الذى تخافون من ان تتمنوه بلسانكم بسبب ما قدمتموه من تحريف الآيات وغيره ملاقيكم البتة والفاء فى فانه لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرأ زيد بن على انه بدون فاء وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم من غير فانه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) فالله تعالى عالم بما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم و بما أسررتم فى أنفسكم من تكذيبكم رسالته (فينبئكم بما كنتم تعملون) اما عيانا مقرونا بلقائكم يوم القيامة أو بالجزاء ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أى اذا نودى لوقت الصلاة من يوم الجمعة فاذهبوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) أى اتركوا المعاملة (ذلكم) أى الذهاب الى ذكر الله وترك المعاملة (خير لكم) فى الآخرة من التكسب فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم أهل العلم فأنتم ترون ذلك خيرا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا

من فضل الله) أى اذا أديت الصلاة فاخرجوا من المسجد ان شئتم لاقامة مصالحكم واطلبوا الرزق ان شئتم فهذه رخصة بعد النهى بقوله تعالى وذروا البيع وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) على كل حال بالقلب واللسان قال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيتم السوق فقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فان من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا بخير الدارين أى لما جعل يوم الجمعة يوم شكر واظهار سرور وتعظيم نعمة احتيج فيه الى الاجتماع الذى به تقع شهرته فجمعت الجماعات له واحتيج فيه الى الخطبة تذكيرا بالنعمة وهى ما أنعم الله تعالى به عليهم من نعمة الوجود والعقل وغير ذلك مما لا يحصى ولما كان مدار التعظيم انما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة الا فى مسجد واحد ليكون ادعى الى الاجتماع (واذا رأوا تجارة أو لهوا) وهو الطبل أى واذا سمعوا صوتا يدل على قدوم التجارة (انفضوا اليها) أى تفرقوا الى التجارة وقرئ اليهما (وتركوك قائما) على المنبر تخطب قال مقاتل ان دحية بن خليفة الكلبى قبل ان يسلم أقبل بتجارة من الشام وكان معه من أنواع التجارة وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق وكان ذلك فى يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس اليه وترك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق الا اثنا عشر رجلا أو أقل كثمانية أو أكثر كاربعين فقال صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة ونزلت هذه الآية وكان من الذين معه أبو بكر وعمر قال قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما خرج الناس لقدوم دحية بتجارة وظنوا انه ليس فى ترك الخطبة شىء من الاثم أنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة وأخر الصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين زجرا لهم عن العود لمثل ذلك الفعل (ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى ما عند الله من ثواب الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم (والله خير الرازقين) أى أفضل المعطين فمنه اطلبوا الرزق

﴿سورة المنافقون مدنية احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون) أى اذا حضر مجلسك منافقوا أهل المدينة عبد الله ابن أبى ومعتب بن قشير وجد بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد انك لرسول الله) وقولهم نشهد نفى للنفاق عن أنفسهم روى زيد بن أرقم قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكر ذلك عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسولا الى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فأصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فأنزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من

عندرسول الله حتى ينفضوا الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك (والله يعلم انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا وهذه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله و بين قوله تعالى والله يشهد الخ لاماطة توهم توجه التكذيب الى منطوق كلامهم (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى اخبارهم عن أنفسهم انهم يشهدون فان ضمير قلوبهم على غير تلك الشهادة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى سترة عما خافوا على أنفسهم من القتل وقرأ الحسن بكسر همزة أيمانهم (فصدوا عن سبيل الله) أى اعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل منعوا الضعفة عن اتباع رسول الله فى السر وعن الانفاق فى سبيل الله (انهم ساء ما كانوا يعملون) حيث آثروا الكفر على الايمان وأظهروا خلاف ما أضمروا (ذلك) أى سوء أعمالهم (بأنهم آمنوا) فى الظاهر وشابهوا المسلمين فى نطق كلمة الشهادة وفى الافعال (ثم كفروا) أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير و بقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات (فطبع على قلوبهم) لسوء أفعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق وقرى على البناء للفاعل وقرى فطبع الله أى تركهم الله فى أنفسهم الجاهلة وأهوائهم الباطلة (فهم لا يفقهون) شيأ فلا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها ولصباحة وجوههم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها الباب وحقائق (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وقرى يسمع على البناء للمفعول (كأنهم خشب مسندة) أى مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم والوقف هنا تام فقوله عليهم مفعول ثان قال مقاتل اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو نشدت ضالة مثلا ظنوا انهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب وذلك لانهم على وجل من ان يهتك الله أستارهم ويكشف أسرارهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة (فاحذرهم) ان تأمنهم على السر ولا تلتفت الى ظاهرهم فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (قاتلهم الله) أى أهلكهم الله فان أصل المعنى أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر يهلكه لان الله تعالى قاهر لكل معاند فاذا قاتلهم أهلكهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الكفر والضلال (واذا قيل لهم تعالوا) الى رسول الله وتوبوا من الكفر والنفاق (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أى حركوها اعراضا واباء وروى انه لما نزل القرآن فى فضيحة المنافقين أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فأبوا ذلك فنزلت هذه الآية (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الاعتذار (وهم مستكبرون) عن استغفار الرسول لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أى استغفارك لهم وعدمه سواء والسبعة بهمزة قطع مفتوحة من غير مد ووصلها قوم على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرى شاذا آستغفرت بهمزة ثم ألف (لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) أى الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون (هم الذين يقولون) والقائل عبد الله بن أبى لاصحابه المؤمنين الانصار فى غزوة تبوك (لا تنفقوا على من عند رسول الله) وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى لاجل أن يتفرقوا عنه وقرى حتى ينفضوا بضم الياء وسكون النون أى

لاجل ان تفنى أزوادهم (ولله خزائن السموات والارض) أى مفاتيح الرزق يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ان الله يرزقهم وان أمره اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون (يقولون) فى تبوك (لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) قال المفسرون اختلف أجير عمر وهو جهجاه بن سعيد مع أجير عبد الله بن أبى وهو سنان الجهنى فى بعض الغزوات فأسمع أجير عمر عبد الله بن أبى المكروه واشتد عليه لسانه فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه فقال أما والله لئن رجعنا من غزوتنا هذه الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد عبد الله بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله والمؤمنين ثم أقبل على قومه فقال أمسكتم النفقة عن هؤلاء المهاجرين لاوشكوا ان يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فنزلت هذه الآية وسبب غزوة بنى المصطلق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق وهم حى من هذيل يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقع القتال فهزم الله بنى المصطلق وكان سبيهم سبعمائة فلما أخذ النبى جويرية من السبى لنفسه أعتقها وتزوجها فقال المسلمون صار بنو المصطلق اصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبى اكراما لرسول الله ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها وما أعظم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق اهـ واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة) أى القوة (ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله قهره لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) ان الله معز أوليائه ومذل أعدائه ولو علموه ما قالوا مقالتهم روى ان عبد الله بن أبى لما أراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم الاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن فرائض الله تعالى كالصلاة والزكاة والحج (ومن يفعل ذلك) أى ومن الهاه ماله وولده عن طاعة الله تعالى (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقى بالخسيس الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم (من قبل ان يأتى أحدكم الموت) أى مقدمات الموت (فيقول) عند تيقنه بحلول الموت (رب لولا أخرتنى الى أجل قريب) أى هلا أمهلتنى الى أمد قصير بقدر ما أستدرك فيه ما فاتنى (فأصدق) من مالى بتشديد الصاد والدال وقرأ أبى فأتصدق على الاصل (وأكن من الصالحين) أى أكن من الحاجين عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل الا سأل الله الرجعة عند الموت وقرأ أبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على لفظ جواب التمنى والباقون وأكن بالجزم عطفا على محله وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون (ولن يؤخر الله نفسا) أى عن الموت (اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه وقرأ شعبة بالياء التحتية

﴿سورة التغابن مدنية أو مكية ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه تعالى جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا (له الملك) فهو متصرف في ملكه (وله الحمد) على أهل السموات والارض (وهو على كل شئ) من أمر الدنيا والآخرة (قدير) لان نسبة الكل الى قدرته تعالى سواء (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) أي فبعضكم مختار للكفر كاسب له (ومنكم مؤمن) أي وبعض منكم مختار للايمان كاسب له وقال عطاء والزجاج أي فمنكم جاحد بأنه تعالى خلقه وهو من أهل الطبائع والدهرية ومنكم مصدق بأنه تعالى خلقه والمعنى انه تعالى تفضل عليكم بأصل النعم التي هي الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم ذلك بل تفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مؤمن (والله بما تعملون بصير) من الكفر والايمان فيجازيكم على ذلك (خلق السموات والارض بالحق) أي بالارادة القديمة على وفق الحكمة (وصوركم) في الارحام (فأحسن صوركم) فمن نظر في قد الانسان ومناسبته بين أعضائه فقد علم ان صورته أحسن صورة وقد وجد فيه القوى الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة لحسن هذه الصورة (واليه المصير) أي المرجع (يعلم ما في السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور (والله عليم بذات الصدور) أي بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبلكم كقوم نوح ومن بعدهم (فذاقوا) من غير مهلة (وبال أمرهم) أي شدة أمرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم ذلك) أي العذاب في الدنيا والآخرة (بأنه) أي الشأن (كانت) أي القصة (تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج الظاهرات فانكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا (فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا) بالرسل (وتولوا) أي اعرضوا عن الايمان (واستغنى الله) أي اظهر الله تعالى غناه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم ولم يلجئهم الى ذلك (والله غني) عن عبادتهم من الازل (حميد) أي مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده أحد (زعم الذين كفروا) من أهل مكة (أن لن يبعثوا) أي انهم لن يبعثوا بعد موتهم أبدا (قل) يا أشرف الخلق لهم (بلى) تبعثون (وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتحاسبن ولتجزون على أعمالكم (وذلك) أي البعث والجزاء (على الله يسير) لثبوت قدرته التامة فلا يصرفه صارف (فآمنوا بالله ورسوله) أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) وهو القرآن فانه يهتدى به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات وذلك لئلا ينزل بكم ما نزل بالكفار الماضية من العقوبة (والله بما تعملون خبير) فمجازلكم عليه (يوم يجمعكم ليوم الجمع) أي لاجل ما في يوم القيامة من الحساب والجزاء وسمي بالجمع لان الله تعالى يجمع فيه الاولين والآخرين من أهل السموات وأهل الارض ويوم ظرف للتنبؤن وقرئ نجمعكم بنون العظمة (ذلك يوم التغابن) أي يوم ظهور غبن كل كافر بترك الايمان وعن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله) مع ما جاءت به الرسل من الحشر والنشر والجنة والنار وغير ذلك (ويعمل صالحا) الى أن يموت في ايمانه (يكفر) أي الله (عنه سيآته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك) أي تكفير السيآت وادخال الجنات (الفوز العظيم)

الذى لافوز وراءه وقرأنافع وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما (والذين كفروا) بوحدانية الله و بقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) النار (ماأصاب) أحدا (من مصيبة) دينية أودنيوية فى بدن وأهل ومال (الا باذن الله) أى بتقديره وارادته ومن مصيبة فاعل بزيادة من قيل وسبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ماعليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا (ومن يؤمن بالله) بأن يرى المصيبة من الله (يهد قلبه) عند المصيبة للتسليم لامر الله فيسترجع وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ بالهمزة على وزن يقطع ويخضع أى يسكن فيسلم لقضاء الله تعالى ويصبر على المصيبة (والله بكل شئ عليم) فيعلم اطمئنان القلب عند المصيبة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى هونوا المصائب على أنفسكم واتبعوا الاوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول فيما دعاكم اليه (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى فان أعرضتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فلا بأس عليه اذ ماعليه الا التبليغ الظاهر وقد فعل ذلك (الله لااله الا هو) أى الله المستحق للعبودية لامستحقا للعبودية يصح أن يوجد الا هو وجملة لااله الا هو خبر لاسم الجلالة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فى كل باب لانه لامقصود الا هو فان المؤمن لايعتمد الا عليه ولا يتقوى الا به (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) قال عطاء بن يسار نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا أهل وولد فاراد أن يغزو فبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فرق عليهم وأقام فى البلد وترك الغزو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد تفقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم وان لحقوا بهم فى دار الهجرة لم ينفقوا عليهم ولم يصيبوهم بخير فنزل قوله تعالى وان تعفوا عن ذنوبهم وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها بعدما هاجروا من مكة الى المدينة فان الله يعاملكم بمثل ماعملتم وهذه العداوة انما هى للكفر والنهى عن الاسلام فانهم من الكفار أما أزواجهم وأولادهم المؤمنون فلا يكونون عدوا لهم (انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء وشغل عن الآخرة اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد (فاتقوا الله ماستطعتم) أى ابذلوا فى تقوى الله غاية طاقتكم وهذا مثل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه لايراد به الاتقاء فيما لايستطيعونه فوق الطاقة (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم (خيرا لانفسكم) أى وائتوا خيرا لانفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من يكفه الله بخل نفسه فيفعل فى ماله جميع ماأمر به مطمئنا اليه حتى ترتفع عن قلبه الاخطار فأولئك هم الفائزون بكل مرام (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) أى ان تنفقوا فى طاعة الله تعالى من حلال بطيب نفس متقرب بين اليه يجزكم بالضعف الى ألفى ألف الى ماشاء الله من الاضعاف وقرئ يضعفه بتشديد العين (و يغفر لكم) مافرط منكم من بعض الذنوب ببركة الانفاق (والله شكور) يشكر اليسير ويجزى الجزيل من صدقاتكم (حليم) لايعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته أو يمتنع من التصدق (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ من الخشية والمن

(العزيز

(العزيز) أى الذى لايعجزه شئ (الحكيم) أى الذى لا يلحقه الخطأ فى التدبير فالعزيز يدل على القدرة والحكيم يدل على الحكمة

﴿سورة الطلاق مدنية ثنتا عشر آية مائتان وتسع وأربعون كلمة وألف ومائة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) أى اذا أردتم تطليق النساء فطلقوهن مستقبلات لزمان عدتهن وهو الطهر (وأحصوا العدة) أى احفظوا القرؤ للعدة لتعرفوا زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد (واتقوا الله ربكم) فى الاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) أى من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن (ولايخرجن) ولو باذن منكم لان فى العدة حقا لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى الا فى حال كونهن آتيات بزنا ظاهر أو مشهود عليه بأربعة شهود فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يردون الى منزلهن كما قاله ابن مسعود أو الا فى حال أن يبذون على الازواج أو على أهلهم فيحل لهم حينئذ اخراجهن لسوء خلقهن كما قاله ابن عباس ويؤيده قراءة الا أن يفحشن عليكم وقال ابن عمر الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أى الاحكام (حدود الله) وهى الموانع عن المجاوزة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أى ومن يتجاوز الحدود فقد ضر نفسه لانه وضعها فى غير موضعها (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى فانك لاتدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك التعدى أمرا يقتضى الرجعة بان يبدل الله ببغض المرأة محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها فان العدة اذا لم تكن مضبوطة أو انتقلت المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة (فاذا بلغن أجلهن) أى قارين انقضاء أجل العدة فأنتم بالخيار (فأمسكوهن بمعروف) أى ان شئتم فراجعوهن بحسن معاشرة وانفاق لائق (أو فارقوهن بمعروف) أى وان شئتم فاتركوهن من غير مراجعة بايفاء الحق واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر العدة ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها (وأشهدوا) يا أيها الازواج (ذوى عدل منكم) عند التطليق وعند الرجعة قطعا للنزاع فهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة وهو عند الشافعى واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة التى تحملتموها عند الحكام يا أيها الشهود لوجه الله تعالى (ذلكم) أى الاشهاد واقامة الشهادة (يوعظ به) أى يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يقال نزلت الآيات من أول السورة الى ههنا فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من أصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة (ومن يتق الله) أى يصبر على المصيبة (يجعل له مخرجا) من الشدة وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة نزلت هذه الآية فى عوف ابن مالك الاشجعى أسر العدو ابنا له يسمى سالما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله ففعل ذلك فبينما هو فى بيته اذ أتاه ابنه سالم ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فذلك قوله تعالى (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من وجه لايخطر بباله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى ومن يثق بالله فيما ناله

فهو كافيه فى جميع أموره (ان الله بالغ أمره) وقرأ حفص بالاضافة أى منفذ أمره والباقون بالتنوين ونصب أمره أى يبلغ مراده فى جميع خلقه وقرى برفع أمره أى نافذ تدبيره وقرأ المفضل بالغا أمره على ان قوله قد جعل الله خبران و بالغا حال من اسم الجلالة (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء (قدرا) أى أجلا ينتهى اليه وروى ان معاذ بن جبل قال يارسول الله قد عرفنا عدة التى تحيض فما عدة التى لم تحض فنزل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنة و بخمس وخمسين (ان ارتبتم) أى ان أشكل عليكم حكمهن فى العدة أو ان جهلتم بمقدار عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) فقام رجل فقال يارسول الله فما عدة الصغيرة التى لم تحض فنزل (واللائى لم يحضن) لصغرهن هن بمنزلة الكبيرة التى قد يئست وهذه معطوفة على واللائى يئسن عطف المفردات فقام رجل آخر وقال وما عدة الحوامل يارسول الله فنزل (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أى والحبالى منتهى عدتهن وأجل انقطاع ما بينهن وبين الازواج وضع الحمل سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن لخبر سبيعة بنت الحرث انها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فاباحة النكاح قبل مضى أربعة أشهر وعشر دليل على ان عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل فى جميع الاحوال والحمل اسم لجميع مافى بطنهن فلا تنقضى العدة بوضع بعض حملهن وقرى أحمالهن (ومن يتق الله) فى شأن أحكامه (يجعل له من أمره يسرا) أى ييسر الله عليه فى أمره ويوفقه للعمل الصالح وقال عطاء يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أى الذى ذكر من الاحكام (أمر الله) أى فرائضه (أنزله اليكم) أى بينه لكم فى القرآن (ومن يتق الله) بطاعته ويعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (يكفر عنه سيآته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) فى الآخرة بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أى أسكنوا المعتدات مسكنا من بعض مكان سكناكم على قدر طاقتكم ووجدكم بضم الواو باتفاق القراء السبعة وقرى بفتح الواو وكسرها (ولا تضاروهن) فى السكنى والنفقة (لتضيقوا عليهن) بهما حتى تلجئوهن الى الخروج من المسكن أو الى ان تفتدى الرجعية نفسها منكم (وان كن أولات حمل) أى وان كن المطلقات حبالى (فأنفقوا) أيها الازواج (عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا بيان حكم المطلقة البائنة أما الحوامل المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن وأما الرجعية فانها تستحق النفقة وان لم تكن حاملا ومذهب مالك والشافعى انه ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى لان عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى شأن المطلقة لها النفقة والسكنى ولان ذلك جزاء الاحتباس وهو مشترك بين المبتوتة وغيرها ولو كان جزاء للحمل لوجب فى ماله اذا كان له مال ولم يقولوا به ونحن معشر الشافعية نقول ان الحامل قد يتوهم انها لا نفقة لها لطول مدة الحمل فأثبت لها النفقة ليعلم ان غيرها بطريق الاولى (فان أرضعن لكم) أولادكم منهن بعد انقضاء علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على ذلك الارضاع ولا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه للرجل استئجار امرأته للرضاع اذا كان الولد منها مالم تبن ويجوز عند الشافعى مطلقا وفى هذه الآية دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد وحق الامساك والتربية على الزوجات وفيها دليل على ان اللبن ملك لها

(وائتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا بتراضى الاب والام ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاشرة ولا من الرجل تقصير فى حق المرأة ونفقتها ولا من المرأة فى حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) كأن أبى الزوج ان يعطى المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضع الولد مجانا (فسترضع له أخرى) أى فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر الاب للصبى مرضعا غير امه (لينفق) على المرضعات المطلقات وعلى خلافها (ذوسعة من سعته) أى ذو غنا على قدر غناه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أى ومن ضيق عليه معيشته فلينفق على الزوجة والولد الصغير على قدر ما أعطاه الله من المال وان قل (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أى الا بقدر ما أعطاها من الرزق جل أو قل فانه تعالى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى بعد ضيق سعة وبعد شدة رخاء عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى وكم من أهل قرية أعرضوا عن قبول أمر ربهم وعن اجابة أمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أى فحاسبناهم فى الآخرة على أعمالها بالمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكرا) أى وعذبناهم عذابا عظيما وهو عذاب نار جهنم (فذاقت وبال أمرها) أى فذاقوا عقوبة كفرهم (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى وكان عاقبة عتوها هلاكا بعذاب الدنيا وعذاب النار (أعد الله لهم) فى الآخرة (عذابا شديدا) لو نابعدلون (فاتقوا الله) عن ان تكفروا به وبرسوله (يا أولى الالباب) أى يا ذوى العقول من الناس (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) والوقف على ذكرا تام ان نصب رسولا بالاغراء أى عليكم رسولا أو بفعل مقدر أى وأرسل رسولا فحينئذ فالذكر هو القرآن والرسول هو النبى صلى الله عليه وسلم ولا وقف على ذكرا ان جعل رسولا بدلا منه فحينئذ فالذكر الرسول هو جبريل عليه السلام سمى بالذكر لانه مذكور فى السموات أو فى الامم أو لشرفه ويؤيده قراءة رسول بالرفع أى هو رسول (يتلوا عليكم آيات الله) أى القرآن (مبينات) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسر الياء لان الآيات تبين الاحكام من الامر والنهى والحلال والحرام والباقون بالفتح لان الله تعالى أوضح الآيات وبينها من عنده (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الشبهة الى نور الحجة ومن ظلمة الجهل الى نور العلم وقوله تعالى ليخرج اما متعلق بأنزل والضمير فيه راجع الى اسم الجلالة أو بيتلوا فالضمير فيه راجع للرسول (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (يدخله) فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) قال الزجاج أى قد رزقه الله الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل قد رزقه الله طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة وجملة قد أحسن الله الخ حال ثانية من مفعول يدخله (الله الذى خلق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن) أى فى العدد لكنها منبسطة والعامة بنصب مثلهن عطفا على سبع سموات وقرأ عاصم فى رواية برفعه على الابتداء وخبره من الارض روى البخارى وغيره ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها (يتنزل الامر بينهن) أى ينفذ تصرفه فيهن ويجرى قضاؤه بينهن قال عطاء أى يتنزل الوحى الى الخلق فى كل أرض وفى كل سماء وقال مقاتل

يتنزل الوحي من السماء العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك ذاك مثلا وقرئ ينزل الامر بينهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) أى لكى تعلموا اذا تفكرتم فى خلق السموات والارض ان من بلغت قدرته هذا المبلغ الذى لا يمكن ان يكون لغيره كانت قدرته ذاتية لا يعجز شئ عما أراده وقوله تعالى لتعلموا متعلق بخلق أو بيتنزل وقرئ ليعلموا بالياء (وأن الله قد أحاط بكل شئ) من الكليات والجزئيات (علما) لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء فتبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿سورة التحريم وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم مدنية ثنتا عشرة آية مائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) أى لم تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله تعالى لك من ملك اليمين أو من العسل روى أنه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فطلق حفصة واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما كان رسول الله طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والشعبي ومسروق ورواية ثابت عن أنس ورواية البزار من حديث ابن عباس ورواية الطبرانى من حديث أبى هريرة ورواية الضياء من حديث عمر والذى فى الصحيحين أن الذى حرمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه هو شرب العسل فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وهو صمغ حلو له رائحة كريهة فحرم العسل على نفسه فنزلت هذه الآية (تبتغى) أى تطلب بتحريم مارية أو العسل (مرضات أزواجك) عائشة وحفصة (والله غفور) قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك فى تلك اليمين وقد نقل جماعة من المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يطأ جاريته فذكر الله له ما أوجب من كفارة اليمين وأيضا أن أبا حنيفة يرى تحريم الحلال يمينا فى كل شئ فاذا حرم شخص طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وان نوى عددا كان نوى ثنتين أو ثلاثا فكما نوى وان قال كل حلال على حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة فى النساء فقط وان نوى الطلاق فهو رجعى عنده (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى أوجب الله عليكم كفارة ككفارة أيمانكم أو قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة فاذا كفر الحالف صار كمن لم يحلف وقرئ كفارة أيمانكم (والله مولاكم) أى حافظكم وناصركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) أى المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه الحكمة (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) أى واذكر اذ أخبر النبي حفصة فى السر بكلام استكتمها ذلك قال ابن عباس لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة فى وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر اليها بشيئين تحريم مارية على نفسه والبشارة بأن الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه) قرأ

الجمهور بتشديد الراء أي فلما أخبرت حفصة بسر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ظنا منها أنه لا حرج عليها في ذلك وأطلع الله نبيه على ما أخبرت حفصة عائشة بين النبي لحفصة بعض ما قالت لعائشة من خلافة أبي بكر وعمر وعاتبها على ذلك خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ويلك ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها أبي وقرأ الكسائي بالتخفيف أي جازى على ذلك البعض بأن طلق حفصة مجازاة على بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) أي وسكت عن بعض من تحريم مارية القبطية على نفسه ولم يلم حفصة على ذكر ذلك حياء وحسن عشرة (فلما نبأها به) أي فلما أخبر النبي حفصة بما قالت لعائشة (قالت) أي حفصة (من أنبأك هذا) أي من أخبرك بأني أفشيت السر لعائشة وقد ظنت أن عائشة هي التي أخبرته (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (نبأني العليم الخبير) بقولك لعائشة وبقولي لك (ان تتوبا) يا حفصة ويا عائشة من ايذائكما رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى الله) تاب الله عليكما (فقد صغت قلوبكما) أي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة اذ قد مالت قلوبهما عن الحق وأحبت الى ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم وهو اجتنابه جاريته وقرئ فقد زاغت (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أي وان تتعاونا أنتما على النبي صلى الله عليه وسلم بالايذاء لم يضره ذلك التعاون منكما فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين وأبو بكر وعمر كما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وبه قال عكرمة ومقاتل (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر من ذكر (ظهير) أي أعوان له صلى الله عليه وسلم فقوله جبريل عطف على محل اسم ان قبل دخولها وكذا وصالح المؤمنين فمولاه خبر عن الكل فيقدر بعد كل واحد منهما ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع وقرأ الكوفيون تظاهرا بتخفيف الظاء واسقاط احدى التاءين والباقون بتشديدها وقرئ على الأصل أي بالتاءين وقرئ تظهرا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون وهم أهل الكوفة بسكونها وقال ابن عرفة وعسى هنا للتخويف لا للوجوب وجملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط أي ان طلقكن فعسى ربه أن يبدله (مسلمات) أي مقرات بالالسن (مؤمنات) أي مصدقات بالقلوب بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي مطيعات لله ولازواجهن وقيل قائمات بالليل للصلاة (تائبات) من الذنوب (عابدات) أي كثيرات العبادات متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) أي صائمات كما قاله ابن عباس أو مهاجرات كما قاله الحسن وقرئ سيحات (ثيبات وأبكارا) فالثيب تمدح من جهة أنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حملا غالبا والبكر تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة غالبا وسميت الثيب ثيبا لانها ثابت أي رجعت الى بيت أبويها وسميت العذراء بكرا لانها على أول حالتها التي خلقت بها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي علموا أنفسكم ونساءكم وأولادكم الخير وأدبوهم بأن تأمروهم بالخير وتنهوهم عن الشر تقوهم بذلك نارا وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا (وقودها الناس والحجارة) أي حطبها الكفار وحجارة الكبريت وقرئ وقودها بضم الواو (عليها) أي النار (ملائكة) تسعة عشر وهم الزبانية (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم

أكل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل اشتمال من الله أي لا يعصون أمره أو منصوب على نزع الخافض أي فيما أمرهم به من عذاب أهل النار (ويفعلون ما يؤمرون) أي يؤدون ما يؤمرون به من غير توان ويقولون للكفار عند ادخالهم النار (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اذ الاعتذار هو التوبة وهي غير مقبولة بعد الدخول في النار فلا ينفعكم الاعتذار (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم أي انما أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أي بالغة في النصح بأن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون اليها وقرأ شعبة بضم النون وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لينصح أنفسكم والباقون بفتحها فهو صفة مشبهة (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) أي ان يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) أي صاحبوه في وصف الايمان والموصول اما معطوف على النبي واما مبتدأ خبره جملة قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم) عند المشي على الصراط (وبايمانهم) أي ويسعى عن ايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه نور (يقولون) عند اطفاء نور المنافقين خائفين من أن يطفأ نورهم (ربنا أتمم لنا نورنا) أي ابق لنا نورنا (واغفر لنا انك على كل شيء قدير) وقيل الذين يمرون على الصراط حبوا وزحفا هم الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والسنان (والمنافقين) بالحجة واللسان (واغلظ عليهم) أي واشدد على كلا الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار (امرأة نوح) والهة (وامرأة لوط) والعة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) بالكفر كما قاله عكرمة والضحاك وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومه وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أي فلم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا من عذاب الله شيأ وذلك تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أي وتقول لهما خزنة النار ادخلا النار مع الداخلين في النار (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) أي جعل الله حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان واسمها آسية بنت مزاحم آمنت حين سمعت قصة القاء موسى عصاه وتلقف العصا فعذبها فرعون عذابا شديدا بسبب الايمان فانه أوتدها بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وألقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقى بروحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه (اذ قالت) ظرف لمثلا (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) أي رب ابن لي بيتا قريبا من رحمتك (ونجني من فرعون) أي من نفسه الخبيثة (وعمله) السيء وهو شركه أو جماعه كما قاله ابن عباس (ونجني من القوم الظالمين) أي من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها) عن الفواحش فانها قذفت بالزنا (فنفخنا فيه) أي في فرجها كما قاله البقاعي وقرئ فيها أي في مريم وقال الرازي وقوله تعالى فيه أي في عيسى ومن قرأ فيها أي في نفس عيسى (من روحنا) أي من روح خلقناه بلا توسط أصلا والمعنى أوصلنا الى فرجها الريح الخارج من نفس جبريل لما انفخ في جيب قميصها فوصل

اليه فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) أى بالصحف المنزلة على ادريس وغيره قال مقاتل أى بعيسى ويدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها بالافراد وقرئ بكلمة الله (وكتبه) وقرأ أبو عمرو وحفص بصيغة الجمع أى بالكتب الاربعة والباقون وكتابه بالافراد أى و بكتابه المنزل عليه وهو الانجيل وقوله تعالى وصدقت بالتخفيف والتشديد على ان مريم جعلت الكلمات والكتب صادقة بمعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (وكانت من القانتين) أى من القوم المطيعين لله فى الشدة والرخاء وقال عطاء من المصلين وهم رهطها لانهم أهل بيت صالحين لانها من أعقاب هرون أخى موسى وضرب هذه الامثال مشتمل على فوائد منها التنبيه على الثواب العظيم والعذاب الاليم ومنها العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يضر المصلح ومنها ان الرجل وان كان فى غاية الصلاح فلا يأمن المرأة ولا يأمن نفسه ومنها العلم بأن احصان المرأة مفيد غاية الافادة ومنها التنبيه على ان التضرع بالصدق فى حضرة الله تعالى وسيلة الى الخلاص من العقاب والى الثواب بغير حساب وان الرجوع الى الحضرة الازلية لازم فى كل باب

﴿سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وعن ابن عباس انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن قارئها فى القبر وتدعى فى التوراة المانعة مكية ثلاثون آية وثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك) أى تنزه الذى فى قدرته سائر الكائنات عن ان يكون جسما أو فى مكان أو غير ذلك من صفات الحوادث (وهو على كل شئ) من الاشياء (قدير) يتصرف فيه حسب ما تقتضيه مشيئته يعز من يشاء و يذل من يشاء و يحيى و يميت و يغنى و يفقر و يعطى و يمنع (الذى خلق الموت والحياة) فالموت صفة وجودية مضادة للحياة والمراد به الموت الطارئ و بالحياة ماقبله وما بعده وروى الكلبى عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حيى اهـ وهذا كلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير (ليبلوكم) وهو متعلق بخلق أى خلق موتكم وحياتكم ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن عملا) أى أخلص عملا وأصوبه كما قاله الفضيل بن عياض اهـ وقال قتادة أى أيكم أحسن عقلا أى أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظر وقال الحسن أيكم أزهد فى الدنيا وأشد تركا لها وقال السدى أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد خوفا وحذرا (وهو العزيز) أى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (الذى خلق سبع سموات طباقا) أى مطابقة بعضها فوق بعض والسماء الدنيا محيطة بالارض احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالسماء الدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل (ماترى) أيها المخاطب (فى خلق الرحمن) للسموات ولغيرها (من تفاوت) أى من عدم تناسب قرأ حمزة والكسائى من تفوت بتشديد الواو (فارجع البصر) أى رد بصرك الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) أى شقوق وعيوب (ثم ارجع البصر كرتين) أى ارجع البصر الى السماء رجعة بعد رجعة وان كثرت

(ينقلب اليك البصر خاسئا) أى بعيدا من اصابة ما التمسه من العيب (وهو حسير) أى كليل لكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من الناس (بمصابيح) أى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج (وجعلناها رجوما للشياطين) أى جعلنا الكواكب رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب اذا أرادوا استراق السمع (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير كما أن للذين عطف على لهم فهو عطف المفرد على المفرد وعلى هذا فالوقف على السعير جائز وان قرئ عذاب جهنم بالرفع كما هو قراءة الجمهور فالوقف على السعير تام (وبئس المصير) جهنم (اذا ألقوا) أى الكفار (فيها سمعوا لها) أى لجهنم (شهيقا) أى صوتا كصوت الحمار (وهى تفور) أى والحال ان جهنم تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) أى تقرب جهنم تتفرق من شدة الغضب على الكفار وقرئ شاذا تتميز على الاصل (كلما ألقى فيها فوج) أى جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا (قالوا) اعترافا منهم بعدل الله واقرارا بان الله أزاح عللهم ببعثة الرسل (بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهة الله تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات (ما نزل الله) على أحد (من شئ) أى من كتاب (ان أنتم الا فى ضلال كبير) أى ما أنتم أيها النذر فى ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات الا فى ضلال كبير أى بعيد عن الصواب ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار والمعنى ما أنتم أيها الكفار الا فى ضلال كبير فى الدنيا وهو الشرك بالله وفى هلاك عظيم فى العذاب (وقالوا) للخزنة (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق أو نعقله عقل من كان متفكرا لما كنا اليوم مع أهل الوقود فى النار (فاعترفوا بذنبهم) أى أقروا بتكذيبهم الرسل وبكفرهم بآيات الله (فسحقا لاصحاب السعير) وهو منصوب اما على المفعول به أى ألزمهم الله سحقا أى بعدا من رحمته أو على المصدر والتقدير سحقهم الله سحقا أى باعدهم الله من رحمته مباعدة وقرأ الكسائى بضم الحاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى حال كونهم فى الخلوة حيث لا يراهم الناس (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) فى الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) أى عليم بالقلوب وأحوالها فاحذروا من المعاصى سرا كما تحترزون عنها جهرا فانه لا يتفاوت ذلك بالنسبة الى علم الله تعالى قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فأنزل الله هذه الآية (ألا يعلم من خلق) أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد جميع الاشياء فمن خلق شيأ لا بد وأن يكون عالما بمخلوقه (وهو اللطيف الخبير) أى والحال انه تعالى الفاعل للاشياء اللطيفة العالم ببواطن الامور (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) أى لينة يسهل عليكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) أى فاسلكوا فى جوانبها (وكلوا من رزقه) أى كلوا مما خلقه الله رزقا لكم فى الارض (واليه النشور) أى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض) فان يخسف بدل اشتمال من من أى أتأمنون يا أهل مكة من قد أقررتم بانه فى السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء وهو متعال عن المكان أن يغور بكم الارض بعد ما جعلها لكم لينة (فاذا هى) أى الارض (تمور) أى تضطرب وتتقلب (أم أمنتم من فى السماء) أى بل أأمنتم أيها

المكذبون من تزعمون انه فى السماء وهو منزه عن المكان (أن يرسل عليكم حاصبا) أى ريحا فيها حجارة (فستعلمون كيف نذير) أى فستعلمون عاقبة انذارى اياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة (فكيف كان نكير) أى انكارى وتغيرى عليكم أليس وجدوا العذاب حقا (أولم يروا) أى أغفلوا ولم ينظروا (الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا (ما يمسكهن) فى الجو عند البسط والقبض (الا الرحمن) أى الواسع رحمته كل شئ وهذه الجملة مستأنفة فالوقف على يقبضن تام كالوقف هنا (انه بكل شئ بصير) فيكون الله رائيا لنفسه ولجميع الموجودات (أمن هذا الذى هو جند لكم) أى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم فأم بمعنى بل ومن اسم استفهام مبتدأ خبره اسم الاشارة وقرأ طلحة بتخفيف الميم هنا وتشديده ثم والمعنى أهذا الذى هو جند لكم أم الذى يرزقكم (ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور) أى ما الكافرون الا فى غرور من الشيطان فهو يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم اعلم أن الكافرين كانوا يمتنعون عن الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بمالهم وجندهم وثانيهما اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات وقد أبطل الله عليهم الاول بقوله تعالى أم من هذا الذى هو جند لكم الآية ورد عليهم الثانى بقوله تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أى بل من الذى يرزقكم من آلهتكم ان أمسك الله الرزق عنكم بل لو كان الرزق موجودا سهل التناول فوضع الآكل لقمة فى فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات والارض عن أن يسوغوا تلك اللقمة (بل لجوا فى عتو ونفور) أى بل تمادوا فى اباء عن الحق وشراد عن الايمان ثم ضرب الله مثلا للمشرك والموحد فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) أى أفمن يمشى فى مكان غير مستو فيعثر كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة اهدى الى المقصد أم من يمشى معتدلا على طريق مستو لا عوج فيه ولا انحراف سالما من العثور والخرور (قل هو الذى أنشأكم) أى أوجدكم ايجادا بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا بها الآيات القرآنية (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه من الآيات التنزيلية وفيما تشاهدونه من الآيات التكوينية (قليلا ما تشكرون) لان شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة الى وجه رضاه وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل الى غير طلب مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمته البتة (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وكثركم (فى الارض واليه تحشرون) فى الآخرة للجزاء (ويقولون) أى كفار مكة من فرط عنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود (ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين بما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته (قل انما العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) أنذركم وقوع الموعود فان العلم بالوقوع غير العلم بوقت الوقوع فالعلم الاول كاف فى الانذار والعلم الثانى ليس الا لله (فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) أى ذا قرب (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وجوههم وعلتها الكآبة وصارت كوجه من يقاد الى القتل (وقيل) أى قال لهم الخزنة توبيخا (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه استهزاء أو هذا الذى كنتم تدعون انه باطل لا يأتيكم وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والضحاك ويعقوب وأبو زيد وأبو بكر وابن أبى عبلة ونافع فى رواية الاصمعى بسكون الدال من الدعاء وهى مؤيدة للقول بان

تدعونا مثقلة من الدعاء في قراءة العامة وقيل من الدعوى (قل أرأيتم) أي اخبروني (ان أهلكني الله) أي ان أماتني الله (ومن معي) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا فأي راحة لكم في ذلك وأي منفعة لكم فيه يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك حين خوفهم النبي بعذاب الله (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أي من الذي يجيركم من عذاب الله اذا نزل بكم أتظنون ان الاصنام تجيركم فاذا علمتم ان لا مجير لكم منه سواء متنا أو بقينا فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث (قل هو) أي الذي أدعوكم الى عبادته (الرحمن) أي معطي النعم كلها (آمنا به) ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) لا على غيره كما فعلتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم وهو لا يقبل دعاءكم لانكم أهل الكفر (فستعلمون) عند معاينة العذاب في الآخرة (من هو في ضلال مبين) أي ظاهر أنحن أم أنتم وقرأ الكسائي فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أي اخبروني (ان أصبح ماؤكم غورا) أي ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض بالكلية أو بحيث لا تناله الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أي ظاهر سهل المأخذ تراه العيون فلا بد لهم وان يقولوا الا يأتينا به الا الله فقل لهم حينئذ فلم تجعلون من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في المعبودية وكان ماؤهم من بئر زمزم و بئر ميمون و يستحب ان يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد في الحديث

﴿سورة القلم وتسمى سورة ن مكية اثنتان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ن) أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل الارضين على ظهرها واسمها ليواش وهي في الماء تحت الارض السفلى وتحتها الثور واسمه يهموت وتحته الصخرة وتحتها الثرى ولا يعلم ما تحته الا الله تعالى وهذا مروي عن ابن عباس وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي لطخ سهم غرود بدمه والقول الثاني وهو مروي أيضا عن ابن عباس ان النون هو الدواة وعلى هذا أقسم الله تعالى بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة (والقلم) أقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض (وما يسطرون) أي وما يكتب الملائكة في صحفهم يكتبون فيها المقادير التي تنفع في العالم ينتسخون ذلك من اللوح المحفوظ (ما أنت) يا أكرم الخلق (بنعمة ربك بمجنون) أي أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حراء فطلبته فلم تجده فاذا به وجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك قال صلى الله عليه وسلم ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ ثم توضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة ذهبت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فسألته فقال ارسلي الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل أمرك جبريل ان تدعو الى الله أحدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول فلما دعا صلى الله عليه وسلم كفار قريش الى الله قالوا انه لمجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون (وان لك) يا أكرم

الخلق على ماتحملت من أثقال الرسالة ومن ألوان الشدائد من جهة قومك (لاجرا غير ممنون) أى غير
مقطوع (وانك لعلى خلق عظيم) كانت نفسه صلى الله عليه وسلم شديدة النفرة عن اللذات البدنية
والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة عن عائشة قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم مادعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال أنس خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى فى شئ فعلته لم فعلت ولا فى شئ لم أفعله هلا فعلت (فستبصر ويبصرون)
أى فستعلم يا محمد ويعلم المشركون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل أو فسترى يا محمد ويرون فى
الدنيا انك تصير معظما فى القلوب وانهم يصيرون ذليلين (بأيكم المفتون) والباء اما زائدة أى أيكم
الذى فتن بالجنون أو بمعنى فى أى فى أى الفريقين المجنون أفى فرقة الاسلام أم فى فرقة الكفار ويؤيده
قراءة ابن أبى عبلة فى أيكم وقيل ان المفتون مصدر جاء على مفعول والتقدير بأيكم الفتون أى الجنون
(ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله تعالى
المؤدى الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) أى وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون الى سبيله الفائزون
بكل مطلوب الناجون عن كل محذور (فلا تطع المكذبين) وهم رؤساء أهل مكة الذين دعوه صلى الله
عليه وسلم الى دين آبائهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أى تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه
مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك وان يتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك ولو مصدرية أى
ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف فى الحق
والباطل (مهين) أى ضعيف فى دين الله حقير فى التدبير والتمييز (هماز) أى عياب طعان
(مشاء بنميم) أى نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه الافساد بينهم (مناع للخير) أى بخيل بالمال
أو مناع للناس من الدخول فى دين الاسلام (معتد) أى ظلوم (أثيم) أى مبالغ فى الاثم (عتل) أى
شديد الخصومة أو واسع البطن (بعد ذلك) أى مع ذلك المثالب (زنيم) أى دعى ملصق بالقوم وليس منهم
والظرف متعلق بزنيم قيل هو الوليد ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة سنة من ولادته ونسبه لنفسه بعد ان
كان لا يعرف له أب ولما نزلت هذه الآية قال لامه ان محمدا وصفنى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها
فان لم تصدقينى الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك أى المغيرة عنين فخفت على المال فمكنت الراعى من
نفسى وكان للوليد عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه لئن تبع دين محمد أحد منكم لا أنفعه بشئ
أبدا فمنعهم من الاسلام وكان ينفق فى الحجة الواحدة عشرين ألفا وألفا ولا يعطى المسكين درهما واحدا وهذه
الآية عند أكثر المفسرين نزلت فى الوليد بن المغيرة وعند ابن عباس فى أبى جهل وعند مجاهد فى الاسود بن
عبد يغوث وعند السدى فى الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان) أى لاجل ان
كان هذا الموصوف (ذامال وبنين) وهذا اما متعلق بما قبله أى لا تطع كل حلاف الآية لكثرة ماله
وأولاده أو بما دل عليه ما بعده أى انه كفر بآياتنا لان كان ذامال وبنين وفى قراءة سبعية أأن بهمزتين
مفتوحتين أى ألان كان ذامال وبنين نطيعه أو ألان كان ذامال وبنين يكفر ويستكبر وكان مال الوليد
ابن المغيرة نحو تسعة آلاف مثقال من فضة وبنوه عشرة (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال
أساطير الاولين) أى هى أحاديث الاولين فى كذبهم (سنسمه على الخرطوم) أى سنجعل له فى الآخرة
علامة على أنفه يعرف بها أهل القيامة انه كان فى عداوة الرسول وفى انكار الدين الحق كما قاله قتادة قال
ابن عباس أى سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش وروى انه قاتل يوم بدر فخطم

بالسيف في القتال (انا بلوناهم) أي أهل مكة بالقحط بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم بعد يوم بدر سبع سنين (كما بلونا أصحاب الجنة) أي أهل البساتين كانت بصروان روى ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان علك ضيعة فيها نخل و زرع بقرب صنعاء وكان يجعل من كل مافيها عند الحصاد نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه وقالوا عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا ان نعطي المساكين مثل ما كان يفعل أبونا فأحرق الله جنتهم وكانوا بعد عيسى بن مريم بزمن يسير (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أي حين حلفوا بالله ليقطعن ثمر نخيلهم في وقت الصباح (ولا يستثنون) أي لا يقولون ان شاء الله أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي فطرقها في الليل طارق من عذاب الله قال الكلبي أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون (فأصبحت كالصريم) أي فصارت البساتين بالاحتراق شبيهة بالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شئ أو صارت كالليل في اسودادها أو كالنهار في ابيضاضها من فرط اليبس (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أي فنادى بعضهم بعضا عند طلوع الفجر أي اذهبوا الى الثمار والزروع والاعناب فاصرموها ان كنتم قاصدين للصرم ولا تخبروا المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) أي والحال أنهم يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وان مفسرة أي لا تدخلوا مسكينا في البساتين وقرأ ابن مسعود بطرح أن على اضمار القول والمعنى يتخافتون يقولون لا تمكنوا المسكين من الدخول في البساتين حتى يدخل (وغدوا على حرد قادرين) أي وصاروا قاصدين الى بساتينهم قادرين على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين في ظنهم أو أرادوا أن يحرموا المساكين وهم قادرون على نفعهم (فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون) أي لما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد أخطأوا الطريق فقالوا انا لضالون طريق بستاننا ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا لسنا ضالين بل نحن محرومون منفعة جنتنا بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء ويحتمل أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا انا لضالون في الاعتقاد حيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها وحيث كنا عازمين على منع الفقراء بل الامر انقلب علينا فصرنا محرومين (قال أوسطهم) أي أفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم حيث عزمتم على منع الزكاة (قالوا سبحان ربنا) عن أن يجري في ملكه مالا يشاؤه (انا كنا ظالمين) بالاقسام على جذاذ الجنة في الصباح ومنع المساكين وترك الاستثناء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم أنت أشرت علينا بهذا الرأي و يقول الآخر أنت الذي خوفتنا بالفقر و يقول الثالث أنت الذي رغبتني في جمع المال (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) أي يا هلاكنا هذا وقت ندامة تعال لنا انا كنا متجاوزين حد الله بمنعنا المساكين (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) أي أن يعطينا خيرا من جنتنا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالذنوب وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال (انا الى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راجون عفوه وروى أنهم قالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ماهو خير منها فان الله امر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا من كبره وقال

أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم (كذلك العذاب) أى مثل الذى بلوناه به أهل مكة وأصحاب الجنة فى صروان عذاب الدنيا لمن منع حق الله من ماله (ولعذاب الآخرة) لمن لا يتوب (أكبر) من عذاب الله فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه (ان للمتقين عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) أى جنات ليس لهم فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بدوان يفضلنا عليكم فى الآخرة فان لم يحصل التفضيل فاقصى أمركم أن تساوونا فأجاب الله عن هذا الكلام بقوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين أى مساوين لهم فى العطاء (مالكم كيف تحكمون) أى أى شئ يحصل لكم يا أهل مكة وأى حال يدعوكم الى هذا الحكم هل هو صادر عن اختلال فكر أو اعوجاج رأى (أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون) أى بل ألكم كتاب نازل من السماء فيه تقرون ان لكم فى ذلك الكتاب ما تشتهون فى الآخرة وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا أن فى اسمها زيادة لام التأكيد (أم لكم أيمان علينا) أى أم لكم عهود مؤكدة بالايمان (بالغة الى يوم القيامة) والجار والمجرور اما متعلقة ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم واما بالمقدر أى ثابتة لكم الى يوم القيامة ويكون معنى بالغة مؤكدة وقرأ زيد بن على والحسن بالغة بالنصب على الحال من أيمان أو من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) وهذا جواب القسم لان المعنى أقسمنا لكم ايمانا موثقة ان لكم ما تحكمون به لانفسكم فى الآخرة وهو ان تسووا بين المسلمين والكافرين (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم (أم لهم شركاء) أى أو هل لهم ناس يساعدونهم على صحة ذلك القول (فليأتوا بشركائهم) أى عن يشاركونهم فى ذلك القول ويكفلوه لهم بصحته (ان كانوا صادقين) فى دعواهم ويقال المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب والخلاص من العقاب فليأتوا بآلهتهم ان كانوا صادقين أن لهم ما قالوا (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الامر قال أبو سعيد الضرير أى يوم يكشف عن أصل الامر أى تظهر يوم القيامة حقائق الاشياء وأصولها بحيث تصير عيانا وقرئ تكشف بالتاء الفوقية على البناء للفاعل أو المفعول والفعل للحال أو للساعة أى يوم تشتد الحال أو الساعة عن أمر وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين أى يوم تدخل الحال فى الكشف عن أمر كانوا فى عمى منه فى الدنيا وقرئ نكشف بالنون (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم اياه فى الدنيا بعدما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (فلا يستطيعون) السجود تبقى أصلابهم فقارة واحدة مثل حصون الحديد (خاشعة أبصارهم) حال من واو يدعون (ترهقهم ذلة) أى تلحقهم ذلة شديدة بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم (وقد كانوا يدعون الى السجود) أى الى الصلوات بالاذان والاقامة فى الدنيا دعوة تكليف (وهم سالمون) أى أصحاء قادرون على الصلاة فلا يجيبون الداعى وفى هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلاة فى الجماعة (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى خل يا أشرف الخلق بينى وبينهم فانى أكفيك أمرهم (سنستدرجهم) أى سننزلهم الى العذاب درجة فدرجة (من حيث لا يعلمون) أى كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (وأملى لهم) أى أمهلهم ليزدادوا اثما (ان كيدى متين) أى ان سترى لاسباب الهلاك عمن أريد اهلاكه قوى

لا يدفعه شيء ولا يطلع عليه أحد (أم تسألهم أجرا) أي أم تلتمس من أهل مكة أجرا دنيويا على الايمان (فهم من مغرم مثقلون) أي فهم لاجل ذلك مكلفون حملا ثقيلا من غرامة مالية يعطونكها فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أي أم عندهم علم ما غاب عنهم كأنه حضر في عقولهم (فهم يكتبون) على الله أي يحكمون عليه بما شاؤا (فاصبر لحكم ربك) في امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أي ولا يكن حالك يا أشرف الخلق كحال يونس عليه السلام من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (اذ نادى وهو مكظوم) اذ نادى في بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مملوء غما كما قاله ابن عباس ومجاهد أو كربا كما قاله عطاء وأبو مالك والفرق بين الغم والكرب أن الغم في القلب والكرب في الانفاس (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) أي لولا هذه النعمة التي هي توفيقه للتوبة وقبولها منه لطرح بالارض الخالية من الاشجار مع وصف المذمومية وقرئ رحمة من ربه وقرأ ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته (فاجتباه ربه) أي رد عليه الوحي بعد ان انقطع عنه وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون (فجعله من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أن هذه الآية نزلت في أحد حين حل برسول الله ما حل فاراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) أي انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقرئ في السبعة ليزلقونك بضم الياء وفتحها وقرئ ليزهقونك روى أنه كان في بني أسد عيانون فاراد بعضهم أن يعين رسول الله فنزلت هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمره صلى الله عليه وسلم (انه) أي محمدا (لمجنون) فاجابهم الله تعالى بقوله (وما هو الا ذكر للعالمين) أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه صلى الله عليه وسلم الا عظة للجن والانس

﴿سورة الحاقة مكية احدى وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة) أي أي شيء هي (وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) أي انك لا علم لك يا أشرف الخلق بكنهها ومدى عظمها والحاقة هي الساعة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء أو التي تحق فيها الامور أي تعرف على الحقيقة (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحالة التي تقرع قلوب الناس بالافزاع وهي القيامة وقوارعها انفطار السماء وانشقاقها ودك الارض ونسف الجبال وطمس النجوم وانكدارها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بالصيحة المجاوزة للحد في القوة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة (عاتية) أي مجاوزة للحد في شدة عصفها (سخرها) أي سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي متتابعة من صبيحة أربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب الاربعاء الآخر فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (فترى القوم) أي قوم هود ان كنت حاضرا وقت تشذ (فيها) أي في مهاب الريح (صرعى) أي موتى مجندلين على الارض (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي كأنهم أصول نخل ساقطة بالية (فهل ترى لهم من باقية) قال قوم أي لم يبق من نسل أولئك القوم أحد وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عقاب الله من الريح فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا

فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية (وجاء فرعون ومن قبله) قرأه أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء أي ومن عنده من أتباعه وجنوده ويؤيده قراءة ابن مسعود وأبي وأبي موسى ومن تلقاءه وقرأ ابي أيضا ومن معه والباقون بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الامم (والمؤتفكات) أي أهل القريات الخمسة المنقلبات قوم لوط وهي صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسذوم (بالخاطئة) أي بالخطأ كتكذيب البعث وكاللواط والصفع والضراط وغير ذلك من أنواع المعاصي (فعصوا رسول ربهم) موسى ولوطا وغيرهما (فأخذهم) أي الله تعالى (أخذة رابية) أي زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار (انا لما طغى الماء) أي ارتفع الماء وزاد على أعلا جبل خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح (حملناكم) في أصلاب آبائكم (في الجارية) أي في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم تذكرة) أي لنجعل هذه القصة التي هي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة عظة لكم تتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أي لتحفظها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الامر أذن سامعة فتنتفع بما سمعت وقرأ نافع بسكون الذال وقرأ العامة وتعيها بكسر العين وروى عن ابن كثير سا كنة العين وذلك مثل ويتقه في قراءة من سكن القاف (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وهي نفخة البعث وقرأ أبو السماك بنصب نفخة واحدة على المصدر وباسناد الفعل الى الجار والمجرور (وحملت الارض والجبال) أي وبعد خروج الناس من قبورهم رفعت الارض والجبال من أماكنها اما بالزلزلة أو بريح أو بملك من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب (فدكتا دكة واحدة) أي ضربت احدى الجملتين بالاخرى ضربة واحدة فتفتتت وصارت كثيبا مهيلا (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة الكبرى وهذا جواب اذا (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي) أي السماء (يومئذ واهية) أي ساقطة القوة بعدما كانت محكمة شديدة (والملك على أرجائها) أي والملائكة واقفون على أطراف السماء التي لم تسقط فهؤلاء من جملة المستثنى ممن يموتون في الصعقة الاولى وقيل انهم يقفون لحظة على أطراف السماء ثم يموتون (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي حال كون العرش فوق الملائكة الواقفين على جوانب السماء (يومئذ) أي يوم وقعت الواقعة (ثمانية) من الاملاك وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال أي تيوس الجبل وفي حديث آخر لكل ملك منهم وجه انسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس قال بعضهم واسم أحدهم ر وقيل ولبنة ن وقال ابن عباس هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى (يومئذ) أي يوم قامت القيامة (تعرضون) على الله أي تسئلون وتحاسبون وروى أن في يوم القيامة ثلاث عرضات عرض للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الكتب وقراءتها (لا تخفى منكم خافية) أي لا يخفى يوم القيامة ما كان مخفيا منكم في الدنيا فانه تظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء التحتية (فأما من أوتي كتابه بيمينه) كأبي سلمة بن عبد الاسد (فيقول) لاصحابه تبجحا وابتهاجا (هاؤم اقرؤا كتابيه) أي خذوا كتابي وانظروا ما فيه من الثواب والكرامة (اني ظننت أني ملاق حسابيه) أي اني في الدنيا تيقنت أني ألقى حسابي في الآخرة ولم أنكر البعث وروى أبو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يؤتى به يوم القيامة ويؤتى كتابه فتكتب حسناته في ظهر كفه وتكتب

سيئاته في بطن كفه فينظر الى سيئاته فيحزن فيقال له اقلب كفك فينظر فيه فيرى حسناته فيفرح ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت عند النظرة الاولى أنى ملاق حسابيه على سبيل الشدة وأما الآن فقد فرج الله عنى ذلك الغم (فهو فى عيشة راضية) أى منسوبة الى الرضا (فى جنة عالية) فى المكان والدرجة (قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة يتناولها القاعد يقول الله لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيأ) أى بلا تعب فى تحصيل الاكل والشراب و بلا داء فى تناولهما (بما أسلفتم فى الايام الخالية) أى بمقابلة ماقدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الماضية وهى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) كالاسود بن عبد الاسد (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى لم أعط كتابى هذا الذى ذكرنى قبائح أفعالى حتى لا أقع فى هذه الحالة (ولم أدر ما حسابيه) أى أى شئ حسابى من ذكر العمل وذكر الجزاء (ياليتها كانت القاضية) أى ليت هذه الحالة كانت موتة انتهيت اليها أوليت الموتة التى مت بها فى الدنيا كانت قاطعة لامرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عنى ماليه) وما ما نافية وماليه كلمة واحدة أى ما دفع عنى من عذاب الله مالى الذى جمعته فى الدنيا أو استفهامية وماليه كلمتان أى أى شئ نفعنى مما كان لى من المال والاتباع (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو ذهب ملكى وتسلطى على الناس و بقيت فقيرا ذليلا فيقول الله تعالى يومئذ لخزنة النار (خذوه) أيتها الزبانية (فغلوه) أى شدوه بالاغلال فيبتدر اليه مائة ألف ملك وتجمع يده الى عنقه و رجله الى وراء قفاه الى ناصيته (ثم الجحيم) أى النار العظمى (صلوه) أى شووه (ثم فى سلسلة ذرعها) أى قدرها بذراع الملك (سبعون ذراعا فاسلكوه) أى ادخلوه قال ابن عباس تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه ثم يجعل فى عنقه سائرها وقال نوف البكالى كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بين مكة والكوفة (انه كان) فى الدنيا (لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث على بذل طعام المسكين وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الباقى (فليس له اليوم ههنا حميم) أى فليس له فى ذلك الوقت فى مجمع القيامة قريب يدفع عنه ويحزن عليه (ولا طعام الا من غسلين) قال الكلبي هو ما يسيل من أهل النار اذا عذبوا من القيح والدم والصديد (لا يأكله الا الخاطئون) أى المتعمدون للذنوب وهم المشركون وقرأ الزهرى والعتكى وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقرأ نافع فى رواية وشيبة بطاء مضمومة بدون همز أى الذين يتخطون الحق الى الباطل و يتعدون حدود الله (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) ولا مزيدة أو أصلية ردا لانكارهم البعث أى اقسم بما تبصرون يا أهل مكة من شئ كالسماء والارض والشمس والقمر ومحمد صلى الله عليه وسلم وما لا تبصرون من شئ كالجنة والنار والعرش والكرسى وجبريل عليه السلام فالاشياء لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر فالاقسام تعم جميع الاشياء على الشمول (انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) على الله وهو النبى محمد صلى الله عليه وسلم وانما نسب القرآن هنا لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه الذى اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته ونسب فى سورة اذا الشمس كورت الى سيدنا جبريل عليه السلام لانه الذى أنزله من السموات الى الارض وهو كلام الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذى أظهره فى اللوح المحفوظ وهو الذى رتبه ولذا قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية ان القرآن قول الله نزل به جبريل على

رسول كريم محمد عليه السلام (وماهو) أي القرآن (بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) أي ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر لانه مباين لصنوف الشعر الا انكم لا تقصدون الايمان به فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الايمان لعلمتم كذب قولكم انه شعر وليس بقول رجل كاهن لانه وارد بشتم الشياطين الا انكم لا تتذكرون اشتماله على سب الشياطين فلذلك تقولون انه من باب الكهانة وما مامزيدة لتأكيد معنى القلة وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أي تؤمنون ايمانا قليلا وتذكرون تذكرا قليلا فانهم قد يؤمنون في قلوبهم ويتذكرون بها الا انهم يرجعون عن ذلك سريعا ولا يتمون الاستدلال كما أشار تعالى الى ذلك بقوله تعالى انه فكر وقدر وقال في آخر الامر ان هذا الا سحر يؤثر واما نافية فينتفي ايمانهم وتذكرهم البتة أي لا يؤمنون أصلا بأن القرآن من الله ولا يتذكرون أصلا كيفية نظم القرآن قال مقاتل وسبب نزول هذه الآية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك وقرأ ابن كثير وكذا ابن عامر على خلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية في يؤمنون ويذكرون وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص (تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من موجدهم على محمد على وجه التنجيم وقرأ أبو السمال تنزيلا أي نزل تنزيلا (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) أي ولو نسب محمد الينا قولا لم نقله لاخذنا بيمينه ثم لضربنا رقبته فان الوتين هو عرق متصل بالرأس من القلب وهذا تمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم والمراد انه لو كذب علينا لأمتناه ويقال لو نسب محمد الينا قولا لم نأذن له في قوله لسلبنا عنه القوة ثم لقطعنا نياط قلبه بضرب عنقه ويقال لو افترى محمد علينا قولا من الكذب لاخذناه بقوة مناو قال مقاتل لانتقمنا منه بالحق فاليمين بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فليس منكم أيها الناس أحد يمنعنا عن محمد أو عن عقابه (وانه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن بسبب حب الدنيا فنجازيهم على تكذيبهم (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين يوم القيامة وكذا في دار الدنيا اذا رأوا دولة المؤمنين قال مقاتل أي وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم (وانه لحق اليقين) أي وان القرآن لحق يقين انه كلام نزل به جبريل على رسول كريم ويقال وان الحسرة على الكافرين يوم القيامة حق يقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي اذكر توحيد ربك العظيم تنزيها له عن الرضا بنسبة ما هو برىء منه وشكرا على ما جعلك أهلا لايحائه اليك

﴿سورة المعارج وتسمى سورة سأل سائل مكية أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وثمانمائة وواحد وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله) أي طلب طالب عذابا هو واقع بالكافرين في الدنيا والآخرة ليس لذلك العذاب من يدفعه عنهم من جهة الله تعالى لانه اذا أوجبت الحكمة وقوعه امتنع ان لا يفعله الله قال ابن عباس هو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقتل

يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط وقال الربيع هو أبو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فمات من ساعته فنزلت هذه الآية وقال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدا وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فأخبره الله عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع أي من عذاب فعلى هذا فقوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعتادة على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد قال أبو السعود ولعل هذا القول أقرب وقرأ نافع وابن عامر سال بألف محضة وقرأ ابن عباس سال سيل بعذاب واقع للكافرين أي اندفع عليهم واد من أودية جهنم بعذاب واقع وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد وقرأ أبي على الكافرين (ذي المعارج) أي ذي السموات فهو خالقها كما قاله ابن عباس وسميت معارج لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة أي ذي الفواضل والنعم وهي تصل الى الناس على مراتب مختلفة وقيل أي ذي الدرجات التي يعطيها أولياءه في الجنة (تعرج الملائكة والروح) وهو جبريل (اليه) أي الى انتهاء موضع كرامته تعالى وهو الموضع الذي لا يجري لاحد سواه تعالى فيه حكم وقيل الى عرشه وقرأ الكسائي يعرج بالياء التحتية (في يوم) من أيامكم (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا أي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقال وهب ما بين أسفل العالم الى أعلا شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة ألف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وما بين أسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة أخرى وقال محمد بن اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقوله تعالى في يوم متعلق بتعرج كما عليه الاكثرون وقال مقاتل هو متعلق بواقع وقيل متعلق بسال بغير همزة وهو الذي من السيلان وعلى هذا فالمراد بذلك اليوم يوم القيامة والمراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا ثم يستقر أهل النار في دركات النيران قال بعضهم وهذه المدة واقعة في الآخرة لكن على سبيل التقدير والمعنى لو اشتغل بتلك الحكومة والمحاسبة أعقل الخلق وأذكاهم لبقي فيه خمسين ألف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحساب في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا (فاصبر صبرا جميلا) أي فاصبر صبرا بلا جزع على استهزاء النضر وأمثاله بك وعلى تكذيب الوحي وعلى تعنت كفار مكة في السؤال عليك فهذا مضبب بقوله تعالى سأل ومن قرأ سال بألف محضة فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد جاء وقت الانتقام (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أي ان الكفار يستبعدون اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة من الامكان على جهة الاحالة ونعلمه قريبا من الامكان هينا في قدرتنا غير متعذر علينا ويقال ان كفار مكة يعتقدون العذاب غير واقع يوم القيامة ونعلمه واقعا لابد من وقوعه وهذا تعليل للامر بالصبر (يوم تكون السماء كالمهل) أي تصير السماء كدردي الزيت وهذا الظرف متعلق بليس له دافع أو بعامل معناه كيقع أي يقع العذاب يوم تكون الخ أو متعلق بقريبا اذا كان الضمير في نراه للعذاب (وتكون الجبال كالعهن) أي تصير الجبال كالصوف المصبوغ ألوانا وانما وقع التشبيه به لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أي لا يسأل قريب قريبه عن أحواله كيف حالك

ولا يكلمه لان لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام أولا يسأل قريب قريبا شفاعة واحسانا اليه لعلمه أن ذلك مفقود وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ولا يسئل بضم الياء أى لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته فلا يقال لحميم أين حميمك (يبصرونهم) أى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه وقرئ يبصرونهم أى يرونهم ولا يعرفونهم اشتغالا بانفسهم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا) أى يتمنى المشرك أن يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه وأقاربه الاقربين الذين فصل عنهم وينتهى اليهم التى تضمه فى النسب وتحميه فى النوائب ومن فى الارض جميعا من الخلائق وقرأ نافع والكسائى يومئذ بفتح الميم على البناء لاضافة يوم الى مبنى والباقون بكسرها على الاعراب على الاصل فى الاسماء وقرئ من عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ بعذاب لانه فى معنى تعذيب (ثم ينجيه) معطوف على يفتدى أى يتمنى الكافر أن يفتدى نفسه بهذه الاشياء ثم أن ينجيه ذلك الافتداء (كلا) رهذا هنا اما بمعنى حقا فحينئذ كان الوقف على ينجيه وهو وقف تام واما بمعنى لا فحينئذ كان الوقف على كلا وهو وقف تام وهذا أولى ولا يجمع بينهما فى الوقف بل الوقف فى أحدهما فقط أى لا ينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها لظى نزاعة للشوى) وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص أو على حال مؤكدة والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب عليها وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد ولظى اسم ان ونزاعة خبرها كأنه قيل ان لظى نزاعة أو تجعل ضمير القصة وهو اسم ان ولظى مبتدأ ونزاعة خبرا والجملة خبر عن ان والتقدير ان القصة لظى نزاعة للشوى أى قلاعة للاعضاء التى فى أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا فلا تترك لحما ولا جلدا الا أحرقته (تدعو من أدبر) عن الطاعة (وتولى) عن الايمان (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء ولم يؤد حقوقه أى ان النار تدعوهم بلسان الحال أو ان الله تعالى يخلق الكلام فى جرم النار حتى تقول صريحا الى يا كافر الى يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب فقوله تعالى أدبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله وجمع اشارة الى الحرص وقوله فأوعى اشارة الى طول الامل وهذه مجامع آفات الدين (ان الانسان خلق هلوعا) أى جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) أى اذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعا شاكيا واذا أصابه السعة والصحة صار مانع المعروف شحيحا عاله غير ملتفت الى الناس واغا ذم الله الانسان على ذلك لانه قاصر النظر على الاحوال الجسمانية العاجلة فالواجب عليه أن يكون مشغولا باحوال الآخرة فاذا وقع فى مرض أو فقر كان راضيا به لعلمه انه فعل الله تعالى واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادات الاخروية (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) بان لا يتركوها فى وقت من الاوقات ولا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل) أى الذى يسأل (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية فيستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون على أنفسهم مع مالهم من الاعمال الفاضلة استعظاما لجنابه تعالى واستقصارا لاعمالهم الحسنة (ان عذاب ربهم غير مأمون) فلا ينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون الا على

أزواجهم) أى الاربع (أوماملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالاستمتاع بهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أى فمن طلب لنفسه وراء ماذكر من الازواج والمملوكات (فأولئك هم العادون) أى المجاوزون للحدود فدخل فى هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (والذين هم لاماناتهم) أى لما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) فيما بينهم وبين ربهم أو فيما بينهم وبين الناس (راعون) أى حافظون بالوفاء وقرأ ابن كثير لامانتهم بالافراد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ حفص بألف بعد الدال على الجمع والباقون على التوحيد أى يقومون بالشهادات بالحق عند الحكام ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها اظهارا لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها تضييعها وروى عطاء عن ابن عباس قال والمراد الشهادة بان الله واحد لا شريك له (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يهتمون بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات الثمانية (فى جنات مكرمون) بالثواب والتحف (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى أى شئ ثبت لكفار مكة مسرعين جهتك مادى أعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى مجتمعين فهذه الاربعة أحوال من الموصول روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون منه ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الآية (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كما يدخلها المسلمون (كلا) أى لا يكون ما طمعوا فيه أصلا لان ذلك غير فارغ (انا خلقناهم مما يعلمون) وهو النطفة المذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم فكيف يليق دخولهم الجنة لو لم يتصفوا بالايمان والمعرفة (فلا أقسم) أى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فأقسم (برب المشارق) أى مشارق الشتاء والصيف (والمغارب) أى مغارب الشتاء والصيف فلمشرق الشتاء والصيف مائة وثمانون منزلا وكذلك للغربين (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى بطريق الاهلاك ولم يحصل ذلك وانما هدد الله تعالى القوم بهذا لكى يؤمنوا (وما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين على أن نبدل خيرا منهم وليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه (فذرهم) أى اتركهم فيما هم فيه من الاباطيل (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم أو يهزؤا فى كفرهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية (يوم يخرجون من الاجداث) أى القبور بدل من يومهم بدل كل من كل وقرئ يخرجون على البناء للمفعول (سراعا) الى جهة صوت الداعى (كأنهم الى نصب) وقرأه ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وهى التى تنصب فتعبد من دون الله تعالى والباقون بفتح النون واسكان الصاد وهى راية وقرأ أبو عمران الجونى ومجاهد بفتحتين أى منصوب كالعلم وقرأ الحسن وقتادة بضمة فسكون وهو الصنم المنصوب للعبادة (يوفضون) أى يسرعون (خاشعة أبصارهم) فلا يرفعونها ولا يرون خيرا (ترهقهم ذلة) أى تعلوهم سواد الوجوه (ذلك) أى وقوع الاحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى سألوا عنه

﴿سورة نوح عليه السلام مكية ثمان وعشرون آية ومائتان
وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا﴾

(بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا نوحا الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض أهل عصره (أن أنذر قومك) وان حرف مصدري والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة وقرأ ابن مسعود أنذر بغير ان على ارادة القول والتقدير انا أرسلناه وقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة فلما جاءهم (قال يا قوم اني لكم نذير مبين) أي موضح لحقيقة الامر بلغة تعلمونها (أن اعبدوا الله واتقوه) فالامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح والامر بالتقوى يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (وأطيعون) فالامر بطاعة نوح يتناول أداء جميع المأمورات وترك جميع المنهيات (يغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فالاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي الى أمد قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان أي ان الله قضى على قوم نوح مثلا ان آمنوا عمرهم الله ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم الله على رأس تسعمائة سنة (ان أجل الله) أي ان ما قدر الله لكم على تقدير بقائكم على الكفر (اذا جاء) وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه (لو كنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى ما أمرتكم به فلما أيس نوح منهم بعد ما دعاهم ألف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمنوا ولم يقبلوا نصيحته (قال) أي نوح (رب اني دعوت قومي) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أي دائما من غير فتور (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) عما دعوتهم اليه (واني كلما دعوتهم) الى الايمان والتوبة (لتغفر لهم) بسببهما (جعلوا أصابعهم في آذانهم) أي سدوا مسامعهم لكي لا يسمعوا دعوتي (واستغشوا ثيابهم) أي غطوا رؤسهم بثيابهم لكي لا يسمعوا صوتي ولا يروني (وأصروا) على الكفر والمعاصي (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبارا) عظيما بالغا الى النهاية القصوى (ثم اني دعوتهم) الى التوحيد والتوبة (جهارا) أي بأعلى صوتي (ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) فمراتب دعوة نوح عليه السلام ثلاثة فبدأ بالمناصحة في السر فجازوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة وهي أشد من الاسرار ثم جمع بين الاعلان والاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد (فقلت) لهم (استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصي (انه كان غفارا) في حق كل من استغفره (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي مطرا دائما (ويمددكم بأموال وبنين) أي يعطكم أموالا ابلا وبقرا وغنما وبنين ذكورا واناثا (ويجعل لكم جنات) أي بساتين (ويجعل لكم أنهارا) تجري لمنافعكم قيل لما كذبوا نوحا عليه السلام حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وقطع نسل دوابهم ونسائهم أربعين سنة وأهلك جناتهم وأيبس أنهارهم قبل ذلك بأربعين سنة فوعدهم نوح انهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) أي والحال ان الله خلقكم على حالات شتى نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر وهو القاء الروح فيه ويقال والحال انه تعالى خلقكم أصنافا مختلفين يخالف بعضكم بعضا (ألم تروا) أي ألم تخبروا يا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي متوازية بعضها فوق بعض مثل القبة ملتزقة أطرافها (وجعل القمر فيهن نورا) أي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته للكل مع أنه في السماء الدنيا لان كل واحدة من سبع سموات شفافة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة (وجعل الشمس سراجا) يزيل الظلمة ويبصر أهل الدنيا في

ضوءها وجه الارض كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى أنبتكم من الارض فنبتم نباتا عجيبا والمعنى والله أنشأكم منها فنشأتم نشأة عجيبة فانه تعالى اغا يخلقنا من النطف وهي متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لاريب فيه (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى لتأخذوا فيها طرقا واسعة (قال نوح) مناجيا له تعالى (رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من التوحيد والتوبة (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) وهم رؤساؤهم الذين يدعونهم الى الكفر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ولده بفتح الواو واللام والباقون بضم الواو واسكان اللام (ومكروا مكرا كبارا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من مكروا الخ أى كأن الرؤساء قالوا الاتباعهم ان آلهتكم خير من اله نوح لان آلهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيأ لانه فقير فبهذا المكر صرفوهم عن طاعة نوح أو قالوا الاتباعهم هذه الاصنام آلهة لكم وكانت آلهة لا بائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على أنفسكم بأنكم كنتم جاهلين ضالين وعلى آبائكم بأنهم كانوا كذلك وهذه الاشارة صارفة لهم عن الدين وقرأ العامة كبارا بضم الكاف وتشديد الباء وقرأ عيسى وأبو السماك وابن محيصن بالضم والتخفيف وقرأ زيد بن على وابن محيصن أيضا بكسر الكاف وتخفيف الباء (وقالوا) أى الرؤساء للسفلة معطوف على الصلة أيضا أى واتبعوا من قالوا (لاتذرن آلهتكم) أى لاتتركوا عبادتها الى عبادة رب نوح (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تتركن عبادة هؤلاء وقرأ نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وقرأ العامة يغوث ويعوق بغير تنوين للعلمية والوزن أو للعلمية والعجمة وقرأهما الاعمش مصروفين للتناسب أو على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا ولعل هذه الاسماء الخمسة أسماء أولاد آدم فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم حتى بعث الله نوحا عليه السلام ولهذا السبب نهى الرسول عن زيارة القبور أولا ثم اذن فيها وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فان في زيارتها تذكرة (وقد أضلوا كثيرا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من قد أضلوا خلقا كثيرا وهم الرؤساء أو الاصنام أجرى مجرى الآدميين كقوله تعالى ألهم أرجل (ولا تزد الظالمين) أى المشركين (الاضلالا) أى عذابا أو ضلالا فى أمر دنياهم وهذا معطوف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه فالواو ليس من كلام نوح لئلا يعطف الانشاء على الاخبار لكن الظاهر أن المراد بالاخبار طلب النصرة عليهم فيجوز أن يكون الواو من كلام نوح أى قال نوح رب انهم عصونى وقد عجزت وأيست عنهم فانصرنى عليهم وقال لا تزد الظالمين الاضلالا (مما خطيآتهم أغرقوا) وما صلة ومن تعليلية أى من أجل خطيآتهم وبسببها أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر وقرأ أبو عمرو خطاياهم وقرأ ابن مسعود من خطيآتهم ما أغرقوا فاخر كلمة ما فعلى هذه القراءة فما مع ما بعده فى تقدير المصدر وقرى خطياتهم بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرى خطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس أو ارادة الكفر فقط والخطيآت والخطايا كلاهما جمع خطيئة الا أن الاول جمع سلامة والثانى جمع تكسير (فأدخلوا نارا) فى القبر فان عذاب القبر عقب الاغراق وان كانوا فى الماء لان الفاء تدل على ان ادخالهم فى النار حصل عقب الاغراق فلا يمكن حمل النار على عذاب جهنم فى الآخرة قال الضحاك انهم كانوا فى حالة

واحدة يغرقون من جانب ويحرقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) وهذا تعريض بأنهم اغتاواظبوا على عبادة الاصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالبة للمنافع اليهم فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الاصنام وما قدرت هي على دفع عذاب الله تعالى عنهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أي أحدا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن أراد أن يؤمن بك (ولا يلدوا الافاجرا كفارا) أي الامن سيفجر ويكفر (رب اغفرلي ولوالدي) أي ابوي لمك وشمخابنت أنوش فانهما كانا مؤمنين وأخرج ابن أبي حاتم أن المراد والده وجده فاسم أبيه لمك واسم جده متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المضمومة بعدها واوساكنة وفتح الشين المعجمة واللام بعدها خاء معجمة وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدي أي ابني ساما وحاما وقرأ ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال أي أبي فيحتمل أن يريد عليه السلام أباه الاقرب الذي ولده وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده وكان بينه وبين آدم عشرة آباء ولم يكن منهم كافر كما قاله عطاء (ولمن دخل بيتي) أي منزلي أو مسجدي أوسفينتي وقيل ولمن دخل في ديني دخولا مع تصديق القلب (مؤمنا) خرجت بهذا القيد امرأته وابنه كنعان (وللمؤمنين والمؤمنات) الذين يكونون من بعدي الى يوم القيامة (ولاتزد الظالمين) أي الكافرين (الاتبارا) أي الاهلاكا فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فاهلكهم بالكلية

(سورة الجن وتسمى سورة قل أوحي مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أشرف الخلق (أوحي الي) وقرأ أبو عمرو في رواية يونس وهرون وحي بضم الواو بغير ألف وقرئ أحي بالهمزة من غير واو أي أنزل الى جبريل فاخبرني (أنه استمع نفر من الجن) أي ان الشأن استمع القرآن تسعة نفر من جن نصيبين باليمن (فقالوا) بعدما آمنوا ورجعوا الى قومهم ياقومنا (انا سمعنا قرآنا) أي كتابا مقروأ (عجبا) أي خارجا عن عادة أمثاله من الكتب الالهية مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى (يهدي الى الرشد) أي الى الصواب وهو لااله الاالله (فآمنا به) أي بذلك القرآن أو بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد (ولن نشرك بربنا أحدا) أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أي وان الحديث ارتفع عظمة ربنا أي عظم سلطانه أو ارتفع غناه أي وصفه بالاستغناء عن الزوجة والولد أو تعالى حقيقته عن جميع جهات التعلق بالغير وقرئ جد ربنا بكسر الجيم أي تعالى صدق ربوبيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وقرئ جدار بنا بنصب جدا على التمييز (مااتخذ صاحبة ولاولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها وبعضهم جعل ما مصدرية متعلقة بتعالى فحينئذ تكون لازائدة أي تعالى صفة ربنا من اتخاذ زوجة وولد كما نسبه الكفار (وأنه) أي الحديث (كان يقول سفيهنا) أي جاهل منا وهو ابليس (على الله شططا) أي قولا مجاوزا للحد بعيدا عن الصدق وهو وصفه تعالى باثبات الشريك والصاحبة والولد (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وهذا اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم ابليس (وأنه) أي الحديث (كان رجال من الانس) في الجاهلية (يعوذون) أي يلتجئون

(برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى ظلما وذلك انهم اذا سافر واسفرا أواصطادوا صيدا أونزلوا واديا خافوا من الجن لانها تعبث بهم فى بعض الاحيان فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيأمنون بذلك ولا يرون الا خيرا فتزيد الجن الانس اضلالهم حتى استعاذوا بهم (وأنهم) أى الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أو انه لن يبعث الله أحدا للرسالة على ما هو مذهب البراهمة (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) وانا قبل ان آمنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فصادفناها قد ملئت من جهة الحراس الاقوياء وهم الملائكة الذين يمنعون من الاستماع ومن شعل منقضة من نار الكواكب (وأنا كنا) قبل مبعث محمد (نقعد منها) أى السماء (مقاعد) خالية من الحرس (للسمع) أى لاجل الاستماع (فمن يستمع الآن) أى بعد مبعث محمد فى مقعد من المقاعد (يجد له) أى لاجله (شهابا رصدا) أى شهابا قد ارصد له ليرجم به (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) أى وانا لا نعلم أشر أريد بمن فى الارض حين منعنا عن الاستماع أم أراد بهم ربهم خيرا أى ولما سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم علموا انهم منعوا من صعود السماء حراسة للوحى (وأنا منا الصالحون) أى المتقون (ومنا دون ذلك) أى منا قوم غير صالحين (كنا طرائق قددا) أى كنا قبل هذا ذوى مذاهب مختلفة قال السدى الجن أمثالكم فيهم مرجئة وقدرية ورو افض وخوارج (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض) أى وانا علمنا الآن ان الشأن لن نعجز الله أينما كنا من أقطار الارض (ولن نعجزه هربا) أى هاربين من الارض الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم (آمنا به) أى بالقرآن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى فمن يؤمن بربه فهو لا يخاف نقصا فى جزاء حسناته ولا ظلما بزيادة جزاء سيآته وهذا دليل على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرأ الاعمش فلا يخف (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا المخلصون فى صفة الاسلام ومنا المائلون عن طريق الحق (فمن أسلم) أى أخلص بالتوحيد (فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق صواب (وأما القاسطون) أى المائلون عن سنن الاسلام (فكانوا لجهنم حطبا) والجن وان خلقوا من النار توقد نار جهنم بهم كما توقد بكفرة الانس فان النار القوية تأكل النار الضعيفة وقيل ههنا آخر كلام الجن (وأن لو استقاموا) وان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة على انه استمع والمعنى وأوحى الى ان الحديث لو استقام الجن والانس (على الطريقة) أى على ملة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم الرزق وقرأ الاعمش بضم واو لو تشبيها بواو الضمير (لنفتنهم فيه) أى فى ذلك الماء الذى هو كناية عن العيش الواسع فان من آمن بالله فانعم الله عليه كان ذلك الانعام اختبارا حتى يظهر انه هل يشتغل بالشكر أم لا وهل ينفق تلك النعم فى طلب مراضى الله أو فى مراضى الشيطان (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن طاعته وعن كتاب ربه القرآن (يسلكه عذابا صعدا) أى ندخله فى عذاب شديد. وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالياء التحتية لاعادة الضمير على الله والباقون بالنون روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان صعدا جبل فى جهنم وهو صخرة ملساء أونحاس فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها جذب الى أسفلها ثم يكلف الصعود مرة أخرى فهذا دأبه أبدا (وأن المساجد لله) أى وأوحى الى أن المساجد لله (فلا تدعوا مع الله أحدا) أى فلا تعبدوا مع الله أحدا

غيره والمراد بالمساجد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة فيدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين وذلك ان أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالتوحيد والاخلاص (وأنه) أي وأوحي الي ان الحديث (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أي لما قام النبي يعبد الله لصلاة الفجر ببطن نخل كاد الجن يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته ومن اقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله وقرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف بناء على ان هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى والمعنى وأنه لما قام النبي يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الاوثان كاد المشركون يزدحمون عليه متراكبين ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله الا أن ينصره على من عاداه وقرأ هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها واعلم أن أن المشددة في هذه السورة ستة عشر ثنتان منها يجب فيهما الفتح أنه استمع وأن المساجد لله وواحدة يجب فيها الكسر انا سمعنا وثلاثة عشر يجوز فيها الوجهان فالاثنتا عشرة فتحها الاخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقون وهي وأنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول وأنا ظننا وأنه كان رجال وأنهم ظنوا وأنا لمسنا السماء وأنا كنا وأنا لا ندري وأنا منا الصالحون وأنا ظننا وأنا لما سمعنا وأنا منا المسلمون والواحدة كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقون وهي وانه لما قام عبد الله (قل انما أدعو ربي) أي أعبده وادعو الخلق اليه (ولا أشرك به أحدا) أي ولا أشرك بربي في العبادة أحدا قرأ العامة قال على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة قل ليكون نظيرا لما بعده وسبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت وهذا حجة لعاصم وحمزة ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا ذلك أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما أدعو ربي فحكى الله ذلك عنه بقوله قال أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي اني لا أقدر ان أدفع عنكم ضرا وكفرا ولا أسوق اليكم نفعا ولا هدى وقيل الضر الموت والرشد الحياة ومعنى الكلام ان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله وان أحدا من الخلق لا قدرة له عليه وقرأ أبي غيا ولا رشدا (قل اني لن يجيرني من الله أحد) ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ وموضع الاختفاء ان أراد بي بضر (الا بلاغا من الله ورسالاته) وهذا استثناء من قوله لا أملك قوله ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أي لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي أرسلني بها (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد (فان له نار جهنم) العامة على كسر همزة ان لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمتعه ومن يؤمن بربه فلا يخاف على ان المبتدأ فيها مضمر وقرأ طلحة بفتحها على انها مع ما في حيزها في تأويل مصدر واقع خبرا لمبتدأ مضمر تقديره فجزاؤه ان له نار جهنم أو فحكمه ان له نار جهنم كقوله تعالى فأن لله خمسه أي فحكمه ان لله خمسه (خالدين فيها أبدا) بلا نهاية (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من فنون العذاب في الآخرة (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أي أعوانا فهنالك يظهر ان القوة والعدد في جانب المؤمنين أو في جانب الكفار (قل ان أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) أي أجلا بعيدا لما سمع المشركون ذلك قال النضر بن الحرث انكارا له واستهزاء به متى يكون ذلك الموعود فأنزل الله تعالى هذه الآية قل لمن تعجلوا بالعذاب ما أدري فان وقوعه متيقن أما وقت وقوعه فغير معلوم (عالم الغيب) خبر

مبتدا محذوف أي هو عالم بنزول العذاب وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدي علم الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب (فلا يظهر على غيبه أحدا) أي فلا يطلع الله على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا للعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أي الا رسولا ارتضاه لاطلاعه على بعض غيوبه المتعلقة برسالته وقرأ الحسن يظهر بفتح الياء والهاء وأحد فاعل به (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي فان الله تعالى يجعل من جميع جوانب ذلك الرسول عند اطلاعه على غيبه حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن لئلا يستمعوا قراءة جبريل فيلقوها الى الكهنة قبل الرسول حتى يبلغ جبريل ما أطلعه الله عليه من بعض الغيوب وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رشدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) واللام متعلق بيسلك وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم الله ان الشأن قد أبلغ الرصد رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما حاصلا بالفعل واما لمن ارتضى فالمعنى ليعلم انه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد اليهم كذلك (وأحاط بما لديهم) حال من فاعل يسلك أي يسلكهم ليترتب على السلك علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد أحاط بما عند الرصد أو عند الرسل من الاحوال جميعا (وأحصى كل شيء) مما كان وما سيكون (عددا) أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به وقرئ ليعلم بالبناء للمفعول

(سورة المزمل مكية وهي عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل) خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر فأمر بأن يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقرئ يا أيها المتزمل (قم الليل) أي قم الى الصلاة الليل (الا قليلا نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا) أي أو انقص القيام من النصف نقصا قليلا الى نصف النصف (أو زد عليه) أي أو زد القيام على النصف الى الثلثين (ورتل القرآن ترتيلا) أي بين القرآن في اثناء القيام تبيينا بأن يبين جميع الحروف ويوفي حقها (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) أي سنوحي اليك قرآنا منطويا على تكاليف شاقة على المكلفين (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ) بفتح الواو وسكون الطاء عند الجمهور وقرأ قتادة وشبل بكسر الواو وسكون الطاء والمعنى ان قيام الليل بالصلاة هي أشد نشاطا وثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء أي موافقة للخشوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أي أصوب قراءة وأحسن لفظا من النهار لسكون الاصوات (ان لك) يا سيد الرسل (في النهار سبحا طويلا) أي تقلبا طويلا في مهماتك فلا تتفرغ لخدمة الله الا بالليل وقرئ سبخا بالخاء المنقطة من فوق أي تفرق قلب بالشواغل ويقال المعنى ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ فأصرفه اليه (واذكر اسم ربك) أي دم على ذكر اسم ربك ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد ودعاء وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وقال سهل أي قل

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءة تلك توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه اه أي سواء قرأت في الصلاة أو في خارجها وهذا اذا قرأ من أول سورة وأما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان كان في غير الصلاة سن له ان يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة (وتبتل اليه تبتيلا) ى انقطع الى الله تعالى عن الدنيا باخلاص العبادة (رب المشرق والمغرب) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالجر على البدل من ربك أو على القسم باضمار حرف القسم عند ابن عباس لكن قراءته رب المشارق والمغارب والباقون بالرفع على المدح وهو خبر مبتدا محذوف والتقدير هو أو على الابتداء وخبره جملة (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) فالانسان في مبدأ السير يكون طالبا للحصة فيكون تبتله الى الله تعالى بسبب كونه مبدأ للتكميل ثم في آخر السير يترقى عن طلب الحصة فيكون تبتله في هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقوله رب المشرق والمغرب اشارة الى الحالة الاولى التي هي أول درجات المتبتلين وقوله لا اله الا هو اشارة الى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المتبتلين وقوله فاتخذه وكيلا اشارة الى مقام التفويض وهوان يرفع الاختيار و يفوض الامر بالكلية اليه تعالى فان أراد الله أن يجعله متبتلا رضي بالتبتل وان أراد له عدم التبتل رضي به لا من حيث ذلك بل من حيث ذلك مراد الله تعالى وههنا آخر الدرجات (واصبر على ما يقولون) مما لا خير فيه فمن أراد المخالطة مع الخلق فلابد له من الصبر الكثير (واهجرهم هجرا جميلا) بأن يجانبهم بقلبه و يخالفهم في الافعال مع المداراة وترك المكافأة وهذا هو الاخذ باذن الله فيما يكون ادعى الى القبول فلا يأتي النسخ عثله (ذرني والمكذبين أولي النعمة) أي اتركني وأرباب التنعم وكل أمرهم الى وهم صناديد قريش وهذا بفتح النون فهو بمعنى الترفه أما بكسرها فهي بمعنى الانعام وأما بضمها فهي بمعنى المسرة (ومهلهم قليلا) أي زمانا قليلا أيام الحياة الدنيا فقتلوا ببدر (ان لدينا أنكالا) أي ان لهم عندنا في الآخرة أمورا مضادة لتنعمهم قيودا تقيد بها أرجلهم وأغلالا تغل بها ايمانهم الى أعناقهم وسلاسل توضع في أعناقهم (وجحيما) أي نارا عظيمة يدخلونها (وطعاما ذا غصة) أي يمسك في الحلوق وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) وهو أنواع العذاب (يوم ترجف الارض والجبال) متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الدنيا أي استقر لهم عندنا ما ذكر يوم تتزلزل الارض وأوتادها وقرأ زيد بن علي ترجف مبنيا للمفعول (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي وصارت الجبال ترابا متناثرا بعضه على بعضه لرخاوته وسمي الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق (انا أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والتكذيب (كما أرسلنا الى فرعون) ملك مصر (رسولا) وهو موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه اليه (فأخذناه أخذا وبيلا) أي فعاقبناه عقوبة شديدة وهي الغرق (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) أي فكيف تقون أنفسكم ان بقيتم على الكفر في الدنيا عذاب يوم يصير ذلك اليوم الولدان شمطا اذا سمعوا حيث يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعثا من ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار و واحد الى الجنة وقرأ زيد بن علي يوم يجعل باضافة الظرف للجملة والفاعل ضمير راجع الى الله تعالى أي فكيف لكم يا أهل مكة بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا (السماء منفطر به) أي منشق بذلك اليوم لشدة هوله وهذه الجملة صفة ثانية ليوما وقرئ متفطر أي متشقق (كان وعده مفعولا) والمصدر امامضاف للمفعول أي كان وعد ذلك اليوم مفعولا أي كان الوعد المسند الى

ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه واما مضاف الى الفاعل أى كان وعد الله لمجىء ذلك اليوم واقع لا محالة لانه تعالى منزه عن الكذب (ان هذه) أى الآيات (تذكرة) أى موعظة مشتملة على أنواع الارشاد (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء النجاة اشتغل بالطاعة واحترز عن المعصية فان ذلك هو المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى (ان ربك) يا أشرف الخلق (يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) قرأهما ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى بنصبهما معطوفين على أدنى أى انك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث والباقون بجرهما معطوفين على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من النصف والثلث (وطائفة من الذين معك) معطوف على ضمير تقوم أى ويقوم معك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) فلا يعلم مقادير أجزاء الليل والنهار الا الله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم الله ان الحديث لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فالضمير عائد الى مصدر الفعل أى علم انه لا يمكنكم احصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل والنهار على الحقيقة ولا يمكنكم تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن الا مع المشقة التامة (فتاب عليكم) أى فرجع الله بكم الى ترخيص ترك القيام المقدر (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين والصحيح ان أول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء الى التوحيد التهجد على التخيير المذكور أول السورة فعسر عليهم القيام به فنسخ بما تيسر من التهجد ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس (علم أن سيكون منكم مرضى) أى علم الله انه سيوجد منكم مرضى لا يستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) أى وسيوجد آخرون يسافرون فى الارض يطلبون رزق الله يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى وسيوجد آخرون يجاهدون فى طاعة الله فلو لم يناموا فى الليل لتوالت أسباب المشقة عليهم لانهم مشتغلون فى النهار بالاعمال الشاقة (فاقرؤا ما تيسر منه) أى فصلوا ما تيسر لكم من التهجد وهذا تأكيد للاول فالاول مفرع على قوله تعالى علم ان لن تحصوه الخ وهذا مفرع على قوله علم ان سيكون الخ فكل واحد من المؤكد والمؤكد مفرع على حكمة (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى اعطوا زكاة أموالكم (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بأن تنفقوا سائر الانفاقات فى سبيل الخيرات عن طيب قلب (وما تقدموا لانفسكم من خير) أى خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت كما قاله ابن عباس وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور) لجميع الذنوب (رحيم) للمؤمنين

(سورة المدثر مكية ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر) أى يا من لبس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد روى جابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فرأيت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض

فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل عليه السلام فقال يا أيها المدثر وعن الزهري ان أول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم ثم انقطع الوحي فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال يا أيها المدثر (قم فأنذر) أي قم من مضجعك فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) أي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) عن النجاسات ويقال وثيابك فقصر لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس ولان تطويل الذيل انما يفعل للخيلاء والتكبر فنهي الرسول عن ذلك وقال أكثر المفسرين أي وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقال الحسن وخلقك فحسن (والرجز فاهجر) قرأ عاصم في رواية حفص بضم الراء في هذه السورة وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر بالكسر قال أبو العالية الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال ابن عباس أي المأثم فاترك ولا تقربنه أي دم على تركه (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط طالبا للتكثير (ولربك فاصبر) روي ان الكفار لما اجتمعوا وبحثوا عن حال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال القوم ان الوليد قد صبا فدخل عليه أبو جهل وقال ان قريشا جمعوا لك مالا حتى لا تترك دين آبائك فهو لاجل ذلك المال بقي على كفره فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الوليد بقي على دينه الباطل لاجل المال وأما أنت فاصبر على دينك الحق لاجل رضا الحق لا للشيء غيره وهذا الامر كله تعريض بالمشركين كأنه قيل لرسول الله وربك فكبر لا الاوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين فهم نجس البدن والثياب والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار ان يعطوا الوليد قدرا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل أي كانوا رائيين لما يعطونه كثيرا ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للاغراض العاجلة من المال والجاه (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) أي فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فوقت النقر يوم اذ نقر يوم عسير على الكل من المؤمنين والكافرين كما روي ان الانبياء يومئذ يفزعون وان الولدان يشيبون الا انه يكون هول الكفار فيه أشد وذلك قوله تعالى (على الكافرين غير يسير) وعلى المؤمنين يسير (ذرني ومن خلقت وحيدا) منصوب على الذم والتقدير أعني وحيدا أو حال من العائد المحذوف أي اتركني ومن خلقته منفردا أي بلا أب فهو زنيم أو منفردا في الشرارة وهو الوليد بن المغيرة المخزومي لانه كان يزعم انه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا وكان يلقب بالوحيد وكان يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير (وجعلت له مالا ممدودا) أي مبسوطا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والحور والجنان والعبيد والجواري وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (وبنين) ثلاثة عشر كما قاله أبو مالك وسعيد بن جبير أسلم منهم ثلاثة خالد وهو سيف الله وسيف رسوله وهشام وعمارة (شهودا) أي حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لانهم كانوا أغنياء (ومهدت له تمهيدا) أي وبسطت له الجاه والرياسة في قومه حتى لقب ريحانة قريش ووحيدا (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه قيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي (كلا) أي لا تكون له زيادة على ذلك أصلا فليرتدع من هذا الطمع فلم يزل الوليد بعد قوله تعالى كلا في نقصان ماله حتى افتقر ومات فقيرا (انه) أي الوليد بن المغيرة (كان لآياتنا) الدالة على التوحيد والقدرة والعدل وصحة النبوة وصحة البعث

(عنيدا) أى راداوهو يعرفها بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر (سأرهقه صعودا) أى سأكلفه مشقة من العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) أى ان العنيد فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) أى فلعن فى دنياه على أى كيفية أوقع تقديره (ثم قتل كيف قدر) أى ثم لعن فيما بعد الموت فى البرزخ والقيامة على أى حال كان تقديره وهذا تعجيب من قوة خاطره (ثم نظر) فى ذلك المقدر فى القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) أى قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (وبسر) أى قبض جبينه (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) أى تعظم عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) أى ما هذا الذى يقوله محمد الا سحر ينقل عن أهل بابل (ان هذا الا قول البشر) أى ما هذا الذى أتى به محمد الا قول البشر جبر ويسار روى ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فلما وصل الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أنشده الوليد بالله وبالرحم ان يسكت فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال لهم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا الوليد ولو صبا لتصبأن قريش كلها فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ثم دخل عليه محزونا فقال مالك يا ابن أخى فقال انك قد صبوت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك مالا ليكون ذلك عوضا عما تقدر ان تأخذ من أصحاب محمد فقال والله ما يشبعون فكيف أقدر ان آخذ منهم مالا ولكنى تفكرت فى أمره كثيرا فلا أجد شيأ يليق به الا انه ساحر ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه فلما أقر الوليد بذلك فى أول الامر علمنا أن الذى قاله فى الآخر من أن القرآن سحر وقول البشر انما ذكره على سبيل العناد لا على سبيل الاعتقاد فان السحر يتعلق بالجن (سأصليه سقر) أى سأدخله فى الطبقة السادسة من جهنم المسماة بسقر (وما أدراك ما سقر) أى أى شئ أعلمك ما هى فى وصفها (لا تبقى ولا تذر) أى لا تبقى من الدم واللحم والعظم شيأ الا أكلته فاذا أعيدوا خلقا جديدا فلا تذر أن تعاود احراقهم بأشد مما كانت وهكذا أبدا وهذه رواية عطاء عن ابن عباس (لواحة للبشر) أى ظاهرة للبشر من مسيرة خمسمائة عام وقرأ الحسن وابن أبى عبلة وزيد بن على وعطية لواحة بالنصب على الاختصاص أو على الحال المؤكدة أى مغيرة للابشار (عليها) أى النار (تسعة عشر) ملكا وحكى الواحدى عن المفسرين ان خزنة النار تسعة عشر مالك ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق وأنيابهم كالصياصى وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منه الرحمة والرأفة يأخذ أحدهم سبعين ألفا فى كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم وحكمة هذا العدد أن أبواب جهنم سبعة

فستة

فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول بل بسبب ترك العمل فقط فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر ويقال ان الساعات أربعة وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلهذا صار عدد الزبانية تسعة عشر (وما جعلنا أصحاب النار) أى القائمين بتعذيب أهل النار (الاملائكة) فلا تقاس الملائكة بالسجانين روى أنه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم قال ابن أبى كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى أنا أكفيكم سبعة عشر واكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم فتغالبونهم (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) فانهم يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله تعالى الى قيام القيامة (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان هذا العدد موجود فى التوراة والانجيل فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ذلك من غير سابقة تعلم علموا أن ذلك حصل بسبب الوحى من السماء فالذين آمنوا بمحمد استيقنوا أن ذلك العدد هو الصدق (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بما رأوا من تصديق أهل الكتاب ذلك وعلموا أن ما فى كتابنا مثل ما فى التوراة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب) مثل عبد الله بن سلام وأصحابه اذ لم يكن العدد خلاف ما فى كتابهم (والمؤمنون) لانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى صدق القرآن (والكافرون) القاطعون بكذبه (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد القليل حال كونه عددا عجيبا (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء بهذا المثل اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية (وما يعلم جنود ربك الاهو) أى ان الخزنة تسعة عشر ولهم جنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا للتعذيب أهل النار (وما هى) أى سقر (الا ذكرى للبشر) أى الا عظة للخلق ليتذكروا كمال قدرة الله وانه لا يحتاج الى أعوان (كلا) أى حقا أو تنبهوا الى ما سيلقى اليكم (والقمر والليل اذ أدبر) قرأ نافع وحفص وحمزة بسكون الذال المعجمة والدال المهملة وبينهما همزة مفتوحة أى وقت ذهب والباقون بفتح الذال المعجمة والدال المهملة بينهما ألف أى اذا جاء (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وقرأ عيسى بن المفضل وابن السميقع سفر ثلاثيا أى طرح الظلمة (انها لاحدى الكبر) أى ان سقر لاحدى دركات جهنم (نذيرا للبشر) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهى انذارا للبشر وفى قراءة أبى نذير بالرفع (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله تعالى للبشر أى نذير لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو يتأخر عن خير فيضله الله (كل نفس بما كسبت رهينة) أى كل نفس مرهونة عند الله بكسبها غير مفكوكة (الا أصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بأعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل أصحاب اليمين حال كونهم فى جنات الكافرين عن أحوالهم حال كونهم فى النار قائلين (ما سلككم فى سقر) أى أى شئ أدخلكم فى هذه الدركة من النار (قالوا) مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) الصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين)

أى لم نك نعطى المسكين ما يجب علينا اعطاؤه له كنذر وكفارة وزكاة (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أتانا اليقين) أى الموت أى ابقينا على انكار القيامة الى وقت الموت قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى لا تنالهم شفاعة الملائكة والانبياء والصالحين (فمالهم عن التذكرة معرضين) أى فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن (كأنهم حمر مستنفرة) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى مذعورة ذعرها القناص والباقون بكسرها أى نافرة من صوت الناس أو من ظلمة الليل (فرت) أى الحمر (من قسورة) أى أسد فهى بذلك لانه يقهر السباع (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى طرية لم تطو بأن تأتينا وقت كتابتها فان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك وعن ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته من النار (كلا) أى لا يؤتون الصحف فلا تقترحوا ذلك (بل لا يخافون الآخرة) فى زمن من الازمان فلذلك يعرضون عن التذكرة (كلا) أى حقا (انه) أى القرآن (تذكرة) أى عظة عظيمة من الله توجب اتباعه (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يتعظ بالقرآن اتعظ به وجعله نصب عينيه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أى ولا يذكرون فى حال من الاحوال الا حال ان يشاء الله ذلك وقرأ نافع بتاء الخطاب وقرئ بالياء والتاء مشددا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده ويطيعوه وحقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا آمنوا وأطاعوا

(سورة القيامة مكية تسع وثلاثون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى النفوس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها فى الدنيا والآخرة فاذا اجتهدت فى الطاعة تلوم نفسها على عدم الزيادة واذا قصرت تلوم نفسها على التقصير والمعنى لا أقسم عليكم بذلك اليوم وبتلك النفس ولكنى أسألك غير مقسم أتحسب انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم انا قادرون على ان نفعل ذلك وذلك قوله تعالى (أيحسب الانسان) أى المكذب بالبعث (أن لن نجمع عظامه) أى ان الحديث لن نقدر على ان نجمع عظامه بعد تفريقها وقرأ قتادة ان لن تجمع عظامه على البناء للمفعول روى ان عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك أو يجمع الله العظام بعد صيرورتها ترابا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس المراد بالانسان ههنا أبو جهل فانه أنكر البعث بعد الموت قال تعالى فى جوابه (بلى) فهذه الكلمة أثبتت ما بعد النفى وهو الجمع أى بلى نجمعها والوقف هنا تام وقال أبو عمرو كاف (قادرين على أن نسوى بنانه) أى كنا قادرين على أن نخلق أطراف أصابعه فى الابتداء فوجب ان نبقى قادرين على الاعادة فى الانتهاء وقرأ ابن أبى عبلة قادرون بالرفع أى ونحن قادرون (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أى بل يريد الانسان أن يكذب بيوم القيامة وهو امامه فمن كذب حقا كان فاجرا (يسأل أيان يوم القيامة) أى يسأل الانسان سؤال متعنت

ومستبعد

ومستبعد متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) قرأ نافع بفتح الراء أي شخص البصر عند معاينة أسباب الموت والملائكة والباقون بالكسر أي تحير البصر فزعا فلم يطرق وقرأ أبو السمال بلق بمعنى انفتح (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه وقرئ وخسف القمر على البناء للمفعول أي ذهب بنفسه (وجمع الشمس والقمر) بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب (يقول الانسان) المنكر للقيامة (يومئذ) أي اذا عاين هذه الاحوال (أين المفر) أي أين الفرار من النار وقرئ بكسر الفاء أي أين موضع الفرار (كلا) أي حقا أولا تتمن الفرار (لا وزر) أي لا ملجأ أي فلا جبل يواريه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) أي موضع قرارهم يومئذ كانت هذه الامور مفوضة الى مشيئته تعالى فانه تعالى يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر كل امرئ عند وزن الاعمال بما عمل وبما ترك من عمل خيرا كان أو شرا (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك (ولو ألقى معاذيره) أي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه (لا تحرك به) أي بالقرآن (لسانك) قبل فراغ جبريل من قراءته عليك (لتعجل به) أي لتأخذه على عجلة مخافة ان تنساه (ان علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) أي اثبات قراءته في لسانك (فاذا قرأناه) أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل (فاتبع قرآنه) أي فاقرأ أنت بعد فراغنا من قراءته أي لا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل فاذا سكت جبريل فاشرع أنت في القراءة (ثم ان علينا بيانه) أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه على سبيل التفضل (كلا) أي لا تعجل يا أشرف الخلق وكن على اناءة (بل) أنتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك (تحبون العاجلة) أي الدنيا (وتذرون الآخرة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة أي انهم يحبون العمل للدنيا ويتركون العمل لثواب الآخرة (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فوجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة يوم القيامة وهي وجوه المؤمنين ناظرة الى الله تعالى لا يحجبون عنه (ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة) أي ووجوه شديدة العبوس يوم القيامة وهي وجوه الكفرة توقن أن يفعل بها أنواع العذاب في النار (كلا) أي تنبهوا لما أمامكم من الموت الذي ينقطع عنده المحبة بينكم وبين الدنيا (اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) أي اذا بلغت الروح أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقال من حول المشرف على الموت على سبيل الطلب أو على سبيل الانكار من يحميه مما هو فيه وهل من طبيب فيداويه أو قال ملك الموت للملائكة أيكم يرقى بروحه الى السماء وأيقن ذلك المحتضر ان ما نزل به فراق الدنيا واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا ويساق في ذلك اليوم الى حكم الله تعالى اذ اليه مرجع الخلائق (فلا صدق) وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيان يوم القيامة قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآيات في أبي جهل أي فهو ما صدق بالدين (ولا صلى) أي ما صلى أبو جهل صلاة شرعية (ولكن كذب) ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن (وتولى) أي أعرض عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتمدد ويختال في مشيته لان المتبختر يمد خطاه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه هزة أو هزتين وقال له (أولى لك فأولى) أي ويل لك يا أبا جهل وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه (ثم

أولى لك فأولى) أى وعيد الك يا أباجهل احذر يا أباجهل فقد قرب منك مالاقبل لك به من المكروه وقال القاضي المعنى بعد الك بعد الك أى بعدا فى أمردنياك و بعدا فى أمر آخرتك قال قتادة والكلبي ومقاتل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأى شئ تهددنى يا محمد فوالله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلابى شيأ وانى والله لاعزأهل هذا الوادى وأعزمن مشى بين جبليها ثم انسل ذاهبا فأنزل الله تعالى مثل ذلك (أيحسب الانسان ان يترك سدى) أى مهملا لايؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة (ألم يك) أى الانسان (نطفة) أى ماء قليلا فى صلب الرجل وترائب المرأة (من منى يمنى) أى يصب فى الرحم (ثم كان علقة) أى ثم صار المنى دما عبيطا بقدرة الله تعالى (فخلق فسوى) أى فنفخ الله فى ذلك الانسان الروح فكمل أعضاءه وهذا قول ابن عباس ومقاتل (فجعل منه الزوجين) أى فجعل الله من الانسان الصنفين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة فى الرحم وينفرد كل منهما عن الآخر تارة وكان لابى جهل ابن اسمه عكرمة وبنت اسمها جويرية (أليس ذلك) الذى أنشأ هذه الاشياء (بقادر على أن يحيى الموتى) للبعث فالاعادة أهون من البدء فى قياس العقل روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه السورة قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود والحاكم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أوغيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أوغيره

﴿سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الامشاج وسورة الدهر مكية وهى احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا) أى قد أتى على بنى آدم طائفة محدودة من الزمن الطويل غير مقدر فى نفسه غير مذكورة بالانسانية أصلا وهى مدة الحمل وقيل قد مرت على آدم أربعون سنة قبل ان تنفخ فيه الروح لم يكن شيأ مذكورا فى السماء ولا فى الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا (انا خلقنا الانسان) أى ولد آدم (من نطفة أمشاج) أى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء (نبتليه) أى نختبره بالخير والشر كما قاله الكلبى وقال الحسن أى نختبر شكره فى السراء وصبره فى الضراء (فجعلناه) أى الانسان (سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية (انا هديناه السبيل) أى بينا له سبيل الهدى والضلال بانزال الآيات ونصب الدلائل (اماشاكرا واما كفورا) أى ليكون الانسان اما مؤمنا واما كافرا ويقال انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى أما على حذف الجواب أى أماشاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله (انا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) أى انا هيأنا للكافرين سلاسل تشدبها أرجلهم ويقادون بها وأغلالا تشدبها أيديهم الى رقابهم ونارا موقدة يحرقون بها وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائى سلاسلا بالتنوين (ان الابرار)

أى الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم الموفين بنذرهم (يشربون من كأس) أى اناء فيه خمر (كان مزاجها كافورا) أى كانت تلك الخمر ممزوجة بماء عين كافور فان الكافور اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته و يبدل من كافور قوله (عينا يشرب بها عباد الله) أى يشرب عباد الله بماء تلك العين الخمر لكونها ممزوجة بها فالباء متعلقة بمحذوف حال من مفعول محذوف أى يشرب المؤمنون الخمر ممزوجة بتلك العين أو متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكأس أى يشربون العين بذلك الكأس والباء للالصاق أو مزيدة و يدل له قراءة ابن أبى عبلة يشربها عباد الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودون العين حيث شاؤا من منازلهم وتتبعهم حيث مالوا أمالت معهم أى ان الرجل منهم يمشى فى بيوته و يصعد الى قصوره و بيده قضيب يشير به الى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على مستوى الارض فى غير أخدود و يتبعه حيثما صعد الى أعلا قصوره (يوفون بالنذر) أى بما أوجبوه على أنفسهم لوجه الله تعالى فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم (ويخافون يوما كان شره) أى شدائده (مستطيرا) أى سريع الوصول الى أهله من العصاة (ويطعمون الطعام على حبه) أى مع حاجتهم الى الطعام وقال الفضيل بن عياض أى على حب اطعام الطعام أى بأن يكون ذلك مع طيب النفس (مسكينا ويتيما وأسيرا) أى مسجونا مسلما وهو قول مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير قائلين بلسان الحال (انما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثواب الله (لا نريد منكم جزاء) أى مكافأة (ولا شكورا) أى محمدة بقول أو بفعل روى أن عائشة كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أى تعبس فيه الوجوه (قمطريرا) أى شديدا روى أن الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى شدائده بسبب خوفهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) أى وأعطاهم بسبب طلب رضا الله حسنا فى وجوههم وفرحا فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) أى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدى اليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى وحريرا فيه ملبس بهى (متكئين فيها على الارائك) أى جالسين فى الجنة على السرر فى الحجال (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أى لا يصيبهم فى الجنة حر محم ولا برد مؤذ لان هواها معتدل فى الحر والبرد و يقال ان فى الجنة من الضياء ما لا يحتاجون معه الى شمس ولا قمر فان الزمهرير هو القمر فى لغة طئ كما رواه ثعلب ونورها من نور العرش (ودانية عليهم ظلالها) معطوف على محل لا يرون وهو فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى متكئين أى بعداء عن الحر والبرد وقريبة ظلال شجرها منهم وقرئ ودانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة فى موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم أى ان ظلال أشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم بمعنى أنه لو هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم (وذللت قطوفها تذليلا) أى أدنيت منهم عناقيد ثمارها فهم يتناولون منها كيف شاؤا (ويطاف عليهم بآنية من فضة) أى بصحاف من فضة (وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة) أى وبكيزان تكونت جامعة بين صفاء الزجاج وشفوفه و بياض الفضة ولينها فنسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة الى رمل الدنيا لان أصل القوارير فى الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة شفافة وقرئ قوارير الثانى بالرفع أى هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروا القوارير فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على اشكال معينة

موافقة لشهواتهم لجاءت حسب ماقدروها وقيل الضمير للطائفين بها أى قدر الطائفون الشراب فيها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها بالبناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا (ويسقون فيها) أى الجنة (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) أى ما يشبه الزنجبيل (عينا فيها) أى الجنة (تسمى) أى تلك العين (سلسبيلا) قال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان ويقال معناها سل الله سبيلا اليها وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل الله اليها سبيلا بالعمل الصالح وقرأ طلحة سلسبيل بغير تنوين للعلمية والتأنيث (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء وقيل أى محلون كما رواه نفطويه عن ابن الاعرابى أو مسورون كما رواه الفراء وهم خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يخلقوا عن ولادة على الصحيح (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض وانتشارهم فى مجالسهم ومنازلهم (واذا رأيت ثم) أى فى أى مكان كان فى الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه (عاليهم ثياب سندس) وهو مالطف من الديباج قرأ نافع وحمزة عاليهم باسكان الياء مبتدأ وثياب خبره أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقون بفتح الياء على أنه ظرف خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لولدان أى يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس الخ وقيل ان عاليهم حال من ضمير عليهم أى ويطوف على الابرار ولدان عاليا للطوف عليهم ثياب الخ أى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس (خضر واستبرق) وهو ماثخن من الديباج قرأ نافع وعاصم كلاهما بالرفع وقرأ الكسائى وحمزة كلاهما بالخفض وقرأ ابن كثير خضر بالخفض واستبرق بالرفع وقرأ أبو عمرو وعبد الله بن عامر خضر بالرفع واستبرق بالخفض (وحلوا أساور من فضة) وهذا معطوف على يطوف عليهم فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم وأيضا ان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب وقيل انما تكون الاسورة من الفضة للولدان الذين هم الخدم (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى غاية منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد وما كان فى جوفه من قذر وأذى (ان هذا) أى الذى ذكر من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) أى ثوابا من الله بمقابلة أعمالكم الحسنة وهذا اخبار من الله تعالى لعباده فى الدنيا فكأن الله تعالى بين ثواب أهل الجنة ان هذا كان فى حكمى جزاء لكم يا معاشر عبادى لكم خلقتها ولاجلكم أعددتها وقال ابن عباس المعنى أنه يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها ليزداد سرورهم ان هذا كان لكم جزاء (وكان سعيكم مشكورا) أى مرضيا وكان الله راضيا عنهم بالقليل من الطاعات ومعطيهم عليه ثوابا كثيرا ومنتهى درجة العبد أن يكون راضيا من ربه مرضيا لربه فقوله ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر الذى تصير النفس به راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كون النفس مرضية لربه وهذه الحالة أعلى الدرجات وآخر المقامات ولذلك وقع الختم عليها فى ذكر مراتب أحوال الابرار والصديقين (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى متفرقا آية وآيتين وسورة وهذه الآية تثبيت

الرسول وشرح صدره فيما نسبره اليه من كهانة وسحر (فاصبر لحكم ربك) فى تأخير الاذن فى القتال أو فى أداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك (ولا تطع منهم آثما) أى مقدما على المعاصى أى معصية كانت (أو كفورا) أى جاحدا للنعمة فالآثم هو الوليد بن المغيرة والكفور هو عتبة بن ربيعة كما قاله القفال وغيره واختاره الرازى يروى أن عتبة بن ربيعة قال للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر حتى أزوجك بنتى وأسوقها اليك من غير مهر فانى من أجمل قريش ولدا وقال الوليد انا أعطيك من المال حتى ترضى فانى من أكثرهم مالا وارجع عن هذا الامر أى عن ذكر النبوة فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم السجدة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع على (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى صل الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) أى وبعض الليل فصل لربك صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أى صل له صلاة التهجد فى جزء من ليل طويل قال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول ثم نسخ فالامر للوجوب لاسيما اذا تكرر على سبيل المبالغة (ان هؤلاء) أى الكفرة من أهل مكة (يحبون العاجلة) وينهمكون فى لذاتها الفانية (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أى ويتركون وراءهم مصالح يوم ثقيل أى شديد هوله وعذابه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى واذا شئنا أهلكنا هؤلاء الكفرة وآتينا بأشباههم فى الخلقة فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه تذكرة) أى ان هذه السورة عظة للخلق من الله (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء الخير لنفسه فى الدنيا والآخرة تقرب الى الله بالعمل بما فى هذه السورة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) أى وما تقدرون على تحصيل اتخاذ السبيل الى الله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئة الله تحصيله لكم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وما يشاؤن بالياء التحتية وقرأ ابن مسعود الا ما يشاء الله (ان الله كان عليما حكيما) أى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بأن يوفقه للايمان المؤدى الى دخول الجنة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى غير اتخاذ السبيل الى الله (أعد لهم عذابا أليما) أى متناهيا فى الايلام وقرأ عبد الله بن الزبير والظالمون بالرفع على الابتداء

(سورة المرسلات مكية خمسون آية ومائة واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا)

قال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار منى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم (بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) وهذا اقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهم بأوامره متتابعين فهم عصفوا فى طيرانهم عصف الرياح ونشروا أجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض ففرقوا بين الحق والباطل فألقوا ذكرا الى الانبياء ويقال أقسم الله برياح عذاب أرسلها متتابعة كعرف الفرس فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بعض أجزائه عن

بعض فان العاقل اذا شاهد هبوب الرياح التى تقلع القلاع وتهدم الجبال وترفع الامواج تمسك بذكر الله والتجأ الى اعانة الله فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والايمان والعبودية فى القلب ويمكن حمل هذه الكلمات الخمس على القرآن أى والآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد النازلة بكل عرف أى خير فعصفت سائر الملل فقهرت سائر الاديان وجعلتها باطلة ونشرت تلك الآيات آثار الهداية فى قلوب العالمين شرقا وغربا ففرقت بين الحق والباطل (عذرا أو نذرا) وهذا اما بدل من ذكرا أى فأقسم بالملائكة المنزلات وحيا أمرا أو نهيا ويقال وعدا أو وعيدا واما مفعول لاجله أى ازالة أعذار المخلوقين وتخويفا لهم (انما توعدون لواقع) أى ان الذى توعدون به من مجىء يوم القيامة لكائن ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا اليوم فقال (فاذا النجوم طمست) أى محقت ذواتها (واذا السماء فرجت) أى فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أى قلعت بسرعة من أماكنها (واذا الرسل اقتت) وقرأ أبو عمرو بالواو على الاصل أى حصل لهم الوقت وهو اما وقت يحضرون فيه للشهادة على أممهم واما وقت يجتمعون فيه للفوز بالثواب واما وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الامم عما أجابوهم (لأى يوم أجلت) أى يقال لاى يوم أخرت الامور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهذا القول المقدر اما جواب لاذا واما حال من مرفوع أقتت أى مقولا فيهم لاى يوم أخرت اليه أمور الرسل وهو تعذيب الكفرة وتعظيم المؤمنين وظهور ما كانت الرسل تذكره من أحوال الآخرة وأهوالها وعلى هذا الجواب اذا مقدر وتقديره فاذا طمست النجوم الخ وقع ما توعدون أو بأن الامر (ليوم الفصل) بدل من لاى يوم وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ويجوز ان يؤخذ من هذا جواب اذا أى وقع الفصل بين الخلائق أو فحينئذ تقع المجازاة بالاعمال وتقوم القيامة (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما علمك يا أشرف الخلق بيوم الفصل وشدته فالاستفهام الاول للاستبعاد والانكار والاستفهام الثانى للتعظيم والتهويل والمعنى أنت الآن فى الدنيا لا تعلم ما يوم الفصل أى لا تعلم عظمه وأهواله على سبيل التفصيل وان كنت تعلمها اجمالا (ويل يومئذ للمكذبين) أى وادفى جهنم من قيح ودم يوم اذ يفصل بين الخلائق للمكذبين بذلك اليوم وبكل ما أخبر الانبياء عنه وويل مبتدا اسوغ الابتداء به كونه دعاء ونحو سلام عليكم وفائدة العدول الى الرفع دلالة على دوام الهلاك للمدعو عليهم (ألم نهلك الاولين) وهم جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم والوقف هنا كاف ثم استأنف الله بقوله (ثم نتبعهم الآخرين) ممن كذبوا الحق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالاماتة بالتعذيب وقد وقع ذلك فى حق كفار قريش يوم بدر واستعقبه اللعن فى الدنيا والعقوبة الاخروية سرمدا ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين التنفيس أما قراءة الاعمش والاعرج عن أبى عمرو ثم نتبعهم بتسكين العين فهو تسكين للتخفيف لا للجزم فهو مستأنف كالمرفوع لفظا (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أشرك بالله فيما يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك فسنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ للمكذبين) أى هؤلاء وان أهلكوا وعذبوا فى الدنيا فالمصيبة العظمى معدة لهم يوم القيامة وقيل هذا الويل لعذاب الدنيا فالمعنى شدة عذاب يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بآيات الله وأنبيائه (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى من نطفة قذرة منتنة (فجعلناه فى قرار مكين) أى فى مكان حريز رحم المرأة (الى قدر معلوم) لله تعالى أى الى وقت الولادة (فقدرنا فنعم القادرون) أى قدرنا خلقه فى رحم المرأة تقديرا فنعم المقدرون له نحن فان ايقاع الخلق على هذا التحديد نعمة من المحدد على المخلوق أو فقدرنا على تصويره كيف شئنا فنعم القادرون نحن حيث خلقناه

فى أحسن الهيآت قرأ نافع أو الكسائى فقدرنا بتشديد الدال والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا بعد ان يكون المعنى فى التخفيف والتشديد واحدا لان العرب تقول قدر وقدر عليه الموت أى فقدرنا بالتخفيف يكون بمعنى قدرنا بالتشديد ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له أى قدروا له السير فى المنازل (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على البدء والاعادة بعد الموت (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) أى ألم نجعل الارض موضعا يضم احياء كثيرة على ظهره وأمواتا غير محصورة فى بطنه فالاحياء يسكنون فى منازلهم والاموات يدفنون فى قبورهم ونقل القفال عن ربيعة انه قال دلت هذه الآية على وجوب قطع النباش لان الارض كانت حرزا للميت (وجعلنا فيها) أى على ظهر الارض (رواسى) أى جبالا ثوابت لا تزول (شامخات) أى عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) أى غاية فى العذوبة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة وتقول لهم الزبانية بعد الفراغ من الحساب (انطلقوا) يامعشر المكذبين (الى ما كنتم) فى الدنيا (به تكذبون) من العذاب روى ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان فتلفحهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم ثم ينجى الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله تعالى فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتقول خزنة النار للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عقاب الله (انطلقوا الى ظل) أى الى دخان جهنم وقرأ يعقوب انطلقوا على لفظ الماضى أى فانقادوا واللام لاجل انهم لا يستطيعون امتناعا منه (ذى ثلاث شعب) أى فرق وهى كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم (لاظليل) أى لا يمنع حر الشمس (ولا يغنى من اللهب) أى ولا يدفع من لهب النار شيأ أو ولا يبعد من العطش كما قاله قطرب (انها) أى النار (ترمى بشرر) وهو ما يتطاير من النار (كالقصر) من البناء فى عظمه (كأنه جمالة) أى ابل (صفر) أى فى الحركة واللون فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وهذا تنبيه على ان فى كل واحد من تلك الشرارات أنواعا من البلاء والمحنة فكأنه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة بغير ألف بعد اللام والباقون بالالف (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه الامور (هذا يوم لا ينطقون) فيه بحجة تنفعهم والسؤال قد انقضى قبل ذلك وقرأ الاعمش بنصب يوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى انهم لم يؤذنوا فى العذر وهم لم يعتذروا أيضا لا لاجل عدم الاذن بل لاجل عدم العذر فى نفسه (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا) أى اليوم (يوم الفصل) أى فصل حكومات جميع المكلفين (جمعناكم) يامعشر المكذبين من جميع هذه الامة (والاولين) من المكذبين (فان كان لكم كيد فكيدون) أى فان كان لكم حيلة فى دفع الحقوق عن أنفسكم فافعلوها وغالبونى (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين فى ظلال) أى فى ظلال شجرة (وعيون) أى ماء ظاهر جار وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها (وفواكه مما يشتهون) فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا فيقول الله تعالى لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيأ) أى سائغا بلا داء ولا تعب (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الخيرات ذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من النعم فى مقابلة ثلاث شعب من النار كأنه قيل ظلال المكذبين ما كانت ظليلة وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة حاجزة بينهم وبين اللهب

ومغنية لهم عن العطش ومعهم الفواكه التي يتمنونها في مقابلة شرار النار التي يخافها المكذبون ولما قال تعالى للكفار انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب قال للمؤمنين كلوا واشربوا هنيأ (انا كذلك نجزي المحسنين) أي انا نجزي المحسنين في العقيدة مثل ذلك الجزاء (ويل يومئذ للمكذبين) يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (كلوا وتمتعوا قليلا) أي كلوا يا معشر المكذبين وعيشوا يسيرا في الدنيا (انكم مجرمون) أي مشركون مصيركم النار في الآخرة وقال أبو السعود وهذا مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك بأجرامهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا (ويل يومئذ للمكذبين) بما يجب تصديقه وهذا هو النوع التاسع من أنواع تخويف الكفار (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي واذا قيل للمجرمين في الدنيا اخضعوا لله بالتوحيد وأطيعوه لا يقبلون ذلك ويقال نزلت هذه الآية في ثقيف حيث قالوا لا نحني ظهورنا بالركوع والسجود ويقال هذا في الآخرة وذلك لما يقول الكفار والله ربنا ما كنا مشركين قال الله تعالى لهم اسجدوا ان كنتم صادقين بما تقولون فلم يقدروا على السجود وبقيت اصلابهم كالصياصي (ويل يومئذ للمكذبين) بمن يرشدهم الى المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا والآخرة وهذا هو النوع العاشر من أنواع تخويف الكفار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع وضوحها فبأي كلام بعدها يؤمنون لان القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لان ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه

(سورة النبأ وتسمى سورة التساؤل وسورة عم مكية وهي أربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون) أي عن أي شيء يتساءل أهل مكة فيما بينهم انكارا واستهزاء (عن النبأ العظيم) قوله عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب فالسائل والمجيب هو الله تعالى ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (الذي هم فيه مختلفون) والخبر العظيم هو يوم القيامة فنهم من جزم باستحالته فيقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومنهم من شك في وقوعه فيقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل الخبر العظيم هو القرآن فان بعضهم جعله سحرا وبعضهم جعله شعرا وبعضهم قال انه أساطير الاولين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل النبأ العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم عجبوا من ارسال الله محمدا اليهم قرأ عكرمة وعيسى بن عمر عما بالالف على الاصل وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) أي لم تدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وسيعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه وقال القاضي سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة وسيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وقال الضحاك أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وروى عن ابن عامر ستعلمون بالتاء المنقطة من فوق (ألم نجعل

الارض مهادا) أى فراشا وقرئ مهدا أى مناما (والجبال أوتادا) للارض حتى لا تميد بأهلها (وخلقناكم أزواجا) ذكورا واناثا وقبيحا وحسنا وطويلا وقصيرا (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا للتعب أو نوما منقطعا فان النوم بمقدار الحاجة من أنفع الاشياء أما دوامه فمن أضر الاشياء (وجعلنا الليل لباسا) فان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا أراد هربا من عدو أو اخفاء ما لا يحب الانسان اطلاع غيره عليه وأيضا بسبب ما يحصل فيه من النوم يندفع عنه أذى التعب الجسمانى وأذى الافكار الموحشة النفسانية فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة (وجعلنا النهار معاشا) أى وقت معاش تتقلبون فيه فى مكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أى خلقنا فوق رؤسكم سبع سموات غلاظا قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) أى شمسا مضيئة لبنى آدم (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب بالرياح (ماء ثجاجا) أى صبابا ويروى عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعكرمة أنهم قرؤا وأنزلنا بالمعصرات أى بالرياح المثيرة للسحاب (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) يقتات كالحنطة والشعير والارز (ونباتا) لا يكون له كمام كالحشيش (وجنات ألفافا) أى مجتمعة تداخل بعضها فى بعض (ان يوم الفصل كان ميقاتا) أى ان يوم فصل الله بين الخلائق كان فى تقدير الله تعالى ميعاد الاجتماع كل الخلائق فى قطع الخصومات وميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفخ فى الصور) نفخة البعث أى تنفخ الارواح فى الاجساد (فتأتون أفواجا) أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف أمما كل أمة مع امامها حتى يتكامل اجتماعهم (وفتحت السماء) لنزول الملائكة قرأ عاصم وحمزة والكسائى خفيفة التاء والباقون بتشديدها (فكانت أبوابا) أى فصارت السماء ذات أبواب (وسيرت الجبال) فى الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها (فكانت سرابا) أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها (ان جهنم كانت مرصادا) أى طريقا فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم وخزنة جهنم يرصدون الكفار (للطاغين) أى للمتكبرين على الله (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) أى حقبا بعد حقب وقرأ حمزة لبثين بغير ألف (لا يذوقون فيها) أى الاحقاب (بردا) أى هواء باردا ولا ماء باردا وقال الاخفش والكسائى والفراء وقطرب والعتبى أى نوما سمى بذلك لانه يقطع سورة العطش (ولا شرابا الا حميما) أى ماء حارا جدا (وغساقا) أى باردا منتنا لا يطاق وهو المسمى بالزمهرير قرأ حمزة والكسائى وعاصم من رواية حفص عنه بتشديد السين (جزاء وفاقا) أى جوزوا بذلك جزاء موافقا لاعمالهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) أى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم أو انهم كانوا غير مؤمنين وذلك لان المؤمن لا بد وان يرجو رحمة الله لانه قاطع بأن ثواب ايمانه زائد على عقاب جميع المعاصى سوى الكفر (وكذبوا بآياتنا) أى بجميع دلائل الله تعالى فى التوحيد والنبوة والمعاد (كذابا) وقرئ بتخفيف الذال وقرئ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال جمع كاذب أى كذبوا بالقرآن والشرائع كاذبين فكل من يكذب بالحق فهو كاذب (وكل شئ أحصيناه) أى ضبطناه (كتابا) أى حال كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ أو وكل شئ من أعمال بنى آدم حفظناه مكتوبا فى صحف الحفظة وقرأ أبو السمال وكل بالرفع على الابتداء (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) أى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم فلن نزيدكم الا عذابا أى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا (ان للمتقين مفازا)

أى فوزا بالمطلوب (حدائق) أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة (وأعنابا) أى كروما (وكواعب) أى نساء فلكت ثديهن (أترابا) أى مستويات فى السن على ثلاثة وثلاثين سنة (وكأساد هاقا) أى ممتلئة (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) أى لا يجرى بين المتقين كلام باطل وتكذيب من واحد لغيره بسبب الكأس التى يشربون منها وقرأ الكسائى بالتخفيف (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى جازى الله المتقين بمفاز جزاء كائنا منه تفضلا منه بقدر ما وجب له فيما وعده من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه وجه منها على عشرة أضعاف ووجه على سبعمائة ضعف ووجه على ما لا نهاية له والمعنى راعيت فى ثواب أعمالكم الحساب لئلا يقع فيه نقصان وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد يعنى محسب (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو برفع رب والرحمن وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر بجرهما وقرأ حمزة والكسائى بجر الاول مع رفع الثانى (لا يملكون منه خطابا) أى لا يملك أهل السموات والارض أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم خطابا ما أى شئ ما والوقف هنا كاف (يوم يقوم الروح) قال الضحاك والشعبى هو جبريل وعن ابن مسعود أنه ملك أعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا (والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن) منهم فى التكلم (وقال صوابا) أى وقال ذلك المأذون له بعد ورود الاذن قولا صادقا حقا وقيل المعنى لا يشفعون الا فى حق شخص أذن له الرحمن فى شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابا وهو شهادة أن لا اله الا الله ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون (ذلك) أى يوم قيامهم على الوجه المذكور (اليوم الحق) أى الثابت من غير صارف (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أى فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه فعل ذلك بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم) أى خوفناكم يا أهل مكة بالقوارع الواردة فى القرآن (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) وما اما استفهامية أى يوم يبصر كل امرئ أى شئ قدمت يداه مثبتا فى صحيفته خيرا كان أو شرا واما موصولة أى يوم ينظر كل امرئ الى الذى قدمته يداه (ويقول الكافر) لما قطع بالعقاب (يا ليتنى كنت ترابا) أى ليتنى لم أبعث للحساب فى هذا اليوم وبقيت ترابا كما كنت أو ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وقيل يقول الكافر عندما يقول الله للبهائم بعد محاسبته بينها كونى ترابا يا ليتنى أصير ترابا مثل تلك البهائم لا تخلص من عذاب الله تعالى وقيل ويقول ابليس لما عاين ما فى آدم من الثواب والراحة يوم القيامة ليتنى كنت مكان آدم وذلك لان ابليس عاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من نار وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فى أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وقوله ويقول الكافر فى أخيه الاسد بن عبد الاسد

(سورة والنازعات مكية خمس وأربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وثلاثة وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا) أى والملائكة الذين ينزعون روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر وأصول القدمين كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء (والناشطات نشطا) أى والملائكة التى تحل نفس المؤمن حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وتنشط روح المؤمن بالخروج الى الجنة (والسابحات سبحا) أى

والملائكة

والملائكة الذين ينزعون نفس الصالح يسلونها سلا رفيقا رويدا ثم يتركونها حتى تستريح ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة لئلا يصل اليه ألم وشدة (فالسابقات سبقا) أي والملائكة الذين يسبقون بأرواح المؤمنين الى الجنة وبأرواح الكافرين الى النار (فالمدبرات أمرا) اى فالملائكة الذين يدبرون أمور العباد قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فهو موكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وليس في الملائكة أقرب منه (يوم ترجف الراجفة) ويوم منصوب بجواب القسم المضمر أي لتبعثن يا كفار مكة يوم تتحرك النفخة الاولى مع ظهور الصوت وسميت النفخة بالراجفة لان الدنيا تتزلزل عندها وتصوت فان صوت تلك النفخة هي المحركة لكل شيء (تتبعها الرادفة) أي النفخة الثانية والرادفة رجفة أخرى تتبع الاولى فتضطرب الارض لاحياء الموتى كما اضطربت في الاولى لموت الاحياء ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان بين النفختين أربعين عاما ويروى أن في هذه الاربعين يمطر الله الارض ويصير ذلك الماء عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحياء ولله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (قلوب يومئذ واجفة) أي قلوب كثيرة وهي قلوب الكفار يوم اذ يقع النفختان شديدة الاضطراب وهذه الجملة مبتدا وخبر (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحاب هذه القلوب ذليلة (يقولون) منكرين للبعث متعجبين منه (أئنا لمردودون) بعد موتنا (في الحافرة) أي في الحالة الاولى وقرأ أبو حيوة في الحفرة أي أنرد الى ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا (أئذا كنا عظاما نخرة) أي متفتتة نرد ونبعث مع كون تلك العظام أبعد شيء من الحياة وقرأ حمزة وعاصم ناخرة بألف أي فارغة تمر بها الريح فيسمع لها صوت وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا على الخبر (قالوا تلك) أي الرجعة الى الحياة (اذا) أي ان رددنا الى الحالة الاولى وصح ذلك (كرة خاسرة) أي رجعة ذات هلاك أي ان الرجعة ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله بل هي سهلة هينة في قدرته لانها حاصلة بصيحة واحدة من اسرافيل (فاذا هم بالساهرة) أي فاذا هم أحياء على وجه الارض البيضاء المستوية من أرض الآخرة بعدما كانوا أمواتا في جوف أرض الدنيا (هل أتاك حديث موسى) أي أليس قد أتاك يا أشرف الخلق حديث موسى هذا ان اعتبر اتيانه قبل هذا الكلام والا فالمعنى هل أتاك يا أكرم الرسل حديثه أنا أخبرك به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث (طوى) وهو اسم واد بالشام وهو عند الطور بين ايلة ومصر وانما سميت طوى لكثرة ما مشت عليه الانبياء قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الطاء غير منون وقرأ الباقون بضم الطاء منونا وروى عن أبي عمرو بكسر الطاء (اذهب الى فرعون) عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وعنه أيضا كان من أصبهان طوله أربعة أشبار وهو أول من اتخذ القبقاب ليمشي فيه خوفا من ان يمشي على لحيته وقال مجاهد كان من أهل اصطخر وقرأ عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول (انه طغى) أي تجاوز الحد على الخالق وعلى الخلق فكفر بالله وتكبر على بني اسرائيل فاستعبدهم (فقل) بعدما أتيته (هل لك الى أن تزكى) أي هل لك يا فرعون سبيل الى ان تصلح فتوحد بالله وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي (وأهديك الى ربك) أي وهل أدعوك الى معرفة ربك بالبرهان فتعرفه (فتخشى) فان الخشية لا تكون الا بالمعرفة فمن خشي الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر (فأراه الآية الكبرى) أي فذهب موسى

الى فرعون فأراه قلب العصا حية (فكذب) فرعون موسى بالقلب واللسان وسمى معجزته سحرا (وعصى) الله تعالى باظهار التمرد بعدما علم صحة الامر حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين (ثم أدبر) أى انصرف عن موسى وأعرض عن الايمان (يسعى) أى يجتهد فى مكايدة موسى وفى معارضة الآية (فحشر) أى فجمع السحرة بالشرط للمعارضة (فنادى) فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الاعلى) أى لا رب فوقى (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أى فعذبه الله فى الآخرة بالاحراق بالنار وفى الدنيا بالاغراق بالماء وقيل فعاقبه الله بكلمته الآخرة وهى قوله أنا ربكم الاعلى وبكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكان بينهما أربعون سنة فالله تعالى يمهل ولا يهمل (ان فى ذلك) أى فى قصة فرعون (لعبرة) أى لعظة (لمن يخشى) وذلك ان يدع التمرد على الله تعالى والتكذيب لانبيائه خوفا من ان ينزل به ما نزل لفرعون وعلما بأن الله تعالى ينصر رسله فاعتبروا يا معاشر المكذبين لمحمد بما ذكرناه (أأنتم أشد خلقا أم السماء) أى أأنتم يا أهل مكة فى خلقكم بعد موتكم أصعب فى تقديركم أم خلق السماء على عظمها والوقف هنا تام (بناها) وهذا تفصيل لكيفية خلقها (رفع سمكها) أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض ومقدار ذهابها فى سمت العلو مسافة خمسمائة عام واعلم ان امتداد الشئ اذا أخذ من أعلاه الى أسفله سمى عمقا واذا أخذ من أسفله الى أعلاه سمى سمكا (فسواها) أى فجعلها مستوية ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض ولا تفاوت ولا فطور (وأغطش ليلها) أى جعل الليل مظلما (وأخرج ضحاها) أى وابرز نهارها واغا عبر عن النهار بالضحى لانها أكمل أجزاء النهار فى الضوء (والارض بعد ذلك) بألفى سنة (دحاها) أى بسطها على الماء (أخرج منها) أى الارض (ماءها) أى عيونها المنفجرة بالماء وأنهارها الجارى ماؤها (ومرعاها) أى نباتها من العشب والشجر والثمر والحب والعصف والحطب واللباس والدواء حتى النار والملح فان النار من العيدان والملح من الماء واذا تأملت علمت ان جميع ما يتلذذ الناس به فى الدنيا أصله الماء والنبات (والجبال أرساها) أى أثبتها على وجه الارض لتسكن (متاعا لكم ولانعامكم) أى انا خلقنا هذه الاشياء منفعة لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى أعنى (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أى يوم يتذكر كل أحد فيه ما عمله فى الدنيا من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد ويجوز ان يكون يوم بدلا من الطامة الكبرى مبنيا على الفتح لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أى أظهرت الجحيم اظهارا بينا (لمن يرى) فيراها كل ذى بصر من المؤمنين والكفار وقرأ أبو نهيك وبرزت بالتخفيف وقرأ ابن مسعود لمن رأى فعلا ماضيا وقرأ زيد بن على وعائشة وعكرمة برزت مبنيا للفاعل مخففا وترى بالتاء وهى اما للتأنيث فالضمير للجحيم واما للخطاب أى لمن ترى أنت يا محمد من الكفار الذين يؤذونك وجواب اذا محذوف تقديره انقسم الناس قسمين (فأما من طغى) أى تمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان (وآثر الحياة الدنيا) أى انهمك فيها ولم يستعد للحياة الاخروية بالطاعة (فان الجحيم هى المأوى) له وبقال التقدير فان الجحيم هى المأوى اللائق بمن كان موصوفا بهذه الصفات قيل نزلت هذه الآية فى النضر وأبيه الحرث (وأما من خاف مقام ربه) أى مقام حضرة ربه (ونهى النفس عن الهوى) أى عن الميل الى الحرام الذى يشتهيه (فان الجنة هى المأوى) له قيل نزلت الآيتان فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله بنفسه حتى استشهد رضى الله

عنه وروى الضحاك عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبح واحدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ماهو بأخ له شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه حتى تبعث أمه فداءه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ماتعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب (يسألونك) يا أشرف الخلق (عن الساعة) على سبيل الاستهزاء حين سمع المشركون وصفها بالاوصاف الهائلة مثل طامة وصاخة وقارعة (أيان مرساها) أي متى اقامتها أي في أي وقت يوجدها الله تعالى (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شئ أنت من ان تذكر وقتها لهم (الى ربك منتهاها) أي الى ربك يرجع منتهى علمها لم يؤت أحدا من خلقه (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما أنت مخوف من يخاف هولها فالانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطلحة وابن محيصن منذر بالتنوين وهو الاصل وحذف التنوين للتخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي فلا يجوز الا الاضافة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) وهذا اما تأكيد لما يدل عليه الانذار من سرعة مجيء المنذر به أي كأن كفار قريش يوم يعاينون الساعة لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه واما رد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عن الساعة بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ويقولون متى هذا الوعد فالمعنى كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية هي من الزوال الى الغروب أو ضحاها ومهما اعتبار كون اللبث بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطاء ثم

﴿سورة عبس وتسمى سورة الاعمى وسورة السفرة مكية وهي احدى وأربعون آية ومائة وثلاث وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم عبس) أي كلح النبي وجهه وقرئ بالتشديد للمبالغة (وتولى) أي أعرض بوجهه لاجل (أن جاءه الاعمى) اسمه عبد الله ابن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك الفهري وأم مكتوم كانت أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة (ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي أي شئ يجعلك يا أشرف الخلق داريا بحال هذا الاعمى حتى تعرض عنه لعله يتطهر بما يقتبس منك من الاثم أو يتعظ فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التطهر التام وقرأ عاصم بنصب فتنفعه على جواب لعل (أما من استغنى) عن الايمان والقرآن بماله من المال (فأنت له تصدى) أي تقبل عليه بوجهك وتميل الى كلامه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد وقرأ أبو جعفر بضم التاء أي فأنت يدعوك

داع الى التصدى له من الحرص على اسلامه (وماعليك ألا يزكى) وما انافية والجملة حال من ضمير تصدى أى والحال انه ليس عليك بأس فى عدم تطهره من الشرك بالاسلام واما استفهامية للانكار أى وأى شئ عليك فى كونه لا يتطهر من دنس الكفر (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) من الله أى وهو مسلم (فأنت عنه تلهى) أى تتشاغل بصناديد قريش وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (كلا) أى لا تفعل مثل ذلك أى و ذلك محمول على ترك الاولى (انها تذكرة) أى ان القرآن موعظة (فمن شاء ذكره) أى فمن رغب فى القرآن اتعظ به ومن لم يرده فلا حاجة الى الاهتمام بأمره (فى صحف) أى ذلك القرآن مثبت فى صحف منتسخة من اللوح المحفوظ (مكرمة) عند الله تعالى (مرفوعة) فى السماء السابعة (مطهرة) أى منزهة عن مساس أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) أى ملائكة يكشفون الوحى بين الله ورسله أو يكتبون الكتب ناقلين من اللوح المحفوظ (كرام) أى عند الله تعالى (بررة) أى صادقين لله فى أعمالهم وقال القرطبي ان المراد بها فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة وقوله بأيدى متعلق بمطهرة قال القفال لما لم يمس الصحف الا الملائكة المطهرون أضيف التطهر اليها لطهارة من يمسها (قتل الانسان) أى لعن الكافر (ما أكفره) أى أى شئ أكفره وهو تعجب من افراطه فى الكفران والتعجب بالنسبة للمخلوقين والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرناه بعد هذا (من أى شئ خلقه) وهذا استفهام تقرير فى التحقير أى فليتفكر الانسان فى نفسه من أى شئ خلقه الله ثم بين الله له فقال (من نطفة) أى ماء حقير (خلقه) فمن كان أصله مثل هذا الشئ الحقير فالتكبر لا يكون لائقا به (فقدره) أى فهيأه لما يصلح له و يليق به من الاعضاء أو فقدره أطوارا نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه (ثم السبيل يسره) أى ثم سهل الله خروجه من بطن أمه وكان رأس المولود فى بطن امه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب لخروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب أو ثم بين طريق الخير والشر التى تتعلق بالدنيا والتى تتعلق بالدين (ثم أماته) بعد ذلك (فأقبره) أى جعله الله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له (ثم اذا شاء أنشره) أى بعثه من القبر (كلا) أى لا تتكبر ولا تصر على انكار التوحيد وعلى انكار البعث أوحقا يا محمد (لما يقض ما أمره) أى لم يعمل الانسان الكافر بما أمره الله به من التأمل فى دلائل الله والتدبر فى عجائب خلقه و بينات حكمته (فلينظر الانسان الى طعامه) الذى جعله الله سببا لحياته كيف دبر الله أمره (أنا صببنا الماء) أى الغيث على الارض (صبا) قرأ عاصم وحمزة والكسائى أنا بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه والباقون بالكسر على الاستئناف وقرئ أنى بالامالة أى كيف صببنا الماء صبا عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات (شقا) بديعا لائقا به (فأنبتنا فيها) أى الارض (حبا) وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (وعنبا) وهو غذاء من وجه وفاكهة من وجه (وقضبا) قيل هو كل ما يقطع من البقول وقال الحسن هو العلف للدواب وقال ابن عباس هو الرطب فانه يقطع من النخل (وزيتونا) وفيه اصلاح المزاج (ونخلا وحدائق غلبا) أى بساتين ملتفة الاشجار أو طوال الاشجار (وفاكهة) وهى ما تأكله الناس من ثمار الاشجار (وأبا) وهو ما تأكله الدواب من الكلا (متاعا لكم ولانعامكم) أى فعل الله ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الصاخة) أى صيحة النفخة الثانية التى تصم الآذان لشدتها (يوم يفر المرء من أخيه) و يوم أما منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة

أو بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين أى يعرض عن أخيه (وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه) وفائدة هذا الترتيب كأنه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه بل من أبويه اللذين هما أقرب من الاخ بل من الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالابوين وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل امرئ بحال نفسه و يدل عليه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ) أى يوم اذ تكون هذه الداهية (شأن يغنيه) أى شغل يكفيه فى الاهتمام به أو عمل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتيبة وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمه أى يوقعه فى الهم (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من صلاة الليل كما قاله ابن عباس أو من آثار الوضوء كما قاله الضحاك أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان كما قاله الرازى (ضاحكة) أى معجبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب (مستبشرة) أى فرحة بما تشاهده من النعيم الدائم والثواب الجسيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى كدورة (ترهقها) أى تدركها عن قرب (قترة) أى سواد كالدخان (أولئك) أى أصحاب هذه الوجوه (هم الكفرة الفجرة) أى الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله

﴿سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت) أى لفت أى صارت مختفية عن الاعين وقيل أى رميت عن الفلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش (واذا النجوم انكدرت) أى تساقطت على وجه الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من أيديهم (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض بالرجفة (واذا العشار) أى النوق الحوامل التى هى أنفس ما يكون عند أهلها (عطلت) أى تركت من غير راع لاشتغال أربابها بانفسهم وقيل أى واذا السحاب تعطلت عن الماء وقرئ عطلت بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت من كل جانب لا للبعث للقصاص وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد (واذا البحار سجرت) أى ملئت من الماء فيفيض بعضها الى بعض فتصير شيأ واحدا ثم تيبس البحار من الماء ثم تقلب نارا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم وهذه العلامات الستة يمكن وقوعها فى أول زمان تخريب الدنيا أما الستة الباقية فانها مختصة بالقيامة وهى ما ذكر بقوله تعالى (واذا النفوس زوجت) أى ردت الارواح الى أجسادها وقال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس بأعمالها (واذا الموؤدة سئلت) أى واذا البنت المدفونة حية سئلت تبكيتا لمن دفنها فى القبر وهى حية (بأى ذنب قتلت) أى هى وذلك كأن قيل للموؤدة ان القتل لا يجوز الا لذنب عظيم فما ذنبك أيتها البنت فكان جوابها أنى قتلت بغير ذنب فيفتضح القاتل وقرئ قتلت بكسر التاء للمخاطبة مع قراءة سئلت بقراءة الجمهور وقرئ سألت بالبناء للفاعل أى خاصمت أباها أو سألت الله تعالى وهذه القراءة مع قراءة قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراآت الشاذة ثلاثة (واذا الصحف نشرت) أى واذا صحف الاعمال فرقت بين أصحابها

عنـد الحساب وتطايرت في الاكف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها (واذا السماء كشطت) أي أزيلت عما فوقها وهي الجنة وعرش الله وقرأ ابن مسعود قشطت (واذا الجحيم سعرت) أي أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (واذا الجنة ازلفت) أي قربت من المتقين وقال عبد الله بن زيد أي زينت (علمت نفس ما أحضرت) أي ما قدمت من خير أو شر فان الاعمال لما عملتها النفس فكأنها أحضرتها في الموقف (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) لا زائدة أي فاقسم بالكواكب الرواجع من آخر الفلك الى أوله التي تجري مع الشمس والقمر التي تختفي تحت ضوء الشمس وهي هذه الانجم الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها كما أخرجه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب (والليل اذا عسعس) أي ذهب (والصبح اذا تنفس) أي أضاء (انه لقول رسول كريم) أي ان هذا الذي أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل أتاه به وحيا من عند الله تعالى أو ان القرآن لقول جبريل نزل به الى محمد من جهة الله تعالى فهو رسول الله الى الانبياء وهو كريم لانه يعطي أفضل العطايا وهو الهداية (ذي قوة) أي شدة روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ذكر الله قوتك فماذا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع على قوادم جناحي حتى اذا سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها وذكر مقاتل أن الابيض وهو شيطان قصد أن يفتن النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند (عند ذي العرش مكين) أي ذي جاه عند الله تعالى فانه يعطي ما يسئل وهذه العندية عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان وجهة (مطاع ثم) أي في السموات فتطيعه الملائكة فانهم يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على وحي الله ورسالته قد عصمه الله من الخيانة والزلل (وما صاحبكم) أي نبيكم محمد يا معشر قريش (بمجنون) كما زعمتم والمقصود من عد فضائل جبريل واقتصار النبي صلى الله عليه وسلم على نفي الجنون رد قول الكفرة في حقه صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا الموازنة بينهما ولا تفضيل جبريل على النبي ثم انك اذا أمعنت النظر وقفت على أن اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم بلغ من علو المنزلة عند الله تعالى بجعل السفير بينه وبينه تعالى مثل هذا الملك المقرب فهذه الصفات التي لجبريل رفع منزلة له صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالافق المبين) أي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام بمطلع الشمس الاعلى على صورته التي خلق عليها (وما هو على الغيب بضنين) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء المشالة أي وما محمد بمتهم في القرآن بل هو ثقة فيما يؤدي عن الله تعالى وقرأ الباقون بالضاد أي وما محمد ببخيل بالقرآن بل يخبر بما في القرآن من أخبار الغيب ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وما القرآن بقول مسترق للسمع انه مرمي فيلقيه على محمد وهذا نفي لقول أهل مكة ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسان محمد وأنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) أي فمن أي طريق تسلكون في انكاركم القرآن أمن نسبته للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) أي ما القرآن الا عظة للانس والجن (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب فان القرآن انما ينتفع به من شاء

أن يستقيم (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أي الا أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة ففعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة فافعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله

﴿سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت) أي انشقت لنزول الملائكة (واذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت متفرقة على وجه الارض (واذا البحار فجرت) أي فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وصارت البحار بحرا واحدا وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف أي تجاوز بعضها الى بعض وقرأ مجاهد أيضا والربيع بن خيثم والزعفراني والثوري فجرت مبنيا للمفعول ومخففا أي غير بعضها بعض لزوال البرزخ (واذا القبور بعثرت) أي قلب أسفلها أعلاها واخرج ما فيها من الموتى احياء (علمت نفس ما قدمت) أي أدت من طاعة (وأخرت) أي ضيعت وذلك عند نشر الصحف (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات وقرأ سعيد بن جبير والاعمش ما أغرك رباعيا فاحتمل أن تكون ما استفهامية وأن تكون تعجبية أي أي شيء جعلك آمنا من عقاب ربك أو شيء عظيم يتعجب منه أدخلك في غرة أي أمن من العذاب (الذي خلقك) نسمة من نطفة (فسواك) أي جعلك سالم الاعضاء مهيأة لمنافعها (فعدلك) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت كما قاله أبو على الفارسي أو فصرفك الى أي صورة شاء وقرأ الباقون بالتشديد أي صيرك متناسب الاعضاء فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع وقال عطاء عن ابن عباس أي جعلك معتدل القامة حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ما شاء ركبك) وما زائدة وشاء صفة لصورة وركبك بيان لقوله تعالى فعدلك أي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة (كلا) أي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وانكم لا ترتدعون عن ذلك (بل تكذبون) يا معشر قريش (بالدين) أي بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون أي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا الحافظين لاعمالكم (كراما) عندنا (كاتبين) لهذه الاعمال في الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التقويم (يعلمون ما تفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا ليجاز وابذلك (ان الابرار) أي الصادقين في ايمانهم (لفي نعيم) أي لفي جنة دائم نعيمها (وان الفجار) أي الكافرين المكذبين بيوم الدين (لفي جحيم) أي في نار عظيمة (يصلونها) أي يدخلونها (يوم الدين) أي يوم الحساب (وما هم عنها بغائبين) طرفة عين حتى قبل الدخول فيها فانهم يجدون سمومها في قبورهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) أي أي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة جعلك داريا ما يوم الدين وما الاستفهامية خبر ليوم الدين فان مدار الافادة هو الخبر (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم وقرأ ابو عمرو في رواية يوم مرفوعا منونا على جعل الجملة بعده نعتا له والعائد محذوف أي لا تملك فيه وقرأ الباقون يوم بالفتح وهي اما فتحة اعراب

باضمار اذكر أو فتحة بناء وانما بنى لاضافته للفعل وان كان معربا على رأى الكوفيين ويكون خبر المبتدا مضمر وقال أبو على ان اليوم لما جرى فى أكثر الامر ظرفا ترك على حالة الأكثرية ومما يقوى النصب قوله تعالى وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قال الواحدى والمعنى أن الله تعالى لم يملك فى ذلك اليوم أحدا شيأ من الامور كما ملكهم فى دار الدنيا (والامر يومئذ لله) قال الواسطى قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيأ اشارة الى فناء غير الله تعالى وهنالك تذهب الرسالات والكلمات وقوله والامر يومئذ لله اشارة الى أن البقاء لله والامر كذلك فى الازل وفى اليوم وفى الآخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت عائد الى أحوال الناظر لا الى أحوال المنظور اليه فالكاملون لا تتفاوت أحوالهم بحسب تفاوت الاوقات

﴿سورة التطفيف وتسمى سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة فى مهاجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستتمت بالمدينة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين) أى شدة العذاب للناقصين فى المكيال والميزان بالشئ القليل على سبيل الخفية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت هذه الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو وكان له صاعان يأخذ بواحد ويعطى بآخر فنزلت (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا حسب ما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى واذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم للبيع ونحوه ينقصون فى الكيل والوزن وروى عن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يجعلان الضمير بن توكيد المافى كالوا ووزنوا ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادوا أى اذا كالوا هم لغيرهم أو وزنوا هم لغيرهم ينقصون واثبات الالف قبل هم لو لم يكن معتادا فى زمان الصحابة لمنع من اثباتها فى سائر الاعصار (ألا يظن أولئك) أى ألا يوقن أولئك المطففون بالكيل والوزن (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أى شديد هوله (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أى لحكمه روى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقوم أحدكم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقرئ يوم بالنصب والجر فالنصب منصوب بقوله تعالى مبعوثون أو باضمار أعنى والجر بدل من يوم عظيم أو هو حالة النصب مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين فهو مرفوع المحل خبر المبتدا مضمر أو مجرور المحل بدلا من يوم عظيم ويؤيده القراءة بالرفع والجر (كلا) أى ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن ذكر البعث وعلى هذا المعنى يوقف على كلا أو كان بمعنى حقا فلا يوقف عليه وكذا جميع ما يأتى من كلا فى هذه السورة (ان كتاب الفجار لفى سجين) أى ان كتابة أعمال الكفار لفى سجين وهو موضع فى الارض السابعة السفلى (وما أدراك ما سجين) وهذا تعظيم لامر سجين (كتاب مرقوم) أى ان كتاب الفجار كتاب معلم فيعلم من رآه انه لا خير فيه (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) أى الجزاء (وما يكذب به) أى بذلك اليوم (الا كل معتد) أى متجاوز عن

المنهج الحق (أثيم) أي مبالغ في ارتكاب الاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الاولين) أي هذه أخبار الاولين فان محمدا أخذ عنهم لا من الله تعالى فينكر النبوة (كلا) أي حقا (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الامر كما يقوله الكافر من ان ذلك أساطير الاولين بل غطى على قلوبهم أفعالهم الماضية من الكفر والمعاصي قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه (كلا) أي حقا يا محمد (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي ان المكذبين بيوم الدين لممنوعون يوم القيامة عن النظر الى ربهم والمؤمنون لا يحجبون عن النظر الى ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلوا النار العظيمة (ثم) اذا دخلوها (يقال) لهم من جهة الزبانية (هذا الذي كنتم به تكذبون) أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا والآن قد عاينتموه فذوقوه (كلا) أي لا تكذبوا البعث وكتاب الله أو حقا (ان كتاب الابرار لفي عليين) أي ان كتابة أعمال الصادقين في ايمانهم لفي عليين (وما أدراك ما عليون) وهذا تنبيه له صلى الله عليه وسلم على انه معلوم له (كتاب مرقوم) أي ان كتاب أعمالهم موضوع في عليين مكتوب في لوح من زبرجد أخضر معلق تحت عرش الرحمن (يشهده المقربون) أي يشهد الملائكة المقربون ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين كرامة للمؤمنين أو يشهدون ما فيه يوم القيامة لتعظيمه (ان الابرار لفي نعيم) أي في جنة دائم نعيمها (على الارائك) أي الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من أنواع النعيم والعذاب للكفار (تعرف) يا من يتأتى منك المعرفة (في وجوههم نضرة النعيم) أي بهجة التنعم ورونقه من النور والضحك وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول ورفع نضرة وعلى بن زيد كذلك الا انه قرأ يعرف بالياء التحتية (يسقون من رحيق) أي شراب خالص (مختوم) أي يختم رأس قارورة ذلك الرحيق أوله ختام أي عاقبة (ختامه مسك) أي الذي يختم به رأس الاناء هو المسك أو عاقبته المسك أي يختم له براحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الالف وروى عنه أيضا كسر التاء والمعنى خاتم رائحة ذلك الشراب مسك (وفي ذلك) أي الرحيق (فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي وما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم سميت هذه العين بالتسنيم لانها أرفع شراب في الجنة أولانها تأتيهم من فوق (عينا يشرب بها المقربون) وهم أفضل أهل الجنة كما ان التسنيم هو أفضل أنهار الجنة قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لانه يشرب به المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أي ان أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل السهمي كانوا يضحكون من أجل فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وبلال وخباب (واذا مروا) أي فقراء المؤمنين يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بهم) أي بالمشركين وهم في أنديتهم (يتغامزون) أي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها الذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه قيل جاء علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل ان يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) أي واذا رجع الكفار من مجالسهم الى أهلهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الشرك والتنعم بالدنيا أو ملتذين بذكر المسلمين بالسوء وقرأ عاصم في رواية حفص عنه فكهين بغير

ألف في هذا الموضع وحده والباقون بالالف (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين) أي واذا رأى المجرمون المؤمنين أينما كانوا قالوا ان هؤلاء المؤمنين على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أم لا والحال ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم أحوالهم بل انما أمروا باصلاح أنفسهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي فيوم القيامة يضحك المؤمنون على الكفار حين يرونهم مغلولين أذلاء (على الارائك ينظرون) وهذا حال من فاعل يضحكون أي يضحك المؤمنون على الكفار ناظرين حال كونهم على سرر الحجال اليهم والى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وهذا على سبيل التهكم والمعنى كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا الكفار على عملهم الذي كان من من جملته ضحكهم بكم واستهزاؤهم بشر يعتكم كما جازيناكم على أعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا في سرورهم

﴿سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وسبعمائة وثلاثون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) من المجرة بالغمام والمجرة هي البياض المعترض في السماء (وأذنت لربها) أي انقادت لتأثير قدرته (وحقت) أي وهي حقيقة بأن تنقاد (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظي وزيدت في سعتها (وألقت ما فيها) أي رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز (وتخلت) أي وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شئ (وأذنت لربها) أي انقادت له في الالقاء والتخلي (وحقت) أي وهي حقيقة بذلك وقوله تعالى وأذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في شق السماء وبسط الارض واخلاء ما فيها من غير ممانعة أصلا وجواب اذا محذوف تقديره علمت نفس عملها أو ليذهب الوهم الى كل شئ وان جعلت غير شرطية فهو منصوب باذكر مقدرا (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) أي يا ابن آدم انك متعب النفس في العمل في دنياك تعبا حتى ترجع به الى ربك في الآخرة فملاق ذلك العمل خيرا كان أو شرا في الكتاب الذي فيه بيانه (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) أي فأما من أعطى كتاب عمله الذي كتبته الملائكة بيمينه من أمامه فسوف يحاسب حسابا هينا وهو العرض ويرجع الى عشيرته المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا) أي وأما من أعطى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره فسوف يتمنى الهلاك وينادية بقوله يا ثبوراه تعال وهذا أوانك (ويصلى سعيرا) أي ويدخل نارا وقودا وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقيل قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بضم الياء وسكون الصاد والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام (انه كان في أهله) أي فيما بين عشيرته في الدنيا (مسرورا) بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن آمن بالله وصدق بالحساب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (انه ظن أن لن يحور) أي انه ظن انه لن يرجع في الآخرة الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم (بلى) ان الله تعالى يبدل سروره بغم لا ينقطع وتنعمه ببلاء لا يزول (ان ربه كان به بصيرا) أي ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يهمله بأن لا يعاقبه على سوء

اعماله

أعماله وقيل نزلت هاتان الآيتان في أبي سلمة بن عبد الاسد وأخيه الاسود (فلا أقسم بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس وهي الاثر الباقي في الافق من الشمس والفاء في جواب شرط مقدر ولا زائدة أو نفي وهو رد لكلام قبل القسم أي اذا عرفت هذا فلا تظن عدم الرجوع الى الله في الآخرة (والليل وما وسق) أي جمع فاذا استتر الليل بظلمته الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فقد جمعها وحملها (والقمر اذا اتسق) أي تكامل وذلك في ثلاث ليال ليلة ثلاثة عشر وليلة أربعة عشر وليلة خمسة عشر (لتركبن طبقا عن طبق) أي لتحولن يا أيها الانسان حالا بعد حال وذلك من حين خلقهم الله الى ان يموتوا ومن حين موتهم الى ان يدخلوا الجنة أو النار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان في يا أيها الانسان والمعنى كخطاب الجنس في قراءة العامة أو على خطاب الرسول والمعنى لتصعدن يا أشرف الرسل طبقا مجاوزا لطبق في ليلة المعراج أي من سماء الى سماء أو لتركبن حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس أي لتركبن أيها النفس طريقة أمة من الناس بعد أمة وقرئ ليركبن بالياء على المغايبة وفتح الباء أي ليركبن هذا المكذب بيوم الدين حالا بعد حال من حين يموت الى ان يدخل النار (فما لهم لا يؤمنون) أي اذا كان حالهم كما ذكر فأي شيء ثبت لكفار مكة حال كونهم غير مؤمنين ويقال فأي شيء لبني عبد ياليل الثقفي يمنعهم من الايمان وكانوا ثلاثة مسعود وحبيب وربيعة فأسلم منهم بعد ذلك حبيب وربيعة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي لا يخضعون بأن يؤمنوا به ولا يسجدون لتلاوته عند آيات مخصوصة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم واسجدوا واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الآية واحتج أبو حنيفة بهذه على وجوب السجدة وعن الحسن هي غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بأحوال القيامة ولذلك لا يخضعون عند تلاوته اما للحسد واما التقليد الاسلاف واما الخوف فوت مناصب الدنيا ومنافعها (والله أعلم بما يوعون) أي بما يضمرون في قلوبهم من التكذيب فهو مجازيهم عليه في الدنيا والآخرة (فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي أخبر يا أشرف الخلق لمن لا يؤمن بعذاب مؤلم الا من تاب منهم (لهم أجر غير ممنون) أي غير منقوص ولا مكدر ولا مقطوع ويقال غير منقوص حسناتهم بعد الهرم والموت

﴿سورة البروج مكية ثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج) أي ذات المحال الاثني عشر والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة (واليوم الموعود) وهو يوم القيامة فان الله تعالى وعد أهل السماء وأهل الارض ان يجتمعوا فيه (وشاهد ومشهود) فالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب (قتل أصحاب الاخدود) وهذا دليل جواب قسم محذوف والتقدير أقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود وقيل ان الجواب قوله تعالى ان بطش ربك لشديد والاخدود شق مستطيل في الارض كالنهر وذكر ان طوله أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وأصحاب الاخدود هم أناس كانوا بمدارع اليمن كما قاله قتادة عن علي أوهم الحبشة كما قاله الحسن عن علي أيضا (النار ذات الوقود) من النفط والزفت والحطب وقرئ بضم الواو بمعنى الاتقاد وقوله

النار بدل اشتمال من الاخدود ثم ان أصحاب الاخدود اما الجبابرة الذين قتلوا المؤمنين فحينئذ ان قوله
تعالى قتل أصحاب الاخدود اما خبر فالمعنى ان أولئك القاتلين قتلوا بالنار على القول بأن الجبابرة
لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فهم في تلك الحالة كانوا ملعونين فالمعنى
انهم خسروا الدنيا والآخرة أو دعاء عليهم أي لعن أصحاب الاخدود وأما المؤمنون المقتولون بالاحراق
بالنار فيكون قوله تعالى لعن أصحاب الاخدود خبر الادعاء (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أي
لعنوا حين كانوا جالسين على شفير النار يعذبون المؤمنين فان النار ارتفعت اليهم فهلكوا أو
يقال لعنوا اذ المؤمنون مطروحون على النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي وهؤلاء
الكفار مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق بالنار حضور ولم تحصل في قلوبهم شفقة ولا رأفة لغاية
قسوة قلوبهم والوقف هنا تام ان جعل جواب القسم قتل أصحاب الاخدود بتقدير لقد وجائز لطول الكلام
ان جعل جواب القسم ان بطش ربك لشديد روى مسلم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان ملك فيمن قبلكم ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما
ليعلمه وكان في سلوك طريقه راهب فسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا
أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكى ذلك
الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ثم رأى الغلام
في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر
فقوني على قتل هذه الحية بواسطة رمي الحجر اليها ثم رمى الحجر فقتلها ومضى الناس فاشتغل بطريقة الراهب
ثم صار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي
فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك ان شفيتني فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله تعالى فان آمنت بالله
دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك
بصرك فقال ربي قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فغضب فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء
بالغلام فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فاحضر الراهب فقال له ارجع عن دينك فأبى فقد بالمنشار من
مفرق رأسه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقال له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقال له ارجع عن دينك فأبى فقال لاصحابه اذهبوا به فاصعدوا به
الجبل فاذا بلغتم ذروته فاطرحوه ان لم يرجع عن دينه فذهبوا به وصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما
شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم
الله فقال لاصحابه اذهبوا به الى البحر فاحملوه في قرقورة فتوسطوا به البحر فاقذفوه ان لم يرجع عن دينه
فذهبوا به فلججوا به ليغرقوه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا ومشى الى
الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد
وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به ففعل الملك ذلك
فرماه بالسهم فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب هذا الغلام فقيل للملك نزل بك
ما كنت تحذره فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم عن دينه طرحه فيها
حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وعن ابن عباس قال كان بنجران بلد باليمن ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في

الفترة قبل أن يولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان أبوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يتردد الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك فقعد اليه وسمع كلامه فذاهبا وراجعا فدعا الناس الى دين عيسى عليه السلام فأجابوه فسار اليه ذونواس اليهودى بجنود من حمير فخيره بين النار واليهودية فأبى الى أن قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم على اسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا اله عبدالله بن تامر لا دين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وجعله أخدودا وملأه نارا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبدالله بن تامر ألقاه في الاخدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلمت ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقي الصبي في النار وألقيت أمه عقبه وعن وهب بن منبه أحرق منهم اثنى عشر ألفا في الاخاديد ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبدالله بن أبي بكر ان خربة احترقت في زمن عمر فوجدوا عبدالله بن تامر واضعا يده على ضربة في رأسه اذا أميطت يده عنها انبعث دما واذا تركت رجعت الى مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وروى عن علي انه قال حين اختلفوا في أحكام المجوس هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى قد أحل لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) أى وما عابوا من المؤمنين الا ايمانهم (بالله العزيز) أى القادر الذى لا يغلب والقاهر الذى لا يدفع (الحميد) أى الذى يستحق الثناء على ألسنة عباده المؤمنين (الذى له ملك السموات والارض) وخزائن المطر والنبات (والله على كل شئ شهيد) وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى ان الذين أحرقوهم بالنار كما قاله ابن عباس ومقاتل أو ان الذين محنوهم في دينهم بالاذية والتعذيب ليرجعوا عنه (ثم لم يتوبوا) عن كفرهم وفتنتهم (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أى فلهم في الآخرة عذاب بسبب كفرهم وعذاب زائد على عذاب الكفر بسبب احراق المؤمنين بالنار أو عذاب برد وعذاب احراق أو فلهم في الآخرة عذاب جهنم وفي الدنيا عذاب الحريق حيث ارتفعت عليهم نار الاخدود فاحترقوا بها وكان هؤلاء قوما من نجران وقيل من أهل الموصل وكان ملكهم يسمى يوسف ويقال له ذو نواس (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب الايمان والعمل الصالح لهم (جنات تجرى من تحتها الانهار) يتلذذون ببردها ويزول عنهم برؤية ذلك مع رؤية الاشجار جميع الاحزان والمضار (ذلك) أى حيازتهم للجنات (الفوز الكبير) وهو رضا الله تعالى (ان بطش ربك) أى ان اخذه بالعذاب لمن لا يؤمن به (لشديد انه هو يبدئ ويعيد) أى انه

تعالى يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم في القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة كان بطشه في غاية الشدة (وهو الغفور) لمن تاب من الكفر (الودود) أي المحب لمن أطاع (ذو العرش) أي خالقه ومالكه وقرئ ذي العرش على أنه صفة لربك (المجيد) قرأ حمزة والكسائي بالجر على أنه صفة للعرش أو لربك والباقون بالرفع على أنه خبر بعد خبر قال العلماء ان مجد الله عظمته بحسب الوجود الذاتي وكمال القدرة والعلم والحكمة ومجد العرش علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه (فعال لما يريد) يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء منهم في الدنيا وفي الآخرة يفعل من هذه الاشياء ومن غيرها ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب قال الرازي فعال خبر مبتدأ محذوف وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور والودود (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أي قد أتاك يا أشرف الرسل خبر الجموع فرعون وقومه وثمود وعرفت ما فعلوا من الكفر والضلال وما فعل بهم من العذاب والنكال فانذر قومك أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وفرعون وثمود بدل من الجنود فذكر الله تعالى من المتقدمين ثمود ومن المتأخرين فرعون لان ثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم فدل بهما على أمثالهما (بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) أي ليست جناية قومك مجرد عدم الاتعاظ بما سمعوا من حديث أولئك بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك في أنه قرآن من عند الله تعالى مع ظهور حاله بالبينات الباهرة والحال أن الله تعالى قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم بالقرآن والنبوة وهم في قبضته تعالى كالمحاط اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) أي ليس الامر كما قالوا بل هذا القرآن الذي يقرؤه محمد كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى مكتوب في لوح محفوظ من وصول الشياطين اليه ومن التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على أنه نعت لقرآن والباقون بالجر على أنه نعت للوح وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر وابن السميقيع في لوح بضم اللام وهو الهواء الذي فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح بفتح اللام وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته وكونه محفوظا اما محفوظ عن أن يمسه الا المطهرون أو عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين أو عن أن يجري عليه تغيير وتبديل فلما حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم وبتأذي قوم من قوم امتنع تغيره وتبدله فوجب الرضا به

﴿سورة الطارق مكية سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق) أي الظاهر في الليل (وما أدراك ما الطارق) أي وأي شئ أعلمك يا أشرف الرسل ما الطارق قال سفيان ابن عيينة كل شئ في القرآن ما أدراك فقد أخبر الله الرسول به وكل شئ فيه وما يدريك لم يخبره به (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع

جوابا

جوابا عن استفهام أى هو النجم المضىء فى الغاية كأنه يثقب الافلاك بضوئه و ينفذ فيها قيل هو النجم الذى يقال له كوكب الصبح وهو النجم الذى يهتدى به فى ظلمات البر والبحر و يوقف به على أوقات الامطار أو هو جنس الشهب الذى يرجم بها و وصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل أو لانه يطرق الجنى أى يصكه وقال محمد بن الحسن والفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدى وقال على هو نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وقال آخرون انه الشهب التى يرجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب وروى أن أبا طالب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع أبو طالب وقال أى شىء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت هذه السورة (ان كل نفس لما عليها حافظ) وهذا جواب للقسم وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها رقيب وهو الله تعالى وهذا بالتشديد على قراءة عاصم وحمزة وابن عامر والنخعى أما على قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع والكسائى وهى بتخفيف الميم فان مخففة من الثقيلة واللام فى لما مخلصة من ان النافية وما صلة أى ان الشان كل نفس برة أو فاجرة لعليها من يحصى عليها ما تكسب من خير وشر وهم الملائكة (فلينظر الانسان) أبو طالب وغيره (مم خلق) أى من أى شىء خلق نفسه (خلق من ماء دافق) وهو استئناف وقع جوابا عن استفهام أى خلق الانسان من ماء ذى سيلان بسرعة فى رحم المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب) أى من صلب ماء الرجل ومن عظام صدر المرأة وقال الحسن يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها وحكى القرطبى أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع فى الانثيين (انه على رجعه لقادر) أى ان الذى خلق الانسان ابتداء قادر على رده حيا بعد موته (يوم تبلى السرائر) أى يوم تظهر ما أخفى من الاعمال وما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وهو يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى الوجوه وشينا فى الوجوه هذا ان أريد برجعه نشر الانسان يوم القيامة فيوم ظرف لرجعه فلا يوقف على قوله تعالى لقادر وان أريد برجعه رد الماء الى الاحليل كما قاله مجاهد أو الى الصلب كما قاله عكرمة والضحاك أو رد الانسان ماء كما كان قبل كما قاله الضحاك أيضا فيوم منصوب بمضمر أى واذكر يوم فالوقف على لقادر كاف كالوقف على السرائر الا اذا جرينا على قول الرازى ان يوم منصوب بقوله فما له من قوة فلا وقف على السرائر (فما له من قوة ولا ناصر) أى فما للانسان شىء من قوة يدفع به عن نفسه ما جاء من عذاب الله ولا أحد من الانصار ينصره فى دفعه (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر بعد المطر حينا بعد حين (والارض ذات الصدع) أى ذات النبات لان الارض تتصدع بالنبات كما قاله الليث (انه لقول فصل) أى ان ما أخبرتكم به من قدرتى على احيائكم فى اليوم الذى تبلى سرائركم فيه لقول حق (وما هو بالهزل) أى ليس ذلك الخبر بالباطل وهذا كما قاله القفال لكن أكثر المفسرين قالوا أى ان القرآن الذى أخبر مبدأ حال الانسان ومعاده لقول مبين حق وقاطع شر وليس فى شىء منه لعب بل كله جد محض فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم يكيدون كيدا) أى ان أهل مكة يمكرون فى ابطال أمر القرآن واطفاء نوره (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد قوى لا يمكن رده حيث أمهلهم على كفرهم حتى آخذهم على غرة (فمهل الكافرين) أى

لاتستعجل يا أشرف الخلق بالدعاء عليهم باهلاكهم (أمهلهم رويدا) أي أمهلهم على مهلة قريبة الى يوم القيامة أو أمهلهم امهالا قليلا الى يوم بدر فرويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف

﴿سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى) أي نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه فلا يجوز تفسير أسمائه تعالى بما لا يصح ثبوته في حقه تعالى نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء بالاستيلاء ولا يجوز ان يذكر العبد به الا بالاسماء التي ورد الاذن بها من الشرع قال الواحدي معنى سبح اسم ربك أي نزه الاسم من السوء ومعنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه الدال على تنزيهه تعالى وعلوه عما يقول المبطلون ومعنى الاعلى ان جلال كبريائه أعلى من معارفنا وادراكاتنا وأصناف آلائه ونعمائه أعلى من حمدنا وشكرنا وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا وقرأ علي وابن عمر سبحان ربي الاعلى (الذي خلق فسوى) أي الذي خلق كل ذي روح فكمل خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (والذي قدر) قرأه الجمهور مشددا أي أوقع تقديره في كل شيء فقدر خلقه حسنا أو دميما طويلا أو قصيرا وقدر أرزاقهم وآجالهم وقرأه الكسائي على التخفيف أي تصرف في خلقه كيف أراد (فهدى) أي لمنافع الخلق ومصالحه فألهم كيف يأتي الذكر الانثى ويروى ان الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان تحك عينها بورق الرازيانج فيرد الله اليها بصرها ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه (والذي أخرج المرعى) أي أنبت النبات والزروع وقال ابن عباس أي الكلاء الاخضر (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) أي دريناً أسود بأن ألصق السيل أجزاءه كدورة به فيسود (سنقرئك فلا تنسى) أي نجعلك قارئا للقرآن فتقرؤه فلا تنساه أي انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ القرآن حفظا لا تنساه قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل لا يفرغ من آخر الوحي فقال تعالى سنقرئك فلا تنسى أي سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه (الا ماشاء الله) ان ينسى النبي شيأ من القرآن وهذا الاستثناء بيان انه تعالى لو أراد ان يصير النبي ناسيا لذلك لقدر عليه وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرة الله حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله لا من قوته صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج أي الا ماشاء الله ان ينسى فانه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليا دائما وقال مقاتل الا ماشاء الله ان ينسيه فيكون المعنى الا ماشاء الله ان تنساه على الاوقات كلها فيأمرك ان لا تقرأه ولا تصلي به فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله من الصدور (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي انه تعالى عالم بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر الذي في قلبك وهو انك تخاف النسيان فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه (ونيسرك لليسرى) أي نوفقك للطريقة اليسرى في كل باب من باب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية (فذكر ان نفعت الذكرى) أي

عظ يا اشرف الرسل الناس بالقرآن واهدهم الى ما فيه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفعت الموعظة فالتذكير العام واجب فى أول الامر فأما التكرير فانما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيد التذكير بهذا الشرط وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (سيذكر من يخشى) وهو من قطع بصحة المعاد ومن جوز وجوده بخلاف من أصر على انكاره وقطع بأنه لا يكون قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وقيل نزلت فى ابن أم مكتوم (ويتجنبها الاشقى) أى ويتباعد عن الموعظة بالقرآن الاشقى وهو المعاند الذى لا يلتفت الى الدعوة ولا يصغى اليها فالفرق ثلاثة العارف بصحة المعاد والمتوقف فيه والمعاند فالعارف هو السعيد والمتوقف له بعض الشقاء والمعاند هو الاشقى قيل نزلت هذه الآية فى الوليد وعتبة وأبى (الذى يصلى النار الكبرى) أى الذى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار (ثم) بعد دخوله النار (لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من دنس الشرك كما قال ابن عباس أى من قال لا اله الا الله وقال الزجاج أى من تكثر من التقوى (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) فمراتب أعمال المكلف ثلاثة ازالة العقائد الفاسدة عن القلب واستحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه والاشتغال بخدمته وقال بعضهم أى قد فاز من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى المصلى وكبر الله تعالى ثم صلى صلاة العيد مع الامام فأثنى الله من فعل ذلك وان لم يكن فى مكة عيد ولا زكاة فطر لان ذلك فى علم الله سيكون (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى أنتم يا كفار مكة لا تفعلون ذلك بل أنتم ترضون اللذات الفانية وتطمئنون بها وتعرضون عن الآخرة بالكلية أو أنتم أيها المسلمون لا تكثرون من التقوى بل تستكثرون من الدنيا الدنية على الاستكثار من الثواب وقرأ أبو عمرو يؤثرون بالياء أى الاشقون (والآخرة خير وأبقى) أى والحال ان الآخرة خير فى نفسها وأدوم لانها مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها خالصة عن الغائلة (ان هذا) اى قوله تعالى قد أفلح (لفى الصحف الاولى) أى لثابت معناه فيها (صحف ابراهيم وموسى)

﴿سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية) أى خبر القيامة التى تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين بشدائدها وهل استفهام أريد به التعجب عما فى ذلك الحديث والتشويق الى استماعه (وجوه يومئذ) أى يوم اذ غشيت (خاشعة) أى ذليلة بالعذاب (عاملة) أعمالا شاقة (ناصبة) أى ذات تعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال وخوضهم فى النار خوض الابل فى الوحل وصعودهم فى تلال النار وهبوطهم فى وهادها وهم الرهبان وأصحاب الصوامع كما قاله ابن عباس أوهم الخوارج كما قاله على (تصلى نارا حامية) أى تدخل نارا متناهية فى الحر وقرأ أبو عمرو وعاصم بضم التاء الفوقية وقوله تعالى وجوه مبتدأ وخاشعة وما بعده خبره وقيل خبره تصلى وما قبله صفات لوجوه ولا يوقف قبل الخبر وقرئ عاملة ناصبة على الشتم (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو مايبس من الشبرق وهو نبت يكون فى طريق مكة اذا كان رطبا تأكل منه الابل واذا يبس صار كأظفار الهرة وهو سم قاتل وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع)

أى غير مسمن وغير مشبع لانه ليس من جنس ضريع الدنيا روى ان كفار قريش قالت ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت هذه الآية (وجوه يومئذ ناعمة) أى ذات حسن وجمال (لسعيها راضية) أى لثواب عملها الذى عملته فى الدنيا راضية حين رأت ذلك الثواب حتى لا تريد أكثر منه (فى جنة عالية) مكانا ومنقبة (لا تسمع فيها لاغية) قرأ عاصم وحمزة والكسائى وحفص بفتح التاء ونصب لاغية أى لا تسمع أنت يا أكرم الرسل أو يا مخاطب أو لا تسمع الوجوه فى الجنة كلمة ذات لغو فانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله على النعم وقرأ نافع بضم التاء الفوقية ورفع لاغية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الياء التحتية ورفع لاغية وقرأ المفضل والجحدرى بفتح الياء التحتية ونصب لاغية أى لا يسمع فيها أحد عينا لابرة ولا فاجرة (فيها عين جارية) أى فى الجنة عين شراب جارية على وجه الارض فى غير أخدود وتجرى لهم كما أرادوا (فيها سرر مرفوعة) فى الهواء لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه فى الجنة من النعيم والملك قال ابن عباس هى سرر ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء (وأكواب) أى كيزان (موضوعة) بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جوهر وتلذذهم بالشراب منها (ونمارق) أى وسائد (مصفوفة) بعضها الى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند الى أخرى (وزرابى) أى بسط فاخرة (مبثوثة) أى منشورة مفرقة فى المجالس فلما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة ائتنا بآية بأن الله أرسلك الينا رسولا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) أى أينكر كفار مكة البعث ويستبعدون وقوعه من قدرة الله فلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت بشدة قوتها وعجيب هيئتها وصبرها على الجوع والعطش واحتمال المداومة على السير (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عماد ولا امساك (والى الجبال كيف نصبت) نصبا راضيا على الارض لا يتزلزل (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت على الماء وقرئ سطحت مشددا وقرأ على رضى الله عنه وكرم وجهه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وبتاء المتكلم (فذكر) أى فاقتصر على التذكير والحمل على النظر فى هذه الادلة (انما أنت مذكر) فلا بأس عليك فى أن لا ينظروا بالاعتبار ولا يتذكروا بالافتكار انما عليك البلاغ (لست عليهم بمصيطر) أى لست يا أشرف الخلق بمتسلط عليهم بان تجبرهم على الايمان وقرأ هشام بالسين وحمزة باشمام الصاد كالزاى والباقون بالصاد الخالصة وقرئ بفتح الطاء (الا من تولى وكفر) وفى هذا الاستثناء قولان أحدهما انه استثناء حقيقى وفى هذا احتمالان اما أن يكون مستثنى من المفعول أى فذكر عبادى الا من أعرض عن الايمان وكفر بالقرآن فاستحق العذاب الاكبر واما أن يكون مستثنى من الضمير فى عليهم أى لست عليهم بمسيطر الا على من انقطع طمعك من ايمانه وتولى عنك وكفر بالله فان لله القهر وسيأمرك بقتالهم فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكأنه تعالى أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وبعذاب النار فى الآخرة وثانيهما ان هذا الاستثناء منقطع عما قبله والتقدير لست بمستول عليهم لكن من تولى منهم فان الله تعالى يعذبه العذاب الاكبر الذى هو عذاب جهنم وعلامة كون الاستثناء منقطعا حسن دخول أن فى المستثنى به واذا كان الاستثناء متصلا لم يحسن ذلك ألا ترى أنك تقول عندى مائتان الا درهما فلا يحسن عليه دخول ان وههنا يحسن دخول ان فانك تقول الا أن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وسمى العذاب بالاكبر لانه قد بلغ حد عذاب الكفر فان ما عداه من عذاب الفسق دونه وقرئ ألا من تولى بفتح الهمزة على التنبيه وهذا مما يقوى القول بان

الاستثناء منقطع وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه الله (ان الينا ايابهم) أى رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا اقرأ أبو جعفر المدنى بتشديد الياء (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر على النقير والقطمير لا على غيرنا والحساب واجب عليه تعالى بحكم الوعد الذى يمتنع الخلف فيه وفى الحكمة فانه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لكان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم تعالى الله تعالى عنه وذكر تعالى هذه الآية ليزيل بها عن قلب النبى صلى الله عليه وسلم حزنه على كفرهم

﴿سورة الفجر مكية تسع وعشرون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والفجر) وهو صبح النهار أقسم الله به لحصول انتشار الناس وسائر الحيوانات به فى طلب الرزق فهو مشاكل لنشور الموتى من قبورهم وفيه عبرة لمن تأمل (وليال عشر) من أول ذى الحجة وفى الخبر ما من أيام العمل الصالح فيه أفضل من أيام العشر وذلك لانها أيام الاشتغال بالحج فى الجملة وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) فالشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة وقال أبو بكر الوراق الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والبصر والعمى والحياة والموت والوتر صفات الله تعالى وهى وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل وقال مقاتل الشفع هو الليالى والايام والوتر هو اليوم الذى لا ليل بعده وهو يوم القيامة وقرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها والكسر قراءة الحسن والاعمش وابن عباس وهى لغة تميم والفتح قراءة أهل المدينة وهى لغة حجازية (والليل اذا يسر) أى يذهب وهى ليلة المزدلفة فانه يذهب ويجىء فيه الناس وقال مقاتل أى اذا يسار فى ذلك الليل وهى ليلة المزدلفة وقرأ نافع وأبو عمرو بحذف ياء يسر وقفا وباثباتها وصلا وأثبتها ابن كثير فى الحالين وحذفها الباقون فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف الكريم وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ به والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل فى ذلك قسم لذى حجر) أى هل فى هذه الاشياء المذكورة مقسم به لذى عقل والمراد من هذا الاستفهام التأكيد والتحقيق والمعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى بهذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وجواب القسم محذوف لدلالة المعنى عليه أى لنجازين كل أحد بما عمل بدليل تعديد ما فعل بالقرون الخالية فالوقف هنا تام كما قاله أبو حاتم وغيره وقال ابن الانبارى جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أى وانما أجازوا الوقف هنا لطول الكلام لكن ينبغى حينئذ أن يقال وقف صالح أو نحوه لا تام للفصل بين القسم وجوابه (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق علما يقينا كيف أهلك الله قوم هود عند التكذيب (ارم) عطف بيان لعاد للاعلام بانهم عاد الاولى القديمة انا جعلنا ارم اسما للقبيلة بتقدير مضاف أى سبط ارم فارم جد عاد فان عادا هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وان جعلناه اسم البلدة كان التقدير بعاد أهل ارم ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين (ذات العماد) أى ذات الاساطين من ذهب وفضة أى ذات القدود الطوال (التى لم يخلق مثلها) أى مثل تلك المدينة فى الحسن والجمال أو مثل عاد فى عظم الجثة وشدة القوة (فى البلاد) أى فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها

بالبناء للفاعل أى لم يخلق الله مثل ارم مدينة شداد روى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له الدنيا وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى فبنى مدينة ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوهم بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صخرة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر الملك أن يبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا أى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل (وثمود) أى وكيف أهلك الله قوم صالح وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أى الذين نقبوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا بوادى القرى وهو موضع بقرب المدينة قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لانه كان يعذب الناس ويشدهم باربعة أوتاد مبطوحين على الارض الى أن يموتوا وقيل لكثرة جنوده وخيامهم التى ينصبونها فى منازلهم وقال ابن عباس أى ذى الجنود والعساكر التى تشد ملكه (الذين طغوا فى البلاد) والموصول منصوب على الذم أو مرفوع كذلك أى الذين تجبر كل واحد من عاد وثمود وفرعون فى بلادهم على أنبياء الله

والمؤمنين (فأكثروا فيها الفساد) بالقتل وعبادة الاوثان وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي فأنزل الله انزالا شديدا عقب طغيانهم وفسادهم على كل طائفة من أولئك الطوائف جزء عذاب فأهلك عادا بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق وذكر السوط اشارة الى أن ما أنزله الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به (ان ربك) يا أشرف الخلق (لبالمرصاد) أي لفي الطريق عليه تعالى ممر سائر الخلق كما قاله ابن عباس أي ان اليه المصير كما قاله الفراء وهذا عام للمؤمنين والكافرين (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه) أي اذا امتحنه ربه بالنعمة (فأكرمه) بالمال والجاه والولد (ونعمه) أي وسع عليه معيشته (فيقول ربي أكرمن) أي فضلني بما أعطاني (وأما اذا ما ابتلاه) أي وأما هو اذا اختبره ربه بالفقر (فقدر عليه رزقه) أي فضيق عليه معيشته (فيقول ربي أهانن) قوله تعالى فأما الانسان متصل من حيث المعنى بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة التي تنفعه في الآخرة فانه يراقب أحواله ويجازيه بأعماله خيرا وشرا في الآخرة فأما الانسان فلا يريد الا الدنيا ولذا تهافت وجد الراحة في الدنيا يقول ربي أكرمني وان لم يجدها يقول ربي أهانني وأما هنا لمجرد التأكيد لا لتفصيل المجمل مع التأكيد والانسان مبتدأ خبره فيقول والظرف وهو اذا منصوب بالخبر لان الظرف في نية التأخير ودخول الفاء في الخبر لما في أما من معنى الشرط وما زائدة والفاء في قوله تعالى فأكرمه تفسيرية والوقف في أكرمن مفهوم وفي أهانن حسن وقال أبو عمرو والوقف فيهما كاف وقيل تام وقال الكلبي ان المراد من الانسان أبي بن خلف وقال مقاتل وابن جرير نزلت هذه الآية في أمية بن خلف وروي عن ابن عباس أن المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة بن المغيرة وقيل انه كافر جاحد ليوم الجزاء وقرأ نافع أكرمن وأهانن باثبات الياء فيهما وصلا وحذفها وقفا وقرأهما البزي عن ابن كثير باثباتها في الحالين وعن أبي عمرو ان الحذف في الوصل أعدل والباقون بالحذف في الحالين وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال أي جعله على مقدار البلغة (كلا) ردع على من ظن ذلك المذكور والمعنى ليس اكرامي بالمال والغنى واهانتي بالفقر وقلة المال ولكن اكرامي بالمعرفة والتوفيق واهانتي بالنكرة والخذلان والوقف هنا حسن وهو أحسن من الوقف على اهانن (بل لا تكرمون اليتيم) أي قل يا محمد لهم بل لكم أحوال أشد شرا من ذلك القول وهو ان الله تعالى يكرمكم بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه فانكم لا تحسنون الى اليتيم ولا تعرفون حقه (ولا تحاضون على طعام المسكين) بحذف احدى التاءين وهو قراءة الكوفيين أي لا يحض بعضكم بعضا على اطعام المسكين وقرئ ولا تحضو أي لا تأمرون باطعامه وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء أي لا يحض كل واحد منكم صاحبه وهذا اشارة الى ترك بر اليتيم (وتأكلون التراث أكلا لما) أي وتأكلون تراث اليتامى أكلا جامعا فانكم تجمعون نصيبهم الى نصيبكم وهذا اشارة الى دفع اليتيم عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا وهذا اشارة الى أخذ مال اليتيم منه وقرأ أبو عمرو ويكرمون وما بعده بالياء التحتية (كلا) أي لا ينبغي أن يكون الامر هكذا في الحرص على الدنيا حتى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي اذا انكسر كل شئ على وجه الارض من جبل أو شجر وبناء حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شئ حتى صارت ملساء (وجاء ربك) أي جاء ظهوره وقهره أي حصل تجليه تعالى على الخلائق أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وظهر سلطان قهره (والملك صفا صفا) أي وتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون

صفا بعد صف بحسب مراتبهم محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف (وجيء يومئذ بجهنم) مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها الى المحشر ويكشف عنها حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره اليها (يومئذ) بدل من اذا دكت (يتذكر الانسان) ما فرط فيه ويتعظ الكافر فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا جواب اذا (وأنى له الذكرى) أي ومن أين له العظة وقد فاته أوانها (يقول) أي الانسان الكافر (ياليتني قدمت لحياتي) فيا للتنبيه أي ليتني قدمت عملا يوجب نجاتي من النار حتى أكون من الاحياء (فيومئذ) أي يوم اذ يقول الانسان ذلك (لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل تعذيب الكافر (ولا يوثق وثاقه أحد) أي ولا يوثق أحد من الزبانية بالسلاسل والاغلال مثل ايثاق الكافر لتناهيه في كفره وفساده وقرأ الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء أي لا يعذب أحد مثل عذاب الكافر ولا يوثق أحد بالسلاسل والاغلال مثل وثاق الكافر (ياأيتها النفس المطمئنة) بذكر الله وطاعته وقرأ أبي ابن كعب ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة وهي التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهذه الحاصة قد تحصل عند الموت عند سماع البشارة من الملائكة وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة بلا شك أي يقول الله للمؤمن اكراما له أو على لسان ملك ياأيتها النفس المطمئنة (ارجعي الى ربك) أي الى ثواب ربك (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل في الاعمال التي عملتها في الدنيا (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المخصوصين بي (وادخلي جنتي) معهم وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث قيل نزلت هذه الآية في حمزة بن عبد المطلب وروى الضحاك أنها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم لا) قال الاخفش هي مزيدة (أقسم بهذا البلد) وهو مكة (وأنت حل بهذا البلد) أي أنت نازل في هذا البلد أو أنت في حل مما صنعت في هذا البلد فان الله فتح مكة عليه صلى الله عليه وسلم وما فتحت على أحد قبله ولا احلت له فأحل صلى الله عليه وسلم فيها ما شاء وحرم ما شاء فقتل عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لبيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (ووالد وما ولد) فالوالد آدم وما ولد بنوه وقيل كل والد وولده (لقد خلقنا الانسان في كبد) أي في اعتدال القامة أو في تعب فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه وليس في هذه الدنيا لذة البتة والذي يظن الانسان أنه لذة فهو خلاص عن الالم وما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن ألم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد فليس

للانسان الالم أوخلاص عن ألم فاذا لابد بعد هذه الدار من دار أخرى لتكون تلك الدار دار اللذات والسعادات والكرامات (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) أي أيحسب الانسان بقوته أنه لن يقدر على بعثه ومجازاته أو على تغيير أحواله أحد وهو الله تعالى (يقول) أي الانسان كلده بن أسيد أو الوليد بن المغيرة (أهلكت مالا لبدا) أي أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد عليه السلام فلم ينفعني ذلك شيأ وقرأ أبو جعفر بتشديد الباء مفتوحة وقرأ مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففا والباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا (أيحسب أن لم يره أحد) أي أيحسب هذا الانسان انه لم يره أحد وهو الله تعالى حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عن انفاقه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل له عينين) ينظر بهما (ولسانا) ينطق به (وشفتين) يستر بهما فاه (وهديناه النجدين) أي بيناله الطريقين طريق الخير والشر أو دللناه على الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فان الله تعالى هدى الطفل الصغير الى الثديين حتى ارتضعهما (فلا اقتحم العقبة) أي فهلا تلبس من أنفق ماله بمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر أو فلم يشكر تلك النعم الجليلة بتحصيل الاعمال الصالحة (وما أدراك ما العقبة) أي أي شيء أعلمك ما الدخول في صعاب الطريق (فك رقبة) أي هي اعتاق رقبة أو اعطاء مكاتب ما يصرفه الى جهة فكاك نفسه أو تخليص شخص من قود او غرم أو فك المرء رقبة نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات التي يصير بها الى الجنة ويتخلص بها من النار فهذه هي الحرية الكبرى (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أي ذا افتقار كأنه لصق بالتراب من ضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يفرشه قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بصيغة المصدر في فك واطعام وهو خبر مبتدا محذوف والباقون بصيغة الفعل فيهما على الابدال من اقتحم المنفي بلا كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم فلا مكررة في المعنى فلا يقال ان لا لا تدخل على الماضي الا مكررة (ثم كان) أي مكتسب الطاعات داخل الامور الصعاب (من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على اداء الطاعات وعلى المرازى (وتواصوا بالمرحمة) أي بالرحمة على عباده فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات ليس الا على هذين الاصلين فان الاصل في التصوف أمران صدق مع الحق وخلق مع الخلق (أولئك) أي الموصوفون بتلك الصفة (أصحاب الميمنة) أي الجانب الذي فيه البركة والنجاة من كل هلكة (والذين كفروا بآياتنا) أي بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة (هم أصحاب المشأمة) أي الخصلة المكتسبة للحرمات (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة فلا يخرجون منها أبدا قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز والباقون بواو ساكنة

﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون
كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها) أي ضوئها اذا ارتفعت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) أي تبع الشمس بان طلع بعد غروبها وذلك في النصف الاول من الشهر (والنهار اذا جلاها) أي اذا أظهر الشمس فانها تنكشف عند انبساط النهار فكانه أظهرها مع أنها هي التي تبسطه (والليل اذا يغشاها) أي يغطي ضوء الشمس بظلمته (والسماء وما بناها) أي والذي خلقها وهو الله تعالى أقسم

بنفسه (والارض وماطحاها) أى بسطها على الماء (ونفس وماسواها) أى وجسد كثير والذى أنشأها متناسبة الاعضاء أو وقوة مدبرة والذى أعطاها قوى كثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمفكرة والمذكرة (فألهمها فجورها وتقواها) أى أفهمها اياهما من الحسن والقبيح وقيل ألهم الله الكافر فجوره وألهم المؤمن المتقى تقواه (قد أفلح من زكاها) أى قد أدرك من طهر نفسه من الذنوب مطلوبه بفعل الطاعة ومجانبة المعصية (وقد خاب من دساها) أى وقد خسر من أخفى نفسه فى المعاصى حتى انغمس فيها (كذبت ثمود بطغواها) أى فعلت ثمود تكذيب الرسول بسبب مجاوزتها الحد فى العصيان أو كذبت ثمود بعذابها أى لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به العذاب فالطغوى على هذا اسم للعذاب الذى أهلكوا به (اذ انبعث أشقاها) أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار ابن سالف ومصدع بن دهر لعقر الناقة برضاهم (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) صالح لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقر الناقة (ناقة الله وسقياها) أى ذروا عقر الناقة التى هى آية الله الدالة على توحيده وعلى نبوتى واحذروا شربها فلا تمنعوها عنه فى نوبتها (فكذبوه) أى رسول الله صالحا فى وعيده بالعذاب (فعقروها) قال الفراء عقر الناقة اثنان وقال قتادة ذكر لنا ان قدارا أبى أن يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم (فدمدم عليهم ربهم) أى أهلكهم ربهم (بذنبهم) أى بسبب قتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا عليه السلام (فسواها) أى سوى هذه الطائفة فى انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم وشريفهم وذكرهم وأنثاهم وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاءين الدالين (ولا يخاف عقباها) أى ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة كما يخاف الملوك عاقبة ما تفعله وهذه اشارة الى أنهم اذلاء عند الله تعالى وقيل لا يخاف رسول الله صالح عقبى هذه العقوبة ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم وقيل قام الاشقى لعقر الناقة والحال أنه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء أى فهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه ففعل مع هذا الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة فنسب فى ذلك الى الحمق وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء والباقون بالواو وهى للحال أو للاستئناف الاخبارى وقرئ ولم يخف وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم

(سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة فى أبى بكر وانفاقه على المسلمين وفى أمية بن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

(بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى) أى حين يغشى الشمس (والنهار اذا تجلى) أى ظهر بزوال ظلمة الليل (وماخلق الذكر والانثى) أى والذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ماله توالد قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والانثى وعن الكسائى وماخلق الذكر بالجر والمعنى وماخلقه الله تعالى أى ومخلوق الله ثم يجعل الذكر بدلا منه أى ومخلوق الله الذكر والانثى (ان سعيكم لشتى) أى ان عملكم لمختلف فى الجزاء لان بعضه ضلال يوجب النيران وبعضه هدى يوجب الجنان (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) أى فأما من أعطى من ماله فى سبيل الله واجتنب المحارم وصدق بالشرائع فسنهيئه للخصلة التى تؤدى الى

راحة

راحة كدخول الجنة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أى وأما من بخل بماله فلم يبذله فى سبيل الخير واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بعدة الله من الخلف الحسن فسنهيئه للخصلة المؤدية الى الشدة كدخول النار (وما يغنى عنه ماله اذا تردى) أى ولا ينفعه ماله الذى جمعه فى الدنيا اذا مات وأى شئ ينفعه ماله الذى بخل به ولم يصحبه منه الى آخرته اذا سقط فى حفرة قبر أو فى جهنم (ان علينا للهدى) أى ان الذى يجب علينا فى الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا فى الحكمة (وان لنا للآخرة والاولى) أى ان لنا ملك الدارين نعطى من نشاء ما نشاء فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق فليطلب سعادتهما منا (فأنذرتكم) أى خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وقرئ شاذا بالتاءين (لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى) أى لا يدخلها دخولا لازما مؤبدا الا الكافر الذى هو شقى لانه كذب بآيات الله وأعرض عن طاعة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمدا والانبياء قبله (وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى) أى وسيبعد عنها البالغ فى اتقاء المعاصى الذى يعطى ماله و يصرفه فى وجوه الحسنات طالبا ان يكون ناميا عند الله تعالى لا يريد بذلك رياء ولا سمعة وروى الضحاك عن ابن عباس عذب المشركون بلال بن رباح واسم أمه حمامة و بلال يقول أحد أحد فمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر يا أبا بكر ان بلالا يعذب فى الله فعرف أبو بكر ما يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى قوله (وما لاحد عنده) أى الاتقى (من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أى لم يفعل أبو بكر ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه الله تعالى وقرأ يحيى بن وثاب برفع الابتغاء على البدل من محل نعمة فانه رفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) أى ما أنفق أبو بكر الا لطلب رضوان الله وبالله لسوف يرضى الله عنه ولم يكن للنبى ولا لغيره عليه نعمة دنيوية بل كان أبو بكر هو الذى ينفق على رسول الله وانما كان للنبى عليه نعمة الهداية الى الدين الا ان هذه نعمة لا يجزى الانسان بها قال ابن الزبير كان أبو بكر يشترى الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبوه يا بنى لو كنت تشترى من يمنع ظهرك فقال منع ظهرى أريد فأنزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وقرئ يرضى مبنيا للمفعول

﴿سورة الضحى مكية وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والضحى) وهو أول النهار حين ترفع الشمس وتلقى شعاعها وتخصيصه بالاقسام به لانه الساعة التى كلم الله فيها موسى وألقى السحرة فيها سجدا (والليل اذا سجى) أى أظلم واسود ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقيل انما ذكر ساعة من النهار وذكر الليل بكليته لان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل

ساعات (ما ودعك ربك) أي ما قطعك ربك قطع المودع المفارق وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وابن أبي عبلة بتخفيف الدال أي ما تركك ربك يا أشرف الرسل منذ أوحى اليك تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع (وما قلى) أي ما أبغضك ربك منذ أحبك روى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب فقالت يا محمد اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أراه قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية وروى ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لا يأتيني قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وروى ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وروى ان سبب احتباس جبريل عليه السلام لانه كان فيهم من لا يقلم الاظفار (وللآخرة خير لك من الاولى) أي وللاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بأنه سيزيد كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لا تظن اني قليتك بل اني أزيدك منصبا وجلالا ثم ان هذا التشريف وان كان عظيما الا أن مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم أو وللآخرة خير لك من الدنيا لان الكفار في الدنيا يطعنون فيك أما في الآخرة فأجعل أمتك شهداء على الامم وأجعلك شهيدا على الانبياء ثم أجعل ذاتي شهيدا لك كما قال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله (ولسوف يعطيك ربك) من خيرات الدنيا والآخرة (فترضى) روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس ان هذا هو الشفاعة في الامة كما روى انه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال رضي جدي ان لا يدخل النار موحد وهذا أيضا وعده تعالى رسوله على أحوال الدنيا فهو واشارة الى ما أعطاه الله تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وأجلائهم وبث عساكره في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وما هدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وما وهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهييب الاسلام وفشو الدعوة (ألم يجدك يتيما فآوى) بمد الهمزة أي ضمك الى من يكفلك وقرأ أبو الاشهب فأوى ثلاثيا أي فرحمك روى ان عبد الله بن عبد المطلب توفي وهو صلى الله عليه وسلم جنين قد أتت عليه ستة أشهر ثم ولد رسول الله فكان مع عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم مات بعد آمنة بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به فكان هو الذي يكفل رسول الله بعد جده الى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصرته صلى الله عليه وسلم ثم توفي أبو طالب فذكره الله هذه النعمة روى أن أبا طالب قال يوما لاخيه العباس ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه فقال بلى فقال اني ضممته الي فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا آمن عليه أحدا حتى اني كنت أنومه في فراشي فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي فرأيت الكراهة في وجهه لكنه كره أن يخالفني وقال يا عماه اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي اذ لا ينبغي لاحد أن ينظر الى جسدي فتعجبت من قوله وصرفت

بصرى حتى دخل الفراش فلما دخلت معه فى الفراش اذ بينى وبينه ثوب فى غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس فى المسك فجهدت لانظر الى جسده فما كنت أرى شيأ وكنت افتقده من فراشى مرارا فاذا قمت لاطلبه نادانى ها أنا ياعم فارجع ولقد كنت أسمع منه مرارا كلاما يعجبنى وذلك عند مضى بعض الليل وكان يقول فى أول الطعام بسم الله الاحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فعجبت منه ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون (ووجدك ضالا فهدى) أى وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها اليك وقيل وجدك ضالا عن عبد المطلب فردك اليه كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن جدى عبد المطلب وأناصبى ضائع كاد الجوع يقتلنى فهدانى الله وروى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى فتعلق عبد المطلب باستار الكعبة وقال

يارب رد ولدى محمدا * أردده رب واصطنع عندى يدا

فمازال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لاتدرى ماذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال انى أنخت الناقة وأركبته من خلفى فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة وكانت تقول ياأحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدى وقال ابن عباس رده الله الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه (ووجدك عائلا) أى فقيرا كما روى ان فى مصحف عبد الله ووجدك عديما وقرأ اليمانى عيلا بكسر الياء المشددة كسيد (فأغنى) أى أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوى عندك الحجر والذهب لاتجد فى قلبك سوى ربك وقيل أغناك بمال أبى بكر وبهيبة عمر روى أن عمر قال حين أسلم والاصحاب كانوا يعبدون الله سرا يارسول الله ابرز أنعبد نحن اللات جهرا ونعبد الله سرا فقال صلى الله عليه وسلم حتى تكثر الاصحاب فقال حسبك الله وأنا فقال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقيل أغناه الله تعالى بتربية أبى طالب ولما اختلت أحوال أبى طالب أغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الانصار ثم أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم ثم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت ظل رمحى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لاتحتقر اليتيم فقد كنت يتيما كما قاله مجاهد أو فلا تغلبه على ماله وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس وجهك اليه وروى ان هذه الآية نزلت حين صاح النبى صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة واذا كان هذا العتاب بمجرد الصياح أو العبوسة فى الوجه فكيف اذا أذل اليتيم أو أكل ماله وروى أن موسى عليه السلام قال الهى بما نلت ما نلت قال الله تعالى أتذكر حين هربت منك السخلة فلما قدرت عليها قلت أتعبت نفسك ثم حملتها فلهذا السبب جعلتك وليا على الخلق فلما نال موسى عليه السلام النبوة بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم (وأما السائل فلا تنهر) أى لاتغلظ له القول بل رده ردا جميلا برفق والمراد من السائل مطلق السائل روى انه صلى الله عليه وسلم كان جالسا فجاء عثمان بتمر فوضعه بين يديه فاراد ان يأكل فوقف سائل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فأمر بدفعه الى السائل فكره عثمان ذلك وأراد أن يأكله النبى صلى الله عليه وسلم فخرج واشتراه من السائل ثم رجع السائل وكان النبى يعطيه ففعل ذلك ثلاث مرات فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسائل أنت أم بائع فنزل وأما السائل فلا تنهر واختار الحسن ان المراد من السائل من يسأل العلم وروى الزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد تلك النعمة هى القرآن فالتحديث به ان يقرأه ويقرئ غيره وروى عنه أيضا ان تلك النعمة هى

النبوة أى بلغ ما أنزل اليك من ربك وروى عن الحسين بن على رضى الله عنهما انه قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا انما يحسن اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدى به وروى ان شخصا كان جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى أثر النعمة على عبده

(سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز كانا يقولان هذه السورة وسورة والضحى سورة واحدة وكانا يقرآنهما فى الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم قال الجمل ولما ذكر الله تعالى بعض النعم عليه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما ودعك ربك الخ اتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدر فقال (ألم نشرح لك صدرك) قال فى نور المقياس وهذا معطوف على قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى أى ألم نشرح لك يا أشرف الرسل قلبك للاسلام ويقال ألم نوسع قلبك للنبوة وقال الرازى استفهم الله عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك أى بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق روى ان جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن أربع سنين فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ثم ملأه علما وايمانا ثم رده فى صدره وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين وعند البعثة وليلة الاسراء فمرات الشق أربع على الصحيح وانما ذكر الصدر لانه محل الوسوسة قال محمد بن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فالشيطان يجىء الى الصدر الذى هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو فى الابتداء حتى لم يجد مسلكا حصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء العبودية وانما قال الله تعالى ألم نشرح لك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلى (ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) أى خففنا عنك اعباء النبوة التى تثقل ظهرك من القيام بأمرها والمحافظة على حقوقها بأن يسرها الله عليه صلى الله عليه وسلم حتى تيسرت له وقيل عصمناك عن الوزر الذى يثقل ظهرك وقيل انه كان نزول السورة بعد موت أبى طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه صلى الله عليه وسلم وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه فارتفع له الذكر فلذلك قال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) أى رفع ذكره حيث قرن اسمه باسم الله تعالى فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شىء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافرا (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) قال فى العسر الاول للعهد الحضورى وفى الثانى للعهد الذكرى فالعسر واحد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو وتنكير يسرا للتفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما ويسرا كاملا فيتناول يسر الدارين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه لن يغلب عسر يسرين فقوله تعالى ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بان العسر مشفوع

بيسرآخر وفى مصحف ابن مسعود جملة واحدة مرة واحدة قال الرازى والمراد من اليسرين فى قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين يسر الدنيا ويسر الآخرة وهما استفتاح البلاد وثواب الجنة وهذه الآية تثبيت لما قبلها او وعد كريم بتيسير كل عسير له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ماخولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا (فاذا فرغت فانصب) أى فاذا فرغت من عبادة فاتبعها بعبادة أخرى بان تواصل بين بعض العبادات و بعض وان لاتخلى وقتا من أوقاتك منها قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فاتعب فى الدعاء وارغب الى ربك فى المسئلة يعطك وقال الشعبى اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من أمر دنياك فاتعب وصل وقال عبد الله بن مسعود اذا فرغت من الفرائض فاتعب فى قيام الليل وقال ابن حيان عن الكلبى اذا فرغت من تبليغ الرسالة فاتعب واستغفر لذنبك وللمؤمنين وقال على بن أبى طلحة اذا كنت صحيحا فاجعل فراغك تعبا فى العبادة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أكره أن أرى أحدكم فارغا لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة (والى ربك فارغب) أى الى ربك فارفع حوائجك واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس الى طلب ماعنده تعالى

(سورة والتين مكية وهى ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون) هما ثمران معلومان أقسم الله بهما لما فيهما من المصالح والمنافع فان التين فاكهة طيبة لاعجم له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال ويقطع البواسير والزيتون فاكهة وادام ودواء وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح المبنى على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وعن الربيع هما جبلان بين همذان وحلوان وقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام (وطور سينين) وهو جبل ثبير وهو جبل بمدين الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الامين) وهو مكة فهو أمين من ان يهاج فيه على من دخل فيه (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى كائنا فى أحسن مايكون من تعديل صورة ومعنى فانه تعالى خلقه مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بكل عقل وفهم وعلم وأدب اذا تكامل شبابه (ثم رددناه أسفل سافلين) أى حال كونه أسفل سافلين أى حيث لايستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله فلا يكتب له وقتئذ حسنة أو رددناه مكانا أسفل سافلين وهو النار وقرأ عبد الله أسفل السافلين معرفا والسافلون هم الضعفاء والزمنى والصغار فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) وهذا الاستثناء على القول الاول منقطع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل بعد ذلك التحسين فى أحسن الصورة حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم أو فلهم أجر غير ممنون به عليهم أما على القول الثانى فهو متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل أى أقبح من كل قبيح صورة وأسفل من كل سافل من أهل

الدركات وهم أهل النار الا الذين كانوا صالحين فلا نرد هم أسفل سافلين (فما يكذبك بعد بالدين) وما اسم استفهام على وجه الانكار والتعجيب والخطاب للانسان على طريقة الالتفات أى فما الذى يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث بعد ظهور هذه الدلالة الناطقة بالجزاء أى فان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصا نامن أوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فمن شاهد تلك الحالة ثم بقى مصرا على انكار الحشر فلا شئ أعجب منه وقيل الخطاب للرسول وما اما اسم استفهام أو بمعنى من أى فأى شئ يجعلك كاذبا بسبب انكار الكافر الحساب بعد هذه الدلائل أو فمن يكذبك بالحساب يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل (أليس الله بأحكم الحاكمين) يحكم على الكفار بما يستحقونه من العذاب أو أليس الذى فعل ما ذكر بأتقن الحاكمين صنعا فى كل ما خلق حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فان عدم امكانهما يقدح فى القدرة وعدم وقوعهما يقدح فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وفى الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أى سواء كان فى الصلاة أو خارجها

(سورة العلق وتسمى سورة القلم وسورة اقرأ مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك) أى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ القرآن (الذى خلق) كل شئ (خلق الانسان من علق) أى من دم جامد (اقرأ وربك الاكرم) أى امض لما أمرت به والحال ان ربك الذى أمرك بالقراءة هو الاكرم (الذى علم بالقلم) أى علم الانسان الخط بالقلم وعلم ينصب مفعولين وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش روى عبد الله بن عمر قال قلت يارسول الله أأكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة أى حذرا من تطلعهن الى الرجال وحذرا من الفتنة لانهن قد يكتبن لمن يهوين (علم الانسان مالم يعلم) أى علمه بالقلم وبدونه من الامور الجلية والخفية مالم يخطر بباله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أى حقا يا محمد ان الكافر يتكبر على ربه لان رأى نفسه مستغنيا عن الله بالمال نزلت الآيات من ههنا الى آخر السورة فى أبى جهل روى ان أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم (ان الى ربك الرجعى) أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث فسترى حينئذ عاقبة تمردك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) وأرأيت لحمل المخاطب وهو النبى على التعجب وهى تتعدى الى مفعولين لانها بمعنى اخبرنى فالمفعول الاول الذى والمفعول الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثالثة أى اخبرنى يا محمد الناهى عمن صلى ألم يعلم ان الله يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل روى مسلم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل فى ملأ من طغاة قريش هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

يصلى

يصلي ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقي بيديه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بيني و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فأنزل الله هذه الآية (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ومفعولا أرأيت محذوف فان حذف الاول لدلالة المفعول الاول من أرأيت الاولى عليه وحذف الثاني لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه وأو بمعنى الواو والمعنى اخبرني يا محمد ذلك الناهي ان صار على الهدى وأمر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله والنهي عن خدمته كأنه تعالى يقول تلهف يا مخاطب عليه كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الدنيئة وهو رجل عاقل ذو ثروة لا يليق به ذلك (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) والجملة الاستفهامية تكون في موضع المفعول الثاني لأرأيت ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشار به اليه أي أرأيته يا محمد ان كذب هذا الكافر بتلك الدلائل الواضحة وأعرض عن خدمة خالقه ألم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة أفلا ينزجر عنها (كلا) أي لن يصل أبو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا أو يطأ عنقه بل تلميذ محمد هو الذي يقتله ويطأ صدره وهو عبد الله بن مسعود (لئن لم ينته) أي والله لئن لم ينته أبو جهل عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن الناصية ولنجرن بها الى النار في الآخرة أو لنقبضن على الناصية في الدنيا روي أن أبا جهل لما قال ان رأيته يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمر جبريل عليه السلام بأن يقرأها على أبي جهل ويخر لله ساجدا في آخرها ففعل فعدا اليه أبو جهل ليطأ عنقه فلما دنا منه نكص على عقبيه راجعا فقيل له مالك قال ان بيني و بينه فحلا فاغرا فاه لو مشيت اليه لالتقمني وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وروي انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه من يقرؤها منكم على رؤساء قريش فقام ابن مسعود وقال انا يا رسول الله ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق اذنه وأدماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم رق قلبه وأطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجيء ضاحكا مستبشرا فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكي فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم له خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلما عرف عجزه ارتقى الى صدره بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له أبو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن أحد أبغض الي منه في حياتي ولا أحد أبغض الي منه في حال مماتي ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لانه أحد فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فلما لم يطقه شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن وقرئ لنسفعن بالنون المشددة فالفاعل لهذا الفعل هو الله والملائكة وقرأ ابن مسعود لأسفعن أي يقول الله يا محمدا انا الذي أتولى اهانة أبي جهل (ناصية كاذبة) في قولها (خاطئة) في فعلها لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولانه كان كاذبا على الله تعالى في قوله انه تعالى لم يرسل محمدا وكاذبا على رسوله في قوله ان محمدا ساحر أو كذاب أو ليس بنبي وناصية بدل من الناصية وقرئ ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وقرئ ناصية بالنصب وكلاهما على الشتم (فليدع ناديه) أي أهل مجلسه الذين يجتمعون فيه للتشاور أو لانه مجلس العطاء والجود (سندع الزبانية) هم الملائكة الغلاظ الشداد كما قاله

الزجاج قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فزبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل والله انك لتعلم بأني أكثر أهل الوادي ناديا فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله فكأنه تعالى لما عرفه أنه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد تعززا عماله ورياسته في مكة ويروى أنه قال ليس بمكة أكرم مني وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال أبو جهل أنا أدعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية لما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددني بالزبانية فلا أدري الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه وقيل كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه صلى الله عليه وسلم في صورة الاسد قال ابن عباس رضي الله عنهما والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته معاينة وقرئ ستدعى الزبانية على المجهول أي ليجروه الى النار (كلا) أي لن يصل أبو جهل الى ما يتصلف به من أنه يدعو قومه (لا تطعه) أي أبا جهل فيما يأمرك به من ترك الصلاة بل دم على ما أنت عليه من مخالفته (واسجد) أي صل وتوفر على عبادة الله تعالى فعلا وابلاغا وقال فكرك في هذا العدو فان الله مقويك وناصرك (واقترب) أي ابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك

(سورة القدر مدنية قال الواحدي انها أول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة وأحد وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم انا أنزلناه في ليلة القدر) أي انا أنزلنا القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على كتبة ملائكة سماء الدنيا الى بيت العزة منها ثم نجمته السفرة على جبريل فكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه ومعنى القدر التقدير وسميت ليلة القدر بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات الامور وهم أربعة من الملائكة اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام والجمهور على أنها مختصة برمضان واختلفوا في تعيينها وقال بعضهم انها الليلة السابع والعشرين لان فيها أمارات ضعيفة منها ما روى أن عمر سأل الصحابة عن ليلة القدر ثم قال لابن عباس غص يا غواص فقال زيد بن ثابت أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ولكن عنده ما ليس عندكم فقال ابن عباس أحب الاعداد الى الله تعالى الوتر وأحب الوتر اليه السبعة فذكر السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضاء السبعة فدل ذلك العدد على أنها السابعة والعشرون ومنها قول ابن عباس ان هذه السورة ثلاثون كلمة وقوله تعالى هي هو سابع وعشرون ومنها ما نقل عن ابن عباس أنه قال ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون الجملة سبعة وعشرين ومنها ما روى أنه كان لعثمان بن أبي العاص عبد فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون (وما أدراك ما ليلة القدر) أي ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين الله فضلها من ثلاثة أوجه أو أربعة بقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر أي ان العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر قال مجاهد كان في

بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك ألف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأنزل الله هذه الآية أي ليلة القدر لامتك خير من ألف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح ألف شهر وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه ان بني أمية يطؤن منبره صلى الله عليه وسلم واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه السورة ثم قال القاسم بن فضل فحسبنا ملك بني أمية فاذا هو ألف شهر فكأن الله تعالى يقول أعطيتك يا أشرف الخلق ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من السعادات الدنيوية في أيام ملك بني أمية ومن المعلوم ان الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة لكن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه ألا ترى ان صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة مع ان صلاة الجماعة قد تنقص صورة فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة وأيضا فأنت اذا قلت لمن يرجم بالزنا هذا زان فلا بأس ولو قلته للنصراني فهو قذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو قذف يوجب الحد ولو قلته في حق عائشة كان ذلك القول كفرا ثم القائل بقوله هذا زان قد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها أثقل من الجبال فثبت بهذا ان الافعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) روي انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الا دخله وسلم عليه يقول يا مؤمن أو يا مؤمنة السلام يقرئكم السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وقوله باذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي متلبسين بأمر ربهم فانهم لا يتصرفون تصرفا الا بأمره وقوله من كل أمر متعلق بتنزل أي تنزل أولئك في تلك الليلة من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى عام قابل فكل واحد منهم نزل لامر آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقدر المقادير في ليلة البراءة أي وهو نصف شعبان فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى أربابها وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل انسان فان الملائكة يرون في الارض أنواع الطاعات التي لم يروها في عالم السموات (سلام هي حتى مطلع الفجر) فسلام خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر أي تلك الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق ومن كل آفة كما قاله أبو مسلم وابن عباس وحتى متعلق بتنزل أي ان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة سلامهم على أهل الصوم والصلاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وقيل ان حتى متعلق بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار والمجرور أي ان ليلة القدر سلام الى طلوع الفجر أي تسليم الملائكة على المطيعين ويقال أي ان ليلة القدر من أولها الى طلوع الفجر سالمة من التفاوت والنقصان فان العبادة في كل جزء من أجزائها أو قاتها خير من ألف شهر فليست ليلة القدر كسائر الليالي في انه يستحب للفرض الثلث الاول وللتطوع النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الاوقات وقيل ان الوقف عند قوله تعالى سلام فقوله تعالى من كل أمر متعلق به وقوله سلام خبر بعد خبر كقوله تنزل وقوله تعالى هي مبتدأ وخبره ما بعده والمعنى كما قاله ابن عباس

ليلة القدر سلامة من كل أمر مخوف ومن كل شرور وفضلها مستمر الى طلوع الفجر وقرأ الكسائي مطلع بكسر اللام

(سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة القيمة وسورة البرية وسورة منفكين مدنية ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (والمشركين) أى عبدة الاصنام (منفكين) عن كفرهم (حتى تأتيهم البينة) وهى الرسول وسمى بالبينة لان مجموع الاخلاق الحاصلة فيه كان بالغا الى حد كمال الاعجاز أى ان الكفار من الفريقين كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول وقيل ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة أى التى كانت ذاته بينة على نبوته وقيل المعنى لم يكن الذين كفروا منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل حتى أتتهم بيان ما سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى من صفات محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والمشركون عطفا على الموصول (رسول من الله) بالرفع بدل كل من كل من البينة وقرأ عبد الله رسولا بالنصب حالا من البينة (يتلو صحفا) أى كتبا (مطهرة) أى منزهة عن الباطل (فيها كتب قيمة) أى فى تلك الكتب أحكام مستقيمة تبين الحق من الباطل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) أى وما اختلفوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والواو للحال واللام بمعنى الباء أى والحال ان هؤلاء الكفار ما أمروا فى التوراة والانجيل الا بأن يعبدوا الله جاعلين عبادتهم خالصة له تعالى لا يريدون رياء ولا سمعة وقرأ عبد الله الا ان يعبدوا الله بابدال اللام بان (حنفاء) أى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أى وذلك المذكور من عبادة الله بالاخلاص واقام الصلاة واعطاء الزكاة دين المستقيم والهاء ههنا قافية السورة وقرئ الدين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) وبدأ الله بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون فى نبوته صلى الله عليه وسلم فجنايتهم أعظم لانهم أنكروا مع العلم به وأيضا انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه فكأنه تعالى قال له كما قدمت حقى على حقك فأنا أقدم حقك على حق نفسى فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن فى شعرة من شعراتك يكفر فأهل الكتاب طعنوا فى الرسول والمشركون طعنوا فى الله (أولئك هم شر البرية) أى الخليقة فهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكبر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز فى الموضعين والباقون بياء مشددة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) معدن النبيين والمقربين (تجرى من تحتها الانهار) أى الاربعة وهى الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها أبدا) وخالدين حال من

مقدر نعامله محذوف أى دخلوها ولا يجوز ان يكون حال من هم فى جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وقوله عند ربهم حال من جزاؤهم أو ظرف له وأبدا منصوب بخالدين *(لطيفة)* قال بعض الفقهاء لو قال لفلان على كذا فهو اقرار بالدين ولو قال لاشئ لى على فلان فهذا يختص بالديون وله ان يدعى الوديعة ولو قال لاشئ لى عند فلان انصرف الى الوديعة دون الدين ولو قال لاشئ لى قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه وديعة والوديعة عين وهو أشرف من الدين (رضى الله عنهم) بأن يعظمهم ويمدحهم فان الرضا عن العامل غير الرضا بعمله (ورضوا عنه) أى فرحوا بما جازاهم من الثواب وبما أعطاهم من أنواع الكرامات (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) وصاحب الخشية هو العالم بشؤن الله تعالى فان الخشية مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية

(سورة الزلزلة مدنية وهى تسع آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها) أى اذا تحركت الارض حركة شديدة فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان (وأخرجت الارض أثقالها) أى أحمالها من الاموال أو الاموات ثم ان كان المراد من هذه الزلزلة الزلزلة الاولى فالمعنى أخرجت الارض الكنوز فى زمن بعد عيسى أو عند النفخة الاولى فتمتلئ ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت أحد اليه فكأن الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلى وان كان المراد منها الزلزلة الثانية عند النفخة الثانية فالمعنى أخرجت الارض الموتى أحياء كالخروج من الام وقت الولادة أو لفظتهم ميتين كما دفنوا ثم يحييهم الله تعالى وذلك على الخلاف بين العلماء (وقال الانسان) أى الكافر بطريق التعجب والمؤمن بطريق الاستعظام (مالها) أى أى شئ ثبت للارض تزلزلت بهذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها (يومئذ) أى يوم اذ كان ماذكر وهو بدل من اذا (تحدث أخبارها) جواب اذا وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وقرأ سعيد بن جبير تنبئ بسكون النون بان يجعل الله الارض عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى (بأن ربك أوحى لها) والباء اما سببية متعلق بتحدث أى تحدث الارض أخبارها بسبب أمره تعالى اياها بالتحديث باخبارها واما تعدية لتحدث فتكون هذه الجملة بدلا من أخبارها فالمعنى تحدث الارض باخبارها بأن ربك أذن لها فى الكلام (يومئذ) منصوب بيصدر أى يوم اذ يقع ماذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) أى فرقا فريق يذهب الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة أبيض الوجه والمنادى بين يديه ينادى هذا ولى الله وفريق يذهب اليه حافيا عاريا مع السلاسل والاغلال أسود الوجه والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله (ليروا أعمالهم) بضم الياء أى ليريهم الله تعالى أعمالهم مكتوبة فى الصحائف وهى توضع بين أيديهم والمرئى هو الكتاب وقرئ ليروا بفتح الياء وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن نملة صغيرة (خيرا يره) قال أحمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شئ ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر وهذا مروى

عن ابن عباس أيضا (ومن يعمل مثقال ذرة) أى ميزان أصغر النمل (شرايره) قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله اياه فأما المؤمن فيغفر الله سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيآته وقوله تعالى خيرا وشرا منصوبان على التمييز من مثقال أو على البدل من مثقال ويره جواب الشرط مجذوم بحذف الالف وقرأ ابن عباس والحسين بن على وزيد بن على وكذا عاصم فى رواية يره مبنيا للمفعول وقرأ عكرمة يراه بالالف

(سورة والعاديات مكية احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا) أى والخيل الجارية بشدة فى الغزو تصوت أنفاسهن من الجرى والضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند شدة الجرى وليس بصهيل ولا حمحمة بل هو صوت نفس وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه أى وابل الحاج الجارية من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى تمد أعضاءها فى سيرها وضبحا حال بمعنى اسم الفاعل (فالموريات قدحا) أى فالخيل التى تطأ الحصى صاكات بحوافرها ما يخرج النار كنار حباحب وهو رجل من العرب أبخل الناس الذى فى العساكر لا يوقد نارا حتى ينام الناس ثم يوقدها فاذا انتبه أحد أطفاها لئلا ينتفع بها أحد فشبهت هذه النار التى تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التى لم يكن فيها نفع أو يقال فالجماعة الذين يركبون الابل وهم الحجيج الموقدين نيرانهم بالمزدلفة (فالمغيرات صبحا) أى فالجماعة الذين يركبون الخيل الذين يهجمون على الاعداء للنهب أو للقتل فى وقت صبح ليروا ما يأتون وما يذرون أو فالجماعة الذين يندفعون من جمع الى منى ركبانا باسراع السير صبيحة يوم النحر (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) أى فهيجن فى وقت الصبح أو بالجرى غبارا أو فهيجن فى المغار صياحا فتوسطن فى ذلك الوقت أو بالغبار جمعا من جموع الاعداء وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد أى أظهرن بجريهن غبارا وقرئ فوسطن بالتشديد أى جعلن جمع الاعداء فى ذلك الوقت أو فى ذلك المكان أو بجريهن أو بالغبار فى الوسط أو قطعن جمع الاعداء نصفين روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت هذه الآيات وعن محمد بن كعب قال النقع ما بين مزدلفة ومنى والجمع مزدلفة فالمعنى فتحركن وقت الصبح أو بالجرى فى وادى محسر فصرن بجريهن وسط مزدلفة أو يكون المعنى فاظهرن فى ذلك الوقت أو فى جريهن صياحا بالتلبية فجعلن مزدلفة بجريهن فى الوسط ويتأكد حمل الآيات على الابل أو مع خيول الحجاج بما روى أبى فى فضل هذه السورة مرفوعا من قرأها أعطى من الاجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا (ان الانسان لربه لكنود) أى ان طبع جنس الانسان لكفور بنعمة ربه كما قاله ابن عباس وغيره وهذا بلسان ربيعة ومضر أو لربه لوام فيعد المصائب والمحن وينسى النعم والراحات كما قاله الحسن ويقال عاص بربه بلسان حضرموت ويقال بخيل بلسان بنى مالك بن كنانة وقيل المراد بالانسان الكافر كما قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى وقيل فى أبى حباحب أى وهما كافران (وانه على ذلك لشهيد) أى وان الرب تعالى على ذلك الصنع لشهيد حافظ (وانه) أى الانسان (لحب الخير) أى المال (لشديد) أى قوى ولطلبه مطيق أو ان الانسان وهو قرط أو أبو حباحب لاجل حب المال لبخيل ممسك (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) أى أفلا يعلم الانسان قرط أو أبو حباحب فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا أخرج ما فى القبور من الاموات والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير ومعنى علم الله بهم يوم القيامة

مجازاته

مجازاته لهم وأتى بما لان غير المكلفين الذى فى الارض أكثر (وحصل مافى الصدور) أى بين مافى القلوب من الكفر والايمان والبخل والسخاوة وقرئ حصل مبنيا للفاعل ومخففا أى ظهر مافى القلوب من الاسرار الخفية (ان ربهم) أى الانسان (بهم يومئذ لخبير) وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير وجمع الضمير العائد الى الانسان اعتبارا بمعناه لانه اسم جنس أى أفلا يعلم الانسان ان ربهم عالم بهم يجازيهم فى يوم البعث فلا حاكم ير وج حكمه ولا عالم تر وج فتواه يومئذ الا هو وقرأ أبو السمال أن ربهم بهم يومئذ خبير بفتح همزة أن واسقاط اللام من لخبير

(سورة القارعة مكية عشرة آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم القارعة) أى الصيحة التى تفزع القلوب (ما القارعة) أى أى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة (وما أدراك ما القارعة) أى وأى شئ أعلمك يا أشرف الرسل ما شأن القارعة (يوم يكون الناس) ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه (كالفراش المبثوث) أى المفرق فالله تعالى شبه الناس فى وقت البعث بالفراش المنشور فى الكثرة والتطاير الى الداعى لانهم لما بعثوا عوج بعضهم فى بعض كالفراش وهو الحيوان الذى يتهافت فى النار (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى وتصير الجبال كالصوف الذى ينفش باليد فى تفرق اجزائها وتطايرها فى الجو (فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية) أى فمن ترجحت مقادير حسناته فهو فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها أى فهو فى الجنة بغير حساب أما من استوت حسناته وسيآته فيحاسب حسابا يسيرا (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أى وأما من طاشت حسناته فترجحت السيآت على الحسنات فأم رأسه نازلة فى النار أى فيهوى فى النار على هامته ثم ان كان مؤمنا فاما أن يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة واما أن يشفع فيه وان كان كافرا فيخلد فى النار (وما أدراك ماهيه) أى وأى شئ أعلمك يا أكرم الرسل ماهاويه والهاء للسكت وقرأ حمزة فى الوصل بغير هاء ووقف بها والباقون باثباتها وصلا ووقفا لانها ثابتة فى المصحف (نار حامية) أى هى نار متناهية حرها فسائر النيران بالنسبة اليها كأنها ليست حارة نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب

(سورة التكاثر مكية ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب بالمناقب وبكثرة المال وعدد الرجال والتباهى بذلك عن التدبير فى أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى أفنانا فى الجاهلية فعدوا أحياءنا وأحياءكم وأمواتنا وأمواتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم هذه السورة وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ألهاكم وقال ابن آدم يقول مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريرى (حتى زرتم المقابر) أى حتى آتاكم الموت فصرتم فى المقابر زوارا تسيرون عنها الى مكان الحساب يقال لمن مات

قدزارقبره وانما يقال ذلك لانه لا بدله من انتقال عنها الى منزله من جنة أونار (كلا سوف تعلمون) أى حقا سوف تعلمون عند الموت حين يقال لكم لا بشرى و فى وقت سؤال القبر (ثم كلا سوف تعلمون) عند النشو رحين ينادى المنادى فلان شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبدا وحين يقال وامتازوا اليوم (كلا لو تعلمون علم اليقين) وجواب لو محذوف أى حقا لو علمتم لاى أمر خلقتم لاشتغلتم به وما تفاخرتم فى الدنيا و يقال ان المعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الانسان معه و بعده فى القبر وفى الآخرة لم يلهكم التفاخر عن ذكر الله (لترون الجحيم) وهذا جواب قسم محذوف أى والله لترون عذاب الجحيم فانها يراها المؤمنون أيضا فكان الوعيد فى رؤية عذابها الا فى رؤية نفسها وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء أى انهم يحشرون الى الجحيم فيرونها (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم لترون نفس الجحيم بعين اليقين فانهم فى المرة الاولى رأوا لهبا لا غير وفى المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ولا شك ان هذه الرؤية أجلى والحكمة فى النقل من العلم الاخفى الى الاجلى التقريع على ترك النظر لانهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة (ثم لتسئلن يومئذ) أى يوم رؤية الجحيم (عن النعيم) فى الدنيا فسؤال المؤمن سؤال تشريف وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة لانه شكر النعم وسؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لانه ترك الشكر حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر والعصيان وروى الحاكم فى الحديث ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أو ما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر

(سورة والعصر مكية ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم والعصر) أى الدهر أقسم الله به لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ما هو أعجب من كل عجيب أو هو العشى أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى فان كل عشية تشبه تخريب الدنيا بالموت وكل بكرة تشبه القيامة يخرجون من القبور وتصير الاموات أحياء وقال الحسن انما أقسم الله بهذا الوقت تنبيها على أن الاسواق قد دنا وقت انتهائها وقرب وقت انتهاء التجارة فيها أو هو صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها روى أن امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث فيك قالت يا رسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنا فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال صلى الله عليه وسلم أما الزنا فعليك الرجم وأما قتل الولد فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت كبيرا لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر ففى هذا الحديث اشارة الى تفخيم أمر هذه الصلاة (ان الانسان لفى خسر) أى لفى غبن فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم أو فى نقصان عمله بعد الهرم والموت (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم فى تجارة لن تبور حيث استبدلوا الباقيات الصالحات بالضاديات الرائحات (وتواصوا بالحق) أى تحاثوا بكل ما حكم الشرع بصحته من علم وعمل (وتواصوا بالصبر) أى تحاثوا بالصبر على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى المرازى

(سورة الهمزة مكية تسع آيات وأربع وثمانون كلمة ومائة واحدى وستون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم ويل) أى شدة عذاب أو واد فى جهنم من قيح ودم (لكل همزة) أى مغتاب للناس

من خلفهم (لمزة) أى طعان فى وجوههم نزلت هذه الآية فى أخنس بن شريق فانه كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله عطاء والكلبي والسدى أو فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه كما قاله مقاتل وجريج أو فى أبى بن خلف كما قاله عثمان بن عمر أو فى أمية بن خلف كما قاله محمد بن اسحق أو فى جميل بن فلال كما قاله مجاهد (الذى جمع مالا وعدده) أى أحصاه وقال الاخفش أى جعله ذخيرة لحوادث الدهر وقال الضحاك أى أعد ماله لمن يرثه من أولاده وقيل أى فاخر بكثرة عدده وقرأ حمزة والكسائى وابن عامر جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الحسن والكلبي وعدده بتخفيف الدال وهو معطوف على مالا أى وجمع المال وعدد ذلك المال أو وجمع عدد نفسه من أقاربه وعشيرته الذين ينصرونه وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن الكافر أن ماله جعله خالدا فى الدنيا لا يموت لطول أمله وافراط غفلته ويعتقد أنه ان نقص ماله يموت أيخله قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت وقيل يظن أن المال يخلد صاحبه فى الدنيا بالذكر الجميل وفى الآخرة فى النعيم المقيم وهذا تعريض بالعمل الصالح (كلا) أى ليس الامر كما يظن أن المال يخلده بل العلم والصلاح وعلى هذا يجوز الوقف هنا أو بمعنى حقا (لينبذن فى الحطمة) أى والله ليطرحن فى النار التى تحطم كل من وقع فيها أى تكسره وقرئ لينبذان بالمثنى أى هو وماله وقرئ لينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره وذلك لان شأنه كسر أعراض الناس فان الجزاء من جنس العمل (وما أدراك ما الحطمة) التى هى جزاء الهمزة اللمزة (نار الله الموقدة) أى التى لا تخمد أبدا بقدرته تعالى (التى تطلع على الافئدة) أى التى تعلوا وساط القلوب فانها محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة أو مغلقة (فى عمد ممددة) أى حال كونهم موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا منها يا أكرم الاكرمين والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد وقرأ حمزة والكسائى وشعبة عمد بضمتين جمع عمود أو عماد وروى عن أبى عمرو الضم والسكون وقرأ الباقون بفتحتين وهو على القراءتين جمع كثرة لعمود

(سورة الفيل مكية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق أو ألم تعلم علما رضينا باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال قتادة ان قائد الجيش اسمه ابرهة الاشرم من الحبشة فقال سعيد بن جبير هو أبو الكيشوم (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) والهمزة للتقرير أى قد جعل ربك كيدهم فى تخريب الكعبة فى ابطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أى طوائف روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت تلك الطير طيرا لها خراطيم كخراطيم الفيل وأكف كأكف الكلاب وروى عطاء عنه قال طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا وقيل كانت بلقاء كالخطاطيف كما قالته عائشة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ (ترميهم بحجارة من سجيل) أى طين متحجر مصنوع للعذاب وقيل بحجارة من جهنم فان سجين اسم من أسماء جهنم فابدلت النون باللام (فجعلهم كعصف

مأكول) أى كورق زرع أكلته الدود روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج من بنى كنانة رجل وتغوط فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ قريبا من مكة وهو المغمس وهو فى أرض الحل قريب من عرفة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل محمودا فكانوا كلما وجهوه الى جهة الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى غيرها من الجهات هرول ثم رجع عبد المطلب وأتى البيت وأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع حله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر مابدا لك

ويقول أيضا

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع عنهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ليست بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا ودوى ابرهة فتساقطت أنامله وأعضاؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر وخر ميتا بين يديه وهذه القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(سورة قريش مكية أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش) واللام اما متعلقة بالسورة التى قبل هذه السورة واما متعلقة بالآية التى بعد هذه اللام واما متعلقة بمحذوف فعلى الاول فان التقدير فجعلهم كعصف مأكول لحب قريش الخ أى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف روى ان عمر رضى الله عنه قرأ فى صلاة المغرب فى الركعة الاولى والتين وفى الثانية ألم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وان أبى بن كعب جعلهما فى مصحفه سورة واحدة وعلى الثانى فالتقدير فليعبدوا رب هذا البيت الذى قصده أصحاب الفيل ثم ان رب البيت دفعهم عن مقصودهم لاجل ايلاف قريش ونفعهم أى ليجعلوا عبادتهم شكر الهذه النعمة وعلى الثالث فان هذه اللام لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا ونغماسا فى عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم أسباب معايشهم وذلك لاشك انه فى غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه (ايلافهم) بدل من ايلاف الاول لان المبدل منه مطلق والبدل مقيد بالمفعول به أو تو كيد لفظى فرحلة مفعول لايلاف الاول وقرأ ابن عامر لالاف قريش بغير ياء بعد الهمزة والباقون بياء بعدها

وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني أي لمؤالفتهم قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهذا أدل دليل على ان القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط وقرأ أبو جعفر لالاف قريش الفهم بكسر الهمزة وسكون اللام بزنة حمل وعن ابن عامر الافهم بزنة كتابهم كما روى عن ابن كثير أيضا وروى عن ابن عامر أيضا كما روى عن عكرمة ليلاف قريش بياء ساكنة بعد اللام وقرأ عكرمة ليألف قريش فعلا مضارعا وعنه أيضا ليألف على الامر (رحلة الشتاء والصيف) أي انتقالهما أي كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن لانه ادفأ و بالصيف الى الشام فكانت أشراف أهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين و يأتون لاهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وانما كانوا يربحون في أسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى انهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا من التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم في نفوسهم وأموالهم فلما أهلك الله أصحاب الفيل ازداد قيمة أهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلهذا قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لايلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف هذا وتعلق أول هذه السورة بما قبلها من قوله تعالى فعل ربك أو من قوله تعالى فجعلهم كعصف ليس بحجة على انهما سورة واحدة لان القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض الا ترى ان قوله تعالى انا أنزلناه متعلق بما قبله من ذكر القرآن وأما قراءة سيدنا عمر رضى الله عنه فانها لا تدل على انهما سورة واحدة لان الامام قد يقرأ سورتين في ركعة واحدة وقيل ان المراد رحلة الناس الى أهل مكة فرحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذى الحجة لانه كان أحدهما شتاء والآخر صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان يتم لاصحاب الفيل ما أرادوا لتعطلت هذه المنفعة وقرئ رحلة بضم الراء وهي الجهة التي يرحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت) قال الخليل وسيبويه ان اللام في لايلاف متعلقة بقوله فليعبدوا ودخول الفاء فيه لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله عليهم لا تحصى فكأنه قيل ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وهي ايلافهم رحلتي الشتاء والصيف والمعنى لجعلهم مجيبين لهما مسترزقين بهما التيسير هما عليهم فليعبدوه تعالى (الذى أطعمهم من جوع) أي من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر بواسطة كونهم جيران البيت (وآمنهم من خوف) أي من خوف دخول العدو عليهم ومن خوف زحمة أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقال الضحاك والربيع أي آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدتهم جذام وقيل آمنهم من خوف الضلال بالاسلام فقد كانوا في الكفر يتفكرون فيعلمون ان الدين الذين هم عليه ليس بشئ الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذى يجب على العاقل ان يتمسك به فكانت نعمة الامانة دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا وأما نعمة الدنيا فهي تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح

(سورة الماعون وتسمى سورة الدين وسورة أرأيت مكية ومدنية سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين) فرأى امابصرية فالمعنى أ أبصرت المكذب بالجزاء أو بالاسلام أوهل عرفته واما بمعنى أخبرني الذي يكذب بالحساب من هو و يدل على هذا قراءة عبد الله ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي ولم يصح عن العرب ريت ولكن لما كان حرف الاستفهام في أول الكلام سهل حذف الهمزة (فذلك الذي يدع اليتيم) والفاء جواب شرط محذوف أي ان أردت ان تعرف المكذب بالحساب فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف عن حقه وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ولا يدعوه أي يدعو جميع الاجانب و يترك اليتيم أي يترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يذم المرء بترك النوافل وقرئ يدعو اليتيم أي يدعوه رياء ثم لا يطعمه وانما يدعوه استخداما أوقهرا (ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحث أهله وغيرهم من الموسرين على صدقة المساكين قال ابن جريج نزلت هذه الآية في أبي سفيان كان ينحر جزورين في كل أسبوع فأتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة وحكى الماوردي انها نزلت في أبي جهل روي أنه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيأ من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى أبي جهل فرحب به و بذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا اصبوت فقال لا والله ماصبوت لكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم أجبه يطعنها في وقال السدي نزلت في الوليد ابن المغيرة وقال الضحاك نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) والنسيان عن الصلاة هو أن يبقى الانسان ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة اما المسلم الذي يعتقد ان فيها فائدة دينية يمتنع ان لا يتذكر أمر الدين والثواب والعقاب في شيء من أجزاء الصلاة بل قد يحصل له السهو في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة فثبت ان السهو في الصلاة من أفعال المؤمن والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر (الذين هم يراؤن) بصلاتهم فاذا فاتتهم مع الناس تركوها بالمرة والمرائي من يظهر الاعمال عند الناس مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به و يأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون الماعون) أي و يمنعون الناس الزكاة أو يمنعون الطالبين منافع البيت كالفاس والقدوم والابرة والقدر والقصعة والمغرفة والمقدحة والغربال والدلو والملح والماء والنار

﴿سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك يا أشرف الخلق (الكوثر) أي الخير المفرط في الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين فان كتاب محمد هو الكتاب المهين على كتاب آدم وصحف ابراهيم وموسى وتحديه بالقرآن وذلك أعلاه كما تحدى آدم بالاسماء روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب

الآخر

الآخر فليسبح ولا يغرق فأشار الرسول اليه فانقلع الحجر الذى أشار اليه من مكانه وعام حتى صار بين يدى الرسول وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه وهذا أعظم من امساك سفينة نوح على الماء وعن محمد ابن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على من النار فاحترق جلدى كله فحملتني أمى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدى ومسح بيده على المحترق منه وقال أذهب البأس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بى وذلك أعظم من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وأكرم الله محمدا فغلق له القمر فوق السماء وفجر له أصابعه عيونا وكان الغمام يظله وأعطاه الله القرآن الذى وصل نوره الى الشرق والغرب ولما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا كما أكرم الله موسى بفلق له البحر فى الارض وفجر له الماء من الحجر وظلل عليه الغمام وأكرمه باليد البيضا وقلب عصا موسى ثعبانا وسبحت الاحجار فى يد الرسول وأصحابه وكان هو لما مسح الشاة الجرباء درت وأكرمه الله بالبراق كما سبحت الجبال مع داود واذا مسح الحديد لان وأكرمه الله بالطير المحشورة وأضاف الرسول اليهود بالشاة المسمومة فلما وضع اللقمة فى فيه أخبرته وروى ان امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى الرسول فمسح عليها رسول الله بغصن فأذهب الله عنها البرص وحين سقطت حدقة الرجل يوم أحد فرفعها وجاء بها الى الرسول فردها الى مكانها وعرف ما أخذناه عمه مع أم الفضل فأخبره فأسلم العباس لذلك كما أكرم الله عيسى عليه السلام باحيائه الموتى وابراء الاكمه والابرص ومعرفة ما يخفيه الناس فى بيوتهم وحين نام رسول الله ورأسه فى حجر على فانتبه وقد غربت الشمس فردها وصلى وردها مرة أخرى لعلى فصلى العصر فى وقته وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذه بولدها فقال رجل انا فقال أردد اليها ولدها وأكرمه الله بالمسير الى بيت المقدس فى ساعة وكان يرسل حماره يعفورا الى من يريده فيجئ به وأرسل معاذا الى بعض النواحى فلما وصل الى المفازة فاذا أسد جاء ثم فهاله ذلك ولم يستجرأ ان يرجع فتقدم وقال أين رسول رسول الله وانقاد الجن له صلى الله عليه وسلم وحين جاء الاعرابى بالضب وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فتكلم الضب معترفا برسالته وحين كفل الظبية حين أرسلها الاعرابى رجعت تعدو حتى أخرجته من الكفالة كما رد الله لسليمان الشمس مرة وعلم منطق الطير وأكرم الله بمسيره غدوة مسيرة شهر وانقاد الجن له فلما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم كذلك جاز ان يسميها الله تعالى كوثرا فقال انا أعطيناك الكوثر قال عطاء الكوثر حوض النبي صلى الله عليه وسلم فى الموقف والمستفيض عند السلف والخلف انه نهر فى الجنة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفى رواية أنس أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدى الى مجرى الماء فاذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر الذى أعطاكه الله تعالى (فصل لربك) أى فدم على الصلاة خالصا لوجه ربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) أى

استقبل القبلة بحرك كما قاله ابن عباس والفراء والكلبي وأبو الاحوص كأنه تعالى يقول الكعبة بيتي وهي قبلة صلاتك وقلبك قبلة رحمتي ونظر عنايتي فلتكن القبلتان متناحرتين أى متقابلتين (ان شانئك هو الابتر) أى ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير وهو أبو جهل كما قاله ابن عباس روى أن أبا جهل اتخذ ضيافة لقوم ثم انه وصف رسول الله بالابتر ثم قال قوموا حتى نذهب الى محمد وأصارعه وأجعله ذليلا حقيرا فلما وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا على ذلك أخرجت خديجة بساطا فلما تصارعا جعل أبو جهل يجتهد في أن يصرعه وبقي صلى الله عليه وسلم واقفا كالجبل ثم بعد ذلك رماه النبي صلى الله عليه وسلم على أقبح وجه فلما رجع أخذه باليد اليسرى فصرعه على الارض مرة أخرى ووضع قدمه على صدره أو هو أبو لهب كما قاله عطاء فانه صلى الله عليه وسلم لما شافهه بقوله تبالك كان أبو لهب يقول في غيبته انه صلى الله عليه وسلم أبتر فنزلت هذه الآية أو هو العاص بن وائل السهمي كما قاله عكرمة روى ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير أو هو عقبة بن أبي معيط كما قاله شمر ابن عطية فانه هو الذي كان يقول ذلك ووصف الله تعالى العدو بكونه شانئا اشارة الى وعده تعالى لرسوله بقهر العدو كأنه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى انه يبغضك فيحترق قلبه غيظا وحـ

(سورة الكافرون وتسمى أيضا سورة المنابذة أو المعابدة وسورة الاخلاص أى اخلاص العبادة وسورة المقشقشة أى المبرئة من النفاق وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أشرف الرسل (يا أيها الكافرون) روى ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد هلم حتى نعبد الهك مدة ونعبد آلهتنا مدة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان أمرك رشيدا أخذنا منه حظا وان كان أمرنا رشيدا أخذت منه حظا فنزلت هذه السورة فلما نزلت وقرأها على رؤسهم شتموه وأيسوا منه (لا أعبد ما تعبدون) أى لا أعبد الذين تعبدونه في المستقبل والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم من دون الله من الاوثان (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم عابدون في المستقبل عبادتي أى مثل عبادتي أى ولا أنتم فاعلون في المستقبل عبادتي أى ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهي وهو الله الواحد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما مضى الذين عبدتم فيه أى لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم في وقت من الاوقات مثل عبادتي وانما أخبر صلى الله عليه وسلم أولا عن الاستقبال فلأنه هو الذي دعوه اليه فهو الاهم فبدأ به أما حكايته صلى الله عليه وسلم عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل انه صلى الله عليه وسلم يعبد الاوثان سرا خوفا منها أو طمعا اليها وأما نفيه صلى الله عليه وسلم عبادتهم فلان فعل الكافر ليس بعبادة أصلا وان كان يعبد الله في بعض الاحوال وانما قال ما أعبد في الرابعة ولم يقل ما عبدتم ليوافق ما عبدتم في الثالثة لان عبادته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لم تظهر لاحد بخلافها بعدها أما عبادة الكافر بعد البعثة وبعدها ظاهرة عند الناس (لكم دينكم) وهذا تثبيت لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون

ولقوله

ولقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم (ولى دين) وهذا تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور لكم وان دينى الذى هو التوحيد مقصور لى كأنه صلى الله عليه وسلم يقول انى نبى مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فاتركونى ولا تدعونى الى الشرك وقيل معنى الآية لكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة وقيل لكم العقوبة من ربى ولى العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات فانا لا أخشى عقوبة الاصنام وقيل لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم والشياطين حتى تلقوا الشياطين والنار ولى عادتى المأخوذة من الملائكة والوحى حتى ألقى الملائكة والجنة وقرأ نافع وهشام وحفص بفتح ياء ولى وحذف ياء الاضافة من دين وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء وأثبتها فى الحالين سلام ويعقوب

*(سورة النصر وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا
وهى آخر سورة نزلت قاله ابن عباس مدنية وهى ثلاث آيات وثلاث
وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله) ان كان نزول هذه السورة قبل فتح مكة فاذا ظرف مستقبل جوابه فسبح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى اذ التى للماضى فهى على هذا متعلقة بمقدر أى أكمل الله الامر وأتم النعمة اذ حصل اعانة الله تعالى على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وهو الفتح الذى يقال له فتح الفتوح وكان لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب الى ان نزل بمر الظهران وقدم العباس وأبو سفيان اليه فاستأذنا فأذن لعمه خاصة فقال أبو سفيان اما ان تأذن لى والا أذهب بولدى الى المفازة فيموت جوعا وعطشا فرق قلبه فأذن له وقال له ألم يأن ان تسلم وتوحد فقال أظن انه واحد ولو كان ههنا غير الله لنصرنا فقال ألم يأن أن تعرف الى رسوله فقال ان لى شكا فى ذلك فقال العباس اسلم قبل ان يقتلك عمر فقال وماذا أصنع بالعزى فقال عمر لولا انك بين يدى رسول الله لضربت عنقك فقال يا محمد أليس الاولى ان تترك هؤلاء الاوباش وتصالح قومك وعشيرتك فسكان مكة عشيرتك وأقاربك وتعرضهم للشن والغارة فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء نصرونى وأعانونى وذبوا عن حريمى وأهل مكة أخرجونى وظلمونى فانهم أسروا فبسوء صنيعهم وأمر العباس بان يذهب به ويوقفه على المرصاد ليطالع العسكر ثم تقدم أبو سفيان ودخل مكة وقال ان محمدا جاء بعسكر لا يطيقه أحد ولما سمع أبو سفيان أذان القوم للفجر وكانوا عشرة آلاف فزع لذلك فزعا شديدا وسأل العباس فأخبره بأمر الصلاة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على راحلته ولحيته على قربوس سرجه كالساجد تواضعا وشكرا ثم التمس أبو سفيان الامان فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقال ومن تسع دارى فقال ومن دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال من ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون انى فاعل بكم فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم فى مكة خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وقرئ فتح الله

والنصر (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى وأبصرت الناس يدخلون فى ملة الاسلام جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فسبح بحمد ربك) أى فقل سبحان الله حامدا له (واستغفره) أى واطلب غفرانه هضما للنفس واستقصارا للعمل واستعظاما لحقوق الله واستدارا كالما فرط منك من ترك الاولى وكأنه تعالى يقول اذا جاء نصر الله اياك والمؤمنين والفتح ودخول الناس فى دينك فاشتغل أنت بالتسبيح والحمد والاستغفار (انه كان توابا) أى انه تعالى يكثر قبول التوبة لكثير من التائبين والتوبة اسم للرجوع والندم والناس قد يقول استغفر الله وليس بتائب فيكون كاذبا وكان تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفى هذا تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب أن يكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار وروى أنه صلى الله عليه وسلم لم يجلس مجلسا الا ختمه بالاستغفار وعن عائشة كان نبي الله فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يارسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال انى أمرت بها وقرأ اذا جاء نصر الله وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى انك أنت التواب الغفور وقال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك أى أخبرت بموتك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما مارؤى فيهما ضاحكا مستبشرا وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احد عشر يوما وقيل سبعة أيام والله أعلم وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول لاثنى عشر خلت منه من هجرته الى المدينة والهجرة كانت لاثنى عشر خلت من ربيع الاول كما ان مولده كذلك على المشهور

(سورة أبى لهب وتسمى سورة تبت مكية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب (وتب) أى هلك هو فالاولى مشت غشية الدعاء عليه والثانية أخرجت مخرج الخبر أى وقد حصل الهلاك عليه فهذه الجملة على هذا على تقدير قد ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب بالتصريح بقد وقيل كل واحد من الجملتين اخبار ولكن أريد بالجملة الاولى هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه فان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فأخبر الله تعالى أنه محروم من الامرين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال ياصباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك قال أرأيتم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم اما كنتم تصدقوننى قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال عند ذلك أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا فنزلت هذه السورة وروى أنه قال فمالى ان أسلمت فقال ما للمسلمين فقال أفلا أفضل عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين يستوى فيه أنا وغيرى وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما

دعاه نهارا فأبى فلما جن الليل ذهب الى داره مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال
له جئتنى معتذرا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم أمامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان
يمنعك العار فأجبنى فى هذا الوقت واسكت فقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدى فقال صلى الله
عليه وسلم للجدى من أنا فقال رسول الله وأطلق لسانه يثنى عليه صلى الله عليه وسلم فاستولى الحسد على
أبى لهب فأخذ بيدى الجدى ومزقه وقال تبالك أثر فيك السحر فقال الجدى بل تبا لك فنزلت هذه السورة
على وفق ذلك تبت يدا أبى لهب لتمزيقه يدى الجدى وقد حصل له وجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل
والعمل الباطل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى أى تأثير كان لماله وكسبه فى دفع البلاء عنه فانه
لا أحد أكثر مالا من قارون فهل دفع الموت عنه ولا أعظم ملكا من سليمان فهل دفع الموت عنه أولا ينفع
أبا لهب ماله وكسبه عن ذلك فما فى ما أغنى للنفى أو للاستفهام وما فى ما كسب اما مصدرية أو موصولية
حذف عائدها أو استفهامية أى أى شئ كسب فينفعه روى أن أبا لهب كان يقول ان كان ما يقول ابن
أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس
أسد ولده عتيبة بالتصغير فى طريق الشام فأنزل الله تعالى هذه الآية والكسب هو أرباح ماله وقيل نتاج
ماشيته وقال ابن عباس وما كسب هو ولده والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل
الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك ومات أبو لهب بالعدسة
بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج بالبدن فتقتل (سيصلى نارا ذات لهب) أى سيدخل أبو
لهب فى الآخرة نارا عظيمة ذات اشتعال وقرئ بضم الياء وفتح اللام مخففا ومشددا (وامرأته) معه أم
جميل العوراء بنت حرب أخت أبى سفيان صخر بن حرب واسمها العواء وقيل اسمها أروى وقرئ ومريئته
بالتصغير للتحقير (حمالة الحطب) وماتت مخنوقة بحبلها وكانت لشدة عداوتها للنبى صلى الله عليه وسلم
تحمل بنفسها الشوك والحطب فتنثرها بالليل فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه
كما يطؤ الحرير وقرأ عاصم بالنصب على الشتم أو على الحال اذا أريد بحمل الحطب فى مطلق الزمن وقرأ
الباقون بالرفع على أنه نعت لامرأته اذا أريد به المضى وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا فالرفع
على الخبر لامرأته والنصب على الشتم أو على الحال من امرأته ان جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير
المستتر فانها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب فى الدنيا لأذية الرسول وحينئذ
فجملة فى جيدها فى موضع الحال من امرأته وان جعلناها مرفوعة بالابتداء فجملة فى جيدها الخ هو الخبر
(فى جيدها حبل من مسد) أى من حديد فى الآخرة فقد قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها
سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما ويقال
أى فى عنقها رسن من ليف المقل وهو شجر الدوم الذى اختنقت به وماتت قال قتادة والضحاك ان العوراء
كانت تعير رسول الله بالفقر فعيرها الله بأنها كانت تحتطب فى حبل من ليف تجعله فى جيدها فخنقها الله
تعالى به فأهلكها

*(سورة الاخلاص وتسمى سورة المعرفة وسورة الجمال وسورة التوحيد وسورة النجاة
وسورة النور وسورة المعوذة وسورة المانعة لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة
البراءة لانها براءة من الشرك مكية أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا)*

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد) ان هذه السورة نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك ان المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا سببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته وأرسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس معبودك أمن ذهب أو فضة فأنزل الله هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات الى قوله تعالى ان الهكم لواحد فأرسلوه أخرى وقالوا بين لنا أفعاله فنزل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عامر بن طفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقيل نزلت بسبب سؤال النصارى روى عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت أو ذهب أو فضة فقال ان ربى ليس من شئ لانه خالق الاشياء فنزل قل هو الله أحد قالوا هو واحد وأنت واحد فقال ليس كمثله شئ قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال الذى يصمد اليه الخلق فى الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا أحد أى ليس له نظير من خلقه وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل صفته فى التوراة فاخبرنا من أى شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث ومن يرثه فنزلت هذه السورة وصفات الله تعالى اما أن تكون اضافية وأن تكون سلبية أما الاضافية فكقولنا عالم قادر مريد خلاق وأما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا أحد يدل على مجامع الصفات السلبية وذلك لان الله تعالى هو الذى يستحق العبادة واستحقاق العبادة ليس الا لمن يستبد بالايجاد فالاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات والمراد من الاحدية كون ذاته الحقيقية فى نفسها مفردة منزهة عن انحاء التراكيب (الله الصمد) أى السيد المصمود اليه فى الحوائج وقال ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد الذى قد انتهى سودده وقيل الصمد هو الذى ليس فوقه أحد فلا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ترفع الحوائج اليه وقال قتادة الصمد الباقى بعد فناء خلقه والذى لا يأكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم وقال أبى بن كعب هو الذى لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والارض وقال ابن كيسان هو الذى لا يوصف بصفة أحد قال مقاتل بن حيان هو الذى لا عيب فيه (لم يلد) أى لم يصدر عنه ولد لانه لم يجانسه شئ (ولم يولد) أى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقا ولاحقا ويقال لم يلد أى ليس له ولد فيرث ملكه ولم يولد أى ليس له والد فيرث عنه الملك فلم يرث ولم يورث (ولم يكن له كفوا أحد) أى لم يشاكله أحد من صاحبة وغيرها فيمتنع أن يكون شئ من الموجودات مساويا له تعالى فى شئ من صفات الجلال والعظمة ثم الآية الاولى تبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى فى التثليث والصابئين فى الافلاك والنجوم والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله لانه لو وجد خالق آخر لما كان الحق مصمودا اليه فى طلب جميع الحاجات والآية الثالثة تبطل مذهب اليهود فى عزير والنصارى فى المسيح والمشركين فى أن

الملائكة

الملائكة بنات الله والآية الرابعة تبطل مذهب المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء له تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء نورا ونور القرآن قل هو الله أحد وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول أسألك يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال غفر لك غفر لك غفر لك ثلاث مرات وعن سهل بن سعد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه أحد وان لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فأدر الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الارض يومئذ اذا اتقى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة

(سورة الفلق مدنية خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قيل ان الله تعالى أنزل المعوذتين عليه صلى الله عليه وسلم ليكونا رقية من العين وروى ان جبريل عليه السلام أتاه وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فقال اذا أويت الى فراشك قل أعوذ برب السورتين وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الاوجاع كلها والحمى هذا الدعاء بسم الله الكريم أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار (قل أعوذ برب الفلق) أي الصبح فانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم ولانه أنموذج من يوم القيامة لان الخلق كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج عن داره مفلسا عريانا ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه وكذا في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى فيجر الى الملك الجبار وبعضهم كان مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق وقيل الفلق واد في جهنم أو جب فيها روى عن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خصب العيش فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره وانما خصه الله بالذكر ههنا لانه القادر على مثل هذا التعذيب وقد ثبت ان رحمته تعالى أعظم من عذابه فكأنه يقول يا صاحب العذاب الشديد أعوذ برحمتك التي هي أعظم وأقدم من عذابك وقال الرازي وأقرب التأويلات ان الفلق هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والارحام عن الاولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف فكأن الله تعالى هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الايجاد وكأنه تعالى قال قل أعوذ برب جميع الممكنات ومكون المحدثات فيكون التعظيم فيه أعظم ويكون الصبح وجب النار أحد الامور الداخلة في هذا المعنى (من شر ما خلق) أي من شر كل ذي شر خلقه الرب من ابليس ومن جهنم ومن أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما (ومن شر غاسق اذا وقب) أي ومن شر قمر اذا طلع كما أخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وأشار الى القمر فقال نعوذ بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ومعنى غسوق القمر امتلاؤه فوقوبه دخوله في الخسوف أو

من شر شمس اذا غربت كما قاله ابن شهاب واغا سميت غاسقا لانها فى الفلك تسبح فسمى جريانها بالغسق ووقوبها دخولها تحت الارض أومن شر ثريا اذا سقطت لان الاسقام تكثر عند سقوطها وترتفع عند طلوعها كما قاله عبد الرحمن بن زيد وعلى هذا تسمى الثريا غاسقا لانصبابه عند وقوعه فى المغرب ووقوبه دخوله تحت الارض وغيبوبته عن الاعين أومن شر حية اذا لدغت (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النساء اللاتى يبطلن عزائم الرجال بالحيل كما اختاره أبو مسلم فمعنى الآية ان النساء لاجل كثرة حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى ومن عزيمة الى عزيمة فأمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه كتهيئة مبادى الاضرار بالمحسود قولا أوفعلا

(سورة الناس مدنية ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا أشرف المرسلين (أعوذ برب الناس) أى ألتجئ بمصلح الناس والقائم بتدبيره وذكر الله انه رب الناس على التخصيص مع انه رب جميع المحدثات لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم وهو معبودهم وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (ملك الناس) عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى لا بطريق تربية سائر الملاك لما ليكهم ولا يجوز ههنا مالك الناس باثبات الالف بخلاف مالك يوم الدين فى سورة الفاتحة والفرق ان قوله رب الناس أفاد كونه مالكالهم فلابد وأن يكون المذكور عقبه هذا الملك ليفيد انه تعالى مالك وملك معا فان قيل أليس قال تعالى فى سورة الفاتحة رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين فيلزم وقوع التكرار هناك قلنا اللفظ دل على انه رب العالمين وهى الاشياء الموجودة فى الحال وعلى انه مالك ليوم الدين فهناك الرب مضاف الى شئ موجود الآن والمالك مضاف الى شئ يوجد فى الآخرة فلم يلزم التكرير فظهر الفرق وأيضا فان جواز القراآت يتبع النزول لا القياس (اله الناس) عطف بيان جئ به لبيان ان ملكه تعالى بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما فوصف الله أولا بأنه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا فبين بقوله ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا فبين بقوله اله الناس لان الاله خاص بالله تعالى لا يشركه فيه غيره وأيضا ان أول ما يعرف العبد من معبوده كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة وهذا هو الرب ثم ينتقل من معرفة هذه الصفة الى معرفة استغنائه عن الخلق فيحصل العلم بكونه ملكا لانه هو الذى يفتقر اليه غيره ويستغنى عن غيره ثم عرف العبد انه هو الذى ولهت العقول فى عزته وعظمته فيعرف انه اله حقيقة (من شر الوسواس) بفتح الواو وهو بمعنى الموسوس وهو الشيطان (الخناس) أى الذى يتأخر عند ذكر الانسان ربه والوقف هنا كاف لمن رفع ما بعده أو نصبه على الشتم ولا وقف هنا لمن جعل ما بعده نعتا للوسواس (الذى يوسوس فى صدور الناس) أى فى قلوب الغافل عن ذكر الله وسقوط الياء عن الناس كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع (من الجنة والناس) بيان للناسى عن ذكر الله فانهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى وعلى هذا لا يحتاج الى تكلف بعض العلماء من جعل قوله من الجنة بيانا للوسواس وجعل قوله والناس عطفا عليه فكأنه قيل من شر الوسواس الذى يوسوس وهو الجن ومن شر الناس اه ومن

جعل

جعل قوله تعالى من الجنة والناس عطفا على الوسواس بتقدير حرف العطف فالمعنى أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس ومن الجنة والناس كأنه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس وفى هذين السورتين لطيفة وهى ان المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد أما فى هذه السورة المستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب فى السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب فى السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار الدنيا وان عظمت والله أعلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد انتهى ما من الله به علينا من المعانى الميسرة والالفاظ المسهلة فى خامس ربيع الآخر ليلة الاربعاء عام سنة ١٣٠٥ ألف وثلاثمائة وخمسة على يد الفقير الى الله تعالى محمد نووى غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولاخوانه المسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين آمين

الحمد لله الذى قدر الوجود فى القدم وأنزل الفرقان دليلا على وحدانيته فهو الذى يحيى الرمم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسل بالدين القويم الذى لا عوج فيه وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين حفظوا القرآن وحازوا معانيه (وبعد) فقد تم طبع هذا التفسير النفيس. الذى تغنى مطالعته عما سواه بدون تلبيس المسمى طبقا لمعناه بمراح لبيد فى تفسير معنى قرآن مجيد وقد احتوى على معان وقصص منيفه يفطن لها ذو والاذهان الشريفة فمن طالع هذا التفسير وأمعن النظر فيه فقد نال الشرف الوافر الذى لا شك فيه وبالجملة فحيازته فيها الخير العميم لانه محتو على تفسير كلام مولانا القديم فما استقر فى بيت الا حفظ من البلايا وحفت به البركات من رب البرايا سيما وقد ذكر فيه بعض قراآت للقرا الذين اقتبسوا نور الهداية فجزاهم الله خيرا وذلك بالمطبعة العامرة العثمانية التى محل ادارتها بمصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه أمله ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه فى أواسط شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وتحيه

فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبيد للشيخ محمد نووي

﴿تم فهرست الجزء الثاني﴾